

اِحْتِشَاقُ الْمَوْمِنِينَ

إِلَى مَعْرِفَةِ رَجْعِ الْبَلَاغَةِ الْمُبِينِ

وَمِنْ تَضَمُّنِ مُنَاقِشَاتٍ كَلَامِيَّةٍ

مَعَ ابْنِ أَبِي الْخَيْثَمِ فِي شَرْحِهِ لِرَجْعِ الْبَلَاغَةِ

لِلشَّيْخِ أَبِي بِلَالٍ هُوَ الْقَائِمُ (ت ١١٠٢ هـ)

(مِنْ أَعْلَامِ الزَّيْدِيَّةِ)

تَقْدِيرُ

الْمُسَيِّدِ مُحَمَّدِ حَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ الْخَلَّالِيِّ

مَهْفُوفٌ وَعَلَى عَلَيْهِ

مُحَمَّدُ عَلِيٌّ الْهَيْسِيُّ الْخَلَّالِيُّ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



www.haydarya.com

اَرْتَشَاكُ الْمَوْمِنِينَ

إِلَى مَعْرِفَةِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ الْمُبِينِ

وَيَتَضَمَّنُ مُنَاقَشَاتٍ كَلَامِيَّةَ

مَعَ ابْنِ أَبِي الْجَدِيدِ فِي شَرْحِهِ لِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ

لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرْدِ بَهْوٍ الْحَمَاقِي (ت ١١٠٢ هـ)

(مِنْ أَعْلَامِ الزَّيْدِيَّةِ)



تَقْدِيمُ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ الْجَلِيلِيِّ

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

مُحَمَّدُ جَوَادُ الْحُسَيْنِيِّ الْجَلِيلِيُّ

طَبْعُ الدَّوَلَةِ

۱۱۰۲ هـ.

جفاف، یحیی بن ابراهیم

ارشاد المؤمنین الی معرفة نهج البلاغه المبين / یحیی بن ابراهیم بن یحیی الجفاف؛ علق علیه
اخوه اسماعیل بن ابراهیم؛ حققه و علق علیه محمد جواد الحسینی الجلالی. قم:
دلیل ما، ۱۴۲۲ ق. = ۱۳۸۰.

ISBN 964-7528-34-5 (دوره)

ج ۳

ISBN 964-7528-01-9 (ج. ۲) ISBN 964-7528-00-0 (ج. ۱)

ISBN 964-7528-02-7 (ج. ۳)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

عربی.

کتابنامه.

۱. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه - نقد و
تفسیر. الف. جفاف، اسماعیل بن ابراهیم، ۱۰۲۴ - ۱۰۹۷ ق. ب. حسینی جلالی، محمد
جواد، ۱۳۳۱ - محقق. ج. عنوان.

۲۹۷ / ۹۵۱۵

ج ۳ / ۰۸ / BP۲۸

۱۳۸۰

۸۳۶۶ - ۸۰ م

کتابخانه ملی ایران

ارشاد المؤمنین الی معرفة نهج البلاغة المبين (الجزء الاول)

تأليف: السيد يحيى بن ابراهيم الجفاف

تقديم: السيد محمد حسين الحسيني الجلالی

تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالی

منشورات: دليل ما

الطبعة الاولى: ۱۰۰۰ نسخة

مطبعة: نگارش

۱۴۲۲ ق. - ۱۳۸۰ ش.

شابك (ردمك): ۰۰ - ۰۰ - ۷۵۲۸ - ۹۶۴ ISBN

شابك (ردمك) دوره: ۵ - ۳۴ - ۷۵۲۸ - ۹۶۴ ISBN

ایران، قم، شارع معلم، زقاق ۲۹، رقم ۴۴۸

الهاتف: ۷۷۳۳۴۱۳، ۷۷۴۴۹۸۸ - ۲۵۱۰

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى من الكائنات: محمد بن عبدالله ﷺ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، لا سيما ابن عمه ووصيه الناطق بالحكمة وفصل الخطاب، علي بن أبي طالب عليه السلام.

وبعد، فإن من ثمار الجهود المضنية التي تحملها العالم النحرير الفقيه المتتبع سماحة العلامة المجاهد السيد محمد حسين الجلاي في بحثه عن التراث الاسلامي المتفرق في أنحاء العالم، هو هذا الشرح الكبير لنهج البلاغة، لأحد كبار علماء اليمن.

وقد تفضل سماحته بإرسال صورة له منذ عدة أعوام، فما أن وصلتني إلا وبدأت في العمل على تحقيقه، إلا أن عوائق الزمان حالت دون إمكان طبعه حتى هذا العام.

وقد تفضل السيد العلامة ادام الله أيامه، بكتابة مقدمة مفصلة عن المؤلف والكتاب بما لا مزيد عليه، فله درّه وعليه سبحانه أجره.

كما أنه تفضل بكتابه القيم «مسند نهج البلاغة» المتكوّن من قسمين:

القسم الأول : دراسة حول نهج البلاغة، والقسم الثاني: ذكر مصادر الخطب والكلمات القصار.

أمّا الدراسة حول نهج البلاغة فتحتوي على :

١ - مقدمة في التعريف بكتاب نهج البلاغة ، وحياة الشريف الرضي عليه السلام، وردّ ما اثير حول نسبة كتاب نهج البلاغة إلى الشريف الرضي عليه السلام.

٢ - الباب الأول : في توثيق نهج البلاغة والعناية به خلال القرون.

٣ - الباب الثاني: شرح خطبة كتاب نهج البلاغة في اثني عشر مقطعاً.

وجعلنا ما كتبه السيد العلامة حول «المؤلف والكتاب» فصلاً رابعاً في هذه المقدمة؛

ليكون المتصفح لكتاب نهج البلاغة على إمام تامّ بكلّ ما يتعلق بالكتاب من الجوانب العديدة.

في طريق التحقيق :

لما كان هذا الكتاب محتويًا على فقرات من أشهر شرحين لنهج البلاغة، وهما:
 ١ - شرح ابن أبي الحديد، الذي يستند إليه المصنّف في الوقائع التاريخية كثيرًا.
 ٢ - شرح ميثم بن علي البحراني، الذي يعتمد عليه المصنّف في المباحث الكلامية.
 أثرنا استحضار نسختي الشرحين، ومقابلة ما نقله المصنّف عليهما، وإثبات موارد الاختلاف في الهوامش.

وأساس عملنا في هذا الكتاب يدور حول المحاور التالية:

أولاً - تحقيق نصّ نهج البلاغة، بمقابلته على عدّة نسخ معتمدة، هي كالآتي:
 أ - النسخة المخطوطة التي نشرت مصوّرتها مكتبة جهل ستون بطهران، وتاريخ كتابتها سنة ٤٩٤ هـ. وكانت لفخر الدين النصيري الأميني الطهراني.
 والملاحظ في هذه النسخة أنّها تبدأ بالخطبة (٣٢) من نهج البلاغة إلّا أنّ المشرف على طبعها حاول إكمال الناقص بنسخة قديمة يرجع تاريخ كتابتها إلى ما قبل تسعمائة عام، لكنه مع الأسف لم يلاحظ فيه ترتيب الصفحات، فأعدنا ترتيبها بالشكل الصحيح.
 ب - النسخة المخطوطة التي نشرت مصوّرتها مكتبة آية الله المرعشي بقم، وتاريخ كتابتها سنة ٤٩٩ هـ.

ج - النسخة المحققة التي طبعتها مؤسسة نهج البلاغة بطهران سنة ١٤١٣ هـ، والتي قام بتحقيقها ومقابلتها على عدّة نسخ مخطوطة ومطبوعة العلامة الشيخ عزيز الله العطاردي. وقد استفدنا من هذه النسخة الوقوف على موارد اختلاف النسخ التي وقف عليها المحقق، وإن لاحظنا بعض التساهلات في ضبط الاختلافات بالنسبة إلى النسختين المخطوطتين اللتين كانتا بحوزتنا، إضافة إلى بعض الأخطاء المطبعية الأخرى.

هذا، ولا بدّ أن نشير هنا إلى أنّنا لم نتقيّد في إيراد نصّ نهج البلاغة على ما ورد في نسخة الأصل، بل اثبتنا في المتن ما كان موردًا لاتفاق أكثر النسخ المعتمدة (بما في ذلك ماورد

في نسخة الأصل) مع الإشارة إلى الاختلافات في الهامش.

ثانياً - إثبات ما جاء في هوامش النسخ المعتمدة، من شرح لمفردات كلمات نهج البلاغة، وفيها الكثير من المعلومات التي أثبتها علماء الإسلام، الذين وقفوا على تلك النسخ، وإن كان المؤلف كثيراً ما يعتمد في توضيح غريب الكلمات على شرح ابن أبي الحديد وتفسيره، بتصريف.

فجاء هذا الكتاب جامعاً بين بيان وافٍ لنهج البلاغة، إضافة إلى شرحه للغريب من كلماته في هامش الصفحات.

ثالثاً - إلحاق فهرس تعيين الباحث على الوصول إلى منشوده.

وبهذا نكون قد أضفنا إلى مكتبة نهج البلاغة شرحاً يجمع بين توضيح الملاحظات التأريخية لإيراد الخطب والكلمات، وبين بيان المعارف الإلهية الحقّة التي عرضها الامام عليه السلام بأسلوبه الخاص، مع توضيح وافٍ للغريب من كلمات نهج البلاغة، وشرح مبسّط لعبارات الكتاب، وتصحيح لما ورد في شرح ابن أبي الحديد من التحريف والاشتباه في بيان مراد الامام عليه السلام.

الرموز المستعملة في هوامش الكتاب:

ص - لنسخة الأصل (إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين)

هـ. ص - لما ورد في هامش نسخة الأصل أو بين السطور، من توضيح الكلمات، وحيث أن بعض الكلمات كانت غير واضحة - خصوصاً في الصفحات الأولى - فإننا جعلنا بدلها ثلاث نقط، وحصرنا ما استظهرناه من سياق العبارة بين معقوفتين.

أ - للنسخة التي قامت بطبعها مكتبة چهل ستون العامة بطهران، والمؤرخة ٤٩٤ هـ.

هـ. أ - لما ورد في هامش النسخة «أ»، وجعلنا مكان الكلمات غير المقروءة ثلاث نقط.

ب - للنسخة التي قامت بطبعها مكتبة الفقيه العلامة آية الله السيد شهاب الدين

المرعشي النجفي قدس سره بقم، وهي مؤرخة بسنة ٤٩٩ هـ.

هـ. ب - لما ورد في هامش النسخة «ب».

ط - لما ورد في الشرح المطبوع لابن أبي الحديد بتحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم.

د - للنسخة المطبوعة من قِبَل مؤسسة نهج البلاغة بتحقيق العلامة الشيخ عزيز الله العطاردي.

هـ. د - لما ورد في هامش النسخة «د» من الاختلاف في النسخ، والتي شَفَعَتْ كُلٌّ منها برمز خاص يشير إلى النسخة المأخوذة منها، والرموز التي استعملها المحقق للدلالة على النسخ في كتابه هي كما يلي:

«ش» لنسخة مكتبة آية الله المرعشي النجفي قَوَّيْنُ، بقم. (وهي نفس النسخة التي رمزنا لها بـ«ب»).

«ن» لنسخة مكتبة مدرسة النوَّاب، بمشهد، وهي من مخطوطات آستان قَوَّيْنُ.

«ل» لنسخة مكتبة جامعة عليكرة، بالهند.

«م» لنسخة مكتبة ممتاز العلماء، في لكهنؤ بالهند.

«ق» لنسخة مكتبة فخر الدين النصيري. (وهي نفس النسخة التي رمزنا لها بـ«أ»).

«ض» لنسخة نهج البلاغة المطبوع بطهران سنة ١٣٣ هـ ش بشرح وترجمة فيض الاسلام.

«ح» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح ابن أبي الحديد.

«ر» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح قطب الدين الراوندي (منهاج البراعة).

«ك» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح قطب الدين الكيذري البيهقي (حدائق الحقائق).

«ع» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح علي بن ناصر السرخسي (اعلام نهج البلاغة).

«ب» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح محمد عبده.

هذا، ونسأل الله أن يتقبَّلَ مِنَّا ومن أخينا العلامة السيد محمد حسين الجلاي دام الله ظله الوارف، الذي أتحفنا بمقدِّمتين وافيتين بما يخصُّ هذا الموضوع: الاولى بعنوان: «**مسند نهج البلاغة**»، والثانية بعنوان: «**الكتاب والمؤلَّف**»، وأن يجعل ذلك ذخراً لنا ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، انه سميع قريب. قم المقدَّسة: محمد جواد الحسيني الجلاي

مسند نهج البلاغة

بقلم: محمّد حسين الحسيني الجلاي

الإهداء

إلى من يهّمه معرفة أسانيد نهج البلاغة.
فإن كانت الأسانيد لاتعنيك فإنّ هذه الدراسة لاتُعنيك، فكفّ عنها وأرح نفسك منها.
وإن كنت طالب الأسانيد فأنت تعلم ما يبذل في سبيله الأساتيد من الجهد المضني
لمعرفة رواة تحصّنوا بنكران الذات، ولا يُعرف عنهم سوى الأسماء والصفات، وأهملتهم
المصادر العامة لمخالفتهم في المعتقدات والسياسات . فكادوا أن يكونوا منسيين للغاية
لولا وقوعهم في سلسلة الرواية.
فإليك هذه الدراسة المتواضعة، عسى أن تكون خطوة في سبيل إحياء التراث
الإسلامي الأصيل .

محمّد حسين الحسيني الجلاي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

وبعد، فيقول محمد حسين بن محسن الحسيني الجلاي بصّره الله عيوب نفسه وجعل مستقبله خيراً من أمسه: إنّه مابلغ كتاب في البلاغة مابلغه نهج البلاغة من الشهرة في الآفاق، حيث مدّت إليه الأعناق من مختلف أصحاب الملل وأرباب النحل؛ لما وجدوا فيه نهجاً علوياً سديداً، ولجامعه أسلوباً رشيداً. وقد ارتأى جامع النهج أن يقتصر فيه على المتن من الخطب والرسائل والحكم المنتقاة، مجردة من أسانيد الروايات حيث أنّ لكل منها طريق خاص.

وقد غفل عن هذا التصرف الرشيد والاسلوب السديد جمع - عن حسن ظن أو غيره - وحاولوا أن يعتبروه نقصاً يؤخذ عليه، كما حاول بعض المتأخرين سدّ هذه الفجوة في مؤلفات خاصة. وقد أنصف امتياز علي عرشي الحنفي (ت/ ١٤٠٥ هـ) في استناد نهج البلاغة، حيث قال: «إنّ معظم محتويات نهج البلاغة توجد في كتب المتقدمين وإن لم يذكرها الشريف الرضي، ولو لم يعر بغداد ماعراها من الدمار على يد التتر، ولو بقيت خزانة الكتب الثمينة التي أحرقها الجهلاء، لعثرنا على مرجع كلّ مقولة مندرجة في نهج البلاغة»^(١)، ولعله يشير إلى ما ذكره الحموي (ت/ ٦٢٢) بقوله: «بين السّورين - تشنية سور المدينة - اسم لمحلة كبيرة كانت بكرخ بغداد، وكانت من أحسن محالّها وأعمرها،

(١) استناد نهج البلاغة: ٢٠.

وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كُتُباً منها، كانت كلّها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولهم المحرّرة، واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أوّل ملوك السلجوقية إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ»^(١).

ومواقف أصحابنا بالنسبة إلى نهج البلاغة مختلفة بين من يرى تواتر الكتاب ومن لا يرى ذلك .

قال السيد الخميني (ت/ ١٤١٠هـ) عن الصحيفة: «وتلقّي أصحابنا إيّاها بالقبول كتلقّيهم نهج البلاغة به - لو ثبت في الفقه أيضاً - إنّما هو على نحو الاجمال، وهو غير ثابت في جميع الفقرات»^(٢).

ومما قال محمد هاشم الموسوي الخوئي (ت/ ١٣٥٨هـ): «لاخلاف بين الإمامية في أنّ كتاب نهج البلاغة من مؤلفات السيد رضي الدين عليه السلام، وهو طاب ثراه عالم أديب، وفقه ثقة، عدل جليل، خبر خبير، جلالته أشهر من أن يحتاج إلى التحرير، وأكثر من أن يحيطه البيان والتقرير، ومرسلاته - كمسنداته - حجة عند الأصحاب، على أنّ خطب النهج لا ريب في صدورها من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يسمع من أحد التردد في صدورها عنه، وعلّق عليها جماعة من فضلاء العامة والخاصة، ومتونها أقوى القرائن عند أهل البلاغة لصدورها عنه وصحة سندها، وبالجملّة: لا ريب في صحة سندها، بل هو منقول عنه عليه السلام بالاستفاضة أن لم نقل بكونها متواترة»^(٣).

قال الجلالى: والتحقيق أنّ هنا مقامان :

الأوّل : السند إلى الشريف الرضي جامع النهج .

والثاني: تواتر النهج من الرضي إلى الامام عليه السلام .

أمّا السند إلى الشريف الرضي، فيمكن دعوى التواتر فيه، كماستعرف من أسانيد

مشايخ الإجازات إليه، وتصريح الشريف الرضي وكلّ من تأخّر عنه بذلك، يثبت نسبة الكتاب وتواتره إلى المؤلف.

وأما تواتر النهج من الرضيّ إلى الإمام (عليه السلام)، فهذا يتوقّف على تواتر مصادر الرضي، وهذا مالم يدّعه الرضي نفسه، بل يكفي في ذلك الاستفاضة، شأن كلّ المرويات عن النبي (صلى الله عليه وآله) والصحابة وغيرهم، فلا سبيل إلى ادّعاء التواتر في جميعها، بل يتبع ذلك المصادر التي اعتمد عليها، ونحن وإن كنّا لانعلم من مصادر الرضي سوى القليل منها - وسيأتي ذكر وشرح ذلك - ولكن تكفينا حجية الرضي روايةً فقيهاً.

وعلى النقيض من ذلك ماذهب إليه المقبلي (ت/ ١١٠٨ هـ) ^(١) بقوله: «نهج البلاغة، الذي صار عند الشيعة عدل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كلّ عرق منهم ومفصل، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس، وأوصلوا ذلك إلى علي برواية يسوع عند الناس، وجادلوا عن روايتها، ولكن لم يبلغوا بها مصنّفها، حتى لقد سألت في الزيدية إمامهم الأعظم وغيره فلم يبلغوا بها الرضي الرافضي، ولو بلغوه لم ينفعهم؛ فإنّ مذهب الإمامية تكفير من لم يكن على مذهبهم كفراً صريحاً لا تأويلاً» ^(٢).

قال الجلاّلي: بل هذه الدعوى ليس لها دليل سوى الهوى والتضليل، وهي تكشف عن جهل بالتاريخ والروايات والأسانيد، وذلك:

أولاً: إنّ قوله بأنّ نهج البلاغة صار عند الشيعة عدل كتاب الله، كذب صراح؛ فليس في الإمامية ولا غيرهم من يذهب إلى ذلك. نعوذ بالله، كيف؟ والقرآن وحي الله المنزل على قلب النبي المرسل، وما هذا شأنه لا يقاس به كلام البشر.

ثانياً: إنّ انكار رواية موصولة إلى الإمام علي (عليه السلام) جهل بالروايات عامة وبروايات أهل

(١) هو صالح بن مهدي المقبلي (١٠٤٧ - ١١٠٨ هـ) من قرية المقبل من أعمال كوكبان -

اليمن، خالف الزيود في معتقدهم وحكمهم، وكتب «العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ» المطبوع سنة ١٢٢٨ هـ، ونظر إلى الحياة بعين الحقد، وإلى آثارهم بعين الغضب كردّ فعل لسياستهم، كما يظهر من كتابه، ولأجل ذلك ارتحل إلى مكة ومات بها سنة

١١٠٨ هـ، عن ٦١ عاماً. (٢) العلم الشامخ: ٤٥٢.

البيت عليه السلام خاصة - كما ستعرف - ولا أدري ماذا يعني بـ «الناس» ؟ أليس أصحاب المصادر الأولية للفكر العربي الإسلامي من الناس ؟

ثالثاً: إتهم الشيعة بأنهم «لم يبلغوا بها مصنفها»، وهذا جهلٌ بأسانيد مذهب أهل البيت عليهم السلام، وستعرف في القسم الأول من هذه الدراسة إنَّ لهم أسانيد متصلة متعددة من عصرنا الحاضر إلى المؤلف الشريف الرضي.

رابعاً: إنَّ قوله: «لقد سألت في الزيدية إمامهم الأعظم وغيره فلم يبلغوا بها الرضي» سوء فهم يعرّفنا بموقف الرجل وجهله بأسانيد الزيدية. وإن كنتُ لا أدري من يعني بالإمام الأعظم؟ ولعله معاصره المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (ت/ ١٠٨٧ هـ) ولعل مسؤولياته الإدارية حالت دون تتبّع إسناده؛ فإنَّ العلماء الزيود أسانيدهم إلى نهج البلاغة كثيرة، وأقدمهم عمرو بن جميل النهدي (ت/ ٦٠٦ هـ) كما ذكره المسوري (ت/ ١٠٤٩ هـ) في إجازته.

خامساً: إنَّ دعواه بأنَّ من مذهب الإمامية تكفير من لم يكن على مذهبهم «كفرًا صريحاً لا تأويلاً» جهل بفقهاء أهل البيت عليهم السلام وبالتاريخ، وليس في تاريخ مذهب أهل البيت فتوى من أحد من علمائهم بتكفير من ينطق بالشهادتين بالرغم من الحروب الشرسة التي شنّها العثمانيون عليهم في العراق وسوريا، بل الأمر بالعكس وفتوى ابن نوح ومن سار على خطاه ليس منسياً في التاريخ.

ونعم مقال الهادي كاشف الغطاء (ت/ ١٣٦١ هـ): «والشريف إن لم يكن من أفضل الرواة وأوثقهم فهو ليس دون غيره في جميع الصفات المعتبرة في الرواية، كما أنه يدّعي بذلك كلّ خبير ترجم السيد وعارف بحاله... ولا أدري لأيّ سبب يقع الريب فيما يرويه الشريف المذكور على جلالته قدره وعظيم منزلته وثقته وورعه، دون مرويات الجاحظ وابن جرير وأمثالهما من العلماء والرواة، فيؤخذ بما يرويه هؤلاء بدون تردّد وشك ولا بمطالبة مصدرٍ لذلك أو مستند؟ وعلى أي حال فلا يهمنّا البحث»^(١).

وقال أيضاً: «إنّ تهمة أمثال السيد من علماء الرواة بغير حجة ولا برهان بذلك ظلم للحقيقة وخروج عن الطريقة، وفتح باب لهدم أصول الشريعة والدين، وزوال الثقة بما في الجوامع الصحيحة»^(١).

وهذه دراسة متواضعة استغرقت العطلة الصيفية في النجف الأشرف عام ١٣٨٥هـ جعلتها مقدمة لكتاب «مسند نهج البلاغة بتحقيق أسانيد أهل البيت عليهم السلام مع الموافقات»^(٢)، وقد ظهر - بحمد الله - طائفة جليلة من الكتب في الموضوع نفسه لها قيمتها من مؤلفين قديرين مما دعاني إلى إسدال الستار على هذا الكتاب آنذاك.

وقد دعاني الى هذا ما وجدته في أكثر الطبقات شيوعاً وإناقة في التشكيل والإخراج الفني والفهارس، وهي طبعة الدكتور صبحي الصالح - بيروت سنة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م. من تصحيف وتحريف، وعلى سبيل المثال: ماورد في الحكمة رقم ١٩٠ من أنّه قال عليه السلام: وَأَعْجَبَاهُ! أَتَكُونُ الْخِلَافَةَ بِالصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ؟

قال الرضي: وروي له شعر في هذا المعنى:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتُ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ يَهَذَا وَالْمُسِيرُونَ غُيْبُ؟

وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَاجَجْتَ خَصِيمَهُمْ فَغَيْرَكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ^(٣)

والجملة الاستفهامية المذكورة تعني أن الخلافة لا تكون بالصحابة ولا بالقرابة، وعليه لا يكون الشعر المزبور في هذا المعنى المذكور.

هذا، ولكن جاءت العبارة في النسخة المؤرخة سنة ٤٩٤هـ كالآتي:

«واعجبا! أتكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقرابة!»^(٤).

وعليه يكون الشعر المذكور في هذا المعنى بالذات كما صرح به الشريف الرضي، ويكون النص والشعر منسجمين.

(١) مدارك نهج البلاغة: ١٩٨.

(٢) جاء ذكر الكتاب في معجم رجال الفكر والأدب في النجف تأليف الشيخ محمد هادي الأميني ط / النجف ١٣٨٥، بعنوان (مستند)، والصحيح: (مسند).

(٣) نهج البلاغة: ٥٠٢ ط / صبحي الصالح. (٤) نهج البلاغة: ٢٧٨، ط / طهران بالاوفسيت.

ورأيت أن ماوقفت عليه من هذه البحوث قد أغفلت بتقديم النص كما يرويه أسانيد أهل البيت عليهم السلام ، فلعل هذا الكتاب يكون مساهمة متواضعة في إحياء تراث طائفة من المسلمين حاربها الحكام بالتقتيل والتشريد، وحاربها الأقلام بالتشكيك والتفنيد، ولم تزدها ذلك إلا صموداً في اعتزازا .

منهجية الدراسة:

يمكن حصر هذه الدراسة في البحث عن ثلاث جهات: ١ - الاسناد ٢ - التعقيبات ٣ - الموافقات .

١ - الاسناد:

يشتمل هذا المسند على أسانيد روايات نهج البلاغة في كتب أخرى من روايات أهل البيت عليهم السلام مرتبة على ترتيبها الوارد في نهج البلاغة من الخطب والرسائل، مع المحافظة على صفة الأسانيد كما وردت في المصادر أو زيادة تقتضيها الضرورة .

٢ - التعقيبات:

وعقبتها بما روي عن أئمة أهل البيت بعد الإمام علي عليه السلام الذين اعتزوا بآثاره وحافظوا على سيرته ، ومن هنا قد تنسب إليهم؛ لأنهم رواة لها، خصوصاً وأن الإمام جعفر الصادق عليه السلام نفسه صرح بتسلسل الاسناد بالآباء في حديث رواه أهل البيت عليهم السلام، فقد روى جماعة منهم هشام بن سالم الجواليقي الكوفي، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

فقد حافظ على تراث أمير المؤمنين علي عليه السلام أولاده عليهم السلام محافظة الأبناء على تراث الآباء، وكذا أوليائهم الصالحون من بعدهم ، وإن بعض الرواة نسب شيئاً من تراث

الإمام عليه السلام إلى من بعده الأئمة عليهم السلام لسماعه منهم ، ظاناً أنها لهم، مع أنهم رواة لتراث الإمام عليه السلام.

٣- الموافقات:

ثم عقبتها بالموافقات من المصادر من غير أهل البيت عليهم السلام ، واكتفيت فيها بالإشارة إلى المصدر الذي وقفت عليه.

ومن روايات أهل البيت عليهم السلام التي رواها العامة في كتبهم؛ فإن عموم «الناس» في الحديث يشمل حجّة كلّ مارووه بطرقهم ؛ فإنّ فيهم من يميّز بين الحصى والجوهر، والفضل ماشهدت به الأعداء.

وقد رتبته على قسمين:

الأول: في دراسة النهج وإقامة بحياة الشريف الرضي، وشبهات وحلول حول جامع النهج والنص، مع الأسانيد إلى الجامع، والعناية بالنهج منذ عصر التأليف حتى العصر الحاضر، وشرح الخطبة.

الثاني: ماوقفت عليه من أسانيد روايات النهج والخطب والرسائل والحكم.

وختاماً: فهذا جهد فردي، قيّدته فيه ماتيّسّر الوقوف عليه من أسانيد روايات نهج البلاغة التي رويت في كتب أخرى كلاً أو بعضاً، وكذا ما ورد ذكره مرسلأً، وليس الغرض شرح كل مادة أو فقرة منها؛ فإنّ لذلك مقام آخر تكفّل بعضها القدماء والمحدثون.

وعسى أن تكون هذه الدراسة خطوة متواضعة في سبيل إحياء التراث الإسلامي الأصيل .

محمد حسين الحسيني الجلاّلي

ماهو نهج البلاغة:

التعريف بكتاب نهج البلاغة لا يختلف اليوم عن الأمس؛ لأنه بلغ في سماء البلاغة محل الشمس ، عشت عنها عيون ، وحييت بأشعتها معارف وفنون عبر القرون ، فإنه الكتاب الوحيد الذي جمع بأسلوب فريد روايات منتقاة من خطب ورسائل وحكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

وقد رافقت شهرة نهج البلاغة شهرة جامعته الشريف الرضي، والمروي عنه الإمام علي عليه السلام .

وجامع نهج البلاغة هو الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ)، وينتهي نسبه إلى الإمام علي بـ ١٢ واسطة. جمعه خلال (١٧) عاماً تقريباً، من سنة ٣٨٢ هـ إلى سنة ٤٠٠ للهجرة. ويحتوي نهج البلاغة على ٢٤٢ خطبة وكلاماً ، و ٧٨ كتاباً ورسالة، و ٤٩٨ حكمة مفردة.

وقد حظي نهج البلاغة عبر القرون من الاهتمام بالنسخ والشرح والتعليق والإجازة بعناية بالغة من قبل أعلام البلاغة والأدب ، وتداوله علماء أهل البيت جيلاً بعد جيل. ومنذ صدور الكتاب ظهرت محاولات التشكيك في النسبة والجامع بسبب الصراع المذهبي، ولا يزال صداها ترنّ بين فترة وأخرى بالرغم من أن الشريف الرضي شرح أسلوبه في الجمع وأحال إليه في كتبه الأخرى، ورواه عنه طائفة من علماء أهل البيت عليهم السلام وغيرهم بأسانيدهم المتصلة ، ودراساتهم الممتعة ، كما ينبىء عن ذلك نظرة عابرة إلى الأعمال حول نهج البلاغة عبر القرون.

جدول الأعمال حول نهج البلاغة عبر القرون

الاهتمام / القرون	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
النسخ	٤	١٧	٣٣	٢٥	١٦	٨	٤٦	١٩	٥	١
الشروح والتعليقات	٢	٧	٨	٧	٣	٣	١٥	٢٠	١٢	٢٨
الترجمات						٥	٤		٣	٥
الطباعات									٤	١٢
الاجازات	٥	١١	٦	٧	١	٢	٧	١	٢	٤
المجموع	١١	٣٥	٤٧	٣٩	٢٠	١٨	٧٢	٤٠	٢٦	٥٠

المجموع الكلي = ٣٥٨

ويستكشف من هذا الجدول نقاط:

- ١ - الاهتمام بنهج البلاغة منذ عصر الشريف حسب متطلبات كل عصر حتى العصر الحاضر.
 - ٢ - أول ترجمة لنهج البلاغة حصلت في القرن العاشر إلى الفارسية ثم التركية ثم الأوردوية ثم الانجليزية ثم الألمانية.
 - ٣ - الحاجة إلى الاستنساخ انعدمت في القرن الحاضر لكثرة المطابع، وللتفصيل يراجع فصل الاهتمام بنهج البلاغة عبر القرون.
- قال الأمين (ت / ١٣٩٠ هـ): «نهج البلاغة كان يهتم بحفظه حملة العلم والحديث في العصور المتقدمة حتى اليوم، ويتبركون بذلك كحفظ القرآن الشريف - وعدّ من حفظته في قرب عهد المؤلف: - القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاساني، فإنه كان يكتب نهج البلاغة من حفظه كما ذكره الشيخ منتجب الدين في فهرسته، ومن حفاظه في القرون المتقدمة الخطيب أبو عبد الله محمد الفارقي المتوفى سنة ٥٦٤ كما ذكره ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٢٦٠، وابن الجوزي في المنتظم ج ١٠ ص ٢٢٩. ومن حفظته المتأخرين العلامة الورع السيد محمد اليماني المكي الحائري، المتوفى في الحائر

المقدس سنة ١٢٨٠ في ٢٨ ربيع الأول، ومنهم العالم المؤرخ الشاعر الشيخ محمد حسين مروّة الحافظ العاملي^(١)، ثم ذكر للنهج ٨١ شرحاً، في الصفحات ١٨٦ - ١٩٣، وعشرين اجازة في الصفحات ١٨٦ - ١٩٤.

ومن هنا قيل في وصف نهج البلاغة: إنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين^(٢).

عنوان نهج البلاغة:

لقد قارن عنوان (نهج البلاغة) اسم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى درجة أنه قد يغفل عن اسم جامعه الشريف الرضي، وأصبح - أو كاد - أن يكون اسماً علماً للبليغ المأثور عن الإمام عليه السلام فقط دون غيره من المأثورات عنه. هذا وذكر شيخنا العلامة رحمته (ت/ ١٣٨٩ هـ) إن الشريف الرضي وهو جامع النهج أول من شرح نهج البلاغة، وقال عن أول شرح له: «هو تعليقاته على كثير من الخطب وغيرها، فهو أول الشارحين له كما أشرنا إليه»^(٣)، وهذا سهو منه فإن تعليقاته على الخطب جزء من كتابه نهج البلاغة، ولا يمكن عدها شرحاً للنهج البلاغة إلا على التجوّز المتقدم، وحصل مثل هذا لتغري بردي (ت/ ٨٧٤ هـ) في وفيات سنة ٣٧٤، حيث قال مالفظه: «وفيهما توفي عبد الرحيم بن محمد إسماعيل بن نباتة الخطيب الفارقي... وكان مولده بميفارقين في سنة ٣٣٥، وكان بارعاً في الأدب وكان يحفظ نهج البلاغة وعامة خطبه بألفاظها ومعانيها، ومات بميفارقين عن تسع وثلاثين سنة»^(٤).

وترجم ابن خلكان (ت/ ٦٨١ هـ) الخطيب ابن نباتة (ت/ ٣٧٤ هـ) وقال: «وهذا الخطيب لم أرَ أحداً من المؤرخين ذكر تاريخه في المولد والوفاة سوى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه، فإنه قال: ولد في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي في سنة أربع

(١) الغدير ٤: ١٨٦ - ١٩٤، ط / بيروت. (٢) راجع البيان: ٩١، لسيدنا الاستاذ الخوئي رحمته.

(٣) الذريعة ١٤: ١٤٦.

(٤) النجوم الزاهرة ٤: ١٤٦، ط / القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م.

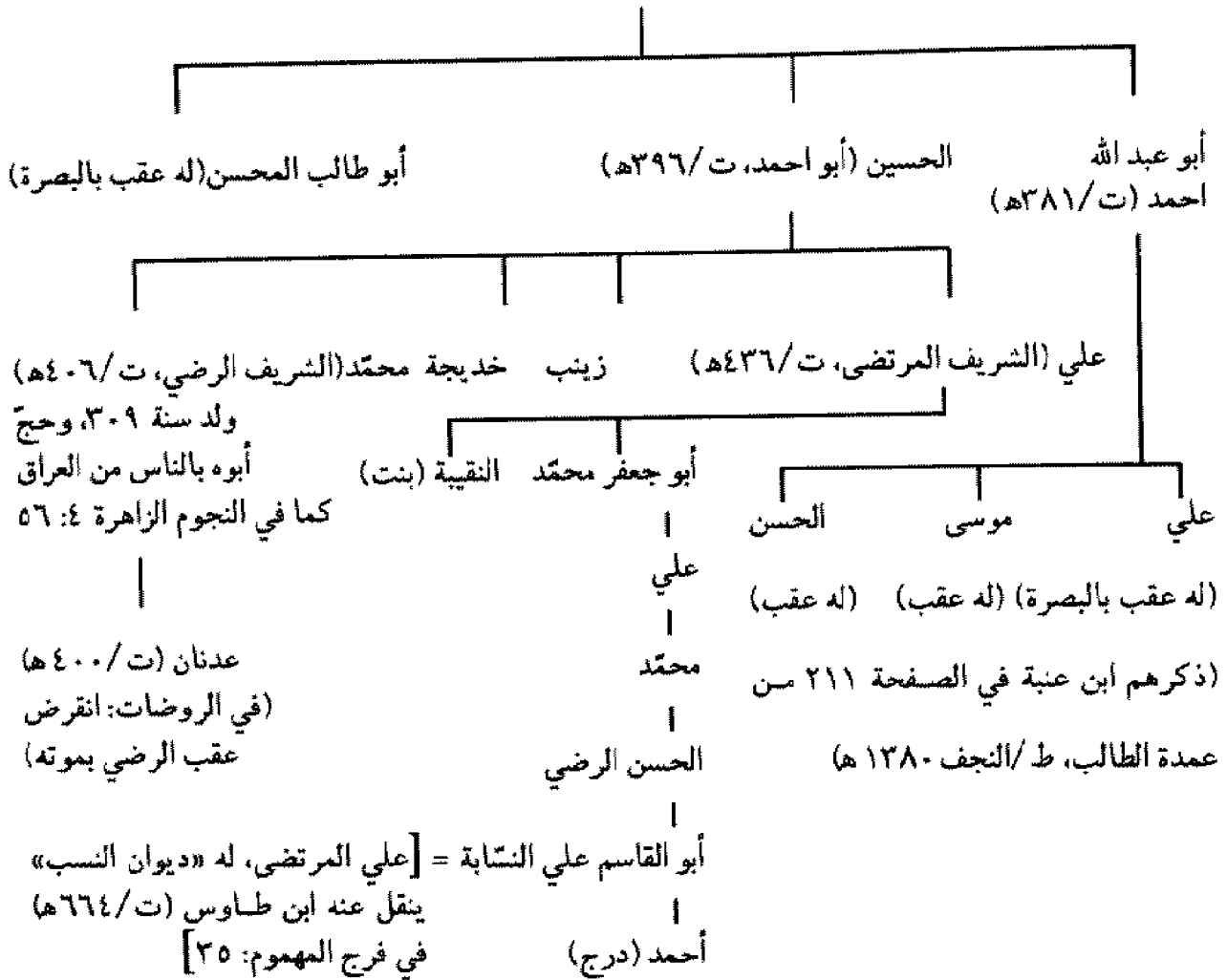
وسبعين وثلاثمائة بميفارقين ودفن بها ﷺ» (١).

بيان ذلك: ان الشريف الرضي جمع نهج البلاغة بين العامين (٣٨٣) و (٤٠٠) خلال ١٧ عاماً، والخطيب ابن نباتة توفي سنة ٣٧٤ اي انه توفي قبل جمعه بـ ٩ أعوام، إلا أن يكون غلط في تاريخ الوفاة الذي لم يؤرخه سوى ابن الازرق كما قال ابن خلكان، أو أن ابن تغري بردى (ت/ ٨٧٤هـ) عنى بنهج البلاغة: المأثور عن الإمام علي من البليغ، وهذا يدل على شهرة هذا العنوان في عصره.

شجرة الأسرة:

ينتهي نسب الشريف الرضي إلى الإمام علي بـ ١٢ واسطة، فهو محمد بن الحسين ابن موسى الأبرش بن محمد بن موسى بن ابراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن السجاد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب ﷺ.

موسى الأبرش (استوطن البصرة)



قال ابن عنبه : «وانقرض علي المرتضى النسابة وانقرض بانقرضه الشريف

المرتضى علم الهدى»^(١).

الشریف الرضی (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ)

أقدم مصدرين في ترجمة الشریف الرضی أبو العباس النجاشي (ت/ ٤٥٠ هـ) والثعالبي (ت/ ٤٢٩ هـ)، وقد أشارا بإيجاز إلى نسبته وشهرته و ١٢ كتاباً من مؤلفاته، ونظرة خاطفة إلى مؤلفاته تنبيء عن مدى اهتمامه بالأدب العربي شعراً ونشراً في القرآن الكريم والروايات والآثار النبوية والعلوية وغيرها، بل تجاوز ذوقه الأدبي أن يختار من أدب أبي اسحاق الصابي على ما بينهما من خلاف في العقيدة، وما ذلك إلا التحرر من عقدة العصبية في ذوقه الأدبي. وتكاد تطبق المصادر المتأخرة عنه أن الرضی كان أشعر قريش، وقد تعاطى هذا الفن منذ صغره، قال النجاشي مانصه: «محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام أبو الحسن الرضی تقيب العلويين ببغداد، أخو المرتضى، كان شاعراً مبرزاً، له كتب منها: كتاب حقائق التنزيل، كتاب مجاز القرآن، كتاب خصائص الأئمة عليهم السلام، كتاب نهج البلاغة، كتاب الزيادات في شعر أبي تمام، كتاب تعليق خلاف الفقهاء، كتاب مجازات الآثار النبوية، كتاب تعلية في الايضاح لأبي علي، كتاب الجيد من شعر ابن الحجاج، كتاب الزيادات في شعر ابن الحجاج، كتاب مختار شعر أبي اسحاق الصّابي، كتاب مدار بينه وبين أبي اسحاق من الرسائل، شعر، توفي في السادس من المحرم سنة ست وأربعمئة»^(١).

وقال أبو منصور الثعالبي في اليتيمة في ترجمته: «ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلّى مع محتده الشریف ومفخره المنيف بأدب ظاهر، وحظّ من جميع المحاسن وافر، ثمّ هو أشعر جميع الطالبين، من مضى منهم ومن غبر، على كثرة شعرائهم المفلّحين؛ ولو قلت: إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجريه من ذكره، شاهد عدل من شعره العالي القدح، الممتنع عن القدح، الذي يجمع إلى السّلاسة متانة، وإلى السّهولة رصانة، ويشتمل على معان يقرب

جناها، ويبعد مداها، وكان أبوه يتولّى نقابة نقباء الطالبين ويحكم فيهم أجمعين، وكان له النظر في المظالم والحج بالناس، ثم رُدَّت هذه الأعمال كلّها إلى ولده الرضيّ المذكور، في سنة ثمانين وثلاثمائة وأبوه حيّ، ومن غرر شعره ما كتبه إلى الإمام القادر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدر من جملة قصيدة:

عَظْفاً أمير المؤمنين فإنّا في دَوْحَةِ العلياء لانتفَرَّقُ
ما بيننا يومَ الفخار تفاوت أبداً ، كلانا في المعالي مُعَرَّقُ
إلا الخلافة ميّزتك فإنني أنا عاطل منها، وأنت مُطَوَّقُ^(١)

قال ابن عنبه (ت/ ٨٢٨ هـ): «الملقب بالرضي ذو الحسين، يكنى أبا الحسن، نقيب النقباء، وهو ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة، كانت له هبة وجلالة، وفيه ورع وعفة وتقشّف ومراعاة للأهل والعشيرة، ولي نقابة الطالبين مراراً، وكانت إليه أمانة الحاج والمظالم، كان يتولّى ذلك نيابة عن أبيه ذي المناقب، ثم تولّى ذلك بعد وفاته مستقلاً وحجّ بالناس مرّات، وهو أول طالبي جعل عليه السواد، وكان أحد علماء عصره، قرأ على أجلاء الأفاضل؛ وله من التصانيف: كتاب المتشابه في القرآن، وكتاب مجازات الآثار النبوية، وكتاب نهج البلاغة، وكتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن، وكتاب الخصائص، وكتاب سيرة والده الطاهر، وكتاب انتخاب شعر ابن الحجاج، سمّاه الحسن من شعر الحسين، وكتاب أخبار قضاة بغداد، وكتاب رسائله، ثلاث مجلدات، وكتاب ديوان شعره، وهو مشهور. قال الشيخ أبو الحسن العمري: شاهدت مجلداً من تفسير القرآن منسوباً إليه مليحاً حسناً يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكبر، وشعره مشهور وهو أشعر قريش»^(٢).

ولعل أصدق التراجم ما قال عن نفسه قوله:

حذفت فضول العيش حتى رددتها إلى دون ما يرضى به المتعقّف
وأملتُ أن أجري خفيفاً إلى العلى إذا شئتُ أن تلحقوا فتخفّفوا

حلفت بربّ البدن تدمي نحرها وبالنفر الأطوار لبواً وعرفوا
 لأبتذلنّ النفس حتى أصونها وغيري في قيدٍ من الذلّ يرسفُ
 فقد طالما ضيعت في العيش فرصة وهل ينفع الملهوف ما يتلهّف
 وإنّ قوافي الشعر مالم أكن لها مسفسفة فيها عتيق ومقرّف
 أنا الفارس الوثاب في صهواتها وكلّ مجيد جاء بعدي مردف^(١)

ولقد صدق الله وعاش عيشة العصاميّين من العظماء، حاملاً رسالته الأدبية بأحسن وجه، فرضي من العيش ما يكون في أداء هذه الرسالة وخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية والبلاغة العلوية في سلسلة مترابطة من البحوث التي أنارت الطريق للأجيال، فكان الفارس الوثاب الذي صان نفسه وجرى خفياً إلى العلى بخطوات سريعة.

ومواقفه في قول الحق والالتزام بالمبادئ صريحة، ففي غاية الاختصار: «ان القادر بالله العباسي كان في بلاده كاسمه، وكان قد ولّى الشريف نقابة النقباء، وولّى أباه أمانة الحج ومع ذلك لمّا عمل المحضر المشهور لإنكار نسب الملوك الفاطميين بمصر وكلف الحاضرين بالتوقيع، امتنع الشريف الرضي مستعظماً إنكار نسب ثابت، ولم يخش بطش الخليفة فيه»^(٢).

ويظهر أنّ هذه الألقاب والمناصب التي قلّدتها قيادة الخلافة العباسية كانت بدوافع سياسية لاحتواء الشريف الرضي من أن يوالي الخلافة الفاطمية التي كانت تناهض الخلافة العباسية من مقرّها بمصر، وكان لذلك الأثر على نشاط الشريف، وكان الشريف على وعي كامل للأهداف فلم ينزلق عن مسيرته فرفض الهدايا والصلات بأدب، ولم يشارك في إنكار نسب ثابت، غير متأثر بالدعاية العباسية، بل أنشد من شعره ما يغيض الموقف العباسي.

وقد عاش الشريف الرضي في خلافة ثلاثة من العباسيين، هم: المطيع والطائع والقادر، وقضى طفولته في عهد المطيع وعهد الطائع من سنة ٣٦٣ إلى سنة ٣٨١، ووقف

على نقاط القوة والضعف في الحكم والحكام مما دعاه إلى أن يخاطب القادر العباسي في قصيدة منها:

عظفاً أمير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرّق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً، كلانا في المعالي مُعرق
إلا الخلافة ميّزتك فإنني أنا عاطل عنها وأنت مطوّق^(١)

فقال له القادر: على رغم أنف الشريف، وانتقطع عنه بعد ذلك.

لقد عرّف الشريف الرضي شعره ، بل اتفق النقاد والعلماء على أن الرضي أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر، على كثرة شعرائهم المفلّحين، بل لو قيل : إنه أشعر قريش لم يجاوز ذلك الصدق؛ لأن قريشاً كان فيها من يجيد القول، أما الشعر فقلّ في قريش مجيدوه ، فأما المجيد المكثّر فليس إلا الشريف الرضي.

ولكن الشريف الرضي لم ير الشعر إلا ذريعة لرسالة يحملها في الدفاع عن آل

البيت عليه السلام، وقد صرّح بذلك في قوله:

وما قلبي الأشعار إلا ذريعةً إلى أمل قد آن قود جنبيه
وإنني إذا ما بلّغ الله منيتي ضمنت له هجر القريض وحُوبه^(٢)
وقال:

وما الشعر فخري ، ولكنّه أطول به همّة الفاخر

ومنها:

وإنني وإن كنت من أهله لتتكرني حرفة الشاعر^(٣)

ويكشف عن فكره الحر ما قاله في عمر بن عبد العزيز الأموي وهو في عهد الخلافة

العباسية حيث لم يمدح فيه أمويّاً، فجعله مما يعبر متحدثاً صارخاً بقول الحق:

(١) ديوان الشريف الرضي ٢: ٤٢.

(٢) ديوان الشريف الرضي ١: ١٣٥، والحبوب: الاثم .

(٣) ديوان الشريف الرضي ١: ٤٣٢.

يا ابن عبد العزيز لو بكت العـ
غير أني أقول : إنك قد طبـ
ولو أني رأيت قبرك لاستحيـ
أنت نزهتنا من السبِّ والقذـ
ين فتى من أمية لبيتك
ست وإن لم يطب ولم يزك بيتك
سيت من أن أرى وما حييتك
ف ولو أمكن الجزاء جزيتك^(١)

من تواريخ حياته:

سنة ٣٥٩ هـ مولده ببغداد في أسرة علوية عريقة في العلم والأدب، فأبوه المتقدم، وأمه
فاطمة بنت أحمد بن الحسن الإمام الناصر الاطروش الزيدي، صاحب دولة الديلم
بطرستان، بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب، وينتهي نسبها إلى الإمام علي عليه السلام ب ٩ وسائط .

سنة ٣٦٩ هـ صادر عضد الدولة أموال ابيه أبي أحمد الموسوي ، وأمر بسجنه في
فارس، وكان لذلك أشد الأثر على نفس الرضي أبرزها في قصائد .

سنة ٣٧٩ هـ أفرج عن والده، فهناً ولده الرضي بقصيدة مطلعها :

طلوعٌ هداه إلينا المغيـب
ويوم تمزق عنه الخطوب^(٢)

سنة ٣٨٠ هـ في العاشر من رمضان تولّى النقابة والنظر في أمور المساجد خلفاً لوالده،

وفي ذلك يقول:

فأفيضت الخلع السوا
وخرجت أسحبها ولي
جذلاً وللحساد من
د عليّ ترشفها العيونُ
فوق العلى، والنجم دونُ
أسف زفير وأنين^(٣)

سنة ٣٨٤ هـ استعفى من النقابة أو أعفى هو وأبوه وأخوه، ولعلّ السبب في ذلك قصائده

الناثرة التي منها:

(١) ديوان الشريف الرضي ١: ٢١٥. (٢) ديوان الشريف الرضي ١: ٧٥.

(٣) ديوان الشريف الرضي ٢: ٥٢٦ - ٥٢٧.

ما مقامي على الهوان وعندي
ألبس الذلّ في ديار الأعادي
من أبوه أبي ومولاه مولا
لفّ عِرقي بعرقه سيدا النا
إنّ ذلّي بذلك الجوّ عزّ
مقول صارم وأنف حميّ
وبمصرَ الخليفة العلويّ
ي إذا ضامني البعيد القصيّ
س جميعاً محمّد وعليّ
وأوامي بذلك النقع ريّ^(١)

سنة ٣٨٥ هـ ماتت أمه وهكذا فقد اصحابه وأقرباءه فيها.

سنة ٣٨٨ هـ اعطاه بهاء الدولة نيابة الخلافة ببغداد وتولّى ديوان المظالم.

سنة ٣٨٨ هـ لقّبه بهاء الدولة بالشريف الأجلّ والشريف الجليل.

سنة ٣٩٢ هـ لقب بذى المنقبتين .

سنة ٣٩٧ هـ ولّاه أبوه على النقابة وأمانة الحج .

سنة ٣٩٨ هـ وفيها لقبه بهاء الدولة بالرضي ذي الحسبين.

سنة ٣٩٩ هـ جاء المصري إلى العراق واجتمع به ببغداد.

سنة ٤٠٠ هـ في جمادى الأولى توفي أبوه عن سبعة وتسعين عاماً.

سنة ٤٠٠ هـ في رجب انتهى الشريف الرضي من جمع نهج البلاغة.

سنة ٤٠٢ هـ كتب في ديوان الخلافة محضراً في الطعن في نسب الفاطميين وأنهم

«أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ولا يتعلّقون منه بسبب، وأنهم

ملحدون زنادقة معطلّون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والمجوسية

معتقدون»^(٢). ورفض الشريف المشاركة فيها، وادرج اسم الرضي فيه من دون رضاه .

سنة ٤٠٣ هـ تولّى نقابة الطالبين في ١٦ محرم على كره منه.

سنة ٤٠٦ هـ في ٦ محرم توفي الشريف الرضي وحضر جنازته فخر الملك والأشراف

والقضاة والأعيان، ولم يطق أخوه المرتضى النظر الى تابوته فذهب إلى مقابر قریش

ورثاه بقصيدة.

وهذه النقاط البارزة في تاريخ حياة الشريف الرضي تكشف عن موقف ثابت في حقيقة الشريف الرضي تلقاه من مدرسته الأولى مدرسة الأسرة، وإليك لمحة عنها.

والده:

أبو أحمد الحسين الملقب بالطاهر الأوحـد (٣٤٠ - ٤٠٠ هـ)، كان زعيماً مطاعاً، جاء في وصفه : « كان قويّ المنّة، شديد العصبية ، يتلاعب بالدول ويتجرأ على الأمور »^(١). كان يخص بالتكريم من الناس بلقب « الطاهر » و «الأوحد» و «نقيب الطالبين» و «أمير الحاج».

سنة ٣٥٤ هـ ولي النقابة للعلويين بأسرهم، وكان له دور فعال في الإصلاح وإخماد الفتن .

سنة ٣٥٦ هـ وخطب بمكة لبختيار الملك البويهـي.

سنة ٣٥٧ هـ خطب لعضد الدولة البويهـي.

سنة ٣٥٩ هـ أصلح بين الحمدانيّين وآل تغلب .

سنة ٣٦٦ هـ أصلح بين البويهـي بختيار وعضد الدولة^(٢).

سنة ٣٦٩ هـ أبعد من العراق إلى شيراز بأمر عضد الدولة البويهـي، وكان بها حتى سنة ٣٧٣ .

سنة ٣٧٣ هـ اطلق سراحه شرف الدولة كما في المنتظم ٧: ٢٢٦ .

سنة ٤٠٠ هـ توفي ببغداد ليلة السبت لخمس بقين من جمادى الاولى ، بعد أن أضرّ في آخر عمره .

وجاء في تجارب الأمم انه اعتقل الوزير العباس بن الحسين - وزير بختيار - أباه في قلعة فارس على أثر حريق الكرخ الذي دام أكثر من أسبوع وعاقب والد السيد في ذلك، وفي سنة ٣٦٣ دارت رحى الحرب بين عضد الدولة وبختيار وآل الأمر إلى قتل بختيار،

وأفرج عن الموسوي، وبعد عام واحد أُلقي القبض عليه من قبل عضد الدولة وعلى أخيه أبي عبد الله وصودرت أملاكهما، وكان عضد الدولة سياسياً داهية، وكانت محتته على الأمة عظيمة، ولما مات سنة ٣٧٢ خلفه ابنه صمصام الدولة، وبعد فترة أفرج عنه ابنه الآخر شرف الدولة واسترجع ماصودر من أملاكه في سنة ٣٨٦ وتوفي سنة ٣٩٦»^(١).

وقد مدح الشريف الرضي أباه بقصائد، منها قصيدة مطلعها:

شيمي لحاظك عنا ظيبة الخمر ليس الصبا اليوم من شأني ولا وطري^(٢)
ورثاه بقصيدة مطلعها:

وسمكت حالية الربيع المرهم وسقتك ساقية الغمام المرزم^(٣)

وأروعها ما قال في أبيه مستعرضاً ملامح من حياته:

وهذا أبي الأدنى الذي تعرفونه	مقدّم مجد أول ومخلف
مؤلف ما بين الملوك إذا هفوا	وأشفوا على حرّ الرقاب وأشرفوا
إذا قال: ردّوا غاربَ الحلم راجعوا	وإن قال: مهلاً بعض ذا الجد وقّفوا
وبالأمس لما صال قادر ملكهم	وأعرض منه الجانب المتخوّف
تلافاه حتى سامح الضغن قلبه	وأسمح لمّا قيل لا يتألف
وكان وليّ العقد والعهد بينه	وبين بهاء الملك يسعى ويلطف
ولما التقى نجوى عقيل لنبوة	ومدّ لهم حبلاً من الغدر محصف ^(٤)
لوى عطفه ليّ القنيّ رقابهم	ولو لسواه استعطفوا ماتعطفوا
وسل مضراً لمّا سما لديارها	فهب ونام العاجز المتضعف
تولّجها كالسيل صلحاً وعنوة	فأبقى وردّ البيض ظمأى تلهّف
له وقفات بالحجيج شهودها	إلى عقب الدنيا منى والمخيف
ومن مآثرات غير هاتيك لم تزل	لها عنق عالٍ على الناس مشرف

(٢) ديوان الشريف الرضي ١: ٤٥٨.

(٤) محصف: أي مفتول.

(١) تجارب الأمم: ٨٧٣.

(٣) ديوان الشريف الرضي ٢: ٢٩٠.

حمى فاه عن بُسط الملوك وقد كبت
زمام علّاً لو غيره رام جرّه
جرى ماجرى قبلي وها أنا خلفه
إلى الأمد الأقصى أغدّ وأوجف^(١)

عمّه:

أبو عبد الله أحمد بن موسى الأبرش (ت / ٣٨١ هـ) وكان عمه هذا قد انتقل مع ابنه من البصرة إلى بغداد واستوطنها، وكان الشريف الرضي على صداقة متينة مع ابن عمه هذا - كما سيأتي - وقد توفي العم في شهر ربيع الآخر عام ٣٨١ ورثاه الشريف الرضي بقصيدة يعزي والده، وقد خرج إلى واسط يلتقي بهاء الدولة، يقول فيها:

سلا ظاهر الأنفاس عن باطن الوجد
زفيراً تهاداه الجوانح كلّما
وكيف يردّ الدمع ياعين بعدما
وإني إن أنضح جواي بعبرة
فهذي جفوني من دموعي في حيا
حلقت بما وارى الستار وما هوت
لقد ذهب العيش الرقيق بذهاب
وألح فيها إلى شجاعته وجوده وسائر صفاته بقوله:

حسام جلا عنه الزمان فصمّت
سنان تحدّته الدروع بزغفها
جواد جرى حتى استبدّ بغاية
سحاب علا حتى تصوّب مزنه
ربيع تجلّى وانجلّى ووراءه
نعضّ على الموت الأنامل حسرة
مضاربه حيناً وعاد إلى الغمد
فبدّد أعيان المضاعف والسرّد
تقطّع أنفاس الجياد من الجهد
وأقلع لمّا عمّ بالعيشة الرغد
ثناء كما يثنى على زمن الورد
وان كان لا يغني غناء ولا يجدي^(٢)

أُمّه :

أم الرضي والمرتضى معاً هي فاطمة بنت الحسين بن الحسن الثاني الأصم (الاطروش) صاحب الديلم، الذي ملك الديلم ولقب بـ «الناصر للحق» وتوفي بطبرستان سنة ٥٣٠ هـ.

ومن ذلك ظهر ممّن لم يدرس مؤلفات الشريف الرضي أنه كان زيدي العقيدة، وغفل عن أن الزيدية كانت تمثّل الجناح العسكري لمذهب أهل البيت، ولم تكن في بدء أمرها خطأً معارضاً للمذهب، كيف؟ وكتب الشريف الرضي طافحة بالولاء وأشعاره تنبيء عن اعتقاده بالائمة الاثني عشرية عليه السلام، وهذا مالا تؤمن به الزيدية اليوم، ونكتفي في إثبات معتقده بقصيدته المشهورة التي مطلعها:

كربلا لازلت كرباً و بلا مالقي عندك آل المصطفى

إلى قوله:

معشر منهم رسول الله والـ	كاشف الكرب إذا الكرب عرا
صهره البازل عنه نفسه	وحسام الله في يوم الوغى
أول الناس إلى الداعي الذي	لم يقدم غيره لما دعا
ثم سبطاه الشهيدان فذا	بحسا السم وهذا بالظبي
وعليّ وابنه الباقر والصـ	ساق القول وموسى والرضا
وعلي وأبوه وابنه	والذي ينتظر القوم غدا ^(١)

وكان لوفاة هذه الأم المثالية أكبر الأثر على قلب الشريف الرضي، وقد رثاها بقصيدة

وجدانية، منها قوله:

أبكيك لو نفع الغليل بكائي	وأقول لو ذهب المقال بدائي
وأعوذ بالصبر الجميل تعزّي	لو كان بالصبر الجميل عزائي
طورا تكأثرني الدموع وتارة	آوي إلى أكرومتي وحيائي

كم عبرة مؤهتها بأناملي
أبدي التجلّد للعدوّ ولو درى
ماكنت أذخر في فداك رغبة
لو كان يدفع ذا الحمام بقوة
ويصفها - كما شاهدها عياناً - أمّا غمرت حياتها العفة والزهادة بالصلاة والصيام:
أنضيت عيشك عفة وزهادة
بصيام يوم القيظ تلهب شمس
ما كان يوماً بالغيبين من اشترى
لو كان مثلك كل أمّ برة
كيف السلو، وكلّ موقع لحظة
فعلات معروف تقرّ نواظري
ويتألّم تألّم كلّ من فقد أمّا صالحة تضحّي من أجل أولادها الغالي والرخيص،
ويصوّرها بأروع صورة حياتية، فيقول:

فبأي كفّ أستجنّ وأتقي
ومن الممّول لي إذا ضاقت يدي
ومن الذي ان ساورتنى نكبة
أم من يلطّ عليّ ستر دعائه
رزآن يزدادان طول تجدد
صرف النوائب أم بأيّ دعاء
ومن المعلّل لي من الأدواء
كان الموقّي لي من الأسواء
حرماً من البأساء والضراء
أبد الزمان فناؤها وبقائي

ويشير إلى طيبة أرومتها وإلى المدرسة الأولى التي تخرّجت منها بقوله:
آباؤك الغرّ الذين تفجّرت
من ناصر للحق أو داع إلى
نزلوا بعرعة السنام من العلى
بهم ينابيع من النعماء
سبل الهدى أو كاشف الغمّاء
وعلوا على الأنباج والأمطاء

مِن كُلِّ مُسْتَبَقٍ الْيَدِينَ إِلَى النَّدَى وَمَسَدَّدِ الْأَقْوَالِ وَالْآرَاءِ
وَلَا يَجِدُ مَنْ فَقَدَ أُمًّا صَالِحَةً عَزَاءً سِوَى أَعْمَالِهَا الصَّالِحَةِ الَّتِي تَوْنِسُهَا فِي الْوَحْشَةِ
وَالْوَحْدَةِ، فَيَخْتِمُ رِثَاءَهُ بِقَوْلِهِ:

مَعْرُوفُكَ السَّامِيُّ أَنْيْسُكَ كُلَّمَا	وَرَدَ الظَّلَامُ بِوَحْشَةِ الْغُبَرَاءِ
وَضِيَاءِ مَا قَدَّمْتَهُ مِنْ صَالِحٍ	لَكَ فِي الدَّجَى بَدَلُ مَنْ الْأَضْوَاءِ
إِنَّ الَّذِي أَرْضَاهُ فَعَلَّكَ لَمْ يَزَلْ	تَرْضِيكَ رَحْمَتُهُ صَبَاحَ مَسَاءِ
صَلَّى عَلَيْكَ، وَمَا فَقَدْتَ صَلَاتَهُ	قَبْلَ الرَّدَى وَجَزَاكَ أَيَّ جَزَاءِ
لَوْ كَانَ يَبْلُغُكَ الصَّفِيحُ رِسَائِلِي	أَوْ كَانَ يَسْمَعُكَ التَّرَابُ نِدَائِي
لَسَمِعْتَ طَوْلَ تَأْوِهِي وَتَفَجَّعِي	وَعَلِمْتَ حَسْنَ رِعَايَتِي وَوَفَائِي
كَانَ ارْتِكَاضِي فِي حَشَاكَ مَسِيبًا	رَكُضَ الْغَلِيلِ عَلَيْكَ فِي أَحْشَائِي ^(١)
وَلَعَلَّ أَرْوَعَ مَا فِيهَا قَوْلُهُ:	

لَوْ كَانَ مِثْلَكَ كُلِّ أُمٍّ بَرَّةٍ غَنِيَّ الْبَنُونَ بِهَا عَنِ الْآبَاءِ

خاله:

الشریف الناصر أبو القاسم الملقب بريقا، وأُمّه: فاطمة بنت الناصر الصغير أبي محمد الحسن [الحسين] بن أبي الحسين بن أحمد بن أبي محمد الحسين صاحب الديلم ابن أبي الحسن العسكري بن أبي محمد الحسن بن علي الأصغر المحدث بن عمر الأشرف. ومدح خاله بقصيدة مطلعها:

لك السوابق والأوضح والغرر	وناظر ما انطوى عن لحظه أثر
وعاطفات من البقيا إذا جعلت	محقرات من الأضغان تبتدر
إطراقة كقبوع الصل يتبعها	عزم يسور فلا ييتقي ولا يذر
والليث لا ترهب الأقران طلعت	حتى يصم منه الناب والظفر
أنت المؤدّب أخلاق السحاب إذا	ضنت بدرّتها العرّاصة الهمر
من بعد ما اصطفت فيها صواعقها	وشاغب البرق في أطرفها المطر
والبالغ الأمر جالت دون مبلغه	سمر القنا وأمرت دونه المرر ^(١)
ورثاه بقصيدة مطلعها:	

لنا كلّ يوم رنة خلف ذاهب ومستهلك بين النوى والنوادر

ومنها:

أفي كل يوم يعرق الدهر أعظمي	وينهس لحمي جانبا بعد جانب
فيوماً رزايا في صديق مصادق	ويوماً رزايا في قريب مقارب
فكم قلّ منّي ساعداً بعد ساعد	وكم جبّ منّي غارباً بعد غارب
وفادحة يُستهزم الصبر باسمها	وتُظمى إلى ماء الدموع السواكب
صبرنا لها صبر المناكب حسبة	إذا اضطرب الناس اضطراب الذوائب
تعاصي أناييب الحلوم جلادة	وتنهفو يراعات العقول العواذب
كظوماً على مثل الجوائف أتعبت	نطاسيّها من قارف بعد جالب

تحلّ الرزايا بالرجال وتنجلي
من اليوم يستدعي منازلك البكا
وتضحك عنك الأرض أنساً وغبطة
سقاك الحيا إن كان يرضى لك الحيا
تمدّ بأرداف ثقال وترتمي
كأنّ لواءً يزدحمن وراءه
بودق كأخلاق العشار استفاضها
يقرّ بعيني أن تطيل موافقاً
وأن ترقم الاتواء تربك بعدها
ذكرتكم والعين غير محيلة
وما جالت اللاحاظ الا بقاطر
وهل نفعي ذكر الأخلاء بعده
وربّ مصاب ينجلي عن مصائب
إذا ما طوى الأبواب مرّ المواكب
وتبكيك أخدان العلى والمناقب
بغرّ الأعالي مظلمات الجوانب
على عجرفيات الصبا والجنائب
إذا اختلج البرق ازدحام المقائب
تداعي رغاء من مبسّ وحالب
عليك مجرّ المدجنات الهواضب
بكلّ جديد النور رقم الكواكب
فأنبطت غدران الدموع السواكب
ولا امتدت الانفاس إلّا بحاصب
جرى بيننا مور النقا والسباسب^(١)

أخوه الشريف المرتضى (ت/٤٣٦):

لشريف الرضي شقيق واحد هو الشريف المرتضى وعلم الهدى ، ترجمه النجاشي (ت/ ٤٥٠هـ) بقوله: «أبو القاسم المرتضى ، حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث، فأكثر ، وكان متكلماً، شاعراً ، أديباً، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا. صنّف كتباً - ثم ذكر كتبه بتفصيل وقال:- مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وأربع مائة، وصلى عليه ابنه في داره، ودفن فيها، وتولّيت غسله ومعني الشريف أبو يعلى محمّد بن الحسن الجعفري، وسلّار بن عبد العزيز»^(٢).

فيكون المرتضى المولود سنة ٣٥٥هـ أكبر من الشريف الرضي بأربع سنوات ، وأنّه كان

(١) ديوان الشريف الرضي ١: ١٤٦ - ١٥١ . (٢) رجال النجاشي: ٢٧٠ - ٢٧١.

- كما ينبىء قائمة مؤلفاته والموجود من آثاره - أكثر اهتماماً بمسائل العقيدة والفقه والأصول، وإن كانا معاً بدران في سماء البلاغة والشعر، وبحكم العلاقة الاسرية كانا يتشاركان في أمور والدهما من النقابة وأمانة الحج وغيرها.

كما شاءت الأقدار أن يعمر بعد أخيه ويناط إليه نقابة الطالبين كما في المنتظم^(١) حتى وفاته سنة ٤٣٦هـ، أي بعد ثلاثين عاماً من وفاة أخيه الرضي.

وفي ديوان الشريف الرضي طائفة من القصائد في مدح أخيه المرتضى مختلفة، من ميلاد أو عتاب أخوي ممّا يؤكّد على أو اصر القربى العريقة في الأسرة، فمدح أخاه مهنئاً بمولودة جاءته، بقصيدة مطلعها:

جری النسيم على ماء العناقيد وعللي بالأمني كلّ معمود^(٢)
وأيضاً بقصيدة مطلعها:

لبست الوغى قبل ثوب الغبار وقارعت بالنصل قبل الغرار^(٣)
وأيضاً مهنئاً بمولود ذكر عام ٣٧٤هـ بقصيدة مطلعها:

لأغنتك عن وصلي الهجوم القواطع وعن مشرع الذلّ الرماح الشوارع^(٤)
ونقل المجلسي من خط الشهيد^(٥) - وقد نقلها عنه الشيخ محمد بن عليّ الجبعي المذكور^(٦) أيضاً - قال: «دخل أبو الحسن الحذاء وكيل الرضي والمرتضى يوماً على المرتضى فسمع منه هذه الأبيات فكتبها وهي:

سرى طيف سعدي طارقاً فاستفزني سُحيراً وصحبي بالفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى إذا الدار قفر والمزار بعيد
فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي لعلّ خيالا طارقاً سيعود
ثمّ دخل أبو الحسن الحذاء على الرضي وهي في يده، فاستعرضها بما معه فعرضها عليه، وقال الرضي: أين أخي من هذه الأبيات وترك منه بيتين وأخذ القلم وكتب تحتها:

(١) المنتظم ٧: ٢٧٦. (٢) ديوان الشريف الرضي ١: ٤٦٥.

(٣) ديوان الشريف الرضي ١: ٣١٣. (٤) ديوان الشريف الرضي ١: ٦١٠.

فردّت جواباً والدموع بوارد وقد آن للشمل المشتّ ورود
فهيّات من ذكرى حبيب تعرّضت لنا دون لُقياء مهامه بيد
ثمّ عاد إلى المرتضى فشرح له القصة وعرض عليه القرطاس الذي فيه الأبيات فعجب
فقال: عزّ عليّ يا أخي قتله الذكا، ثمّ بعد ذلك بيوم مات وقضى نحبه تغدّهما الله برحمته
مع أنتمّهما بمحمّد وآله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين»^(١).

شقيقته:

كان للشریف الرضي شقيقتان: زينب وخديجة، لا يعرف أيهما كانت الكبرى، الأولى - ويظهر أنها الصغرى - توفيت في حياته ورثاها بقصيدة تعبّر عن أروع الولاء الأسري في العاطفة الصادقة وإن كنّا لا نعرف بالضبط من هذه الشقيقة وما هي اسمها وكم كان عمرها، ولكن الرابطة الأسرية تجلّت بأسمى معانيها، وكلّما نعرف أنّها توفيت ودفنت في مشهد الحسين عليه السلام، وأنه رثاها بقصيدة طويلة مطلعها:

يا دين قلبك من با رق ينير - ويخبو
ومنها:

شقيقتي إنّ خطبا	عدا عليك لخطب
وإن رزءاً رماني بـ	البعد عنك لصعب
سهم أصابك منه	للقدر فوق وغرب
لا النصل منه بناب	يوما ولا الريش لغب
يبيت بعدك في مضـ	جعي الجوى والكرب
كما يبيت رميض	بعد السنام الأجـ
أنى على قضض الهـ	مّ يطمئنّ الجنب
لو ردّ عنك المنايا العـ	جال طعن وضرب

لخاض فيها سنان
وقام دون الردى غـ
ونقلت بالعوالي ذؤبـ
قضيت نجباً قضى بعد
ولم يكن لك إلا
ودون كل حجاب
وقبرك الصون من قبـ
كأنني كل يوم
وكلما اندمل القـ

ومنها:

جاورت جاراً تلق
شعب غدا وهو للـ
يانومة ثم منها
إن كان للشخص بعد
أغبه وبرغمي
لئن خلا منك طرف
وإن غربت فللطا
خلاك ذم، وذم
ولم يزل بعد يومي
فكم أبيت وعندي

ماك منه برور حب
ه والملائك شعب
إلى الجنان المهـ
فللعلائق قرب
إن الزيارة غب
لقد ملي منك قلب
لعات شرق وغرب
للدهر فيك وقصب
مني على الدهر عتب
لذي المقادير ذنب^(١)

والشقيقة الثانية كانت قد أسنت، فبلغت من العمر نيفاً وتسعين سنة، وتوفيت أواخر

شعبان ٤١٩، وقد رثاها أخوها المرتضى بقصيدة، مطلعها:

صمت العواذل في أساك وسلّموا لَمَّا رَأَوْا أَنَّ العزاءَ محرّمٌ^(١)

ولده:

للشريف الرضي ولد واحد هو أبو أحمد عدنان المولود سنة ٣٠٩ هـ ، وهو الملقب بالطاهر ذي المناقب ، تولّى نقابة الطالبين ببغداد.

قال ابن عنبه (ت/٨٢٨هـ): «فولد الرضي أبو الحسن محمد، أبا أحمد عدنان، يلقب الطاهر ذا المناقب ، لقب جده أبي أحمد الحسين بن موسى؛ تولّى نقابة الطالبين ببغداد على قاعدة جدّه وأبيه وعمّه، قال أبو الحسن العمري: هو الشريف العفيف المتميّز في سداده وصونه؛ رأيتّه يعرف علم العروض وأظنه يأخذ ديوان أبيه؛ ووجدته يحسن الاستماع ويتصور ما ينبذ إليه. هذا كلامه، وانقرض بانقراضه وانقرض أخيه عقب أبي أحمد الموسوي»^(٢).

مشايخه:

تلمّذ الرضي على جماعة كبيرة من أعلام عصره، وكتبه تكشف عن ذلك، واليك ثبت من روى عنهم في كتبه ، ولعل الاستقصاء يكشف لنا أكثر من هذا العدد:

١ - أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري ، الفقيه المالكي (ت/٣٩٩هـ)، ذكره ابن الجوزي في تذكرة الخواص ، ص ٣٩٣^(٣).

٢ - أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت/٣٧٧هـ)، عزّاه الرضي بولد في له في ديوانه^(٤).

٣ - أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن مرزبان السيرافي (ت/٣٦٨هـ)^(٥).

(١) ديوان السيد المرتضى ٣: ١٨٦ - ١٩٠ . طبعة القاهرة ١٩٥٨ م

(٢) عمدة الطالب: ٢١١.

(٣) الغدير ٤: ١٨٣.

(٤) ديوان الشريف الرضي ٢: ٤٨٨، وانظر المجازات النبوية والفهرست: لابن النديم: ٩٥.

(٥) حقائق التأويل : ٨٧، الفهرست: لابن النديم: ٩٣.

- ٤ - سهل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجي (ت / ٣٨٥ هـ) ^(١).
 - ٥ - قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني البغدادي الشافعي المعتزلي، كان شيخ المعتزلة في عصره، قرأ عليه الشريف كتابيه: تقريب الأصول وشرح الأصول الخمسة ^(٢).
 - ٦ - أبو اليمن عبد الرحيم بن محمد بن نباتة، صاحب ديوان الخطب (ت / ٣٩٤ هـ) ^(٣).
 - ٧ - القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الأسدي، ابن الأکفاني الحنفي (ت / ٤٠٥ هـ) ^(٤).
 - ٨ - أبو الفتح عثمان بن جني الرومي الموصلی (ت / ٣٩٢ هـ) ^(٥)، وقال فيه الرضي قصيدة، منها:
- فدى لأبي الفتح الأفاضل إنه
يبرّ عليهم إن ارمّ وقال ^(٦)
- ٩ - أبو الحسن علي بن عيسى الرماني الربيعي البغدادي النحوي (ت / ٤٢٠ هـ) ^(٧).
 - ١٠ - أبو حفص يحيى بن إبراهيم الكتاني (ت / ٣٩٠ هـ) ^(٨).
 - ١١ - أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح (ت / ٢٩١ هـ) ^(٩).
 - ١٢ - أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت / ٣٨٤ هـ) ^(١٠).
 - ١٣ - أبو بكر محمد بن موسى بن محمد الخوارزمي الحنفي (ت / ٤٠٣ هـ) ^(١١). قال في

(١) المجازات النبوية: ٢٤١ و ٢١٧.

(٢) حقائق التأويل: ٢٠٤ و ٢٣٤، تلخيص البيان: ٩٩، ١٢٧، المجازات النبوية ٢٨، ٢٩ و ١١٤ و ٢٣٣.

(٣) الدرجات الرفيعة: ٤٥٦، روضات الجنات: ٣٧٦.

(٤) حقائق التأويل: ٣٤٦.

(٥) تلخيص البيان: ٢٦، ٧٧، ١٠٧، المجازات النبوية: ٢٥٠، حقائق التأويل: ١٤٠: ٣٢١.

(٦) ديوان الشريف الرضي ٢: ١٦٧. (٧) حقائق التأويل: ٨٧، تلخيص البيان: ٢٥٠.

(٨) المجازات النبوية: ١٥٥. (٩) المجازات النبوية: ١٤٣.

(١٠) المجازات النبوية: ١٣٧.

(١١) المجازات النبوية ١٤٥، وتلخيص البيان: ١٦٢.

المنتظم (١٥: ٩٧): «وكان من تلامذته الرضي».

١٤ - الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت/ ٤١٣ هـ) ^(١).

١٥ - الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مهدي الجرجاني (ت/ ٣٩٨ هـ).

١٦ - أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني (ت/ ٣٩٠ هـ) ^(٢).

١٧ - أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري (ت/ ٣٨٥ هـ) ^(٣).

١٨ - أبو عبد الله بن الإمام المنصوري اللغوي (ت/ ٣٩١ هـ) ^(٤).

وما أصدق محمد عبد الغني المصري حيث قال: «ومن هذا الثبت نعرف أن الشريف الرضي كان واسع العقل، رحب الصدر، حرّ الفكر، فلم يتعصّب لرجال مذهب على رجال مذهب آخر، لقد كان من شيوخه الشيعي، والسني، والمعتزلي، والرافضي، والشافعي، والحنفي، والمالكي، فلم يتحرّج أن يأخذ العلم من أي مصدر. وقد رأينا أن أبا إسحاق الطبري الذي منحه داره ليقم فيها، كان فقيهاً سنياً على مذهب الإمام مالك» ^(٥).

وصدق الدكتور زكي مبارك في قوله: «والواقع أن الشريف كان قليل الرعاية للعصبيّة المذهبية، والظاهر أنه كان حرّ العقل إلى حدّ بعيد فقد كان يدرس جميع المذاهب الإسلامية ليمدّ عقله بالأنوار التي يُرسلها اختلاف الفقهاء» ^(٦).

(١) روضات الجنات: ٥٤٧، المستدرک: ٥١٤، شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ١: ١٣.

(٢) تلخيص البيان: ١٠٢.

(٣) حقائق التأويل: ٢٤، ٣٣، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٨١.

(٤) ذكره محمد عبد الغني حسن في كتابه الشريف الرضي: ٣٠.

(٦) عبقرية الشريف الرضي ١: ١٢٥.

(٥) الشريف الرضي: ٣٠.

مؤلفاته:

ذكرت المصادر له طائفة من المؤلفات، وقد أشار الشريف الرضي نفسه إلى بعض

مؤلفاته الموجودة، وهي:

١- أخبار قضاة بغداد^(١).

٢- تلخيص البيان عن مجازات القرآن^(٢). طبع لأول مرة على مصورة من القرن

الخامس ناقصة باهتمام السيد محمد المشكاة بطهران عام ١٣٦٩ هـ، وتلته طبعات أخرى، ثم طبع طبعة حروفية بتحقيق محمد عبد الغني حسن بالقاهرة سنة ١٩٥٥ م.

٣- تعليق خلاف الفقهاء^(٣).

٤- تعلیقة على الإيضاح لأبي علي الفارسي^(٤).

٥- الحسن من شعر الحسين، والحسين هو أبو عبد الله بن الحجاج (ت/٢٩١ هـ) وهو

شاعر عرف بالمجون، فاختر الشريف الحسن من شعره^(٥).

٦- حقائق التأويل، أشار إليه الرضي في مقدمة تلخيص البيان ص ٢، وقد طبع منه

الجزء الخامس فقط في النجف الأشرف عام ١٩٣٦ بتحقيق الشيخ محمد رضا كاشف

الغطاء عن نسخة مؤرخة ٥٣٢، ولعله المراد بمعاني القرآن الذي ذكره ابن شهر آشوب في

المعالم، وذكره الحاجي خليفة في كشف الظنون في عنوان نهج البلاغة^(٦)، وخير ما يقال

فيه:

في سيرة غراء تستضوي بها الد

ملئت بفضلك فالولي مكثّر

٧- خصائص الأئمة عليهم السلام، أشار إليه الرضي في مقدمة نهج البلاغة، وقد طبع قسم منه

(١) عمدة الطالب: ٢٠٨. (٢) ذكرها النجاشي: ٣٩٨.

(٣) رجال النجاشي: ٣٩٨، والدرجات الرفيعة: ٤٦٧.

(٤) رجال النجاشي: ٣٩٨.

(٥) رجال النجاشي: ٣٩٨، وعمدة الطالب: ٢٠٨، والدرجات الرفيعة: ٢٠٨.

(٦) كشف الظنون ٢: ١٩٩١. (٧) ديوان الشريف الرضي ٢: ١٥٩.

في النجف سنة ١٢٦٩ هـ، ولشيخنا العلامة فيه كلام، فراجع الذريعة ٧: ١٦٤، منه نسخة عليها قراءة فضل الله الراوندي في الهند، صورتها.

٨ - ديوان شعر، وقد ذاع صيته في الشعر (راجع الدرجات الرفيعة تاريخ بغداد؛ للخطيب، وشرح ابن أبي الحديد)، وقد جمعه أبو حكيم الحبري (ت/ ٤٧٦ هـ) بعد وفاة الشريف، وقد أرسل صاحب إلى بغداد من ينسخ ديوان فمدحه الشريف سنة ٣٨٥ بقصيدة منها:

بيني وبينك حرمتان تلاقتا ثري الذي بك يقتدي وقصيدي
ومنها:

إن أهد أشعاري إليك فانه كالسرد أعرضه على داود^(١)
وهكذا طلبت تقية بنت سيف الدولة نسخة من ديوانه، وكانت من أفاضل النساء.
وابن جنّي شرح مرثية الشريف لابي ظاهر إبراهيم بن ناصر الدولة، وهي:
ألقي السلاح ربيعة بن نزار اودى الردى بقريعك المغوار
ذكر الديوان النجاشي وابن عنبه في عمدة الطالب^(٢)، وهو مطبوع بالهند سنة ١٣٠٦ هـ
وبيروت سنة ١٣٠٧ هـ في مجلدين.

٩ - الرسائل، ويظهر أنها مجموعة مختلفة المواضيع والمناسبات، وصرح ابن عنبه أنها «رسائله في ثلاث مجلدات»^(٣)، ونقل ابن معصوم بعضها في الدرجات الرفيعة ص ٤٧٥ - ٤٧٨، وقد طبع قسم منها بعنوان: «رسائل الصابي والشريف الرضي» بتحقيق محمد يوسف نجم، في الكويت، سنة ١٩٦١م ضمن سلسلة التراث العربي.

١٠ - الزيادات، ولا يعرف بالضبط طبيعة هذه الزيادات، وهل هي من إنشاء الشريف الرضي أو ما يراه الشريف زيادات على الأصل، وذكر النجاشي عنوانين:
أ - الزيادات في شعر أبي تمام ص ٢٨٣.
ب - الزيادات في شعر ابن الحجاج، ولم تقف يد التتبع عليهما بعد.

(١) ديوان الشريف الرضي ١: ٢٨٥ - ٢٩٠. (٢) رجال النجاشي: ٣٩٨، عمدة الطالب: ٣٠٨.

(٣) عمدة الطالب: ٢٠٨.

١١ - سيرة والده الطاهر (المتوفى سنة ٤٠٠ هـ) ألفه في حياة والده، وقبل ٢١ سنة من وفاته، ذكر في عمدة الطالب^(١) والدرجات الرفيعة^(٢)، وهو أول مؤلفات الشريف الرضي، كتبه عام ٣٧٩ وهو ابن عشرين سنة.

١٢ - مختار اشعار أبي إسحاق الصابي، ورد ذكره في رجال النجاشي، والدرجات الرفيعة^(٣).

١٣ - المجازات النبوية: أحال إليه الشريف الرضي في نهج البلاغة وتلخيص البيان ص ١٦٧، وذكره النجاشي وابن عنبه في عمدة الطالب، وقد طبع أولاً ببغداد سنة ١٣٣٨، ثم في القاهرة سنة ١٣٥٦ و ١٣٨٧، ويدرس فيها الشريف الرضي ٣٦١ حديثاً نبوياً، شارحاً وجوه المجاز فيها^(٤).

١٤ - نهج البلاغة، أحال اليه في حقائق التأويل ص ١٦٧ و ٢٨٣، وابن شهر آشوب ص ٣٢٧ والمجازات النبوية كما سيأتي.

وهو أشهر ما قام به، وقد رافقت شهرة الكتاب شهرة جامعته الشريف الرضي واقتترنت بشهرة المروي عنه الإمام علي عليه السلام.

وفاته:

توفي الشريف الرضي يوم الأحد ٦ محرم سنة ٤٠٦ هـ. ورثاه جمع من الشعراء، ولعل أولهم أخوه الأكبر الشريف المرتضى حيث قال:

يا للرجال لفجعة جذمت يدي	ووددت لو ذهبت علي برأسي
مازلت أحذر وقعها حتى أتت	فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمناً فلما صممت	لم يجدني مطلي وطول مكاسي
لا تنكروا من فيض دمعي عبرة	فالدمع غير مساعدٍ ومواسي

(١) عمدة الطالب: ٢٠٧. (٢) الدرجات الرفيعة: ٤٦٧.

(٣) رجال النجاشي: ٣٩٨، الدرجات الرفيعة: ٤٦٧.

(٤) تلخيص البيان: ١٦٧، رجال النجاشي: ٣٩٨، عمدة الطالب: ١٠٧.

لله عمرك من قصير طاهر ولربّ عمر طال بالأدناس^(١)
ويستظهر منها أن وفاة أخيه كانت غير طبيعية وغير متوقّعة، والله العالم.
وكذلك رثاه تلميذه مهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٨ بقصيدة طويلة مطلعها:
من جب غارب هاشم وسنامها ولوى لؤيّا فاستزل مقامها^(٢)
قال ابن عنبه: «وتوفي يوم الأحد السادس من المحرم سنة ست وأربعمئة؛ ودفن في داره؛ ثم نقل إلى مشهد الحسين عليه السلام بكربلاء، فدفن عند أبيه، وقبره ظاهر معروف؛ ولما توفي جزع أخوه المرتضى جزعاً شديداً، بلغ منه أنّه لم يتمكّن من الصلاة عليه، ورثاه هو وغيره من شعراء زمانه»^(٣).

وفي زهر الرياض: «نقل جسده [= الرضي] إلى مشهد جدّه الحسين ونبش قبره في سنة ٩٤٢ بإغراء بعض قضاة الأورام، فوجد كما هو لم تغيّر الأرض منه شيئاً، والظاهر أن قبر السيد وقبر أخيه وأبيه في المحلّ المعروف بإبراهيم المجاب، وكان إبراهيم هذا هو جدّ المرتضى وابن الإمام موسى عليه السلام»^(٤)، وقبر إبراهيم المجاب الحائري معروف مشهور.

من مصادر الترجمة:

تاريخ بغداد ٢: ٢٦٤، رجال النجاشي: ٢٨٣، عمدة الطالب: ١٧٠، الدرجات الرفيعة: ٤٦٦، شذرات الذهب ٣: ١٨٢، لؤلؤة البحرين: ٣٣٢، يتيمة الدهر ٣: ١٣٦.

(١) ديوان السيد المرتضى ٣: ١٩٠. (٢) ديوان مهيار الديلمي ٣: ٣٦٦ - ٣٧٠.
(٣) عمدة الطالب: ٢١١. (٤) يراجع الفوائد الرجالية ٣: ١١١.

من هو جامع نهج البلاغة؟

قال ابن خلكان (ت/٦٨١ هـ): «اختلف الناس فيه، هل أن الشريف أبي القاسم علي بن طاهر المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ جمعه من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام، أم جمعه أخوه الشريف الرضي البغدادي، وقد قيل: إنه ليس من كلام علي»^(١).

وكثر ممن جاء بعد ابن خلكان (ت/٦٨١ هـ) تبعيته في ترديد دعواه، راجع ميزان الاعتدال؛ للذهبي (ت/٧٤٨ هـ) ٣: ١٢٤. ومرآة الجنان؛ للياضي (ت/٧٦٨ هـ) ٣: ٥٥. والبداية والنهاية؛ لابن كثير (ت/٧٧٤ هـ) ١٢: ٣ و ٥٣. ولسان الميزان؛ لابن حجر (ت/٨٥٢ هـ) ٥: ١٤١، كما تبعه في ذلك بعض المتأخرين منهم: فريد وجدي في دائرة المعارف ٤: ٢٦٠.

وليس لهذا الاختلاف أثر في مصادر أهل البيت، فقد أطبقت المصادر والأسانيد على أن الجامع هو الشريف الرضي؛ فإن أقرب مصدر للترجمة إلى زمان الشريف للنهج هو فهرستا الطوسي والنجاشي، وكلاهما ترجما المرتضى ولم يذكر نهج البلاغة من تأليفه، بل ذكر النجاشي (ت/٤٥٠ هـ) أنه من تأليف الشريف الرضي، وهو أقدم من ابن خلكان (ت/٦٨١ هـ) وأعرف، وغير خفي على المتتبع أن السبب في هذه التهمة هو الصراع المذهبي، كما يظهر جلياً من ترجمة الشريفين الرضي والمرتضى ممن لا يوافقهما في العقيدة والمذهب.

قال الذهبي (ت/٧٤٨ هـ) في تاريخ الإسلام في حوادث سنة ٤٣٦ في ترجمة الشريف المرتضى: «قلت: وقد اختلف في كتاب نهج البلاغة المكذوب على علي عليه السلام، هل هو من وضعه، أو وضع أخيه الرضي. وقد حكى عنه ابن برهان النحوي أنه سمعه ووجهه إلى الحائط يُعاتب نفسه ويقول: أبو بكر وعمر وليا فعديلاً، واسترحما فرحماً، أفأنا أقول: ارتدأ؟! قلت: وفي تصانيفه سب الصحابة وتكفيرهم»^(٢).

وقال الذهبي أيضاً: «هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي عليه السلام،

ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل، وفيه حقٌ، ولكن فيه موضوعات حاشا للإمام من النطق بها، ولكن أين المُنصفُ؟! وقيل: بل جَمْعُ أخيه الشريف الرضي»^(١).

وقال أيضاً في الميزان: «هو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، وله مشاركة قويّة في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنّه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ففيه السب الصراح والخط على السيدين أبي بكر وعمر، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم من بعدهم من المتأخرين جزم بأنّ أكثره باطل»^(٢).

وقد يرى البغضاء من قلمه والكذب في قوله: «في تصانيفه [= المرتضى] سب الصحابة وتكفيرهم» فإنّه ليس لذلك في تصانيفه عين ولا أثر. وقوله: «لا أسانيد لذلك» يدل على جهله بأسانيد المرويات عن عليّ عليه السلام - كما ستعرف في هذا الكتاب - ومن إتهامه الشريف المرتضى بالوضع، وهذا مالم يتهمه منصف في حياته وبعد وفاته، ولا أدري هل هو أعرف بنفس القرشيين أم أهل البيت الذين اغترفوا من زلال علوم النبي الأظهر ﷺ وعاصروا الصحابة الأخيار وحافظوا على تراث الإسلام.

ولعل أقرب الأقوال ما ذكره زكي مبارك في كتابه النثر الفني، حيث قال: «وقد أراد المسيو ديمومبين (Demombynes) أن يغضّ من قيمة مانسب إلى علي بن أبي طالب من خطب ورسائل، استناداً إلى ماشاع منذ أزمان من أنّ الشريف الرضي هو واضع كتاب نهج البلاغة، أما نحن فنتحقّق في هذه المسألة كل التحقّظ؛ لأن الجاحظ يحدثنا: إنّ خطب علي وعمر وعثمان كانت محفوظة في مجموعات. ومعنى هذا أن خطب علي كانت معروفة قبل الشريف الرضي. والذين نسبوا نهج البلاغة إلى الرضي يحتجّون بأنّه وضعها لأغراض شيعية، فلم لا نقول من جانبنا بأن تهمة الوضع جاءت لتأييد خصوم الحملات الشيعية؟»^(٣).

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ١٢٤.

(١) سير أعلام النبلاء ١٧: ٥٨٩.

(٣) النثر الفني ١: ٦٩.

ونحن نقول: إنّ تهمة الرضي بالانتحال ساقطة لأمرين:

أولاً: إنّ شخصية الرضي معروفة بالأمانة، كما ذكرته مصادر الأدب والتاريخ.
ثانياً: إنّ الذهبي استند في هذه التهمة إلى اجتهاده الخاص بأنّ الرضي نقل ما لا يوافق معتقد الذهبي، وهذه دعوى يجب أن تخضع للدراسة والنقد، ومن الثابت في قواعد الجرح والتعديل أنّ ذلك مما لا يعاب به، وأنّها حقاً تهمة ظالمة لرجل وصفته المصادر بالورع والشرف والصراحة في تطبيق حكم الله.

ونكتفي بما نقله ابن عنبه (ت/٨٢٨هـ) من حادثتين تكشف عن مدى أمانة الشريف الرضي نقلهما من لفظه من دون تعليق ليحكم القارئ الكريم بنفسه على هذه الاتهامات:

نقل ابن عنبه عن ابي اسحاق الصابي عن الوزير أبي محمد المهدي في الشريف الرضي قال: «وأما أخوه الرضي، فبلغني ذات يوم أنه ولد له غلام فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار، فردّه وقال: قد علم الوزير أنني لا أقبل من أحد شيئاً. فرددته إليه وقلت: إني إنما أرسلته للقوابل. فردّه الثانية وقال: قد علم الوزير أنه لا تقبل نساءنا غريبة. فرددته اليه وقلت: يفرقه الشريف على ملازميه من طلاب العلم. فلما جاءه الطبق وحوله طلاب العلم قال: هاهم حضور فليأخذ كل أحد ما يريد. فقام رجل وأخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ورد الدينار إلى الطبق، فسأله الشريف عن ذلك فقال: احتجت إلى دهن السراج ليلة ولم يكن الخازن حاضراً فاقترضت من فلان البقال دهناً فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه عوض دهنه، وكان طلبة العلم الملازمون للشريف الرضي في دار قد اتخذها لهم سماها (دار العلم) وعيّن لهم جميع ما يحتاجون إليه، فلما سمع الرضي ذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع إلى كلّ منهم مفتاح ليأخذ ما يحتاج إليه ولا ينتظر خازناً يعطيه، وردّ الطبق على هذه الصورة، فكيف لا أعظم من هذا حاله؟»^(١).

وكان الرضي ينسب إلى الإفراط في عقاب الجاني من أهله وله في ذلك حكايات، ومنها: «أنّ امرأة علوية شكت إليه زوجها وأنه يقامر بما يتحصل له من حرفة يعانيتها، وأنّ له أطفالاً وهو ذو عيلة وحاجة، وشهد لها من حضر بالصدق فيما ذكرت، فاستحضره الشريف وأمر به فبطح وأمر بضربه فضرب و المرأة تنتظر أن يكف ، والأمر يزيد حتى جاوز ضربه مائة خشبة، فصاحت المرأة: وايتم أولادي ، كيف تكون صورتنا إذا مات هذا؟ فكلّمها الشريف بكلام فظّ فقال: ظننت أنّك تشكينه إلى المعلّم»^(١).

ويكفي الشريف فخراً أنّه لم يدنس ثوبه بمغريات الحياة الزائلة حتى قال فيه تلميذه الوفي مهيار الديلمي:

أبكيك للدنيا التي طلقتهَا وقد أصطفتك شبابها وعرامها
ورميت غادتها بفضلة مُعرض زهداً وقد ألقت إليك زمامها^(٢)

تعقيب: استساغ للذهبي أن يتّهم الشريف الرضي بمجرّد الهوى ومخالفة العقيدة والمذهب. ولا أدري كيف استساغ كارل بروكلمان الألماني لنفسه ان يقول بصورة قاطعة: «وينسب إلى الشريف الرضي أيضاً كتاب نهج البلاغة ، والصحيح أنه من جمع أخيه الشريف المرتضى»^(٣).

ولعله قلّد في ذلك ادوارد فانديك ، وقد التمس شيخنا العلامة الشهرستاني عذراً لهذه الدعوى وقال: «ونسبة (ادوارد فانديك) في اكتفاء القنوع كتاب نهج البلاغة إلى الشريف المرتضى أخي الرضي خطأ، منشأه أنّ الشريف الرضي كان يلقب بالمرتضى أحياناً؛ لأنّ جدّه إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، كما أن أخاه المرتضى كان يلقّب بذلك ، ثم بقي هذا اللقب على هذا ، ولقّب الأول بالرضي يوم رضوا به نقيباً على نقباء العلويين لتمييز عن بقية آل المرتضى»^(٤).

(١) عمدة الطالب: ٢١٠. (٢) ديوان مهيار الديلمي ٣: ٣٦٩.
(٣) راجع تاريخ الأدب العربي ٢: ٦٤، ترجمة د. عبد الحليم النميّار، ط ٣ / دار المعارف
(٤) ماهو نهج البلاغة: ١٨. القاهرة سنة ١٩٧٤ م.

ومن تقوُّلات إدوارد فاندريك في اكتفاء القنوع انه ينسب نهج البلاغة إلى الرازي (ت/٤٠٦ هـ)، ولعل السبب أنه ليس من أبناء الضاد، وقادته عجمته إلى تبديل الضاد بالزاي، فهو تصحيف.

أدلة خمسة:

هذا وقد استدل إمتياز علي العرشي على أن المؤلف هو الرضي بأدلة خمسة، ملخصها: أولاً: ان المؤلف أشار في مقدمة النهج إلى كتابه خصائص الأئمة، ويوجد من هذا الكتاب نسخة في مكتبة رامپور - الهند، مؤرخة سنة ٥٥٣ وعليها إجازات، فإذا ثبت أن مؤلف الخصائص هو الشريف الرضي ثبت أنه كذلك مؤلف نهج البلاغة.

ثانياً: ذكر النجاشي وغيره أن له: حقائق التزويل، وقد طبع المجلد الأول في النجف سنة ٣٥٥؛ وقد جاء في ص ١٦٧ إحالة إلى كتابه الآخر (نهج البلاغة).

ثالثاً: لاخلاف في أن كتاب مجازات الآثار النبوية للشريف الرضي، وقد طبع، وفيه يحيل الشريف إلى كتاب نهج البلاغة في ص ٢٢ و ص ٤١، كما ويشير في النهج ٣: ٢٦٣ إليه، ويقوي ذلك كله مانجد بين عبارتيهما في هذا المحل من تماثل وتقارب مما لا يدع لنا مجالاً لتخيّل أن الكتابين لمؤلفين، بل لمؤلف واحد.

رابعاً: نجد في بعض نسخ نهج البلاغة أن النسخ تبدأ باسم الرضي، وأهم هذه النسخ ما طبعها محمد محيي الدين عبد الحميد الاستاذ بجامع الأزهر، ولا يكاد يظن أن المصحح هو الذي أضاف هذه الجمل في المتن.

خامساً: بلغ عدد شروح نهج البلاغة بالعربية والفارسية ما ينيف على أربعة، وأجمع الشراح على أن الكتاب من تأليف الرضي، وذكر سبعة شروح^(١).

قال الجلالي: وتزيد ذلك حجة:

سادساً: سلاسل الإجازات الموصولة إلى الشريف الرضي بطرق عديدة، ستأتي في أسانيد المؤلف.

سابعاً: العناية بالنهج عبر القرون بالنسخ والمقابلة والقراءة والاجازة وغيرها كما سيأتي.

إرجاعات الجامع:

وقد أحال الشريف الرضي إلى نهج البلاغة في كتبه الأخرى في مناسبات مختلفة بما يدل بكل وضوح على أنه هو الجامع للكتاب دون أخيه المرتضى، كما يدل على اهتمامه واعتزازه بكتاب نهج البلاغة، وإليك كلامه في مواضع:

قال في المجازات النبوية في مواضع، منها قوله: «ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «أَغْبَطُ النَّاسِ عِنْدِي مُؤْمِنٌ خَفِيفٌ الْحَاذِ ذُو حُظٍّ مِنْ صَلَاةٍ». وفي هذا القول استعارة، لأن الحاذ على الحقيقة: اسم لما وقع عليه الذنب - إلى أن قال: - لأن الدنيا بمنزلة المضمار، والناس فيها بمنزلة الخيل المجرة، والغاية هي الآخرة. فكلما كان الواحد منهم أخف نهضاً وامترافاً، كان أسرع بلوغاً ولحاقاً، ويبيّن ذلك قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، في كلام له: «تَخَفَّقُوا تَلَحَّقُوا»، وقد ذكرنا لك في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة الذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه صلى الله عليه وسلم وعلى الطاهرين من أولاده»^(١).

ومنها: «ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لأزواجه: «أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا»^(٢) - إلى أن قال: - ومثل ذلك قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ»، ومعنى هذا القول أن من يبذل خير الدنيا يجزه الله خير الآخرة، وكفى عليه السلام عما يبذل من نفع الدنيا باليد القصيرة لقلته في جنب نفع الآخرة؛ لأن ذلك زائل ماض وهذا مقيم باق. وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة»^(٣).

ومنها: «ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في خطبة له: «أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَرْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَرْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً» وهذه استعارة؛ لأنه عليه الصلاة والسلام جعل الدنيا بمنزلة - إلى أن قال: - ويروى هذا الكلام على تغيير في ألفاظه لأمر المؤمنين عليّ

(١) المجازات النبوية: ٤٠، ويراجع نهج البلاغة ١: ٥٤، ٢: ٩٧.

(٣) المجازات النبوية: ٦٧.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ٢٠٤.

بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام ، وقد أوردناه في كتابنا المسموم بنهج البلاغة، وهو المشتمل على مختار كلامه ﷺ في جميع المعاني والأغراض والأجناس والأعراض»^(١). ومنها: «ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: « ما نَزَلَ من القرآن آية إلا ولها ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، ولكلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، ولكلِّ حَدٍّ مَقْطَعٌ »، وفي هذا الكلام استعارتان: أحدهما: قوله عليه الصلاة والسلام: « ما نَزَلَ من القرآن آية إلا ولها ظَهْرٌ وَبَطْنٌ ». وقد قيل في ذلك أقوال: منها أن يكون المراد أن القرآن يتقلب وجوهاً، ويحتمل من التأويلات ضروباً كما وصفه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في كلام له، فقال: « القرآن حَمَّالٌ ذو وجوه »، أي يحتمل التصريف على التأويلات ، والحمل على الوجوه المختلفة. وقد ذكرنا هذا الكلام في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة، ومن ذلك قول القائل: قلبت أمري ظهراً لبطن»^(٢).

ومنها: «ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: « القُلُوبُ أَوْعِيَةٌ بَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ »، وهذه استعارة. والمراد تشبيه من حيث حَفِظَ وَوَعَى، كالوعاء من حيث جمع وأوعى ، وربما نسب هذه الكلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام على خلاف في لفظه، وقد ذكرناه في جملة كلامه لكميل بن زياد النَّخَعِيّ في كتاب نهج البلاغة»^(٣).

وقال الشريف الرضي في حقائق التأويل مالفظة: «إنه لو كان كلام يلحق بغباره، أو يجري في مضماره - بعد كلام الرسول ﷺ - لكان ذلك كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ إذ كان منفرداً بطريق الفصاحة، لاتزاحمة عليها المناكب، ولا يلحق بعقوه فيها الكادح الجاهد؛ ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك، فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه بنهج البلاغة، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم، وبوّبناه أبواباً ثلاثة، ليشتمل على هذه الأقسام مميزة مفصلة، وقد عظم الانتفاع به، وكثر الطالبون له، لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرائف

(١) المجازات النبوية: ١٩٩. نهج البلاغة ١ - ٨٩٥٦٦.

(٢) المجازات النبوية: ٢٥١، وراجع نهج البلاغة ٣ : ١٥٠.

(٣) المجازات النبوية : ٢٩١، وراجع نهج البلاغة ٣ : ١٨٦.

الكلم ونفائسها، وجواهر الفقر وفرائدها»^(١).

وأظن في ذلك كفاية لمن انصف بأن الشريف الرضي جمع في كتاب نهج البلاغة ما وجد من الروايات عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا يد له فيها سوى الجمع والانتقاء بالاسلوب الذي اختاره وشرحه في خطبة الكتاب.

في تراث أهل البيت عليهم السلام:

وقد صرّحت مصادر أهل البيت في كتبهم وإجازاتهم وتراثهم بأن جامع نهج البلاغة هو الشريف الرضي دون غيره - كما سيأتي - ونكتفي هنا بذكر عشرة منهم:

- ١- أبو العباس النجاشي (ت/ ٤٥٠) في رجال النجاشي.
- ٢- أبو الحسن الفنجكردى (ت/ ٥١٣) في أشعاره.
- ٣- فضل الله الرواندي (ت/ ٥٤٦) في منهاج البراعة.
- ٤- قطب الدين الكيدري (ت/ ٦٥٧) في حدائق الحقائق.
- ٥- أبي الحسن ابن فندق البيهقي (ت/ ٥٦٥) في معارج نهج البلاغة.
- ٦- ابن شهر آشوب محمد بن علي السروي (ت/ ٥٨٨) في معالم العلماء.
- ٧- الحسن بن داود الحلبي (ت/ ٦٤٧ ح) في رجاله.
- ٨- ميثم بن علي البحراني (ت/ ٦٩٧) في مصباح السالكين.
- ٩- الحسن بن يوسف العلامة الحلبي (ت/ ٧٢٦) في خلاصة الأقوال.
- ١٠- أحمد بن عنبه (ت/ ٧٢٨) في عمدة الطالب.

وللتفصيل يراجع فصل «الاهتمام بنهج البلاغة عبر القرون».

وقد صدق الأميني (ت/ ١٣٩٠) حيث قال: «فما تورّط به بعض الكتبة من نسبة الكتاب إلى أخيه علم الهدى، وإثّهامه بوضعه أو وضع بعض مافيه على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، والدّعوى المجرّدة بطلان أكثر مافيه، وعزو ذلك إلى سيدنا الشريف الرضي الذي عرفت موقفه العظيم من الثقة والعلم والجلالة، أو الترديد فيمن وضعه وجمعه بينهما،

مما لا يُقام له في سوق الحقائق وزن، وليس له مناخٌ إلا حيث تربض فيه العصبية العمياء، ويكشف عن جهل أولئك المؤلفين رجال الشيعة وتآليفهم، وأعجب ما رأيت: كلمة الذهبي في طبقاته ج ٣ ص ٢٨٩ حيث قال: «وفيها [يعني سنة ٤٣٦] تُوفي شيخ الحنفية العلامة المحدث أبو عبد الله الحسين بن موسى الحسيني الشريف الرضي واضع كتاب نهج البلاغة»^(١).

قال الجلالي: مات عجب منه الشيخ الأميني ﷺ أمور كلها مخالفة للواقع التاريخي:

- ١- أن الرضي ليس حنفياً ولا شيخاً للحنفية.
 - ٢- أن اسم الرضي ليس (الحسين)، بل (محمد)، والحسين والده.
 - ٣- أن الرضي ليس واضعاً، بل جامعاً.
 - ٤- أن الرضي لم يتوفَّ سنة ٤٣٦، بل توفي في سنة ٤٠٦، والله أعلم بما اعتراه حين كتابة هذين السطرين، وإن كانت العصبية دعت به إلى الاتهام الأخير، فما هو المخرج من الثلاثة الأول؟ والعصمة لأهلها.
- والأقرب إلى الانصاف ما قال الدكتور زكي مبارك في مواجهة الذهبي ومن سار على طريقته، وهو: «إنّ هذا الحكم القاسي لا يطوّق به عنق الشريف إلاّ إن ثبت ان مجموعة «نهج البلاغة» تعرض بعد وفاته للزيادات والاضافات التي توجبها النزعة المذهبية في عصور وصل فيها الكفاح السياسي إلى أبعد حدود القسوة والعنف، فإن ثبت بعد البحث انها سلمت من الزيادات فهي شاهد على أن الشريف كان يعوزه التدقيق في بعض الأحيان، أمّا اتهامه بالكذب على أمير المؤمنين في سبيل النزعة المذهبية، فهو اتهام مردود ولا يقبله إلاّ من يجهل أخلاق الشريف»^(٢).

(١) الغدير: ٤ - ١٩٥، ميزان الاعتدال ٢: ٢٢٣، ودائرة المعارف؛ للبستاني ١٠: ٤٥٩، وتاريخ آداب اللغة ٢: ٢٨٨، ولسان الميزان ٤: ٢٢٣، وتاريخ ابن خلكان ١: ٣٦٥، مرآة الجنان؛ للياضي ٣: ٥٥.
(٢) عبقرية الشريف الرضي ١: ٢٢٢.

شبهات وحلول

تنص المصادر التاريخية على شهرة المأثور عن الإمام عليّ، قال اليعقوبي (ت/ ٢٨٤) عن الإمام عليّ عليه السلام: «والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمئة ونيف وثمانون خطبة، يوردها على البديهة، تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً»^(١).

وقال ابن عبد البر: «وخطبه ومواظمه ووصاياه لعمّاله، إذ كان يخرجهم إلى أعمال كثيرة مشهورة، لم أر التعرض لذكرها؛ لئلاً يطول الكتاب، وهي حسان كلّها»^(٢). وقال أيضاً: «الذي يرجع إلى أقضية علي وخطبه ووصاياه يرى أنه قد وهب عقلاً ناضجاً وبصيرة نافذة وحظاً وافراً من العلم وقوة البيان»^(٣).

ولا غرابة في ذلك، فإنّ لمحة عن تواريخ حياة الإمام علي عليه السلام تكشف سرّ المؤهلات التي تجعله في المستوى المطلوب؛ فإن كل حادثة مرّت بحياته تقتضي قولاً فصلاً من رجل مثله كان في قمة المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ففي سنة ٢٣ قبل الهجرة ولد الإمام علي عليه السلام في ١٣ رجب. وفي سنة ١٠ قبل الهجرة كان أول من اعتنق الإسلام وآمن بنبوّة رسول الله ﷺ. وفي سنة ١ هـ بات في فراش النبي ﷺ حفاظاً على حياة الرسول ﷺ ليلة الهجرة. وفي سنة ٢ هـ تزوّج بسيدة النساء فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وساهم في وقعة بدر الكبرى.

وفي سنة ٣ هـ ساهم في معركة أحد. وفي سنة ٤ هـ ساهم في معركة الخندق وخيبر والحديبية. وفي سنة ١٠ هـ ساهم في فتح مكة، وأوفده النبي ﷺ إلى اليمن. وفي سنة ١١ هـ كانت وفاة النبي ﷺ، وواجه أحداث السقيفة، ولم يشارك فيها لأنّه

(١) مروج الذهب ٢: ٣٦، و ٢: ٤٣١.

(٢) الاستيعاب ٣: ١١١١، تحقيق علي محمد البجاوي.

(٣) أسد الغابة ٤: ١٦.

كان مشغلاً بتجهيز النبي ﷺ ودفنه، وفي نفس السنة توفيت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ.

وفي سنة ٢٣ هـ كان مستشاراً لعمر بن الخطاب بعد خلافته.

وعاش في سنة ٣٥ هـ ثورة المصريين على عثمان وبعد مقتله بويع الامام علي ﷺ

بالخلافة.

وواجه في سنة ٣٦ هـ وقعة الجمل بالبصرة.

وفي سنة ٣٧ هـ وقعة صفين.

وفي سنة ٣٨ هـ حادثة التحكيم ووقعة النهروان.

وأخيراً في سنة ٤٠ هـ اغتيل الإمام في مسجد الكوفة في ١٩ رمضان وهو يؤدى صلاة

الفجر، وتوفي ٢١ رمضان ودفن في النجف.

وقد حكم الإمام علي في خلافته أربع سنين وستة أشهر، فإذا جمعنا خطبه ﷺ في كل

جمعة وعيدي الأضحى والفطر. لبلغ (٢٢٠) خطبة، هذا عدا ما باشرها الإمام ﷺ من

حروب الجمل وصفين والخوارج، وما يستلزم ذلك من خطب حماسية في الاستنهاض

والدفاع والحرب، فلا غرابة في المأثور عن شخصية قيادية كعلي بن أبي طالب الذي

قضى ٦٣ عاماً مرافقاً قضايا الإسلام الكبرى ومساهمات فيها مساهمة فعالة في ما تقتضيه

المصلحة الإسلامية العليا، لما فيه من مؤهلات العلم والتجربة، فلا يستنكر منه شيء من

خطب ورسائل وحكم رويت في نهج البلاغة، كما لا يستبعد في من جرّد السيف في

حكمه العادل وحركاته التصحيحية، ان يكون هدفاً للنقد وان يستخدم مختلف الوسائل

في التشكيك في نهجه قولاً وعملاً، وكما لا نشك في ان هذه التعرضات سوف تستمر ما

كان هناك غشاء على الأبصار ورين على القلوب، فإننا واثقون بأنها سوف تنقشع بأنوار

ساطعة من حقائق التاريخ وتظهر بالاغتراف من زلال ينابيع المعرفة.

هذا، إلى جانب أن الاعتماد على الذاكرة والحفظ كانت ولا تزال عادة سائدة في

المجتمع، وخصوصاً في المجتمعات الابتدائية حيث لا يكون الاتكال على الكتابة

والقراءة، على العكس من المجتمع الحضاري، وبما ان المجتمع العربي في العصور

المتقدمة كانت أمية على الغالب فقد استخدمت وسيلة الحفظ حتى القرن الثاني والثالث، بل حفظ تراث أي إنسان يستمر بين عارفي فضله، وقد حصل هذا بالنسبة إلى نهج البلاغة حتى العصر الحاضر.

والحفظ بالنسبة إلى نهج البلاغة شائع في عصرنا، بل حفظه كله جماعة، منهم:

١ - السيد محمد اليماني المكي الحائري (ت / ١٢٨٠).

٢ - الشاعر محمد حسين مروّة الحافظ العاملي^(١).

٣ - السيد علم الهدى النقوي الكابلي البصير نزيل ملاير^(٢).

ومع هذا فلا يبقى مجال لاستبعاد ذلك، ولا زال خطباء المنبر الحسيني في عصرنا يلقون من خطبه ورسائله وحكمه حفظاً عن ظهر القلب من على رؤوس المنابر، وطبيعي أن من يؤمن بإمامة علي عليه السلام يحافظ على تراثه بكل وسيلة تيسرت له.

أمّا الشبهات: فقد ذكر أحمد زكي صفوت باشا في كتابه علي بن أبي طالب ص ١٢٢.

وجوهاً ستة للشك في نهج البلاغة وتكلم عنها بتفصيل، قال: «ومبعث هذه الشكوك:

١ - خلوّ الكتب الأدبية والتاريخية التي ظهرت قبل الشريف الرضي من كثير مما في

نهج البلاغة.

٢ - ماورد فيه من الأفكار السامية والحكم الدقيقة مما لا يصح نسبته إلى عصر الإمام.

٣ - إطالة الكلام وإشباع القول في بعض الخطب والكتب كما في عهد الأشر النخعي

المسهب المطنب المشتغل على كثير من الحيلة والحذر والتوكيدات والمواثيق، فضلاً عن

أن فيه من النظرات السياسية والقواعد العمرانية ما لم يكن معروفاً في عصر الإمام.

٤ - ماورد في بعض خطبه من التعريض ببعض الصحابة وذمهم كما في الخطبة

الشقشقية مما لا ينتظر أن يقع من مثل علي في عقله ودينه وعلمه.

٥ - ظهور الروح الصوفي الفلسفي في كثير من خطبه مما لم يفش في المسلمين إلا في

القرن الرابع الهجري (أي في عصر الرضي).

٦- الوصف الدقيق والسجع وتنميق الكلام مما لم يعهد في صدر الإسلام»^(١).
وقد حاول الاستاذ أحمد زكي تحليل هذه النقاط الست بتفصيل استغرق الصفحات (١٢٢ - ١٦١) من كتابه، ناقلاً نصوص الخطب والرسائل ومعلقاً عليها مدافعاً عنها أحياناً ومؤخذاً عليها أخرى، وهنا اكتفي بخلاصة منها:

الشبهة الأولى - خلو الكتب الأدبية:

ولقد انصف في الشبهة الأولى بقوله: «وها نحن - أولاً - ندلي إليك برأينا في هذه الشكوك: أما ما ورد في الكتب الأدبية والتاريخية المؤلفة قبل ظهور نهج البلاغة من كلام الإمام، فلعله لم يرد إلا على سبيل التمثيل والاستشهاد، لا على سبيل الاستقراء والاستقصاء؛ إذ لم تؤلف من أجل ذلك الغرض خاصة. ولعلّ تلك المثل كانت هي المتداول المشهور من كلامه، فلا ينافي أن يكون له غيرها. وفي مروج الذهب للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ أي قبل مولد الشريف الرضي بثلاث عشرة سنة، مانصه: والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمئة خطبة ونيف وثمانون خطبة، يوردها على البديهة، تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً»^(٢).

الشبهة الثانية - ما ورد فيه من الأفكار السامية:

قال أحمد زكي في الجواب هذه الشبهة ما يلي: «أما الشبهة الثانية فباطلة داحضة، وأنا قبل أن نتعرض لادحاضها نتساءل: هل في فكر الإمام وحكمه نظريات فلسفية يعتاص على الباحث فهمها ويفتقر في درسها إلى كدّ ذهن وكدح خاطر. اللهم لا، إنها حكم سائغة مرسلّة تمتاز بالروح من أقرب طريق وتدبّ الى القلب دون تعمل أو عناء، وليس أحد يماري في أن يراد العرب للحكمة البالغة وضربهم الأمثال الرائعة فطري فيهم، معروف

(١) راجع: علي بن أبي طالب: ١٢٢ - ١٦١، طبعة مطبعة العلوم، سنة ١٢٣٢ هـ.

(٢) ترجمة علي بن أبي طالب: ١٢٣، وانظر مروج الذهب ٢: ٣٣.

عنهم منذ جاهليتهم، لما أوتوه من صفاء الذهن واتقاد القريحة وسرعة الخاطر، وقد اشتهر كثير منهم بذلك قبل الإسلام، أفستكثر الحكمة السامية على عليّ، وهو - من علمت - سليل قريش الذين كانوا أفصح العرب لساناً وأعذبها بياناً وأرقها لفظاً وأصفاها مزاجاً والطفها ذوقاً، وقد قدّمنا لك أنه ربّي في بيت النبي ﷺ منذ حدثته فنشأ وشب في بيت النبوة ومهد الحكمة وينبوعها، ولازم الرسول حتى مماته، وقد قال عليّ في بعض خطبه: «كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمّه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاعتداء به»، وكان من كبار كتاب وحيه، وحفظ القرآن كله حفظاً جيّداً، وسمع الحديث الشريف ووعاه، وتفقه في الدين حتى كان اماماً هادياً وعالماً عيلاً، وفوق ذلك فأنت تعلم ان الشدائد ثقاف الازهان وصقال العقول تفتّق عن مكنون الحكمة وتستخرج عصيها وقد مرّ بالإمام حين من عمره حافل بالشدائد، ملئ بالعظائم والأهوال، وحسبه ان يحمل مع ابن عمه ﷺ أعباء أمره، ويبيت في فراشه ليلة هجرته متعرّضاً لأذى المشركين الراصدين للرسول، وأن يخوض غمار الحرب في كلّ غزواته - إلا واحدة - ثم هو يقضي طوال خلافته مذبوح إلى ان قتل (أربع سنين وتسعة أشهر) في شجار ونضال وجلاد وكفاح، تارة مع عائشة ومناصريها، وأخرى مع معاوية وأشياعه ثم يبتلي بخلاف أصحابه عليه، ويعاني من اختلاف مشاربيهم وتباين أهوائهم وغريب شذوذهم وتحكّمهم، واعتسافهم مايضيق عنه صدر الحليم، ويندّ معه صبر الصبور. كل أولئك التجارب والظروف قد حتّكت، وصفت من جوهر عقله، وثقّفت من حديد ذهنه، وأمدّته بفيض زاخر من الحكم الثاقبة والآراء الناضجة، وما العقل إلا التجربة والاختبار».

وأضاف: «وأخالك تذكر ماقدمناه لك آنفاً من أنه كان معروفاً بين الصحابة بأصالة الرأي وسداد الفكر، فكان بعض الخلفاء يفرع إلى مشورته إذا حزبه أمر فيجيد الحز ويطبّق المفصل. ولم يكن رضي الله عنه بالرجل الخامل الغمر، بل كان من سادة القوم وعليتهم، فكان كل مايجري من الشؤون السياسية في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الثلاثة السابقين له بم رأي منه ومسمع، بل كان له في بعضها ضلع قوية وشأن خطير. هذا

المران السياسي الطويل العهد - وهو خمس وثلاثون سنة من بدء الهجرة، عدا ما تقدمها - أفاده شحذاً في الذهن وثقوباً في الفكر . فليس بمستنكر على مثل عليّ أن يكون حكيماً^(١).

وكلامه بطوله يغني عن التعليق؛ فإنه قويّ الحجة وواضح البرهان.

الشبهة الثالثة - طول بعض الخطب:

وملخص الشبهة: الشك في انتسابها إلى الإمام عليه السلام من جهة طول بعض الخطب، وقد خص الاستاذ أحمد زكي منها بالذكر عهد الأشر وخطة القاصعة، والكلام عن كل منها ينبغي أن يكون في الشرح، إلا أن الشبهة في ذاتها يمكن تقريرها كبروياً، قال مالفته: «أما الشبهة الثالثة: فإننا يخالغ نفوسنا الشك في عهد الأشر، لامن حيث ماورد فيه من النظريات السياسية والقواعد العمرانية: لأننا لانستبعد صدور مثلها من الإمام. وقد أسهبنا القول في بيان خبرته وحنكته السياسية آنفاً، وما أفاد من تجربة واسعة على عهد أسلافه وهو يشرف على الحكم من كئيب، على أن تلك النظريات والقواعد الواردة فيه ليست مما يعسر تناوله، أو لا يبلغ شأوه، وفي مقدور من هو دون الإمام فكراً ورأياً وتديراً أن يصوغ مثل حلاها، وهل عزب عنك أن العرب قبل خلافة الإمام فتحوا ممالك الأكاسرة والقيصرة وأدانوها لحكمهم، وهي ممالك ذات حضارة ومدنية؟ إذن كان طبعاً أن يتناول الخليفة في كلامه المسائل العمرانية والاجتماعية.

وأنت إذا تأملت نصيحته للأشر في هذا العهد فيما يختص بالجنود والعمال والقضاة والكتاب والخراج والتجار وذوي الصناعات.. الخ، لم تلف فيه معنى ملتاثاً، ولا قاعدة يشقّ تفهّمها، بل هي نصائح حكيمة بعيدة عن الالتواء الفلسفي والتعقّد النظري.

وإنما يخالغنا الشك فيه من حيث طوله وإسهابه لاعتبارات نردها لك:

أ - أن الخلفاء قبله عهدوا إلى ولاتهم فلم يؤثر عنهم ذلك الاسهاب في عهودهم.

ب - ان الإمام نفسه ولى محمد بن أبي بكر الصديق على مصر قبل الأشر النخعي، وولى قيس بن سعد بن عبادة عليها قبل ابن أبي بكر، وولى غير هؤلاء على الأمصار فلم يعهد إليهم بمثل هذه العهد، بل إن عهده لابن أبي بكر عشرة أسطر.

ج - إن مالك بن الحارث الأشر الذي كتب له ذلك العهد، كان عضد الإمام وساعده في صفين، وقد قدّمنا أنه كان قائد الميمنة، وقد أبلى في الحرب بلاءً حسناً، وكان يستحث من همّة الجيش كلما آنس منهم مللاً وسآمة. وفحوى ذلك أنه كان موضع ثقة تامة من الإمام، ومن كان كذلك فليس بحاجة إلى ذلك القدر من الإسهاب في الحيلة والحذر وتأكيد الموائيق، وكيف يسهب هذا الاسهاب فيكتب له عهداً في مائتين وخمسة وسبعين سطرًا^(١).

ونعم ما أجاب عن قوله سيد مشايخنا الشهرستاني بقوله: «إنّها ليست بأعجب من رواية المعلقات السبع والقصائد الأخرى من الأوائل، ومن الخطب والمأثورات الضافية التي رويت عن النبي المصطفى ﷺ وعن غيره ممن تقدم عليه زمانه أو تأخر، في حين أن العناية بالحفظ والكتابة كانت في زمن الراشدين أهم وأعظم مما قبله، ونعتوا ابن عباس بأنّه كان يحفظ القصائد الطوال لأول مرة من سماعها، وكان مثله في عامة العرب كثيراً ولا يزال حتى اليوم؛ والاعتناء بحفظ خطب الإمام كان أكثر»^(٢).

الشبهة الرابعة - التعريض ببعض الصحابة:

وقد أصاب سيد مشايخنا الشهرستاني (ت/١٣٨٦) بعنوانها: «سر الشك في نهج البلاغة»، وهي الخطبة الشقشقية التي فيها تعريض ببعض الصحابة. وقد حرّر الاستاذ أحمد زكي حول هذه الشبهة بقوله: «قبل أن تتعرض للشك الرابع نورد لك ما ذكره ابن أبي الحديد بشأن الخطبة الشقشقية، قال عقب شرحها: «حدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمئة، قال: قرأت على الشيخ ابن الخشاب هذه الخطبة

(١) ترجمة علي بن أبي طالب: ٢٢٩ - ٢٣١. (٢) ماهو نهج البلاغة: ٥٢.

فقلت له: أتقول إنها منحولة؟ فقال: لا والله، إني لأعلم أنها كلامه كما أعلم انك مصدق. قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضي عليه السلام، فقال: أني للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب؟ قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر. ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صُنفت قبل ان يخلق الرضي بمائتي سنة. ولقد وجدتُها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل ان يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي. قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة. وكان في دولة المقتدر قبل ان يخلق الرضي بمدة طويلة. ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الامامية. وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف. وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي ومات في ذلك العصر قبل ان يكون الرضي عليه السلام موجوداً. من ذلك يتبين لك أن الشقشقية كانت معروفة قبل مولد الرضي من أكثر من طريق. فلا تبعة إذن عليه، ولا سبيل إلى اتهامه بانتحالها. ولكننا مع ما نرى فيها من جزالة اللفظ وروعة الأسلوب التي تغرينا ان ننظمها مع كلام علي في سلك. نتراجع حين يبدو لنا شبح الشك ماثلاً فيها. أجل يستوقفنا منها - ثم ذكر مؤاخذات الامام على بعض الصحابة وعدّها، ونحن نكتفي بالأوّل منها وللتفصيل يراجع الشرح - قال: وقد عرض لعمر عليه السلام بقوله: «فمني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض» فما كان عمرّاً البتة خابطاً ولا متلوّناً ولا جانحاً عن الطريق السويّ، وما عرف عنه من ذلك قليل ولا كثير»^(١).

وأقلّ ما يقال في كلامه: إنّه تغافل عن أحداث التاريخ الاسلامي في عصر الرسالة منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وما رافق ذلك في السقيفة من مشاهدات ان لم تكشف عن خبط في الموقف، وشماس أي نقار في الحديث، وتلوّن في العمل، واعتراض عن أوامر نبويّة، فعماً تكشف إذا؟ وكتب التاريخ كفيّلة بإيضاح هذه الأحداث، ولكننا نكتفي بموقف

(١) ترجمة علي بن أبي طالب: ١٣٤ - ١٣٥. وانظر شرح ابن الحديد ١: ٢٠٦.

الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في آخر لحظة من حياة الرسول القائد ﷺ وطالب التفصيل يراجع تراجم الصحابة ومواقفهم آنذاك ، ومنها ما روى البخاري وغيره: «لما حضر رسول الله ﷺ ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: «هلم أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده». فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله! فاختلف أهل البيت، فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده! ومنهم من يقول ما قاله عمر، فلما كثر اللغو والاختلاف عند النبي، قال لهم رسول الله ﷺ: «قوموا!» قال عبد الله بن مسعود: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم»^(١). وأيضاً: «اشتد برسول الله وجعه، فقال: «آتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبيّ التنازع، فقالوا: هجر رسول الله»^(٢).

فإذا لم يكن الاختلاف واللغظ على رسول الله خطباً ، فما هو الخطب إذا؟ إذ لو كان القرآن وحده كافياً لما همّ النبي أن يكتب كتاباً لاتضل الأمة بعده ، ومهما برّرنا موقف الخليفة الثاني عمر، المعارض لطلب النبي، فإنه موقف شماس وجدل واعتراض في السير لا على ما أمر به النبي ﷺ ، ولو حصل موقف كهذا من شخصية أخرى غير الخليفة الثاني كان وسيلة للتهمة في شخصية الرسول ، والإمام ﷺ لم يوجّه قط اتهاماً كهذا لأحد ، بل اعتبره خطباً في الرؤية وجدالاً في الرأي واعتراضاً في الطريق النبوي.

الشبهة الخامسة - ظهور الروح الصوفي الفلسفي:

وقد حرّرها الاستاذ أحمد زكي بقوله: «أمّا الشك الخامس، فإنّنا مع اعتقادنا الكامل بأنّ الإمام كان خير قدوة في الزهد والورع وأعلى مثال في التقوى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، نرى أنّ ما عزي إليه في هذا الباب لا يخلو من دخیل منتحل. فهناك اقرأ خطبته التي يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وانظر قوله فيها: « أول الدين

(١) و (٢) صحيح البخاري ٧: ٩، ٨: ١٦١، مسلم ٥: ٧٥، مسند أحمد ٤: ٣٥٦، ح ٢٩٩٢.

معرفته ، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده
الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه؛ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف،
وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه،
ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد
حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّه ، ومن قال: علام؟ فقد أخلّى منه،
كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة،
فاعل لا بمعنى الحركات والآلة. الخ « ترى أن هذا الأسلوب قصي عن نهج الإمام
ومسلكه؛ فإن الفقر الأولى مفرغة في قالب مقدّمات منطقية تفضي إلى نتيجة هي نفي
الصفات عن الله تعالى، والفقر التالية لها مقدّمات أخرى تنتج أن من يثبت له الصفات فقد
عده من الحوادث، وهذا الأسلوب المنطقي لم يعهد في كلام العرب، ولم يستعمله العلماء
إلا بعد ترجمة المنطق والعلوم الدخيلة، وذلك العصر لم يدركه الإمام .

وفوق هذا، فإن تلك المباحث من مباحث علم الكلام، وإثبات صفات المعاني
لله تعالى أو نفيها عنه وكون الصفة عين الموصوف أو مغايرة له، موضع جدل شديد بين
الأشعرية والصفاتية والمعتزلة ، ونشأة ذلك العلم وتلك الفرق متأخرة عن علي في
الوجود، ولا تخلن من ذلك أنا نرمي الإمام بجهله بعلم التوحيد. لا، ولكننا نقول: إن
التوحيد بالمعنى العلمي المعهود ومباحثه المعروفة لم تكن وجدت في ذلك الحين»^(١).

قال الجلاّلي: غريب جداً أن يستنكر من مفكر عربي صدور مثل هذا الكلام ، فإن
المنطق ليس شيئاً ما وراء حياة الناس، وليس في الخطبة شيئاً من المصطلحات المنطقية
المتأخرة، وإنما هي بيان حقائق تشير إلى حقائق أخرى، والقضية المنطقية تحتاج إلى
مقدمتين كبيرى وصغرى يجمعها الحد الأوسط وباسقاطه تثبت النتيجة، وليس في الخطبة
شيء من ذلك.

فقول الكاتب بأنها: «في قالب مقدّمات منطقية تفضي إلى نتيجة» إمّا هو جهل بقواعد

المنطق أو تغافل عن حقائق متسلسلة يشرحها الإمام ليصل إلى نتيجة وصل إليها بفكره الخاص ، وليس ذلك بمستنكر من شخصية اسلامية مثله.

ومن هنا يظهر ما في كلام الاستاذ زكي من : « أن تلك المباحث من مباحث علم الكلام »؛ فإن علم الكلام علم قائم بذاته متأخر طبعاً عن عصر الرسالة والإمام، ولكن استعمال هذه المباحث في نصوص القرآن وأحاديث الرسول وكلام الإمام وغيره من المفكرين المسلمين لا يعني أنهم استعملوا المصطلحات بل انما استخدموا الألفاظ بمعانيها اللغوية وفي العصر المتأخر أصبح مصطلحاً كلامياً، واستخدام كلمة «تثا» لاتعني في الاستعمال القرآني والحديثي سوى معناها اللغوي وان بنى عليها المتأخرون المعاني الاصطلاحية، بل ان المعنى المصطلح لا يتحقق إلا بعد تحقق الاستعمال اللغوي. ونعم ما أجاب عن ذلك السيد الشهرستاني بقوله: «إنّ المتأخر أخذ عن المتقدم، لأنّ المتأخر نسب إلى المتقدم، وبيان ذلك: انّ علماء الإسلام المتأخرين إنما توسعوا في علومهم بعد ما تعمّقوا في آيات التوحيد والمعارف القرآنية، وما وصل إليهم من خطب عليّ وكلماته في أبواب التوحيد وشؤون العالم الربوبي، حتى أن الحجاج ألقي على علماء التابعين يوماً شبهة الجبر، فردّه كل منهم بكلام خاص انفرده به؛ فلما سأله عن المأخذ قال كل منهم: إنّه أخذ ذلك عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال الحجاج: لقد جئتموها من عين صافية.

ولقد كان ابن عم رسول الله يفيض على ابناء عصره ومصره بعلوم النبوة ومعارف الدين العالية، إلا أنّ أكثرهم لم يكونوا ليفهموها، بل كانوا يحملون هاتيك الكلم الجامعة إلى من ولدوا بعدهم كما قيل: رب حامل فقه إلى من هو أفقه.

ونظير هذا آيات التوحيد والرؤية والكلام والعدل، تلك الآيات التي تدبر فيها حكماء الإسلام في القرون المتأخرة وأظهروا معارفها العالية التي لم تخطر ببال أحد في عصر الصحابة.

وأوضح برهان لنا في المقام: وجود جمل في خطب نهج البلاغة تنطق بحركة الأرض ،

وتنطبق على أصول الهيئة الجديدة ومسائلها التي حدثت بعد الألف الهجري؛ كقوله ﷺ في صفة الأرض: «فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسبخ بحملها» وقوله ﷺ: «وعدل حركتها بالراسيات من جلاميدها» وكلنا نعلم أن الرأي القائل بتحريك الأرض مع سكونها الظاهر مستحدث من بعد (غاليلة الايطالي) و (كوبرنيك الألماني) و (نيوتن الانجليزي) ، ورأى ثبوت الحركات العشر للأرض متأخر عنهم جداً. وكل هذه الآراء حادثة بعد انتشار شروح نهج البلاغة، فضلاً عن النهج الذي اشتهر أمره من قبلها، فهل يسوغ لامرء ان يشك في تأليف نهج البلاغة وشروحه بحجة أنها مشتملة على مسائل الهيئة المتأخرة عن الألف الهجري؟»^(١).

وإلى ذلك يشير ابن أبي الحديد بقوله: «ان التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الالهية، ما عرفت إلا بكلام هذا الرجل [= الامام عليّ عليه السلام] وان كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصورونه، ولو تصوّروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندي من أعظم فضائله»^(٢).

الشبهة السادسة - الوصف الدقيق:

قال الأستاذ زكي مالفظه: «من بواعث الشك فيه الوصف الدقيق، وأجل مظهر له خطبته في وصف الخفاش ووصف الطاووس ووصف النملة، ونحن لانكاد نفقه للشك في ذلك معنى، هاك وصف الخفاش وعدته أحد وعشرون سطرًا، تأمله تجده مفتتحاً بدبياجة في حمد الله الذي ينحسر الوصف عن كنه معرفته ، ولا تبلغ العقول غاية ملكوته، وأنه خلق الخلق على غير تمثيل ولا معونة معين.. الخ ، وهذه استغرقت ستة أسطر، ثم عرج على وصف الخفاش - وننبهك إلى أنّ وصف الخفاش أو غيره ليس مقصوداً لذاته وانما هو لبيان حكمة القدير العليم وكمال مقدرته - وبتأمله ترى تسعة أسطر منه ونصف سطر تدور معانيها على محور واحد، خلاصته أنها تسدل جفونها بالنهار

(١) ماهو نهج البلاغة: ٥٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٠.

على أحداقها وتجعل الليل سراجاً تستدل به في التماس أرزاقها، وتعجب من أن تعشى أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذهبها. ثم أربعة أسطر ونصف سطر في أن الله جعل لها أجنحة رقيقة من لحمها غير ذوات ريش ولا قصب تطير بها، وأنها تطير وولدها لاسق بها لاجيء إليها لا يفارقها حتى تشتد أركانه، ثم السطر الختامي في تسبيح الباري الخالق لكل شيء على غير مثال.

هذا وصفه للخفاش - وقد تعمّدنا أن نسوق لك العبارات السالفة مقتبسة منه بنصها - فهل ترى بعد هذا الوصف دقيقاً، وهل تجد فيه من النظر الفلسفي والتشريح الطبي ما يبعث على تصوّر الدقة فيه، وهل فيه دقائق من المعاني والأفكار التي لا يرتقي إليها إلا العقول السامية؟

وقد ذكر مثل ذلك في النملة، ومما قال: إنها تنقل الحب إلى جحرها وتجمع في حرّها لبردها، وإنها لا يغفلها المنان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس، وإنك لو فكّرت في مجاري أكلها وما في الجوف من شر اسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقتها عجباً ولقيت من وصفها تعباً.

وقد أنصف الاستاذ زكي حيث قال في ردّ هذه الشبهة مالفظة: «وأخالك بعد إجمالة النظر في هذا الوصف تحكم أنه لا أثر للدقة فيه، وإنما هو في الواقع مقال وعظمي تذكيري وليس من الوصف العلمي في شيء، وكأنني بهم يعنون بالدقة ما ورد فيه من قوله: «وما في الجوف من شر اسيف بطنها» ونحن نقول: إنّه يرمي بذلك أنك إذا قستها بغيرها من الحيوان الذي تتبين أجزاء أجهزته المكوّنة لجسمه في وضوح وتمييز عجبت كيف احتواها جسمها الضئيل الدقيق، وهو يروم أن يخلص من ذلك إلى إعظام خالقها اللطيف القدير.

أما ما ورد في كلامه من السجع فليس بيدع أن يسجع علي، وقد جاء فيه سجع مقبول متسق لا يستوحش منه، وأنت إذا تأملت خطب الجاهلية ألفت كثيرًا منها مسجوعاً، ولو أننا جارينا القائلين بأن مقداراً وافراً منها سبك في صدر الإسلام لكان ذلك حجة، على أنّ الكتاب كانوا - قبل عصر الشريف الرضي - ينزعون إلى التسجيع، والقرآن الكريم -

وان كان نثره خارجاً عن أن يوصف بسجع أو إرسال - لا يخلو في الواقع من هذه الحلية، وقد تبني آيات وفيرة العدد بل سورة طويلة كاملة على قافية واحدة - انظر سورة مريم والقمر والرحمن والدر - وكذلك ورد السجع في كلام الرسول ﷺ. على أني أخالك تسلم معي بأن الخطب المسجوعة - سجعاً غير متنافر - لها رنين في قرارة النفس يهز الأفتدة ويأخذ بمجامع الأبواب، وأن لها نصف تأثير الشعر - إذ توافر فيها أحد شرطيه - وعلي في خطبه ينبغي أن يلين القناة الجامدة ويجمع الأهواء الشاردة ويستهيوي الافئدة المستعصية.

على أننا مع هذا كله لانطمئن إلى جميع ماورد في النهج من كلام مسجع، ولا نرتاح إلى الثقة به ثقة مطلقة»^(١) ثم ذكر موارد السجع في الخطبة الغراء وغيرها .

وغريب جداً ما في ذيل كلامه ، فإذا كان الكتاب قبل عصر الشريف الرضي ينزعون إلى السجع وأن القرآن الكريم لا يخلو في الواقع من هذه الحلية في آيات وفيرة العدد - كما صرح - بأن سورة طويلة كاملة على قافية واحدة - إذاً لماذا لانطمئن إلى الكلام المسجع في النهج؟ وهل يمكن القول بهذا - نعوذ بالله - في القرآن الكريم! مع أن منابع الثقافة والفكر للإمام علي وغيره من الصحابة كان هو القرآن الكريم ، وماذا بعد وجود الحجة إلا النطق الذي لا يسانده حجة.

ثم قال الاستاذ زكي: «ولا يسبقن إلى ذهنك من دفعنا بعض هذه الشبه أنا نروم أن نثبت للإمام كل ماورد في نهج البلاغة بحذافيره ونقطع بصحة اسناده إليه قطعاً، لا بل أننا نعتقد أنه لا يخلو من الدخيل كما بيّنا لك»^(٢). وزاد قائلاً: «واننا نسوِّغ لأنفسنا أن نقول: من الجائز أن يكون بعض غلاة الشيعة قبل الشريف الرضي قد دسوا على الإمام بعض الخطب أو زادوا فيها ما ليس وقد كان العراق عشاً للشيعة»^(٣).

(١) ترجمة علي بن أبي طالب: ١٥٠ - ١٥٢.

(٢) مشيراً إلى الشبهات: ٣ - ٦، وانظر ترجمة علي بن أبي طالب: ١٥٦.

(٣) ترجمة علي بن أبي طالب: ١٥٨.

وغريب جداً هذا النوع من الاستدلال بالشك والتهمة واعتبارهما حجة ؛ إذ أنّ للمقاريء المنصف أن يسوّغ لنفسه ذلك ويقول: من الجائز أن لا يكون الرواة قد دسّوا على الإمام في شيء من الخطب ، وأن لم يزيدوا فيها شيئاً ، وقد كان العراق عشاً للشيعة حيث عاش الإمام فيهم وهم أعرف به وبخطبه من غيرهم ، ومن هنا انفردوا بالرواية عنه والإكثار ، دون غيرهم ممّن لم يعيش مع الإمام في حياته العامة ، ولم يشارك بعد في حروبه ولم يؤيده في موافقه ومن لم يسر على خطاه بعد وفاته ، ولم يعن بترائه كمثل أعلى في حياته . فالشبهات في نفسها لا تقوم حجة ، وقد عرفت أن مبعث الشكوك إنّما هو الاختلاف في العقيدة والمذهب أو احتمالات مجرّدة عن الدليل ، وليس شيء من الأمرين حجة لمن أنصف في البحث .

الشبهة السابعة - الإخبار بالغيب :

وبعد الاستاذ أحمد زكي كرّر هذه الشبهات كلها أو بعضها كثير من الكتاب ، وإليك بعض ما انفرد به بعض من تأخر عنه .

قال عباس محمود العقاد في العبقريات الإسلامية مانصه : «ومن المحقق الذي لا خلفة فيه من الشك عندنا أن النبوءات التي جاءت في نهج البلاغة عن الحجاج بن يوسف وفتنة الزنج وغارات التتار وما إليها ، هي من مدخول الكلام عليه ، ومما أضافه النساخ إلى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل .

ولا نجزم مثل هذا الجزم في أمر المقامات التي خلت من بعض الحروف ؛ لأنّ العقل لا يمنعها قطعاً كما يمنع استطلاع الغيب المفصل من أزياج النجوم ، ولكننا نستبعد جداً أن تكون هذه المقامات من كلام الإمام لاختلاف الأسلوب واختلاف الزمن وحاجة النسبة هنا إلى سند أقوى من السند الميسر لنا بكثير»^(١) .

قد أشار إليها وأجاب عنها سيدنا الشهرستاني ، ونكتفي بقوله حيث أتى بالحق الواضح

(١) العبقريات الإسلامية : ٧٥٢ .

فقال: «إنَّ المجموع من خطبه عليه السلام يتضمَّن أنباء غيبية وأخبار الملاحم والفتن مما يختص علمه باللَّه وحده. والجواب عنها: أن الغيب يختص علمه باللَّه سبحانه ومن ارتضاهم من انبيائه وأوليائه، وكم حوت السَّنة النبوية أنباءً غيبية وأخباراً عن الملاحم والفتن، وما ذلك عن النبي الكريم إلَّا بوحي من ربه العليم الخبير، كذلك لا ينطق ابن عمه وريبب حجره وصاحب سره في الملاحم والخفايا إلَّا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد قيل له عليه السلام: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب؟ فأجاب عليه السلام: «ليس هو بعلم غيب وإنما تعلَّم من ذي علم». ولا غرو فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيه أنه قال: «أنا مدينة العلم وعليَّ بابها» وقول عليٍّ عليه السلام: «لقد علَّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب».

فمن اختص من مهبط الوحي ومدينة العلم بمثل هذا الاختصاص لا يستغرب منه أن يملأ الكتب من أسرار الكائنات وكامنات الحوادث، ولنعزل عن خطبه المروية في النهج ونسلك آثاره المتواترة في التاريخ، فقد روى عنه المؤرخون كالمسعودي في مروج الذهب وابن أبي الحديد في شرح النهج وابن بطة في الإبانة وأبي داود في السنن وغيرهم في غيرها إنَّه تنبأ بمصير الخوارج حينما أخبره الناس بأنهم عبروا النهر، قال عليه السلام: «لا يفلت منهم عشرة، ولا يقتل منا عشرة» فكان الأمر كذلك. واستفاض عنه الخبر بمقتله وإنه سوف يخضب أشقاها هذه من هذه - وأشار بيده إلى لحيته وجبهته - وكان إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

واستفاضت أنباؤه في توسُّع ملك بني أمية وبني العباس، وخبره بمقتل الحسين في كربلاء»^(١).

(١) ماهو نهج البلاغة: ٥٥، وراجع ص ٢٠٨ من المجلد الأول من شرح ابن أبي الحديد على النهج، ففيه جمهرة من الروايات في إخباره عليه السلام عن المغيبات، وكذا ص ٤٢٥ منه.

الشبهة الثامنة - العلاقة بين الإنشاء والقلم:

قال احسان عباس: «ومن قرأ الخطب التي ثبتت نسبتها للإمام عليّ، استطاع أن يميّزها بأسلوب قائم على الإيجاز الشديد والقوة المتدافعة والحدة المنفعلة، ووجد فيها استثنافاً كثيراً، وتقطّعا لا يطول معه أمد النفس، وتلويحاً يلحق كثيراً من أقواله بالأمثال الموجزة، بينما يجد في نوع آخر من الخطب تسلسلاً منطقيّاً قائماً على العلاقة بين الإنشاء والقلم، وترابطاً بين أجزاء الجملة، وإكثاراً من الاستعارات، وطولاً في الكلّ والجزء لا يتلاءم وطبيعة الرواية الشفوية، مما يجعلنا نخالف ابن أبي الحديد في أن النهج نسق واحد ونفس واحد»^(١).

ونقف معه في نقطتين، أولاً: في فهمه كلام ابن أبي الحديد: فقد مثل ابن أبي الحديد نظم النهج في منبعه ومنهجه وأسلوبه بالقرآن الذي أوله كأوسطه وأوسطه كآخره، وهذا لا يعني توافق الأول والأوسط بالطول والقصر والإيجاز والتفصيل وماشابه، فإنّ السور القصار تختلف عن السور الطوال في كل ذلك، ولكنه تنظير بوحدة القرآن منبعاً ومنهجاً وأسلوباً وغاية.

ثانياً: ان الخطب ككلّ المحاورات البشرية تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة وحالات المتكلّم وكذلك حالات المخاطبين، فكل حالة تقتضي أسلوباً خاصاً، فلا فيمكن أن يكون أسلوب الخطبة في صلاة الجمعة نفس الأسلوب في التعبئة العامة للحرب، وحتى في الحرب، فإنّ الخطب لمقدمات الحرب تختلف في الأسلوب عن الخطب عند المواجهة العسكرية، وهذه الحالات كلّها تختلف عن خطبه بين الأصحاب حيث لا حرب ولا ضراب، فمن الطبيعي أن نجد الإيجاز الشديد في بعضها والتسلسل المنطقي في آخر، وإنّي لأرى أنّه لو كانت الخطب على نسق واحد لكانت مبعثاً للشك والتصنّع دون ماهي عليه الحال، ونظرة عابرة إلى الفترات الزمنية لهذه الخطب تكشف عن اختلاف الحالات النفسية فيها:

(١) الشريف الرضي: ٥٧.

١- المناسبات الدينية كالعيد والجمعة والاستقساء ٤: ٣، ٧: ٢٢١، ٨: ٢٤٤.

٢- المناسبات السياسية في الشورى ١: ١٦٢ و ١٨٤ و ١٩٧، ٣: ٣٤.

٣- التعبئة للحرب في معركة الجمل ٣: ١١٣.

٤- ساحة الحرب في صفين ٣: ١٥٠.

٥- ساحة الحرب في النهروان ٢: ٢٦٥، ٣: ١٧٢.

الشبهة التاسعة - الأعداد والتقسيم المتوازية:

وذهب فؤاد أفرام البستاني إلى الشك من جهة طريقة الأعداد والتقسام المتوازية، وقال مالفظه: «بيد أنا نرى سبباً جديداً يدفعنا إلى الشك في بعض مقاطع حكمية وتفسيرية من التي تدخل فيها الأعداد والتقسيم المتوازية، المتشعبة، المتفقة عدداً كقوله: «الاستغفار على ستة معانٍ» و «الايمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهد. والصبر منها على أربع شعب... الخ» بتقسيم كل دعامة إلى أربع شعب، وكذلك الكفر وتقسيمه إلى أربع دعائم، والشك إلى أربع شعب؛ وغير ذلك. فإن استعمال الطريقة العددية في الشروح، وتقسيم الفضائل أو الرذائل على أسلوبها، لانراه في الآداب الجاهلية، بل لانكاد نعرفه في الأدب الإسلامي إلا بعد ظهور كتاب «كليلة ودمنة» المعرب. وإذا علمنا أن إدخال الأعداد في الحكمة الاخلاقية، وفي ترتيب المجردات والمعقولات، له الدور المهم في المذاهب المتشعبة عن الطريقة الفيثاغورية أو الافلاطونية الحديثة؛ وإذا علمنا ان العرب لم يعرفوا هذه الفلسفة إلا بترجمة كتب اليونان في العصر العباسي الأول؛ وإذا علمنا أن الشريف الرضي كان من الحكماء الأجلاء، والعلماء المعروفين، وانه عاش في العصر العباسي الثالث، ساغ لنا هذا الشك»^(١).

وهذه الشبهة تقوم على خلط أمرين:

الأول: اختصاص طريقة الاعداد بشعب من الشعوب دون آخر.

الثاني: كلفة طريقة الاعداد في بعض الشعوب دون بعض ، فدعوى الاختصاص يستلزم حصر التفكير في طائفة من البشر وسلبها عن غيرهم ، ولا نظن أحداً يقول بذلك. وأما غلبة اتباع طريقة خاصة وأسلوب خاص في التفكير والعبادات فأمر واقع. وطريقة الاعداد المستعملة في نهج البلاغة ليست غالبة، بل هي في موارد لا تتعدى رؤوس الأصابع.

وقد حصلت بالفعل هذه الطريقة في الحضارات الأخرى كالهند والفرس ، وكليلة ودمنة خير شاهد لذلك ، وكذلك في الاحاديث النبوية، بل لكل مفكر يريد أن يسرد الأسباب والنتائج ان ينظمها في تفكيره مترتبة بالاعداد وإن لم يذكرها بالأرقام، فإن التفكير في إطار الأرقام ليس حصراً على أمة خاصة، بل يعم كل المفكرين من البشر. وقد جاء الاهتمام بالعدد في القرآن الكريم في قصة ميعاد موسى بثلاثين ليلة واتمامها «بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة».

كما جاءت المواعظ النبوية معتمدة على التقسيم العددي من الآحاد والعشرات، وخاصة الأربعين حديثاً^(١).

وقد جمع الأحاديث العددية الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت/ ٣٨١ هـ) في تأليف مفرد بعنوان «الخصال» طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٩١ هـ.

كما جمع السيد محمد بن محمد بن الحسن الحسيني العيني (ت/ ١٠٦٨ ح) الأحاديث العددية من الآحاد والعشرات عن النبي والأئمة وغيرهم في كتاب «الاثني عشرية في المواعظ العددية» وطبع في سنة ١٣٢٢ هـ.

ثم جاء المتأخرون من المحدثين وتجاوزوا التقسيم العددي إلى المئات والألوف، واقتبس ذلك العلماء وكتبوا الألفية في النحو والفقه، منها الألفية في النحو لمحمد بن مالك الجبائي، والألفية في الفقه لمحمد بن مكي الشهيد الأول.

ومن ذلك يظهر بوضوح أن الاهتمام بالنظام العددي - بصورة بدائية - كان في القرآن

(١) راجع الذريعة ١: ٤٠٩ - ٤٣٦، طبعة النجف سنة ١٣٥٥ هـ.

الكريم والأحاديث النبوية ثم تطوّر حسب تطوّر الثقافة حتى العصور المتأخرة، ككل الأفكار الانسانية التي تتطوّر بتطوّر الحاجة والضرورة.

ولا يمكن للمنصف أن ينكر توافق الآراء في شيء أو أسلوب، ولا يمكن القول بالاقْتِباس إلا فيما إذا كثّر ذلك في الأسلوب المتأخر، وليس الأمر كذلك في النهج، فإن التقسيم العددي قليل بالنسبة إلى غيره من الأساليب مع أن المواعظ العددية في تراث النبي ﷺ كثيرة.

الشبهة العاشرة - طابع الصنعة:

وممن نقل عنه التشكيك في نهج البلاغة طه حسين، فقد نقل عنه سكرتيه د. محمد الدسوقي مالفظه: «رأيه في كتاب «نهج البلاغة»: ويرى العميد أن كتاب نهج البلاغة ليس كله للإمام علي كرم الله وجهه، فالنصوص المنسوبة للإمام علي في هذا الكتاب يغلب عليها طابع الصنعة، وما كان الإمام يخطب إلا أمر بخلا [هنا تصحيف، والصحيح: مرتجلاً] كعادة العرب جميعاً، ويقول العميد: ان في بعض كتب التاريخ مثل الطبري والبلاذري خطبا للإمام علي، وهذه يمكن قبولها وصحة نسبتها إليه، ثم أليس من الغريب ان تكون الأحاديث قد رويت بالمعنى والمسلمون أحرص عليها من أي كلام آخر، ويقال بعد ذلك: إن هذه الخطب المنمّقة للإمام علي، فضلاً عن شيوع كلمات في هذا الكتاب لم تظهر إلا في زمن المتكلمين، والذي أرجحه أن نهج البلاغة من تأليف الشريف الرضي، والمغفل هو ابن أبي الحديد، لأنّه يعتقد أن ما يشرحه خطب للإمام علي، ولذلك يتكلّف في شرحه ويستطرد استطرادات لا معنى لها»^(١).

وأقل ما يقال في هذا القول: التسرّع إلى الحكم من دون نظرة فاحصة إلى أسلوب

(١) نقل ذلك د. سلمان هادي طعمة في مقاله: «تأثير نهج البلاغة» المنشور في مجلة العرفان ص ٥٢٣ نقلاً عن مجلة العربي الكويتية، العدد ٢٠٧، في مقال بعنوان «تعليقات وأقوال مأثورة لطف حسين» بقلم د. دسوقي العدد ٢٠٧ (صفر ١٣٩٦ / شباط ١٩٧٦).

الرضي في جمع نهج البلاغة، ولو كان صادراً عن متعصب لكان التعصب عذراً له، دون من رجل علماني يتخذ الموضوعية في البحث شعاراً، ويمكن تلخيص كلامه في النقاط التالية:

١- ان مارواه مثل الطبري والبلاذري يمكن قبوله والقول بصحة نسبته إليه.

٢- ان الأحاديث قد رويت بالمعنى والمسلمون أحرص عليها من اي كلام آخر.

٣- شيوع كلمات في هذا الكتاب لم تظهر إلا في زمن المتكلمين.

والتعليق على هذه النقاط باختصار:

١ - ان مثل الطبري والبلاذري يمثلان محرراً الأخبار في العهد الأموي والحكم العباسي، ولا يمثلان وجهة النظر الشيعة التي كانت تعتبر أقلية، فكيف يعتمد عليهما في هذا المجال ويعتبر الحكم القائم ممثلاً للأقلية المحكومة!!

٢- ان الأحاديث فيها مارويت بالمعنى، وهي الأكثر، وفيها مارويت بالنص وخاصة الخطب والرسائل والحكم، فإنها انما تعمل لأجل أن تنقل من الحاضر للغائب، والحرص على النص فيها أكثر من غيرها.

٣- ان شيوع كلمات بمعانيها الاصطلاحية في عصر متأخر لا يستلزم عدم استعمالها في عصر متقدم بمعانيها اللغوية، بل ان المصطلحات لا تتحقق إلا مع سبق استعمالها في اللغة.

٤ - أضف إلى ذلك: ان كل مؤلف يأخذ القلم بيده ليكتب لا بد وان ينظر إلى غاية تأليفه، وقد صرح الرضي أن غايته هي جمع المختار من بليغ آثار الإمام عليه السلام من خطب ورسائل وحكم، فلم يكن هدفه الاسناد ولا بيان حال الرواة، بل دفعه إلى هذا الهدف ما اختص به من ذوق أدبي ساد عصره ومحفله، وبالمقارنة إلى ما تيسر من مصادره نجد أنه قد اقتطع مقاطع من خطبة طويلة ارتجلها الإمام واقتصر على مارآه بليغاً، ولم يذكر الخطبة بكاملها؛ لأنه لم يجد في غيرها من المقاطع التي اختارها الوصف الذي أراد. وهذا الأسلوب قد خفي على كثير من النقاد والمشككين.

وسياتي في أسلوب الجمع في شرح الخطبة: أنّ الشريف الرضي كان يلتقط من كلام أمير المؤمنين خصوص الجمل والمقاطع التي يراها جديرة بأن تكون نهجاً للبلاغة، دون غيرها من الجمل والمقاطع، فراجع. والجهل بأسلوب الرضي هذا أدّى إلى هذه الشبهة، فراجع.

واكتفي بهذه الشبهة وحلولها لمن أنصف. وبالجملّة: لم يستند هؤلاء في نقد نهج البلاغة سوى الظن والتخمين، وهذا لا يغني عن الحق شيئاً، وكأنّ كل موارد الخلاف في العقيدة أصبحت شبهة حول نهج البلاغة، وقد أنصف ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله: «كثير من أرباب الهوى يقولون: إنّ كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث، صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم، فضّلوا عن النهج الواضح وركبوا بنيات الطريق، ضلاله وقلة معرفة بأساليب الكلام - وبعد تفصيل قال: - لأننا متى فتحنا هذا الباب، وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله ﷺ أبداً، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك، وكل أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي ﷺ والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين، والخطباء، فلناصر أمير المؤمنين عليه السلام ان يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره، وهذا واضح»^(١).

وقد استنتج إمتياز علي عرشي من كلام ابن أبي الحديد المتقدم استنتاجاً غريباً، حيث عقّبه بقوله: «ويظهر مما سبق أن كثيراً من علماء القرن السادس الهجري كانوا يزعمون أن معظم ما في نهج البلاغة لا يصح اسناده إلى علي بن أبي طالب، وإنما ألفه قوم من فصحاء الشيعة منهم السيد الرضي»^(٢).

قال الجلالي: وهو استنتاج غريب، ويظهر أنّ الاستاذ فهم أنّ كلمة (ارباب الهوى)

ترادف كلمة (العلماء)، وهل يصح أن يقال بأن كل العلماء أربابُ الهوى، كلا، إنَّ ما ينقله ابن أبي الحديد إنما هو عن كثير من (أرباب الهوى) لا كلَّهم، ثمَّ إنَّه ليس جميع العلماء أرباب الهوى، فيصح أن يخصَّ استنتاج الاستناد العرشي (أنَّ كثيراً من علماء القرن السادس) ويكون الصحيح أن يقول: «أنَّ قليلاً من علماء القرن ... الخ».

وقد أنصف حديثاً الدكتور زكي مبارك في «نهج البلاغة» وفي «عبقريّة الشريف الرضي» بعد أن ذكر كلامه، وبطوله راعى جانب الحق ودرس الموضوع في منأى من العصبية المذهبية، فقال: «عندنا في هذا المقام مشكلتان: الأولى: عبقرية علي بن أبي طالب، عبقريته الخطابية والانشائية. والثانية: ضمير الشريف الرضي.

وتحدّث في كتاب «عبقريّة الشريف الرضي» عن المشكلتين، فقال: «فقد كان معروفاً أن ابن أبي طالب له مجموعة من الخطب تحدّث عنها الجاحظ في مطلع القرن الثالث، وهل يعقل أن تضع آثار ابن أبي طالب ضياعاً مطلقاً وكان في زمانه وبشهادة خصومه من أفصح الخطباء، فأين ذهبت آثاره في الخطابة والإنشاء؟ وهل يعقل أن تضع آثاره وحوله أشياع يحفظون كلّ ما ينسب إليه؟ هل يعقل أن يحفظ الناس أشعار العابثين والماجنين من أهل العصر الأموي وينسوا آثار خطيب قتل بسيفه الوف من أبطال الحروب؟ ومن الذي يتصوّر أن الذاكرة العربية تحفظ أشعار النصاري واليهود وتنسى خطب الرجل الذي غسل بدمه في يوم من أيام الفتن العمياء؟ وإذا جاز أن يحفظ الناس ما دسّه المغرضون على أمير المؤمنين فكيف يجوز أن ينسوا ما نسب إليه على وجه صحيح؟ - إلى أن قال - : أما ضمير الشريف الرضي فهو عندي فوق الشبهات، وهو خدّم التشيع بالصدق لا بالافتراء، فإن كان جمع آثار علي بن أبي طالب خدمة سياسية لمذهب التشيع فهو ذلك، ولكنها خدمة أديب بأسلوب مقبول، هو إبراز آثار أمير المؤمنين، ولا يعاب على الرجل أن يخدم مذهبه السياسي بجميع الوسائل والأساليب مادام في حدود العقل والذوق»^(١).

أما اعلام الشيعة: فقد أوضحوا موقفهم تجاه نهج البلاغة بما لا يختلف عن الروايات التي تحفظ بها كتب الحديث والتأريخ والأدب. قال شيخنا الشهرستاني: «الخطب والكتب والكلم المرويات في نهج البلاغة حالها كحال الخطب المروية عن رسول الله ﷺ التي بعضها متواتر قطعي الصدور، وبعضها غير متواتر فهو ظني السند لانحكم عليه بالانتحال والافتعال إلا بعد قيام الدليل العلمي على كذبه، كما اتنا لانحكم بصحته جزماً إلا بعد قيام الدليل، ومن أسند غير هذا إلينا فقد افترى علينا»^(١).

وقال الهادي كاشف الغطاء: «والخلاصة أن اعتقادنا في كتاب نهج البلاغة أن جميع ما فيه من الخطب والكتب والوصايا والحكم والآداب حاله كحال ما روي عن النبي ﷺ وعن أهل بيته في جوامع الأخبار الصحيحة وفي الكتب الدينية المعتمدة، وإن منه ما هو قطعي الصدور، ومنه ما يدخله أقسام الحديث المعروفة»^(٢).

الباب الأول

الاسناد إلى جامع نهج البلاغة الشريف الرضي

للاسناد إلى جامع نهج البلاغة طرق كثيرة فصلّنا عنها في «إجازة الحديث» وأنقاها ما عن سيّد المشايخ السيد هبة الدين الشهرستاني (ت/ ١٢٨١) في الإجازة العلوية، وأوقاها عمّن انتهت إليه مشيخة الاسناد في العصر الحاضر السيد شهاب الدين المرعشي (ت/ ١٤١١ هـ) في الإجازة الكبيرة، وأعلاها سنداً - واكتفي بذكره هنا - ما عن شيخي العلامة شيخ المحدثين في القرن الرابع عشر الشيخ محمد محسن بن علي بن محمد رضا بن محسن الرازي النجفي الملقب بآغا بزرك الطهراني، المتوفى في ١٨ ذي الحجة ١٣٨٩ هـ.

٢ - عن شيخه المحدث الميرزا حسين النوري (ت/ ١٣٢٠).

٣ - عن الميرزا هاشم الخوانساري (ت/ ١٣١٧).

٤ - عن السيد صدر الدين العاملي (ت/ ١٢٦٣).

٥ - عن محمد مهدي بحر العلوم (ت/ ١٢١٢).

٦ - عن محمد باقر الوحيد البهبهاني (ت/ ١٢٠٦).

٧ - عن والده محمد أكمل.

٨ - عن المولى محمد باقر المجلسي (ت/ ١١١١) بأسانيده.

٩ - عن والده محمد تقّي المجلسي (ت/ ١٠٧٠).

١٠ - عن بهاء الدين محمد العاملي (ت/ ١٠٣١).

- ١١ - عن والده الحسين بن عبد الصمد (ت / ٩٨٤).
- ١٢ - عن زين الدين الشهيد الثاني (ت / ٩٦٦).
- ١٣ - عن نور الدين علي بن عبد العال الميسي (ت / ٩٤٠).
- ١٤ - عن محمد بن المؤذن الجزيني.
- ١٥ - عن ضياء الدين علي.
- ١٦ - عن والده محمد بن مكّي الشهيد الأول (ت / ٧٨٦).
- ١٧ - عن السيد علي بن محمد بن زهرة الحلبي.
- ١٨ - عن كمال الدين بن محمد بن زهرة.
- ١٩ - عن شمس الدين محمد بن أحمد بن صالح.
- ٢٠ - عن أبيه أحمد بن صالح.
- ٢١ - عن راشد بن إبراهيم البحراني.
- ٢٢ - عن القاضي علي بن عبد الجبار.
- ٢٣ - عن قطب الدين الراوندي، أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت / ٥٧٣).
- ٢٤ - عن السيدين المرتضى والمجتبى، ابني الداعي الحسيني.
- ٢٥ - عن أبي جعفر الدوريسي.
- ٢٦ - عن الشريف الرضي.
- وبالاسناد عن القطب الراوندي (ت / ٥٧٣):
- ٢٤ - عن عبد الرحيم المعروف بابن الاخوة.
- ٢٥ - عن أبي الفضل محمد بن يحيى النائلي (الناقلي - خ ل).
- ٢٦ - عن أبي نصر عبد الكريم بن محمد سبط بشر الحافي.
- ٢٧ - عن الشريف الرضي.
- وبالاسناد عن القطب الراوندي (ت / ٥٧٣):
- ٢٤ - عن أبي نصر الغازي.

- ٢٥ - عن أبي منصور العكبري.
- ٢٦ - عن الشريف الرضي.
- وبالاسناد عن القطب الراوندي (ت/ ٥٧٣):
- ٢٤ - عن عبد الرحيم المعروف بابن الاخوة.
- ٢٥ - عن السيدة النقيبة بنت المرتضى.
- ٢٦ - عن عمّها الشريف الرضي.
- وبالاسناد عن الشهيد الأول (ت/ ٧٨٦):
- ١٧ - عن السيد تاج الدين محمد بن قاسم بن معيّة الديباجي.
- ١٨ - عن السيد علي بن عبد الكريم بن طاووس.
- ١٩ - عن السيد غياث الدين عبد الكريم بن طاووس (ت/ ٦٦٤).
- ٢٠ - عن عبد الله بن محمد بن بلدجي.
- ٢١ - عن كمال الدين حيدر بن زيد الحسني.
- ٢٢ - عن رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت/ ٥٨٨).
- ٢٣ - عن المنتهى بن أبي زيد بن كيا الجرجاني.
- ٢٤ - عن أبيه أبي زيد كيا الجرجاني.
- ٢٥ - عن الشريف الرضي.
- وبالاسناد عن ابن شهر آشوب (ت/ ٥٨٨):
- ٢٣ - عن السيد أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني المروزي.
- ٢٤ - عن أبي عبد الله محمد بن علي الحلواني.
- ٢٥ - عن الشريف الرضي.
- ونكتفي بهذه الأسانيد الخمسة، وطالب التفصيل يراجع المفصلات.

مع رواة نهج البلاغة:

إنّ سلسلة روايات نهج البلاغة من المؤلف الشريف الرضي مباشرة تبلغ ثمانية رواة حسب الأسانيد المتسلسلة ، وهم:

١- أحمد بن علي بن قدامة (ت / ٤٨٦).

٢- أبو عبد الله جعفر بن محمد الدوريسي (ت / ٤٠١).

٣- عبد الكريم سبط بشر الحافي (ت / ٢٢٧).

٤- محمد بن الحسن الطوسي (ت / ٤٦٠).

٥- محمد بن علي الحلواني (ت / ٥٢٠ ح).

٦- محمد بن محمد العكبري (ت / ٤٧٢).

٧- أبو زيد الكيابكي.

٨- النقيبة بنت السيد المرتضى.

١- أحمد بن علي بن قدامة (- ٤٨٦)

قال الذهبي في تاريخ الاسلام في حوادث سنة ٤٨٦ في ترجمة أحمد بن علي بن قدامة ، مانصّه: «القاضي أبو المعالي الحنفيّ، من بني حنيقة، البغداديّ، الكرخيّ، الشيعي، من أجيال الرافضة وعلمائهم وصلحائهم، له خبرة بالكلام والجدل والفقه. قرأ على: الشريف المرتضى، وعلى أخيه الشريف الرضيّ. روى عنه: الحسن بن محمد الاسترابادي الفقيه، وأحمد بن محمد العطارديّ الكرخي. ذكره ابن السمعانيّ في الذيل، وتوفي في شوال»^(١).

(١) تاريخ الاسلام، وفيات ٤٨٦ ص ١٦٨.

وقال شيخنا العلامة : « كان قاضي الأنبار، ومن تلاميذ المفيد، وقد قرأ عليه الارشاد إلى معرفة حجج الله على العباد في سنة ٤١١، ويرويه عنه السيد الأجل أبو الفتح يحيى بن محمد بن نصر بن علي بن حبا في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة على ما هو في أول بعض نسخ الارشاد. أقول: ويروي أيضاً عن الشريفين الرضي والمرتضى. وفي نزهة الأدباء؛ لعبد الرحمن بن محمد الأنباري، تلميذ أبي السعادات ابن الشجري: أنه توفي سنة ٤٨٦ في خلافة المقتدي، وكان له معرفة بالفقه والشعر، وكان أدبياً، انتهى. ويروي عنه القاضي عماد الدين الحسن بن محمد بن أحمد الأسترابادي، قاضي الري، كما في المناقب؛ لابن شهر آشوب. وعنه أيضاً نجم الدين حمزة بن أبي الأغر الحسيني أستاذ الإمام ضياء الدين فضل الله الراوندي»^(١).

والاسناد إليه اثنان:

الأوّل : أحمد بن محمد الموسوي .

عن العلامة الحلبي في اجازته لبني زهرة^(٢).

عن شاذان بن جبرئيل القمي.

عن فخار بن معد بن فخار الموسوي (ت/ ٦٣٠).

عن المحقق الحلبي جعفر بن حسن بن سعيد (ت/ ٦٧٦).

الثاني : القاضي أبي المعالي ابن قدامة (ت/ ٤٨٦).

عن أبي السعادات أحمد الماصوري العطاردي.

عن الشيخ الحسن بن علي بن عبيدة.

عن الشيخ علي بن نصر بن هارون، المعروف جده بالكال الحلبي.

عن الشيخ علي بن يحيى الخياط.

عن نجيب الدين محمد بن جعفر بن محمد بن نما الحلبي (ت/ ٦٤٥).

عن والده الشيخ جعفر بن نما الحلبي^(٣).

(١) الناس: ٢١.

(٢) البحار ١٠٧: ٧١ و ١١٠: ٤٧ والوسائل ٢٠: ٥٦.

(٣) البحار ١٠٩: ٤٧.

٢- جعفر الدوريسي (- ٤٠١ ح)

قال منتجب الدين: «الشيخ الجليل أبو عبد الله جعفر بن محمد الدوريسي، ثقة، عين، عدل، قرأ على شيخنا المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي البغدادي المعروف بابن المعلم، وعلى الأجل المرتضى علم الهدى أبو القاسم علي قدس الله أرواحهم، وله تصانيف منها كتاب الكفاية في العبادات، وكتاب عمل يوم وليلة وكتاب الاعتقاد. أخبرنا به الشيخ الإمام أبو الفتح الحسين بن علي الخزاعي، عن الشيخ المفيد عبد الجبار المقرئ الرازي عنه رحمهم الله»^(١).

وقال شيخنا العلامة: «جعفر بن محمد الدوريسي أبو عبد الله، ثقة عين عدل، قرأ على المفيد ابن المعلم والشريف المرتضى علم الهدى. له الكفاية وعمل اليوم والليلة وكتاب الاعتقاد يرويها عنه المفيد عبد الجبار المقرئ الرازي الذي هو من مشايخ أبي الفتوح الرازي كما ذكره منتجب الدين بن بابويه. أقول: هو الشيخ الجليل أبو عبد الله جعفر بن أبي جعفر محمد بن أحمد بن العباس بن الفاخر الدوريسي، الذي يروي والده أبو جعفر محمد عن سميّه أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق القمي كما ذكره في بعض أسانيد منية الداعي وغيره. ويروي صاحب الترجمة عن والده وعن المفيد والمرتضى وشيخ الطائفة وأبي عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن حسن بن عياش ابن إبراهيم بن أيوب الجوهري صاحب مقتضب الأثر، المتوفى ٤٠١. ويروي عنه محمد ابن أحمد بن شهریار - ثم ذكر جمعاً من الرواة عنه، ثم قال: - ويروي عن صاحب الترجمة أيضاً: الحسن بن يعقوب بن أحمد القاري الذي قرأ عليه في سنة ٥١٦، والشيخ الإمام أبو الحسن البیهقي بن أبي القاسم فريد خراسان وشارح نهج البلاغة. وهكذا يروي عن صاحب الترجمة: والد فريد خراسان وهو أبو القاسم زيد بن محمد البیهقي كما صرح به في أول شرح النهج، ويروي عن صاحب الترجمة أيضاً المفيد عبد الجبار بن عبد الله ابن علي الرازي، ويروي عنه أيضاً حفيده: محمد بن موسى بن جعفر الذي هو جدّ عبد

(١) فهرست منتجب الدين: ٣٧، الترجمة ٦٧.

اللَّهُ بن جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر الدوريسي، ويروي عبد الله - هذا - عن جدّه محمد بن موسى عن جدّه جعفر بن محمد صاحب الترجمة. ويروي عنه أيضاً: أبو منصور علي بن عبد الواحد (الله - خ ل) الزيادي كما في بعض أسانيد جامع الأخبار . وبقي صاحب الترجمة إلى سنة ٤٧٣ كما يظهر من كتاب ثاقب المناقب على ما أورد عنه صاحب الروضات في ص ٥٩٧ وهي حكاية أبي عبد الله المحدث أملاها المفيد على صاحب الترجمة في سنة ٤٠١ بالعربية، ثم ترجمها صاحب الترجمة بالفارسية بخطّه في ٤٧٣، ثم عرّب الفارسية صاحب ثاقب المناقب وأدرجه في كتابه المذكور سنة ٥٦٠ كما فصلّناه في الذريعة ج ٥ ص ٥»^(١).

وأسانيد أبو جعفر الدوريسي في النسخ التي وقفت عليها كالآتي:

الأول - أبو الحسن محمد بن أبي محمد الحسن بن إبراهيم:

عن أمين الدين أبي القاسم المرزبان بن الحسين المدعو «ابن كميح».

عن محمد بن أبي نصر محمد بن علي (ت/٥٨٧).^(٢)

عن يحيى بن أحمد بن يحيى بن سعيد، كاتب الإجازة (ت/٦٥٩).

عن قراءة الحسن بن علي بن محمد بن علي المعروف الحسني^(٣).

الثاني - السيدان المجتبي والمرتضى إنا الداعي الحسني الحلبي:

عن قطب الدين أبي الحسن الراوندي.

عن الفقيه عزّ الدين أبي الحرث محمد بن الحسن بن علي الحسني البغدادي.

عن السيد محيي العرب أبي حامد محمد بن علي بن عبد الله بن زهرة الحسني

الحلبي.

عن قراءة نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن أردشير بن محمد الطوسي عام ٦٧٧^(٤).

(١) النابس : ٤٤. (٢) كما في نسخة مكتبة محفوظ برقم ١٠٥٩.

(٣) كما في نسخة مكتبة المرعشي برقم ٥٦٩٠.

(٤) مكتبة الحكيم: ٦٦.

الثالث - ضياء الدين علم الهدى:

عن أبي نصر علي بن أبي سعد بن الحسن المتطبب (كاتب النسخة في سنة ٥٨١هـ)^(١).

الرابع - أبو القاسم زيد بن محمد البيهقي:

عن فريد خراسان أبو الحسن البيهقي^(٢).

الخامس - الشيخ جعفر الدوريسي الفقيه [= عبد الله جعفر بن محمد]:

عن الإمام الزاهد الحسن بن يعقوب بن أحمد القاري في سنة ٥١٦هـ.

عن الإمام أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المعروف بابن فندق وفريد خراسان شارح

نهج البلاغة (ت/٥٦٥)^(٣).

قال ياقوت في معجم البلدان ط / ١٦٩٥: «دوريس: بضم الدال، وسكون الواو

والراء أيضاً، يلتقي فيه ساكنان ثم ياء مفتوحة، وسين مهملة ساكنة، وتاء مثناة من فوقها:

من قرى الرّي، ينسب إليها عبد الله بن جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر أبو محمد

الدوريسي، وكان يزعم أنه من ولد حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ، أحد فقهاء

الشيعة الإمامية، قدم بغداد سنة ٥٦٦هـ وأقام بها مدة وحدث بها عن جده محمد بن موسى

بشيء من أخبار الأئمة من ولد عليّ (عليه السلام)، وعاد إلى بلده، وبلغنا أنه مات بعد سنة

٦٠٠ بيسير»^(٤).

(١) نسخة م / محفوظ بتاريخ ١٠٥٩.

(٢) شرح النهج للبيهقي نسخة مكتبة الامام بتاريخ ٥٥٢.

(٣) ترجمة ياقوت ١٣: ٣١٩، الذريعة ١٤: ١٣٨، نسخة شرح نهج البلاغة المؤرخة بسنة:

٥٥٢ في مكتبة الامام، المستدرک ٣: ٤٩٣، الذريعة ١٤: ١٣٩.

(٤) معجم البلدان ٢: ٤٨٤.

٣- سبط بشر الحافي (٢٢٧ -)

ترجم الميرزا باقر الخوانساري (ت/١٣١٣) في روضات الجنات. بشر الحافي بن الحارث بن عبد الرحمان، ومما قال: «ومن أسباطه الشيخ أبو نصر عبد الكريم بن محمد الهاروني الديباجي المعروف بسبط بشر الحافي، وكان من علماء الإمامية كما في الرياض»^(١).

وترجمه ابن خلكان (ت/٦٨١)، ومما قال: «أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، وكان اسم عبد الله بعبور، وأسلم على يد علي بن أبي طالب عليه السلام، المروزي المعروف بالحافي، أحد رجال الطريقة رضي الله عنهم؛ كان من كبار الصالحين، وأعيان الأتقياء المتورعين، أصله من مَرَوْ، من قرية من قراها يقال لها. ما برسام، وسكن بغداد، وكان من أولاد الرؤساء والكتاب.

وكان مولده سنة خمسين ومائة. وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين، وقيل: سبع وعشرين ومائتين، وقيل: يوم الأربعاء عاشر المحرم، وقيل: في رمضان بمدينة بغداد، وقيل: بمرو، رحمه الله تعالى.

وكان لبشر ثلاث أخوات، وهنّ مضغة، ومُخَّة، وزُبْدَة، وكنّ زاهدات عابدات ورعات، وأكبرهنّ مضغة ماتت قبل موت أخيها بشر، فحزن عليها بشر حزناً شديداً، وبكى بكاء كثيراً، فقيل له في ذلك، فقال: قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصّر في خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه أختي مضغة كانت أنيستي في الدنيا»^(٢).

ولا يعلم انه من من الأخوات هي أم أبي نصر عبد الكريم.

قال الافندي في الرياض مانصه: «الشيخ أبو بصير عبد الكريم بن محمد الديباجي المعروف بسبط ابي الحجام كان من مشايخ أصحابنا، وهو تلميذ الشريف، كذا حكاه بعض تلامذة الشيخ علي الكركي في رسالته المعمولة في أسامي المشايخ، وكان في النسخة

(٢) وفيات الأعيان ١: ٢٧٦، ط/١٩٦٨.

(١) روضات الجنات ٢: ١٢٩.

سقم وتصحيف. فلاحظ. ولعل مراده بالشريف هو السيد المرتضى، فلاحظ»^(١).
ويظهر موارد التصحيف في كلمات (ابو بصير) و(ابي الحجام) وكذا في تحديد المراد
من الشريف؛ فإنّ الاسناد المتقدم ينفي هذه الوجوه.
والأسانيد إلى أبي نصر عبد الكريم بن محمد الهروي الديباجي المعروف بسبط بشر
الحافي كالآتي:

الأول - أبو الفضل محمد بن يحيى النائلي:

- مكّي بن أحمد المخلطي.

- فضل الله بن علي الحسني الراوندي.

- عبد الله بن حمزة بن عبد الله الطوسي في سنة ٥٩٦ (كاتب الإجازة).

- تاج الإسلام محمد بن الحسين بن الحسن الكيدري البيهقي^(٢).

الثاني - الشيخ أبو الفضل محمد بن يحيى النائلي:

- عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن خالد الشيباني، أبو الفضل

بن الاخوة البغدادي بتاريخ ٥٤٦، بقاشان (كاتب الإجازة).

- قراءة الشيخ الإمام رشيد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الشعيري.

- سماع الشيخ الإمام السعيد سديد الدين فخر الأئمة محمد بن علي بن محمد

الطوسي بتاريخ ٥٤٦^(٣).

- علي بن فضل الله الحسني الراوندي (ت/٥٨٦).

- قراءة وسماع جمال الدين علي بن محمد بن الحسن المتطبّب^(٤).

(١) رياض العلماء ٣: ١٨٢، ط / ١٤٠١.

(٢) حدائق الحقائق، نسخة مؤرخة ٦٤٥ م / دانشگاه.

(٣) أعيان الشيعة ٧: ١٢٨، ط ٢، وانظر نسخة مكتبة المرعشي، رقم ٥٦٩٠.

(٤) نسخة مكتبة محفوظ، بتاريخ ١٠٥٩.

٤- محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠)

قال شيخنا العلامة: «محمد بن الحسن بن علي بن الحسن ، أبو جعفر الطوسي، شيخ الطائفة ، ولد بخرسان في رمضان ٣٨٥، أي بعد أربع سنين من وفاة الصدوق (ت/ ٣٨١)، وفي سنة وفاة هارون بن موسى التلعكبري، وقدم العراق في ٤٠٨ وله ثلاث وعشرون سنة، وتتلמד على المفيد (ت/ ٥١٣) خمس سنين وعلى ابن الغضائري (ت/ ٤١١) ثلاث سنين وابن الحاشر البزاز وابن أبي جيد وابن الصلت الذين توفوا بعد ٤٠٨، وشارك النجاشي (٣٧٢ - ٤٥٠) في بعض مشايخه، وهو الثالث من الاثني عشر الذين ذكرهم شيخنا النوري في خاتمة المستدرک ، وعاصر السيد المرتضى (ت/ ٤٣٦) ٢٨ سنة، ولم يدرك الشريف الرضي (ت/ ٤٠٦) - إلى أن قال: - بقي الشيخ في مشهد الغري [= النجف اليوم] مدة اثنتي عشرة سنة، وتوفي في ليلة الاثنين ٢٢ محرم ٤٦٠، وتولى غسله ودفنه تلاميذه : حسن بن مهدي السليفي، والحسن بن عبد الواحد العين زربي، وأبو الحسن اللؤلؤي . ودفن في داره فتحولت الدار مسجداً، وهو اليوم من أشهر مساجد النجف، قريب من الباب الشمالي للصحن والمعروف بباب الطوسي أيضاً»^(١).

قال الجلالی: وهذا ظاهراً لا یصح ؛ حيث ذكرت المصادر أن الطوسي حل بغداد عام ٤٠٨ اي بعد وفاة الشريف الرضي بعامين إلا أن تكون الرواية بالمكاتبة بينهما وهذا شائع في عرف المحدثين.

والاسناد إلى أبي جعفر الطوسي كالآتي:

- ابن معبد الحسيني .

- والد فضل الله الراوندي .

- علي بن فضل الله الحسيني (ت/ ٥٨٩) (كاتب الإجازة).

- قراءة وسماع جمال الدين علي بن محمد بن الحسن المتطبب^(٢).

٥- محمد بن علي الحلواني (- ٥٢٠ هـ)

قال شيخنا العلامة: «محمد بن علي الحلواني، أبو عبد الله، من تلاميذ الشريفيين الرضي والمرتضى، ويروي عنه أبو الصمصام ذو الفقار بن معبد الحسيني المتوفى قريباً من ٥٢٠، كما صرح بذلك ابن شهر آشوب في أول المناقب، والقطب الراوندي في أول منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة»^(١).

والأسانيد إلى أبي عبد الله محمد بن علي الحلواني بطرق ثلاثة، كالآتي^(٢):

الأول - السيد أبو الصمصام ذو الفقار بن معبد الحسيني المروزي:

- أبو جعفر محمد بن شهر آشوب المازندراني.

- السيد محيي الدين أبي حامد محمد بن علي بن عبد الله بن زهرة الحسيني الحلبي.

الثاني - يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي بالحلة (ت/ ٦٧٧):

- محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الرضا العلوي (ت/ ٧٣٠).

- قراءة السيد المرتضى نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن أردشير بن محمد الطبري

(ت/ ٦٧٧)^(٣).

الثالث - يحيى بن أحمد بن يحيى بن سعيد (كاتب الإجازة في ٦٥؟):

- قراءة السيد الأجل عز الدين الحسن بن علي بن محمد علي المعروف بابن الأبر

الحسيني^(٤).

(١) النابس: ١٧٣.

(٢) يراجع البحار ١٠٧: ١٩١ و ١١٠: ١١٥، الوسائل ٢٠: ٥٦٠.

(٣) كما في نسخة مكتبة السيد الحكيم برقم: ٦٦١.

(٤) كما في نسخة مكتبة المرعشي برقم ٥٦٩٠، ويراجع البحار ١٠٧: ١٩٨ والوسائل ٢٠: ٥٦.

٦- أبو منصور العُكْبَرِي (٣٨٢-٤٧٢)

قال الذهبي في تاريخ الاسلام: «محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز، أبو منصور العُكْبَرِي الإخباري النديم، فارسي الأصل. كان روايةً للأخبار والحكايات، مليح النادرة، حادّ الخاطر، طيّب العشرة، من أولاد المحدثين. وُلد سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة. وسمع بالكوفة من: محمد بن عبد الله الجُعْفِيّ، وبيغداد من: هلال الحَقَّار، وابن رزقويه، وأبي الحسن بن بشران. روى عنه: عبد الله النُّحْوِيّ، والحسين سِبْطُ الخِطَّاط، ويحيى بن الطَّرَاح، وإسماعيل بن السَّمَرَقَنْدِيّ. وقال الخطيب: كتبتُ عنه، وكان صدوقاً. وقال عبد الله بن عليّ سِبْطُ الخِطَّاط: كان يتشيع. وقال ابن خَيْرُون: إنّه خلط في غير شيء، وسمّع لنفسه فيه. وتوفي في رمضان. قال أبو سعد السَّمْعَانِي: قول ابن خَيْرُون لا يقدح فيه، لأنّ عمدة قدحه كونه استعار منه جزءاً، فنقل فيه سماعه وردّه، وما زالت الطلّبة يفعلون ذلك. قلت: وقع لنا المَجْتَبِيّ لابن دُرَيْد بعلو من طريقه، سمعناه من أبي حفص ابن القوّاس، عن الكِنْدِيّ إجازة: أنا سِبْطُ الخِطَّاط، أنا أبو منصور النديم، أنا أبو الطيّب محمد بن أحمد بن خلف بن خاقان العُكْبَرِي، أنا أبو بكر بن دُرَيْد^(١)». والنديم أيضاً يروي عن ابن ايوب الشافعي عن ابن يحيى عنه.

وقال شيخنا العلامة: «هو القاضي أبو منصور محمد بن أبي نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز العكبري، المعدّل الراوي عن أبي المفضّل الشيباني والرضي والمرتضى، ويروي عنه أبو نصر الغازي شيخ السيد والقطب الراونديين، ويروي عنه أيضاً السعيد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهریار الخازن، كما في صدر الصحيفة الكاملة السجادية، وهو معاصر لأبي علي الحسن بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن أشناس البزاز الراوي عن أبي المفضّل الشيباني»^(٢).

والاسناد إليه كالآتي:

- أبو منصور العُكْبَرِي، عن أبي نصر الغازي، عن القطب الراوندي^(٣).

(١) تاريخ الاسلام ٧٦ - ٧٧، الرقم ٥٧، حوادث سنة ٤٧٢.

(٢) النابس: ١٨٤.

(٣) كما في نسخة مكتبة المرعشي، رقم ٥٦٩٠.

٧- أبو زيد الكيابكي

جاء في أمل الآمل في ترجمة ولده: «السيد الجليل المنتهى بن أبي زيد بن كيابكي الكجّي، عالم فقيه».

وقال علي بن طاووس في المهج: «وحدّث - أيضاً - الشيخ السعيد السيد العالم التقي نجم الدين كمال الشرف ذو الحسين أبو الفضل المنتهى بن أبي زيد ابن كيابكي الحسيني في داره بجرجان في ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسمائة»^(١).

قال الجلال: وعليه يكون والده من القرن الخامس الذي روى عن الشريف الرضي.

والاسناد إلى أبي زيد بن كيابكي الجرجاني كالآتي:

- السيد المنتهى بن أبي زيد بن كيابكي الحسيني الجرجاني.

- محمد بن علي شهر آشوب السروي.

- السيد العالم كمال الدين حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن عبد الله

الحسيني.

- الشيخ العالم مجد الدين أبي الفضل عبد الله بن أبي الثناء محمود بن مودود بن

محمود بن بلدجي.

- الشيخ العالم كمال الدين ميثم بن علي البحراني الاوالي.

- محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الرضا العلوي.

- جمال الدين بن أحمد بن ابي المعالي الموسوي^(٢).

قال الافندي: «السيد أبو زيد عبد الله بن علي الكيابكي بن عبد الله بن عيسى بن زيد

بن علي الكحي الحسيني الجرجاني. الفقيه الجليل الفاضل العالم المعروف بالسيد أبي

زيد الكيابكي، يروي عن السيد المرتضى والسيد الرضي، ويروي عنه ولده السيد

المنتهى بن أبي زيد، ويروي ابن شهر آشوب عن ولده السيد المنتهى المذكور. وسيجيء

(١) أمل الآمل ٢: ٣٢٦ - ١٠٠٦، مهج الدعوات: ٢١٧.

(٢) اراجع البحار ١٠٩: ٤٥، المستدرک ٣: ٤٩١.

بعض ما يتعلّق بترجمته في ترجمة ولده المشار إليه. وقد مرّ السيد زين الدين عبد الله بن علي في كلام الشيخ منتجب الدين، ونحن أومأنا إلى احتمال اتحاده مع هذا السيد، فلاحظ^(١).

كلّ من تأخّر عن الأفندي اعتمد على كلامه في تعيين شخصية أبي زيد، منهم النوري في المستدرك^(٢)، وشيخنا العلامة في النابس^(٣)، وشيخنا المرعشي في الإجازة الكبيرة^(٤)، وكذلك شيخنا الشهرستاني في الإجازة العلويّة^(٥). وفي ما ذكره الأفندي مواقع للنظر:

الأول: ان ضبط (الكحي) بالحاء المهملة تصحيف، بل الكلمة بالجيم المعجمة نسبة إلى (كجّة)، وهي كما قال ياقوت: «كجّة بالفتح ثم التشديد مدينة يقال لها: كلار بطبرستان، وقيل: ولاية رويان»^(٦).

الثاني: ان كلمة (الكيابكي) تخفيف لعلمين مع ياء النسبة وأصلها (كيايياي)، وقد صرح^(٧) بأنّ (كياييا) بالفارسية تعني (من بيده الأمور).

قال الأفندي في ترجمة السيد حسن كيا بن القاسم بن محمد الحسيني مالفظه: «وكيا - على المشهور - لغة فارسية بمعنى الكبير والرئيس، وفي بعض تفاسير كتاب المثنوي للمولوي: أن كيا بمعنى بزرگوار بالفارسية، وظني أنه من لغات أهل جيلان وطبرستان ومن في جوارهم من أهل البلاد، وذلك كما يقال بينهم من الاسامي: كاركيا، بزرگ اميد، ويؤيد كونه من لغة الفرس: أنه يقال في عرف الفرس: ان فلانا كياييا لفلان، يعني أن بيده أموره. ولعل الكها - ويقال: الكيا، بالياء المثناة التحتانية - أيضاً كما هو المتداول بين أهل الروم الآن، وقد عربّه أعراب هذا العصر بالكي، هو أيضاً بهذا المعنى، بل هو هذا اللفظ بعينه، ولكن قد بدل الياء بالهاء من غلط عوام الناس. فتأمل»^(٧).

(١) رياض العلماء ٣: ٢٢٩، طبعة سنة ١٤٠١ هـ.

(٢) مستدرك الوسائل ٢١: ٩١، ط / سنة ١٤١٦ هـ.

(٣) النابس: ١٠٨. (٤) الإجازة الكبيرة: ٣٩٦.

(٥) الإجازة العلويّة: ٩٤. (٦) معجم البلدان ٤: ٤٢٨.

(٧) رياض العلماء ١: ٣٠١.

الثالث: ان الافندي ترجم ابن المترجم بما لفظه: «السيد المنتهى بن أبي زيد بن كياكي الحسيني الكجي الجرجاني، عالم فقيه، يروي عن أبيه عن السيد المرتضى والرضي، ويروي عن الشيخ الطوسي. أقول: يروي عن الطوسي سماعاً وقراءة ومناولة وإجازة بأكثر كتبه ورواياته على ما يحتمله عبارة المناقب، وصرّح أيضاً فيه بأنه يروي عن أبيه أبي زيد عن المرتضى والرضي. وكان سلسلته من أعظم العلماء، فقد مضى ترجمة ولده السيد كمال الدين المرتضى بن المنتهى، وسيجيء ترجمة سبطه السيد تاج الدين المنتهى بن السيد كمال الدين المرتضى، وسبق ترجمة سبط سبطه، وهو السيد ناصر الدين محمد بن الحسين بن السيد تاج الدين المنتهى بن السيد كمال الدين المرتضى الحسيني المرعشي. ويروي عنه ابن شهر آشوب على ما يظهر من المناقب»^(١).

وما ذكره الافندي إنما هو تلخيص لكلام منتجب الدين. قال منتجب الدين ما لفظه: «[٣٧١] السيد الزاهد المنتهى بن الحسين بن علي الحسيني المرعشي: عالم ورع. [٣٧٢] ابنه السيد كمال الدين المرتضى: عالم، مناظر، واعظ، وله شرح كتاب الذريعة، التعليق، شاهده، ولي عنه رواية. [٣٧٣] سبطه السيد تاج الدين المرتضى: فاضل مبرز، مناظر، وله مسائل أصولية جرت بينه وبين الشيخ الإمام سديد الدين محمود الحمصي رحمهما الله. [٣٧٤] سبطه السيد ناصر الدين محمد بن الحسين بن المنتهى الحسيني: صالح، عالم، واعظ، قاضي قم»^(٢).

وهذه السلسلة من الأعظم كلهم من السادة المرعشية كما صرح منتجب الدين، نسبة إلى علي المرعشي بن عبد الله بن محمد بن حسن بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وهذا النسب يختلف تماماً عما ذكر في ترجمة أبي زيد المتقدمة، فالأمر يدور بين قولين:

الأول: أنها أسرتان تلتقيان في الإمام السجاد، أحدهما من ولده الحسين الأصغر، والأخرى من ولده زيد، فزل قلمه الشريف .

الثاني: انهم جميعاً من أسرة واحدة مرعشية، فزل قلمه الشريف في سلسلة النسب. ويؤيد الثاني: وصف ابن زيد بالداعي، وهي صفة مهّدت لحكم أعقابه في طبرستان، أولهم: مير قوام الدين مير بزرك (٧٦٠ - ٧٨٧) بن عبد الله بن محمد بن صادق بن عبد الله بن حسين بن علي المرعشي بن عبد الله بن محمد بن حسن بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن السجاد. ولم يحكم بنفسه بل جعل الحكم بين اولاده وانتخبوا أوسطهم كمال الدين (ت/٧٦٣) حاكماً على آمل^(١).

والحاصل: ان الافندي ذكر في نسب أبي زيد سلسلتين، هما:

أولاً: عبد الله - علي - عبد الله - عيسى - زيد.

ثانياً: علي المرعشي - عبد الله - محمد - حسن - الحسين الأصغر.

فقد أخطأ^(٢) في أحدهما، ولعلّه أخطأ فيهما معاً، فلعلّ ابو زيد هذا هو أبو زيد بن حسين بن أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين^(عليه السلام)، وأبو زيد هذا جدا آل كيا الحسينيون، الذين حكموا جرجان وماولاها من سنة ٧٦٩ إلى سنة ١٠٠٠ هـ، وكان أولهم: السيد علي كيا بن الأمير كيا بن حسين بن حسن بن علي بن أحمد بن علي الغزنوي بن محمد بن أبي زيد المذكور، وقد حكم من سنة ٧٦٩، إلى ٧٩١. وآخرهم: خان أحمد خان بن كيا الذي حكم من عام ٩٨٥ إلى ١٠٠٠ كما يظهر من التواريخ^(٢).

(١) راجع: تاريخ طبرستان رويان ومازندران؛ للسيد ظهير الدين المرعشي: ١٦٦ - ١٧٧،

ومقدمة محمد جواد مشكور ط / سنة ١٣٤٤.

(٢) ويراجع تاريخ گیلان و دیلمستان؛ لمير ظهير الدين المرعشي: ١٤.

٨- النقيبة بنت المرتضى

قال الأفندي: «كانت فاضلة جليلة، وتروي عن عمّها السيد الرضي كتاب نهج البلاغة، ويروي عنها الشيخ عبد الرحيم البغدادي المعروف بابن الاخوة، على ما أورده القطب الراوندي في آخر شرحه على نهج البلاغة على ماسبق في ترجمتي القطب الراوندي والشيخ زين الدين أبي جعفر محمد بن عبد الحميد بن محمد»^(١).

وقال كحالة: «بنت الشريف المرتضى: عالمة فاضلة، روت كتاب نهج البلاغة عن عمّها السيد الشريف الرضي. وعن ابن الاخوة البغدادي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ»^(٢).

قال الجلالى: ولعلّها هي التي هنّا الشريف أباه بمولدها بقصيدة مطلعها:

لبستُ الوغى قبل ثوب الغبار	وقارعتُ بالنصل قبل الغرار
إذا ما رعت في ربي جوده	هزال الأماني غدت كالشبار
وكم نديت من نداء المنى	ندى سمره بالنجيع الممار
ومن كنّ يهوين خلف الرجاء	فأمسين من جوده في قرار
كما قرّ قلبك يا ابن الحسين	من شوقه وعيون الفخار
بمولد غرّاء أعطيتها	بدوّ الأهلّة بعد السرار
أغارت على الحسن أسبابها	فأسبابه عندها في إسار
ولا عجب أن ترى مثلها	وزندك في كرم العرق واري
نثرن عليها سواد القلوب	وكان الهنا في خلال النثار
ولو أنصف الدهر لم تفتنع	بغير قلوب النجوم الدراري
هناك بها الله ماغرّدت	صدور القنا في أعالي نزار
وأحيا بها لك ميت العلنى	وأردى بها كلّ عاب وعار
وذلت عمائم قوم بها	كما أنّها شرف للخمار

(١) رياض العلماء ٥: ٤٠٩، ط / قم، سنة ١٤٠١.

(٢) اعلام النساء ٢: ٢٩٥، ط / دمشق سنة ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م.

فحسبك فخر بهذا المديح وإن غاض في المدح ماء افتخاري
يزورك بين قلوب العُداة فيقطعها في اتصال المزار
غدت كفّ مجدك من مدحتي تجول معاصمها في سوار^(١)
والإسناد إليها واحد، فانه يروي نهج البلاغة عنها : عبد الرحيم المعروف بابن الاخوة.
- وعنه القطب الراوندي، كما في نسخة م / المرعشي رقم ٥٦٩٠.
قال البيهقي : «والرواية الصحيحة من هذا الكتاب رواية أبو الأغر محمد بن همام
البغدادى تلميذ الرضى»^(٢).

(١) ديوان الشريف الرضى ١ : ٤٦٥ - ٤٦٧ .
(٢) شرح نهج البلاغة؛ للبيهقي، نسخة مؤرخة ٥٥٢ في مصورات المكتبة الرضوية، ولم أقف
على ترجمته.

نصوص الإجازات:

وإليك بعض نصوص الإجازات التي منها استخرجت الأسانيد المتقدمة مبدوءة بتاريخ الإجازة، ثم المجيز والمجاز ، ثم النص والمصدر.

السند الأول - إجازة فريد خراسان ابن فندق (ت/٥١٦):

«ونص الإجازة قال الشيخ الإمام السيد حجة الدين فريد خراسان أبو الحسن بن الإمام أبي القاسم بن الإمام محمد بن الإمام أبي علي بن الإمام أبي سليمان بن الإمام أيوب بن الإمام الحسن ، والإمام الحسن بن أحمد بن عبد الله الرحمن كان مقيماً بسيواري وناحية بالشتال من نواحي بست ، وهو الإمام الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عمر بن الحسن بن عثمان بن أيوب بن خزيمة بن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رسول الله ﷺ ، ويعرف بأبي الحسن بن أبي القاسم البيهقي المقيم بنيسابور حماها الله : قرأت كتاب نهج البلاغة على الإمام الزاهد الحسن بن يعقوب بن محمد انقاريء ، وهو وأبوه في ملك الأدب قمران، وفي حدائق الورع ثمران، في شهور سنة ٥١٦ (ستة عشر وخمسمائة) وخطه شاهد لي بذلك، والكتاب سماع له عن الشيخ جعفر الدورستاني المحدث [٢ / الف] الفقيه، والكتاب بأسره سماع لي عن والدي الإمام أبي القاسم زيد بن محمد البيهقي ، وله إجازة عن الشيخ جعفر الدورستاني وخط الشيخ جعفر شاهد عدل بذلك ، وبعض الكتاب أيضاً سماع لي عن رجال لي رحمة الله عليهم، والرواية الصحيحة من هذا الكتاب - رواية أبي الأغر محمد بن همام البغدادي تلميذ الرضي وكان عالماً بأخبار أمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

السند الثاني - إجازة الشعيري (ت/٥٤٦):

أوردها صاحب الرياض في ترجمة المجيز، وهذه صورتها: «قرأ عليّ هذا الكتاب بأسره الشيخ الإمام رشيد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الشعيري أدام الله

(١) شرح نهج البلاغة؛ للبيهقي ، نسخة مؤرخة سنة ٥٥٢ من مصورات المكتبة الرضوية ، ويراجع الدرعية ١٤: ١٣٩.

سعادته، قراءة صحيحة وقف فيها على معانيه، وبحث عن أقصى مقصوده وأدانيه، وسمع بقراءته الشيخ الإمام السعيد سديد الدين فخر الأئمة محمد بن علي بن محمد الطوسي، وصحّ لهما ذلك، ورويته لهما عن الشيخ أبي الفضل محمد بن يحيى الناخلي، عن أبي نصر عبد الكريم بن محمد الهروي الديباجي المعروف بسبط بشر الحافي، عن مصنفه رضي الله عنه، وأجزت لهما رواية هذا الكتاب عني وكذلك رواية جميع مالي أن أرويه عن شيوخهم رضي الله عنهم من مسموع لي منهم ومجاز وغير ذلك من معقول ومنقول. وكتب عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن خالد الشيباني أبو الفضل بن الاخوة البغدادي في شهر جمادى الأولى من شهر سنة ٥٤٦ هـ، بقاشان، والله الحمد وصلواته على محمد وآله»^(١).

وجاء على ظهر النسخة المرقمة ٥٦٩٠ في مكتبة المرعشي مانصّه: «يقول أبو الحسين الراوندي: أخبرنا السيد أبو محمد الحسن بن ... أبو عبد الله الحلواني عن الرضي هذا الكتاب، وعن ابن الاخوة البغدادي، عن أبي الفضل محمد بن يحيى الناقلي، عن أبي نصر عبد الكريم بن محمد الديباجي، عن الرضي. وللشيخ العالم زين الدين - هذا - أن يروي الكتاب كله بهذا الاسناد؛ فإنه أهل لذلك»^(٢).

وورد في الصفحة الاخيره من شرح القطب الراوندي مايلي: «محدث راوندي در آخر شرح خود بر نهج البلاغة انشا و نقل نمود از طريق عامة و ... وأخبرنا به أبو نصر الغازي عن أبي منصور العكبري عن الرضي. وأخبرنا أيضاً الشيخ عبد الرحيم البغدادي المعروف بابن الاخوة عن السيدة النقية بنت المرتضى عن عمها الرضي. وأخبرنا ابن الاخوة أيضاً عن الشيخ أبي الفضل محمد بن يحيى الناقلي عن أبي نصر عبد الكريم بن محمد الديباجي المعروف بسبط بشر الحافي، قال: قرأ على الشيخ الرضي هذا الكتاب»^(٣).

(١) أعيان الشيعة ٤٦٨:٧.

(٢-٣) راجع الصفحات الأخيرة من نسخة نهج البلاغة رقم ٥٦٩٠، في مكتبة السيد المرعشي

وأيضاً: «قرأ عليّ كتاب نهج البلاغة من أوّله إلى آخره الشيخ الإمام العالم زين الدين أبو جعفر محمد بن عبد الحميد بن محمد المدعو ابن عقدة قراءة إتقان ... هبة الدين بن الحسن حامداً مصلياً»^(١).

وأيضاً: «قرأ على الشيخ الإمام عبد الكريم عماد الدين جمال الحاج والحرمين علي بن يوسف بن الحسن دام توفيقه . وإلى كل ... هذا المجلد قراءة محقق مدقق، وأجزت له روايته عني عن جماعة عن المؤلف رضي الله عنه ... [كلمات لاتقرأ] القطب الراوندي»^(٢).

السند الثالث: إجازة علي بن فضل الله بن علي بن عبيد الله بن علي الراوندي (ت/ ٥٨٩ ح):

قال شيخنا العلامة في ترجمته: «وممن قرأ على صاحب الترجمة كتاب نهج البلاغة هو جمال الدين أبو نصر علي بن محمد بن الحسن المتطبّب بقم، قرأه عليه في ٥٨٩ بعدما قرأه في ٥٨٧ على شيخه الآخر الإمام زين الدين محمد بن أبي نصر القمي، فكتب صاحب الترجمة على النسخة بخطه ما لفظه: قرأ وسمع عليّ كتاب نهج البلاغة الأجل الإمام العالم الولد الأخص الأفضّل جمال الدين زين الإسلام شرف الأئمة علي بن الحسن المتطبّب أدام الله حمايته - إلى قوله : - عند ذكر روايته - عن المولى السعيد والدي سقاه الله صوب الرضوان، عن ابن معبد الحسيني، عن الإمام أبي جعفر الطوسي - إلى قوله : - ورويت عن الشيخ الإمام عبد الرحمن [كذا] بن الاخوة البغدادي، عن الشيخ أبي الفضل محمد بن يحيى الناطلي، عن أبي نصر عبد الكريم بن محمد سبط بشر الديباجي ، عن السيد الرضي، ورواه لي والدي ﷺ عن الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن المقرئ النيسابوري عن الحسن بن يعقوب الأديب، عمّن سمعه عن الرضي. كتبه علي بن فضل الله الحسيني حامداً مصلياً في رجب سنة تسع وثمانين وخمسائة». وكتب الشيخ جمال الدين أبو نصر القمي مانصه بخطه: «يقول العبد الضعيف

(١ - ٢) راجع الصفحات الأخيرة من نسخة نهج البلاغة رقم ٥٦٩٠، في مكتبة السيد المرعشي بقم.

أبو نصر علي بن أبي سعد الطبيب: أجازني السيد الكبير ضياء الدين علم الهدى بن الحسن بن أبي سعد كتاب (نهج البلاغة) عن السيد المرتضى الداعي الحسني، عن الشيخ أبي عبد الله جعفر بن محمد الدوريسي، و (الغريبين) عن الشيخ زاهر النيسابوري المستملي، عن أبي عثمان الصابوني، عن أبي عبد الله الهروي المؤدّب مصنّفه، و (غرر الفوائد ودرر القلائد) عن السيد حمزة بن أبي الأغر نقيب مشهد الحسين عليه السلام، عن ابن قدامة، عن علم الهدى، و (غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام)، عن أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، عن أبي نعيم الحافظ، عن سليمان الطبراني الشامي، عن علي بن عبد العزيز البغوي، عن أبي عبيد. وكتب في رجب سبع وثمانين وخمسمائة»^(١).

ثم قال شيخنا العلامة: «أقول: مراده من السيد الكبير ضياء الدين علم الهدى هو أبو الرضا فضل الله الراوندي الذي كان حياً سنة ٥٤٨، وكأنّه أجاز المتطب في أواخر عمره وأوائل عمر المتطب رواية هذه الكتب عنه بأسانيدها، ثم قرأ المتطب (النهج) على عزّ الدين علي بن ضياء الدين فضل الله الراوندي، بعد مدّة في قم سنة ٥٨٩، وقد بقي المتطب إلى ٦٠١ حيث كتب في هذا التاريخ على ظهر نسخة النهج انه قرأه على أبي نصر القمي في ٥٨٧ ثم عرضه على نسخة الراوندي، ثم قرأه في ٥٨٩ على ابن الراوندي، ويظهر من دعائه لهما في سنة ٦٠١ وفاتهما قبل ذلك. فذكرنا الاستاذين في السادسة والتلميذ في السابعة، ونسخة نهج البلاغة هذه رأيتها عند الشيخ حيدر قلي خان سردار الكابلي بكرمانشاه قبيل وفاته فيها ١٣٧٢. هذا، وممن يروي عن صاحب الترجمة هو أبو عبد الله محمد بن مسلم أبي الفوارس الرازي صاحب الأربعين، الذي نقل عنه ابن طاووس في اليقين»^(٢).

إجازة أبي نصر الطبيب:

ونص الإجازة في نسخة في مكتبة محفوظ كالاتي: «وكان في ظهر النسخة التي قوبلت نسختي بها مكتوباً: يقول العبد الضعيف أبو نصر علي بن أبي سعد بن الحسن

الطبيب أسعده الله في الدارين بحق النبي محمد سيد الثقلين عليه وعلى أهل بيته أفضل الصلوات وآلاف التحيات : أجازني السيد الكبير ضياء الدين علم الهدى عليه السلام كتاب نهج البلاغة للسيد الإمام الرضي ذي الحسين أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن الإمام محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن السيد المرتضى بن الداعي الحسني عن الشيخ أبي عبيد الله جعفر بن محمد الدورستاني عنه رضي الله عنه. والغريبين، عن الشيخ زاهر بن طاهر النيسابوري المستملي، عن أبي عثمان الصابوني، عن أبي عبيد الهروي المؤدّب مصنفة عليه السلام. وقرر الفوائد ودرر القلائد، عن السيد حمزة بن أبي الأغر تقيب مشهد الحسين صلوات الله عليه، عن أبي قدامة، عن علم الهدى رضي الله عنه. وغريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي، عن أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، عن أبي نعيم الحافظ، عن سليمان الطبراني الشامي، عن علي بن عبد العزيز البغوي، عن أبي عبيد رحمهم الله، وكذلك أجاز لي رواية جميع ما له روايته من منقول أو معقول. وكتب في رجب سنة ٥٨١ (سبع وثمانين وخمسمائة) هجرية حامداً لله تعالى مصلياً على سيدنا محمد وآله الطاهرين وهو حسبي ونعم الحسيب»^(١).

وجاء في نسخة الدكتور محفوظ المؤرخة ١٠٥٩ أيضاً: «كان مكتوباً في ظهر النسخة المنتسخ منها نسختي: يقول العبد الضعيف المسيء إلى نفسه في يومه وأمه: أبو نصر علي بن أبي سعد محمد بن الحسن بن أبي سعد الطبيب أسعده الله في الدارين بمحمد سيد الثقلين وآله مصاييح الملوك عليه وعليهم أفضل الصلوات وأمثلة التحيات: عرض هذه النسخة بعد القراءة على الإمام الكبير العلامة التحرير زين العابدين سيد الأئمة فريد العصر ابن أبي نصر سقاه الله شآبيب رضوانه وكساه جلايبب غفرانه على نسخة السيد الإمام الكبير السعيد ضياء الدين علم الهدى تغمده الله برحمته وتوّج معرقه بتيجان مغفرته، وصحّحتها غاية التصحيح، ثم بعد ذلك قرأته على أبيه السيد الإمام الكبير عز

الدين المرتضى رضي الله عنه وأرضاه، وسمعتها عليه قراءة استبحتت عن معانيه، وسماعاً استكشفت عن مبانيه - إلى أن كتب - وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٦٠١ (إحدى وستمئة) هجرية، ولله الحمد والمنة»^(١).

وكان مكتوباً في ظهر المنتسخ منها هذه النسخة: «قرأ عليّ ولدي الأعزّ الأنجب جمال الدين أبو نصر علي بن محمد بن الحسين المتطبب أبقاه الله طويلاً وآتاه من [لدنه] فضلاً جزيلاً، كتاب نهج البلاغة نسخته هذه من أولها إلى آخرها، وأجزت له روايته عني عن السيد الإمام العالم العارف ضياء الدين تاج الإسلام علم الهدى أبي الرضا فضل الله بن علي بن عبد الله الحسيني الراوندي، حباه الله في جواره جنانه وثقل بالحسنات ميزانه، قراءة عليه عن ابن معيثة عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي عليه السلام عن الرضي الموسوي رضي الله عنه وعني، عن الاستاد السعيد أمين الدين [كذا] أبي القاسم المرزبان بن الحسين المدعو ابن كميح وعن خاله... الأديب أبي الحسن محمد بن أبي محمد الحسن بن إبراهيم، عن الشيخ جعفر الدورستاني [ظ] عن الرضي رضي الله عنه وعنهم وعنّا جميعاً. وكتب محمد بن أبي نصر محمد بن علي سلخ شهر الله المرجب سنة ٥٨٧ (سبع وثمانين وخمسماية) هجرية نبوية، حامداً ومصلياً ومسلماً على نبيه محمد وعترته...»^(١).

وكان في ظهر النسخة التي عورضت نسختي بها: «قرأ وسمع عليّ كتاب نهج البلاغة الأجل الامام العالم الوالد الأخطى [كذا] الأفضل جمال الدين زين الإسلام شرف الأئمة علي بن محمد بن الحسن المتطبب أدام الله جماله وبلغه في الدارين آماله، قراءة وسماعاً يقتضيها فضله، وأجزت له أن يرويه عني عن المولى السعيد والدي سقاه الله صوب الرضوان، عن ابن معبد الحسيني، عن الإمام أبي جعفر الطوسي، عن السيد الرضي عليه السلام، ورويته عن الشيخ الإمام عبد الرحيم بن الأخوة البغدادي، عن الشيخ أبي الفضل محمد بن يحيى الناقلي، عن أبي نصر عبد الكريم بن محمد سبط بشر الديباجي، عن السيد

(١) و (٢) نهج البلاغة، نسخة مكتبة محفوظ المؤرخة بسنة ١٠٥٩.

الرضي عليه السلام. ورواه لي أبي قدس الله روحه ، عن الشيخ الإمام أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسن المقرئ النيسابوري ، عن الحسن بن يعقوب الأديب ، عمّن سمعه من الرضي عليه السلام. كتبه علي بن فضل الله الحسني حامداً مصلّياً في رجب سنة ٥٨٩ (تسع وثمانين وخمسمائة)»^(١).

وكتب شيخنا العلامة عليه السلام بخطه عن نسخة سردار كابللي ما لفظه: «[نهج البلاغة] عليه صورة إجازة السيد علي بن فضل الله الحسني في رجب سنة ٥٨٩ للشيخ علي بن محمد بن الحسن المتطبب ، عن الشيخ الإمام عبد الرحمن [كذا] بن الاخوة البغدادي ، عن الشيخ أبي الفضل محمد بن يحيى الناخلي ، عن أبي نصر عبد الكريم بن محمد سبط بشر الديباجي عن السيد الرضي ، وطرق أخرى»^(٢).

إجازة عبد الله بن حمزة الطوسي:

إجازة رواية نهج البلاغة مع سائر كتب الأصحاب من المجيز عبد الله بن حمزة بن عبد الله الطوسي في شهر رمضان سنة ٥٩٦ للمجاز تاج الإسلام مفتي العلماء مرجع الأفاضل محمد بن الحسين بن الحسن الكيدري البيهقي [على ماجاء في الإجازة] عن السيد الشريف السعيد الأجل أبي الرضا فضل الله بن علي الحسني الراوندي عن مكّي بن أحمد المخلطي عن أبي الفضل محمد بن يحيى الناقلي عن أبي منصور عبد الكريم بن محمد الديباجي المعروف بسبط بشر الحافي ، عن السيد الشريف الرضي عليه السلام ، وعن غير هؤلاء مشايخي .

توجد صورة الإجازة هذه في ذيل كتاب حدائق الحقائق ، النسخة المصورة الموجودة في مكتبة دانشگاه طهران ، والمؤرخة سنة ٦٤٥ هـ.

إجازة يحيى بن سعيد:

«الحمد لله وصلواته على محمد وآله ، قرأ عليّ كتاب نهج البلاغة من أوله إلى آخره

(١) نهج البلاغة ، نسخة مكتبة محفوظ ، المؤرخة بسنة ١٠٥٩ .

(٢) الثقات والعيون: ١٩٩ .

السيد الأجل الأوحـد العابد الصالح العالم عزّ الدين الحسن بن علي بن محمد بن علي المعروف بابن الأبرز الحسيني أعظم الله ثوابه وأعاد بركته قراءة صحيحة مهذبة تؤذن بعلمه وتقضي بفهمه، وأجزت له روايته عني عن السيد محيي الدين أبي حامد محمد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي رحمة الله عليه عن الفقيه محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، عن أبي الصمصام، عن الحلواني، عن المصنف.

وعن السيد المذكور، عن السيد عزّ الدين أبي الحرث محمد بن الحسن بن علي الحسيني، عن القطب الراوندي عن السيد بن المرتضى والمجتبى ابني الداعي الحلبي، عن أبي جعفر الدورستاني عن السيد مصنفه رضي الله عنهم أجمعين، فليروه متى شاء بشرط تجنّب التخليط والتصحيف، وكتب يحيى بن أحمد بن يحيى بن سعيد في سابع عشر من ... سنة خمس وخمسين وستمائة»^(١).

إجازة علي بن الحسن بن سعيد الهذلي:

وفي نسخة نهج البلاغة في مكتبة آية الله الحكيم بقلم السيد نجم الدين الحسيني الطوسي هذه القراءة على كاتب القراءة يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي بالحلة سنة ٦٧٧ هـ: «قرأ عليّ السيد الأجل الأوحـد الفقيه العالم الفاضل المرتضى نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن أردشير بن محمد الطبري أصلح الله أعماله وبلغه آماله، كل هذا الكتاب من أوّله إلى آخره فكمل له الكتاب كلّ، وشرحت له مشكله وأبرزت له كثيراً من معانيه، وأذنت له في روايته عني عن السيد الفقيه العالم المقرئ المتكلّم مجد الدين أبي حامد محمد بن علي بن عبد الله بن زهرة الحسيني الحلبي رحمته الله، عن الشيخ فقيه الدين أبي جعفر محمد بن شهر آشوب المازندراني، عن السيد أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني المروزي، عن أبي عبد الله محمد بن علي الحلواني، عن السيد الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي، وعنه عن الفقيه عزّ الدين أبي الحرث محمد بن الحسن بن علي الحسيني البغدادي، عن قطب الدين أبي الحسين

(١) نهج البلاغة، نسخة م / المرعشي رقم ٥٦٩٠.

الراوندي، عن السيدين المجتبى والمرتضى ابني الداعي الحسيني الحلبي، عن أبي جعفر الدوريسي، عن السيد الرضي، فليرومتي شاء [بياض] سنة ٦٧٧هـ.

وقال العلامة الحلبي (ت/٧٢٦هـ) في إجازته لبني زهرة مالفظة: «ومن ذلك جميع مصنفات السيد الشريف المرتضى أبي الحسن بن علي بن الحسين بن موسى الموسوي قدس الله روحه، وجميع رواياته وإجازته بالاسناد المقدم عن شاذان بن جبرئيل القمي، عن أحمد بن محمد الموسوي، عن ابن قدامة، عن الشريف المرتضى.

وبهذا الاسناد جميع مصنفات السيد الرضي - أخي المرتضى - ورواياته وديوان شعره ونهج البلاغة وغيره عن ابن قدامة عن السيد الرضي عليه السلام»^(١).

إجازة محمد بن الحسن بن محمد العلوي:

صورة إجازة محمد بن الحسن بن محمد العلوي المؤرخة سنة ٧٣٠هـ، للسيد محمد شمس الدين الموسوي، ونصها: «لله الحمد، قرأ عليّ السيّد الولد الأعزّ الفقيه العالم الفاضل شمس الدين جمال الإسلام مفخر السادة زين العلماء محمد بن السيّد الأجل الأوحد الكبير الحبيب النسيب جمال الدين بن أحمد بن أبي المعالي الموسوي أدام الله أيام شرفه ووفقّه لوطء آثار سلفه بمنّه ولطفه، كتاب نهج البلاغة من كلام سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه من أوّله إلى آخره قراءة كاشف عن معانيه باحث عن أسرار مطاويه.

وأجزت له روايته عني عن الشيخ السعيد نجيب الدين يحيى بن سعيد، عن السيّد الشريف محيي الدين بن محمد بن عبد الله بن عليّ بن زهرة الحسيني الحلبي، عن الفقيه رشيد الدين أبي جعفر محمد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني، عن السيّد أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني المروزي، عن أبي عبد الله محمد بن عليّ الحلواني، عن السيّد الرضي. وعن السيّد المذكور عن الفقيه الشريف قطب الدين أبي الحسين سعيد ابن هبة الله الراوندي، عن السيّد المرتضى والمجتبى ابني الداعي

الحسيني، عن أبي جعفر الدورستاني، عن السيّد الرضي.
وأجزت له الرواية أيضاً عنّي عن الشيخ العالم السعيد كمال الدين ميثم بن عليّ
البحراني الأوالي، عن الشيخ العالم فقيه السلف مجد الدين أبي الفضل عبد الله بن أبي
النّاء محمود بن مودود بن محمود بن بلدجيّ، عن السيّد العالم كمال الدين حيدر بن
محمد بن زيد بن محمد بن محمّد بن عبيد الله الحسيني، عن شيخه رشيد الدين أبي جعفر
محمد بن عليّ بن شهر آشوب السروي، عن السيّد المنتهى بن أبي زيد بن كيابكي
الحسيني الجرجاني، عن أبيه أبي زيد، عن المؤلف السيّد الرضي.
وبحق رواية ابن شهر آشوب أيضاً عن السيّد أبي الرضا فضل الله بن عليّ بن عبيد الله
الحسني الراوندي، عن المفيد أبي الوفاء عبد الجبار المقرئ الرازي، عن الشيخ الحافظ
أبي عليّ بن أبي جعفر الطوسي، عن المؤلف، فليرو ذلك متى شاء موقفاً نفعه الله.
وكتب محمّد بن الحسن بن محمّد بن أبي الرضا العلويّ في صفر ختم بخير لسنة
ثلاثين وسبع مائة»^(١).

إجازة الشهيد الأوّل (٧٣٤-٧٨٦):

ونصّ إجازة الشهيد، المؤرخة ٧٧٠، للشيخ شمس الدين بن نجدة مايلي: «وأما
مصنّفات الإمام العلامة السعيد ملك الأدباء علامة الفضلاء أبي الحسين محمّد الرضي
جامع كتاب نهج البلاغة من كلام الإمام الرّبّاني وارث علم رسول الله وخليفته أبي
الحسن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فإنّي أرويه عن جماعة كثيرة، منهم من
تقدّم إلى ابن شهر آشوب عن السيد الإمام أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني
المروزي عن السيّد الرضي بواسطة أبي عبد الله محمّد بن علي الحلواني رحمهم الله»^(٢).
وقال الشهيد الأوّل في إجازته المؤرخة سنة ٧٨٤ لابن الخازن الحائري: «ورويت
كتاب نهج البلاغة الذي هو معجز الإمام المفترض الطاعة أمير المؤمنين عليه عن جماعة
كثيرة، منهم الشيخ رضي الدين المزيدي عن شيخه الإمام فخر الدين البوقي بسنده
المشهور»^(٣).

(١) بحار الأنوار ١٠٧: ١٧٩ - ١٨٠. (٢) بحار الأنوار ١٠٧: ١٩٨.

(٣) بحار الأنوار ١٠٧: ١٨٩.

الراوندي، عن السيدين المجتبئ والمرتضى ابني الداعي الحسيني الحلبي، عن أبي جعفر الدورستاني، عن السيد الرضي، فليرو متى شاء [بياض] سنة ٦٧٧هـ.

وقال العلامة الحلبي (ت/ ٧٢٦ هـ) في اجازته لبني زهرة مالفظة: «ومن ذلك جميع مصنفات السيد الشريف المرتضى أبي الحسن بن علي بن الحسين بن موسى الموسوي قدس الله روحه، وجميع رواياته وإجازته بالاسناد المقدم عن شاذان بن جبرئيل القمي، عن أحمد بن محمد الموسوي، عن ابن قدامة، عن الشريف المرتضى.

وبهذا الاسناد جميع مصنفات السيّد الرضي - أخي المرتضى - وروايته وديوان شعره ونهج البلاغة وغيره عن ابن قدامة عن السيّد الرضي (ع)»^(١).

إجازة محمد بن الحسن بن محمد العلوي:

صورة اجازة محمد بن الحسن بن محمد العلوي المؤرخة سنة ٧٣٠ هـ، للسيد محمد شمس الدين الموسوي، ونصها: «لله الحمد، قرأ عليّ السيّد الولد الأعزّ الفقيه العالم الفاضل شمس الدين جمال الإسلام مفخر السادة زين العلماء محمّد بن السيّد الأجل الأوحد الكبير الحبيب النسيب جمال الدين بن أحمد بن أبي المعالي الموسوي أدام الله أيام شرفه ووفقّه لو طء آثار سلفه بمنّه ولطفه، كتاب نهج البلاغة من كلام سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه من أوّله إلى آخره قراءة كاشف عن معانيه باحث عن أسرار مطاويه.

وأجزت له روايته عني عن الشيخ السعيد نجيب الدين يحيى بن سعيد، عن السيّد الشريف محيي الدين بن محمّد بن عبد الله بن عليّ بن زهرة الحسيني الحلبيّ، عن الفقيه رشيد الدين أبي جعفر محمد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني، عن السيّد أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني المروزي، عن أبي عبد الله محمّد بن عليّ الحلواني، عن السيّد الرضي. وعن السيّد المذكور عن الفقيه الشريف قطب الدين أبي الحسين سعيد ابن هبة الله الراوندي، عن السيّدين المرتضى والمجتبئ ابني الداعي

الحسيني، عن أبي جعفر الدوريسي، عن السيّد الرضي.

وأجزت له الرواية أيضاً عنّي عن الشيخ العالم السعيد كمال الدين ميثم بن عليّ البحراني الأوالي، عن الشيخ العالم فقيه السلف مجد الدين أبي الفضل عبد الله بن أبي الثناء محمود بن مودود بن محمود بن بلدجي، عن السيّد العالم كمال الدين حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن محمّد بن عبيد الله الحسيني، عن شيخه رشيد الدين أبي جعفر محمد بن عليّ بن شهر آشوب السروي، عن السيّد المنتهى بن أبي زيد بن كيابكي الحسيني الجرجاني، عن أبيه أبي زيد، عن المؤلف السيّد الرضي.

وبحق رواية ابن شهر آشوب أيضاً عن السيّد أبي الرضا فضل الله بن عليّ بن عبيد الله الحسن الراوندي، عن المفيد أبي الوفاء عبد الجبار المقرئ الرازي، عن الشيخ الحافظ أبي عليّ بن أبي جعفر الطوسي، عن المؤلف، فليرو ذلك متى شاء موقفاً نفعه الله. وكتب محمّد بن الحسن بن محمّد بن أبي الرضا العلويّ في صفر ختم بخير لسنة ثلاثين وسبعمائة»^(١).

إجازة الشهيد الأول (٧٣٤ - ٧٨٦):

ونصّ إجازة الشهيد، المؤرخة ٧٧٠، للشيخ شمس الدين بن نجدة مايلي: «وأما مصنفات الإمام العلامة السعيد ملك الأدباء علامة الفضلاء أبي الحسين محمّد الرضي جامع كتاب نهج البلاغة من كلام الإمام الرّبّاني وارث علم رسول الله وخليفته أبي الحسن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فإنّي أرويه عن جماعة كثيرة، منهم من تقدّم إلى ابن شهر آشوب عن السيد الإمام أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني المروزي عن السيّد الرضي بواسطة أبي عبد الله محمّد بن علي الحلواني رحمهم الله»^(٢). وقال الشهيد الأول في إجازته المؤرخة سنة ٧٨٤ لابن الخازن الحائري: «ورويت كتاب نهج البلاغة الذي هو معجز الإمام المفترض الطاعة أمير المؤمنين عليه عن جماعة كثيرة، منهم الشيخ رضي الدين المزيدي عن شيخه الإمام فخر الدين البوقي بسنده المشهور»^(٣).

(١) بحار الأنوار ١٠٧: ١٧٩ - ١٨٠. (٢) بحار الأنوار ١٠٧: ١٩٨.

(٣) بحار الأنوار ١٠٧: ١٨٩.

إجازة العلامة البياضي:

إجازة العلامة البياضي المؤرخة ٨٥٢ هـ للشيخ ناصر البويهي: «وأجزت له رواية كتاب نهج البلاغة بالطريق المذكور عن السيّد الرضي، وأجزت له رواية شرح نهج البلاغة لميثم البحراني عن والدي إجازة، عن المصنّف إجازة، فليرو ذلك كلّ له لمن شاء وأحبّ فهو أهل لذلك»^(١).

إجازات المحقق الكركي (٨٦٨ - ٩٤٠):

١- إجازة الشيخ علي بن عبد العالي الكركي المؤرخة ٩٠٧ هـ للاسترابادي: «وأجزت له جميع مصنفات السيّد الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي قدّس الله روحه ورواياته وإجازاته بالاسناد المتقدّم، عن الشيخ شاذان بن جبرئيل القمي، عن أحمد بن محمد الموسوي، عن ابن قدامة، عن السيد الشريف المرتضى. وبهذا الاسناد كتب السيّد الرضي - أخي المرتضى - ورواياته وديوان شعره ونهج البلاغة عن ابن قدامة، عن السيد الرضي قدّس الله روحه»^(٢).

٢- إجازة الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، المؤرخة ٩٢٤ للميسي: «ومنه مصنفات السيّد الشريف الإمام العلامة ملك الأدباء علامة العلماء أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي الملقّب بالرضي جامع كتاب نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين وسيّد الوصيين وقائد الغر المحجلّين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات بالاسناد المتقدم إلى الشيخ السعيد محمد بن شهر آشوب، عن السيّد الإمام أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني المروزي، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الحلواني، عن السيّد أبي الحسن الرضي قدّس الله روحه الطاهرة ورضي الله عنه وعنهم أجمعين»^(٣).

٣- إجازة الشيخ علي بن عبد العالي الكركي المؤرخة ٩٣٧ للمقاضي صفى الدين: «ومما أرويه بخصوصه كتاب نهج البلاغة من كلام مولى الثقلين أمير المؤمنين وإمام

(٢) بحار الأنوار ١٠٨: ٥٢.

(١) بحار الأنوار ١٠٧: ٢٢٥.

(٣) بحار الأنوار ١٠٨: ٤٦.

المتّقين وسيدّ الوصيين أبي الحسن المرتضى علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وآله، جمع السيد الأجلّ الأوحّد السعيد الطاهر رضي الدين أبي الحسن محمّد بن الحسين الموسوي قدس الله روحه الطاهرة ، وكتاب الصحيفة الكاملة للإمام الهمام السجّاد زين العابدين ذي الثّغفان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»^(١).

إجازة الشهيد الثاني زين الدين (٩١١ - ٩٦٥):

إجازة الشيخ الشهيد الثاني المؤرخة ٩٤١ للحسين بن عبد الصمد العاملي: «وعن الشيخ أبي جعفر مصنّفات ومرويات السيد المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي ، ومصنّفات ومرويات أخيه السيد الرضي، التي من جملتها كتاب نهج البلاغة»^(٢).

إجازة الشيخ حسن بن الشهيد الثاني (٩٥٩ - ١٠١١):

إجازة الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني الكبيرة، قال: «ومن ذلك ما ذكره العلامة أيضاً من أنّه يروي بالطريق السابق عن الشيخ شاذان القميّ، عن أحمد بن محمّد الموسوي، عن ابن قدامة، عن السيّدين الأجلّين المرتضى والرّضي جميع مصنّفاتهما ورواياتهما وديوان شعر السيّد الرضي ونهج البلاغة من جمعه.

وذكر السيّد غياث الدين بن طاووس في إجازته التي أشرنا إليها سابقاً أنّه يروي جميع كتب السيّد المرتضى عن الوزير العلامة السعيد نصير الدين محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسيّ، عن والده، عن السيّد فضل الله الراوندي الحسنيّ، عن مكّي بن أحمد المخلطي، عن أبي عليّ بن أبي غانم العصمي عنه. وأنّه يروي نهج البلاغة بحق سماعه على القاضي عبد الله بن محمود بن بلدجي سنة سبعين وستّ مائة ببغداد بدرب السلسلة، بقراءة العلامة شمس الدين الكيشي، قال: وأجاز لي روايته عن السيّد كمال الدين حيدر بن محمّد بن زيد الحسيني عن محمّد بن عليّ بن شهر آشوب، عن المنتهى

ابن أبي زيد ، عن أبيه ، عن السيّد الرضي.

وذكر الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد أنّه يروي عن السيّد محيي الدين بن زهرة، عن الشيخ رشيد الدين محمد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني، عن السيّد أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني وأبي عبد الله محمد بن عليّ الحلواني، عن السيّد المرتضى جميع تصانيفه.

ويروي عن السيّد محيي الدين، عن ابن شهر آشوب، عن أبي الصمصام ، عن الحلواني ، عن السيّد الرضي جميع تصانيفه، ويرويها أيضاً عن السيّد محيي الدين، قال: أخبرني بها إجازة الشريف الفقيه عزّ الدين أبو الحارث محمد بن الحسن بن عليّ الحسيني البغدادي عن الفقيه قطب الدين أبي الحسين الراوندي، عن السيّد المرتضى والمجتبى ابني الداعي، عن أبي جعفر الدوريسي، عن السيّد الرضي.

وقال أيضاً: وذكر الشيخ نجم الدين جعفر بن نما أنّه يروي جميع كتب السيّد عن والده، عن الشيخ محمد بن جعفر المشهدي، عن الشيخ محمد بن عليّ بن شهر آشوب، عن السيّد المنتهى بن أبي زيد بن كيا بكي الحسيني الكجي الجرجاني، عن أبيه أبي زيد، عن السيّد المرتضى وأخيه الرضي.

وذكر أنّه يروي كتاب غرر الفوائد ودُرر القلائد للسيّد المرتضى عن والده، عن محمد بن جعفر، عن عبد الله بن جعفر الدوريسي، عن جدّه، عن جدّه، عن المصنّف. ويروي أيضاً الجزء الأوّل منه عن والده، عن الشيخ أبي الحسن عليّ بن يحيى الخياط، عن السيّد الأجل الشريف شرف شاه بن محمد بن الحسين بن زيارة الأفتسي، عن شيخه الفقيه جمال الدين أبي الفتوح الحسين بن عليّ الخزاعي، عن القاضي الفاضل حسن الاسترآبادي، عن ابن قدامة، عن السيّد المرتضى.

ويروي جميع كتب المرتضى أيضاً عن والده، عن الشيخ عليّ بن قطب الدين الراوندي، عن شيخه واستاذة الإمام أبي الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن الاخوة البغدادي، عن الشيخ أبي غانم العصمي الهروي الشيعي الإمامي عنه - إلى ان قال:

«ويروي نهج البلاغة عن والده، عن الشيخ علي بن يحيى الخياط، عن الشيخ علي بن نصر بن هارون المعروف جدّه بالكال الحلّي، عن شيخه الحسن بن علي بن عبيدة، عن أبي السعادات أحمد بن الماصوري العطارديّ، عن القاضي أبي المعالي بن قدامة، عن السيّد الرضّي»^(١).

وفي هامش بحار الأنوار ورد ما يلي: «وجدت بخط شيخنا الشهيد الأول عليه السلام ماصورته: أخبرني شيخنا عميد الدين قدس الله سره أنه يروي عن الشيخ العالم مجد الدين أبي الفضل عبد الله ابن أبي الثنا محمود بن مودود بن محمود بن بلدجي أو بعض آل بلدجي - شاك في ذلك - بسبب إجازة استجازها له من جده فخر الدين بعد أن استجاز لنفسه منه. ويروي هذا القاضي النهج عن كمال الدين حيدر بن زيد بن محمّد بن زيد العلوي الحسيني، عن رشيد الدين ابن شهر آشوب، عن السيّد المنتهى بن أبي زيد بن كيايكي الحسيني الجرجاني، عن أبيه أبي زيد، منه. كذا في الهامش»^(٢).

إجازة العلامة المجلسي (ت / ١١١١ هـ):

وهذه صورة إجازة العلامة المجلسي للمولّي محمد مؤمن الرازي :

«بسم الله الرحمن الرحيم أنهاء المولى الأولي الفاضل الزكي الرضي البهيّ المدقق المحقق جامع الفضائل النفسانية مولا محمد مؤمن الرازي أيّده الله تعالى سماعاً وتصحيحاً وتدقيقاً في مجالس عديدة، آخرها ثامن شهر رجب الاصب من شهور سنة اثنين وسبعين بعد الألف الهجرية، فأجزت له دام توفيقه أن يرويه عني مع سائر ما أخذه مني بأسانيدي المتصلة إلى أرباب العصمة صلوات الله عليهم أجمعين، وكتب بيمناه الوازرة الدائرة أفقر العباد إلى عفو ربه الغني محمد باقر بن محمد تقي عفى الله عن جرائمهما حامداً مصلياً مسلماً»^(٣).

(٢) هامش بحار الأنوار ١٠٩: ٤٥.

(١) بحار الأنوار ١٠٩: ٤٦ - ٤٧.

(٣) نسخة مكتبة گوهرشاد، رقم ١٠٤.

إجازة الشيخ الحر العاملي، صاحب الوسائل (١٠٣٣ - ١١٠٤):

إجازة الشيخ الحر العاملي المؤرخة ١٠٨٥ للفاضل المشهدي: «وأجزت له أن يروي عني كتاب نهج البلاغة وكتاب المجازات النبوية وكتاب مجاز القرآن وحقائق التنزيل وخصائص الأئمة وخلاف الفقهاء وغير ذلك من مؤلفات السيّد الرضي محمّد بن الحسين الموسوي بالسند السابق عن شاذان بن جبرئيل القمي، عن أحمد بن محمّد الموسوي، عن ابن قدامة، عن السيّد الرضي.

وبالسند السابق، عن محمّد بن عليّ بن شهر آشوب، عن ذي الفقار بن معبد الحسيني، عن محمّد بن عليّ الحلواني، عن السيّد الرضي»^(١).

وقال الحرّ العاملي صاحب الوسائل (ت/١١٠٤): «ونروي كتاب نهج البلاغة والمجازات النبوية بالاسناد السابق، عن شاذان بن جبرئيل القمي، عن أحمد بن محمّد الموسوي، عن ابن قدامة، عن السيّد الرضي.

وبالاسناد السابق، عن محمّد بن عليّ بن شهر آشوب، عن أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني، عن محمّد بن عليّ الحلواني، عن السيّد الرضي محمّد بن الحسين الموسوي»^(٢).

إجازة السيّد أبي محمد الحسن صدر الدين الموسوي (ت/١٣٥٤):

إجازة السيد الصدر الموسوي بتاريخ ١٣٣٩ هـ للسيد شهاب الدين المرعشي: «بسم الله الرحمن الرحيم، بعد الحمد والصلاة، فقد استجاز عني الولد الصالح الذي أحرز من العلم الطارف والتليد، وأخذ بمجامع الفضل بطريق سديد، الشريف السند التّسابة لازال - كاسمه - لظلمة معضلات الدين شهابة، شمس السّيادة والإفادة والإقبال، وعزّة سيماء النقابة والنجابة والكمال، سلالة العترة الطاهرة وتقاوة الأنجم الزاهرة، يَمّ العلم الذي يفيد ويفيض، وجمّ الفضل الذي لا يغيض، الجامع بين مكارم الأخلاق وطيب الأعراق، الحاوي صفات الدّات وجميل الصّفات، العالم العامل والمهذب الصّفي الكامل، أبو

المعالي السيّد شهاب الدين الحسيني المرعشي، المشتهر بالنجفيّ عامله الله بلطفه الجليّ والخفيّ، في رواية كتاب نهج البلاغة في خطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والصحيفة الكاملة السجادية المعروفة بزبور أهل البيت عليهم السلام، وإن كانا متواترين إلى منشئهما سلام الله عليهما، إلّا أنّ الإنسلاک في سلسلة الرواة عنهم ممّا يرغب فيه ويندب إليه، فأقول مستعيناً بالله: إنّ لنا إلى ذينک الکتابين طرقاً، منها: ما أرويه عن الشريف العلامة الأجل السيّد مهدي الحسيني القزويني الحلبي، عن جماعة منهم عمّه العلامة الزاهد السيّد باقر، عن جماعة منهم: سيّدنا آية الله بحر العلوم المهدي الطباطبائي النجفي، عن جماعة منهم: العلامة المير عبد الباقي الحسيني الخاتون ابادي إمام الجمعة باصبهان، عن جماعة منهم: والده العلامة المير محمد حسين سبط مولانا المجلسي، عن جماعة منهم: العلامة فخر الشيعة السيّد علي خان الحسيني المدني شارح الصحيفة، بطرقه المعروفة التي ذكرها في الشرح وغيره. فلجناب السيّد دام علاه وزاد الله في علمه وتقاه أن يروي عنّي بتلك الطرق المسلسلة المعننة مراعيّاً لشروط الرواية، وأشترط عليه أن لا يترك سلوك سبيل الإحتياط في أمر دينه ودنياه؛ فإنّه سبيل النجاة، عصمنا الله وإيّاه من الزلل آمين، وقد حرّرتها في مشهد جديّ الإمام أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام تجاه الضريح الشريف في شهر جمادى الثانية ١٣٣٩ حامداً مصلياً مسلماً. الأقل حسن بن المرحوم السيّد هادي الموسوي»^(١).

مشجرة السيّد أبي القاسم الطباطبائي التبريزي (ت/ ١٣٦٢):

وسند نهج البلاغة في مشجرة السيّد أبي القاسم التبريزي هكذا: «السيّد أبو القاسم الطباطبائي التبريزي بإسناده عن الشهيد الأوّل، عن السيّد علي بن محمد زهرة، عن الشيخ كمال الدين بن محمد بن زهرة، عن الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن صالح، عن السيّد رضي الدين محمد، عن أبيه محمد، عن أبيه محمد، عن أبيه زين الدين، عن أبيه الداعي الحسيني، عن الرضي»^(٢).

(١) ترجمة الصحيفة السجادية : ٢٣، حسين عماد زاده، ط / طهران سنة ١٣٧٤.

(٢) مشجرة علماء الإمامية: للسيّد أبي القاسم الطباطبائي، طبعة طهران سنة ١٣٧٨.

قال الجلاي : وقد أجزت جمعاً مّن قرأ عليّ الخطبة الشقشقية من نهج البلاغة بما صورته : «قرأ عليّ الخطبة الشقشقية من كتاب نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام» جمع الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (ت / ٤٠٦) وقد نزلت عند رغبتهم ولبيت طلبهم عملاً يهdy القرآن المبين وسنة النبي الأمين وسيرة الأئمة الطاهرين من رعاية حقوق المسلمين المسؤول عنها يوم الدين. فأجزتهم روايتها عني بأسانيدي التي ذكرتها في مسند نهج البلاغة ، وأكتفى هنا برواية واحدة واسناد واحد، قد رواها الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت / ٣٨١) المتوفى قبل الشريف الرضي بـ ٢٥ سنة قال: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه، عن عمّه محمد بن أبي القاسم ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - ثم أورد الخطبة وعقبها بشرح بعض مفرداتها في كتابه علل الشرائع ، الباب ٢٢ (باب العلة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين مجاهدة أهل الخلاف) الصفحة ١٥٠، طبعة المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف سنة ١٣٨٥ هـ ، وأكتفى بسند واحد عالياً عن شيخي المعمر الشيخ محمد محسن الرازي المتوفى ١٣ ذي الحجة ١٣٨٩ في النجف الأشرف، عن شيخه الميرزا حسين النوري، المتوفى ١٣٢٠، عن السيد ميرزا هاشم الخوانساري (ت / ١٣١٧)، عن السيد صدر الدين العاملي (ت / ١٢٦٣)، عن السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت / ١٢١٢)، عن محمد باقر الوحيد البهبهاني (ت / ١٢٠٦)، عن والده محمد أكمل ، عن المولى محمد باقر المجلسي (ت / ١١١١)، عن والده محمد تقي المجلسي (ت / ١٠٧٠)، عن بهاء الدين محمد العاملي (ت / ١٠٣١)، عن والده الحسين بن عبد الصمد (ت / ٩٨٤)، عن زين الدين الشهيد الثاني (ت / ٩٦٦)، عن نور الدين علي بن عبد العالي الميسي (ت / ٩٤٠)، عن شمس الدين محمد بن المؤذن الجزيني، عن ضياء الدين علي العاملي ، عن والده شمس الدين محمد بن مكّي الشهيد الأوّل (ت / ٧٨٦)، عن فخر المحققين أبي طالب محمد الحلّي (ت / ٧٧١)، عن والده الحسن بن يوسف العلامة الحلّي (ت / ٧٢٦)، عن السيد علي بن طاووس (ت / ٦٦٤)،

عن نجيب الدين علي السوراي ، عن حسين بن هبة الله بن رطبة (ت / ٥٦٠ هـ)، عن أبي علي بن محمد بن الحسن الطوسي (ت / ٥١٥ هـ)، عن والده الشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت / ٤٦٠ هـ)، عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت / ٤١٣ هـ)، عن الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المتوفى ٣٨١ هـ باستاده المتقدم.

وأما سائر أسانيدني إلى الشريف الرضي فأحيله إلى كتابي «المسند» «إجازة الحديث» المطبوع بدار المنار بالقاهرة عام ١٤٠٢ باهتمام الاستاذ سعيد أيوب، وخاصة الإجازة العلوية وحلقة الرضيين الصفحة ٩٢ وما بعدها، وقد فصلت أسانيدني في معجم الأحاديث وأشرت إليها في «مصادر الحديث» طبعة القاهرة سنة ١٣٩٥، و«شرح الأربعين النبوية» طبعة بيروت سنة ١٣٩٤، واشترط عليه دام فضله العناية بتراث أهل بيت النبي الأطهر الذي تكالبت عليه أعداء الاسلام وذلك بحفظه ودراسته وصيانتهم من التحريف والتصحيف، وكذلك اشترط عليه أيده الله ما اشترط علي المشايخ من مراعاة جادة الاحتياط التي هي طريق النجاة في الحياة والممات، وأن يهتم بأمر المسلمين وتوحيد كلمتهم باتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة من أحيا سنته ﷺ وخطى خطوته والتزم بوتيرته دون من تجنب طريقته، وأرجو من مكارمه أن لا ينسى المشايخ الأعلام من خالص دعواته في مظان الإجابة، وأسأل رب العزة والجلال أن يوفقه للخير والكمال، ويسدّد خطاه بالنبي والآل. قاله بفمه ورقمه بقلمه الفقير الى الله الغني ، محمد حسين بن محسن الحسيني الجلاي أحسن الله إليه».

تبصرة:

لقد تعسف المقبلي^(١) أشد التعسف في نكران الاسناد إلى نهج البلاغة، مع أن في مشايخ الاسناد من له اسناد متصل إليه ممن هو ليس بشيعي ولا زيدي - ومن هو زيدي غير رافضي حسب تعبيره، ولكن العصبية تعمي العيون نعوذ بالله - منها: اسناد الشوكاني أبو علي محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٥ في كتاب إتحاف الأكابر بأسناد الدفاتر ص ١١٤ المطبوع بحيدر آباد الهند سنة ١٣٢٨، قال: «نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في الجنة، للشریف المرتضى، أرويه بالإسناد المتقدم في أول هذا المختصر إلى الفقيه أحمد بن محمد الأكوع المعروف بشعلة، عن السيد المرتضى بن سراهنك الوافد إلى اليمن، عن أحمد بن زيد الحاجي عن الشريف يحيى بن اسماعيل، عن عمه الحسين بن علي الجويني عن المؤلف رحمه الله تعالى».

وسنده إلى الأكوع الذي ذكره في مفتتح الكتاب ص ٣ هو: «عن شيخي السيد الإمام عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، عن شيخه السيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن الشامي، عن السيد العلامة الحسين بن أحمد زبارة، عن شيخه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، عن الإمام أحمد بن الحسين، عن شيخه شعلة الأكوع...».

قال الجلالی: وأروي إتحاف الأكابر وغيره من كتب الشوكاني عن محدث صنعاء اليمن شيخنا العلامة الشيخ حمود بن عباس المؤيد أيدّه الله، عن شيخه عبد الواسع اليماني (ت/١٣٩٧)، عن شيخه المتوكل على الله يحيى، عن أحمد بن عبد الله الجنداري، عن السيد عبد الكريم بن عبد الله أبو طالب، عن عبد الله بن محسن الحيمي، عن المؤلف محمد الشوكاني بأسانيده».

إجازة عمرو بن جميل النهدي الزيدي (ت/٦٠٦ ح):

وعمر بن جميل النهدي الزيدي (ت/٦٠٦) هو مجمع الاسناد للائمة الزيدية إلى نهج البلاغة، وجاء في مجموعة اجازات المسوري مانصه: «ومنها كتاب نهج البلاغة وكذلك كتاب خطبة الوداع، ومات ﷺ ولم يكتب السماع، فكان أمر الله هو المطاع، وكان

(١) راجع هامش الصفحة ١٢ من هذا الكتاب.

سماعه هذين الكتابين أيضاً ببلدة ساذباخ بنيسابور في مدرسة الصدر بن المقدم [وفي الهامش : يعني علي بن اسماعيل] والده... الشريف... ست وستمائة بقراءة الإمام الأجل الاعلم الأفضل معين الدين تاج الإسلام... الأفاضل والأماثل في العالمين أحمد بن زيد بن علي الحاجي البيهقي... العالم العامل الفاضل البارع منتجب الدين تاج الإسلام والمسلمين سيد النحاة والقراء ابن أحمد بن سالم البغدادي والشيخ الإمام العالم منتجب الدين جمال الإسلام وافتخار التجار الحنيف [كذا] بن محمد الواسطي وجماعة غيرهم وفقهم الله وإيانا»^(١).

ووصف المجيز عمرو بن جميل بن ناصر النهدي في إجازته المؤرخة سنة ٦٠٦ في سنده كتاب جلاء الأبصار في تأويل الأخبار؛ للحاكم بن سعد بن تاج الشرف بما يأتي، قال رحمه الله مانصه: «قال عمرو بن جميل: قد قرأته بتمامه ببلدة ساذباخ بنيسابور على استاذي وشيخي السيد الإمام مفخر الأنام، الصدر الكبير، العامل العالم، مجد الملة والدين، افتخار طه وياسين، ملك الطالبين، شمس آل رسول الله، استاذ جميع الطوائف الموافق منهم والمخالف، قبلة الفرق، تاج الشرف علي بن اسماعيل بن علي الحسيني برّد الله مضجعه ونور مهجعه قال: أخبرنا به عمّي السيد الإمام الزاهد الحسن بن علي العلوي رحمه الله قال: أخبرنا به الشيخ الإمام علي بن أحمد المغيثي رحمه الله عن مصنفه في أوائل جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وخمسمائة».

وفي الهامش مايلي: «هو يحيى بن اسماعيل بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن الأفطس بن علي بن علي زين العابدين بن الحسين بن الوصي أمير المؤمنين عليه السلام. هذا السيد العلامة يحيى بن إسماعيل هو الذي بلغ دعوة الإمام الأعظم المنصور بالله عبد الله بن حمزة سلام الله عليه إلى ملك خوارزم علاء الدين، وأجازه علاء الدين اجازة عظيمة على تبليغها إليه، وكان هذا الملك وأهل بلده من المحققين في العدل والتوحيد ومن أهل البيت عليه السلام ويعادون الجبرية والحشوية، أشار إلى معنى هذا العلامة حميد الشهيد رحمة الله عليه

(١) إجازة عمرو بن جميل النهدي المؤرخة ٦٠٦، وهي آخر إجازات المسوري اليمني، عن مخطوطة المؤلف رحمه الله، ومحل النقط كلمات لا تقرأ.

في الحقائق»^(١).

ويظهر أن السيّد المرتضى بن سراهنك كان أوّل من نشر نهج البلاغة في اليمن في حدود سنة ٦١٤ هـ، وعنه روى «أولاد المنصور بالله وشيعته هذا الكتاب» كما جاء في ترجمة نقل شيخنا السيد مجد الدين المؤيدي حفظه الله مانصّه، فقال: «قال مولانا الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في ذكر نهج البلاغة: وأجلّ من أخذ عنه هذا الكتاب باليمن السيد المرتضى بن سراهنك الواصل من بلاد العجم مهاجراً إلى الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، متجرباً للجهاد بين يديه، فوافى ديار اليمن، وقد كان الإمام قبض، فأخذ عنه أولاد المنصور بالله، وشيعته هذا الكتاب، وتوفي هذا الشريف المذكور بظفار - دار هجرته - بعد أن خلطه أولاد المنصور بالله بأنفسهم، وزوّجوه بنتاً للمنصور بالله، وقبره في جانب الجامع المقدس بحصن ظفار»^(٢).

والمنصور بالله هو عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة اليمني (٥٦١ - ٦١٤ هـ) من أئمة الزيدية باليمن، وفي معجم المؤلفين: «ولد في ربيع الأول، وبويع له سنة ٥٩٢ هـ، واستولى على صنعاء وذمار، وتوفي بكوكبان سنة ٦١٤، ونقل إلى بريم، ثم إلى ظفار، وأشهر تصانيفه: الشافي في أصول الدين»^(٣).

قال الجلالى: أرى أن كلمة (أجل) في كلام شيخنا مجد الدين مصحفة عن كلمة (أول). والأسانيد الزيدية تشير إلى أن القراءات للكتاب قبل وفاة المنصور (ت/ ٦١٤ هـ) كانت في نيسابور؛ فإنّ كلاً من المنصور وصاحبه أحمد بن زيد بن عليّ الحاجي سمعا نهج البلاغة ببلدة نيسابور سنة ٥٩٨ هـ^(٤).

وذكر المنصور بالله عبد الله بن حمزة في إجازته عدة كتب، منها: تنزيه الأنبياء، ثم قال: «وهذه الكتب يرويها الفقيه بدر الدين محمد بن حسين اليعقوبي [ظ]، عن والده، عن الشيخ محيي الدين أحمد بن أحمد [ظ] بن الوليد القرشي. قال: نا الفقيه حسين، وكذلك أروي عن والدي محمد بن محمد نهج البلاغة وجميع مصنفاته في العربية واللغة».

(١) جلاء الأبصار في تأويل الأخبار (سند الكتاب).

(٢) لوامع الأنوار ١: ٤٥٤. (٣) معجم المؤلفين ٦: ٥٠.

(٤) لوامع الأنوار ١: ٤٥٥.

والإجازة كتبها القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين المسوري في ذي الحجة ١٠٦١ من نسخة بخط يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان مؤرخة شهر شعبان سنة ٨٠٩ هـ. ولعل الإجازة من الإمام الأعظم المنصور بالله عبد الله بن حمزة ؛ فإن الخط لا يقرأ وسقيم جداً.

ونهج البلاغة قد أشار إليها المسوري في الإجازة فقال مانصه: «وأنا أروي كتاب نهج البلاغة سماعاً عن شيخي الفقيه الإمام الأكمل والبحر الزاخر الأفضل جمال الدين أحمد بن حميد بن سعيد ، وهذه نسخة سماعه رحمه الله تعالى والسند بيتين [كذا] من إجازة الشيخ إبراهيم بن محمد بن علي بن براز [كذا] للفقيه أحمد بن ساعد نقلها [=الإجازة] أحمد بن سعد الدين المسوري في ضحوة الأحد السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وألف».

قال الجلالى: وأروى نهج البلاغة بأسانيد هؤلاء بحق روايتي إجازة عن :

- ١ - مجد الدين المؤيدي .
- ٢ - عن والده محمد بن منصور.
- ٣ - عن محمد بن القاسم الحوئي.
- ٤ - عن محمد بن عبد الله الوزير.
- ٥ - عن ثلاثة : أ - يحيى بن عبد الله الوزير . ب - وأحمد بن زيد الكلبي . ج - أحمد بن يوسف بن الحسين زبارة.

٦ - وهؤلاء الثلاثة: عن الحسين بن يوسف زبارة .

٧ - عن أبيه يوسف بن الحسين.

٨ - عن أبيه الحسين بن أحمد.

٩ - عن عامر بن عبد الله.

١٠ - عن المؤيد بالله محمد.

١١ - عن أبيه المنصور بالله القاسم بن محمد.

١٢ - عن اثنين ، هما : أ - أمير المؤمنين بن عبد الله الهروي ، ب - إبراهيم بن المهدي

القاسمي الجحافي .

- ١٣ - وهذان يرويان عن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن صارم الدين.
- ١٤ - عن المتوكل يحيى شرف الدين، عن المنصور محمد بن علي السراجي الوشلي، عن الهادي عز الدين بن الحسن، عن المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان الخمري، عن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، عن أخيه الهادي بن يحيى، عن القاسم بن أحمد بن حميد، عن أبيه، عن جده حسام الدين الشهيد حميد بن أحمد المجلي. عن المنصور عبد الله بن حمزة (المتقدم ذكره آنفاً).
- ١٥ - وعن صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله الوزير.
- ١٦ - عن صلاح الدين عبد الله.
- ١٧ - عن أبيه يحيى بن المهدي بن القاسم الزيدي.
- ١٨ - عن الواثق المطهر.
- ١٩ - عن أبيه المهدي محمد.
- ٢٠ - عن أبيه المتوكل المطهر بن يحيى.
- ٢١ - عن محمد بن أحمد بن أبي الرجال.
- ٢٢ - عن المهدي أحمد بن الحسين.
- ٢٣ - عن أحمد بن محمد بن القاسم الأكوع، المعروف بشعلة.
- ٢٤ - عن عبد الله بن حمزة (ت/٦١٤ هـ) [سمع في نيسابور ٥٩٨ هـ] (١).
- ٢٥ - عن شيخه عمرو بن جميل [النهدي].
- ٢٦ - عن السيد الإمام يحيى بن إسماعيل.
- ٢٧ - عن عمّه الحسين بن علي.
- ٢٨ - عن الشريف الرضي مؤلف كتاب نهج البلاغة (٢).

(١) الجامعة المهمة: ٢٤.

(٢) وقد ذكرت هذه الأسانيد في لوامع الأنوار ١: ٤٥٥، والجامعة المهمة ص: ٤٥.

مصادر المسند:

نقلت أسانيد روايات نهج البلاغة والروايات المشابهة لها نصّاً أو معنىً من المصادر المتداولة لأعلام مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهم:

- ١- سليم بن قيس الهلالي (ت/ ٧٦هـ) صاحب كتاب السقيفة بأسانيده.
- ٢- أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت/ ١٥٨هـ) بأسانيده.
- ٣- محمد بن خالد البرقي (ت/ ٢٠٢هـ) بأسانيده.
- ٤- نصر بن مزاحم المنقري (ت/ ٢١٢هـ) بأسانيده.
- ٥- إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي (ت/ ٢٨٣هـ) بأسانيده.
- ٦- عبد الله بن جعفر الحميري (ت/ ٢٩٠هـ) بأسانيده.
- ٧- محمد بن الحسن بن فروخ الصقّار (ت/ ٢٩٠هـ) بأسانيده.
- ٨- الحسين بن سعيد الأهوازي (ت/ ٣٠٠هـ) بأسانيده.
- ٩- محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي (ت/ ٣٠٠هـ) بأسانيده.
- ١٠- محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي الإمامي (ت/ ٣١٠هـ) بأسانيده.
- ١١- علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (ت/ ٣٠٤هـ) بأسانيده.
- ١٢- محمد بن يعقوب الكليني (ت/ ٣٢٩هـ) بأسانيده.
- ١٣- محمد بن مسعود العياشي (ت/ ٣٢٩هـ) بأسانيده.
- ١٤- محمد بن إبراهيم النعماني (ت/ ٣٢٤هـ) بأسانيده.
- ١٥- أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق (ت/ ٣٨١هـ) بأسانيده.
- ١٦- محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي (ت/ ٣٦٨هـ) بأسانيده.
- ١٧- محمد بن محمد بن النعمان، الشيخ المفيد (ت/ ٤١٣هـ) بأسانيده.
- ١٨- أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت/ ٤٦٠هـ) بأسانيده.
- ١٩- الفضل بن الحسن الطبرسي (ت/ ٥٠٢هـ) بأسانيده.
- ٢٠- محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت/ ٥٨٨هـ) بأسانيده.

- ٢١ - محمد محسن، الفيض الكاشاني (ت / ١٠٩١ هـ) بأسانيده.
 - ٢٢ - محمد بن الحسن، الحر العاملي (ت / ١١٠٤ هـ) بأسانيده.
 - ٢٣ - محمد باقر المجلسي (ت / ١١١١ هـ) بأسانيده.
- وأروي المصادر المتقدمة وكافة مصادر تراث أهل البيت عليهم السلام عن مشايخي الأعلام، وقد فصلت تراجمهم وطرقهم في إجازة الحديث، طبعة القاهرة ١٤١١، واكتفي هنا بسند واحد شامل فبالاسناد المتقدم في الإسناد إلى جامع نهج البلاغة^(١):
- ٨ - عن المولى محمد باقر المجلسي (ت / ١١١١ هـ) بأسانيده المذكورة في آخر كتابه بحار الأنوار، وبالاسناد عن المجلسي عن محمد بن الحسن الحر العاملي (ت / ١١٠٤ هـ) بأسانيده، وبالاسناد عن المجلسي^(٢) عن محمد محسن الفيض الكاشاني (ت / ١٠٩١ هـ) بأسانيده.
 - ٩ - عن والده محمد تقي المجلسي (ت / ١٠٧٠ هـ).
 - ١٠ - عن بهاء الدين محمد العاملي (ت / ١٠٣١ هـ).
 - ١١ - عن والده الحسين بن عبد الصمد (ت / ٩٨٤ هـ).
 - ١٢ - عن زين الدين، الشهيد الثاني (ت / ٩٦٦ هـ).
 - ١٣ - عن نور الدين علي بن عبد العالي الميسي (ت / ٩٤٠ هـ).
 - ١٤ - عن محمد بن المؤذن الجزيني.
 - ١٥ - عن ضياء الدين علي.
 - ١٦ - عن والده محمد بن مكّي، الشهيد الأول (ت / ٧٨٦ هـ).
 - ١٧ - عن السيد مهنا بن السنان المدني.
 - ١٨ - عن الحسن بن يوسف، العلامة الحلّي (ت / ٧٢٦ هـ).

(١) تقدم الاسناد إلى جامع نهج البلاغة قبل (٩) صفحات في إجازة السيد العلامة الجلالى لجمع ممن قرأ عليه الخطبة الشقشقية فراجع (المحقق).

(٢) راجع الاسناد إلى العلامة المجلسي في أول الباب «الاسناد إلى جامع نهج البلاغة» (المحقق).

- ١٩ - عن جعفر بن الحسن، المحقق الحلّي (ت / ٦٧٦ هـ).
- ٢٠ - عن رشيد الدين محمد بن عليّ بن شهر آشوب (ت / ٥٨٨ هـ) .
- ٢١ - عن الفضل بن الحسن الطبرسي (ت / ٥٠٢ هـ) بأسانيده .
وبالاسناد عن العلامة الحلّي (ت / ٧٢٦) :
- ١٨ - عن السيّد رضي الدين بن طاووس (ت / ٦٦٤ هـ).
- ١٩ - عن نجيب الدين عليّ السوراي .
- ٢٠ - عن الحسين بن هبة الله بن رطبة (ت / ٥٦٠ ح) .
- ٢١ - عن أبي علي المفيد الثاني الطوسي (ت / ٥١٥ ح) .
- ٢٢ - عن والده أبي جعفر محمّد بن الحسن، الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) بأسانيده .
وبالاسناد عن ابن شهر آشوب (ت / ٥٨٨) :
- ٢١ - عن السيّد أبي الصمصام ذي الفقار .
- ٢٢ - عن الشيخ النجاشي أحمد بن علي (ت / ٤٥١) .
- ٢٣ - عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت / ٤١٣) .
- ٢٤ - عن الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن عليّ بن بابويه، (ت / ٣٨١) .
وبالاسناد عن أحمد بن عليّ النجاشي (ت / ٤٥٠) :
- ٢٣ - عن أحمد بن علي بن نوح السيرافي .
- ٢٤ - عن جعفر بن محمد .
- ٢٥ - عن أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي (ت / ٣٦٨ ح) .
وبالاسناد : عن أحمد بن عليّ النجاشي (ت / ٤٥٠) أيضاً :
- ٢٣ - عن محمد بن علي الشحامي .
- ٢٤ - عن محمد بن إبراهيم النعماني ، صاحب كتاب الغيبة (ت / ٣٤٢ ح) .
وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١) :
- ٢٥ - عن مظفر بن جعفر بن مظفر العلوي السمرقندي .

- ٢٦ - عن جعفر بن محمد بن مسعود العياشي.
- ٢٧ - عن محمد بن مسعود العياشي (ت / ٣٢٩ ح) بأسانيده.
- وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠):
- ٢٣ - عن الحسين بن عبيد الله الغضائري (ت / ٤١٢) .
- ٢٤ - عن أبي غالب أحمد بن محمد الزراري (ت / ٣٦٨) .
- ٢٥ - عن محمد بن يعقوب الكليني (ت / ٣٢٩) بأسانيده.
- وبالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٩):
- ٢٦ - عن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (ت / ٣٠٤ ح) بأسانيده.
- وبالاسناد عن أحمد بن علي النجاشي (ت / ٤٥٠):
- ٢٣ - عن أحمد بن علي بن نوح السيرافي.
- ٢٤ - عن الشريف الحسن بن حمزة الطبري (ت / ٣٥٨) .
- ٢٥ - عن محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي الإمامي (ت / ٣١٠ ح) .
- وبالاسناد عن أحمد بن علي النجاشي (ت / ٤٥٠):
- ٢٣ - عن الحسين بن عبيد الله الغضائري.
- ٢٤ - عن سهل بن أحمد.
- ٢٥ - عن محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي (ت / ٣٠٠ ح) .
- وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠):
- ٢٣ - عن ابن أبي جيد القمي.
- ٢٤ - عن محمد بن الحسن بن الوليد.
- ٢٥ - عن الحسين بن الحسن بن أبان.
- ٢٦ - عن الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران الهمداني (ت / ٣٠٠ ح) .

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠):

٢٣ - عن علي بن أحمد بن محمد بن أبي الجيد القمي.

٢٤ - عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد الخزّاز (ت / ٣٤٣).

٢٥ - عن محمد بن الحسن الصفّار (ت / ٢٩٠) بجميع كتبه ورواياته.

أما كتاب تفسير فرات الكوفي (ت / ٢٨٦ ح) فليس لأصحابنا إليه إسناد، والنسخة الموجودة منه تبتيء بما يلي: «أخبرنا أبو الخير مقداد بن علي الحجازي المدني قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن العلوي الحسيني (أو الحسيني) قال: حدثنا الشيخ الفاضل استاذ المحدثين في زمانه فرات بن ابراهيم الكوفي رحمة الله عليه قال: حدثني محمد بن سعيد بن رحيم الهمداني ومحمد بن عيسى بن زكريا قالا: [...] حدثنا عبد الرحمن بن سراج قال : حدثنا حمّاد بن أعين عن الحسن بن عبد الرحمن عن الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام»^(١).

وقال المجلسي (ت / ١١١١): «أخباره موافقة لما وصل إلينا من الاحاديث المعتمدة، وحسن الضبط في نقلها ممّا يعطي الوثوق بمؤلفه وحسن الظن به»^(٢). والعلوي المذكور هو أحد أعلام الزيدية المولود سنة ٣٦٧، والمتوفى سنة ٤٤٥، وتاريخ وفاة العلوي يقتضي تأخره عن تاريخ وفاة شيخه فرات، وان ينقل عنه بواسطة واحدة، والله العالم.

وبالاسناد عن أحمد بن علي النجاشي (ت / ٤٥٠):

٢٣ - عن أحمد بن عبد الواحد بن عبدون.

٢٣ - عن علي بن أحمد محمد القرشي.

٢٥ - عن عبد الرحمن بن إبراهيم المستملي.

٢٦ - عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي

(ت / ٢٨٣).

(١) راجع النسخة المطبوعة من تفسير فرات : ٤٥ - ٤٦ .

(٢) بحار الأنوار ١ : ٣٧ .

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠):

- ٢٣ - عن الشيخ محمد بن النعمان المفيد.
- ٢٤ - عن الشيخ أبي جعفر الشيخ الصدوق.
- ٢٥ - عن أبيه.
- ٢٦ - عن عبد الله بن جعفر الحميري صاحب قرب الاسناد (٢٩٩ ح).
- وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠).
- ٢٣ - عن ابن أبي جيد.
- ٢٤ - عن ابن الوليد.
- ٢٥ - عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي.
- ٢٦ - عن أبيه.
- ٢٧ - عن محمد بن الحسن الصيرفي.
- ٢٨ - عن نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢).
- وبالاسناد عن أحمد بن علي النجاشي (ت / ٤٥٠):
- ٢٣ - عن أحمد بن علي نوح السيرافي.
- ٢٤ - عن الحسن بن حمزة الطبري.
- ٢٥ - عن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن خالد البرقي.
- ٢٦ - عن أحمد بن محمد بن خالد.
- ٢٧ - عن أبيه محمد بن خالد البرقي (ت / ٢٠٢ ح).
- وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠):
- ٢٣ - عن أحمد بن عبدون.
- ٢٤ - عن أبي بكر الدوري.
- ٢٥ - عن القاضي أبي بكر أحمد بن كامل.
- ٢٦ - عن محمد بن موسى بن حماد.

- ٢٧ - عن ابن أبي السري محمد.
- ٢٨ - عن هشام بن محمد الكلبي.
- ٢٩ - عن أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت / ١٥٨).
- وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠) :
- ٢٣ - عن ابن أبي جيد.
- ٢٤ - عن محمد بن الحسن بن الوليد.
- ٢٥ - عن محمد بن القاسم الملقب بماجيلويه.
- ٢٦ - عن محمد بن علي الصيرفي.
- ٢٧ - عن حمّاد بن عيسى.
- ٢٨ - عن أبان ابن أبي عياش.
- ٢٩ - عن سليم بن قيس الهلالي (ت / ٧٦).

الاهتمام بنهج البلاغة عبر القرون:

من الطرق التي أشرت إليها في الصيانة في توثيق الكتاب هو الاهتمام بالكتاب جيلاً بعد جيل بالنسخ والشرح والتعليق، والرواية بالقراءة وبالسماع، وغير ذلك بالأنحاء الثمانية للتحمل المشروحة في علم الدراية.

ونهج البلاغة قد اهتم المشايخ به وتحملوه بالأنحاء المشروحة في علم الدراية، وحينئذٍ يمكن القول بتواتر نسبة الكتاب إلى مؤلفه، وهذا هو الحاصل بالنسبة إلى نص القرآن الكريم؛ إذ لا معنى إلى الإسناد فيه لتواتره بين المسلمين شرقاً وغرباً جيلاً بعد جيل، وهكذا هو الحال بالنسبة إلى نهج البلاغة سواءً عند من يعتني بتراث أهل البيت عليهم السلام وغيرهم من مختلف الطوائف والملل والنحل، وما أصدق كلام شيخنا العلامة أعلى الله مقامه في النهج: «قد طبقت معروفية الشرق والغرب، ونشر خبره في أسماع الخافقين، وتنور من تعليمات النهج جميع أفراد نوع البشر لصدوره عن معدن الوحي الإلهي، فهو أخ القرآن الكريم في التبليغ والتعليم، وفيه دواء كل عليل وسقيم، ودستور للعمل بموجبات سعادة الدنيا وسيادة دار النعيم، غير أن القرآن أنزله حامل الوحي الإلهي على قلب النبي الأمين صلى الله عليه وآله، والنهج أنشأه باب مدينة علم النبي وحامل وحيه، سيد الموحدين وإمام المتقين، علي أمير المؤمنين عليه السلام من رب العالمين»^(١).

وقد ذكر السيد إعجاز حسين الكتتوري (ت / ١٢٨١) في كتابه كشف الحجب (١١) شرحاً لنهج البلاغة، ولم يذكر من الحواشي والترجمات شيئاً، واستقصى شيخنا العلامة (١٥١) شرحاً ذكرها في الذريعة ج ١٤ ص ٣٥٧ - ٣٥٩.

وإليك جرداً ببعض ما ذكرته في المعجم الموحّد لفائس المخطوطات ممّا وقفت عليه في الفهارس والمصادر المتيسرة، والتي تدلّ على أنواع الإهتمام بالكتاب في كل عصر ومصر عبر القرون، وأهملت النسخ الغير المؤرّخة وما أكثرها.

ملاحظة: الرقم على اليمين يشير إلى التاريخ ولو تقريباً، والكلمة في ما بين المعقوفين تشير إلى المصدر أو المكتبة، والرقم على اليسار إلى رقم النسخة أو الصفحة.

عصر الشريف الرضي:

نسخة الأصل:

نسخة الأصل كانت عند ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٥) وميثم بن علي (ت/ ٦٧٩)، كما يظهر من اشارتهما إليها.

قال السيد الشهرستاني: «ونسبة الكتاب إليه مشهورة، وأسانيد شیوخنا في إجازاتهم متواترة، ونسخة عصر الشريف موجودة، والتي نسخت بخطه الشريف مشهورة»^(١).

ولم يذكره مكان تلك النسخة نعم توجد نسخة قديمة من القرن الخامس ذكر كاتبها انه نقلها عن نسخة المصنف، وفيها اضافات لا توجد في النسخ الأخرى، توجد في مكتبة سيهسالار برقم ٣٠٨٣.

ورأيت نسخة منه في مكتبة السيد مهدي اللاجوردي بقم غير مؤرخة عليها عدة إجازات من الدورستي والمتطبب، وفي آخرها مايلي: «كل ما هو بالحمرة على حواشي هذا الكتاب وفي متنه فهو نسخة السيد الرضي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه، وبحمد الله وحسن توفيقه وجزيل نعمائه وشمول عنايته نقلت ما على المنتسخ منه من الحواشي في نسختي على الهيئة التي فيه سواداً وحمرة بعدما كتبت أصلها منه، مراعيّاً ما كتب فيه بالحمرة كذلك متناً كما راعيته حاشيةً، وبذلت جهدي في مطابقة نسختي لتلك النسخة متناً وحاشيةً في أثناء كتابتي، وأنا أقل الأقلين ابن بابا جان الشيرازي غفر الله له ولوالديه بعلي وبنيه».

وعلى النسخة أيضاً مايلي: «عرضت نسختي هذه متناً عليها وتركت في آخر كل كراس... وصحّح وقرىء بالحمرة والسواد كما كتبته هنا إشارة إلى أنها عورضت على نسخة [ظ] السيد بعد تصحيحها بنسخة غيره...».

ومن جملة المنقولات عن النسخة الاصلية: «أنشدني المولى دام ظله قال: أنشدني السيد الامام السعيد ضياء الدين قدس الله روحه الشريف، قال: كتب الاستاذ أبو يوسف يعقوب بن أحمد على ظهر نسخته هذه الأبيات:

نهج البلاغة نهج مهيج جدد لمن يريد علواً [ما] له أمد
يا عادلاً عنه تبغي بالهوى رشداً إعدل إليه ففيه الخير والرشد
والله والله إن التاركين عموا عن شافيات خطاب كلّها سد
كانها العقد منظوماً واهرها صلى على ناظمها ربنا الصمد
ما حالهم دونها ان كنت تنصني إلا العنود وإلا البغي والحسد

قال الجلالى: أبو يوسف المذكور هو يعقوب بن أحمد النيسابورى المتوفى ٤٧٤هـ.

قال السمعاني (ت / ٥٦٢) في التعبير في ترجمة ولده الحسن مالفظة: «ووالده الأديب صاحب التصانيف الحسنة». وفي الهامش عن بغية الوعاة: «توفي في رمضان سنة ٤٧٤»^(١).

وفي عصر الشريف الرضى: شرح علي بن ناصر الحسينى السرخسى بعنوان أعلام نهج البلاغة، وصفه في مطلع البدور، بقوله: «الشريف المرتضى حسيب الابوين، أكرم من تحت الخافقين، ملك السادة، والنقباء علي بن ناصر الحسينى السرخسى مؤلف أعلام نهج البلاغة»^(٢).

واعتبر السيد إعجاز حسين الكنتورى هذا أول شرح الكتاب وقال: «وهو أقدم الشروح والحواشى التى علقت عليه وأوثقها وأتقنها وأخصرها»^(٣).

ومنه نسخة غير مؤرخة في مكتبة رامپور - الهند، برقم ١١٩٩، مصنفه المولى علي بن ناصر المعاصر للسيد الرضى^(٤).

ونسخة مؤرخة ١٠٦٦ في م / BUHAP برقم # 413، وبتاريخ سنة ٤٨٣ من كتب السيد علي اتش - يزد، عليه مانصه: «عارضه بنسختين صاحبه الفقيه السديد سهل بن امير الدقاق وصحّحه بجهدّه، والله تعالى يمتّعه به وبغيره، وهذا خط الحسن بن يعقوب بن أحمد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وأربعمئة حامداً لله عزّ اسمه ومصلياً على

(١) التعبير ١: ٢٢٠، وبغية الوعاة ٢: ٣٤١. (٢) مطلع البدور ١: ٧٠.

(٣) كشف الحجب: ٥٣.

(٤) يراجع تعليقة امتياز علي العرشى في هامش استناد نهج البلاغة ص ١١.

نبيه وعترته الطاهرة»^(١).

وفي سنة ٤٩٤ هـ نسخة نهج البلاغة بخط فضل الله بن طاهر بن المطهر الحسيني، طبعت، بالافسيت بمناسبة الذكرى الألفية لتأليف نهج البلاغة، مع تقديم الشيخ حسن السعيد بطهران سنة ١٤٠٢ هـ، ط / مكتبة جهل ستون.

وفي سنة ٤٩٧ هـ إجازة الشيخ أبي عبد الله الحسين [المؤدب - ظ] رواية نهج البلاغة للشيخ محمد بن علي بن أحمد بن بندار سنة ٤٩٧ هـ^(٢).

قال شيخنا العلامة: «إجازة الشيخ أبي عبد الله الحسين [المؤدب - ظ] رواية كتاب نهج البلاغة للشيخ محمد بن علي بن أحمد بن بندار، كتبه المجاز بخطه في جمادى الثانية سنة ٤٩٩ هـ على النهج، حكاها في الرياض في ترجمة المجاز، وهي في غاية الاختصار، صورتها: (قرأ عليّ هذا الجزء شيخني الفقيه الأصلح أبو عبد الله الحسين رعاه الله، وكتب محمد بن عليّ بن أحمد بن بندار بخطه في جمادى الآخرة سنة ٤٩٩ هـ عظم الله يومها بمثّه»^(٣).

وفي سنة ٤٩٩ هـ نسخة نهج البلاغة عليها قراءة سنة ٤٩٩ هـ بخط الحسين بن الحسن بن الحسين المؤدب، في مكتبة المرعشي برقم ٣٨٢٧، وقد طبعت هذه النسخة بتقديم السيد محمود المرعشي بمناسبة الذكرى الألفية للشريف الرضي بقم سنة ١٤٠٦ هـ وهي طبعة رائعة، وفيها بين الصفحات (٣٢٢ - ٣٢٣) سقط كثير لم ينتبه إليه الناشر الكريم، والنسخة في ٣٣٠ صفحة.

وفي القرن السادس:

سنة ٥١٢ هـ نسخة نهج البلاغة لدى السيد محمد المحيط الطباطبائي^(٤).

سنة ٥١٣ هـ نسخة نهج البلاغة، عليها وصف الكتاب، لأبي الحسن علي بن أحمد

الفنجدري (ت/٥١٣) شعراً بقوله:

(٢) إحياء الدائر: ١٤٧.

(٤) الذريعة ٢٤: ٤١٣.

(١) فهرست نسخه ها: ٧.

(٣) الذريعة ١: ١٧٩.

نهج البلاغة من كلام المرتضى
بهر العقول بحسنه وبهائه
ألفاظه علوية لكنها
فيه لأرباب البلاغة مقنع
وترى العيون إليه صوراً ان قرا
أعجب به كلماته قد ناسبت
نعم المعين على الخطابة للفتى
وأجدّ يعقوب بن أحمد ذكره
ودعا إليه محرّضاً أصحابه
جمع الرضي الموسوي السيد
كالدّر فصلّ نظمه بزبرجد
علوية حلّت محل الفرقد
من يعن باستظهاره يستسعد
منه كتاباً رائعاً في مشهد
كلمات خير الناس طراً أحمد
وبه إلى طرق الكتابة يهتدي
لعلو همته وطيب المولد
فعل الحنيفي الكريم المرشد

ورد ذلك في نسخة نهج البلاغة مؤرخة سنة ٥٦٥ في مكتبة المتحف العراقي - بغداد،

رقم ٣٥٦.

وقد ترجم السمعاني في التجميع ترجمة وافية للشاعر، وذكر من مشايخه: أبا يوسف
يعقوب بن أحمد الأديب، ووفاته في سنة ٥١٣ هـ^(١).

سنة ٥١٦ هـ قرأ نهج البلاغة في سنة ٥١٦ الشيخ الإمام أبو الحسن البیهقي أبو القاسم
فريد خراسان على الحسن بن يعقوب بن أحمد الأديب^(٢).

سنة ٥٢٥ هـ نسخة نهج البلاغة لدى محسن الكشميري الكتبي في بغداد^(٣).

سنة ٥٢٩ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة السيد المرعشي برقم ٢٣١.

سنة ٥٣٨ هـ نسخة نهج البلاغة بقلم علي بن أبي القاسم بن علي الحاج، في منتصف
شعبان سنة ٥٣٨ هـ في مكتبة أبو الكلام آزاد - الهند.

جاء في صحيفة المكتبة، الصفحة ٤٦ ضمن التعريف بمخطوطات مكتبة أبي الكلام
آزاد ما لفظه: «نهج البلاغة ... في جزئين، جاء في خاتمة الجزء الثاني مانصه: من تحرير
الفقيه إلى رحمة الله تعالى العبد المذنب علي بن أبي القاسم بن علي الحاج في المنتصف

(٢) فهرست نسخه ها ٥ : ٤٣.

(١) التجميع ١ : ٥٦٣.

(٣) الذريعة ٢٤ : ٤١٣.

من شعبان من شهور سنة ٥٣٨هـ» (١).

واعتمد عليها محمد أبو الفضل إبراهيم في تحقيق شرح ابن أبي الحديد (٢)، والنسخة في مكتبة ليتون المحفوظة بجامعة عليكرة الإسلامية بالهند، وتقع في جزءين الأول في ٩١ ورقة، والثاني في ٨٢ ورقة، ومسطرتها ١٥ سطراً، كتبت بخط نسخ واضح مشكول شكلاً دقيقاً.

سنة ٥٤٢ هـ إجازة الشيخ حسين بن فادار بن الحسين للشيخ الرشيد أبي الحسين علي بن محمد بن علي القاشاني، نقلها في الرياض في ترجمة المجاز له عن خط المجيز على ظهر نهج البلاغة، قال: وخطه رديء. أقول: المظنون أن المجاز له هو الشيخ رشيد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الشعر أو الشعيري، الذي كتب له الشيخ عبد الرحيم بن أحمد المشهور بأبي الفضل بن اخوة البغدادي إجازتين مختصة ومشاركة في كاشان في سنة ٥٤٢ هـ، والمجيز هو الشيخ أفضل الدين الحسن بن القمي إمام اللغة ووالد الشيخ سديد الدين أبي محمد بن الحسن فادار القمي، المذكورين في فهرس الشيخ منتجب الدين» (٣).

سنة ٥٤٤ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة مدرسة نواب بمشهد، برقم ٢٣٠ بخط محمد بن محمد بن أحمد النقيب في قصبة سائرولة في صفر سنة ٥٤٤ هـ، فيلمها في مكتبة دانشگاه برقم ٢١٣٤ (٤).

قال الجلالی: وقفت على النسخة وصورتها، وهي ناقصة الأول، تبتدىء بقوله: «ان ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنياوية، وعليه ختم نصه: «از سيصد وشصت وسه مجلد است كه نواب فاضلخان وقف مدرسه خود نمود». وجاء في آخره: «صادف الفراغ من كتبه صاحبه محمد بن محمد بن أحمد النقيب بقصبة السائرولة في صفر سنة ٥٤٤ هـ (أربع وأربعين وخمسائة) حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد وآله الطاهرين الأخيار».

(١) راجع صحيفة المكتبة؛ لمكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف: ٧ - ١٠.

(٢) راجع مقدمة نهج البلاغة: ١ - ١٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٤) فهرست ميكروفيلمها: ٣٩٦.

(٣) الذريعة ١: ١٨٧.

وفي آخر الكتاب : «نقوش خواتم أمير المؤمنين عليه السلام : على فصّ العقيق ، وهو خاتم الصلاة: لا إله إلا الله عدّة للقاء الله. وعلى فصّ الفيروزج، وهو للحرب: (نصر من الله وفتح قريب). وعلى فصّ الياقوت، وهو لقضائه: (الله الملك وعلي عبده). وعلى فصّ الحديد العين، وهو لختمه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)».

سنة ٥٤٦ هـ نهج البلاغة للسيد ضياء الدين فضل الله بن علي بن هبة الله الحسيني الراوندي (ت / ٥٤٦) (١).

قال شيخنا العلامة: «إجازته لرشيد الدين المذكور وللشيخ الإمام السيد سديد الدين محمد بن علي بن محمد الطوسي، نقلها في الرياض عن خط المجيز على ظهر نهج البلاغة، كتبها لهما بقاسان في جمادى الأولى سنة ٥٤٦، يرويه عن الشيخ أبي الفضل محمد بن يحيى الناقلي (النائلي) عن أبي نصر عبد الكريم بن محمد الهروي الديباجي المعروف بسبط بشر الحافي عن مصنفه» (٢).

سنة ٥٤٦ هـ إجازة عبد الرحيم بن أحمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الاخوة في جمادى الأولى سنة ٥٤٦، وأشار شيخنا عليه السلام إلى هذه الإجازة في الطبقات ٦ : ٢٠٣ والذريعة ١ : ٢٠١، وجاء التاريخ في ج ١ ص ١٨٧ خطأً، يراجع أعيان الشيعة ٧ : ٤٦٨. سنة ٥٥٢ هـ شرح نهج البلاغة بعنوان: «معارج نهج البلاغة»: للبيهقي فريد خراسان أبي الحسن علي بن زيد المعروف بابن فندق (ت / ٥٦٥)، فرغ من الشرح في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٥٥٢، وهو في ٢١٩ ورقة (٣).

سنة ٥٥٣ هـ نسخة نهج البلاغة بخط عبد الجبار بن الحسين بن أبي القاسم الحاج، نسخها عن نسخة السيد ضياء الدين تاج الاسلام أبي الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسيني في ١٩ جمادى الأولى سنة ٥٥٣ هـ.

وعليها قراءة الكتاب على السيد تاج الاسلام سنة ٥٥٤، وفيها: أن الكاتب مدّة كتابة

(١) الذريعة ١٤ : ١٤٣. (٢) الذريعة ١ : ٢٠٢.

(٣) الذريعة ١٤ : ١٣٧. طبع هذا الشرح ضمن منشورات مكتبة المرعشي بقم سنة ١٤٠٩ هـ (المحقق).

الكتاب كان ملازماً للسيد تاج الإسلام. وفي آخر النسخة: «زيادة عن نسخة كتبت على عهد المصنف»^(١).

سنة ٥٥٦ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد بن الحسن بن محمد القمي، في مكتبة المتحف العراقي - بغداد، برقم ٣٧٨٤.

سنة ٥٦٥ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد بن سعيد بن الحسين العامري، وهي نسخة ناقصة، وأظن أن التاريخ للمستنسخ عنها شعبان سنة ٥٦٥، توجد في مكتبة المتحف العراقي برقم ٥٣٥٦، وبعده ينقل عن علي بن أحمد الفنجركدي، ويراجع رقم ٦٢٩ و ١٦٦٣ و ٣٥٦ ص ٥١٠، صورتها اليونسكو كما في فهرسها ص ٢٦٧ رقم ١٠. وصفها غورغيس عواد بقوله: «نسخة نفيسة قديمة مكتوبة بخط نسخي واضح ذات غلاف مزخرف، كتبها محمد بن سعيد بن الحسين العامري وفرغ منها في ١٢ شعبان سنة ٥٦٥ هـ = ١١٧٠ م»^(٢).

سنة ٥٦٥ هـ شرح أحمد بن محمد الوبري (ت / ٥٦٥ ح) وهو من مصادر معارج نهج البلاغة؛ لليهقي (ت / ٥٦٥)^(٣).

سنة ٥٦٦ هـ نسخة نهج البلاغة بخط حسين بن مقصود بن محمد بن قرايك البصري (جزء منه) بتاريخ ١١ شوال سنة ٥٦٦. نسخة منه في مكتبة ملك برقم ٨٧٤، راجع مجلة المعهد ٦٩:٤ رقم ٨٧٤، مصور في المعهد برقم ٣٣١٨٦.

سنة ٥٦٧ هـ نسخة نهج البلاغة بخط رئيس الكتاب في مكتبة ملك برقم ٩٤٢ في ١٦١ ورقة.

سنة ٥٧٢ هـ نسخة نهج البلاغة مؤرخة في سنة ٥٧٢ في مكتبة دانشگاه طهران برقم ٤٨٧٦.

سنة ٥٧٣ هـ شرح القطب الراوندي، أول من شرح النهج سنة ٥٧٣.

(١) استناد نهج البلاغة: ١٠.

(٢) توجد في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، كما جاء في مجلة «سومر»، المجلد ١٤، سنة

(٣) الذريعة ١٤: ١١٥.

قال ابن أبي الحديد: «لم يشرح هذا قبلي فيما أعلمه إلا واحد هو سعيد بن هبة الله ابن الحسن الفقيه المعروف بالقطب الراوندي وهو من فقهاء الإمامية». واعتبر المحدث النوري شرحه هذا أول شرح على النهج^(١).

سنة ٥٧٣ هـ شرح لقطب الدين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي بعنوان منهاج البراعة، نسخة منه من الجزء الثاني في ٢٨٥ ورقة، مسطرتها ٣٠ × ١٩/٨ سم، بخط محمد بن أبي الفتح بن أبي الحسن بن أبي العباس بتاريخ سنة ٦٠٣ في مكتبة جيستر بتي، برقم ٣٠٥٩.

سنة ٥٧٦ هـ شرح نهج البلاغة بعنوان: «حدايق الحقائق في تفسير كلام، افصح الخلائق» تأليف قطب الدين أبي الحسن بن محمد بن الحسين الكيدري البيهقي، ألفه سنة ٥٧٦، نسخة منه مؤرخة سنة ٧٣٩ هـ فيها تاريخ الفراغ عن التأليف سنة ٥٧٦، في مكتبة ابراهيم الآلوسي ببغداد^(٢).

سنة ٥٨١ هـ إجازة أبي نصر علي بن أبي سعد بن الحسن الطيب كما نسخة مكتبة محفوظ المؤرخة ١٠٩٩.

سنة ٥٨٥ هـ شرح نهج البلاغة؛ لأفضل الدين الحسن بن علي بن أحمد الماه آبادي شيخ منتجب الدين سنة ٥٨٥^(٣).

سنة ٥٨٧ هـ إجازة الشيخ زين الدين محمد بن أبي نصر القمي، قال شيخنا العلامة: «أديب فاضل طيب، أقول: هو الشيخ زين الدين محمد بن أبي نصر بن محمد بن علي. كما سرد نسبه كذلك في آخر إجازته لتلميذه القاري عليه نهج البلاغة في سلخ رجب سنة ٥٨٧، وتلميذه هو الشيخ أبو نصر علي بن أبي سعد بن محمد بن الحسن (الحسين بن أبي سعد الطيب)^(٤).

سنة ٥٨٨ هـ نسخة نهج البلاغة بخط أحمد بن المؤيد بن عبد الجليل بن محمد سنة

(١) راجع المستدرک ٣: ٣٦٣، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١ - ٤، الذريعة ١٤: ١٢٦.

(٢) هامش تلخيص مجمع الآداب ٤: ٨١. (٣) أمل الآمل ٢: ٦٩.

(٤) الطبقات ٦: ٢٤٤.

٥٨٨ هـ، في مكتبة جيستربتي، برقم 5451 - FOLL169

سنة ٥٨٨ معارج نهج البلاغة للفقير المتكلم أبي الحسن علي البيهقي النيسابوري نسخة من فريد خراسان (٤٤٩ - ٥٦٥ هـ) شيخ ابن شهر آشوب (ت / ٥٨٨) في القطيف عند الشيخ محمد صالح بن الشيخ أحمد آل الطعان القطيفي البحراني^(١).

سنة ٥٨٩ هـ قراءة محمد بن الحسن المتطبب علي بن فضل الله الراوندي، ونص الإجازة في نسخة في مكتبة محفوظ بتاريخ ١٠٥٩.

سنة ٥٩٦ هـ إجازة على شرح نهج البلاغة للكيدري^(٢).

سنة ٥٩٨ هـ سماع كل من الشيخ الإمام عبد الله بن حمزة وأحمد بن زيد بن عليّ الحاجي، وكلاهما من أئمة الزيود سمعا على الشيخ عمرو بن جميل النهدي ببلدة نيسابور سنة ٥٩٨ هـ^(٣).

وفي القرن السابع:

سنة ٦٠١ هـ إجازة محمد بن أبي نصر لعلي بن أبي سعد محمد بن الحسن بن أبي سعد في ربيع الأول سنة ٦٠١، « ذكره الشيخ آغا بزرك في إجازات الرواية والورثة وتوجد على ظهر نسخة في مكتبة محفوظ، وفيها كتب أنه: «روي ان السيد الرضي ولد في بغداد سنة ٣٥٩ وتوفي في سادس المحرم سنة ٦٤٠، وروي القاضي أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد العسكري قال: سمعنا المرتضى علم الهدى عليه السلام يقول: ولدت سنة ٣٥٥. وتوفي في ربيع الأول سنة ٤٣٦، وله يوم توفي ثمانين سنة وثمانية أشهر وأيام عليه السلام »^(٤).

سنة ٦٠٦ هـ إجازة عمرو بن جميل النهدي، وجاء في مطلع البدور، مصورة المعهد مالفظه: «الشيخ الأكرم معين الدين أحمد بن زيد الحاجي البيهقي المروي [كذا] الزيدي، ذكره الشريف المرتضى بن سراهنك وأثنى عليه وقال: وهو من تلاميذ الشريف المرتضى حبيب الابوين أكرم من تحت الخافقين، ملك السادة والنقباء علي بن ناصر الحسيني

(٢) الطبقات ٦: ١٦٣.

(٤) إجازات الرواية والورثة.

(١) الذريعة ١٤: ١١٥.

(٣) لوامع الأنوار ١: ٤٥٥.

السرخسي مؤلف أعلام نهج البلاغة، وأحمد بن زيد المذكور اجتمع به عمرو بن جميل النهدي العازم إلى قطائر المجيز للإمام المنصور بالله وابن الوليد، وكانت الإجازة ضحوة نهار يوم الاثنين الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٦ (ست وستمئة) وكان اجتماعهما شاء [كذا] بها في نيسابور في مدرسة الصدر يحيى بن إسماعيل الحسيني في الصفة الشرقية في شهر رمضان سنة ستمائة، وحضر معهما تاج الإسلام سالم بن أحمد بن سالم البغدادي والشيخ العالم افتخار التجار أحمد بن محمد الواسطي وقرأ جميعاً نهج البلاغة على الشريف يحيى بن اسماعيل، والمملي هو الشيخ معين الدين أحمد بن زيد صاحب الترجمة ويحيى بن اسماعيل هو الإمام الفاضل المبلغ دعوة الإمام المنصور بالله عبد الله حمزة إلى ملك خوارزم وهو علاء الدين عليه السلام، وسيأتي ذكره فانه من مفاخر الزيدية، انتهى»^(١).

وجاء في مجموعة إجازات المسوري مانصه: «ومنها كتاب نهج البلاغة وكذلك كتاب خطبة الوداع ومات عليه السلام ولم يكتب لي السماع، فكان أمر الله هو المطاع، وكان سماعه هذين الكتابين أيضاً ببلدة ساذباخ بنيسابور في مدرسة الصدر بن المقدّم [وفي الهامش: يعني علي بن اسماعيل] والده... الشريف [سنة] ستين وستمئة بقراءة الإمام الأجل الأعلّم الأفضل معين الدين تاج الإسلام... الأفاضل والأماثل في العالمين أحمد بن زيد بن علي الحاجي البيهقي... العالم العامل الفاضل البارع منتجب الدين تاج الإسلام والمسلمين سيد النحاة والقرّاء أحمد بن سالم البغدادي والشيخ الإمام العالم منتجب الدين جمال الإسلام وافتخار التجار الحنيف [كذا] بن محمد الواسطي وجماعة غيرهم وفقهم الله وإيانا»^(٢).

سنة ٦٠٦ هـ شرح الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦، جاء في مقدمة تفسيره الكبير ص ٩ مانصه: «وان الكتب التي بدأ الإمام الفخر الرازي في تأليفها ولم يتمّها، منها: كتاب شرح

(١) مطلع البدور ١: ٧٠.

(٢) إجازة عمرو بن جميل النهدي المؤرخة سنة ٦٠٦، وهي آخر إجازات المسوري عن مخطوطة المؤلف عليه السلام.

نهج البلاغة»^(١).

سنة ٦٠٨ هـ نسخة نهج البلاغة بخط علي بن طاهر بن أبي سعد بتاريخ ٧ صفر سنة ٦٠٨ هـ عن خط الاديب الشاعر أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد الكردي النيسابوري سنة ٤٧٤ هـ.

سنة ٦٠٨ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة دانسگاه برقم ١٧٨٢، توجد صفحة مصورة منه في فهرس المكتبة ٨: ٣٣٥.

سنة ٦١٠ هـ نسخة نهج البلاغة قراءة الأشرف بن الأغبر بن هاشم المعروف بتاج العلي العلوي الحسني على يحيى بن أبي الطي^(٢).

سنة ٦١٣ هـ نسخة نهج البلاغة بتاريخ ٦١٣ في مكتبة المجلس برقم ٢٠٠^(٣).
سنة ٦٣٠ هـ شرح أبي الفضل يحيى بن أبي الطي حميد بن ظاهر الحلبي (ت/٦٣٠)^(٤).

سنة ٦٣٠ هـ نسخة نهج البلاغة بخط الحسن بن محمد بن عبد الله بن علي الجعفري عند صاحب المستدرك^(٥).

سنة ٦٤٩ هـ نسخة نهج البلاغة مؤرخة سنة ٦٤٩ بخط ابي اسحاق اسماعيل بن يعقوب الجندي، المدعو بين أقرانه بقوام الاسلام جعل الله التقوى رفيقه... ظهير يوم الجمعة أوائل ذي القعدة سنة تسع واربعين وستمئة، أيام سكونته لتحصيل العلم بقربة (بكدخو)، وهي من توابع خوارزم...، وهي في مكتبة آية الله المرعشي - قم برقم ٥٥.

سنة ٦٥٥ هـ إجازة يحيى بن أحمد بن سعيد للحسن بن علي بن محمد بن علي، ابن الابرز، نسخته في مكتبة السيد المرعشي بقم برقم ٥٦٩.

سنة ٦٥٦ هـ شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد المعتزلي (ت/٦٥٦).

(١) الذريعة ١٤: ١٦٠، التفسير الكبير ١: ٩، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م، وراجع تاريخ الحكماء

للقفطي: ١٩٢. (٢) الطبقات ٧: ١٩.

(٣) فهرس مكتبة المجلس: ٣٤. (٤) الذريعة ١٤: ١٥٣.

(٥) مستدرك الوسائل ٣: ٤٩٤.

بحث عنه مفصلاً شيخنا في طبقات اعلام الشيعة ٧: ٨٨ ، ونسخته مطبوعة متداولة، وله نسخة نادرة بتاريخ سنة ٩٨٩ مع صورة إجازة الشارح في سنة ٦٥٤ لابن العلقمي الوزير بخط داود الشيباني الداني [ظ] في مكتبة نواب بمشهد برقم ٢٩، وفيلمها في مكتبة دانشگاه برقم ٢١٢١ .

سنة ٦٦٠ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة المجلس برقم ٣٠٤٥ (من الكتب غير المفهرسة).

سنة ٦٦٤ هـ شرح نهج البلاغة: لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر الطاووس (ت/٦٦٤)^(١).

سنة ٦٦٥ هـ نسخة بخط نجم الدين حسين بن اردشير طبري سنة ٦٦٧ ، وقوبل سنة ٧٢٦ وعليه قراءة كاتب النسخة علي يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي بالحلة سنة ٦٧٧، نسخته في مكتبة السيد الحكيم في النجف الاشرف (وهو من الكتب غير المفهرسة).

سنة ٦٦٧ هـ نسخة نهج البلاغة بخط نجم الدين الطبري^(٢).

سنة ٦٧٠ هـ نهج البلاغة نسخة في مكتبة كوبرلي برقم ١٤٥٧ ، عليها تملك سنة ٦٧٠ وسنة ٦٨٦ وسنة ٦٩٠ ، وكتب عليها : «قوبل بنسخة صحيحة معتمدة بقدر الإمكان ليلة الجمعة في التاسع من شهر الله الاصم رجب سنة خمس ثلاثين وسبعمائة بيد حسب أشبلي [كذا] أعلى الله شأنه وعلى هوامشها تصحيحات وتعليقات، وهي في ٢٤٠ ورقة.

سنة ٦٧٠ هـ سماع القاضي عبد الله بن محمود بن بلدجي على الشيخ حسن (ت/١٠١١) كما في الإجازة الكبيرة في البحار ١٠٩: ٤٥ ، وذكر السيد غياث الدين بن طاووس ... انه روى نهج البلاغة بحق سماعه على القاضي عبد الله بن محمود بن بلدجي سنة سبعين وستمائة ببغداد بدرب السلسلة، بقراءة العلامة شمس الدين الكيشي قال:

(١) كما في كشف الحجب : ٣٥٩ ، والذريعة ١٤ : ١٤٠ .

(٢) الطبقات ٨ : ٣٩ .

وأجاز لي روايته عن السيد كمال الدين حيدر بن محمد بن زيد الحسيني بن محمد بن علي بن شهر آشوب عن المنتهى بن أبي زيد عن أبيه عن السيد الرضي.

سنة ٦٧١ هـ نسخة نهج البلاغة ، في مكتبة ملى بتبريز برقم ٣٦٢٤.

سنة ٦٧٣ هـ نسخة النهج في مكتبة المتحف البريطاني برقم 23472 - ADD.

سنة ٦٧٤ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد بن الحسين المعروف بيرهان نظامي سنة

٦٧٤ في المكتبة الناصرية بلكنهو بالهند ، في مجلد واحد وتقع في (١٣٥) ورقة، ومسطرتها ٢١ سطراً، كتبت بخط واضح مشكول^(١).

سنة ٦٧٥ هـ نسخة نهج البلاغة بخط حسن بن إسماعيل بن إبراهيم بن علي بن أبي

سعيد الطبري في سنة ٦٧٥ في مكتبة كتابخانه اعتماد الدولة - همدان^(٢).

سنة ٦٧٥ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة حاج حسين نخجواني في كتابخانه ملى

بتبريز.

سنة ٦٧٥ هـ نسخة نهج البلاغة بخط اسماعيل بن يوسف بن علي بن محمد بن الدين،

تاريخه ٢ صفر سنة ٦٧٥، عن نسخة بخط أبي السعود حيدرة بن الحسن بن أحمد بن

محمد بن أحمد بن الكاتب، في المكتبة الرضوية برقم ٣٩٥ - أخبار (١٨٦٢)، جاء في

آخرها مالفظة: «ووافق الفراغ من نسخه العبد الفقير المحتاج إلى مغفرة الله تعالى

وأحوجهم إلى رضوانه اسماعيل بن يوسف بن علي بن محمد بن الدين ، وذلك آخر نهار

الخميس ثاني صفر سنة خمس وسبعين وستمئة، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله النبي الأمي وسلّم تسليمًا».

ويليه نسخة من المناجاة أولها: «الهي أنا عبدك ابن عبدك ابن امستك معترف لك

بالعبودية ، مقرّ بأنك أنت الله خالقي لا إله لي غيرك) وهذه النسخة قابلة للأوفيست.

سنة ٦٧٦ هـ نسخة نهج البلاغة بخط علي بن سليمان بن أبي الحسن بن أبي الفرج ابن

أبي البركات في مكتبة ملك برقم ١٥٣^(٣).

(١) مقدمة نهج البلاغة ١: ١٠ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم.

(٢) نسخه های خطی (دفتر پنجم) ٥: ٣٤٦. (٣) راجع مجلة المعهد ٦: ٦٧.

سنة ٦٧٧ هـ نسخة نهج البلاغة برقم ٦٦١ في مكتبة السيد الحكيم في النجف، في آخرها: «تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله أجمعين يوم السبت أواخر سنة تسع وسبعين وستمائة، فرغ من نقله الحسين بن أردشير الطبري».

وجاء فيه أيضاً: «بلغت المقابلة بنسخة (صحيحة - ظ) بالحضرة الغروية صلوات الله على مشرفها في رمضان سنة ست وعشرين وسبعمئة».

وجاء أيضاً النص الآتي مخروماً ومكملاً بخط حديث، وهو: «أنهأه أحسن الله توفيقه قراءة وشرحاً لمشكله وغريبه، نفعه الله [من هنا بخط السماوي] وإيانا بمحمد وآله، وكتب يحيى بن محمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي بالحلة حماها الله في صفر من سنة سبع وسبعين وستمائة» كملته من رياض العلماء المنقولة صورته. محمد السماوي عفي عنه.

سنة ٦٧٧ هـ نسخة نهج البلاغة بخط يحيى بن سعيد، سنة ٦٧٧ [كذا] هـ في مكتبة آية الله الحكيم، صفتان منه مصورة في آخر الفهرس - النوادر، الصفحة ٨٨ والصفحة ٨٩. ويظهر أنها كانت في مكتبة السماوي، يراجع مجلد المعهد ٤: ٢١٦، وقد صورتها هيئة اليونسكو كما في فهرسها.

قال شيخنا العلامة: «إجازة السيد شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الرضا العلوي البغدادي، مختصرة، كتبها بخطه لبعض تلاميذه على ظهر نهج البلاغة الذي كتبه السيد نجم الدين الحسين بن أردشير بن محمد الطبري سنة ٦٧٧ هـ، بالحلة السيفية، ويبعد كون الإجازة لابن أردشير لأنه معاصر لابن أبي الرضا وكلاهما من تلاميذ يحيى بن سعيد»^(١).

سنة ٦٧٩ هـ شرح نهج البلاغة لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت/ ٦٧٩) مطبوع متداول، وله ثلاثة شروح: كبير ومتوسط وصغير، ونسخة بخط المؤلف في ٦ رمضان ٦٧٧ هـ = ١٢٧٩ م في مكتبة جيستر بتي برقم ٣١٦٩، عدد الأوراق ١٨٣،

مسطرتها سم ٥ / ١٦ × ٧ / ٢٤ (١).

سنة ٦٧٩ هـ شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني باسم (مصباح السالكين). رأيت منه نسخة كتبت في بلدة الحلة سنة ٧١٦، أي بعد وفاة المؤلف بـ ٣٧ سنة، ورأيت نسخة أخرى في مكتبة نواب بمشهد جاء فيها: «أنها أدام الله توفيقه وتسديده في عدة مجالس آخرها... ثالث عشر شعبان المبارك من سنة ست عشرة وسبعمائة. ونسخة أخرى من مصباح السالكين كتبها محمد بن أحمد بن أبي المعالي العلوي سنة ٧٦٥ وعليها مانصه: «وجدت في آخر نسخة صحيحة للشيخ أبو القاسم المعروف هكذا: قال السيد عليه السلام: وهذا حين انتهاء الغاية إلى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فرغ من اختصاره أضعف عباد الله ميثم بن علي بن ميثم البحراني في آخر شوال سنة إحدى وثمانين وستمائة» في مكتبة السيد علي أتشي - يزد.

سنة ٦٨٢ هـ نسخة نهج البلاغة بخط حسين بن محمد الحسين في النجف الأشرف سنة ٦٨٢ هـ، عدد الأوراق ٤٢١ (٢).

كتبت برسم خزانة غياث الدين طلعت باشا، بدار الكتب المصرية برقم ٤٨٤٠، اعتمد عليها محمد أبو الفضل إبراهيم في تحقيق شرح نهج البلاغة.

سنة ٦٨٢ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد بن علي بن الحسن السراشاهد (٣).

سنة ٦٨٣ هـ نسخة نهج البلاغة في المتحف العراقي بتاريخ ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م (٤).

سنة ٦٨٤ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة أمين الكتاب باستانبول - تركيا برقم

٢٢١/٩٤٣.

سنة ٦٨٧ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد بن عبد الكريم الابرقوثي، بتاريخ ٥ ربيع

الأول سنة ٦٨٧ هـ في مكتبة ملك برقم ١١٧٦ (٥)، وعنها صوّرت اليونسكو برقم ١٤٠.

(٢) مجلة معهد المخطوطات ٣: ٢١٨.

(١) الذريعة ١٤: ١٤٩.

(٤) فهرس مخطوطات المتحف العراقي: ٦٤٢.

(٣) الطبقات ٨: ١٨٨.

(٥) مجلة معهد المخطوطات ٦: ٧٠.

وفي القرن الثامن:

سنة ٧٠١ هـ نسخة نهج البلاغة بتاريخ علي بن الناصر قطب الدين القاشاني في ٧٠١ هـ في مكتبة كاشف الغطاء في النجف برقم ٨٤٨.

سنة ٧٠١ هـ نسخة نهج البلاغة بخط ياقوت المستعصي^(١).

سنة ٧٠٣ هـ نسخة بخط أحمد بن محمد بن جعفر الريان في مكتبة السيد المرعشي برقم ٣٧٤١.

سنة ٧٠٤ هـ نسخة قديمة كاملة مشكولة كتبها بNDAR بن محمد بن بNDAR الوراميني سنة ٧٠٤ هـ = ١٣٤٠ م كما في المخطوطات العربية في المتحف العراقي ببغداد بقلم غورگيس عواد برقم ١٦٦٢^(٢).

سنة ٧٠٦ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة كاشف الغطاء بتاريخ سنة ٧٠٦ هـ وبرقم ٨٤٨ بخط علي بن عمران الصحاف.

سنة ٧٠٦ هـ نهج البلاغة في إحدى مكتبات النجف ، اشار إليها الهادي كاشف الغطاء^(٣).

سنة ٧٠٧ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة السيد المرعشي بقم برقم ٤٤٦٠.

سنة ٧٠٨ هـ نسخة نهج البلاغة بتاريخ سنة ٧٠٨ في مكتبة السيد المرعشي ، برقم ٤٥٥٦.

سنة ٧٠٩ هـ نسخة نهج البلاغة مزخرفة ، وهي مؤرخة في سنة ٧٠٩ في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٥٨٦^(٤).

سنة ٧١٦ هـ شرح اختيار مصباح السالكين شرح نهج البلاغة في مكتبة مشايخي الخاصة في مشهد.

سنة ٧١٦ هـ نسخة نهج البلاغة بخط حسين بن محمد الجرجاني ، وعليه قراءة بتاريخ ٩ شعبان سنة ٧١٦.

(١) الطبقات ٧: ٢٠٣.

(٢) مجلة سومر، المجلد الرابع عشر سنة ١٩٥٨ المجلد ١ و ٢.

(٣) مدارك نهج البلاغة: ٢١٩. (٤) مجلة معهد المخطوطات ٣: ٢١٨.

سنة ٧١٨ هـ نسخة نهج البلاغة صحّحها محمد بن علي بن أبي علي البلخي المهدوي، المتوفى ٧١٨، في مكتبة المجلس برقم ٨١٥٦.

سنة ٧٢٣ هـ إجازة الشيخ أبو الفتح أحمد بن بنكو الآوي، المجاز من العلامة بخطه على نهج البلاغة عن نسخة فضل الله الراوندي في سنة ٧٢٣ عند السيد شهاب الدين المرعشي بقم^(١).

سنة ٧٢٣ هـ إجازة العلامة الحلبي (ت/ ٧٢٦) لبني زهرة المؤرخة سنة ٧٢٣^(٢).

سنة ٧٢٦ هـ شرح نهج البلاغة للعلامة الحلبي (ت/ ٧٢٦). نسخة منه في مكتبة الدكتور أصغر المهدوي برقم ٧٩٥. فيلمها في مكتبة دانشگاه برقم ١٥٤٥ كما في فهرست ميكرو فيلمها: ٣٤٨^(٣).

سنة ٧٢٦ هـ نسخة نهج البلاغة مؤرخة سنة ٧٢٦ في مكتبة دانشكده ادبيات طهران، برقم ٦٣ كرمان مجموعة إمام جمعة، فيلمها في مكتبة دانشگاه برقم ٢٧٨٦، عليها تملك محمد بن محمد بن علي بن أبي الفوارس التاجر، كما في فهرست ميكرو فيلمها: ٢٩٦.

سنة ٧٢٨ هـ شرح نهج البلاغة بخط ياقوت المستعصي [كذا] نسخته في مكتبة المجلس.

سنة ٧٢٩ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد بن محمد بن الحسن بن طويل الصفار نسخته في المكتبة الرضوية^(٤).

سنة ٧٣٢ هـ إجازة السيد محمد بن الحسن بن أبي الرضا العلوي، شمس الدين بتاريخ سنة ٧٣٢.

سنة ٧٣١ هـ قراءة على محمد بن شمس الدين روبرال المؤيدي^(٥).

سنة ٧٣١ هـ نسخة نهج البلاغة بخط بدر الدين الناوندي^(٦).

سنة ٧٣٥ هـ نسخة نهج البلاغة بخط عبد الرحيم بن أحمد المشهدي، بتاريخ يوم الاثنين ٧ صفر ٧٣٥، في مكتبة باريس برقم ٢٤٢٣.

(٢) البحار ١٠٧: ٧١.

(١) الطبقات ٨: ٥.

(٣) يراجع: أمل الآمل ٢: ٤٥ وكشف الحجب: ٩٦.

(٥) الطبقات ٨: ١٨٨.

(٤) الطبقات ٨: ١٩٩.

(٦) الطبقات ٨: ٢٤.

سنة ٧٣٦ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية من كتب مدرسة صدر اصفهان^(١).
 سنة ٧٤٩ هـ شرح يحيى بن حمزة بن علي المؤيد الزيدي (٦٦٩ - ٧٤٩). بعنوان الديباج
 الوضي^(٢)، ونسخة بتاريخ سنة ١٠٧٣ في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، رقم ٣٠٦ - أدب.
 سنة ٧٥٠ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة بايزيد العمومية في استانبول، برقم ٥٥٧٢،
 عليه تملك السيد حسن ساهان زاده نقيب الاشراف بالديار المصرية. بخط النسخ الجيد،
 مؤرّخة في نهاية الجزء الاول، الورقة ٥٥ / وجه: «اتفق الفراغ منه في شهور سنة ٧٥٠
 على يد أحقر عباد الله تعالى الفقير إلى رحمة ربّه أحمد بن حسن بن حسين بن مسعود
 الحلبي».

سنة ٧٥٩ هـ منتخب نهج البلاغة لبعض العامة من السادة الأدباء، ألفه بالتماس ولده
 نظام الدين مطهر، أوله: «الحمد لله الذي جعل قلوب صفوة عبادة خزائن المعارف»
 وتاريخ فراغ الكاتب في رجب سنة ٧٥٩، وهو في ٨٢ ورقة، يوجد في مكتبة استان
 قدس برقم ٣٠٣ - اخبار، ويعد من النفائس.

سنة ٧٦٠ هـ نسخة نهج البلاغة، قديمة الخط تاريخ قراءتها على السيد العلامة يوسف
 الأصفهاني سنة ٧٦٠ هـ^(٣).

سنة ٧٦٧ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة المتحف العراقي برقم ١٦٦١، بخط محمد ابن
 غريب بن محمد البخارائي.

سنة ٧٨٠ هـ شرح نهج البلاغة لكمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم العتائقي
 الحلبي، فرغ منه سنة ٧٨٠، في خزانة مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في السنجف،
 وفي فهرس مكتبة سيهسالار ماييلي: «يقول ابو يوسف: إنّ لديه نسخة منه وإنّ فيها مادة
 تاريخ الشرح بالسنة ٧٧٧ هـ و ٧٨٦ هـ»^(٤). وفيلمه في مكتبة دانشگاه، برقم ٦٢٧٨.

(١) نشرية ٥: ٣١٤.

(٢) راجع: الذريعة ١٤: ١٥٢، الطبقات ٨: ٢٢٨.

(٣) انظر الهيئة والاسلام ١: ١٥، ومجلة المعهد ٤: ٢٥٣.

(٤) فهرس مكتبة سيهسالار ٢: ١٢٧.

سنة ٧٨٤ هـ شرح نهج البلاغة ، عليه إجازة عليه الشهيد الأول لابن الخازن المؤرخة
سنة ٧٨٤ هـ كما في البحار^(١).

سنة ٧٨٥ هـ نسخة نهج البلاغة بخط أبي الحسن حيدر بن محمد حسين في المكتبة
الرضوية ، برقم ٧٦٦.

سنة ٧٨٥ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ٢١٨٢.

سنة ٧٨٦ هـ إجازة الشيخ كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي
الحلي لتلميذه الذي قرأ عليه المجلد الثالث من شرحه على نهج البلاغة سنة ٧٨٦ ، وله
شرح نهج البلاغة كما في الذريعة^(٢).

سنة ٧٨٩ هـ نسخة نهج البلاغة بخط أحمد بن ساعد الحسيني بخطه في صفر سنة ٧٨٩
(تسع وثمانين وسبعمائة) بمدينة دار... قال المسوري: « وأنا أروي كتاب نهج البلاغة
سماعاً عن شيخنا الفقيه الإمام الأكمل ... الأفضل جمال الدين أحمد بن حميد بن سعيد ،
وهذه النسخة سماعه^(٣) ».

سنة ٧٩١ هـ نسخة نهج البلاغة بخط علي بن الحسين بن محمد العامر سنة ٧٩١ هـ في
مكتبة المجلس ، برقم ٧٩٤٣ - جديد.

سنة ٧٩١ هـ قال مسعود التفتازاني (ت / ٧٩١ هـ)، في شرح المقاصد ما لفظه: « وهو [أي الإمام علي عليه السلام] أفصحهم لساناً على ما يشهد به نهج البلاغة »^(٤).

سنة ٧٩٦ هـ سماع السيد الإمام داود بن يحيى بن الحسين (ت / ٧٩٦ هـ)، سمع عليه
الهادي بن إبراهيم الوزير الكبير نهج البلاغة ، ثم قال بعد السماع: « ما كان في نهج البلاغة
فهو صحيح ، قال السيد داود بن يحيى : انعقد اجماع العترة على أن نهج البلاغة كلام
علي عليه السلام »^(٥).

(٢) الذريعة ١٤: ١٣١ ، و ٢٠١: ٢٠١ .

(١) البحار ١٠٧: ١٨٩ .

(٣) إجازة المسوري وإجازات الأئمة (مخطوط): ١٢٥ .

(٤) شرح المقاصد: ٣٠١ ط / عبد الحميد خان .

(٥) لوامع الأنوار ١: ٤٥٨ .

وفي القرن التاسع:

سنة ٨٠٠ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة بنته برقم ١٨٥٣ .
سنة ٨٠٣ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة ملّي بطهران ، رقم ٣٠٨٣ (مصور كما في
مجلة المعهد ٦: ٣٢٩) .

سنة ٨١٦ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ٢١٨٥ .
سنة ٨١٦ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ٧٦٧ - أخبار .
سنة ٨١٨ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة گوهر شاد، برقم ١ / ١٠٤ بخط محمد بن
علي حسن حسني موسوي .

سنة ٨١٨ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة گوهر شاد، برقم ١٠٤ ، ومعها ديوان الإمام
عليّ عليه السلام . والنهج والديوان مترجمان بالحمرة إلى الفارسية بخط واحد وقطع واحد ،
والديوان غير مؤرّخ ، ولكن في آخر النهج مايلي: «تيسر الفراغ من كتابة هذا الكتاب
الكریم بتوفيق الله العليم ولطفه ومنه ، ظهر الخميس الثامن عشر من شهر جمادى الأولى
سنة ثمان عشر وثمانمئة هجرية نبوية ، على يدي الضعيف المذنب المتكل بفضل الله
الغني محمد بن علي الحسن الحسيني الموسوي ، بإشارة الناقد الذي من إشارته غنم
وطاعته حتم وتحفة الكيا الأعظم منجاة ملاذ الأمم أعدل الأمراء في العالم مشهور جهان
سيف الله (المعالي - ظ) أدامها علوية في الآفاق» . [وقد محي الاسم وجعل مكانه محمد
علي] صاحبه ومالكه العبد الضعيف حسن بن علي بن رضا استرآبادي عفي عنهما ،
وفي آخره اجازة الشيخ محمد باقر المجلسي لمحمد مؤمن الرازي في سنة ١٠٧٢ هـ .
سنة ٨٣٠ هـ شرح صائن الدين علي بن محمد بن أفضل الدين محمد تركة
(ت/ ٨٣٠) (١) .

سنة ٨٣٧ هـ نسخة نهج البلاغة بخط ابراهيم بن محمد ، والخط نسخ جيد ، بتاريخ شهر
ذي الحجة سنة ٨٣٧ هـ ، في ٢٠٥ ورقة ، مسطرتها ١٩ سطراً ، ٢٦ × ١٧ سم في الصفحات
(٤٨ - ٢٥٤) ، نسخ بالمداد الأحمر ، والعناوين الداخلية وأوائل الفقرات بالمداد الأحمر

أيضاً، يسبقه كتاب في المواعظ والتذكير بدون ذكر المؤلف وبدون عنوان، وهو في الصفحات (٢ - ٤٧) في المكتبة الغربية بصنعاء اليمن برقم ١٤٥ - أدب .

سنة ٨٥٢ هـ مختصر نهج البلاغة لابن ميثم البحراني بتاريخ ٨٥٢ في مكتبة الدكتور محفوظ الخاصة في الكاظمية.

سنة ٨٥٨ هـ نسخة نهج البلاغة بهذا التاريخ، صوّر صفحة منها د. صفاء خلوصي

The Islamic Review 38 v . no 10 England Od . 1950

سنة ٨٧١ هـ نهج البلاغة بخط علاء بن حسين بن عليّ الحافظ السبزواري في مكتبة الأستاذة بقم .

سنة ٨٧٥ هـ نسخة نهج البلاغة كتبها صالح بن إبراهيم الأنصاري سنة ٨٧٥ هـ، في مكتبة المتحف العراقي برقم ١٨٩٣ .

سنة ٨٧٧ هـ إجازة العلامة علي بن محمد بن يونس البياضي البقاعي (ت / ٨٧٧ هـ) للشيخ ناصر بن إبراهيم البويهبي الحساوي (ت / ٨٥٢ هـ) ^(١).

سنة ٨٨١ هـ شرح التحفة العلية في شرح نهج البلاغة الحيدرية؛ للسيد أفصح الدين محمد بن حبيب الله بن أحمد الحسيني، فرغ منه سنة ٨٨١، توجد نسخة منه في مكتبة السيد عليّ الهمداني الخاصة في النجف.

سنة ٨٨٢ هـ نسخة نهج البلاغة بخط حمزة بن بير بن هلال بن كجهش بن هلال الحسيني في نهار يوم السادس من صفر ٨٨٢ في مكتبة الوزير - يزد برقم ٥٠٢١، وهي في ٣٠٨ صفحة فيلمها في مكتبة دانشگاه برقم ٢٤٢٤ .

سنة ٨٨٣ هـ نسخة نهج البلاغة جيدة الخط ، تعود إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) عليها تملك محمد بن نظام الدين بن هلال الروبان سنة ٨٨٣ هـ = ١٤٧٨ م، الصفحة الأولى ساقطة، توجد في مكتبة المتحف العراقي بالرقم ٧٢١٦ .

سنة ٨٨٥ هـ نسخة نهج البلاغة بخط الشيخ عبد الحسين بن عبد العزيز الرازي، في مكتبة مدرسة نواب بمشهد ، برقم ٦٩ - أخبار.

(١) يراجع البحار ١٠٧ : ٢٢٥ .

سنة ٨٩١ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد بن سلطان الحافظ سنة ٨٩١ هـ في مكتبة السيد المرعشي في قم، برقم ٨٢٦.

سنة ٨٩٢ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة متحف الأوقاف ببغداد برقم ٢٠٧٤ - T (مصور ١ / ٥٤٤).

سنة ٨٩٧ هـ نسخة نهج البلاغة بتاريخ سنة ٨٩٧ هـ في مكتبة المجلس .

وفي القرن العاشر:

سنة ٩٠٠ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة كاشف الغطاء في النجف كما في فهرسها^(١).

سنة ٩٠٥ هـ شرح جلال الدين حسن بن خواجة شريف الدين عبد الحق الاردبيلي الالهي^(٢).

سنة ٩٠٥ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة أسعد پاشا في اسلامبول باسم منهج الفصاحة^(٣).

سنة ٩٠٦ هـ شرح نظام الدين الأمير علي شير بن گنجينه الجغتائي الهروي (ت/٩٠٦) (٤).

سنة ٩٠٧ هـ إجازة الشيخ علي الكركي للمولى شمس الدين محمد الاسترابادي المؤرخة سنة ٩٠٧، وفيها: «وبهذا الاسناد كتب السيد الرضي أخي المرتضى رواياته وديوان شعره ونهج البلاغة عن ابن قدامة عن السيد الرضي رحمته الله»^(٥).

سنة ٩١٧ هـ شرح نهج البلاغة لقوام الدين يوسف قاضي بغداد المارديني (ت/٩١٧) (٦).

سنة ٩١٨ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٧٧٥.

سنة ٩٢٣ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة السيد المرعشي برقم ٢٣١٠.

(١) فهرس مكتبة كاشف الغطاء: ٨٧٨. (٢) الذريعة ١٤: ١٢٥.

(٣) الذريعة ١٤: ١٢٥، ودانشمندان: ٤٨. (٤) الذريعة ١٤: ١٤١.

(٥) البحار ١٠٨: ٥٢. (٦) شذرات الذهب ٨: ٨٥.

سنة ٩٢٠ هـ شرح للمولى كمال الدين حسين بن عبد الحسن الاردبيلي (ت/ ٩٣٠ هـ) (١).

سنة ٩٣٧ هـ إجازة الشيخ علي الكركي للقاضي صفي الدين في سنة ٩٣٧ (٢).
سنة ٩٤٤ هـ شرح نهج البلاغة ، لعز الدين الآملي (ت/ ٩٤٠ هـ) (ح) شريك المحقق الكركي في الدروس ، ذكره في الرياض نقلاً عن مجالس القاضي ونسخة شرح نهج البلاغة بالفارسية عند الحاج ملا علي الخياباني في تبريز ، ونسخة منه في مدرسة سيهسالار في ٢٩ ذي القعدة رقم ٣٠٩٣ (٣).

سنة ٩٤٧ هـ شرح نهج البلاغة بعنوان روضة الأبرار لعلي بن الحسن الزواري، ألفه سنة ٩٤٧، نسخة منه بخط هداية الله بن أبي الحسن الشيرازي في ربيع الأول سنة ١٠٥٦ في مكتبة ملي بطهران برقم ٢٩٩٤، ويوجد فيلم منه في مكتبة دانشگاه طهران برقم ١٩٣٢ (٤).

سنة ٩٤٨ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ٢٩٢ - أخبار.
سنة ٩٤٨ هـ ترجمة نهج البلاغة بالفارسية ، مجهول المترجم ، وتاريخ الترجمة آخر شوال ٩٤٨. نسخة منه بتاريخ سنة ١٠٦٥ في مكتبة ملي بطهران برقم ١٢٤٣/٢٩٩٤.
سنة ٩٥٠ هـ شرح نهج البلاغة، باسم نهج الفصاحة بالفارسية ؛ لجلال الدين الحسين بن شريف الدين عبد الحسن المعروف بالآلهي (ت/ ٩٥٠)، توجد نسخة منه في المكتبة الرضوية برقم ٧٥٧ - أخبار - ونسخة في مكتبة المجلس بطهران برقم ٥٧٨٣ (٥).

سنة ٩٧٢ هـ ترجمة نهج البلاغة بالفارسية، للشيخ عز الدين بن جعفر بن شمس الدين الآملي، أولها : «غرض علم الإنسان نهج البلاغة و...» وآخرها: «وقد انتهى الفراغ من كتبه ظهيرة يوم الثلاثاء شهر جمادى الأولى سنة ٩٧٢ على يد مترجمه العبد الفقير

(١) الذريعة ٥: ٧. (٢) البحار ١٠٨: ٧٦.

(٣) الطبقات ١٠: ١٣٨.

(٤) الذريعة ١٤: ١٣٦، وفهرس ميكروفيلمها: ١٣٣.

(٥) نسخه های خطی، لمهدوي، دفتر ٢: ١٠٣٧ - ١٠٧٧.

الراجي عبد الموالى عز الدين بن جعفر بن شمس الدين الآملي، كتبه العبد الحقير المحتاج إبراهيم بن زكريا جمارودي زرگر بدّل الله سيئاتهم حسنات». وآخر خطبه: «فأسألوني قبل أن تفقدوني». توجد في مكتبة الآستانة بقم برقم ١٦٣٦٢.

سنة ٩٧٢ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ٢١٨٠ - أخبار.

سنة ٩٧٣ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ٧٦٨ - أخبار.

سنة ٩٧٨ هـ شرح تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين؛ لفتح الله بن شكر الله الشريف

الكاشاني، المتوفى سنة ٩٧٨ هـ في كشمير، وله شرح فارسي لنهج البلاغة مؤرخ سنة ٩٥٥ هـ في مكتبة مسجد جامع عتيق، في شيراز^(١).

سنة ٩٨٩ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة تقوي بطهران، نقل عنه القزويني في

يادداشتها (٩: ١٢١) مانصه: «هذا كتاب نهج البلاغة بخط الياقوت الثاني [شيخ - ظ]

زاده السهرودي، كان في سلسلتنا، انتهى إلى أخي السيد [السعيد - ظ] الشهيد نور الهدى

طيب الله تعالى ثراه، فلما انتقل إلى رحمة الله سبحانه أرسلته والدتي صانها الله سبحانه

عن كيود الظالمين المبدعين إليّ، فوصل الحق إلى ذي الحق، فلما رأيته [متهرباً - ظ]

وكنت متوجّهاً من بغداد إلى القسطنطينية المحروستين استعجلت بترميمه وإصلاحه، فلذا

لم يصلح كما كان يليق بشأنه، وظنّي أنّ أمثاله غنيّ عن الإصلاح، من يعرف قدره لا يفتقر

إلى تهذيبه ومن لا يعرفه فهو مطروح من نظر الذكي، نمقه ابن سيد شريف الحسيني ميرزا

مخدوم الشريف القاضي ببغداد والمشهدين والمفتي بالعراقين [سابقاً - ظ] في يوم

الخميس ١٥ شهر ربيع الآخر سنة ٩٨٩ هـ.

سنة ٩٩٤ هـ نسخة منه بخط حسن بن عليّ بن حسن بن علي بن شدم في مكتبة

مشكاة برقم ٨٧، وفي آخره: «وكان اعتمادي حال الكتابة على ثلاث نسخ، بل أربع

نسخ: ١ - نسخة شرح نهج البلاغة للعلامة عبد الحميد بن أبي الحديد بخط ... وهي نهاية

في الضبط والتصحيح. ٢ - نسخة مقروءة على الشيخ سديد الدين يوسف بن مطهر^(٢)،

وعليها تعاليق بخطه وآخر تعاليقه عند قوله ﷺ: وأرديت جيلاً من الناس كثيراً، وتاريخ

(١) نسخه های خطی: لمهدوي، الدفتر (٥)، وفي م/ملي برقم ١٥٢٧/٢٠٥٧.

النسخة سنة ٥٨٨ هـ - نسخة عليها آثار الصحة وتاريخها سنة أربعمئة ٤ - نسخة وهي [أقدم - ظ] نسخته شرح الشيخ الفاضل ميثم البحراني وصلى الله عليه وآله، وله ثلاثة شروح^(١).

سنة ٩٩٦ هـ شرح نهج البلاغة أوله: «أما بعد فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين فاجمع...». وقال المفهرس: «لعله ليوسف بن حسن الشهير بقاضي بغداد قوام الدين»^(٢). نسخة منه بتاريخ ٩٩٦ في مكتبة أحمد الثالث بتونس، برقم ٤٦٦٩ وأخرى برقم ٢٥٨٦.

وفي القرن الحادي عشر:

سنة ١٠٠٣ هـ نسخة السيد محمد شاهي بن محمد باقر، في مكتبة المجلس بطهران برقم ٦٤٥٣٥.

سنة ١٠٠٤ هـ شرح نهج البلاغة، ترجمة فارسية لحكيم علي صوفي بتاريخ ١٠٠٤^(٣).
سنة ١٠١٠ هـ نسخة بخط محمد بن صالح بن محمد سعيد الأشرف في مكتبة الكونجرس الأمريكي في واشنطن برقم ١٥٠.

سنة ١٠١٣ هـ شرح شمس بن محمد بن مراد، كتبه في ١٠١٣^(٤).
سنة ١٠١٨ هـ نسخة نهج البلاغة حسنة الخط كاملة، يتخلل سطور نصفها الأول ترجمة فارسية مكتوبة بالحرمة، كتبها شهاب الدين بن قطب الدين الكرمانى في ٢٢ شوال سنة ١٠١٨ في مكتبة المتحف العراقي برقم ١٠٢١١^(٥).

سنة ١٠٢١ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ١٨٦١ - أخبار.

سنة ١٠٢٧ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ٧٦٩ - أخبار.

(١) راجع الذريعة ١٤: ١٤٥، وفهرس مشكاة، المجلد الثاني؛ لعلى منزوي، ط / سنة ١٣٣٢ هـ.

(٢) راجع كشف الظنون ٢: ١٩٩١.

(٣) فهرست نسخته ها: ٧، مفتاح رقم ١١٢٠ وفهرس مكتبة المشكاة، لعلى منزوي، المجلد

(٤) الذريعة ١٤: ١٢٧.

الثاني.

(٥) مجلة سومر العراقية، العدد ١٤ سنة ١٩٥٨ م.

سنة ١٠٢٨ هـ ترجمة نهج البلاغة؛ لنور محمد بن قاضي عبد العزيز المحلي، في مكتبة
سيهسالار برقم ٧٠٥٩.

سنة ١٠٣٠ هـ شرح محمد بن نصّار الحويزي المجاز من الشيخ البهائي
(ت/١٠٣٠) (١).

سنة ١٠٣٢ هـ نسخة مؤرخة سنة ١٠٣٢ جاء وصفها في فهرس نسخه ها: ٧٠، المفتاح
رقم ١٢٣.

سنة ١٠٣٦ هـ شرح نظام الدين الكيلاني (ت/١٠٣٦) باسم أنوار الفصاحة وأسرار
البلاغة (٢).

سنة ١٠٣٧ هـ نسخة نفيسة بخط نسخي جميل وورق جيد، وفي ص ٢٤٦ منها إشارة إلى
أنها كتبت سنة ١٠٣٧ هـ = ١٦٢٧ م، في مكتبة المتحف العراقي - بغداد برقم ١٦٢٤ (٣).

سنة ١٠٣٩ هـ شرح نهج البلاغة باسم منهاج الولاية؛ لمير عبد الباقي التبريزي الخطاط
(ت/١٠٣٩) (٤).

سنة ١٠٤٢ هـ نسخة نهج البلاغة بخط عزّ الدين دريب مقابلة في سنة ١٠٤٢ هـ في
مكتبة المتحف البريطاني برقم D - 220.

سنة ١٠٤٢ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة المتحف البريطاني برقم D - 311.

سنة ١٠٤٨ هـ إجازة أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن
محمد في سنة ١١ ربيع الآخر ١٠٤٨ لآحمد بن محمد [المشهد - ظ] ونصها: «أجزته أن
يروى عني كتاب نهج البلاغة لأمر المؤمنين كرم الله وجهه كما بلغنا ذلك بقراءة الشيخ
أبي صالح به إلى السيد العالم بن المرتضى بن سراهنك المرعشي الواصل من الري».

وفي الهامش مايلي: «قال السيد المرتضى بن سراهنك عليه السلام: وأنا أروي متن نهج
البلاغة عن الشيخ الأجل العالم معين الدين محمد بن زيد الحاجي البيهقي الرازي...

(١) الذريعة ١٤: ١٤٧. (٢) الذريعة ١٤: ١٣٦.

(٣) الذريعة ١٤: ١٣٠ مجلة سومر العراقية، العدد ١٤: ٢١٩٥٨.

(٤) الذريعة ١٤: ١٣٠.

الراوي عن السيد الإمام مجد الدين يحيى بن اسماعيل الحسيني الحوالي»^(١).

سنة ١٠٤٩ هـ إجازة الشيخ ابراهيم بن محمد بن علي بن براز، أشار إليها المسوري، وجاء في الإجازة مانصه: «وأنا أروي كتاب نهج البلاغة سماعاً عن شيخي الفقيه الإمام الأكمل والبحر الزاخر الأفضل جمال الدين أحمد بن حميد بن سعيد وهو نسخة سماعه رحمه الله تعالى، والسند بيتين [كذا]»، من إجازة الشيخ ابراهيم بن محمد ابن علي بن براز للفقيه أحمد بن ساعد، نقلها [=الإجازة] أحمد بن سعد الدين المسوري في ضحوة الأحد السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وألف»^(٢).

سنة ١٠٥٥ هـ نسخة نهج البلاغة بخط عبد الرضا بن محمد بتاريخ سنة ١٠٥٥ هـ في مكتبة النهيات مشهد، برقم ٦٥٩. (وهي من الكتب غير المفهرسة).

سنة ١٠٥٨ هـ نسخة نهج البلاغة بخط قوام الدين حسن الحسيني الأنجوي في بلدة دار الأمان «لامرد» صينت عن شرّ الأشرار، يوم الخميس ثاني شهر ذیحجة الحرام سنة ١٠٥٨ هـ في مكتبة نواب في مشهد، وهي غير مرقمة.

سنة ١٠٥٩ هـ نسخة نهج البلاغة مؤرخة سنة ١٠٥٩ هـ بخط محمد رضا بن محمد الشوشتری في مكتبة الدكتور محفوظ في الكاظمية، جاء في آخرها مايلي:

«كتبت هذه النسخة عن نسخة كان في آخرها مكتوب بخط أبي نصر...: فرغت من قراءته على مولاي وسندي وكهفي وسيدي الإمام الكبير العالم النحرير زين الدين جمال الاسلام فريد العصر محمد بن أبي نصر أدام الله ظله وكثر في أهل الإسلام والفضل مثله، في شهر ربيع الأول من شهور سنة سبع وثمانين وخمسائة (٥٨٧) هجرية، وبعد القراءة عرضت هذه النسخة على النسخة المقرّوة على السيد الإمام الكبير العلامة ضياء الدين علم الهدى قدس الله روحه ونور ضريحه، ونقلت إليها ما وجدته فيها من النكت الغريبة والتنف العجيبة، وصححتها غاية التصحيح فصحت إلا ما زلّ عن النظر وتهافت عن ادراك البصر، والله الحمد».

سنة ١٠٥٩ هـ نسخة نهج البلاغة مؤرخة بسنة ١٠٥٩ هـ عليها علامات نسخة الرضي

(١) إجازات الأئمة، للمسوري (مخطوط). (٢) إجازات الأئمة، للمسوري (مخطوط).

وعدة قراءات، وعليها - أيضا - تملك محمد هاشم الخوانساري في سنة ١٢٧٦ هـ وتملك حيدر قلي خان الكابلي سنة ١٣٢١ هـ.

سنة ١٠٦١ هـ إجازة المنصور بالله عبد الله بن حمزة في إجازته عدة كتب منها تنزية الأنبياء، ثم قال مانصه: «وهذه الكتب يرويها الفقيه بدر الدين محمد بن حسين اليعقوبي عن والده، عن الشيخ محيي الدين أحمد بن أحمد بن الوليد القرشي، قال: نا الفقيه حسين. وكذلك أروي عن والدي محمد بن محمد نهج البلاغة وجميع مصنفاته في العربية واللغة...».

سنة ١٠٦١ هـ إجازة كتبها القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري في ذي الحجة ١٠٦١ هـ في نسخة بخط يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان المؤرخة شهر شعبان ٨٠٩ هـ ولعل الإجازة من الإمام الأعظم المنصور بالله عبد الله بن حمزة الهادي.

سنة ١٠٦٢ هـ إجازة المولى محمد تقي المجلسي للميرزا ابراهيم اليزدي في ١٠٦٢ هـ سنة ١٠٦٤ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد بن يحيى الواقدي، الملقب بنور، بخط نسخي جيد، وعليها تاريخ يوم الخميس ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٠٦٤ هـ في المكتبة الغربية بصنعاء - اليمن، الرقم ١٤٦ - أدب..

سنة ١٠٦٩ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ١٨٦٧. سنة ١٠٧١ هـ نسخة نهج البلاغة بخط نسخي متوسط قديم، بتاريخ يوم ٢٧ صفر سنة ١٠٧١ هـ، وهي في ١٢٥ ورقة، مسطرتها ٢٩ سطراً، ٣٠ × ٢٠ سم. - وفي آخرها فوائد متفرقة في ١٢ صفحة، في المكتبة الغربية بصنعاء - اليمن، الرقم ١٤٢ - أدب.

سنة ١٠٧٠ هـ شرح المولى محمد تقي المجلسي (ت / ١٠٧٠ هـ) لخطبة الاستسقاء^(١). سنة ١٠٧٠ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة غرب همدان.

سنة ١٠٧٠ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة الفاتيكان برقم ٩٨٣. سنة ١٠٧٢ هـ أنشأ الشاعر أبو محمد بن شيخ صنعان الذي كتب نسخة من نهج البلاغة في سنة ١٠٧٢ هـ الموجودة في مكتبة سيهسالار برقم ٣٠٨٥ أبياتاً في وصف الكتاب على

تلك النسخة ، ونصّها :

بالنور من سبحات وجه الباري
مرآة ذات الله للنظار
للعالمين فهي تموج بالأنوار
من مائه بحر المعارف جاري
حُقت من التوحيد بالأنوار
من فوق عرش الله بالأنهار
من ضوء ماضنت من الأسرار
سامعين بصائر الأبصار
تغنيك عن سفر من الأسفار
والقلب منه بياض وجه نهار
صبح تبلّج صادق الإسفار
تشاق فوق مدارك الأفكار
ببلاغة هي حجة الإقرار
نطقت به كلمات علم الباري
من موجه سفن العلوم جوارى
وسع الأنام كريمة مدار
في قدرة تعلو على الأقدار
عن كبرياء الواحد القهار
ممسوس ذات الله في الآثار
فتاح باب خزائن الأسرار
عبدَ الإله كصنوه المختار
وأتم نعمته على الأخيار

نهج البلاغة روضة مطورة
أو حكمة قدسيّة جلّيت بها
أو نور عرفان تلاًّ هادياً
خطب روت ألفاظها عن لؤلؤ
وتهلّلت كلماتها عن جنة
وكأنها عين اليقين تفجّرت
حكم كأمثال النجوم تبلّجت
كشف الغطاء بيانها فكأنها لـ
وتؤمن الكلم الصغار جوامعاً
لفظ تمدّ من الفؤاد سواده
وجلّى عن المعنى السواد كأنه
من كلّ عاقلة الكمال عقيلة
عن مثلها عجز البليغ واعجزت
وإذا تأملت الكلام رأيته
ورأيت نهراً بالحقائق طامياً
ورأيت أنّ هناك برّاً شاملاً
ورأيت أنّ هناك عفو سماحة
ورأيت أنّ هناك قدراً ناشياً
قدر الذي بصفاته وسماته
مصباح نور الله مشكوة الهدى
صنو الرسول وكان أول مؤمنٍ
وبه أقام الله دين نبيّه

سنة ١٠٧٦ هـ شرح نهج البلاغة للشيخ حسين بن شهاب الدين محمد بن حسين الكركي العاملي الشامي (ت/١٠٧٦) ترجمته في البحار ١٠٩: ١١٩^(١).

سنة ١٠٧٧ هـ نسخة نهج البلاغة بخط غضنفر علي بن مظفر علي التبريزي في مكتبة الامام أمير المؤمنين في النجف برقم ٢٩١٧.

سنة ١٠٧٧ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة مشكوة برقم ١١٤١.

سنة ١٠٧٧ هـ نسخة نهج البلاغة بخط قوام الدين حسين الحسيني الحسناني الانحوي في مكتبة سلطنتي برقم ٤٩٧.

سنة ١٠٧٩ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد هادي بن محمد تقى بن حيدر بن حسن بن ابراهيم بن فياض السهروري المشهور بالشولستاني بتاريخ سنة ١٠٧٩، وعليه إجازة له من الشيخ صالح بن عبد الكريم البحراني سنة ١٠٨٠ في مكتبة نصيري^(٢).

سنة ١٠٧٩ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة دانشگاه طهران برقم ١٨٥٦.

سنة ١٠٨٠ هـ شرح فخر الدين عبد الله بن المؤيد بالله، بعنوان العقد الفريد، نسخة منه في مكتبة المجلس بتاريخ ١٠٨٠^(٣).

سنة ١٠٨٠ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية في مشهد برقم ٨٠٥٩.

سنة ١٠٨١ هـ شرح نهج البلاغة السلطان بن محمود بن غلام علي طبسي مشهدي، في مكتبة السيد المرعشي برقم ٤٨٢٢.

سنة ١٠٨٢ هـ نسخة نهج البلاغة بخط عبد الرحيم شريف بن نصر الله بهباني بتاريخ ١٠٨٢ وترجمة فتح الله بن شكر الله الكاشاني (ق ١٠) في م/سلطنتي برقم ٦١.

سنة ١٠٨٣ هـ روضة الأبرار ترجمة نهج البلاغة، استظهر منها المفهرس أن المترجم علي بن الحسن الزواري، بتاريخ سنة ١٠٨٣ في المكتبة الرضوية برقم ١٢٣ - أخبار.

سنة ١٠٨٣ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية؛ برقم ١٨٦٦.

سنة ١٠٨٤ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية؛ برقم ١٨٦٣.

(١) أمل الآمل ١: ٧٠، طبعة النجف، سنة ١٣٨٥ هـ.

(٢) مجلة المعهد، العدد ٣: ٣٧. (٣) الذريعة ١٤: ١٣٤.

- سنة ١٠٨٤ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة المهدي برقم ١٧٢٣^(١).
- سنة ١٠٨٥ هـ إجازة الشيخ الحر العاملي للشيخ محمد المشهدي بتاريخ ١٠٨٥^(٢).
- سنة ١٠٨٦ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد باقر بن أبي الفتوح الحسيني الموسوي الشهرستاني بتاريخ محرم ١٠٨٦، في مكتبة سنا برقم ٢٠٢.
- سنة ١٠٨٨ هـ شرح نهج البلاغة لمحمد صالح الروغني، الفه سنة ١٠٨٨ بالفارسية.
- سنة ١٠٨٩ هـ ترجمة نهج البلاغة بخط نظام الدين محمد سنة ١٠٨٩ عن ترجمة علي بن حسن الشروادي سنة ٩٤٧ في كتابخانه سلطنتي برقم ٦٢.
- سنة ١٠٩٠ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة الكونجرس الامريكي^(٣).
- سنة ١٠٩٠ هـ نسخة نهج البلاغة بقلم المؤيد بالله محمد بن اسماعيل في مكتبة محمد بن يحيى الذماري الخاصة في اليمن.
- سنة ١٠٩١ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة فرهاد ميرزا برقم ١^(٤).
- سنة ١٠٩٢ هـ نسخة نهج البلاغة عليها انتهاء المجلسي في سنة ١٠٩٢ في مكتبة السيد المرعشي برقم ٤٠١.
- سنة ١٠٩٢ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة دانسگده الهيات طهران برقم ٨٩-ج.
- سنة ١٠٩٣ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد باقر بن محمد تقي في مكتبة المتحف البريطاني برقم 18401 - Add.
- سنة ١٠٩٣ هـ شرح ماوقع في شرح الرضي من نهج البلاغة، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت/١٠٩٣)، والنسخة بخط ابن المؤلف محمد، بتاريخ ١١٠٤^(٥).
- سنة ١٠٩٤ هـ شرح محمد صالح بن محمد باقر القزويني الروغني لعهد مالك الأشر بالفارسية. بخط محمد رضا الحسيني، مؤرخة بسنة ١٠٩٤ وهي في ص ٣٦٢ صفحة في مكتبة الامام أمير المؤمنين في النجف برقم ٩٢٦^(٦).

(١) فهرس نسخه ها، المجلد : ٢. (٢) البحار ١١٠: ١١٥.

(٣) جولة في دور الكتب الامريكية، لعواد: ٩.

(٤) فهرست نسخه ها، المجلد ٣. (٥) المصدر ١: ٣٨٩.

(٦) الذريعة ١٤: ١٢٩.

سنة ١٠٩٥ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد جعفر اللاهيجاني في م / سنا برقم ٢٠٣.
سنة ١٠٩٥ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد رضا بن محمد باقر الصوفي الهمداني ، في
مكتبة دانشگاه برقم ٢٧٣٩ .

سنة ١٠٩٦ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة المتحف العراقي برقم ١٦٢٥ . ونسخة
أخرى في مكتبة المجلس بتهران ، برقم ١٥٤ .

سنة ١٠٩٧ هـ شرح نهج البلاغة للشيخ محمد مهدي بن أبي تراب المشهدي الكحجي
بالفارسية ، ألفه سنة ١٠٩٧^(١) .

سنة ١٠٩٧ هـ شرح نهج البلاغة سلطان بن محمود بن غلام علي الطبسي المشهدي
القاضي بها (ت / ١٠٩٧ ح)^(٢) .

سنة ١٠٩٩ هـ شرح نهج البلاغة بخط حسن بن حيدر الشيرازي بتاريخ سنة ١٠٩٩
عن نسخة ياقوت المستعصي بتاريخ عاشر ذي القعدة سنة ٦٠١ ، عن نسخة الشريف
الرضي ، في مكتبة السيد المرعشي برقم ٧٧٤ .

سنة ١٠٩٩ هـ نسخة نهج البلاغة بخط عيسى بن عياش بن عبيد في مكتبة دانشكده
الهيئات بتهران برقم ٣٢٧ .

وفي القرن الثاني عشر:

سنة ١١٠٢ هـ نسخة نهج البلاغة مؤرخة بسنة ١١٠٢ في المكتبة الرضوية برقم
١٨٦٨ / ٢ .

سنة ١١٠٣ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة المتحف العراقي برقم ٥٣١ .
سنة ١١٠٣ هـ شرح يحيى بن إبراهيم الجحاف (ت / ١١٠٣ هـ) ط / قم بتحقيق شقيقي
السيد محمد جواد الجلاي .

سنة ١١٠٣ هـ نسخة نفيسة مكتوبة بخط نسخ واضح على ورق ترمذي كتبها أحمد بن
إبراهيم الطباطبائي (ت / ١١٠٣ = ١٦٩١ م) . في مكتبة المتحف العراقي^(٣) .

(٢) الذريعة ١٤ : ١٢٧ .

(١) الذريعة ١٤ : ١٤٨ .

(٣) مجلة سومر ج ١٤ : ١٩٥٨ م .

سنة ١١٠٤ هـ إجازة السيد عبد الله الموسوي الجزائري (ت / ١١٠٤ ح) (١).

سنة ١١٠٥ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي في ٢٦٤ صفحة برقم ١٦٨٧ .

سنة ١١٠٦ هـ شرح السيد ماجد بن محمد البحراني، وله شرح العهد كتبه باسم الشاه سليمان (ت / ١١٠٦) (٢).

سنة ١١٠٧ هـ نسخة نهج البلاغة بخط السيد مرتضى بن نور الله الكازروني من نسخة صححها محمد بن أبي نصر (ت / ٥٨٧ هـ)، نسخة منها في مكتبة سپهسالار برقم ٣٨٤ (٣).
سنة ١١٠٧ ح شرح نهج البلاغة لأبي الحسن الشريف العاملي بن محمد طاهر الفتوني المجاز من العلامة المجلسي في سنة ١١٠٧ هـ، شرح فيه عهد مالك الأشترو سماء «نصائح الملوك» (٤).

سنة ١١٠٧ هـ شرح نهج البلاغة لمحمد كاظم بن محمد فاضل المشهدي عليه تملك بتاريخ ١١٠٧ (٥).

سنة ١١١٠ هـ شرح نهج البلاغة لحسن بن مظهر بن حسين الجر موزي اليمني سنة ١١١٠ هـ (٦).

سنة ١١١٠ هـ شرح نهج البلاغة؛ تأليف لعلاء الدين محمد گلستانه (ت / ١١١٠ هـ) باسم حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق (٧).

سنة ١١١١ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محب علي كازروني في مكتبة ملك برقم ٢٢١٦.

سنة ١١١١ هـ شرح نهج البلاغة، لمحمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت / ١١١١ هـ) (٨).

(٢) الذريعة ١٤: ١٤٥.

(٤) الذريعة ١٤: ١١٣.

(٦) الذريعة ١٤: ١٢٤.

(٨) الذريعة ١٤: ١١٦.

(١) الإجازة الكبيرة : ٦٤.

(٣) مجلة المعهد ٣: ٦٧.

(٥) الذريعة ١٤: ١٤٤.

(٧) الذريعة ٦: ٢٨٤.

سنة ١١١٢ هـ شرح نهج البلاغة للسيد نعمة الله الجزائري (ت/١١١٢) بعنوان الحواشي الصافية^(١).

سنة ١١١٤ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ٢١٨٤.

سنة ١١٢١ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة المجلس برقم ٦٦٠٤.

سنة ١١٢٢ هـ نسخة نهج البلاغة بخط حسين بن محمد بن طربية العتريس العلبكي.

سنة ١١٢٤ هـ نسخة نهج البلاغة مقروءة على الشهيد الأول^(٢).

سنة ١١٢٤ هـ شرح نهج البلاغة لسلطان محمود بن غلام علي الطبسي القاضي

المشهدى سنة ١١٢٤ في مكتبة ملك برقم ٢١٧٨.

سنة ١١٣٢ هـ شرح نهج البلاغة مرتضى بن محمد هادي الحسيني الخاتون آبادي

بتاريخ سنة ١١٣٢ هـ في مكتبة دانشگاه برقم ٢١٩٦.

سنة ١١٣٢ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد صادق اليزدي سنة ١١٣٢ في مكتبة

السيد المرعشي برقم ٢٧٣.

سنة ١١٣٢ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد تقي الطبسي في كتابخانه سلطنتي برقم

٤٩٩.

سنة ١١٣٤ هـ شرح نهج البلاغة لعبد الكريم بن محمد يحيى القزويني (ح/١١٣٤)

بالفارسية لخطبة القاصعة^(٣).

سنة ١١٣٧ هـ شرح نهج البلاغة؛ للشریف الميرآصف القزويني (ت/١١٣٧ ح)^(٤).

سنة ١١٣٨ هـ نسخة نهج البلاغة بتاريخ سنة ١١٣٨ كما في فهرست نسخه ها.

سنة ١١٤٩ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة دار الكتب الامريكية كما في فهرسها ص ٦.

سنة ١١٦٠ هـ شرح نهج البلاغة؛ لمحمد رفيع الجيلاني (ت/١١٦٠)^(٥).

(٢) مجلة المعهد ٤: ٢١١.

(٤) الذريعة ١٤: ١١٣.

(١) الذريعة ١٤: ١٥١.

(٣) الذريعة ١٤: ١٣٣.

(٥) الذريعة ١٢: ١٢٦.

سنة ١١٦٧ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة ملك برقم ٥٩٨٩.

سنة ١٦٧٠ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة الحكيم، طبع في سنة ١٣٣٩ بدون ذكر الناشر.

سنة ١١٧٢ هـ شرح نهج البلاغة للميرزا محمود بن محمد تقي المشهدي عالم غير بتاريخ ١١٧٢^(١).

سنة ١١٧٣ هـ شرح للكلمات القصار في نهج البلاغة للمولى اسماعيل بن محمد حسين المازندراني الخاجوي المتوفى ١١ شعبان ١١٧٣^(٢).

سنة ١١٧٨ هـ شرح خطبة أمير المؤمنين باسم (رياض المحبين) تأليف عبد الرشيد بن نور الدين الشوشتری بتاريخ سنة ١١٧٨ في مكتبة جهل ستون بطهران برقم ٣٦.

سنة ١١٨١ هـ شرح نهج البلاغة لمحمد علي بن أبي طالب الشهير بالحزين الزاهدي الجيلاني (ت/ ١١٨١ هـ)^(٣).

سنة ١١٨٢ هـ جاء في ذيل أجود المسلسلات: ٣٤١، شرح منظومة التحف العلوية لمحمد بن اسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني (ت/ ١١٨٢ هـ):

حكم اليونان والفرس معاً	ماتداني منه لفظاً علوياً
ان رقى المنبر يوماً خاطباً	عاد سحبان لديه باقليا
والبلاغات إليه تنتهي	نهجه فيها يري النهج السويا

سنة ١١٨٣ هـ شرح نهج البلاغة لمحمد علي بن الشيخ بشارة الخيقاني آل موحى في حدود سنة ١١٨٣^(٤).

سنة ١١٩٨ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الخديوية برقم ١٢٦ - أدب.

سنة ١١٨٦ هـ إجازة الشيخ يوسف البحراني (ت/ ١١٨٦ هـ)^(٥).

(٢) الذريعة ١٤: ١١٦.

(٤) الذريعة ١٤: ١٣٦.

(١) الذريعة ١٤: ١٤٧.

(٣) الذريعة ١٤: ١٣٥.

(٥) لؤلؤة البحرين: ٣٢٥.

وفي القرن الثالث عشر:

سنة ١٢٠٣ هـ شرح نهج البلاغة لعبد النبي بن شرف الدين محمد الطسوجي (ت/١٢٠٣)^(١).

سنة ١٢٢٦ هـ شرح نهج البلاغة لمحمد باقر اللاهيجي ، ألفه سنة ١٢٢٦ في مكتبة نواب بمشهد .

سنة ١٢٢٩ هـ ترجمة فارسية للميرزا محمد باقر النواب اللاهيجي ، أتم الجزء الاول سنة ١٢٢٩^(٢).

سنة ١٢٣٢ هـ شرح نهج البلاغة للسيد عبد الله بن محمد رضا الحسيني الكاظمي (ت/١٢٣٢) بعنوان نخبة الشرحين^(٣).

سنة ١٢٤٢ هـ شرح نهج البلاغة؛ للسيد عبد الله شبر (ت/١٢٤٢ هـ).

سنة ١٢٤٥ هـ شرح نهج البلاغة في مكتبة السيد المرعشي برقم ٤٩٦٦.

سنة ١٢٤٦ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة المرعشي برقم ٨٧٢.

سنة ١٢٤٧ هـ شرح نهج البلاغة؛ لمحمد كاظم بن عبد العلي النيريزي . في مكتبة دانشگاه برقم ٢٢٠٦.

سنة ١٢٥٥ هـ إجازة محمد بن علي الشوكاني الشافعي (ت/١٢٥٢) في اتحاف الاكابر ص : ١١٤.

سنة ١٢٤٧ هـ نسخة نهج البلاغة عن نسخة ٧٦٩ في مكتبة دانشگاه برقم ١٧٢٦.

سنة ١٢٥٦ هـ شرح نهج البلاغة للسيد صدر الدين بن محمد باقر الموسوي الدزفولي (ت/١٢٥٦)^(٤).

سنة ١٢٦٣ هـ شرح نهج البلاغة للمير سيد محمد مهدي امام جمعه طهران سنة ١٢٦٣ هـ.

سنة ١٢٦٣ هـ شرح نهج البلاغة لمحمد مهدي بن مرتضى بن محمد مهدي الخواتون

(٢) الذريعة ٤ : ١٤٥.

(١) الذريعة ١٤ : ١٣٤.

(٤) الذريعة ١٤ : ١٢٩.

(٣) الذريعة ١٤ : ١٣٤.

آبادي (ت/١٢٦٣) (١).

سنة ١٢٦٧ هـ طبعة حجرية لنهج البلاغة في تبريز سنة ١٢٦٧ بالقطع الرحلي، على خط محمد جعفر قراجه داغي، في ٣٠٧ ص. ط / دار التبليغ. في المكتبة الرضوية، برقم ٩٨٣ - أخبار چاپي.

سنة ١٢٧٠ هـ ترجمة نهج البلاغة بالفارسية للسيد محمد تقى بن الأمير مؤمن القزويني في سنة ١٢٧٠ (٢).

سنة ١٢٧١ هـ نسخة نهج البلاغة بخط محمد حسن بن عوض علي الموسوي في مكتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف، برقم ١٩٥٩ في ٢٧٨ صفحة.

سنة ١٢٧٢ هـ شرح نهج البلاغة للسيد ابي القاسم بن محمد حسن البختياري الاصفهاني (ت/١٢٧٢) (٣).

سنة ١٢٨٠ هـ شرح نهج البلاغة للسيد محمد تقى بن أمير مؤمن القزويني في سنة ١٢٨٠ هـ.

سنة ١٢٨٠ هـ تعليقات على نهج البلاغة للميرزا محمد الرئيس الملقب بصديق الملك كتب في ١٢٨٠ (٤).

سنة ١٢٨٠ هـ نسخة نهج البلاغة في المكتبة الرضوية برقم ٢١٩١. سنة ١٢٨٣ ح ترجمة گجراتية لنهج البلاغة للحاج غلام علي بن اسماعيل النهاونگري (٥).

سنة ١٢٨٨ هـ طبعة نهج البلاغة في تبريز، سنة ١٢٨٨ بالقطع الرحلي، على خط محمد بن علي تبريزي، باهتمام آخوند ملا محمد تربتي بايكي.

سنة ١٢٩١ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة المرعشي برقم ٤٤١٩.

سنة ١٢٩١ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة ملك برقم ١٢٨.

سنة ١٢٩٢ هـ نسخة نهج البلاغة طبع في تبريز ١٢٩٢.

(٢) الذريعة ٤: ١٤٥، و١٤: ١٩.

(٤) الذريعة ١٤: ١٤٧.

(١) الذريعة ١٤: ١٤٨.

(٣) الذريعة ١٤: ١١٤.

(٥) الذريعة ٤: ١٤٦.

سنة ١٢٩٥ هـ شرح نهج البلاغة للمولى نصر الله تراب بن فتح علي (لطف علي) الدزفولي، فرغ منه سنة ١٢٩٥^(١).

سنة ١٢٩٧ هـ شرح نهج البلاغة للميرزا محمد تقي الكاشاني (ت/١٢٩٧) ^(٢).

سنة ١٢٩٨ هـ شرح نهج البلاغة للميرزا أحمد بن محمد شفيع المشهور بوقار (ت/١٢٩٨) نظماً بالفارسية بعنوان «رموز الإمارة» ^(٣).

سنة ١٢٩٩ هـ شرح نهج البلاغة للميرزا أحمد إبراهيم بن محمد مهدي النواب المتوفى سنة ١٣١٥.

سنة ١٢٩٩ هـ شرح خطبة همام مفصلاً، لمحمد تقي بن حسين علي الهروي الحائري (ت/١٢٩٩ هـ) ^(٤).

وفي القرن الرابع عشر:

سنة ١٣٠٠ هـ نسخة نهج البلاغة في مكتبة السيد المرعشي برقم ٤١٤.

سنة ١٣٠٠ هـ ح شرح الكلمات القصار لمحمد بن الحاج قنبر علي المدني الكاظمي (ت/١٣٠٠ هـ) بعنوان «الفاظ الدرر النخب» ^(٥).

سنة ١٣٠٤ هـ ترجمة بالتركية منظومة لعهد مالك الأشر؛ لمحمد جلال الدين، طبعة اسلامبول ١٣٠٤ ^(٦).

سنة ١٣٠٦ هـ شرح المفتي مير محمد عباس بن علي اكبر التستري اللكنهوي (ت/١٣٠٦) للخطبة الشقشقية، بالفارسية ^(٧).

سنة ١٣٠٦ هـ طبعة حجرية بطهران، ١٣٠٢ بالقطع الرحلي، طبعة شيخ رضا.

سنة ١٣٠٧ هـ طبعة حروفية لنهج البلاغة في بيروت سنة ١٣٠٧ بالقطع الوزيري مع حواشي الشيخ محمد عبده.

(١) الذريعة ١٤: ١٥٠.

(٢) الذريعة ١٤: ١٥٢.

(٣) الذريعة ١٤: ١٤٦.

(٤) الذريعة ١٤: ١٤٦.

(٥) الذريعة ١٤: ١٣٠.

(٦) الذريعة ١٤: ١١٩.

(٧) الذريعة ١٤: ١٢٠.

سنة ١٣٠٨ هـ شرح الميرزا محمد حسين بن علي تقي الهمداني للعهد ، ألفه سنة ١٣٠٨ بعنوان «هدايات الحسام»^(١).

سنة ١٣٠٩ هـ شرح نهج البلاغة للمير عبد الباقي التبريزي في سنة ١٣٠٩ هـ.

سنة ١٣١٠ هـ شرح نهج البلاغة للمولى أحمد بن علي أكبر المراغي التبريزي (ت/١٣١٠)^(٢).

سنة ١٣١٠ هـ طبعة حجرية لنهج البلاغة بطهران سنة ١٣١٠ بالقطع الرحلي، على خط محمد باقر گلپايگاني في ٢٨٧ ص.

سنة ١٣١٢ هـ شرح نهج البلاغة للسيد علي محمد بن سلطان العلماء محمد بن دلدار علي النصير آبادي (ت/١٣١٢)^(٣).

سنة ١٣١٥ هـ شرح نهج البلاغة للميرزا أبي المعالي بن محمد ابراهيم الكلباسي (ت/١٣١٥)^(٤).

سنة ١٣١٢ هـ طبع نهج البلاغة بطهران سنة ١٣١٢ بالقطع الرحلي، على خط محمد ابن مهدي خوراني في ٣١١ ص.

سنة ١٣٢٠ هـ إجازة الميرزا محمد حسين النوري (ت/١٣٢٠) في «مواقع النجوم» (اواخر الاجازات).

سنة ١٣٢٣ هـ شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده بن حسن خير الله ، مفتي الديار المصرية (ت/١٣٢٣) الطبعة الاولى سنة ١٨٨٥ م في بيروت.

سنة ١٣٢٤ هـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (١٢٦١ ح - ١٣٢٤ هـ)^(٥)، طبع بتحقيق السيد ابراهيم الميانجي في المطبعة الاسلامية بطهران سنة ١٣٨٦ في ٢١ مجلداً.

سنة ١٣٢٥ هـ شرح لعهد مالك؛ لمحمد حسين بن آقا مهدي الارباب الاصفهاني

(٢) الذريعة ١٤: ١١٥.

(٤) الذريعة ١٤: ١١٤.

(١) الذريعة ٢٥: ١٦٢.

(٣) الذريعة ١٤: ١٤٢.

(٥) الذريعة ١٤: ١٢٣.

(ت/١٣٢٥) بالفارسية، طبع في تبريز سنة ١٣٥٨^(١).

سنة ١٣٢٥ هـ شرح نهج البلاغة لمحمد جواد بن محمد عليّ بن الشيخ جعفر التستري
(ت/١٣٢٥) باسم تنبيه العباد^(٢).

سنة ١٣٢٥ هـ ترجمة فارسية باسم شرح الاحتشام على نهج بلاغة الامام؛ للشيخ
محمد جواد بن محرم علي الطارمي الزنجاني (ت/١٣٢٥)^(٣).

سنة ١٣٢٥ هـ شرح نهج البلاغة باسم «الدرة النجفية شرح نهج البلاغة الحيدرية»؛
للميرزا إبراهيم بن حسين الدنبلي الخوئي (ت/١٣٢٥).

سنة ١٣٢٧ هـ شرح نهج البلاغة لمحمد صادق الغازي بن محمد علي بن علي محمد
اللهوردي التبريزي بالفارسية بعنوان «هدية الأمم»، ألفه سنة ١٣٢٧^(٤).

سنة ١٣٢٨ هـ شرح نهج البلاغة للمرصفي محمد حسن نائل المصري، طبع مع النهج
بمصر سنة ١٣٢٨^(٥).

سنة ١٣٢٨ هـ شرح نهج البلاغة لجهانگيزخان قشقائي (ت/١٣٢٨)^(٦).

سنة ١٣٢٩ هـ شرح نهج البلاغة للمولى محمد كاظم بن الحسين الخراساني، صاحب
الكفاية (ت/١٣٢٩)^(٧).

سنة ١٣٣١ هـ ترجمة نهج البلاغة بالفارسية؛ لمحمد عليّ الانصاري القمي، طبع في
سنة ١٣٣١ بطهران.

سنة ١٣٣٤ هـ شرح نهج البلاغة للسيد محمد عليّ بن ميرزا أحمد الحسيني الشاه عبد
العظيمي (ت/١٣٣٤)^(٨).

سنة ١٣٣٨ هـ ترجمة لنهج البلاغة بالاردوية باسم «الإشاعة»؛ للسيد أولاد حسن بن
محمد حسن الامروهوي (ت/١٣٣٨)^(٩).

(٢) الذريعة ١٤: ٢١.

(١) الذريعة ١٤: ١٢٥.

(٤) الذريعة ٢٥: ٢٠٦.

(٣) الذريعة ٤: ١٤٥.

(٦) الذريعة ١٤: ١٢٢.

(٥) الذريعة ١٤: ١٥٨.

(٨) الذريعة ١٤: ١٤٠.

(٧) الذريعة ١٤: ١٤٤.

(٩) الذريعة ١٤: ١٤٤.

سنة ١٣٤٠ هـ كشف كلمات نهج البلاغة؛ للشيخ علي النوري المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ بخطه ، موجود عند احفاده^(١).

سنة ١٣٤١ هـ شرح نهج البلاغة للسيد علي أكبر بن محمد سلطان العلماء اللكنهوي (ت/١٣٤١ هـ) بعنوان «التوضيحات الحقيقية»^(٢).

سنة ١٣٥١ هـ نهج البلاغة طبعة حجرية في تبريز سنة ١٣٥١ هـ.

سنة ١٣٥٠ هـ شرح لنهج البلاغة للمولى اعجاز حسين بن جعفر البدايوني (ت/١٣٥٠) ^(٣).

سنة ١٣٥٢ هـ طبعة حروفية لنهج البلاغة بالقطع الوزيري مع شرح الشيخ محمد عبده في مصر سنة ١٣٥٢.

سنة ١٣٥٢ هـ ترجمة لنهج البلاغة بالاردوية للسيد علي أظهر اللكنهوي (ت/١٣٥٢) ^(٤).

سنة ١٣٥٢ هـ ترجمة الكلمات من نهج البلاغة بالفارسية والفرنسية؛ للميرزا محمد أحمد علي سپهر طبع بطهران طبعة حجرية^(٥).

سنة ١٣٥٢ هـ شرح نهج البلاغة لجهانكير ناظم الملك الاذربايجاني (ت/١٣٥٢) للوصايا الثلاث مع نظمها الفارسية ، طبع باسلامبول سنة ١٣٢٩^(٦).

سنة ١٣٥٢ هـ شرح نهج البلاغة لسبط الحسن بن وراث حسين اللكنهوي (ت/١٣٥٢ هـ) بعنوان «تقييم الأود»^(٧).

سنة ١٣٥٣ هـ شرح نهج البلاغة لمحمد بن اسماعيل بن عبد العظيم الكجوري (ت/١٣٥٣) للعهد بعنوان «أساس السياسة»^(٨).

سنة ١٣٥٥ هـ طبع نهج البلاغة طبعة حجرية بالقطع الرحلي، على خط أبو القاسم

(١) النقباء ٤: ١٣٦٥. (٢) الذريعة ١٤: ١٤١.

(٣) الذريعة ١٤: ١١٦. (٤) الذريعة ١٤: ١٤٤.

(٥) الذريعة ٤: ١٣٠. (٦) الذريعة ١٤: ١٢٢.

(٧) الذريعة ١٤: ١٢٦. (٨) الذريعة ١٤: ١٤٦.

خوشنويس الاصفهاني، بتصحيح السيد هاشم الروضاتي، في مطبعة سيد سعيد، في ٤١٢ ص، مع ترجمة بين السطور لحسين بن شرف الدين الاردبيلي.

سنة ١٣٥٥ هـ طبعة حجرية لنهج البلاغة في اصفهان سنة ١٣٥٥، في مطبعة گل بهار على خط محمد خوشنويس الاصفهاني، وتوجد طبعة حجرية باصفهان سنة ١٣٥٥ في المكتبة الرضوية برقم ٩٩٠ - چاپي.

سنة ١٣٥٦ هـ شرح نهج البلاغة للشيخ احمد الكاشاني (ت/١٣٥٦ ح)^(١).

سنة ١٣٦٠ هـ شرح وترجمة نهج البلاغة للسيد ابراهيم بن محمد حسين البروجردي طبع بطهران سنة ١٣٦٠^(٢).

سنة ١٣٦٢ هـ إجازة السيد أبي القاسم الطباطبائي (ت/١٣٦٢) في مشجرة علماء الإمامية، طبعة طهران سنة ١٣٧٨ هـ.

سنة ١٣٦٦ هـ شرح عهد الامام على أبي مالك الأستر؛ للهادي بن حسين بن محسن بن عبد الله بن محسن البيرجندي (ت/١٣٦٦) بالفارسية، طبع بطهران سنة ١٣٥٥ هـ^(٣).

سنة ١٣٦٧ هـ شرح نهج البلاغة، للسيد علي نقي بن محمد الحسيني السدهي الاصفهاني، الملقب بفيض الاسلام، طبع في طهران ١٣٦٧ رأيت المصنف في طهران وهو منقطع إلى التجارة في سراي أميد لأجل تكميل كتابه وانقطعت أخباره عني.

سنة ١٣٦٧ هـ شرح نهج البلاغة للمولوي غلام علي بن اسماعيل البهاونگري (ت/١٣٦٧ ح) باللغة الكجراتية^(٤).

سنة ١٣٦٨ هـ نهج البلاغة المنظوم بالفارسية في ١٠ مجلدات؛ للشيخ محمد علي الأنصاري.

سنة ١٣٧٢ هـ شرح نهج البلاغة؛ لحيدر قلي خان بن نور محمد خان الكابلي (ت/١٣٧٢)^(٥).

(٢) الذريعة ١٤: ١١٣.

(٤) الذريعة ١٤: ١٤٢.

(١) الذريعة ١٤: ١١٤.

(٣) الذريعة ١٤: ١٥٢.

(٥) الذريعة ١٤: ١٢٥.

سنة ١٣٧٢ هـ شرح نهج البلاغة؛ لميرزا حسين الشفيعي بالفارسية لخطبة همّام، باسم «نور اليقين في شرح خطبة صفات المتّقين»، طبع بايران سنة ١٣٧٢^(١).

سنة ١٣٧٢ هـ شرح السيد عبد الله بن أبي القاسم بن علم الهدى عبد الله البلادي البهبهاني البوشهري (ت/ ١٣٧٢) للمختار من الكلمات القصار بالفارسية، بعنوان «محفوظة الانوار» طبع سنة ١٣٤٣^(٢).

سنة ١٣٨٧ هـ نهج البلاغة بتحقيق الدكتور صبحي الصالح في بيروت سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م.

سنة ١٣٩١ هـ إجازة الشيخ محمد صالح السمناني (ت / ١٣٩١) في آخر الصحيفة السجادية طبعة عماد زاده لنهج البلاغة المطبوع بطهران سنة ١٣٧٤ هـ.

وفي القرن الحاضر :

لقد ساهم أعلام المعاصرين في مكتبة نهج البلاغة بكتب ومقالات ظهرت إلى عالم الطباعة، واليك قائمة بما وفقت عليه من آثار الكتاب المعاصرين حسب حروف الهجاء: ولنعم ما قال الشاعر محمد جواد الصافي (المولود سنة ١٣٤٨ هـ):

نهج البلاغة فيض من أشعته	مازال يدفع عنا الشكّ والريباً
قد حيّرت كلّ عقل عبقريته	وأعجزت كلّ من قد قال أو كتباً
متى رفعنا حجاباً عن سريره	كأنّما قد سدّ لنا فوقها حجبا ^(٣)

- ومن المعاصرين: الشيخ حسن علي المحمدي البجنوردي (المولود سنة ١٣٤٥) كان من حفاظ القرآن الكريم ونهج البلاغة^(٤).

- وجاء على ظهر كتاب «بيان القناعة» للشيخ محمد حسن القببسي (المولود سنة ١٣٣٠) الابيات التالية:

نهج البلاغة نهج العلم والعمل فاسلكه يا صاح تبليغ غاية الأمل

(٢) الذريعة ١٤: ١٣٤.

(١) الذريعة ١٤: ١٢٤.

(٤) الذريعة ١٤: ١٢٣.

(٣) شعراء الغري ٧: ٤٧١ ط ١٣٧٥.

كم فيه من حِكمٍ بالحق محكمة
ألفاظه درر أغنت بحليتها
ومن معانيه أنوار الهدى سطعت
وكيف لا، وهو نهج طاب منهجه
نهج البلاغة يهدي السالكين إلى
فاسلكه تهدي إلى دار السلام غدا
كتاب كأن الله رصّع لفظه
حوى حكما كالدر ينطق صادقاً
تحیی القلوب من حکم ومن مثل
أهل الفضائل عن حلي وعن حلل
فانجاب عنها ظلام الزيغ والزلل
أهدى إليه أمير المؤمنين عليّ
مواطن الحق من قول ومن عمل
وتحظى فيه بما ترجوه من أمل
بجوهر آيات الكتاب المنزل
فلا فرق إلا أنه غير منزل

- إجازة السيد حسن الصدر الدين الموسوي (ت/ ١٣٥٤) للسيد شهاب الدين المرعشي (ت/ ١٤١١هـ) في مقدمة الصحيفة السجادية، ترجمة حسين عماد زاده طبعة طهران ١٣٧٤هـ، والإجازة الكبيرة / قم سنة ١٤١٤هـ، وقد تقدم نصّها في اواخر فصل «نصوص الإجازات» فراجع.

- استناد نهج البلاغة؛ لامتياز علي عرشي، تعريب عامر الأنصاري ط / رامپور - الهند سنة ١٩٥٧م.

- أعلام نهج البلاغة؛ للدكتور محمد هادي الأميني، ط / مؤسسة نهج البلاغة سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م.

- الاغراض الاجتماعية في نهج البلاغة؛ للسيد محسن الأمين، المهرجان الألفي لنهج البلاغة في طهران سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

- الهيات در نهج البلاغة (الإلهيات في نهج البلاغة)؛ للشيخ لطف الله الصافي الكلپايگاني، ط / مطبعة سهامی عام طهران ١٣٦١هـ.

- امامت از دیدگاه نهج البلاغة (الإمامة في نهج البلاغة)؛ لعباس علي عميد زنجاني ط / طهران ١٣٦٢هـ.

- الامثال في نهج البلاغة؛ لمحمد الغروي، ط / انتشارات فيروزآبادي - قم ١٤٠١هـ.
- انسان کامل از دیدگاه نهج البلاغة؛ لحسن حسن زاده آملی، طبعة ثانية / سهامی

عام ١٤٠٠ هـ = ١٣٦١ ش، بنياد نهج البلاغة.

- بحوث وآراء (نهج البلاغة في معارفه وفنونه) ؛ لمحمد الكرمي في ستة أجزاء
ط / طبعة العلمية - قم سنة ١٣٨٧ هـ.

- بررسي أسناد ومدارك نهج البلاغة . للدكتور سيد جواد المصطفوي ط / انتشارات
حكمت سنة ١٣٧٥ هـ = ١٣٣٥ ش .

- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة؛ للشيخ محمد تقي التستري في ١٤ مجلدًا .

- بيان القناعة في شرح نهج البلاغة؛ الجزء ٢١ من موسوعته المسمّاة : ماذا في التاريخ
؟ تأليف الشيخ محمد حسن القبيسي، المولود سنة ١٣٣٠، طبعة بيروت سنة ١٤٠٠ هـ .

- پژوهشي در اسناد ومدارك نهج البلاغة (بالفارسية) ؛ للسيد محمد مهدي جعفري،
ط / دفتر فرهنگ اسلامي طهران سنة ١٣٩٧ هـ = ١٣٥٦ ش، انتشارات قم.

- پژوهشي پيرامون نهج البلاغة (بالفارسية) ؛ لعلي موحيدي ساوجي، طبع بنياد نهج
البلاغة ، سنة ١٣٩٦ هـ .

- ترجمة نهج البلاغة؛ للدكتور اسد الله مبشّري، مطبعة درخشان - طهران
١٣٧٥ هـ = ١٣٣٥ ش .

- ترجمة نهج البلاغة بالفارسية لجواد فاضل ، باهتمام حسن سادات ناصري
ط / مؤسسة مطبوعاتي علمي طهران سنة ١٣٤٠ هـ .

- ترجمة نهج البلاغة، بالفارسية ، لمحمد عليّ الأنصاري القمي، بخط حسن هريسي،
طبعة طهران سنة ١٣٣١ ش، انتشارات نوين.

- ترجمة وشرح نهج البلاغة بالفارسية لمحمود حسيني، چاپخانه آرمان ١٣٣٦ ش =

١٣٧٦ هـ .

وأشهر ترجمات وشروح لنهج البلاغة في هذا القرن:

ترجمة للسيد محمود الطالقاني، طبع في طهران سنة ١٤٠٠. قامت بطبعه اتحاديه انجمنهای اسلامي دانشجويان في أوروبا - امريكا - كندا، سنة ١٣٧٥هـ.

ترجمة نهج البلاغة بالاردوية؛ للمفتي جعفر حسين، ط / لاهور - باكستان سنة ١٣٧٥.

جستجوی در نهج البلاغة؛ ترجمة كتاب (دراسات في نهج البلاغة)، للشيخ محمد مهدي شمس الدين؛ ترجمة محمود عابدي ط / بنياد نهج البلاغة ط / طهران سنة ١٣٦١ ش.

الحكم والادارة في نهج الامام عليّ (عليه السلام)؛ لعلی صلاح، ط / دار البصائر سنة ١٤٠٥هـ. حكمت نظري وعلمي در نهج البلاغة، للشيخ جواد آملی، ط / دفتر انتشارات اسلامي ١٤٠٧هـ = ١٣٦٢ش.

دائرة المعارف العلوية؛ لجواد تارا، ط / المطبعة العلمية - قم، بدون تاريخ. دراسات في نهج البلاغة؛ لمحمد مهدي شمس الدين، ط / الدار الاسلامية - بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.

درسهائی از نهج البلاغة؛ للشيخ حسين علي منتظري، ط / ١٤٠٥هـ = ١٣٥٩ش. الراعي والرعية (شرح عهد الامام عليّ (عليه السلام))؛ لتوفيق الفكيكي، ط / مؤسسة نهج البلاغة - طهران، ١٤٠٢هـ = ١٣٦١ش، بالافسيت.

روش تحقيق در اسناد ومدارك نهج البلاغة؛ لمحمد دشتي ط / نشر الامام عليّ بقم سنة ١٣٦٧ش.

رؤی الحياة في نهج البلاغة، لحسن موسى الصفار، ط / مؤسسة الأعلمي - بيروت سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

السلم وقضايا الحرب عند الإمام عليّ (عليه السلام) (دراسة في نهج البلاغة)، لمحمد مهدي شمس الدين ط / بيروت سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

سيري در نهج البلاغة؛ لمرتضى مطهري، ط / دار التبليغ الاسلامي - قم سنة ١٣٩٥ هـ = ١٣٥٤ ش .

علوم الطبيعة في نهج البلاغة؛ لبيب بيضون ، المهرجان الالفى لنهج البلاغة - طهران سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

فهارس شرح ابن أبي الحديد ، أسد الله اسماعيليان ، طبع الجزء الأول منه .

في رحاب نهج البلاغة؛ لمرتضى المطهري ، ترجمة هادي اليوسفي ط / منظمة الإعلام الاسلامي قسم العلاقات الدولية - طهران سنة ١٤٠٣ هـ.

الكاشف عن الفاظ نهج البلاغة؛ جواد المصطفوي الخراساني، ط / دار الكتب الاسلامية - طهران، د. ت .

مائة شاهد وشاهد في شعر أبي الطيب المتنبي؛ في معاني كلام الامام علي عليه السلام ؛ لعبد الزهراء الخطيب، ط / مؤسسة نهج البلاغة - طهران ١٤٠٣ هـ.

ماهو نهج البلاغة، السيد هبة الدين الشهرستاني (ت/١٣٨٦ هـ)، ط / النجف سنة ١٣٨٠ هـ.

مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه؛ الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت/١٣٦١)، ط / مطبعة الراعي - النجف، سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م طبع مع مستدرك نهج البلاغة .

بحثى كوتاه پيرامون مدارك نهج البلاغة؛ للشيخ رضا استادی ، ط / دار التبليغ اسلامي - قم سنة ١٣٩٦ هـ .

مستدرك نهج البلاغة ، الموسوم بمصباح البلاغة ؛ للسيد حسين ميرجهاني طباطبائي، طبعة طهران سنة ١٣٨٨ هـ.

مصادر نهج البلاغة وأسانيده؛ عبد الزهراء الخطيب ، طبعة الأعلمي - بيروت، سنة ١٣٩٥ هـ في أربعة أجزاء.

مصادر نهج البلاغة؛ عبد الله نعمة، طبعة دار الهدى - بيروت سنة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م . مع الإمام علي في عهده لمالك الأشر؛ لمحمد باقر الناصري. ط / دار الصادق -

بيروت ، سنة ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

منتخب نهج البلاغة؛ ترجمة فارسية، لأحمد علي بابائي، طبعة انتشارات امير - طهران سنة ١٣٩٢ هـ = ١٣٥١ ش .

منتخب نهج البلاغة؛ لسيد حسين عرب باغي، ط / افتاب باهتمام حاج مختار معين .
نهج البلاغة توثيقه ونسبته إلى الإمام علي عليه السلام؛ د. حامد حفني داود، قامت بطبعه المهرجان الالفني لنهج البلاغة - طهران، سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

نهج البلاغة ونسخه هاي خطي؛ للشيخ كاظم مدير شانده جي ط / نشره دانشكده إلهيات ومعارف اسلامي في مشهد برقم (١٢) سنة ١٣٧٣ هـ = ١٣٥٣ ش .

ترجمة نهج البلاغة بالاردوية؛ لسيد رئيس أحمد جعفري ، ترتيب مولانا مرتضى حسين فاضل لكنهوي ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م ط / علمي، لاهور - باكستان .

نهج البلاغة، لمن؟؛ الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ط / المكتب العالمي - بيروت، سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

نهج البلاغة يادائرة المعارف علوي؛ لميرزا خليل الكمره اي، رتب فيه نهج البلاغة حسب الموضوعات، ثم ترجمه بالفارسية مع الشرح ، طبع في طهران سنة ١٣٢٦ ش .
نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة؛ لمحمد باقر المحمودي ط / النجف سنة ١٣٨٥ هـ في سبعة أجزاء .

الوصية الخالدة؛ شرح وصية الامام لولده الامام الحسن عليه السلام؛ للسيد عباس علي الموسوي، ط / دار الأضواء - بيروت ، سنة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

يادنامه كنكره هزاره نهج البلاغة (١٤٠١ هـ = ١٣٦٠ ش) بنياد نهج البلاغة .

ومن اللغات الاجنبية:

- 1 - An Intraduction to the Nahjul - Balaghah, Imam Ali, 1405
- 2 - A Tribute To Imam Ali and Nahjul Balaghah.
in Echo of Islam V. 6 N. 3 Joy 86 , 1406 .
- 3 - Etude sar Nahj al - Balaghah . by Jamil Sultan - paris
1940.
- 4 - Nehj'ul - Belaga by Abdul Baki Golpenarli [Imam Ali
min HutebedLeri] .
Yayin Layan: M. Huseyin Tutya Cagaloglu Istanbul - 1972 =
1392.
- 5 - Introduction to Nahjul Balagha. by Sh. Mohammed
Abdoh. Trans . Syed Abdul Qauder Hashimi . Publih. A . I . Najul
Balagah Sciety - Hayder Abad India N.D. Nahjul Balaghah
publication No : 11.
- 6 - Lessons From the Nahjul - Balaghah . By Seyed Ali
Khamenei.
Trans . Hossein Vahid Dastjerdi.
Tehran Islamic Propagation Organization 1984 = 1404 .
- 7 - Subject index to Nahjul - Balaghah .
By Dr. S. Mehdi Jaffari. Canada 1397 = 1977.
- 8 - Parts From Nahjul Balaghah.
Trans. Nawab Mir Mahmmood Ali Khan Tyro . 1976 = 1396
Nahjul Balaghah Soaiety 4 - 7 .Hayderabad India .

9 - Untersuchungen Zum Bild Ali Nahg al-Balahah les.

Šarif ar - Radivon Hans Jugen Kornrumpf.

Hamburg Der IsLam Berlin 1969.

10 - Nahgel - Balaghah .

Gedanke und Wort Imam Alis .

Ausspruchs Des Imam Ali Übersetgt von: Yusuf Amin

Anton Dierol , Aachen, Mohamed Atiat, Achen. Heraunseber:

chehal sotun Tehran .n.d.

11 - Nahjul Balaghah

Sermons, Letters and sayings of Ali.

Trans . Syed Mohammed Askari Jafrey First. India 1960 .

Snded N.Y. Qrvan Tarike - TarsiL -e- Quran 1981 .

12 - Nahjul Balaghah (1 - 3).

Urdu Trans. Mufti Jafar Husain . 1954 n.p.

13 - Nahjul Balaghah , Tran, into Eghish by S.Ali Raza T.K .

Pakistan karachi 1972 = 1392 H . and Qum 1395

المشاريع العلمية حول نهج البلاغة :

كان شيخنا العلامة يهتم بنهج البلاغة اهتماماً بالغاً فقد قال: «لم يبرز في الوجود بعد انقطاع الوحي الإلهي كتاب امن به مما دوّن في نهج البلاغة، نهج العلم والعمل الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي وهو صدف لآلي الحكم وسفط يواقيت الكلم. المواعظ البالغة في طي خطبه وكتبه تأخذ بمجامع القلوب، وقصار كلماته كافلة لسعادة الدنيا والآخرة، ترشد طلاب الحقائق بمشاهدة ضالتهم، وتهدي أرباب الكياسة لطريق سياستهم وسيادتهم، وما هذا شأنه حقيق أن يعتكف بفنائهم العارفون وينقّب البحاثون، وحرى أن تكتب حوله كتب ورسائل كثيرة حتى يشرح فيها مطالبه كلاً أو بعضاً، ويترجم إلى لغات أخر ليغترف أهل كل لسان من بحاره غرقة»^(١).

وقد شاء القدر أن تتحقق أمنيته هذه بعد وفاته ﷺ حيث تأسست مؤسسة نهج البلاغة سنة ١٣٩٦ في طهران بقيادة الشيخ مرتضى المطهري، وكثر نشاطها في سنة ١٣٩٩ بعد انتصار الثورة الإسلامية، وقد نشرت - كما في فهرس موضوعاتها - الكثير من الكتب والرسائل في المواضيع المختلفة حول نهج البلاغة باللغات المختلفة ومنها العربية منها والتي تتجاوز المائة. كما نشرت مقالات خاصة حول مخطوطات نهج البلاغة، أهمها:

١ - نهج البلاغة ونسخه المخطوطة النفيسة، بقلم كاظم مدير شأنه جي، ط / دانشكده إلهيات بمشهد سنة ١٣٩٥ هـ = ١٣٥٣ ش.

٢ - المتبقى من مخطوطات نهج البلاغة حتى نهاية القرن الثامن ؛ للسيد عبد العزيز الطباطبائي (ت / ١٤١٦ هـ) نشرت في مجلة تراثنا (عدد خاص بمناسبة الذكرى الالفية لوفاة الشريف الرضي العدد (٥) سنة ١٤٠٦ هـ، الصفحات (٢٤ - ١٠٢).

٣ - النسخ القديمة والجديدة لنهج البلاغة؛ للسيد محمود المرعشي النجفي، نشرت في مجلة شهاب (عدد خاص بمناسبة وفاة السيد المرعشي النجفي) العدد الأول، السنة الرابعة، رقم (١١) سنة ١٣٧٧، الصفحات (٧٧ - ٩٢).

وأهم مانشر بهذه المناسبة من نهج البلاغة طبعتان لنهج البلاغة بالافسيت على الأصل المخطوط:

الأولى: عن نسخة مؤرخة ٤٩٤ هـ مع تقديم حسن السعيد، نشر مدرسة جهل ستون في ٣٢٣ صفحة، بمناسبة المهرجان الألفي لتأليف نهج البلاغة (عام ١٤٠٢ هـ). والنسخة تبدأ بالخطبة رقم ٣٢ ص ٦ وتنتهي بالصفحة ٣١٥، وقد جاء فيها مانصه: «فرغ من كتابته فضل الله بن طاهر بن المطهر الحسيني في الرابع من رجب سنة أربع وتسعين وأربع مائة». وقد ألحق الناشر صفحات في أول النسخة لتكميل النقص معتمداً على نسخ مخطوطة أخرى عرّفها في المقدمة ص ١٣.

الثانية: طبعة مصورة عن نسخة مؤرخة ٤٤٩ هـ، باعداد وتقديم السيد محمود المرعشي، نشر مكتبة آية العظمى النجفي المرعشي - قم، بمناسبة الذكرى الألفية لتأليف نهج البلاغة عام ١٤٠٦، وهي نسخة نادرة وقد طبعت طباعة فاخرة، وفيها من النقص ما لم ينتبه إليه المحقق الكريم، منها الصفحات بين الصفحتين المرقمين ٣٢٢ و ٣٢٣ وهي مقدار (٥٢) صفحة تقريباً.

وجاء في آخرها مانصه: «وقد فرغ من نقله من أوله إلى هذا الموضع الحسين بن الحسن بن الحسين المؤدّب في شهر ذي القعدة سنة تسع و [تسـ] عين وأربعمئة هجرية والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيّنا محمّد وآله الطاهرين وسلّم تسليمًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وجاء في مجلة كيهان فرهنگي، العدد ٧، عام ٣ سنة ١٣٦٥ ش تقريراً وافياً عن مؤسسة (بنياد نهج البلاغة) بقلم كريم زماني، ومما جاء فيه:

أنّ في عام ١٣٥٣ ش تأسست المؤسسة، ومن أهدافها:

١ - تدوين المعارف الإلهية في نهج البلاغة.

٢ - اعداد بطاقات الموضوعات.

٣ - اعداد تفسير موضوعي لنهج البلاغة.

- ٤ - تدريس النهج.
 - ٥ - تأسيس مركز بالمكاتبة.
 - ٦ - طبع متن النهج.
 - ٧ - ترجمة النهج إلى الفارسية.
 - ٨ - ترجمة النهج الى اللغات العالمية الحية.
 - ٩ - نشر الترجمات القديمة للنهج.
 - ١٠ - تحقيق شروح نهج البلاغة غير المطبوعة.
 - ١١ - تأسيس مكتبة خاصة بنهج البلاغة.
 - ١٢ - اعداد أفلام النسخ والشروح والتراجم في ايران والعالم.
 - ١٣ - التعاون مع الجامعات الاسلامية والعالمية في ايران للتعريف بالنهج.
- وهذه أهداف مقدسة نرجوا ان تتحقق.

وجاء في مجلة (نشر دانش) الفارسية في عدد خرداد سنة ١٤٠٢ هـ = ١٣٦٠ ش قائمة بمنشورات بنياد نهج البلاغة مع ذكر الأسعار، وقد حذفت الأسعار، ونظمت القائمة حسب اسماء المؤلفين على الهجاء وعنوان الدار. والقائمة تتكون من (٣٥) كتاباً كالاتي:

- ١ - ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله . علي عليه السلام جهره درخشان اسلام. نوشتة ابن ابي الحديد معتزلي در مقدمة شرح نهج البلاغة، ترجمه علي دواني. تهران. بنياد نهج البلاغة، ١٣٥٩، ٣٠ ص.
- ٢ - استادی، رضا. کتابنامه نهج البلاغة، طهران، بنياد نهج البلاغة، ١٣٥٩، ٦٨ ص.
- ٣ - الأمين العاملي، محسن ، الاغراض الاجتماعية في نهج البلاغة، طهران ، مؤسسة نهج البلاغة (د. ت)، ٤٧ ص .
- ٤ - الأمين النجفي، محمد هادي، أعلام نهج البلاغة، تهران ، مؤسسة نهج البلاغة، ١٤٠١ ق، ٥٩ ص.

۵ - الأميني النجفي ، محمد هادي ، مصادر ترجمة الشريف الرضي . طهران مؤسسة نهج البلاغة ، ۱۴۰۱ ق ، ۴۷ ص .

۶ - الاميني النجفي ، محمد هادي ، نهج البلاغة وأثره على الادب العربي ، طهران ، مؤسسة نهج البلاغة ۱۴۰۱ ق ، ۴۷ ص .

۷ - اميني ، محمد هادي ، شناختي از كسانيكه در نهج البلاغة ياد شده‌اند ، ترجمه ابو القاسم امامي . طهران - مؤسسة نهج البلاغة ، ۱۳۵۹ ، ۵۱ ص .

۸ - البهبودي ، محمد باقر ، اصول الدين على ضوء نهج البلاغة ، طهران مؤسسه نهج البلاغة (د . ت) ، ۴۰ ص .

۹ - تستري ، محمد تقی ، دو نامه در پيرامون نهج البلاغة ، طهران دائرة انتشارات كنگره هزاره نهج البلاغة .

۱۰ - جعفري ، محمد تقی ، خدا و جهان و انسان از دیدگاه علي بن ابي طالب عليه السلام و نهج البلاغة ، طهران ، دائرة انتشارات كنگره هزاره نهج البلاغة ۱۳۵۹ ش ، ۱۹ ص .

۱۱ - حامد حنفي داود ، نهج البلاغة ، توثيق و درستي نسبت آن به امام علي عليه السلام ، ترجمة ابو القاسم امامي . طهران ، انتشارات كنگره هزاره نهج البلاغة (د . ت) ۸ ص .

۱۲ - حامد حنفي داود ، نهج البلاغة ، توثيقه ونسبته إلى الإمام علي عليه السلام ، طهران ، مؤسسه نهج البلاغة ، ۱۴۰۱ ق ، ۱۲ ص .

۱۳ - حسن زاده املی ، حسن . انسان کامل از دیدگاه نهج البلاغة ، طهران ، مؤسسة نهج البلاغة ، (بدون تاريخ) ۹۶ ص .

۱۴ - حسن زاده آملی ، حسن . انسان کامل از دیدگاه نهج البلاغة طهران ، دائرة انتشارات كنگره هزاره نهج البلاغة ، ۱۳۵۹ ش ، ۱۰ ص .

۱۵ - دواني ، علي ، سيد رضي مؤلف نهج البلاغة ، طهران ، مؤسسة نهج البلاغة ، ۱۳۵۹ ش ، ۱۳۲ ص .

۱۶ - دواني علي ، نگاهي کوتاه به زندگي پر افتخار سيد رضي مؤلف نهج البلاغة ،

- طهران ، دائرة انتشارات کنگره هزاره نهج البلاغة (بدون تاريخ) ۱۶ ص.
- ۱۷ - دين پرور، جمال الدين، جهان بينى الهى در نهج البلاغة، طهران، دائرة انتشارات کنگره هزاره نهج البلاغة ۱۳۵۹ ش، ۷ ص.
- ۱۸ - سبحاني، جعفر نهج البلاغة، وآگاهي از غيب، طهران، دائرة انتشارات کنگره هزاره نهج البلاغة ۱۳۵۹ ش، ۹ ص.
- ۱۹ - سپهر خراساني، أحمد، إمام علي عليه السلام بزرگترین خطيب تاريخ، طهران، دائرة انتشارات کنگره هزاره نهج البلاغة، ۱۳۵۹ ش، ۲۱ ص.
- ۲۰ - شهرستاني، هبة الدين، در پيرامون نهج البلاغة، ترجمه سيد عباس ميرزاده أهري، الطبعة الثالثة طهران، بنياد نهج البلاغة، ۱۳۵۹ ش، ۷۵ ص.
- ۲۱ - شهيدى، جعفر، بهره أديبات از سخنان علي عليه السلام طهران، دائرة انتشارات کنگره هزاره نهج البلاغة (بدون تاريخ) ۱۹ ص.
- ۲۲ - صدر، حسن. سياست أمير المؤمنين علي عليه السلام، طهران ، دائرة انتشارات کنگره هزاره نهج البلاغة ۱۰ ص.
- ۲۳ - طباطبائي. عبد العزيز، دستنويسهاي بدست آمده از نهج البلاغة تا پايان سده دهم هجري. طهران، دائرة انتشارات کنگره هزاره نهج البلاغة (بدون تاريخ)، ۲۳ ص.
- ۲۴ - عطاردي. عزيز الله، گردآورندگان سخنان إمام أمير المؤمنين قبل از علامه شريف رضى - مؤلف نهج البلاغة - ، طهران، دائرة انتشارات کنگره نهج البلاغة، (بدون تاريخ)، ۱۵ ص.
- ۲۵ - علي بن أبي طالب عليه السلام، فرمان مالك أشر، ترجمه حسين علوي آوي. مع مقدمة محمد تقى دانش پژوه، طهران ، بنياد نهج البلاغة، ۱۳۵۹ ش، ۱۰۰ ص.
- ۲۶ - عميد زنجاني، عباس علي، إمامت از ديدگاه نهج البلاغة، طهران دائرة انتشارات کنگره هزاره نهج البلاغة، (بدون تاريخ)، ۳۷ ص.
- ۲۷ - فلسفي، محمد تقى، عزّت و ذلّت از ديدگاه نهج البلاغة، طهران، دائرة انتشارات

کنگره هزاره نهج البلاغة، ١٣٥٩ ش، ١٩ ص.

٢٨ - قرباني، زين العابدين، حقوق أزدیدگاه نهج البلاغة، طهران دائرة انتشارات

کنگره هزاره نهج البلاغة، ١٣٥٩، ٢٠ ص.

٢٩ - لبیب بیضون، علوم الطبيعة في نهج البلاغة، طهران مؤسسة نهج البلاغة، ١٤٠١ هـ

، ٢٦ ص.

٣٠ - مبشّري، اسد الله، جهانداري امام عليّ عليه السلام، طهران، دائرة انتشارات کنگره

هزاره نهج البلاغة، (بدون تاريخ)، ٢٧ ص.

٣١ - مصطفوي، جواد. رابطه قرآن با نهج البلاغة، طهران، بنياد نهج البلاغة، ١٣٥٩ ش

، ١٨٦ ص.

٣٢ - مكارم شيرازي، ناصر. نهج البلاغة چرا اينهمه جاذبه دارد؟ طهران، دائرة

انتشارات کنگره هزاره نهج البلاغة، (بدون تاريخ)، ٧ ص.

٣٣ - نصاريان، علي، قانون أساسی حکومت امام علي عليه السلام، طهران، بنياد نهج البلاغة،

١٣٥٩ ش، ٦١ ص.

٣٤ - نفيسي، ابو تراب، بررسی طب و طبابت در نهج البلاغة، طهران، دائرة انتشارات

کنگره هزاره نهج البلاغة، ١٣٥٩ ش، ٣٦ ص.

٣٥ - هیئت تحریریه بنياد نهج البلاغة، با نهج البلاغة آشنا شویم. طهران، بنياد نهج

البلاغة، (بدون تاريخ)، ٦٣ ص.

وللتفصيل راجع مجلة نشر دانش «نشر مرکز دانشگاهي»، التابعة لبنياد انقلاب

فرهنگي، في طهران، شارع نجات اللهی، رقم ١٧٠، خرداد سنة ١٣٦٠ ش = ١٤٠٢ هـ.

هذا بعض ماوقفت عليه من المصادر المتيسرة من نسخ نهج البلاغة وشروحها

وترجماتها وخصوصيات المؤرخ منها، ونظرة خاطفة إلى نهج البلاغة عبر القرون، توقفنا

على مدى إهتمام الذين يهتمون بتراث أهل البيت عليه السلام من مختلف المذاهب والأصهار،

وكيف كثرت العناية بها بالطرق المتيسرة المعروفة في كل عصر ومصر بالكتابة والإجازة

والشرح والترجمة والتعليق.

وفي مطلع القرن الثالث عشر كثرت طبعات نهج البلاغة الحجرية والحروفية في ايران وغيرها وترجمتها الفارسية والاوردية.

وفي القرن الرابع عشر ترجمت إلى اللغات العالمية الحية.

وسبحان الله! هل يتمتع كتاب - بعد كتاب الله سبحانه - بهذه العناية المتسلسلة جيلاً بعد جيل منذ عصر التأليف حتى اليوم.

الباب الثاني

شرح خطبة نهج البلاغة

المقطع الأول

في براعة الاستهلال :

«بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً
لنعمائه، ومعاذاً من بلائه، ووسيلاً إلى جنانه ، وسبباً لزيادة إحسانه،
والصلاة على رسوله نبي الرحمة وإمام الأئمة، وسراج الأمة، المنتجب
من طينة الكرم وسُلالة المجد الأقدم، ومغرس الفخار المعرق، وفرع
العلاء المثير المورق ، وعلى أهل بيته مصابيح الظلم، وعصم الأمم، ومنار
الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم أجمعين صلاةً
تكون إزاء لفضلهم ومكافأة لعملهم، وكفاءً لطيب فرعهم وأصلهم ما أنار
فجر ساطع وخوى نجم طالع» .

في المقطع الأول من الخطبة يستهل الشريف الرضي نهج البلاغة بالحمد والصلاة على
الرسول وآله، شأن علماء عصره، ولكنه ينفرد بسرد أسباب لكل منها:
الأول: الحمد لله، وله أربعة أسباب يستدل على كل ذلك بالآيات القرآنية والسنة
النبوية المطهرة.

فالحمد لله يجب بسبب عقد اجتماعي بين الانسان وخالقه، فإنّ نعماء الله تعالى في
الأنفس والآفاق التي لاتعدّ، والتي تؤثر في حياة الانسان بصورة مباشرة أو غير مباشرة
لا بد له من ثمن ، ولا يمكن أن يعادله أي شيء سوى الحمد ﴿وإن تعدّوا نعمة الله
لاتحصوها﴾^(١).

والحمد لله سبب لعصمة الإنسان من البلاء والمكروه، ومن لا يكون شاكراً حامداً يعيش في دوامة نفسية ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾^(١).

والحمد لله وسيلة يتوصل بها الفرد إلى ما وعده الله سبحانه من الجنان بالعمل الصالح في الدنيا الفانية.

والحمد بصفة عامة يكون سبباً لزيادة الاحسان؛ إذ الانسان عبد الاحسان، و﴿هل جزاء الاحسان إلا الإحسان﴾^(٢).

الثاني: الصلاة على رسول الله ﷺ، ويذكر له سبعة أسباب مستقاة من الروايات.

فرسول الله ﷺ نبي الرحمة ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾^(٣) فرحمته عامة للبشرية، حيث جاء بشريعة ضمنت العدالة في المجتمع.

والرسول ﷺ إمام الأئمة، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين بشر بالاسلام هدى ورحمة، وبعث بمكارم الاخلاق وكمال الدين ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾^(٤).

والرسول ﷺ سراج الأمة، والأمة بدون سنة الرسول تكون في ظلمة لاتتهدي إلى مسيرها ولا تعرف مصيرها، فهو السراج الوهاج.

والرسول ﷺ انحدر من سلالة الكرم، فهو المصطفى من خلقه لتحمل الرسالة.

والرسول ﷺ سلالة المجد الأقدم، وهو المنحدر من أصل كريم ووارث المجد من أبيه ابراهيم عليه السلام.

والرسول ﷺ مغرس الفخار المعرق، فكما أن الرسول ورث المجد فإنه ﷺ أورثه بغرس ذلك الفخر الأصيل في الاجيال القادمة.

والرسول ﷺ فرع العلاء المثمر المورق، فهو في سلسلة البنون فرع الآباء والحنفاء، وعطاؤه لم يتوقف على مقطع زمني خاص، بل هو العلاء والعطاء المستمر في الثمر والمورق أبد الدهر.

(٢) الرحمن : ٦٠.

(٤) المائدة : ٣.

(١) الرعد : ٢٨.

(٣) الانبياء : ١٠٧.

الثالث: الصلاة على أهل بيت النبي، ويذكر لذلك أربعة أسباب:

فأهل بيت النبي ﷺ مصابيح الظلم، لأنهم ورثوا النور من جدّهم الذي كان سراجاً وهّاجاً، فورثوا نوره الذي جعلهم مصابيح للهداية في الظلمات .

وأهل بيت النبي ﷺ عصم الأمم ، وكلّ أمة - على اختلاف مشاربها - لها عبرة بأهل بيت النبي في ما يعتصم به من الانحراف والتسمك بالحق.

وأهل بيت النبي ﷺ منار الدين الواضحة ؛ لأنهم - بحكم وراثتهم لتراث النبي ﷺ - أعلام تنير الطريق إلى سنة الرسول ﷺ .

وأهل بيت النبي ﷺ مثاقيل الفضل الراجحة؛ لأنّ بهم يقاس الفضل، حيث أنّهم يجسّدون حياة الرسول في حياتهم ، فبهم يكون المقياس للتفضيل بين الحق والباطل.

ثم عقّب الشريف الرضي الصلاة على النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ اجمعين ثلاثة اسباب للصلاة عليهم هي:

١ - إزاء فضلهم؛ فإنّ من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق ، والفضل والعطاء المعنوي الذي قدّمه أهل البيت ﷺ في حياتهم لا بدّ وأن يعادل بالفضل، وليس هناك فضل يعادل ذلك سوى الصلاة عليهم.

٢ - مكافأة لعملهم؛ فإنّ دور أهل البيت ﷺ في المحافظة على تراث النبي ﷺ وسنته بالرواية، والعمل على طريقتة في ظروف معاكسة سياسياً واجتماعياً، والتضحية بالنفس والنفيس لا يكافئه شيء سوى الصلاة عليهم.

٣ - كفاءً لطيب فرعهم وأصلهم؛ فإنّهم فرع النبوة، وأصلهم النبي ﷺ ، وهذا لا يمكن أن يقدر بثمن أو يعوّض بأي شيء ، بل هو جمال معنوي يفرض على الازعان بأنّ الأصل هو النبي ﷺ والفرع هم أهل بيته الوارثون تراثه والمحيون سنته يستحقّون الصلاة الأبدية، كلّما أثار فجر ساطع في النهار وخوى نجم طالع في الليل على مدى الدهور.

المقطع الثاني

في تأليف خصائص الأئمة عليهم السلام:

وعن سبب هذا الاختيار قال: «فإنّي كنت في عنفوان شبابي وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم صلوات الله عليهم ، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب ، وجعلته أمام الكلام وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام ، وعاقبت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان، وكنت قد بوبت ماخرج من ذلك أبواباً، وفصلته فصولاً، فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب، دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة».

في هذا المقطع يصرح الشريف الرضي بأمور:

١- انه ألف كتاب خصائص الأئمة عليهم السلام ولم يتم منه سوى ما يخص الامام علي بن ابي طالب عليه السلام فقط.

٢- التأليف كان في عنفوان شبابه.

٣- كان في آخر الكتاب فصل يتضمن محاسن ما نقل عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الكلام القصير فقط.

٤- إنه ألف خصائص الأئمة في تاريخ ٢٨٣، كما صرح به في مقدمة الخصائص.

٥- إنه جمع نهج البلاغة بعد الخصائص.

وتواريخ ميلاد الشريف ٣٥٩، وإتمامه نهج البلاغة عام ٤٠٠، ووفاته عام ٤٠٦ يمكن

أن نستلخص من هذه النقاط عدة حقائق تاريخية، هي:

إنّ الشريف الرضي ألف كتاب الخصائص وقد بلغ من العمر ٢٤ عاماً وهو عنفوان

الشباب - وعلى الأقل من وجهة نظره - وأنه جمع نهج البلاغة خلال ١٧ عاماً تقريباً، بين ٣٨٣ إلى ٤٠٠، وأنه عاش ٤٧ عاماً (٣٥٩ - ٤٠٦).

خطبة كتاب خصائص الأئمة تكشف عن أن الشريف الرضي عدل عن إتمام كتابه الخصائص، ورأى التوسع في الفصل الأخير من الكتاب تلبية لطلب جمع من الأصدقاء، ومن حسن الحظ أن الدهر احتفظ بنسخة قديمة من هذا الكتاب عليها قراءة بخط فضل الله بن عليّ الحسين أبي الرضا الراوندي بتاريخ ٥٥٥ في م / رامپور - الهند، صورتها^(١)، ونصّها: «قرأت الخصائص على الشيخ الرئيس الولد وجيه الدين فخر العلماء أبو عليّ عبد الجبار بن الحسين بن أبي القاسم دامت نعمه، ورويتها له عن شيخني أبي الفتح اسماعيل بن الفضل بن أحمد بن الاخشيذ السراج عن أبي المظفر عبد الله بن سبيد [ظ] عن أبي الفضل الخزاعي عن الرضي عليه السلام. وكتب فضل بن عليّ الحسين ابن الرضا الراوندي في ذي القعدة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة حامداً الله تعالى ومصلياً على سيدنا محمد وآله الطاهرين وأصحابه الراشدين [ظ]».

واليك نص الخطبة في مقدمة خصائص أمير المؤمنين عليه السلام - على طولها - لأنها تلقي الضوء على التواريخ المتقدمة :

قال الشريف الرضي عليه السلام: «كنت - حفظ الله عليك دينك وقوى في ولاء العترة الطاهرة يقينك - سألتني أن أصنّف لك كتاباً، يشتمل على خصائص أخبار الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم وبركاتهم وتحياّتهم، على ترتيب أيامهم وتدرّيج طبقاتهم، ذكراً أوقات مواليدهم ومدد أعمارهم، وتواريخ وفاياتهم [كذا]، ومواضع قبورهم وأسماء أمهاتهم، ومختصراً من فضل زياراتهم، ثم مورداً طرفاً من جوابات المسائل التي سئلوا عنها، واستخرجت أقاويلهم فيها، ولمعاً من أسرار أحاديثهم وظواهر وبواطن أعلامهم، ونبذاً من الاحتجاج في النص عليهم جليّة البرهان في الإشارة إليهم، موضحاً من ذلك ما يزيد به الولي المخلص إخلاصاً في موالاتهم، وصفاء عقد في محبتهم، ويصدق عن عين

عدوهم العمى، ويكشف عن قلبه الغمى، حتى تشع أنوارهم فيشعوا إليها، ويستوضح أعلامهم فيتتبّعها ويقتنيها؛ سالكاً في جميع ذلك طريق الاختصار ومائلاً عن جانب الإكثار، لأنّ مناقب موالينا الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين لا تحصى بالعدد ولا تقف عند حد ولا يجرى بها إلى أمد، فإنّي أعتقد أن جميع أعداء هؤلاء الغرر - الذين هم قواعد الاسلام ومصاييح الظلام، والذين حطّ الله الخلق عن منازلهم، وقصر الألسن والأيدي عن تناولهم وميّز العالم بينهم، وأماط العيب والعار عنهم - بين مغموس القلب في الجهالة، ومطروف العين بالضلالة، لا يفيق من سكرة الهوى فيتبين الطريقة المثلى، وبين عالم بفضلهم خابر بطيب فرعهم وأصلهم يكتّم معرفته معاندة ويغالط نفسه مكايده؛ ترجيباً لغرس قد غرسه، وتوطيداً لبناء قد أسّسه، وتنفيقاً لسوق قد قامت له، واستجراراً لجماعة قد التفت عليه، وكلّ ذلك طلب لحطام هذه الدنيا، الويل مرتعها، الممرّ مشربها، المنقّص نعيمها وسرورها، المظلم ضياؤها ونورها، الطائرة بأهلها إلى أخشن المصارع بعد ألين المضاجع، والنازل الى أفزع المنازل بعد آمن المعازل، على قرب من المعاد وعدم من الزاد، ثم تنقلب لهم إلى حيث ﴿تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(١) فعاقني عن إجابتك إلى ملتصك ما لا يزال يعوق من نوائب الزمان ومعارضات الأيام، إلى أن أنهضني إلى ذلك اتفاق اتفق لي فاستثار حميتي وقوى نيّتي، واستخرج نشاطي، وقدح زنادي، وذلك أنّ بعض الرؤساء ممن غرضه القدح في صفاتي، والغمز لقناتي، والتغطية على مناقبي، والدلالة على مثلبة إن كانت لي، لقيني وأنا متوجّه عشية عرفة^(٢) من سنة ثلاث وثمانين هجرية إلى مشهد مولانا أبي الحسن موسى بن جعفر وأبي جعفر محمد بن عليّ ابن موسى عليه السلام للتشرف هناك، فسألني عن متوجّهي فذكرت له إلى أين قصدي . فقال لي : متى كان ذلك؟! يعني أنّ جمهور الموسويّين جارون على منهاج واحد في القول بالوقف والبراءة ممن قال بالقطع،

(١) ال عمران : ٣٠/ ٣.

(٢) ويظهر ان العادة كانت في بغداد زيارة مرقد الامامين الكاظمين عليه السلام بهذه المناسبة.

وهو عارف بأن الإمامة مذهبي وعليها عقدي ومعتقدي وإنما أراد التنكيت لي والظعن على ديني، فأجبت في الحال بما اقتضاه كلامه واستدعاه خطابه، وعدت وقد قوى عزمي على عمل هذا الكتاب إعلاناً لمذهبي وكشفاً عن مغيباتي، ورداً على العدو الذي يتطلب عيبي ويروم ذمي وقصبي، وأنا بعون الله مبتدئ بما ذكرت على الترتيب الذي شرطت، والله المنقذ من الضلال والهادي إلى سبيل الرشاد، وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير»^(١).

واسلوب الشريف الرضي في خصائص الأئمة أن يشير إلى الأسانيد بقوله: «باسناد مرفوع» ثم يذكر الامام المسند عنه الحديث، وبذلك يتحاشى عن تضخيم الكتاب وإن صرح أحياناً بالأسانيد العوالي القصار بالعدد الثلاثيات كما في الصفحة ١٤ حيث نقل عن الحميري - ويظهر أنه من قرب الاسناد له - قال مالفظة: «الحميري عن أحمد بن محمد عن جعفر بن محمد بن عبيد الله عن عبد الله ميمون عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابائه عليهم السلام قال: «مر أمير المؤمنين في ناس من أصحابه بكرلاء، فلما مرّ بها اغرورقت عيناه بالدموع من البكاء، ثم قال: هذا مناخ ركابهم، وهذا ملقى رحالهم، وها هنا تراق دماؤهم، طوبى لك من تربة عليها تراق دماء الأئمة»^(٢).

وقد خصّ القسم الأخير من كتاب الخصائص بعنوان: «المنتخب من قضايا [= اي الامام علي عليه السلام] وجوابات المسائل سئل عنها» وهي من ص ٥٥ إلى ص ٩٥، وهو آخر الكتاب، وقد حدّد شيخنا العلامة هذا القسم الأخير بأنه ثلث الكتاب^(٣).

(١) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام : ١ - ٤. (٢) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام : ١٤.

(٣) راجع الذريعة ٧: ١٦٤.

المقطع الثالث

في سبب الجمع:

قال: «فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره، معجبين ببدائعه، ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك أن ابتدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعبات غصونه، من خطبٍ وكتبٍ ومواعظٍ وأدبٍ؛ علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية ونوائب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب».

ويلاحظ في كلام الشريف الرضي نقاطاً:

الاولى: أن السبب في قيام الشريف الرضي بهذا الجمع هو طلب «جماعة من الاصدقاء» ونحن وان كنا لانعرفهم بالأسماء ولكن نعرف انهم جماعة استحسنا ما نقله الشريف الرضي عن الامام من المواعظ والحكم والامثال في كتابه خصائص الأئمة عليهم السلام، وكانوا معجبين ببدائعه، فسألوه التوسع في الموضوع بتأليف جامع لا يقتصر على الحكم خاصة بل يشمل الخطب والرسائل البلغية للامام، وقد استجاب الشريف الرضي للطلب بعد أن وجد المكتبة الإسلامية شاغرة من ذلك.

ثانياً: انه استهدف جمع البليغ من كلام الامام من الخطب والرسائل والحكم، ولم يجمع كل ما صدر منه عليه السلام من محاوراته العادية، شأن كل الناس في حياتهم الاجتماعية، وبهذا امتاز عمل الشريف الرضي عمّن تقدمه ممّن جمع خطب الامام عليه السلام من الرواة والمحدثين، حيث إنهم لم يركّزوا على هذا الهدف بل كان هدفهم الجمع فقط دون الانتقاء. أمّا عن السؤال عن أنه عليه السلام لمن استجاب؟ فإن الشريف الرضي لا ينصّ على الذين استجاب لطلبهم في جمع نهج البلاغة، وقد اختار جمعاً للصدّاقة ممن يجمعهم إياه ذوق

الشعر وحلاوة الأدب متجاوزاً عن الفوارق الطائفية الاجتماعية، وفيهم من لا يعتقد ما يعتقدونه ومن لا يلتزم بأداب اجتماعية يعيشها ولعل المراد أعضاء (لجنة نظام العقد).
لجنة نظام العقد:

ذكر الشريف الرضي لجنة سداسية - كان هو أحدهم - كان يعتز بها ويراهها (نظام العقد وداً وألفاً)، ومن الطبيعي أن الاصدقاء المعني بهم في خطبة نهج البلاغة هؤلاء أو بعضهم، حيث قال عليه السلام في الديوان في اجتماع اصدقائه عنده:

نُظِمْنَا نِظَامَ الْعَقْدِ وَدَاً وَأَلْفَةً	وكان لنا البتّي سلك نظام
أخي وابن عمي وابن حمد فإنه	تباريح قلبي خاليا وغرامي
وسادسنا الأزدي ماشئت من أب	جواد ومن جد أغرّ همام
أحاديث تستدعي الوقور إلى الصبا	وتكسو حلیم القوم ثوب عُرام
فنضحى لها طربى بغير ترنم	ونمسي لها سكرى بغير مدام
تعالوا نولّ اللائمين تصامماً	ونعص على الأيام كلّ ملام
ونفغتم الأوقات إن بقاءها	كمر غمام أو كحلّم منام
من الله استبقي صفاء يضمّنا	وطاعة أيام ودار مقام
واستصرف الأعداء عنا فإننا	مذ اليوم أغراض لكل مرام ^(١)

وهؤلاء هم :

١ - البتّي: وهو أبو الحسن بن أحمد بن علي الكاتب البتّي (ت/ ٤٠٥) الذي رثاه الرضي بقصيدة مطلعها:

ما للهموم كأنها نار على قلبي تشبّ^(٢)

ولعل هذه آخر قصيدة للرضي حيث توفي عليه السلام بعده بسنة أي في سنة ٤٠٦ هـ.

٢ - أخوه المرتضى علي بن الحسين (ت/ ٤٣٦).

٣ - ابن عمه ؟

(١) ديوان الشريف الرضي ٢: ٢٧٥ - ١٧٦ . (٢) ديوان الشريف الرضي ١: ١٧٠.

٤ - ابن محمد: وهو أبو عليّ الحسن بن محمد بن أبي الريان الوزير (ت/ ٤٢٨).
وقد مدحه بقصيدة مطلعها:

اشكو إليك مدامعاً تكف
بعد النوى وجوانحاً تجف^(١)

٥ - الأزدي؟

وللشريف ابننا عمومة ، وقد رثى عمه أبا عبد الله أحمد بن موسى (ت/ ٣٨١) بقصيدة مطلعها:

سلا ظاهر الأنفاس عن باطن الوجد فإنّ الذي أخفي نظيرُ الذي أبدي^(٢)
ويفهم من ابن عنبه (ت/ ٨٢٨) في عمدة الطالب ص ٢١١: أنّ عمه أحمد بن موسى أعقب من ثلاث هم : ١ - علي بالبصرة ، ٢ - أبو الحسن موسى ، ٣ - وأبو محمد الحسن. ولا يعلم بالضبط أي واحد منهم هو المراد، وإن كان يستبعد الأول لكونه في البصرة، وقد يكون المراد أحد أقارب ابن عمه مجازاً.

ولم أهتم أيضاً إلى الأزدي ، ولعلّه عبد الصمد بن الحسين بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حمّاد بن زيد بن درهم، أبو الحسن الأزدي، المولود ببغداد في ٢٩٤ و المتوفى ٣٥٣، قال عنه الخطيب البغدادي: «انتقل إلى مصر فسكنها وحدث بها عن أبي عمر محمد بن جعفر القتات الكوفي، سمع منه أبو الفتح بن مسرور البلخي ، وذكر - فيما قرأت بخطه - بأنه توفي بمصر ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ٣٥٣، قال: وكان ثقة»^(٣).

ويمكن ان يكون من طلب ذلك منه أحد الأعلام الذين صاحبهم ورثاهم بتفجع .

منهم : أبا علي الفارسي (ت/ ٣٧٧)، الذي رثاه بقصيدة مطلعها:

أبا علي للألدّ إن سطا وللخصوم إن أطالوا اللّغطا^(٤)

ومنهم: الصاحب بن عبّاد (ت/ ٣٨٥)، الذي رثاه بقصيدة في ١١٢ بيتاً مطلعها:

(١) ديوان ٢: ٢١ - ٢٤.
(٢) ديوان الشريف الرضي ١: ٣٧٧.
(٣) تاريخ بغداد: للخطيب ١١: ٤٢.
(٤) ديوان الشريف الرضي ١: ٥٨٨ - ٥٨٦.

أَكْذَا المَنُونِ تَقْطُرُ الأَبْطَالَا أَكْذَا الزَّمَانِ يَضَعُضُ الأَجْبَالَا؟^(١)

ومنهم: ابراهيم الصابي (ت/ ٣٨٤)، الذي رثاه بقصيدة مطلعها:

أَعْلَمْتُ مِنْ حَمَلُوا عَلَى الأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَادِي^(٢)

ومنهم: أبا منصور المرزبان الشيرازي (ت/ ٣٨٣)، الذي رثاه بقصيدة مطلعها:

أَيُّ دَمُوعٍ عَلَيْكَ لَمْ تَصُبْ وَأَيُّ قَلْبٍ عَلَيْكَ لَمْ يَجِبْ^(٣)

ومنهم: الشيخ يوسف بن الحسن بن عبد الله السيرافي النحوي (ت/ ٣٨٥)، الذي رثاه

بقصيدة مطلعها:

يَا يَوْسُفَ ابْنَ أَبِي سَعِيدٍ دَعْوَةً أَوْحَى إِلَيْكَ بِهَا ضَمِيرٌ مَوْجِعٌ^(٤)

ومنهم: الحسين بن أحمد بن الحجّاج (ت/ ٣٩١)، الذي رثاه على البديهة بقوله:

نَعُوهُ عَلَى ظَنِّ قَلْبِي بِهِ فَلَلَّهُ مَاذَا نَعَى النَّاعِيَانِ^(٥)

ومنهم شيخه عثمان بن جنيّ (ت/ ٣٩٢)، الذي رثاه بقصيدة مطلعها:

أَلَا يَا قَوْمِي لِلْخُطُوبِ الطَّوَارِقِ وَلِلْعَظَمِ يُرْمِي كُلَّ يَوْمٍ بَعَارِقِ^(٦)

ويظهر أن أكثر هؤلاء صداقة الصابي من أعلام الكتاب الذي توثقت صداقته مع الشريف، وتبادلت القصائد بينهما على أساس المودة للأدب العربي الأصيل الممتد من همومهما وآمالهما، ولعل أصدق وصف عن وفاء الرضي ما ذكره في آخر قصيدة الصابي التي نظمها قبل ١٢ يوماً من وفاته، منها:

مَنْ مَبْلَغُ لَهُ أبا إسحاق مَأْلَكَة عَنْ حَنُوقِ قَلْبِ سَائِمِ السَّرِّ وَالْعَلَنِ

جَرَى الْوُدَادُ لَهُ مَتْنِي وَإِنْ بَعْدَتْ مَنَا الْعَلَاتِقُ مَجْرَى الْمَاءِ فِي الْغَصَنِ

مَسْوَدٌ قَصَبِ الأَقْلَامِ نَالَ بِهَا نِيلَ الْمَحْمَرِّ أَطْرَافَ الْقَنَا اللَّدَنِ

ضَلُّوا وَرَاءَكَ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ مَاذَا الضَّلَالُ وَذَا يَجْرِي عَلَى السَّنَنِ

مَا قَدَرْتُ فَضْلَكَ مَا أَصْبَحْتُ تَرْزُقُهُ لَيْسَ الْحُظُوظُ عَلَى الأَقْدَارِ وَالْمَهَنِ

إِنْ يَدُنْ قَوْمٍ إِلَى دَارِي فَأَلْفُهُمْ وَتَنَأَ عَنِّي فَأَنْتَ الرُّوحُ فِي الْبَدَنِ

(١) ديوان الشريف الرضي ٢: ٢٠١ - ٢٠٩. (٢) ديوان الشريف الرضي ١: ٢٨١ - ٢٨٦.

(٣) ديوان الشريف الرضي ١: ١٥١ - ١٥٤. (٤) ديوان الشريف الرضي ١: ٦٤٤ - ٦٤٥.

(٥) ديوان الشريف الرضي ٢: ٤٤١ - ٤٤٢. (٦) ديوان الشريف الرضي ٢: ٦٣ - ٦٧.

فالمراء يسرح في الآفاق مضطرباً
والبعد عنك بلائي باستكانهم
أنت الكرى مؤنساً طرفي وبعضهم
كم من قريب يرى أنني كلفت به
أشتاقكم ودواعي الشوق تنهضني
وأعرض الودّ أحياناً فيؤنسي
هذا ودجلة ما بيني وبينكم
ونفسه أبداً تهفو إلى وطن
إن الغريب لمضطرباً إلى السكن
مثل القذى مانع عيني من الوسن
يمسي شجاي وتضحى دونه شجني
إليكم وعوادي الدهر تقعدني
وأذكر البعد أطواراً فيوحشني
وجانب العبر غير الجانب الخشن^(١)

المقطع الرابع

منابع فكر الإمام عليه السلام:

قال الرضي : «إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ،
ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ،
وعلى أمثلته هذا كلّ قائل خطيب، وبكلامه استعان كلّ واعظ بليغ ، ومع
ذلك فقد سبق وقصّروا، وتقدّم وتأخّروا، لأنّ كلامه عليه السلام من الكلام الذي
عليه مسحة من الكلام الإلهي ، وفيه عبقة من الكلام النبوي».

وفي هذا المقطع يشير الشريف الرضي إلى مصادر فكر الإمام علي عليه السلام ، ويشير إلى
شيئين هما: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأنّ الإمام عليه السلام صاغ هذين المصدرين
باسلوبه الخاص الذي أصبح مثلاً للأجيال بعده من الخطباء والوعّاظ، ومصادر السيرة
النبويّة والتراجم والتاريخ غني بمنابع الفكر لدى الإمام علي عليه السلام لاستناده إلى هذين
المصدرين في حياته الفكرية والاجتماعية والسياسية التي مهدتها له مؤهلاته
الشخصية والأسرية. قال البدر العيني في شرح البخاري: «هو علي بن أبي طالب الهاشمي

المكي المدني، أخو رسول الله ﷺ بالمواخاة؛ قال له: « أنت أخي في الدنيا والآخرة »، وأبو السبطين ريثانتي الرسول، وأول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وأحد العشرة المبشرة بالجنة، وأحد الستة من أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانيين، وأحد الشجعان المشهورين والزهاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد الثابتين يوم أحد، شهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها إلا تبوك استخلفه فيها الرسول على المدينة، وأصابته يوم أحد ست عشرة ضربة، وأعطاه الرسول ﷺ الراية يوم خيبر وأخبر أن الفتح يكون على يديه، ومناقبه جمّة، وأحواله في الشجاعة مشهورة، وأما علمه فكان من العلوم بالمحل الأعلى»^(١).

المقطع الخامس

في بلاغة الامام عليه السلام:

قال الرضي: «فأجبتهم إلى الابتداء بذلك ، عالمًا بما فيه من عظيم النفع ، ومنشور الذكر ومذخور الأجر. واعتمدت به ان أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافةً الى المحاسن الدثرة ، والفضائل الجمّة، وأنه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد، فأما كلامه عليه السلام فهو البحر الذي لا يساجل، والجم الذي لا يحافل، وأردت ان يسوغ لي التمثيل في الافتخار به صلوات الله عليه بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

ويشير الرضي في هذا المقطع إلى أن الامام هو المقدّم في البلاغة ، ولعل من العبث

الإطالة في بلاغة الإمام ، والمأثور عنه عليه السلام خير دليل على أنه إمام الكلام، وكذا مساهمته في الأدب والشعر العربي شأنه شأن أسرته الرفيعة والمجتمع الاسلامي الأول ، قال ابن عبد ربه (ت / ٣٢٨) : «كان أبو بكر شاعراً وعمر شاعراً، وعليّ أشعر الثلاثة»^(١).

وهذا طبيعي لمن تربى في مهد الشعر والأدب، فقد كان جدّه عبد المطلب شاعراً، وأبو طالب شاعراً، فبلاغة الإمام طبيعية رافقت الأحداث الاسلامية كلّها منذ فجر الدعوة الاسلامية حتى شهادته، كما لا يخفى على من ألمّ بتاريخ الإسلام، ومن هنا قال الشيخ محمد عبده: «فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة مصادفة بلا تعمّل، أصبته على تغيير حال وتبلبل بال وتزاحم أشغال وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية وحيلة للتخلية، فتصفّحت بعض صفحاته وتأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات وموضوعات متفرقات ، فكان يخيّل لي في كل مقام أنّ حروباً شبت وغارات شنت، وأنّ للبلاغة دولة وللقصاحة صولة، وأنّ للأوهام عرامة وللريب دعارة . فما أنا إلاّ والحق منتصر والباطل منكسر ، ومرج الشكر في خمود وهرج الريب في ركود، وأنّ مدير تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

(١) العقد الفريد ٣: ٨٨.

(٢) مقدمة نهج البلاغة: ٩، والاعمال الكاملة للإمام محمد عبده؛ جمع محمد عمارة ط / ١٩٧٤ نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت في ستة أجزاء .

المقطع السادس

في تبويب الكتاب :

قال الرضي: «ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة، أولها: الخطب والأوامر، وثانيها: الكتب والرسائل، وثالثها: الحكم والمواعظ، فأجمعت بتوفيق الله جل جلاله على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب، مفرداً لكل صنف من ذلك باباً».

وفي هذا المقطع يشير الشريف الرضي إلى تبويب الكتاب في ثلاثة أبواب رئيسية لم يرقمها بالعدد، وهي:

١ - الخطب والأوامر، وعددها (٢٣٩).

٢ - الكتب والرسائل، وعددها (٧٩).

٣ - الحكم والمواعظ، وعددها (٤٧٨).

كما أضاف الشريف الرضي فصلاً قصيراً، لم يذكره في الخطبة، بل ذكره في باب الحكم والمواعظ بعنوان: «فصل نذكر فيه شيئاً في اختيار غريب كلامه المحتاج إلى التفسير» وقد بلغت تسعة أحاديث، والمظنون أن زيادة غريب كلامه إنما كانت بعد أن طالع غريب الحديث لابي عبيد فجراه وأفرد باباً له. كما يدل على ذلك قوله: «هذا معنى ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام»^(١)، فقد أورد أبو عبيد القاسم بن سلام (ت/ ٢٢٤) في غريبه بعضها، وأيضاً ابن قتيبة عبد الله بن مسلم المروزي (ت/ ٢٥٧) في غريب الحديث، وقال: ابن أبي الحديد في آخر شرحه: «وأنا الآن أذكر من كلامه الغريب ما لم يورده أبو عبيد ولا ابن قتيبة في كلامهما، وأشرحه أيضاً» وسيأتي الكلام عن ذلك في موضعه.

المقطع السابع

في الاستدراك :

قال الرضي: «ومفضلاً فيه أوراقاً لتكون لاستدراك ما عساه يشذّ عني عاجلاً ويقع إلي آجلاً، وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض من الأغراض في غير الأنحاء التي ذكرتها، وقررت القاعدة عليها، نسبته إلى أليق الأبواب به وأشدّها ملامحة لغرضه».

إن طبيعة أيّ عمل يتوقّف على التتبع في المصادر يستلزم الاستدراك، وقد أعدّ الشريف الرضي - نفسه - المجال لهذا الاستدراك، وترك مواضع من الاوراق البياض للاستدراك كما صرّح به في هذا المقطع.

كما صرّح في آخر نهج البلاغة بقوله: «وقرّ العزم - كما شرطنا أولاً - على تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد، وما عسى أن يظهر لنا بعد الغموض، ويقع إلينا بعد الشذوذ»^(١).

وهناك مستدرك على نهج البلاغة لأحمد بن يحيى بن أحمد بن نافعة في كتابه ملحق نهج البلاغة، مجموع تلك الخطب والملحقات كلها بخط محمد بن محمد بن محمد ابن الحسن بن طويل الصفار الحلي نزيل واسط، وقد فرغ من كتابتها سنة ٧٢٩هـ^(٢). كما أنّ ابن أبي الحديد (ت/٦٥٦) استدرك على القسم الثالث: الحكم التي رويت عنه، مما لم ترد في النهج، وقد وصفت بالآلف المختارة، وقال في المقدمة: «ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبته قوم إليه، فبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور، لكنه قد روي عنه وعُزي إليه؛ وبعضه من كلام غيره من الحكماء؛ ولكنه كالنظير

(١) نهج البلاغة ٤: ٥٢٩ - ٥٣٠، طبعة دار الرشاد الحديثة في أربعة أجزاء.

(٢) الذريعة ٧: ١٩٩.

لكلامه والمضارع لحكمته ، ولما كان ذلك متضمناً فنوناً من الحكمة نافعة ؛ رأينا ألا نخلي الكتاب عنه ، لأنه كالتكملة والتتمة لكتاب نهج البلاغة»^(١).

واستدرك على الحكم - أيضاً - علي الجندي وآخرون في «سجع الحمام في حكم الامام عليه السلام» وذكر الجندي في سجع الحمام ص ٦ طبعة بيروت سنة ١٣٦٨ هـ ما يلي: «ولكن بقي كثير من كلامه عليه السلام متفرقاً في كثير من كتب الأدب والتاريخ؛ لا يقل روعة ونفاسة، وصدقاً وبلاغة، عما ورد في هذه الكتب؛ على أن كثيراً مما جاء فيها يُعوّزُه الضبط والشرح، ويشيع فيه التحريف والإيهام، فرأينا أن نجمع شتات هذه الحكم في عقد يضمّ منها ما تفرّق، ونختار ما رجع عندنا أنه من كلام الامام ، ومن نبع إلهامه وشرعة بيانه؛ ثم رتبنا هذه الحكم ترتيباً معجمياً؛ ليسهل الرجوع إليها، والتهدي إلى مواضعها ، ووضعنا لهذه الحكم شرحاً توخينا فيه تفسير الغريب، وكشف النقاب عن المعاني، مع إيراد أقوال الشعراء الذين وقعت لهم هذه الحكم، فأودعوها قوافيهم وأخيلتهم؛ ليكون هذا الكتاب - كما يقول أبو العباس المبرّد في وصفه كتابه الكامل - بنفسه مكتفياً ، وعن أن يُرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً. وقد ذيلنا كلّ حكمة بمرجعها؛ ووضعنا لها من الرموز ما يلائمها على النحو الآتي:

- ١ - الألف المختارة لابن أبي الحديد، ورمزها : ح
- ٢ - الحكم القصيرة الواردة في كتاب نهج البلاغة ، ورمزها : ر.
- ٣ - الحكم القصيرة الواردة في كتاب دستور معالم الحكم، ورمزها : ق.
- ٤ - الحكم الواردة في كتاب البيان والتبيين ؛ للجاحظ ، ورمزها : ب .
- ٥ - الحكم الواردة في كتاب عيون الاخبار؛ لابن قتيبة، ورمزها : ع.
- ٦ - الحكم الواردة في كتاب الكامل ؛ للمبرّد، ورمزها : ك.
- ٧ - الحكم الواردة في كتاب الإعجاز والإيجاز ؛ للشعالبي ، ورمزها : ز.
- ٨ - الحكم الواردة في كتاب التمثيل والمحاضرة ؛ للشعالبي، ورمزها : ت .

٩ - الحكم الواردة في كتاب أسرار البلاغة؛ للعامللي، ورمزها: س»^(١).

وظهرت كتب عرفت بمستدرك نهج البلاغة لم يتقيد مؤلفوها بأسلوب الرضي، ولم يستهدفوا ما استهدف، بل كانت غايتهم جمع ما ليس في نهج البلاغة، وهذا هدف نبيل أقرب إلى المسانيد من انتقاء البليغ من كلامه عليه السلام، ومنها:

١ - مستدرك نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة؛ للسيد حسن مير جهاني الطباطبائي طهران في مجلدين سنة ١٣٨٨ هـ.

٢ - نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة؛ للشيخ باقر المحمودي، ط / النجف في سبعة أجزاء، سنة ١٣٨٥ هـ.

٣ - نهج البلاغة الثاني (مالم يذكر في نهج البلاغة)؛ للشيخ جعفر الحائري، مؤسسة دار الهجرة بقم سنة ١٤١٠ هـ.

وكان الأولى من الاستدراك مراجعة النسخ المختلفة، وقد اخفقت يد واحدة في هذا السبيل وأقدمها نسخة في مكتبة سيهسالار لم يسمح لي بتصويرها ولا النقل عنها إلا ما يأتي، وهي نسخة كاملة قديمة من القرن الخامس ظاهراً برقم ٣٠٨٣ و ٣٠٥٦ جاء فيها بعد انتهاء الحكم مانصّه: «وهذا آخر انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام - إلى قوله - وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل».

[ثم كتب بالحمرة] «زيادة كتبت من نسخة كتبت على عهد المصنف، وقال عليه السلام [وبالسواد ما يأتي]: الدنيا خلقت لغيرها، ولم تخلق لنفسها. إن لبني أمية مروداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم. والمرود - هاهنا - مفعول من الإرواد وهو الإمهال والانظار، وهذا من أفصح الكلام وأغربه، فكانه عليه السلام شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية، فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها، وقال عليه السلام» انتهى. وعسى أن يتيسر لغيري تحقيق هذا الأمل.

المقطع الثامن

في اسلوب الانتقاء :

قال الرضي رحمه الله : «وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصولٌ غير متسقة، ومحاسن كليم غير منتظمة؛ لأنني أورد النكت واللمع، ولا أقصد التتالي والنسق».

إن نظرة خاطفة إلى مؤلفات الرضي تكشف عن اهتماماته الأدبية بالتراث الإسلامي؛ فانه قد كتب في مجاز القرآن والمجازات النبوية، وبلاغة الامام علي بن أبي طالب سلسلة مترابطة دفعته إلى ذلك مواهبه التراثية من الأدب العربي وتقدمه في حلبة الشعر، وقد عالج الميادين الثلاثة بأسلوبه الخاص، ومن مزايا هذه الشخصية الواعية أنه قد شرح أسلوبه في مقدمة كل كتاب ألفه، معلنا من البدء أن ما يستهدف إليه: البلاغة بما فيها من المجاز والاستعارة. وهذا أسلوبه في جمع نهج البلاغة، كما لا يخفى على المتتبع المنصف.

وقد تنبه إلى هذا الأسلوب جمع ممن درس النهج، ولعل أولهم ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة حيث قال قال ما لفظه: «ولكن الرضي رحمه الله يلتقط كلام أمير المؤمنين عليه السلام التقاطاً، ولا يقف مع الكلام المتوالي؛ لأن غرضه ذكر فصاحته عليه السلام، ولو اتى بخطبه كلها على وجهها لكانت أضعاف كتابه الذي جمعه» انتهى^(١).

وأوضح أسلوبه ذلك الشيخ هادي كاشف الغطاء بتفصيل، قال: «مؤلف النهج لا يروي إلا ما يختاره ويصطفيه فيختار الأبلغ فالأبلغ والأفصح فالأفصح بحسب ذوقه ومعرفته، وربما اختار من الخطبة فقرات معدودة ويترك الباقي، وربما جمع خطبة واحدة من خطب شتى أو من كلمات متفرقة في مواضع متباينة. وقد صرح بذلك كله في خطبة كتابه، فما كان في النهج من هذا القبيل لا يوقف له على مصدر مطابق، نعم يمكن للمتتبع ان يقف على فقرات غير متتابعة ولا متتالية كما اتفق لنا الوقوف على ذلك في بعض المواضع من النهج»^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد ومعناه في ٢: ٢٨٤.

(٢) مدارك نهج البلاغة: ٢٠٦.

وقال أيضاً: «ثم إن هاهنا ملاحظة يجب ان يستلقت النظر إليها وبها تندفع الشكوك التي يستثيرها الإسهاب في عهد أو خطبة، وهي أن السيد الشريف ربما لفق الخطبة من خطب يختار فصولها وفقرات يضم بعضها إلى بعض، وربما كان ذلك من خطب شتى وكلمات مشتتة فيجمع ما يختاره ويجعله كخطبة واحدة، وقد المحنا إلى ذلك فيما سلف ووجدت شراح النهج: الشارح الفاضل والشارح العلامة والاستاذ محمد عبده تبهوا على ذلك في شرح قوله عليه السلام: (فقمتم بالأمر حين فشلوا). قال الشيخ محمد عبده في شرحه ص ٥٥: هذا كلامه ساقه الرضي كأنه قطعة واحدة لغرض واحد، وليس كذلك، بل هو قطع غير متجاورة، كل قطعة منها في معنى غير ما للأخرى، وهو أربعة فصول... إلى آخر ما قال. وأقول: هذا الأمر ربما يستفاد من خطبة كتاب النهج؛ فإنه عليه السلام قد نبه على ذلك فيها وبين عذره، فلا اعتراض عليه»^(١).

قال عبد العزيز الدهلوي (ت/ ١٢٣٩) في التحفة الاثنى عشرية: «في كلام له: أزموا السواد الأعظم، فإن يد الله على [كذا] الجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب» ثم قال ما ترجمته: «... وفي شرح نهج البلاغة من يضيف ما جاء مما صح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كتب إلى معاوية: «ألا إن للناس جماعة يد الله عليها، ولعنة الله على من خالفها قبل حلول الغضب»، وقد أورد الرضي بعض هذا الكتاب، وأسقط عنه شطراً، لكونه مخالفاً لمذهبه المبتني على الفرقة، من آخره وهو قوله: «واتق الله فيما لديك وانظر في حقك عليك»^(٢).

قال الجلالى: وهذا جهل منه بأسلوب التأليف والتاريخ؛ فإن الجماعة كانت على خلافة علي عليه السلام، والفرقة حصلت من معاوية، فهو الشاذ عن جمهور المسلمين في عصره، فصدر الخطبة لا يخالف مذهب الرضي، وإنما لم يذكره لأن أسلوبه في الجمع هو التركيز على الكلام البليغ، ففي رواية: «أتق الله فيما لديك وانظر في حقك عليك» من السجع والبلاغة ما ليس في ما ذكره، ومن فقد هذا الذوق لا ينفع معه النطق.

(١) مدارك نهج البلاغة: ٢٢٧، وانظر شرح محمد عبده: ١٤١، طبعة قم سنة ١٤١١ هـ.

(٢) التحفة الاثنى عشرية: ١٩٥.

وحصل مثل ذلك من عمر فروخ حيث قال: «إن الشريف الرضي لم يستطع إثبات جميع رسائل الإمام عليّ وخطبه؛ لأنّ بعضها كان قد ضاع بتطاؤل الزمن عليه قبل عصره، حتى أنّ كثيراً من الخطب التي وصل إليها الشريف الرضي لم يصل إليها كاملة. ولذلك تجد أكثر الخطب المثبتة في نهج البلاغة مسبوقة بقول الشريف الرضي نفسه: «ومن خطبة له عليه السلام»، مما يدل على أن هذه الخطب لم تصل إليه كاملة»^(١).

فإنّ أسلوب الشريف هو الانتقاء من الخطب، وليس إيراد الخطب كاملة، فقد اختطّ الشريف في جمعه أسلوباً واحداً هو أسلوب الانتقاء ممّا يرى فيه قيمة أدبية - كما يتطلّبه اختصاصه وذوقه الأدبي، وهو الحال في أصحاب الأدب.

هذا، وقد أعرض أيضاً عن أسلوب المحدثين في ذكر الأسانيد، وليس هذا انتقاص للبحوث الأخرى التي تتعلق بهذه الروايات، فإنّ ذلك ليس من نبع اهتمامه، وظني أنّه لو كان يعلم أن ذلك ستكون شبهة لذكرها.

وقد استخدم هذا الأسلوب بالنسبة إلى بلاغة القرآن وبلاغة الحديث النبوي، وكان من الطبيعي أن يتبعهما ببلاغة الكلام العلوي.

ومن تقرير أسلوب الشريف في خطبة الكتاب وكتبه الأخرى الطافحة بالولاء لأهل البيت والدفاع عنهم والاعتزاز بتراتهم لانّشك في أنه اعتمد بالدرجة الأولى على روايات أهل البيت عليهم السلام في جمع النهج، وإذا ذكر غيرهم فإنما هو من باب القاء الحجة على الخصم بسرد الموافقات، ومن ذلك يظهر ما في كلام الدكتور احسان عباس في كتابه «الشريف الرضي» حيث قال: «لا أستبعد أنه لم يكن يهتم كثيراً بتحقيق نسبة الكلام الذي يجمعه، وهو نفسه قد أقرّ أنّ روايات كلام سيدنا عليّ تختلف اختلافاً شديداً»^(٢)، وكانت غايته الكبرى هي تفضيل الأفصح والأبلغ، وفي سبيل هذه الغاية توسّع في الطلب فلم يتوقف حين تشبه نسبة شيء إلى الإمام علي، ولم يرفض ما هو مشترك النسبة، ذلك هو الذي

(١) نهج البلاغة دراسة قصيرة؛ تأليف عمر فروخ : ٢.

(٢) الشريف الرضي : ٥٢.

يفسر حقيقة الكتاب اعني طريقة الشريف في الجمع والاختيار. فهناك خطبة أوردها الجاحظ في البيان لمعاوية وشكك الجاحظ نفسه فيها وقال: «إنَّها بكلام عليّ أشبه»، فأدرجها الرضي في النهج اعتماداً على تشكيك الجاحظ وهو في رأيه ناقد بصير، غير أنَّ الجاحظ أورد في البيان خطبة أخرى لقطري بن الفجاءة وجعلها الشريف في النهج لعليّ، ولم يثق هذه المرة في رواية من سمَّاه ناقدًا بصيرًا^(١).

فإنَّ الشريف الرضي رضي الله عنه اعتمد على روايات أهل البيت في خطبة الإمام، وإنما أورد كلام الجاحظ تأييداً وانتصاراً؛ لأنَّ الجاحظ ليس بشيعيٍّ حتى يتَّهم في قوله الموافق لمذهب أهل البيت، ولم يذكر ما لم يوافقه عليه، وكون الجاحظ ناقدًا بصيرًا لا يستلزم ان يكون كذلك في كلِّ رواية وفي كلِّ حالة.

المقطع التاسع

في شخصية الإمام عليه السلام:

قال الرضي رضي الله عنه: «ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها: أنَّ كلامه عليه السلام الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواج، إذا تأمَّله المتأمل، وفكَّر فيه المفكِّر، وخلع من قلبه أنَّه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في أنَّه من كلام من لاحظ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسرييت، أو انقطع في سفح جبل لا يسمع إلَّا حسَّه، ولا يرى إلَّا نفسه، ولا يكاد يؤمن بأنَّه كلام من ينغمس في الحرب، مصلتاً سيفه فيقظ الرقاب، ويجدِّل الأبطال، ويعودُّ به ينطف دماً ويقطر مُهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد، وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي

جمعَ بها بين الأضداد ، وألّف بين الأشتات وكثيراً ما أذاكر الإخوان بها ، واستخرج عجبهم منها ، وهي موضعٌ للعبرة بها والفكرة فيها».

لقد درس الكثير حياة الامام عليّ (عليه السلام) من جوانب مختلفة من خلال ماورد عن الإمام (عليه السلام) من الخطب والرسائل والحكم، ومكتبة نهج البلاغة غنية بذلك ، وفي هذا الصدد قولان ممن لا يعتقد بالامام عليّ (عليه السلام) إماماً دينياً ، ذات دلالة عميقة ، فتساءل ابن أبي الحديد المعتزلي قائلاً: «وماذا أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جَحْدُ مناقبه ولا كتمان فضله! فقد اجتهد بنو أمية في إطفاء نوره، ولغّوه على جميع المنابر، وحَبَسوا مادحيه وقتلوه، ومنعوا من رواية كلِّ حديث يتضمن له فضيلةً، أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أن يُسمّى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسموً، وكان كالمسك كلما سترَ انتشر عُرْفُه، وتضوّع نَشْرُه، وكالشمس لا تُستر بالراح، وكضوء النهار إن حُجبَ عن عينٍ واحدة، أدركته عيون كثيرة. وماذا أقول في رجل تُغزى إليه كلُّ فضيلة، وتنتهي إليه كلُّ فِرقة، وتتجاذبه كلُّ طائفة!»^(١)، وقال أيضاً «وماذا أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى ، وآمن بالله وعبدَه وكلُّ من على الأرض يعبدُ الحَجَرَ، ويَجحدُ الخالق، لم يسبقه أحدٌ إلى التوحيد إلا السابق إلى كلِّ خير : محمدٌ رسول الله ﷺ»^(٢).

وقال جبران خليل جبران المسيحي: «مات عليّ بن أبي طالب شهيد عظمته، مات والصلاة على شفتيه ، مات وفي قلبه الشوق إلى ربه ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس أناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى، مات قبل أن يبلغ العالم رسالته كاملة وافية ، مات وشأنه شأن جميع الأنبياء الناصحين الذين يأتون إلى بلد ليس يبلدهم وإلى قوم ليس بقومهم ، وفي زمن ليس بزمانهم ، ولكن لربك شأن في ذلك وهو أعلم»^(٣).

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٧ ، ط / دار احياء الكتب بمصر، ١٣٧٨ هـ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣٠ ، ط / دار احياء الكتب بمصر، ١٣٧٨ هـ.

(٣) علي والقومية العربية: ١٢٢ .

وهذه صفات عالية يتعذر اجتماعها في شخصية واحدة، وقد احسن شاعر أهل البيت السيد صفّي الدين الحلّي (ت/ ٧٥٢ هـ) بقوله:

جمعت في صفاتك الأضداد	فلهذا عزّت لك الأنداد
زاهد حاكم حلّيم شجاع	ناسك فاتك فقير جواد
شيم ما جمعن في بشر قط	ولا حاز مثلهنّ العباد ^(١)

المقطع العاشر

في اختلاف الروايات :

قال الرضي رحمه الله : «وربّما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردّد والمعنى المكرر، والعذر في ذلك أنّ روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافاً شديداً، فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثمّ وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه الأوّل، إمّا بزيادة مختارة أو لفظ أحسن عبارة تقتضي الحال أن يعاد، استظهاراً للاختيار، وغيره على عقائل الكلام. وربما بعّد العهد أيضاً بما اختير أولاً، فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً، لا قصداً واعتماداً».

إنّ اختلاف الروايات حقيقة يواجهه كلّ من له أدنى صلة بالروايات، سواء النبوية أو العلوية أو التاريخية؛ فإن كان ترجيح لاحداها فالضرورة ترجحها، وما عدى ذلك يكون الخيار أمران: إمّا إهمالهما معاً أو ذكرهما معاً، وهذا الأخير هو الحلّ الذي اختاره الشريف الرضي، وهو على صواب في ذلك؛ فإنّ إهمال إحداها من دون سبب إهمال للتراث.

(١) ديوان صفّي الدين الحلّي: ٨٨ - ٨٩، وفي آخر القصيدة :

فردت بغيضها الاحتداد	إنما الله عنكم اذهب الرجس
بمدح فذاك قول معاد	ذاك مدح الاله فيكم ان فهت

قال الشريف الرضي وهو يذكر الروايات المختلفة : «قد مضى هذا الكلام فيما تقدم، إلا أننا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف»^(١).

ويقول: «وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب، إلا أن فيه هاهنا زيادة أوجبت تكريره»^(٢).

ويقول في موضع آخر : «وقد تقدم مختار هذه الخطبة ، إلا أنني وجدت في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان، فأوجبت الحال إثباتها ثانية»^(٣).

وقال ابن أبي الحديد: «واعلم ان هذه الخطبة قد ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب صفين على وجه يقتضي أن ما ذكره الرضي هنا قد ضم إليه بعض خطبة أخرى، وهذه عادته ؛ لأن غرضه إلتقاط الصحيح والبلغ من كلامه»^(٤).

ونرى مثلاً لهذا التكرار في الخطبة التي خطبها بذي قار، فقد اقتطف منها مقتطفات، فذكر بعضها في الخطبة رقم ١٠ ، وبعضها الأخير في الخطبة رقم ٢١، وبعضها الآخر أيضاً برقم ١٣٢ . وسنشير إليها في مواضعها.

(١) نهج البلاغة ١: ٢٠٤، الخطبة ١٣.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٢٥، الخطبة ١٠٠، وانظر الخطبة ٣٣.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٩٩. (٤) شرح نهج البلاغة ٣: ٤١٢.

المقطع الحادي عشر

في مصادر الكتاب :

قال الشريف الرضي رحمه الله: «ولا أدعي مع ذلك أنني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام، حتى لا يشذ عني منه شاذٌ، ولا يندّ نادٌ، بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إليّ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي؛ وما عليّ إلا بذل الجهد وبلاغة الوسع، وعلى الله سبحانه نهج السبيل وإرشاد الدليل إن شاء الله تعالى».

واجه الشريف الرضي ما يواجهه كلّ متتبع للروايات من مشكلة الاستقصاء والشذوذ في الروايات، ومهما أوتيت اليد الواحدة من قدرة فإنها تكون عاجزة عن الاستقصاء. وهذه حكمة الله على كل البشر، وليس المطلوب سوى استفراغ الوسع في سبيل الهدف، وهذا ما قام به الشريف الرضي بكلّ إخلاص.

ولم يذكر الشريف الرضي في نهج البلاغة سوى تسعة كتب، وهذا على خلاف عادته وأسلوبه في كتبه الأخرى، مما يدعو إلى التساؤل عن السبب في ذكره هذه التسعة خاصة، وهو وإن لم يصرّح بمصادره في كتبه غالباً لكنه أعطى فكرة عامة عنها، فمثلاً في كتاب «المجازات النبوية» ذكر رحمه الله في المقدمة - بعدما أشار إلى كتبه: تلخيص البيان عن مجازات القرآن، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل - قال: «والذي اعتمد عليه في استخراج ما يتضمن الغرض الذي أنحو نحوه، وأقصد قصده، كتبٌ غريب الحديث المعروفة وأخبار المغازي المشهورة، ومسانيد المحدثين الصحيحة، مضافاً إلى ذلك ما يليق بهذا المعنى من جملة كلامه عليه الصلاة والسلام الموجز الذي لم يسبق إلى لفظه، ولم يُفترع من قبله، وجميع ذلك ممّا أقتنّا بعضه رواية، وحصلنا بعضه إجازة، وخرّجنا بعضه تصفحاً وقراءة، مستمدين في ذلك، وفي سائر الأنحاء والمرامي والمطالب والمغازي توفيق الله سبحانه الذي يهون الشديد ويقرب البعيد، ويذلّ الصعب إذا أبى،

ويقوم المعوجّ إذا التوى، وما توفّقي إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب»^(١).

وعليه فمصادر جمع الشريف الرضي هي:

١ - كتب غريب الحديث المعروفة .

٢ - أخبار المغازي المشهورة.

٣ - مسانيد المحدثين الصحيحة.

وقد حصل على هذه بعض المصادر بالطرق السائدة في عصره وهي :

١ - الرواية ، ٢ - الإجازة ، ٣ - المراجعة ، ٤ - القراءة.

وصرح الشريف الرضي بثمانية مصادر في نهج البلاغة هي:

١ - اصلاح المنطق ؛ لأبي يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت (ت / ٢٢٤)، الخطبة

٣، ص ٣٧.

٢ - البيان والتبيين؛ لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت / ٢٢٥)، الخطبة ٣٢،

ص ٥٩.

٣ - التاريخ؛ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت / ٣١٠)، الحكمة ٣٧١، ص ٤١٤.

٤ - الجمل؛ لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (ت / ٢٠٧)، الكتاب ٧٥، ص ٣٦٣.

٥ - غريب الحديث ؛ لأبي عبيد الهروي القاسم بن سلام (ت / ٢٢٤)، ولم يذكر الرضي

اسم الكتاب بل قال : «هذا ممّا ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام»، في الغريب ٤، ص ٤٣٠،

ومن الواضح انه أراد الكتاب المذكور.

٦ - المغازي ؛ لسعيد بن يحيى الأموي (ت / ٢٤٩)، الكتاب ٧٨، ص ٣٦٤.

٧ - المقامات في مناقب أمير المؤمنين ﷺ ؛ لأبي جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي

(ت / ٢٤٠)، الكتاب ٥٤، ص ٣٤٨ و ٣٦٤.

٨ - المقتضب ؛ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت / ٢٨٦)، الحكمة ٤٦٤، ص

٤٢٦.

(١) تلخيص البيان: ١٢، الطبعة الثانية منشورات مكتبة بصيرتي - قم .

ولم يصرح بمصدر آخر في نهج البلاغة، سوى هذه الثمانية ، وقد نقل عن خط أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي (ت/ ٢٠٤) الكتاب ٧٤، ص ٣٦٢.

وقد يكون من إحدى كتبه، فهو كثير التأليف في الأخبار.

وعن السبب في ذكره هذه المصادر دون غيرها قال الهادي كاشف الغطاء : «والظاهر ان الوجه في تخصيص ذلك البعض بذكر المصدر دون غيره من مندرجات الكتاب هو أن ذلك البعض مما لم يتحقق عند المؤلف نسبته إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، بخلاف غيره ، فإنه على ثقة منه ويقين، فلا يحتاج إلى ذكر مصدر له، لكون العهدة عليه في النقل والنسبة ، وهذه عادة القدماء من اهل التأليف... وقد يكون الوجه في ذلك وقوع الخلاف في النسبة أو وجود النسبة الى الغير ، فيذكر المصدر نسبته إلى الإمام عليه السلام كما يظهر ذلك من نقله عن الجاحظ في كتاب البيان والتبيين»^(١).

وهذا رأي مصيب ؛ إذ أننا نجد هذه المصادر ليست من مصادر روايات أهل البيت الذي اعتزّ بها الشريف الرضي، بل مصادر عامة راجعها ونقل عنها من دون رواية وإجازة وقراءة، كما هي الحال في عصرنا ، ومن هنا وجب التنبيه على ذلك بذكر هذه المصادر دون غيرها.

كما أن الشريف الرضي صرّح في سبعة موارد بأسماء الرواة للمأثورات عن الإمام عليّ عليه السلام دون غيرها من الخطب والرسائل والحكم بعنوان «روي» و «حكى» وماشابه ذلك، وهي كالآتي:

١ - أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت/ ٢٩١) ونصّه «ما حكاه ثعلب» في الحكمة ٤٤٠ ج ٢٠ ص ٨٠^(٢).

٢ - ذعلب اليماني، ونصّه: «روى ذعلب» في الكلام ٢٩ ج ١٣ ص ١٨.

(١) مدارك نهج البلاغة : ٢٣٥.

(٢) (ملاحظة): أعدنا ترقيم الموارد حسب طبعة شرح ابن أبي الحديد الحديثة؛ لكونها أسهل تناولاً (المحقق).

٣ - ضرار بن حمزة الضبابي، ونصّه: «ومن خبر ضرار» في الحكمة ٧٥، ج ١٨ ص ٢٧٥.

٤ - كميل بن زياد النخعي (ت/ ٨٢) ونصّه: «قال كميل»، في الحكمة ٤٣ ص ٣٤٦.

٥ - الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (ت/ ١١٤)، ونصّه: «وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام» في الحكمة ٨٥ ج ١٨ ص ٢٤٠.

٦ - نوف البكالي (ت/ ١٠٠ ح) ونصّه: «روي عن نوف البكالي» في الخطبة ١٨٣٠ ج ١٠ ص ٧٦.

٧ - وهب بن عبد الله السوائي (ت/ ٧٤)، ونصّه: «وروى أبو جحيفة» في الحكمة ٣٨١، ج ١٩ ص ٣١٢.

٨ - محمد ابن جرير الطبري (ت/ ٣١٠) ونصّه: «وروى ابن جرير الطبري في تاريخه» في الحكمة ٣٧٩ ج ١٩ ص ٣٠٥.

وظني ان الشريف الرضي إنما خصّ أسماء هؤلاء الرواة دون غيرهم لاختلاف الروايات ، فاختار ما رآه أنسب مشيراً إلى الراوي، مع أن هؤلاء إنما يدخلون في اعلام نهج البلاغة فيما لو عمل فهرس للاعلام فإنّ لكميل ذكر في نهج البلاغة في ثلاثة موارد في الكتاب ٦١ والحكمة ١٤٣ و ٢٥٤ ، ولم يعنونه بعنوان الراوي إلا في الحكمة ١٤٣ ، لأن المحادثة قد حصلت بينه وبين الإمام عليه السلام ممّا أوجب ذكر اسمه.

مصادر أخرى:

من الطبيعي أن الكتب التي ألّفت في عهد الرضي وما قبله والتي كانت ميسرة له، كلّها تكون من مصادر نهج البلاغة، وإنّ مصادر أهل البيت التي ألّفت في عصر الرضي ينص على كثير منها.

ونكتفي بعرض سريع لما ذكره أبو العباس النجاشي (ت/ ٤٥٠) وأبو جعفر الطوسي (ت/ ٤٦٠) في فهرسيهما في خصوص ما يتعلّق بالامام عليه السلام على ما ينبىء عناوينها، دون المصادر العامة.

١ - خطب علي؛ لأبي اسحاق ابراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي المفسر (ذكره النجاشي)^(١).

٢ - كتاب الخطب؛ لأبي اسحاق ابراهيم بن سليمان بن عبد الله بن خالد النهمي - نسبة إلى منهم، بطن من همدان الكوفي الخزاز، وله مقتل أمير المؤمنين (ذكره النجاشي والطوسي)^(٢).

٣ - كتاب رسائل علي وحروبه؛ لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد الشقي الكوفي (ت/ ٢٨٣)، وله كتاب كلام علي في الشورى، وله كتاب بيعة أمير المؤمنين، وله كتاب مقتل أمير المؤمنين (ذكرها الطوسي)^(٣).

٤ - خطب أمير المؤمنين؛ لأبي يعقوب اسماعيل بن مهران بن محمد السكوني الكوفي، المتوفى بعد سنة ١٤٨ هـ (ذكره النجاشي والطوسي)^(٤).

٥ - خطب أمير المؤمنين على المنابر في الجُمع والأعياد وغيرها؛ لزيد بن وهب الجهنبي الكوفي، المتوفى سنة ٩٦ هـ، (ذكرها الطوسي)^(٥).

٦ - خطب أمير المؤمنين؛ لأبي الخير صالح بن أبي حمّاد الرازي، المتوفى بعد سنة

(١) رجال النجاشي: ١٥، الفهرست: ٣٥. (٢) رجال النجاشي: ١٨، الفهرست: ٣٨.
(٣) الفهرست: ٣٦. (٤) رجال النجاشي: ٢٦، الفهرست: ٤٦ و ٥٢.
(٥) الفهرست: ١٣٠.

٢١٤هـ، من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام ^(١) (ذكره النجاشي) ^(٢).

٧- خطب علي؛ لأبي أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري المتوفى سنة ٣٣٢هـ، وله كتاب شعر علي، وله كتاب ذكر كلام علي في الملاحم، وله كتاب قول علي في الشورى، وله كتاب ما كان بين علي وعثمان من الكلام، وله كتاب الأدب عن علي، وكتب أخرى فيها آثار الإمام عليه السلام : رسائل علي، ومواعظ علي، وخطب علي (ذكرها النجاشي) ^(٣).

٨- خطب أمير المؤمنين : لأبي بشر (أبي محمد) مسعدة بن صدقة العبدي الكوفي، الراوي عن الإمام الكاظم عليه السلام، المتوفى سنة ١٨٣هـ (ذكره النجاشي) ^(٤).

٩- خطب وكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام : لأبي المفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار، المتوفى سنة ٢١٢هـ، (ذكره النجاشي) ^(٥).

١٠- خطب علي عليه السلام : لأبي منذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، المتوفى سنة ٢٠٦هـ، كان والده محمد من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، وله تفسير القرآن، توفي سنة ١٤٦هـ (ت/١٤٦)، وجدّه السائب، وأخواه عبيد وعبد الرحمن، وأبوهم بشر شهد الجمل وصفين مع أمير المؤمنين عليه السلام (ذكره النجاشي) ^(٦).

وقد أنصف الاستاذ علي العرشي الحنفي في استناد نهج البلاغة بقوله: «ليس بخافٍ على أبناء العلم والمولعين به أن معظم محتويات نهج البلاغة توجد في كتب المتقدمين ولو لم يذكرها الشريف الرضي، ولو لم يعر بغداد ماعراها من الدماء على يد التتر ولو بقيت خزانة الكتب الثمينة التي أحرقها الجهلاء لعثرنا على مرجع كل مقولة مندرجة في نهج البلاغة» ^(٧).

(١) رجال النجاشي: ١٩٨.

(٢) رجال النجاشي: ١٩٨.

(٣) رجال النجاشي: ٢٤٠ - ٢٤٢.

(٤) رجال النجاشي: ٤١٥.

(٥) رجال النجاشي: ٤٢٨.

(٦) ذكره النجاشي: ٤٣٤ - ٤٣٥، وابن النديم: ١٤٠٦.

(٧) استناد نهج البلاغة: ٢٠.

المقطع الثاني عشر

في تسمية الكتاب :

قال الرضي: «ورأيت من بعدُ تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة؛ إذ كان يفتح للنظر فيه أبوابها ويقرب عليه طلابها، وفيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل، وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق، ماهو بلال كل غلّة، وشفاء كل علة، وجلاء كل شبهة، ومن الله تعالى أستمّد التوفيق والعصمة، وأتجنّز التسديد والمعونة، واستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان، ومن زلة الكلم قبل زلة القدم، وهو حسبي ونعم الوكيل».

وكلامه عليه السلام واضح صريح في تسمية الكتاب، والسبب الذي من أجله جمع المأثورات عنه عليه السلام من الخطب والرسائل والحكم، وما أصدق الشيخ محمد عبده عليه السلام في قوله: «ولا أعلم إسمًا أليق بالدلالة على معناه منه، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما وقفت عليها، وظني انه اقتبس ذلك مما دلّ عليه إسمه، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيتته فوق ما أتى به صاحب الاختيار كما ستراه»^(١).

ولكن في معجم المطبوعات أنه سمّاه: «نهج البلاغة ومشروع الفصاحة»^(٢) ولكن لم تعرف هذه الزيادة في مصدر من المصادر التي بايدينا، ولعله أخذه من وصف الشريف الرضي الامام علي عليه السلام بقوله: هو «مشروع الفصاحة ومنشأ البلاغة» في خطبة الكتاب. وكتاب نهج البلاغة ككل كتب التراث - فيه اختلاف النسخ التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، قال شيخنا العلامة: «وهناك اختلافات طفيفة في ترتيب خطبها في النسخ القديمة؛ فمثلاً:

١ - ترتيب الخطب في نسخة ابن أبي الحديد التي رتب عليها شرحه يطابق

(٢) معجم المطبوعات: ١١٢٤.

(١) مقدمة شرح محمد عبده.

ترتيب نسخة سيهسالار (٣٠٨٣) ونسخة جامعة طهران (١٧٦).

٢ - وترتيب نسخة ميثم بن علي التي عليها شرحه يختلف عن ذلك.

٣ - وهناك في نسختي الرضوية (٢٩٢ - ٢٩٣) إضافات لا توجد في النسخ المطبوعة، وقد فصلت هذه الاختلافات في فهرس مخطوطات جامعة طهران ج ٢ ص ٢٩٥ - ٣٢٢، وقد رقم هناك خطب الباب الأول ٢٣٩ خطبة، وكتب الباب الثاني ٧٩ كتاباً، وذلك في الصفحات (٣١٢ - ٣٢٢) من الفهرس، وإليها نشير عندما نذكر رقماً لخطبة أو كتاب من نهج البلاغة^(١).

وقد أشار ابن أبي الحديد في شرحه إلى وجود اختلاف في نسخ نهج البلاغة وفي نسخة خط المؤلف عنده^(٢).

كما يظهر من ابن أبي الحديد أن النسخة التي اعتمدها كانت أتم نسخة، وأنها كانت مشتملة على زيادات تخلو عنها أكثر النسخ^(٣). وسنشير إليها في مواضعها.

نموذج من اختلاف النسخ:

في مكتبة سيهسالار بطهران نسخة برقم ٣٠٥٢ وهي من الموقوفات في سنة ١٢٩٧ على مدرسة مروية في ٣٣٠ ورقة، لم يسمح لي بتصويرها وفي الفرصة المتاحة دوّنت ما يأتي:

في نهاية باب الخطب جاء بعنوان الزيادات مقاطع خمسة متتالية من كلام الامام علي وقد جاءت في مطبوعة دار الشعب في مواضع مختلفة في الترتيب وبأرقام مختلفة، واليك مقارنة بينهما مع الإشارة الى الفروق بخط افقي تحت المادة المختلفة في النسختين:

(١) الذريعة ٢٤: ٤١٣. (٢) انظر شرح نهج البلاغة ٤: ٥٠٦.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة ٢: ٥٧٤.

نص المخطوطة رقم ٣٠٥٢

النص في مطبوعة دار الشعب في القاهرة

<p>٢٣٨ - ومن كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن عباس، وقد جاءه برسالة من عثمان بن عفان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام: «يا ابن عباس، ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملًا ناضحًا بالغرب، أقبل وأدبر! بعث إلي أن اخرج، ثم بعث إلي أن أقدم، ثم هو الآن يبعث إلي أن اخرج! والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثمًا».</p>	<p>[١] ومن كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن عباس، وقد جاءه برسالة من عثمان، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام: «يا ابن عباس، ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملًا ناضحًا بالغرب، أقبل وأدبر! بعث إلي أن اخرج، ثم بعث إلي أن أقدم، ثم هو الآن يبعث إلي أن اخرج! والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثمًا».</p>
--	---

<p>٢٣٩ - ومن كلام له عليه السلام يبحث فيه أصحابه على الجهاد: «والله مستأديكم شكره، ومورثكم أمره، وممهلكم مضمار ممدود لتتنازعوا سبقة، فشدوا عقد المآزر، واطووا فضول الخواصر، لاتجتمع عزيمة ووليمة. ما أنقض التوم لغزائم اليوم، وأمحى الظلم لتذاكير الهمم!» [ص ٣٨٤]</p>	<p>[٢] ومن كلام له عليه السلام يبحث فيه أصحابه على الجهاد: «والله مستأديكم شكره، ومورثكم أمره، وممهلكم مضمار ممدود لتتنازعوا سبقة، فشدوا عقد المآزر، واطووا فضول الخواصر، لاتجتمع عزيمة ووليمة. ما أنقض التوم لغزائم اليوم، وأمحى الظلم لتذاكير الهمم!»</p>
---	---

<p>٢٣٤ - ومن كلام له <small>عليه السلام</small>: اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>، ثم لحاقه به:</p> <p>فجعلت أتبع مأخذ رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>، فأطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج في كلام طويل.</p> <p>قال الرضي: قوله <small>عليه السلام</small>: «فأطأ ذكره» من الكلام الذي رُمي به إلى غايته الايجاز والفصاحة، أراد: أنني كنت أُعطي خبره <small>صلى الله عليه وآله</small>، من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع، فكنت عن ذلك بهذه الكناية العجيبة. [٢٨١]</p>	<p>[٣] ومن كلام له <small>عليه السلام</small>: اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>، ثم لحاقه به:</p> <p>«فجعلت أتبع مأخذ رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>، فأطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج» [منزل في طريق مكة ينسب إلى ... الشاعر عبد الله بن عمر...] من كلام طويل.</p> <p>قوله <small>عليه السلام</small>: «فأطأ ذكره» من الكلام الذي رمى به إلى غايته الايجاز والفصاحة، وأراد: إني كنت أُعطي خبره <small>صلى الله عليه وآله</small>، من بدو خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع، فكنت عن ذلك بهذه الكناية العجيبة.</p>
--	--

<p>٢٣٥ - ومن خطبة له <small>عليه السلام</small>: «فاعملوا وأنتم في نفس البقاء، والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة، والمدبر يدعى، والمسيء يرجى، قبل أن يجمد العمل، وينقطع المهل، وتنقضي المدة، ويسد باب التوبة، وتصد الملائكة.</p> <p>فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه، وأخذ من حي لميت، ومن فأن لباقي، ومن ذاهب لدايم، امرؤ خاف الله، وهو معمر إلى</p>	<p>[٤] ومن خطبة له <small>عليه السلام</small>: «فاعملوا وأنتم في نفس البقاء، والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة، والمدبر يدعى، والمسيء يرجى، قبل أن يجمد العمل، وينقطع المهل، وتنقضي المدة، ويسد باب التوبة، وتصد الملائكة.</p> <p>فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه، وأخذ من حي لميت، ومن فأن لباقي، ومن ذاهب لدايم، امرؤ خاف الله، وهو معمر إلى</p>
--	--

<p>أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٍ إِلَى عَمَلِهِ، أَمْرٌو الْجَمِ نَفْسُهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزَمَامِهَا، وَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَقَادَهَا بِزَمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ». [ص : ٢٨١]</p>	<p>أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٍ إِلَى عَمَلِهِ، أَمْرٌو الْجَمِ نَفْسُهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزَمَامِهَا، وَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَقَادَهَا بِزَمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ».</p>
--	--

<p>٢٣٦ - ومن خطبة له <small>عليه السلام</small> في شأن الحكمين، وذم أهل الشام: «جُفَاءً طَغَامٌ، عَبِيدُ أَقْزَامٍ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتُلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهُ وَيُؤَدَّبَ، وَيَعْلَمَ وَيَدْرَبَ، وَيُؤْتَى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ. أَلَّا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا أَنْفُسَهُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ، وَإِنْكُمْ اخْتَرْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: «إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشَيِّمُوا سُيُوفَكُمْ». فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التَّهْمَةُ. فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَخَذُوا مَهْلَ الْإِيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِي الْإِسْلَامِ. أَلَّا تَرُونَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صِفَاتِكُمْ تُرْمَى». [ص : ٣٨٢]</p>	<p>[٥ -] ومن خطبة له <small>عليه السلام</small> في شأن الحكمين، وذم أهل الشام: «جُفَاءً طَغَامٌ، عَبِيدُ أَقْزَامٍ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتُلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهُ وَيُؤَدَّبَ، وَيَعْلَمَ وَيَدْرَبَ، وَيُؤْتَى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ. أَلَّا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا أَنْفُسَهُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: «إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَشَيِّمُوا سَيُوفَكُمْ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التَّهْمَةُ. فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَخَذُوا مَهْلَ الْإِيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِي الْإِسْلَامِ. أَلَّا تَرُونَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صِفَاتِكُمْ [صخرة ملساء] تُرْمَى؟» انتهت الزيادة بحمد الله.</p>
--	---

هذه النسخة:

وقد اعتمدت في تقويم النص وتنقيح المتن على النسخ الآتية:
نهج البلاغة: النسخة المؤرخة ٤ رجب ٤٩٤ هـ، بخط فضل الله بن طاهر بن المطهر الحسيني ط / طهران سنة ١٤٠٢ بتقديم حسن السعيد .

نهج البلاغة: النسخة المؤرخة ٤٩٩ في مكتبة السيد المرعشي برقم ٣٨٢٧ .

نهج البلاغة: النسخة المؤرخة ٤٩٤ م / نصيري، قامت بنشره م / چهل ستون .

نهج البلاغة: النسخة المؤرخة ٦٩٨ في مكتبة السيد المرعشي برقم ٦٩٨ .

نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده (ت / ١٩٠٥ م) ، بتحقيق محمد احمد عاشور ومحمد البنا، ط / دار مطابع الشعب - القاهرة .

نهج البلاغة: تحقيق د. صبحي الصالح، ط / بيروت سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

نهج البلاغة : شرح ابن ابي الحديد (ت / ٦٥٦) ط / بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم

(ت / ١٤٠١) طبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة، سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٣ م .

وهذا خلاصة جهد فردي في دراسة أروع أثر خالد في الأدب العربي كان منذ جمعه موضع الدراسة والتحليل من مختلف المذاهب والمشارب لما يمثله نهج البلاغة، في بلاغة اللفظ وسمو المعنى المأثور من إمام البلاغة الإمام علي عليه السلام ، والمنتقى من اشعر قريش الشريف الرضي .

عسى أن يكون خطوة متواضعة في سبيل إحياء هذا التراث الخالد .

محمد حسين الحسيني الجلالى .

قال العلامة الجلالى: «إلى هنا انتهى القسم الأول من مسند نهج البلاغة في الدراسة حول الكتاب والمؤلف، ويتلوه القسم الثاني في أسانيد الخطب والرسائل والحكم» .

قال المحقق: ونحن سوف نؤجل ايراد القسم الثاني من هذا الكتاب لنستعرض مقدمة السيد العلامة فيما يتعلق بهذا الشرح تحت عنوان « الكتاب والمؤلف » .

الكتاب والمؤلف

بقلم العلامة الكبير

السيد محمد حسين الحسيني الجلالى

ما بلغ كتاب في البلاغة ما بلغه «نهج البلاغة» من الاهتمام والعناية منذ تأليفه حتّى العصر الحاضر، فقد اهتمّ شاعر أهل البيت عليه السلام الشريف الرضى (المتوفى سنة ٤٠٦ هـ) بنضد البليغ ممّا أثر عن الإمام عليّ عليه السلام من الخطب والرسائل والحكم في تأليف سمّاه «نهج البلاغة»، واهتمّ الباحثون من بعده بالكتاب نسخاً وتعليقاً وشرحاً وتحقيقاً ودراسة وتدقيقاً، حتّى رافقت شهرة الكتاب اسم الإمام عليه السلام؛ لما تضمّنه من سيرته ومواقفه ونظراته في الحكم والمجتمع في حالتي السلم والحرب.

ولم يقتصر هذا الاهتمام على طائفة اتخذت الإمام عليه السلام قدوة في العقيدة والمذهب، بل اهتمّ به - من مختلف الملل والنحل - من رأى في النهج أسلوباً عليّاً في الكلام، نقيّاً في الأداء، ودليلاً موجّهاً للحياة، وطبيعيّاً أن تعشّى عيون عن هذه الأشعة العلوية، وأن تبرر تعاميتها بشبهات لا تدلّ إلّا على حقٍّ دفين أو جهلٍ بالتأريخ والأسانيد، وقد استوفيت البحث حولها في «مسند نهج البلاغة» فلا أعيد.

ويعتبر كتاب «أعلام نهج البلاغة» أوّل شرحٍ مختصرٍ للكتاب، تأليف السيّد صدر الدين عليّ بن الناصر الحسيني - المعاصر للشريف الرضى -، والنسخة الفريدة منه في «لكنهو» - الهند -، وعندي منها مصوّرة وصفتها في «الصيانة»، ومن بعده تتابعت الشروح والتعليقات والترجمات، وقد عدّ منها ما يتجاوز المائتين شيخنا العلامة أعلى الله مقامه في

الذريعة (٤: ١٤٤ و ١٤: ١١١ - ١٦١) ولكنه لم يذكر من شروح الزيدية سوى اثنين هما:

١ - الديباج المضيء، للمؤيد بالله علي بن حمزة اليمني، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ.

٢ - شرح النهج، للحسن بن المطهر بن محمد الجرموزي، المتوفى سنة ١١١٠ هـ.

مع أن لهم شروحا أخرى ينبغي أن تُستدرك، ومنها هذا الشرح، وإليك محاولة في التعريف بالكتاب والمؤلف.

إسم المؤلف ونسبته:

المؤلف هو يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن الهدى بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد الجحافي الحسني الحبوري.

وجاء في «مطلع البدور» في ترجمة إبراهيم الجحاف الشاعر: إن إبراهيم المذكور هو ابن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن عليان بن الحسن بن محمد بن الحسين بن جحاف بن محمد بن الحسن. وجاء باقي النسب في «بحر الأنساب المحيط» تحت عنوان «بنو جحاف» هكذا: ابن محمد بن جعفر بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الغمر بن الحسين بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

والصلة في النسب بين المذكورين يحتاج إلى مزيد تحقيق.

وقد جاء في «مطلع البدور» - المخطوط - (١: ٤٢) ضبط الجد الثاني للمؤلف بـ «الهدى» على وزن «القرى» والجد الرابع: «المهدي» اسم مفعول للهداية، وكذا جاء في آخر هذا الكتاب (الصفحة: ٤١٦ من المخطوطة).

وقد صرح بهذا الاختلاف في الضبط المؤرخ اليمني: محمد زبارة (ت / ١٣٨٠) قائلاً: الهدى - بضم الهاء - (نشر العرف ٢: ٨١٤) وخالف في ذلك عمر كحالة حيث ضبط الإسمين معاً على وزن اسم المفعول (معجم المؤلفين ١٣: ١٨٣).

جَحَاف:

ذكر السمعاني (ت / ٥٦٣) ترجمة واحدة في الأنساب نسبة إلى جَحَاف قائلًا: بفتح الجيم والحاء المهملة وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى «جَحَاف»، وهو سكة بنيسابور.

وذكر الزبيدي فيما ذكر عند ذكر هذه المادة ما نصّه: و«جبل جَحَاف» ككتاب باليمن، هكذا ضبطه الصاغانى في «العباب» ووقع في «التكملة» ضبطه بالضم، ومثله في «التبصير»، وهو الصواب، ومنه الفقيه إسماعيل الجَحَافى.

وقال أيضاً: «... والجَحَاف كشدّاد، لقب محمّد بن محمّد جعفر بن القاسم بن عليّ بن عبد الله بن محمّد بن القاسم الرسى الحسنى، من ولده: إبراهيم بن أحمد بن يحيى بن القاسم بن عليّ بن عليان بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن حيّان بن محمّد الجَحَاف، عقبه باليمن سادة علماء بلغاء شعراء وزرّاء أمراء...». (تاج العروس ٦: ٥٣)

ويظهر من كلام الزبيدي إنّ في اليمن أسرتان يمينيّتان تلقّبان بـ «الجَحَاف».

إحداهما: تضبط بتخفيف الحاء المُهملة قبلها جيم معجمة مضمومة أو مكسورة، وذلك نسبةً إلى جبلٍ باليمن.

وثانيهما: بتشديد الحاء المُهملة قبلها جيم معجمة مفتوحة كشدّاد، نسبة إلى الشخص وهو «محمّد الجَحَاف» من أجداد القاسم الرسى.

ويظهر إنّ النسبتين اجتمعتا في المؤلف، إن أراد الزبيدي من الفقيه: إسماعيل الجَحَافى أخ المؤلف، المتوفى سنة ١٠٩٧ هـ، كما هو الظاهر؛ فإنّه حسنى النسب، وذلك يحتاج إلى مزيد تحقيق.

والوجه في النسبة لا بدّ وأن يكون إلى جَحَاف - بالكسر والتخفيف - بمعنى: المزاحمة في الحرب والمزاولة في الأمور - كما في التاج -، لا تُصاف الشخص بها أو وقوعها في الجبل.

ومن هنا نجد بعيداً عن الصواب ما حصل لجمع من المتأخّرين:

منهم: الزركلي (ت / ١٣٩٦) حيث ضبط «الجحافي» بالجيم المعجمة ثم الحاء المهملة المشددة، في الأعلام (٩: ١٦١)، فإن النسبة إلى الجبل بالحاء المهملة الغير المشددة.

ومنهم: كحالة، حيث ضبط الكلمة «جحاف» بالجيم المعجمة ثم الحاء المهملة المشددة من دون ياء النسبة، في معجم المؤلفين (١٣: ١٨٣).

ومنهم: الرفاعي، حيث ضبط «بني حجاف» بالحاء المهملة ثم الجيم المعجمة في بحر الأنساب المحيط ١٨٩.

ترجمة المؤلف:

ترجمه عارفوا فضله بما ينبيء عن علو كعبه في العلم والإخلاص في المبدأ والعقيدة، وذلك بالإشارة إلى خصاله الحميدة، وأقدم ما وقفت عليه من المصادر هو ما كتبه ابن أبي الرجال، المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ، فقد ترجم المؤلف في حياته عند ترجمة والده وأخيه فقال ما نصّه: «... سيّد أبناء وقته علماً وعملاً، يذكر بالأوائل من سلفه الكرام من كل طرائقه، وهو المتولّي للقضاء بقرية «حبور» في هذه الأعصار، بعد أن كان غرف نفسه عن الخلطة وأراد السكون في شواحق الجبال، فلزمه تكليف الإمام فعاد إلى وطنه ونشر العلم وأحيى المعالم، وهو في النحو الغاية - إلى أن قال: - وله خطّ عجيب، قد كتب به غرائب وعجائب، وله شعر في الذروة ينتهج فيه منهج العرب الأولى، واللّه يديم حياته للإسلام...».

وقال محمد أمين المحبي (ت / ١١١١ هـ) في ترجمته وترجمة أخيه إسماعيل ما نصّه: «... غُصْنَا كمال وكوكبا جمال، وكلّ منهما يمين للمجد وشمال، قد لانت أخلاقهما، وما بات إلّا بالأدب اعتلاقهما، وكلاهما في حلبة الأدب من الفرسان وفي شوطهما ممّن أحرز قصب الإحسان، ولهما شعر لا ينتجاب ديمته ولا تغلو بغير قلمهما قيمته...».

(نفحة الريحانة ٣: ٤١٤)

ووصفه السيّد إبراهيم بن زيد بن جحاف المتوفّي حدود ١١١٦ هـ في تعزّيته بقوله: «... والله لقد كان لعلم الأنزع البطين وارث، ولأبي طالب ولأخيه المؤيد بالله ثالث...» (نشر العرف ٢: ٨١٦)

وله ترجمة وافية في الطبقات للسيّد إبراهيم بن القاسم المتوفّي حدود ١١٤٣ هـ، منها قوله: «كان عالماً فهّامةً، حبراً، محققاً، إماماً في العلوم، وواحداً في الأصول، جامعاً للفضائل والمناقب، ربيباً للعلم النبوي، معدناً للحكم المصطفوي، مبين فوائد الكلام العلوي، حافظاً لعلوم الآل الكرام، له العناية في تحقيق كتب الأئمة القدماء الأعلام، وكان زاهداً ورعاً... إلى أن قال: - وكان رأيّه رأي القدماء من أئمة أهل البيت عليهم السلام... إلى أن قال: - ولم يزل حاكماً ومفتياً، مدرّساً على أكمل الخصال وأتمّها، وامتحان في آخر عمره وجلس في «عمران» أيّاماً في أوائل خلافة المهدي صاحب المواهب محمّد بن أحمد بن الحسن، وأخرج وعاد إلى وطنه «حبور». وبه توفيّ خامس عشر ذي القعدة سنة ١١٠٢. وقبره بجانب قبر صنوه إسماعيل بن إبراهيم بحبور بإزاء الجامع».

(النشر، نقلاً عن الطبقات: ٢: ٨٨٦)

وترجمه مفصّلاً زبارة (ت / ١٣٨٠ هـ) في كتبه، ومن قوله في «الملحق» ما نصّه: «السيّد العلامة... كان سيّد وقته علماً وعملاً، وتولّى القضاء بمدينة «حبور» أيّام المتوكّل على الله إسماعيل، ونشر العلم، وأحيى المعالم، وكان في النحو غاية... وكان في الفقه المجلي في البرهان... وشعره على منهج العرب العرباء...» (الملحق التابع - ٢٢١) وجاءت ترجمته ملخصاً في المصادر المتأخّرة، منها: الأعلام للزركلي، المتوفّي سنة ١٣٩٦ هـ، الجزء الثاني، الصفحة: ١٦١. ومعجم المؤلّفين لكحالة، الجزء ١٣، الصفحة: ١٨٣. ومصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن لعبد الله الحبشي، الصفحة: ٣٣٦.

عصر المؤلّف:

عاصر المؤلّف أربعة من الأئمة الزيدية، شارك في مدّة حكمهم في مسؤوليات علميّة وإصلاحيّة مختلفة واصطلى بنار بعض الأحداث فيها، غير طامع في الحكم ولا متطلّع إلى

سلطة، بل ترفع عنهما، فأحبته الحكام والملوك، وهؤلاء الأئمة هم:

١ - «المتوكل» إسماعيل بن القاسم حكم من ١٠٥٤ إلى ١٠٨٧

٢ - «المهدي» أحمد بن الحسن بن القاسم حكم من ١٠٨٧ إلى ١٠٩٢

٣ - «المؤيد» محمد بن المتوكل إسماعيل حكم من ١٠٩٢ إلى ١٠٩٧

٤ - «صاحب المواهب» محمد بن أحمد بن الحسين حكم من ١٠٩٧ إلى ١١٣٠

وهؤلاء كلهم من أسرة القاسم الرسي (٩٦٧ - ١٠٢٩) الذي أسس الحكم الإسلامي في اليمن حسب الفقه الزيدي، وتمكن من توحيد اليمن ونيل الإستقلال من الحكم العثماني، وقد تسلم الإمامة حسب الشروط الزيدية القائلة بأنها تثبت بعد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في ولديهما ممن خرج منهم شاهراً بسيفه داعياً إلى دينه، وكان عالماً ورعاً فهو إمام.

والإمامة - عندهم - تمرّ بمرحلة الدعوة، وهي أن ينتصب من يجد في نفسه هذه الصفات ويدعو إلى نفسه، فكلمة «الداعي» مصطلح زيدي لكل من يدعو إلى نفسه، وهذه الدعوة تكون ملزمة إذا توفرت الشروط.

وحسب المعتقد الزيدي: يجوز خروج إمامين في قطرين إذا استجمعا الشروط، فيكون كل منهما واجب الطاعة. ولم تسلم هذه الطائفة من الحروب والفتن بسبب تعدد الدعوات في مختلف العصور.

وكان القاسم بن محمد الرسي أول من دعا إلى نفسه، وهجر التقيّة من هذه الطائفة وتلقّب بالمنصور بالله، وجرت عادة الأئمة اليمنيين بالتلقّب بلقب خاص بعد الدعوة، وكان القاسم محدثاً فقيهاً أصولياً متكلماً، له مؤلفات كثيرة أشهرها: «الأساس المتكفل بكشف الإلتباس» - في العقائد -، وكتاب «الإعتصام» - في الحديث -، و«مرقاة الوصول في علم الأصول»، توفي سنة ١٠٢٩ هـ^(١). وتعاقبت أسرته على الحكم باليمن، منهم الأئمة

(١) يعتبر كتاب «النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة وأخبار المنصور بالله القاسم بن محمد» من أقدم وأوسع المصادر عن حياته، وهو تأليف المطهر بن الحسين الجرموزي، المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ، ولا يزال مخطوطاً، وقد لخص الكتاب بدراسة وافية مقارناً بالمصادر الأخرى في كتاب: «العثمانيون والإمام القاسم» الطبعة الأولى بجدة سنة ١٤٠٢ = ١٩٨٣ م.

الأربعة المذكورين، وإليك نبذة عنهم:

١ - المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (١٠٥٤ - ١٠٧٩):

تولّى الحكم بعد أخيه المؤيد محمد بن القاسم ١٠٥٤ هـ، قال عنه الحبشي: «في عهده شهدت اليمن عهد الرخاء والاستقرار بعد أن تمّ جلاء الأتراك عن البلاد، وشرع في إرسال جنوده إلى مناطق جنوب اليمن... اتفق في دولة المتوكل من تعظيم العلماء ما لم يحدث في غيرها فعكفوا على التصنيف ومالوا أكثر إلى نشر العلم».

وعدّ من مؤلفاته اثنين وعشرين مؤلفاً: (المصادر للحبشي: ٦٢٠)

وترجمه المحبّي مفصّلاً، منها قوله: «سار بالناس سيرة حسنة، وكان حازم الرأي فلم يكن له همّة بعد الإشتغال بالعلم إلا الفكر في أمور الرعايا، فأمنت السبل في أيّامه، ورخصت الأسعار، ولم يتمكّن أحدٌ من ظلم آخر في ولايته ولو كان كافراً، ولم يجسر أحدٌ من عمّاله على ظلم أحدٍ من رعاياه».

وأنشد أخ المؤلف السيّد إسماعيل بن إبراهيم جحّاف، المولود سنة ١٠٢٤، والمتوفّى سنة ١٠٩٧، قصيدة في مولد هذا الإمام الزيدي، مطلعها:

خليفة الله إسماعيل مولانا أوفى البريّة عند الله ميزاناً
في ليلة النصف من شعبان مولده فهاك تأريخه: «في شهر شعبان»

(تأريخ اليمن: ٢٢٤)

والمتوكل هذا كان موقفاً في تطبيق مذهبه الفكري والفقه في الحكم، قال المحبّي: «في سنة ١٠٧٠ استولى الإمام إسماعيل على حضرموت كلّها وأمرهم بأن يزيّدوا في الأذان «حيّ على خير العمل» وترك الترضي عن الشيخين أبي بكر وعمر، ومنع الدفوف».

(خلاصة الأثر: ١: ٤١٢)

وسعى في إحياء التأريخ الشيعي في حكمه بالاحتفال العام بيوم الغدير ١٨ ذي الحجة، يقول الحدّاد: «يوم الغدير، احتفل بهذا اليوم، وهو يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة لأوّل مرّة في تأريخ حكم الأئمّة في اليمن في عهد الإمام المتوكل إسماعيل بن

القاسم في عام ١٠٧٣ هـ. وذلك للتتويه بمكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه...» (تأريخ اليمن السياسي: ٣٢٨)

وقد أبدى نظرية فقهية انفرد بها عن الزيود، وتبعه من تأخر عنه مبرراً مواصلة الحرب ضدّ العثمانيين بقوله: «إنّ الجهاد لا يختصّ بجهاد الكفار والبغاة، ولكنه ذلك مع جهاد المنافقين الذين لا يمثلون أحكام الشرع إلّا كرها وخوفاً من صولة الإمام بجنده».

وهذا الرأي أقرب إلى نظرية ولاية الفقيه التي تدرس في الفقه الشيعي الإمامي من الفقه الزيدي.

أعلن الدعوة في عهده كلّ من أخيه أحمد بن القاسم وابن أخيه محمّد بن الحسن بن القاسم، وانتهت بالمصالحة.

٢ - «المهدي» أحمد بن الحسن بن القاسم (١٠٨٧ - ١٠٩٢ هـ):

ثمّ تصدّى للإمامة بعد المتوكّل «المهدي» أحمد بن الحسن بن القاسم، المولود سنة ١٠٢٩، قال الشماحي: «ويُعدّ أحمد بن الحسن أكبر قائد أنجبته الأسرة القاسمية واستمر في ملكه إلى سنة ١٠٩٢ هـ، حيث دفن بحصن ذي مدر بغراس السرّ، وبموته بدأ الانقسام يدب بين الأسرة القاسمية».

وقال الحدّاد: «وقد جمع الأمير أحمد [في] مكان إقامته الرئيسي العلماء والأعيان من صنعاء وغيرها بما فيهم الأمير محمّد بن الإمام المتوكّل إسماعيل، وذلك للتشاور فيمن يصلح للإمامة، واستقرّ رأي المؤتمرين على مبايعته وبايعوه ولقبوه بـ«المهدي» وكان يعرف بـ«سيل الليل». وعن موقعه الديني يقول: «أجلّى الإمام المهدي اليهود من مدينة صنعاء إلى القاع وهدم كنيسهم في صنعاء وبنى مكانها جامعاً سميّ بجامع الجلاء، ما يزال قائماً ومعروفاً بهذا الاسم حتّى اليوم».

(تأريخ اليمن السياسي: ٣٢٨)

وقد أظهر الدعوة في حكمه القاسم بن الإمام المؤيّد بن القاسم، ودعى إلى نفسه في «سنهارة» وتلقّب بالمنصور.

ونرى للمؤلف رغبة في البيعة لهذا الداعي، وكذلك دعى إلى نفسه في حكمه أخوه:

الحسين بن الحسن بن القاسم وتلقب بالوائق، وسنجد إنَّ المؤلّف قام بدور إصلاحيّ بين هذين الأخوين وانتهت كلّ من الدعوتين بالصلح.

٣- «المؤيّد» محمّد بن المتوكّل إسماعيل (١٠٩٢-١٠٩٧هـ):

ثمّ تقلّد الإمامة الزيدية محمّد بن إسماعيل، المولود سنة ١٠٤٤ هـ، وصفه الواسعي بقوله: «الإمام الزاهد العابد المؤيّد بالله... كان معه من العلم والزهد والورع ما لا يحصى، وقد عارضه جماعة من اخوته وبني عمّه، ومات بالسّم في الحمّام».

(تأريخ اليمن للواسعي: ٥٤)

وقال الشماحي: «وهذا الإمام آخر إمام تجمّعت فيه الشروط المعتبرة في المذهب الزيدي لصحّة الإمامة، فقد خلفه أئمة لا تقرّ إمامتهم القواعد الزيدية وهم إلى الملوك أقرب».

ونجد المؤلّف لم يعيش حرّاً بعد وفاة هذا الإمام الزيدي، وجرفته الأحداث السياسيّة آنذاك، ومات بعد سنين قضاها في السجن - كما سيأتي -.

وبعد وفاته أعلن الدعوة خمسة من الأسرة وهم:

١- القاسم بن محمّد بن القاسم «في سنهارة» وهو أكبرهم وأعلمهم.

٢- الحسين بن الحسن بن القاسم «في رادع».

٣- وعلي بن أحمد بن القاسم «في صعدة».

٤- ومحمّد بن إسماعيل بن القاسم «في صنعاء».

٥- ومحمّد بن أحمد بن الحسن بن القاسم «في المنصورة»، وهو الملقب بالمهدي.

٤- «المهدي» صاحب المواهب (١٠٩٧-١١٣٠هـ):

ثمّ تسلّم امامة الزيدية محمّد بن أحمد بن الحسن بن القاسم، المولود سنة ١٠٤٧، وتلقّب بـ«المهدي» ويعرف بـ«صاحب المواهب» نسبة إلى قرية «المواهب» قرب «ذمار». وتكاد المصادر تجمع على أنّه كان ذا شخصيّة قلقة، يأخذ بالظنّة، ميّلاً إلى الحكم

للحكم فقط، وصفه الشوكاني في «البدر الطالع» قائلاً:

«وكانت اليمن من بعد خروج الأتراك منها إلى ملكها صاحب المواهب مصونة عن الجور والجنايات وأخذ ما لا يسوغه الشرع، فلما قام هذا أخذ المال من حِلّه وغير حِلّه، فعظمت دولته وجلّت هيئته وتمكّنت سطوته...، وكان يميل إلى أهل العلم ويجالسهم ويتشبه بهم، وربّما قروا عليه، ولم يكن عالماً ولكن كان يحبّ التظاهر بالعلم، فيساعده على ذلك علماء حضرته رغباً ورهباً...، ومع هذا فكان يقرأ كتابه «الشمس المنيرة» جماعة من أكابر العلماء وليس في وسعهم نصحه وتعريفه بالحقيقة لما جبل عليه من الطيش وتعجيل العقوبة».

وقال الواسعي: «وله فتكات مشهورة، ومن أعظم مناقبه قتل الساحر الذي عمّت فتنته في اليمن».

والشماحي يعرف هذا قائلاً: «ثارت اليمن على الحكم القاسمي بقيادة السيّد إبراهيم بن علي المدومي العياني المعروف بـ «المحطوري»، وقد اندلعت هذه الثورة كنار الهشيم حتّى بلغت «ثلاً» وكادت تلتهم «صنعاء» و«صعدة» حتّى نسب المؤرّخون المحطوري إلى السحر».

ولم يكن هذا المنسوب إلى السحر، الوحيد ممّن عارض حكم أبي المواهب، بل كان في أسرة القاسم عددٌ من الأئمّة الذين أعلنوا دعوتهم وعمّتهم نقمته. ومن هؤلاء:

١ - عمّه، الحسين بن الحسن بن القاسم (في رادع).

٢ - وعلي بن أحمد بن القاسم (في صعدة).

٣ - والحسن بن المتوكل إسماعيل (في اللحبة).

٤ - والحسين بن محمّد بن أحمد بن القاسم (في ضمرة).

٥ - والحسين بن عبد القادر (في كوكبان).

دور المؤلف:

المصادر المتيسّرة لا تشير إلى دور كبير للمؤلف، سوى ما قام به في عهد المهدي لدين

الله أحمد بن الحسين بن القاسم (١٠٨٧ - ١٠٩٢ هـ)، فنجد المؤلف وأخيه إسماعيل -لفترة قصيرة- في الجبهة المعارضة للحكم، ولكنهما في نفس الوقت كانا يحضيان بالإحترام من قبل الحكم القائم، ويظهر أنّ الحكم القائم لم يجد في المعارضة سوى مبررات إجتهادية يمكن توجيهها؛ لبعدها عن الطمع في الحكم للحكم.

ويعدّ «تأريخ طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى» لعبد الله بن عليّ الوزير الصنعاني -المتوفى سنة ١١٤٧ هـ- المصدر الوحيد المتيسر الذي يشير إلى بعض التفصيل عن حياة المؤلف في هذه الفترة من تاريخ اليمن.

فبعد أن يذكر دعوة المهدي أحمد بن الحسين لنفسه، في ثالث يوم من موت المتوكل إسماعيل سنة ١٠٨٧ هـ، يقول:

«[١٠٨٧]... ثم إنّ علم الإسلام القاسم بن الإمام [= محمد بن القاسم - ١٠٢٩] كتب إلى الإمام [المهدي بن أحمد بن الحسين - ١٠٨٧] أنّه دعى إلى الرضى، فراجعه الإمام بأن الأولى الاجتماع، ومن اجتمع عليه الخواصّ تسّم غارب هذا الأمر، وعرفه أنّ دعوته سابقة، أغصانها في ربوة النهضة باسقة... ثم جاءت الأمّ الأخبار بأنّ السيّد يحيى بن إبراهيم [= المؤلف] بثّ القول بإمامة الداعي وأثبت الخطبة (بحبور) بعد أن توقّف في الجمعة السابقة.» (تأريخ طبق الحلوى: ٢٣١)

وهكذا نجد المؤلف يرى القاسم أولى بالإمامة، ولم يدعو للمهدي إلا بعد أن حصلت المصالحة بين الداعيين، وقد تقدّم في ترجمته.

والقاسم هذا يعتبر أكبر شخصيّة في العائلة علماً وورعاً، ويبدو أنّه كان ذا شعبية واسعة عند العلماء، فهو القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ.

قال الشوكاني في ترجمته:

«أجمع جمهور العامة على كمال معرفته حين اختياره في دعوته في سنة ١٠٨٧ هـ، ثم بايع المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم، وبايع بعده المؤيد بالله محمد بن المتوكل، وكذلك بايع المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم، وقد ضبطه

صاحب المواهب وسجن بصنعاء عشرة أعوام، ثم أفرج عنه وأمره بالبقاء بصنعاء، فمات بها. (البدر الطالع ٢: ١٨٨)

ولمّا يجد المؤلف أنّ القاسم بايع لمصلحة العقيدة يبادر هو فيثبت القول بإمامة الداعي المهدي بعد أن توقّف أسبوعاً في ذلك. ويقول الوزير:

«[١٠٨٧]... وفي ثالث رمضان سار عزّ الإسلام محمّد بن الإمام [= المتوكّل ١٠٨٧] إلى «ضوران» لتنفيذ وصايا والده، واقتقاد أحوال بيوته، والإطّلاع على خزينة بيت المال وضبطها؛ إذ هو الوصيّ، وفي هذه الأيام وصلت إلى صنعاء رسالة من السيّد العلامة يحيى بن إبراهيم الجحّافي [= المؤلف] يحثّ فيها على اجتماع القلوب وينهي عن افتراق الكلمة، ويلوح في كلامه أنّه إذا أمكن انتصاب الداعيين في دست الخلافة من غير فتنة فهو الأولى، والمسألة خلافيّة». (تاريخ طبق الحلوى: ٣٣٦)

ونجد في هذا المقطع في المؤلف موقف المصلح الداعي إلى الوحدة، والمحدّر من عواقب الفتنة بالتلويح، والمشير في موقفه إلى الخطر الأعظم المواجه للطرفين المتداعيين؛ فيما إذا لم يتنازل أحدهما تفادياً للفتنة المتوقّعة، والتي يلوح بأنّها غير ممكنة عادة، وأظنّ أنّ مجرد هذا الاقتراح جعل الداعيين يفكران في الأخطار التي تواجههما، وبسببه تنازل أحدهما حفظاً للوحدة.

ويقول الوزير -أيضاً-: «[١٠٨٧]... ثمّ إنّ الإمام [= المهدي أحمد بن الحسن - ١٠٩٢] أرسل السيّد عبد الله بن المهدي الكبسي إلى علماء صنعاء آمراً لهم بالوصول؛ للخوض مع أخيه الداعي فيما يصلح للمسلمين، فوصل منهم... والسيّد يحيى [= المؤلف] والسيّد إسماعيل إيني إبراهيم، فوصلوا إلى حضرته بشنّهارة في نصف ذي الحجة». (تاريخ طبق الحلوى: ٣٣٦)

هذا وقد أثّرت النصيحة فقام المؤلف بالدور العملي في تثبيت قوائم الإصلاح، مع جمع آخر من العلماء، منهم أخوه السيّد إسماعيل.

ويقول الوزير -أيضاً-: «[١٠٨٩]... وفي عاشر شوال... وفي هذه الأيام عرضت

مناقشة الفقيه العلامة الحسن بن محمد المغربي للإستدلال على إجماع العترة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(١) الآية وأجاب عنها جماعة من المعاصرين منهم السيّد العلامة يحيى بن إبراهيم الجعافي.

(تأريخ طبق الحلوى: ٣٥٤)

وليس لهذا الجواب أثر في مصادر ترجمة المؤلف.

والمؤسف إن كتاب تأريخ طبق الحلوى ينتهي بحوادث ١٠٨٩ هـ ولا بدّ أن يكون للمؤلف أدواراً أخرى في الأحداث التي تلت ذلك حتّى وفاته عام ١١٠٣ هـ.

وفي حدود سنة ١٠٩٨ لم يسلم المؤلف من بطش صاحب المواهب، كما جاء في الطبقات: «... امتحن في آخر عمره، وحبس في «عمران» أياًماً، في أوائل خلافة المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن، وأخرج وعاد إلى وطنه (حبور)».

(نشر العرف ٢: ٨١٥)

ولم تقف على أثر المؤلف بعد هذا التأريخ حتّى وفاته عام ١١٠٣ هـ.

مشايخه:

إنّ ترعرع المؤلف في بيت العلم والقضاء مهّد له الإغتراف من معين العلم الزيدي، في بيئته وأسرته وغيرهم، فكان مشايخه عيون المذهب، وهم كما في نشر العرف [٢: ٨١٤]

أربعة مشايخ: الجعافي، والمسوري ووالده وأخوه

١- السيّد علي بن الحسين جعافي - ولم أقف على ترجمته -.

٢- الشيخ أحمد بن سعد الدين المسوري، المتوفى سنة ١٠٧٨ هـ.

وهو عالم واسع الإطلاع من علماء أهل البيت، له مؤلفات وخطب، ترجمه المحبّي في

خلاصة الأثر [١: ٢٠٤] وهو مجمع لاسناد أهل البيت في اليمن، ولا يكاد إجازة منها إلّا

وأن تنتهي إليه، وكتاب في الإجازات لا يزال مخطوطاً، وصفته في الصيانة.

وقد أورد السيّد مجد الدين المؤيّد طرقة إليه في «التحف شرح الزلف: ٢٠٩»، وقد صرّح السيّد زبارة (١٣٨٠) إنّ للمؤلف من المسوري إجازة عامّة. (نشر العرف ٢: ٨١٤) ٣- والده:

كان والده صارم الدين إبراهيم الجحّافي (٩٩١ - ١٠٦٥ هـ) شيخه في علم الفروع كما في نشر العرف [٢: ٨١٤] وكان قدوة لأولاده جميعاً منهم المؤلف، ويصفه ابن أبي الرجال في ترجمته المفصلة بأنّه: «السيّد العلامة الناسك... كان من أهل الملكة النفسيّة والرياضة الكلّية، بحيث لا يروي عنه رواته في الغالب؛ لكثرة حفظه للسانه، وإنّما يجري مع الأصحاب بالتبسّم والاستماع لمقاله، وإظهاره التعجّب والاستغراب لما يروى، كأنّه لا يعرف شيئاً... وكان مع ذلك متّقياً لأُمور دينه ودنياه، عاكفاً على كتب الطريقة، مواظباً على الجماعة في المسجد الجامع بحبور... وكان متولّياً للقضاء، راضية عنه قلوب الناس؛ لما يعلمون من صدقه وإنزاله الناس منازلهم، ووقوفه عند صميم الشرع».

وذكر من مؤلفاته: ١- شرح على المفتاح - في الفرائض - ٢- شرح الأبيات للجعبري - في التلاوة - ٣- تخميس قصيدة الصفي الحلّي النبويّة - ٤- وأشعار فائقة رائعة.

وكان بينه وبين السيّد السبطيين الكريمين الحسن والحسين، إبنّي الإمام المنصور بالله القاسم بن محمّد سلام الله عليهم غاية التحابّ والتصادق والمفاكهاة الأدبيّة، وكان بينه وبين الشيخ العارف عبد الحميد بن أحمد المعافى مراسلة.

(مطلع البدور ١: ٤٢)

وقد لخصّ هذه الترجمة السيّد زبارة في [الملحق التابع: ١٣، وهدية العارفين ١: ٣٣]

٤- اخوه، إسماعيل بن إبراهيم جحّاف (١٠٢٤ - ١٠٩٧ هـ)

يظهر أنّ المؤلف كان أوسط إخوته، والأكبر «إسماعيل» من مشايخه كما في [نشر العرف ٢: ٨١٥] وترجمته المصادر بوفاء، ووصفه ابن أبي الرجال بقوله:

«مولانا السيّد ضياء الإسلام من حواريّ أمير المؤمنين المتوكّل على الله إسماعيل... علامة محقّق في الأصول والفروع والعربيّة والطبّ، مع آداب وحافظة يقلّ نظيره في ذلك،

أطال الله للإسلام عمره، وقد تولّى القضاء بالحضره المتوكّليّة، وله شعر جيّد الصنعة - ثم ذكر بعضها - ومنها قوله:

يا فارح الهمّ بتيسيره	وكاشف الشدّة والبأس
خذ بيدي يا ربّ وأنظر إلى	ضعفي وإحناني وإفلاسي
ولا تكلني يا إلهي إلى	نفسي وتدييري وإحساسي

(مجمع البحور ١: ٤٤)

ومن شعره يحثّ الإمام المتوكّل على إحياء مدارس العلم بقصيدة مطلعها:

أصبح الدهر طيّب الأوقات	كامل الحُسن وافر الحسنات
-------------------------	--------------------------

ومنها:

يا إمام الزمان قد أسعد الله	أناساً رأوك قبل الممات
شاهدوا فيك من صفات عليّ	جملة أُخبرت عن الباقيات

(الملحق التابع: ٥٥)

مات بحبور، في شعبان سنة ١٠٩٧ هـ.

أمّا أخوه الآخر؛ فلا نعرف عنه شيئاً سوى ما ذكره ابن أبي الرجال بقوله:

«أخ ثالث من الفضلاء النبلاء، وهذا البيت معمور بالفضلاء في كلّ عصر ﴿والله يؤتي فضله من يشاء﴾».

(مطلع البدور ١: ٤٤)

تلامذته:

وبحكم مركزه العلمي لا بدّ وأن يكون تلامذته كثرة، وقد عدّ في نشر العرف منهم ستّة كالآتي:

- ١ - السيّد إبراهيم بن محمّد النعمي.
- ٢ - الفقيه علي الفضيلي.
- ٣ - السيّد محمّد بن حسين الكحلاني.

٤ - حسن بن عبد الله التهامي.

٥ - السيد محمد بن إسماعيل بن إبراهيم جَحَاف [=إبن أخيه].

٦ - عبد الله بن جابر التهامي، ترجمة زبارة قائلاً: «القاضي العلامة... كان عالماً محققاً في كل فن، وتولّى الوقف والقضاء بمدينة حبور عن أمر الإمام المستوكل على الله إسماعيل، ومات بحبور سنة ١٠٨٧ هـ. (الملحق التابع: ١٢٨)

٧ - السيد علي بن عبد الله بن الحسين جَحَاف، صرح زبارة في الملحق التابع بأنه أخذ عن المؤلف، وقال: «... هو العلامة المحقق الثبت، الأصولي الفروعي، بقيّة علماء أهل البيت علماً وعملاً وصلاً وفضلاً، له في العلوم اليد الطولى سيّما في الأصولين، إمام المعقول والمنقول، جواداً تقيّاً حاكماً للشرعية بمدينة «حبور»، وسكن في جبل عمر من بلاد (حجة)، ثم انتقل إلى حصن الظفير، ومات في ذي الحجة سنة ١١٢٥ هـ». (الملحق التابع: ١٦٦)

والملاحظ أنّ كلاً من تلميذيه: عبد الله التهامي (المتوفى ١٠٨٧ هـ) والسيد علي جَحَاف (المتوفى ١١٢٥ هـ) كانا في سلك القضاء بمدينة حبور، والفارق بين زمن المؤلف وزمنيهما واضح؛ بحيث يمكن أن يعد الأول من مشايخه أو في طبقة مشايخه، ولعلّه لضروف قاسية دخل في سلك تلامذته.

شعره ونثره:

أطبقت المصادر على أنّ المؤلف ساهم في ميدان الشعر بجدارة، وجمع بين العلم والشعر بمهارة، فكان شاعراً لا متشاعراً، قال فيه ابن أبي الرجال (ت: ١٠٩٣ هـ): «وله شعر في الذروة ينتهج فيه منهج العرب الأولى».

(مطلع الدور ١: ٤٢)

وقال المحبي (ت / ١١١١ هـ) في شعره وشعر أخيه إسماعيل: «ولهما شعر لا تنجاب ديمته، ولا تغلو بعد قلمهما قيمته».

(نفحة الريحانة ٣: ٤١٤)

وقال زبارة: «وشعره على منهج العرب العرباء».

(الملحق التابع، الصفحة ٢٢٦)

وقال السيّد إبراهيم بن زيد: «وله اليد العليا في النظم، وطريقته تميل إلى نظم العرب العرباء في الجزالة، ومن شعره، قوله:

قد لامني العاذل لما رأى
وقال: مهلاً لا ترم وصلة

صبايتي في الشادن الشارد
فقد غدا في شرك الصائد

(نفحة الريحانة ٣: ٤١٧)

ومن شعره - أيضاً -:

فؤادُ رسيس الهوى أسقمه
وصيرّ إذ هبّ ريح الصبا
يرى الذلّ في الحب عزّاً له
تحكّم فيه الضنا فاغتذت
أحبابنا بالوداد الذي
وعيشاً تقضّي به حيث لا
ولا كاشح نختشيهِ ولا
وإذ دهرنا للّقا مسعد
وأفق الوصال لنا مشرق
فوا طول حزني على فقدّه
ولكن ما فات لا نافع
ومن هاهنا اقتضاب المديح
لنجل الأكارم من حيدر

وجفن تنائي الكرى ألمه
على وجدّه سحراً أضرمه
وأنّ هوان الهوى تكرمة
عريّ عشقه في الهوى محكمة
أزمتّه عندنا مكرمة
حسودٌ يریش لنا أسهمه
عذول يطول بنا المسامة
وساحتنا بالهنا مقمعة
وأنف الصّدود له مرغمة
ووالهف نفس به مغرمة
عليه التأسّف والمندمة
ونشر مطارقه المعظمة
وحاوي السيادة والمكرمة

(النشر، نقلاً عن زهر الكمائم ٣: ٨١٦)

وذكر عبد الفتاح محمد الحلّو - محقّق كتاب نفحة الريحانة للمجيبى (ت / ١١١١ هـ) -

في ترجمة المؤلّف مصدرين قائلاً: حديقة الأفراح (٢٦ - ٣٠) وذكر له شعراً كثيراً،

وملحق البدر الطالع. (نفحة الريحانة ٣: ٤١٤)

ويعني به: «حديقة الأفراح لإزالة الأتراح»، لأحمد بن محمد الشرواني اليمني (ت/ ١٢٥٦) طبعة القاهرة.

وأما نثره، فقد أورد المحبي (ت/ ١١١١ هـ) في ترجمته: التقريض الذي كتبه المؤلف على بعض الكتب، مما ينبىء عن النثر الرائق الذي صدر من يراعه الفائق، قال المحبي ما نصّه: «وللسيد يحيى من كتاب إلى الحسين بن الناصر وقد اطلع على كتابيه (المواهب القدسيّة، ومطمح الآمال، في إيقاظ جهلة العمّال، من سنة الضلال).

أما بعد، فإنّه جاءني كتاب كريم ومسطور أنشأه عظيم عليم، حفظه الله وأطال في عافية بقاءه، وأهدى إليه سلاماً طبّق فضله وكفاه، وحباه برحمته وبركاته غدوّ عمره ومساها. فآنسني مجيئه وسرّ، ووصلني به منشييه وبرّ، وبهرني كماله الباهر، وملاً صدري إعظاماً له فضله، وإفضاله الغامر.

فدعوت الله أن يتولّى مكافأته عني، ويجزيه أفضل ما جزى به المحسنين الواصلين نيابة منّي، والله تعالى يشكر مساعيه الحميدة وعوائد نفعه العديدة.

هذا، وقد طالعت مؤلفيه الذين أحكمهما، فوقفت فيها على علم كبير، ووصل خطير. أما «شرح المنظومة» فقد انطوى على علم غزير، وقفه كثير، وانتظم نظم المقارضة للفظ الأنيق، والجمع للزيادات مع أسلوب رشيق.

وأما كتاب «مطمح الآمال» فلقد جمع على حصّره من أعيان الهداة، ومن شمائلهم وسيرهم، وأمثلة تقواهم لرّبهم وخشيتهم له ومراقبتهم، ما هو لباب المطوّلات ومقصود المبسوطات.

وتتم كماله ما ضمّه إليه من مكاتبات العلماء، ومباحثات الفهماء، فصار مصباحاً للبصائر ومفتاحاً لما انغلق من منهاج الأخائر، وإن في ما اشتمل عليه لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وإن طريق الحقّ لأبلج، لولا حبّ الدنيا؛ فإنّه رحيب المدخل ضيق المخرج».

(نقحة الريحانة ٣: ٢٧)

ولا شك إن دوره في القضاء والحكم، ومساعيه في الإصلاح بين الحكّام كانت قد رافقت رسائل منه، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك، ولكن التأريخ لم يسجلها بنصوصها.

مؤلفاته:

تحتفظ المصادر الإشارة إلى ما يأتي من كتبه:

- ١- إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين، وسيأتي الكلام حوله.
- ٢- التعريف - في النحو - . (نشر العرف ٢: ٨١٥)
- ٣- حاشية البدر الساري (نشر العرف ٢: ٨١٥)
- ٤- شرح الحاجبيّة، وصفه ابن أبي الرجال (ت / ١٠٩٣ هـ) بقوله: «شرح على الحاجبيّة عظيم الشأن، لباب نجم الدين وخلاصته». (مطلع البدور ١: ٤٤)
- ويعني به كتاب الكافية في النحو لجمال الدين ابن الحاجب (المتوفى سنة ٦٤٦ هـ)
- وجاء ذكره في كلّ من الملحق التابع: ٢٢١، والأعلام ٩: ١٦١، ومعجم المؤلفين ١٣: ١٨٣.

هذا الكتاب:

جاء الكتاب باسم: «إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين» في أول المخطوطة التي بأيدينا، وكذا ذكره خير الدين الزركلي (ت / ١٣٩٦ هـ) في الأعلام ٩: ١٦١، وكحالة في معجم المؤلفين ١٣: ١٨٣.

والحبشي ذكر له نسخاً، قائلاً:

«شرح نهج البلاغة ويسمى (إرشاد أمير المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين) خ

١٠٩٣ بالامبروزيانا - G V، والآخر جامع في ثلاثة مجلدات ٣٧٣- كلام

(المصادر للحبشي: ٣٣٧)

ثالثه بنفس المكتبة (١٧٨)».

أمّا المؤلف نفسه فقد ذكر في آخر هذا الكتاب أنّه سمّاه التعليق (الشرح: ٤١٦)

ويظهر من ملاحظة هذه النسخة إنّ أخ المؤلف السيد السماعيل هو الذي سمى الكتاب بإرشاد المؤمنين إلى نهج البلاغة المبين بينما اكتفى المؤلف بتسميته بالتعليق.

ومن هنا اختلف مترجموه في وصف هذا الكتاب فقال ابن أبي الرجال (ت / ٩٣هـ):

«وله ما يجري مجرى الشرح لنهج البلاغة» (مطلع البدور ١: ٤٤)

وتبعه زبارة في الملحق التابع: ٢٢١.

وأما السيد إبراهيم بن القاسم (ت / ١١٤٣هـ) في طبقاته فقال: «وله تعليقة على شرح ابن أبي الحديد عل نهج البلاغة تدل على مكانته واطلاع». (نشر العرف ٢: ٨١٥) وكل ذلك نابع من أسلوب المؤلف في هذا الشرح.

أسلوب التأليف:

والحقّ أنّه ليس أوفى بياناً ولا أجود تفصيلاً عن أسلوب التأليف ممّا كتبه المؤلف نفسه في آخر الكتاب، قال رحمته الله: «ويقول كاتب هذه النسخة، العبد الفقير إلى رحمة الله سبحانه، المستند إليه في كلّ شأنه، يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن الهدى بن إبراهيم بن المهدي بن الجحّاف: إنّني كتبت حواشي على نهج البلاغة، ثمّ جعلتها هذا الشرح وسمّيتها بـ (التعليق) إرادة إيضاح مقاصد أمير المؤمنين عليه السلام، وتبيين مباني أقواله، ومخارج كلامه؛ ليستدرك بموارد خطابه على مغازي مقاله، وجمهورها منقول من شرح العلامة عبد الحميد بن أبي الحديد رحمته الله، وهو المراد بإطلاق لفظ (الشرح). وربّما أتته على ما لا أرتضيه من كلامه؛ مصدراً للتنبيه بلفظ: (قلت) أو (أقول) أو (والحقّ) ونحو ذلك ممّا لا يخفى.

وما كان من غير شرح ابن أبي الحديد؛ فإن كان منقولاً فهو منسوب إلى ما نقل منه، وإن لم يكن منسوباً فهو ممّا قلته نظراً منّي، دلّني على أنّه مراده ما تقرّر عندي وثبت بالدليل لديّ أنّه مذهب أولاده الأئمة عليهم السلام، الذين اقتفوا آثاره، وحرصوا على اتّباع أقواله

وأفعاله، وبنوا عقائدهم على أساسه، ولم يشوبوا صفو حقهم بكدر يدع غيرهم، بل هم معتصمون بكتاب الله، وما صحّ من طريقة أمير المؤمنين عليه السلام، وأولئك هم الصفوة الهداة المتقدمون ومن سلك سبيلهم من المتأخرين. ألحقنا الله بهم وأدخلنا في جماعتهم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه محمد وأهل بيته المطهرين وسلم تسليمًا. وقد وافق الفراغ من رقم هذه النسخة في يوم رابع شهر محرم أول سنة ثلاث وتسعين وألف. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات». (ارشاد المؤمنين: ٤١٦)

وهذا الأسلوب هو السائد في أصحاب التأليف غالباً بالنسبة إلى الكتب المقررة للدراسة؛ فالمشايخ من أصحاب النظر يكتبون ملاحظات حول المادة التي يختلفون فيها مع المؤلف في النظر في حاشية الكتاب، ولذلك تسمى تلك الملاحظات بالحاشية وألها مش - تسمية للحال باسم المحل -، فإذا طالت تلك الملاحظات كتبها في دفتر خاصّ مُشيرين إلى الأصل بعنوان: (قوله... قوله) وتعرف حينئذٍ بالتعليقات.

ومنهم من يلفق بين المتن والتعليقة بنحو الشرح لسهولة التناول. وآخرون يدمجونها وينتج منه كتاباً جديداً باسم آخر يختلف عن الأصل. والمؤلف - محافظة منه في الأمانة على الأصل - حافظ على التسمية بالتعليق لهذا الشرح، وفضّل أخوه الأكبر تسميته بإرشاد المؤمنين.

مصادر الكتاب:

ويمتاز هذا الكتاب بالمصادر الزيدية التي ينقل عنها المؤلف، وذلك بأمانة علمية بالنقل حرفياً من المصدر الذي نقل عنه، ولا شك إنّ قسماً كبيراً منها كانت في مكتبته الخاصة أو مكتبة الأسرة، أو مكتبات الأئمة الزيدية التي كانت مفتوحة له.

ووقفت خلال مطالعة الكتاب على المصادر التالية:

١ - الإبانة [الصفحة: ٨٢]

تأليف الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (٢٤٥ - ٢٩٨ هـ). وهو مؤسس الإمامة الزيدية في اليمن من سنة ٢٨٤ - إلى وفاته عام ٢٩٨ هـ.

ويعتمد الزيدية على نصوص مؤلفاته، وعليها بنيت أسس المذهب الزيدي السائد في اليمن حتى اليوم. وذكرت المصادر له: «كتاب في الإمامة» و«كتاب الديانة» ولعله تصحيف عنهما أو بالعكس.

له مجموعة نفيسة في مكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٧٩٣، وعندني منها مصورة مذكورة في «الصيانة».

وقد ألف ابن عمه وصاحبه علي بن محمد العلوي كتاب «سيرة الهادي» في ترجمته، وطبع بتحقيق الدكتور سهيل زكار، في دمشق سنة ١٩٧٢ م.

٢- الإتقان في علوم القرآن [الصفحة: ١٧٢]

تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت / ٩١١ هـ) والكتاب مطبوع عدة طبعات منها سنة ١٣٧٩ في القاهرة.

٣- أخبار صفين [الصفحة: ٣١٧]

قال المؤلف في الصفحة ٣١٧: «ووجدت في كتاب مؤلف في أخبار صفين ما صورته:»

ويظهر منه أنه لم يقف على اسم المؤلف، والحادثة منقولة مضموناً في كتاب وقعة صفين، تأليف نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢ هـ) وقد طبع سنة ١٣٨٢ مطبعة المدني بالقاهرة بتحقيق: عبد السلام محمد هارون.

هذا، وقد كان لدى ابن أبي الحديد ثلاثة مصادر أخرى في أخبار صفين مضافاً إلى كتاب المنقري، هي كالاتي:

١- كتاب صفين، لمحمد بن عمر السهمي الواقدي (ت / ٢٠٧ هـ) نقل عنه في موارد، منها في الجزء ٢: ٢٦٧.

٢- كتاب صفين، لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (ت / ٢١٥ هـ) نقل عنه في موارد، منها في الجزء ٢: ٢٤٦.

٣- كتاب صفين، لإبراهيم بن الحسين بن علي بن ديزل الهمداني (ت / ٢٨١ هـ). نقل عنه في موارد منها في الجزء ٢: ٢٦٩.

٤- الأوائل [الصفحة: ٢٣٢]

تأليف: أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت / ٣٩٥ هـ).

٥- التجريد [الصفحة: ٨٨]

تأليف: المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون بن محمد بن القاسم (المتوفى سنة ٤١١ هـ).

ترجمه مجد الدين المؤيدي في الإجازة الزيدية، ووصف الكتاب بقوله:
«التجريد، وشرحه أربع مجلدات، وهو شرح لفتاوى الإمام القاسم والهادي، يأتي فيه بكلامهما، ثم يبسط الأدلة عليه من الكتاب والسنة والقياس والإجماع، وهو من أجلّ معتمدات أهل البيت في هذا الفن».
(التحف شرح الزلف: ٨٥)

٦- شرح الأساس [الصفحة: ١٠٧]

والأساس: تأليف القاسم بن محمد (ت / ١٠٢٩ هـ) واسمه الكامل: «الأساس لعقائد الأكياس في معرفة ربّ العالمين وعدله على المخلوقين وما يتصل بذلك من أصول الدين».

قال الحبشي: «وهو من أشهر كتبه وقد اهتمّ بشرحه عدد من أعلام عصره».

(المصادر للحبشي: ٦٦٣)

ثم ذكر بضع أماكن وجودها وإليك بعضها:

١- شرح داود بن الهادي الصعدي (ت / ٢١٣٥ هـ).

٢- شرح أحمد بن محمد لقمان (ت / ١٠٣٩ هـ).

٣- شرح أحمد بن محمد الشرفي (ت / ١٠٥٥ هـ).

وغيرها.

٧- شرح الأصول [الصفحة: ١١٥]

نقل المؤلف في الصفحة: ١١٥ عن حاشية الفقيه قاسم بن أحمد بن حميد الحلّي على شرح الأصول للسيد مانكديم، كما نقل في الصفحة: ٧٣ عن السيد مانكديم من دون ذكر كتابه.

والسيد مانكديم هو - كما ترجمه المؤيدي في التحف الصفحة: ٨٨ بقوله:
«المستظهر بالله أحمد بن الحسين بن أبي هاشم محمد بن علي بن محمد بن الحسن
بن الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن... إلى أن قال: وهو صاحب شرح الأصول
الخمسة لقاضي القضاة، وهو من أعيان أهل البيت، ومن المتبحرين في العلوم، توفي
بالري سنة ثيف وعشرين وأربعمائة [قال الجلالى: والصحيح سنة ٤٢٥]. ومعنى
مانكديم: وجه القمر».

٨- شرح المفتاح [الصفحة: ١٠٩]

وكتاب مفتاح العلوم هو لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (ت / ٦٧٦ هـ)،
وشرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت / ٨١٦ هـ)، وهذا الشرح يسمّى
بـ«المصباح» ألفه الشريف الجرجاني بسمرقند عام ٨٠٤ هـ.
(كشف الظنون ٢: ١٧٦٣)

٩- شرح نهج البلاغة:

تأليف كمال الدين ميشم بن علي بن ميشم البحراني (ت / ٦٧٩ هـ). طبع في خمسة
مجلدات وقد نقل المؤلف عنه في مواضع كثيرة:

١٠- الصحائف الإلهية [الصفحة: ٧٨]

نقل في الصفحة: ٧٨ عن هذا الكتاب لمؤلفه السمرقندي، ولم أهتم إلى ترجمته.

١١- الطبقات [الصفحة: ٩١]

تأليف الحسين بن القاسم بن علي بن عبدالله بن محمد العياني (ت / ٤٠٤ هـ).
ترجمه المؤيدي، وقال: إنه كان من كبار علماء الآل، وإنه ألف ثلاثة وسبعين مؤلفاً،
وعدّ منها ثلاثة عشر كتاباً، ولم يذكر فيها هذا الكتاب. (التحف شرح الزلف: ٩١)
والحبشي عدّ له إحدى وثلاثين كتاباً لم يكن منها هذا الكتاب، وإنما ذكر له كتاب
«الطبائع» منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٦٧ بمكتبة الجامع، ونسخة أخرى بمكتبة شهيد
علي باستانبول برقم، كما ذكر له كتاب «الصفات ومعرفة الصانع» نقلاً عن زيارة.
(المصادر للحبشي: ٥٢٨). ولعلّ العنوان تصحيف عن أحدهما.

١٢- الفصول وشرحه [الصفحة: ١٧٣]

والفصول للسيد صارم الدين إبراهيم بن محمد، كما في [إتحاف الأكابر: ٧٦]، وشرحه للسيد صلاح بن أحمد بن مهدي المؤيدي (المولود سنة ١٠١٩ هـ والمتوفى سنة ١٠٤٨ هـ) وهو فقيه مشارك، ولأه الإمام المؤيد محمد بن القاسم ولاية عامة.

(البدر الطالع ١: ٢٩٣)

١٣- المصاييح [الصفحة: ٢٧٩]

تأليف أبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسيني.

١٤- الهجرة

تأليف الإمام محمد، وهو المؤيد بالله (المتوفى / ١٠٥٤ هـ) والذي على عهده استقلت اليمن استقلالاً تاماً من الخلافة العثمانية.

ولم أجد هذا الكتاب في قائمة مؤلفاته، ولعله كتاب: «أخبار الهجرة المنصورية» في سيرة المنصور بالله (ت / ٦١٤ هـ) وهي نسخة مجهولة المؤلف في المكتبة التيمورية برقم ١٤٧٠. (مصادر تأريخ اليمن: ٤٥)

هذا، ونقل المؤلف نقولاً عن بعض الأعلام من دون أن يسندها إلى مصدر كقوله في الصفحة: ٦٧: «روي عن الإمام المهدي أحمد بن يحيى» انتهى.

ويعني به أحمد بن يحيى المهدي المرتضى (٧٧٥ هـ - ٨٤٠ هـ) الذي بويع بالإمامة الزيدية في شوال سنة ٧٩٣ هـ، وهو السادس والعشرين في سلسلة الإمامة الزيدية.

وذكر حاجي خليفة في «الكشف» والبغداد في «الإيضاح» له من الكتب:

١- الفصول، في معاني جوهرة الأصول.

٢- ونكت الفوائد في معرفة الملك الواحد.

٣- والكوكب الزاهر، في شرح مقدمة طاهر - في النحو -.

٤- والأزهار، في فقه الأئمة الأطهار - وهو أشهر كتبه -.

هذه النسخة:

وصف هذه النسخة عبد الله محمد الحبشي في كتابه «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن» الصفحة: ٣٣٧ قائلاً:

«شرح نهج البلاغة ويسمى: «إرشاد أمير المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين» خ ١٠٩٣ بالامبروزيانا G V...».

والغريب إن كلمة «أمير» لم ترد في أصل النسخة، وهي زيادة توهمها الأستاذ، وهي ليست في الأصل، والرقم: «C V» لا «G V».

وأصل النسخة المحفوظة في مكتبة امبروزيانا بإيطاليا في ٤١٧ صفحة، وعلى النسخة فوائد متفرقة وتواريخ متعددة، وبعضها ممسوحة لا يمكن قراءتها، وأما ما يمكن قرائتها فهي:

١- في الصفحة الأولى:

«ترجمة النقيب أبي جعفر الطبري شيخ ابن أبي الحديد... من محاسن الفنون وأحداق العيون تأليف علي بن أنجب الخازن ما لفظه:

«علي بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أبي زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي الحسن علي الملقب بـ (ابن عبيد الله) بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام».

٢- وفي الصفحة الأخيرة [٤١٧] جاء التملك الآتي:

«انتقل هذا الكتاب إلى ملك أحمد بن صلاح، من ملك السيد عبد الله بن قاسم بن يعقوب المنصور إلى ملكي، بيعاً صحيحاً شرعياً بالإيجاب والقبول، حرر بتاريخ شهر رجب سنة ١٣٣٠ هـ، وأنا الحقير إلى الله سبحانه: السيد عبد الله بن قاسم بن الحسين بن المنصور القاسم».

هذا، وقد جاء في آخر الكتاب ما نصّه: «... وقد وافق الفراغ من رقم هذه النسخة في يوم رابع شهر محرم أول سنة ثلاث وتسعين وألف، والحمد لله الذي بنعمته تتم»

الصالحات.

وإذا كان هذا التأريخ تأريخ فراغ المؤلف من الكتاب، فتكون هذه النسخة هي النسخة الأم التي كتبها المؤلف، وقد عرفنا في ترجمته أنه ذو خطّ عجيب - كما وصفه ابن أبي الرجال -.

وإن لم يكن التأريخ للفراغ من الكتاب فهذه النسخة تكون قد كتبت في حياة المؤلف.

وفاة المؤلف:

حدّد زبارة (ت / ١٣٨٠ هـ) وفاته في الملحق التابع الصفحة: ٢٢٦ بقوله: «ومات في حدود ١١٠٣ هـ - ثلاث ومائة وألف رحمه الله وإيانا والمؤمنين». ولكنه في كتابه [نشر العرف ٢: ٨١٥] نقل عن الطبقات للسيّد إبراهيم بن القاسم بن المؤيد ما هو اضبط وأدقّ، حيث قال: «... عاد إلى وطنه حبور، وبه توفّي خامس عشر ذي القعدة ١١٠٢، وقبره بجانب قبر صنوه إسماعيل بن إبراهيم بحبور بإزاء الجامع». وقد أصاب الحبشي في كتابه «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن» الصفحة: ٣٣٧، حيث ذكر تأريخ الوفاة بالضبط: «١١٠٢ هـ».

وفي الختام:

نستنتج ممّا تقدّم النقاط التالية في حياة المؤلف:

حدود سنة ١٠٢٤ هـ، ولد المؤلف، وإن لم تذكر المصادر تأريخ مولده، فإنّ أخاه إسماعيل بن جحّاف ولد سنة ١٠٢٤ هـ وتوفّي سنة ١٠٩٧ هـ.

وفي سنة ١٠٦٥ هـ توفّي والده الذي كان حاكماً على حبور، وكان على صداقة متينة مع والد المهدي الذي حكم اليمن (١٠٨٧ - ١٠٩٢ هـ).

وفي سنة ١٠٨٧ هـ قام المؤلف بدور إصلاحي في الدعوة إلى اجتماع القلوب والنهي عن افتراق الكلمة بعد وفاة المتوكّل إسماعيل (سنة ١٠٨٧ هـ).

وفي سنة ١٠٨٧ هـ أيضاً حبس أيتاماً في العمران في أوائل حكم المهدي صاحب المواهب الذي حكم اليمن (١٠٨٧ - ١٠٩٢ هـ).

وفي سنة ١٠٨٨ هـ كتب جواباً لمناقشة علمية عن إجماع أهل البيت عليهم السلام.

وفي سنة ١٠٩٣ هـ ألف هذا الكتاب المسمّى بـ «التعليق» أو «إرشاد المؤمنين إلى نهج البلاغة المبين».

وفي سنة: ١٠٩٧ هـ يظهر إنّ المؤلف أصبح حاكماً على «حبور» بعد وفاة أخيه إسماعيل سنة ١٠٩٧ هـ.

وفي سنة: ١١٠٣ هـ انتقل إلى رحمة الله في خامس عشر ذي القعدة سنة ١١٠٢ هـ. وهكذا نجد المؤلف داعية إصلاح قام بالحكم في «حبور» طاهر الذيل، وخلف ثروة علمية حافظ فيها على التراث، ولم يستخدم صلاته بالائمة والحكام إلا في هذه المجالات، فقدّروه تقديراً للعلماء.

وأخيراً: أحمد الله الذي وفق الأخ العلامة السيّد محمد جواد الجلاّلي لتحقيق هذا الكتاب لاوّل مرة وإتحاف المكتبة الإسلامية به، وقد أضاف بعمله هذا إلى مكتبة نهج البلاغة درّة أخرى من الشروح المخطوطة، فلله درّه وعليه سبحانه أجره.

محمد حسين الحسيني الجلاّلي.

أهم مصادر التقديم

- ١ - اتحاف الأكابر بأسناد الدفاتر ، لمحمد بن علي الشوكاني (ت / ١٢٥٥) ط / حيدر آباد سنة ١٣٢٨ هـ.
- ٢ - إرشاد المؤمنين إلى شرح نهج البلاغة المبين = التعليق؛ للسيد يحيى بن ابراهيم الجحّاف (ت / ١١٠٢) تحقيق السيد محمد جواد الجلالى.
- ٣ - استناد نهج البلاغة ؛ لإمّتيّاز علي خان العرشي ، طبع لأوّل مرّة في مجلة ثقافة الهند سنة ١٩٥٩ م.
- ٤ - الاعلام؛ لخير الدين الزركلي (ت / ١٣٩٦)، ط / القاهرة ١٣٧٦ هـ.
- ٥ - الانساب؛ لعبد الكريم السمعاني (ت / ٥٦٢)، ط / حيدر اباد ١٣٨٣ هـ.
- ٦ - بحار الأنوار؛ لمحمد باقر المجلسي (ت / ١١١١)، ط / طهران سنة ١٣٧٦ هـ.
- ٧ - بحر الأنساب المحيط؛ للسيد حسين الرفاعي، ط / القاهرة ١٣٥٦ هـ.
- ٨ - البدر الطالع؛ لمحمد بن علي الشوكاني (ت / ١٢٥٥)، ط / القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ.
- ٩ - تاريخ الأدب العربي؛ كارل بروكلمان (ج ١) ترجمه د. عبد الحليم النجار ، ط / دار المعارف - مصر.
- ١٠ - تاريخ اليعقوبي ؛ لأحمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت / ٢٨٤).
- ١١ - تاريخ اليمن = طبق الحلوى ؛ لعبد الاله الوزير (ت / ١١٤٧)، ط / بيروت ١٤٠٥ هـ.
- ١٢ - تاريخ اليمن = وجه الهموم والحزن؛ لعبد الواسع الواسعي، ط / القاهرة ١٣٤٦ هـ.

١٣ - تاريخ اليمن السياسي؛ لمحمد بن يحيى الحداد، ط / القاهرة ١٣٩٦ هـ.

١٤ - التحف شرح الزلف؛ لمجد الدين المؤيدي، بدون تاريخ.

١٥ - تراثنا، مجلة فصلية يعدها مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم، العدد (٥)

عدد خاص بمناسبة الذكرى الالفية لوفاة الشريف الرضي، عام ١٤٠٦ هـ.

١٦ - التعليق = إرشاد المؤمنين إلى شرح نهج البلاغة المبين؛ ليحيى بن ابراهيم بن

يحيى الجحّاف (مخطوطة الامبروزيانا).

١٧ - تلخيص البيان في مجازات القرآن؛ تحقيق محمد عبد الحسن حسن، طبعة سنة

١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م، وطبعة السيد محمد المشكاة، سنة ١٣٧٢ هـ، في مطبعة مجلس

الشورى عن نسخة قديمة.

١٨ - حقائق التأويل في متشابه التنزيل؛ الشريف الرضي (ج ٥ فقط) بتحقيق محمد

رضا كاشف الغطاء، ط / النجف الأشرف سنة ١٣٥٥. وطبعة مؤسسة البعثة - قسم

الدراسات الإسلامية، طهران سنة ١٤٠٦ هـ. وطبعة دار الاضواء في ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م.

١٩ - خصائص أمير المؤمنين عليه السلام؛ تحقيق عبد الرزاق المقرّم، ط / النجف الاشرف

سنة ١٣٦٨ هـ، ومخطوطة عليها إجازة السيد فضل الرواندي (مخطوطة رامپور بتاريخ

٥٥٥)، صورتها.

٢٠ - خلاصة الأثر، لمحمد أمين المحبّي (ت/ ١١١١)، ط / بيروت ١٩٦٦ م.

٢١ - خلاصة الأقوال = رجال العلامة الحلي (ت/ ٧٢٦)، ط / النجف ١٣٨١ هـ.

٢٢ - ديوان الشريف الرضي؛ تصحيح أحمد عباس الازهري في مجلدين، ط /

المطبعة الادبية - بيروت سنة ١٣٠٧ هـ مع تقديم عبد الحسين الحلي، وعنهما طبعة دار

البيان ببغداد بالأوفسيت. وقد اعتمدنا على طبعة وزارة الارشاد بطهران سنة ١٤٠٦ هـ

أيضاً (المحقق).

٢٣ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ للشيخ آغا بزرك الطهراني (ت/ ١٣٨٩)،

ط / النجف وطهران سنة ١٩٥٠ م

٢٤ - الرجال؛ أبو العباس النجاشي (ت/ ٤٥٠)، وطبعة جماعة المدرسين بقم.

٢٥ - رسائل الصافي والشريف الرضي؛ تحقيق د. محمد يوسف نجم، ط / الكويت، سنة ١٩٦١ م.

٢٦ - الروائع على نهج البلاغة؛ فؤاد أفرام البستاني؛ طبعة أولى - بيروت سنة ١٩٢٧ م.
٢٧ - روضات الجنات؛ لمحمد باقر الخوانساري (ت/١٣١٣) تحقيق اسد الله إسماعيليان - قم، مطبعة اسماعيليان سنة ١٣٥١ هـ.

٢٨ - رياض العلماء وحياض الفضلاء؛ عبد الله الافندي (ق ١٢) ط / قم سنة ١٤٠١ هـ.

٢٩ - سجع الحمام في حكم الامام؛ جمع علي الجندي وآخرين، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م.

٣٠ - سيرة الهادي؛ لعلي بن محمد العلوي ط / دمشق ١٩٧٢ م.

٣١ - شرح ابن أبي الحديد؛ لعبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي (ت / ٦٥٦) ط / القاهرة ١٣٧٨ هـ.

٣٢ - الشريف الرضي . د. احسان عباس (جامعة الخرطوم) ط / بيروت سنة ١٩٥٩ م.
٣٣ - الشريف الرضي (ترجمة)؛ للشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء؛ مطبعة المعارف - بغداد سنة ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م.

٣٤ - الشريف الرضي؛ محمد عبد الغني حسن، ط / دار المعارف - مصر سنة ١٩٧٠ م.
٣٥ - العبقریات الاسلامیة؛ عباس محمود العقاد، ط / منشورات دار الأدب - بيروت سنة ١٩٦٦ م.

٣٦ - العثمانيون والإمام القاسم، لأميرة علي الملاح، ط / جدة ١٤٠٢ هـ.
٣٧ - عبقرية الشريف الرضي؛ زكي مبارك، ط / مطبعة حجازي - القاهرة سنة ١٩٥٢ م.

٣٨ - العربي، مجلة كويتية، العدد ٢٠٧ (صفر، ١٣٩٦ هـ / شباط ١٩٧١ م) مقال بعنوان «تعليقات وأقوال مأثورة لطفه حسين» بقلم د. محمد الدسوقي.

٣٩ - العلم الشامخ؛ صالح بن مهدي المقبل (ت/١١٠٨)، ط / سنة ١٣٢٨ هـ.

٤٠- علي بن أبي طالب عليه السلام (ترجمة)؛ أحمد زكي صفوت باشا، ط / مطبعة العلوم سنة ١٩٣٢ م.

٤١- عمدة الطالب ، أحمد بن عنبه (ت / ٨٢٨ هـ)، ط / النجف سنة ١٢٨٠ هـ.

٤٢- الغدير في الكتاب والسنة والأدب (١ - ١١) ؛ الشيخ عبد الحسين الأميني (ت / ١٣٩٠) ج ٤، ط / دار الكتاب العربي - بيروت، سنة ١٩٧٧ م.

٤٣- فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء؛ لعيسوي والملاح، ط / الاسكندرية ١٩٧٨ م.

٤٤- الفهرس الموحد للمخطوطات ، للمؤلف؛ ويستدرك عليه ما يأتي؛

أ- فهرس مخطوطات المكتبة القديمة بالجامع الكبير صنعاء اعداد أحمد محمد علوي ومحمد سعيد المليح، مطبعة منشأة المعارف - الاسكندرية، سنة ١٩٧٨ م.

ب - فهرس مخطوطات بعض المكتبات الخاصة في اليمن ؛ لعبد الله الحبشي، مط / العرفان سنة ١٩٩٤ م.

ج - مخطوطات الأدب في المتحف العراقي؛ أسامة النقشبندى وظمياء عباس، ط / معهد المخطوطات العربية - الكويت سنة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م.

٤٥ - الفهرست، للشيخ منتجب الدين الرازي (٥٠٤ - ٥٨٥)، ط / طهران.

٤٦ - الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة؛ السيد جواد المصطفوي الخراساني ط / طهران، د. ت.

٤٧ - كشف الظنون؛ لحاجي خليفة الجليبي، ط / استانبول ١٣٦٠.

٤٨ - لوايح الانوار؛ مجد الدين المؤيدي، ط / صعدة - اليمن، سنة ١٤١٤ هـ.

٤٩ - ماهو نهج البلاغة؛ السيد هبة الدين الشهرستاني، مطبعة النجف، سنة ١٣٨٠ هـ.

٥٠ - المجازات النبوية؛ الشريف الرضي (ت / ٤٠٦) تحقيق طه محمد الزيني، ط /

القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م.

٥١ - مصادر تاريخ اليمن؛ لأيمن فؤاد سيد، ط / القاهرة ١٩٧٤ م.

٥٢ - مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن؛ لعبد الله الحبشي، ط / صنعاء.

٥٣ - مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه ؛ للشيخ هادي كاشف الغطاء (ت/١٣٦١)، ط / مطبعة الراعي - النجف سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م، طبع مع مستدرك نهج البلاغة .

٥٤ - مصادر نهج البلاغة وأسانيده؛ للسيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط / بيروت سنة ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

٥٥ - مصادر نهج البلاغة؛ لعبد الله نعمة ط / بيروت سنة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٥٦ - مطلع البدور ومجمع البحور؛ لابن أبي الرجال (ت / ١٠٩٣) من مصوكرات اليمن .

٥٧ - معالم العلماء؛ محمد بن علي بن شهر آشوب (ت / ٥٨٨)، ط / قم ١٩٦٨ .

٥٨ - معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ، ط / بيروت ١٣٧٦ هـ .

٥٩ - المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة؛ كاظم محمدي - محمد دشتي ، ط / مؤسسة النشر الإسلامي - قم سنة ١٤٠٦ هـ .

٦٠ - الملحق التابع للبدر الطالع، لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة (ت / ١٣٨٠)، ط / القاهرة ١٣٤٨ هـ .

٦١ - النابس (وهو الجزء الخامس من طبقات اعلام الشيعة) ؛ آغا بزرك الطهراني (ت / ١٣٨٩)، ط / بيروت، والأجزاء الاخرى لطبقات أعلام الشيعة ط / قم .

٦٢ - النثر الفني في القرن الرابع؛ د. زكي مبارك، ط / القاهرة، سنة ١٣٥٢ هـ .

٦٣ - نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف ؛ لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة (ت / ١٣٨٠)، ط / القاهرة ١٣٧٦ هـ .

٦٤ - نفحة الريحانة؛ لمحمد أمين المحبي (ت / ١١١١)، ط / القاهرة .

٦٥ - نشر مجلة دانش، نشرية مركز نشر دانشگاهي التابعة لمؤسسة انقلاب فرهنگي بطهران، شارع نجات الله، العدد (خرداد) سنة ١٣٦٠ ش = ١٤٠٢ هـ .

٦٦ - نهج البلاغة ؛ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط عيسى البابي الحلبي - القاهرة، سنة ١٩٦٣ م .

٦٧- نهج البلاغة؛ شرح الشيخ محمد عبده (ت/١٩٠٥)، تحقيق محمد أحمد عاشور ومحمد البنا، ط / دار ومطابع الشعب - القاهرة.

٦٨- نهج البلاغة؛ تحقيق د. صبحي الصالح، ط / بيروت سنة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.

٦٩- نهج البلاغة؛ نسخة مكتبة د. محفوظ الخاصة في الكاظمية، المؤرخة ١٠٥٩، بخط محمد رضا محمد الشوشتري.

٧٠- نهج البلاغة؛ النسخة المؤرخة رجب ٤٩٤، بخط فضل الله بن طاهر بن المطهر الحسيني، ط / طهران سنة ١٤٠٢، مع تقديم حسن السعيد.

٧١- نهج البلاغة؛ النسخة المؤرخة سنة ٤٩٩، من مخطوطات مكتبة المرعشي برقم ٣٨٢٧.

٧٢- نهج البلاغة، النسخة المؤرخة سنة ٤٩٤، مخطوطات مكتبة نصيري بطهران نشرتها م / جهل ستون.

٧٣- نهج البلاغة؛ النسخة المؤرخة ٦٩٨، من مخطوطات مكتبة المرعشي برقم ٦٩٨.

٧٤- نهج البلاغة؛ دراسة قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة؛ تأليف عمر فروخ، طبعة سنة ١٩٥٢م.

٧٥- نهج البلاغة ونسخه هاي خطي نفيس آن؛ كاظم مدير شانه چي، ط / مشهد، سنة ١٣٥٣ ش.

٧٦- نهج البلاغة لمن؟، للشيخ محمد حسن آل يس، ط / بيروت سنة ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

٧٧- هدية العارفين، لاسماعيل پاشا، ط / استانبول ١٩٥١م.

٧٨- وفيات الاعيان؛ لاحمد بن محمد بن خلكان (ت/٦٨١) تحقيق د. احسان عباس، ط / بيروت سنة ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

٧٩- اليمن، الانسان والحضارة، لعبد الله الشماحي.

٨٠- يادنامه كنگره هزاره نهج البلاغة، ط / مطبعة سهامی عام - طهران سنة

١٤٠١هـ = ١٣٦٠ ش، نشر بنياد نهج البلاغة - طهران.

نماذج مصوّرة
من
النسخة المخطوطة

الحمد لله الذي جعل الحمد مثلاً للنعمة، وصعداً من بلاد ورسلاً
 جنانه وسبباً إلى زيادة أحواله والصلوة على رسول الله وآله
 وسراج الأمة المتعجب من طهته الكرم وسلا له المحبة الاقويم
 ومغرم الفخار المعرق الموقن وفتح القلاء المثمر المورق وعلى أهل
 بيته مصابيح الظلم وعصم الأئمة ومنازل الدين الواضحة وشاغل الفضل
 الراجى صلى الله عليه وآله وسلم صلوة تكون إن شاء الله لهم ومكانة
 لعلمهم وكفاً لطيب أصلهم ما انار فجر طابع وخوى فجر الخلق فإني
 كنت في غفوة من شياي وعفاسة الغنم انشأت خالف كتاب
 في خمسائش الأئمة على ما التزم به من شياي أخباره وهو اسمها اسم
 خداني عليه عرش ذكرته في هذا الكتاب وحصلت له الكرامة
 وفوت من الحشاش التي تحبس أمر المؤمنين سليمان السلام وفاتت
 وفاتت عن تارة الكتاب محاجرات الأيام ومخاطبات الرمان وكنت قد
 بويت ما خرج من ذلك أبواباً وفصلته فتشوا لاجاء في آخرها فصل تضمن
 ما نفعه عليه السلام من الكرامة القسيرة في المواظرة والمكسر والآثا
 والأدب دون الخطب البليولة والكتب المبسوطة فاحتج جماعة من
 الأصناف بما استباحه العقل المقدم ذكره ونجس يد أتبعه وتجبين
 من ذلك ما لا ينبغي بعد ذلك ان ابتدئ بالكتاب على ما
 محاربكم من المؤمنين طلبة السلام وحيث فوجدت وتبعات فتبين

انما يريد من شياي وهو مقدر
 وكون الشئ مقولاً شياي وهو مقدر
 وبيان ان ذوات الشياي لا تتغير

معناه
 انما يريد من شياي وهو مقدر

إرشاد المؤمنين
إلى معرفة
نهج البلاغة المبين

تأليف

السيد العلامة واحد زمانه عماد الدين

يحيى بن إبراهيم بن يحيى الجحّاف

المتوفى سنة ١١٠٢ هـ

وعلق عليه أخوه: إسماعيل بن إبراهيم

(١٠٢٤ - ١٠٩٧)

حققه وعلق عليه

محمد جواد الحسيني الجلاّلي

الجزء الأول من

نهج البلاغة

مع تعلية

يحيى بن إبراهيم بن يحيى الحجاتي / ١١٠٢ هجرية

هذه ترجمة النقيب أبي جعفر البصري شيخ ابن أبي الحديد [صاحب] الشرح، إماماً عليه رحمه الله ورضي عنه من محاسن الفنون وأحداق العيون، تأليف علي بن انجب الخازن، ما لفظه: يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أبي زيد محمد بن احمد بن عبد الله بن أبي الحسن عليّ الملقّب «بأغر» بن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. «أبو جعفر العلوي الحسني البصري».

كان يتولّى النقابة على الطالبين بالبصرة، قرأ الأدب حتّى برع فيه، وسمع الحديث، وقال الشعر الجيد، وكان أعرف أهل زمانه بأنساب العباسيين والطالبين وأنساب العرب وفرسانها وأيامها.

قدم بغداد ومدح الإمام الناصر، وكان مليح المجانسة، طيب الأخلاق، جميلاً متواضعاً، شريف النفس متديناً، وكان به زمانة لا يستطيع أن يقوم على رجله، انتهى، وكان زیدياً رحمه الله ونفع بعلمه.

هذا وجاء في اعلى الصفحة الثانية (في الهامش) ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

[يقول العبد المفتقر [إلى فضـ] لـ الله ورحمته، والراجي لعفوه ومغفرته، ولثوابه

وكرامته، والخائف لمقامه وحسابه ومناقشته، يحيى بن إبراهيم بن يحيى الحجاتي:

الحمد لله رب العالمين بأفضل ما حمده الحامدون، وشكراً لله بأبلغ ما شكره

الشاكرون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
صلّى الله عليه وعلى أهل بيته المطهّرين وسلّم.

وبعد، فهذا تعليق مبارك فيه إن شاء الله، جمعتة لغرض إعانة الإخوان المؤمنين على
الإطلاع على أسرار كلام أمير المؤمنين، وتوقيفهم على مقاصده؛ ليفوزوا بالنعمة العظيمة في
أمر الدنيا والدين.

أسأل الله أن ينفع به، ويجعله سبباً لرحمته وثوابه ومغفرته، إنه الجواد الكريم.

[خطبة نهج البلاغة]

بسم الله الرحمن الرحيم ^(١) وعليه أتوكل ونعم الوكيل:

أما بعد ^(٢) حمد الله ^(٣) الذي جعل الحمد ثمناً ^(٤) لنعمائه ^(٥)، ومَعَاذاً مِنْ بَلَائِهِ ^(٦) ووسيلاً ^(٧) إلى جنانه ^(٨)، وسبباً لزيادة ^(٩) إحسانه ^(١٠).

والصلاة على رسوله، نبي الرحمة ^(١١)، وإمام الأئمة ^(١٢)، وسراج الأمة، المنتجب ^(١٣)

(١) في هـ. أ: الرحمن الذي يرحم في الدنيا المؤمن والكافر، والرحيم الذي يرحم المؤمن في الآخرة.

(٢) في هـ. أ: نصب على الظرف، والعامل فيه «كنت» في قوله: «أما بعد حمد الله فأني كنت في عنفوان شبابي».

(٣) في هـ. أ: أصله «لاه» فحذفت الهمزة تخفيفاً، وقد دخل عليه الألف واللام تفخيماً وتعظيماً، وقيل: الألف واللام بدل من الهمزة المحذوفة.

(٤) في هـ. أ: أي عوضاً.

(٥) في هـ. أ: النعمة، وهي منفعة توصل إلى الغير، يشفع به - إذا فتحت النون مددت -، وإذا ضمنت قصّرت، إشارة إلى قوله ﷺ: «من قال الحمد لله فقد أدى حق نعم الله».

(٦): البلاء: النعمة.

(٧) في «أ»: وسيلاً، وفيه أيضاً: وروي: ووسيلاً، والوسيل: جمع الوسيلة، وهي ما يتقرب به إلى الغير.

(٨) في هـ. أ: جمع الجنة، وهي البستان الذي يجنّه الشجر، أي يستره.

(٩) في هـ. أ: في نسخة: إلى زيادة.

(١٠) في هـ. أ: من قوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ١٤ / ٧].

(١١) في هـ. أ: من قوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ٢١ / ١٠٧].

(١٢) في هـ. أ: لقوله ﷺ: «لآدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة»، وقد يكون النبي إماماً، كما قال تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ [البقرة: ١٢٤] فيكون امامه فيتبعه في خيره، وقيل:

(١٣) هـ. أ: أي المختار، وفي د: المنتخب.

الإمام الطريق الواضح.

مَنْ طِينَةَ^(١) الْكَرْمِ، وَسُلَالَةَ^(٢) الْمَجْدِ الْأَقْوَمِ، وَمَغْرَسَ الْفَخَارِ الْمُعْرِقِ الْمُونِقِ^(٣)، وَقَرْعِ الْعَلَاءِ
الْمُثْمَرِ الْمَوْرِقِ^(٤)، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ مَصَابِيحَ الظُّلَمِ، وَعِصَمَ الْأُمَمِ^(٥) وَمَنَارَ^(٦) الدِّينِ
الْوَاضِحَةِ، وَمِثَاقِيلَ^(٧) الْفَضْلِ الرَّاجِحَةِ^(٨)، صَلَّى^(٩) اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، صَلَاةٌ تَكُونُ إِزَاءً
لِفَضْلِهِمْ، وَمُكَافَأَةً^(١٠) لِعَمَلِهِمْ^(١١)، وَكِفَاءً^(١٢) لِطَيْبِ فَرَعِهِمْ وَأَصْلِهِمْ^(١٣) مَا أَنَارَ^(١٤) فُجْرًا سَاطِعًا،
وَحَوَى^(١٥) نَجْمًا طَالِعًا^(١٦).

فَإِنِّي كُنْتُ^(١٧) فِي عُنْفَوَانِ شَبَابِي^(١٨) وَغَضَاضَةِ الْغُصْنِ^(١٩) ابْتَدَأْتُ بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ فِي

(١) في هـ. أ: أصل خلقه من طين.

(٢) في هـ. أ: وسلالة: مخرج، وسلالة الشيء: ما استلّ واستخرج، والنطفة والسلالة مترادفتان،
قيل: كان بين رسول الله ﷺ وبين آدم عليه السلام أحد وخمسون أباً، سبعة عشر منهم أنبياء وسبعة
عشر ملوك مسلمون، وسبعة عشر منهم رفقاء عباد.

(٣) في ب: الموقق.

وفي هـ. أ: أي ذو العرق، وأعرق الشجر: امتدّ عروقه، وفلان معرق في الكرم، أي: له عرق في
الكرم، وعن النبي ﷺ: «لم يزل ينقلني الله تعالى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام
المطهّرات».

(٤) في هـ. أ: يعني: هو فرع العلاء صاحب الثمر والورق، والمورق: أي مخرج الورق.

(٥) في هـ. أ: يعني هم أطاف تمنع الخلق من المعاصي.

(٦) هـ. أ: جمع منارة، وهي الجبل.

(٧) في هـ. ص: المِثَاقِيل جمع مِثْقَال، وهو مقدار وزن الشيء، تقول: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَمِثْقَالُ دِينَارٍ،
أي زنات الفضل (تمت من الشرح).

(٨) في هـ. أ: المائلة الراجحة.

(٩) في هـ. أ: أي: مجازاةً.

(١٠) في هـ. أ: أي: مجازاةً.

(١١) في ب و هـ. ص: في نسخة: لعلمهم.

(١٢) في هـ. أ: أي: نظيراً.

(١٣) في هـ. أ: أي: لازم ومتعدّ.

(١٤) في هـ. أ: أي سقط.

(١٥) في هـ. أ: أي: نجم ساطع.

(١٦) في هـ. أ: التقدير: «فإنّي أقول بعد حمد الله كذا»، فحذف «أقول» وأقيم معمول «كنت»
مقامه، فإنّي كنت ابتدأت، والعامل فيه: كنت ابتدأت، وتقدير الكلام: أمّا بعد، فإنّي كنت في
عنفوان الشباب.

(١٧) كذا في ص وأ، وفي ب و د: السن، وفي هـ. ص: السن خ ل.

(١٨) في هـ. أ: النظارة والطرارة.

خَصَائِصِ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَشْتَمِلُ عَلَى مُحَاسِنِ أَخْبَارِهِمْ، وَجَوَاهِرِ كَلَامِهِمْ، حَدَّثَنِي ^(١) عَلَيْهِ غَرَضُ ذِكْرَتِهِ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ، وَجَعَلْتُهُ أَمَامَ ^(٢) الْكَلَامِ، وَفَرَعْتُ مِنَ الْخَصَائِصِ الَّتِي تَخُصُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَاقَتْ ^(٣) عَنْ إِتِمَامِ بَقِيَّةِ الْكِتَابِ مُحَاجَزَاتُ ^(٤) الْأَيَّامِ ^(٥) وَمُمَاطَلَاتُ ^(٦) الزَّمَانِ ^(٧)، وَكُنْتُ قَدْ بَوَّبْتُ مَا خَرَجَ ^(٨) مِنْ ذَلِكَ أَبْوَاباً، وَقَصَلْتُهُ فصولاً، فَجَاءَ فِي آخِرِهَا فَصْلٌ يَتَضَمَّنُ مُحَاسِنَ مَا نُقِلَ عَنْهُ مِنَ الْكَلَامِ الْقَصِيرِ فِي الْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَدَبِ ^(٩)، دُونَ الْخُطَبِ الطَّوِيلَةِ وَالْكِتَبِ الْمَبْسُوطَةِ ^(١٠)، فَاسْتَحْسَنَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْفَصْلُ الْمَقْدَّمُ ذَكَرَهُ، مُعْجِبِينَ ^(١١) بِبِدَائِعِهِ، وَمُسْتَعْجِبِينَ مِنْ نَوَاصِعِهِ ^(١٢)، وَسَأَلُونِي عِنْدَ ^(١٣) ذَلِكَ ^(١٤) أَنْ أَبْدَأَ ^(١٥) بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ يَحْتَوِي عَلَى مُخْتَارِ كَلَامِ ^(١٦) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ فُنُونِهِ، وَمُسْتَعْبَاتِ ^(١٧) غُصُونِهِ، مِنْ خُطَبٍ وَكُتُبٍ، وَمَوَاعِظَ وَأَدَبٍ، عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ مِنْ عَجَائِبِ الْبَلَاغَةِ، وَغَرَائِبِ الْفَصَاحَةِ، وَجَوَاهِرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَثَوَاقِبِ ^(١٨) الْكَلِمِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَاوِيَّةِ ^(١٩)، مَا ^(٢٠) لَا يَوْجَدُ مُجْتَمِعاً فِي كَلَامٍ، وَلَا مَجْمُوعَ الْأَطْرَافِ فِي كِتَابٍ ^(٢١)؛ إِذْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشْرِعَ الْفَصَاحَةِ وَمُورِدَهَا،

-
- (١) هـ. أ: أي ساقني.
 (٢) في هـ. أ: في نسخة: زمام.
 (٣) في هـ. أ: أي منعت وحجست.
 (٤) هـ. أ: أي: ممانعات ومدافعات.
 (٥) في «د»: الزمان.
 (٦) في هـ. أ: أي مدافعات.
 (٧) في «د»: الأيام.
 (٨) في هـ. أ: أي ما حصل من ذلك الكتاب.
 (٩) في «أ»: والاداب، والظاهر انها مصححة، أصلها: «والأدب» أيضاً.
 (١٠) في هـ. أ: في نسخة: البسيطة.
 (١١) هـ. أ: في نسخة: معجبين، أي يعجبون الناس.
 (١٢) في هـ. أ: النصوص: الخلوص والظهور، يقال: أبيض ناصع.
 (١٣) في ص: «بعد» بدل «عند».
 (١٤) في هـ. أ: إشارة إلى الإستحسان.
 (١٥) في ص وب و هـ. أ: في نسخة: أبتديء. (١٦) في هـ. ص زيادة: مولانا.
 (١٧) هـ. أ: أي متفرقات.
 (١٨) في هـ. أ: الثواقب المضيئة، وفي نسخة: يواقيت.
 (١٩) في «أ»: والدنيا. وفي نسخة: الدنيوية. (٢٠) في هـ. أ: مفعول «يتضمن».
 (٢١) في «ص»: نظام كتاب.

ومنشأ^(١) البلاغة ومولدها^(٢)، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها^(٣)، وعلى أمثلته
حذاكلّ قائل خطيب، وبكلامه استعان كلّ واعظٍ بليغ^(٤)، ومع ذلك فقد سبق وقصّروا،
وتقدّم وتأخّروا؛ لأنّ كلامه الكلام الذي عليه مسح^(٥) من العلم الإلهي، وفيه عبقة^(٦) من
الكلام النبوي.

فأجبتهم إلى الابتداء بذلك^(٧)، عالماً بما فيه من عظيم النفع، ومنشور الذّكر، ومذخور
الأجر، واعتمدتُ به أن أُبين عن عظيم^(٨) قدر أمير المؤمنين عليه في هذه الفضيلة، مضافاً
إلى المحاسن الدّرة^(٩)، والفضائل الجمّة^(١٠)، وإنّه انقردّ ببلوغ غايّتها عن جميع السّلف
الأوّلين، الذين إنّما يؤثّر عنهم منها القليل النّادر، والشّاذّ الشارِد، فأما^(١١) كلامه فهو البَحْرُ

(١) في هـ. أ: من نشأت السحابة، أي: ظهرت، ومعناه: إنّّه يظهر منه عليه البلاغة.

(٢) في هـ. أ: هو عليه الذي تولّدت البلاغة منه.

(٣) في هـ. أ: القانون: الأصل، وهو سرياني،... الثابت الذي لا يمكن أن يراد....

(٤) في هـ. ص: قال في شرح ابن أبي الحديد (١: ٢٤) عند ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه

وخصائصه التي امتاز بها عن الناس: «وأما الفصاحة، فهو إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي

كلامه قيل: هو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة.

قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح، ففاضت ثمّ فاضت.

وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الإ اتفاق إلاّ سعة وكثرة، حفظت منه مائة

فصل من مواعظ عليّ بن أبي طالب عليه، انتهى.

وذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب، في ترجمة أمير المؤمنين عليه: «والذي حفظه الناس

من خطبه في سائر مقاماته أربع مائة خطبة ونيّف وثمانون خطبة، تداول الناس عنه ذلك قولاً

وعملاً».

(٥) في «ص» و «ب»: من الكلام الإلهي، وفي هـ. أ: في نسخة من الكلام.

(٦) في هـ. أ: وعقب به الطيب... وكلام علي عليه شديد [الشبه بكلام] النبي ﷺ لأنهما [

غصنا] دوحه، فلذلك قال: الكلام النبوي، ولم يقل: عبقة من الكلام؛ لأنّ بالعقب يبقى الأثر.

وكلام البشر [ليس] من كلامه ﷺ في شيء.

(٧) في «ص»: فأجبتهم إلى ذلك. (٨) في «ص»، أبيّن عظيم. وفي «ط»: من عظيم.

(٩) في هـ. أ: أي الكثيرة. (١٠) الجمّ: الغفير.

(١١) في «د»: وأما.

الَّذِي لَا يُسَاجِلُ^(١)، والجم الذي لَا يُحَاقِلُ^(٢)، وأردتُ أن يسوغَ لي التمثُل في الافتخارِ
بِهِ^(٣) بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجنيني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المَجاميعُ^(٤)
ورأيت كلامه يدورُ على أقطاب^(٥) ثلاثة، أولها: الخطب والأوامر، وثانيها: الكتب
والرسائل، وثالثها: الحكم والمواعظ، فأجمعتُ^(٦) بتوفيقِ الله تعالى على الإيتداءِ باختيارِ
محاسِنِ الخطبِ، ثم محاسِنِ الكتبِ، ثم محاسِنِ الحكم والأدبِ^(٧)، مُقَرِّداً لكلِّ صنفٍ من
ذلك باباً، ومُفضِّلاً^(٨) فيه أوراقاً؛ ليكونَ مقدِّمةً لاستدراكِ^(٩) ما عساه^(١٠) يشدُّ عني عاجلاً،
ويَقْعُ إليَّ آجلاً.

وإذا جاء شيء من كلامه الخارج في أثناءِ حوارٍ^(١١)، أو جوابِ سؤالٍ^(١٢)، أو غرضٍ
آخر من الأغراض في غير الأنحاء^(١٣) التي ذكرتها، وقررتُ القاعدةَ عليها، نسبتهُ إلى

(١) في هـ. أ: في نسخة: يساحل، والمساجلة: المفاخرة في العظيم...، وفي هـ. ص: لا يساجل
- بالجم -، من المساجلة، والمعنى: لا يكثر، وبالحاء: ساحل البحر، وهو طرفه، [والمعنى]
لا يُشابهه في بعد ساحله.

(٢) في هـ. ص: أي لا يفاخر بالكثرة، من الحفل، وهو الإمتلاء، والمحافلة: المفاخرة بالامتلاء،
يقال: ضرع حافل أي ممتليء. (تمت) وفي هـ. أ: المحافلة: المفاخرة بالامتلاء... يقال: ضرع
حافل، أي ممتليء، ومعناه إنه كثير ماؤه لا يقابل كثرة.

(٣) في «د»: صلوات الله عليه. (٤) في هـ. أ: أي المحافل.

(٥) في هـ. أ: قطب الرحي: الذي عليه مدارها، وقطب القوم: سيدهم... [والقطب] كوكب أبيض
صغير بين الجدي والفرقدين [يدور] عليه الفلك وهو القطب الشمالي.

(٦) في هـ. ص: أي عزمت، وفي هـ. أ: يقال أجمعت الأمر قال تعالى: ﴿فاجمعوا أركم﴾، فإذا
قيل أجمعت على الأمر كان على إضمار فعل... قال: عازماً على الأمر.

(٧) في «أ»: والآداب، وفي هـ. أ: والآدب - خ ل، وفي هـ. أ أيضاً: - بالتسكين -: الدعاء إلى الله،
والآدب - خ، وقيل: سمي الآدب أدباً؛ لأن الناس يحرصون على تعلمه.

(٨) في هـ. أ: تاركاً فيه أوراقاً. (٩) في «أ»، «ب»، «د»: لتكون لاستدراك.

(١٠) في «ص»: ما أن، وفي هـ. أ: ما عسى أن - خ ل.

(١١) في هـ. أ: أي مناظرة. (١٢) في هـ. أ: في نسخة: كتاب.

(١٣) في هـ. أ: أي الطرق والمقاصد.

أَلَيَّقَ الأبوابَ بِهِ، وَأَشَدَّهَا مَلامِحَةً^(١) لَغَرَضِهِ، وَرَبَّمَا جَاءَ فِيمَا اخْتَارَهُ مِنْ ذَلِكَ فَصُولٌ غَيْرُ مُتَّسِقَةٍ، وَمَحَاسِنُ كَلِمٍ^(٢) غَيْرُ مُنْتَظِمَةٍ؛ لِأَنِّي أَوْرِدُ النُّكْتَ^(٣) وَاللَّمَعَ، وَلَا أَقْصِدُ التَّسَالِي^(٤) وَالتَّنَسُّقَ.

وَمِنْ عَجَائِبِهِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا، وَأَمِنَ الْمَشَارَكَةَ فِيهَا، أَنَّ كَلَامَهُ الْوَاردَ فِي الزَّهْدِ وَالْمَوَاعِظِ^(٥) وَالتَّذْكِيرِ وَالزَّوْاجِرِ؛ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ الْمُنَاطِّلُ، وَفَكَّرَ فِيهِ الْمُفَكِّرُ، وَخَلَعَ مِنْ قَلْبِهِ^(٦) أَنَّهُ كَلَامٌ مِثْلُهُ مِمَّنْ عَظُمَ قَدْرُهُ، وَنَفَذَ أَمْرُهُ، وَأَحَاطَ بِالرَّقَابِ مُلْكُهُ، لَمْ يَعْترِضْهُ الشُّكُّ فِي أَنَّهُ كَلَامٌ مَنْ لَا حِظَّ لَهُ فِي غَيْرِ الزَّهَادَةِ، وَلَا شُغْلَ لَهُ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ، قَدْ قَبَّعَ^(٧) فِي كِسْرِ^(٨) بَيْتٍ، أَوْ انْقَطَعَ فِي^(٩) سَفْحِ جَبَلٍ، لَا يَسْمَعُ إِلَّا حَسَّهُ، وَلَا يَرَى إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَكَادُ يُوَقِّنُ بِأَنَّهُ كَلَامٌ مَنْ يَتَغَمَّسُ فِي الْحَرْبِ، مُصْلِتًا سَيْفَهُ، فَيَقُطُّ الرَّقَابَ، وَيُجَدِّلُ^(١٠) الْأَبْطَالَ وَيَعُودُ بِهِ يَنْطَفُ^(١١) دَمًا، وَيَقْطُرُ مُهْجًا، وَهُوَ مَعَ تِلْكَ الْحَالِ، زَاهِدُ الزَّهَادِ، وَبَدَلَ الْأَبْدَالِ^(١٢)، وَهَذِهِ^(١٣) مِنْ فَضَائِلِهِ الْعَجِيبَةِ، وَخَصَائِصِهِ اللَّطِيفَةِ، الَّتِي جَمَعَ بِهَا^(١٤) بَيْنَ الْأَضْدَادِ، وَالْف

(١) فِي هـ. ص: فِي نَسْخَةٍ: مَلَا حِمَّةً، وَالْمَلَامِحَةُ هِيَ الْمَشَابِهَةُ، وَفِي هـ. أ: مَشَابِهَةٌ.

(٢) فِي هـ. ص: كَتَبَ فَوْقَ «كَلِمٍ»: «كَلَامٌ».

(٣) فِي هـ. أ: النُّكْتَ: مَا يَدُلُّ عَلَى تَأْثِيرٍ، وَالنُّكْتَةُ: النُّقْطَةُ مِنْ ذَلِكَ كَأَنَّهُ تَلُوحٌ وَتَبْيِينٌ...

(٤) فِي هـ. أ: أَيِ التَّنَاقُصِ، وَفِي نَسْخَةٍ: التَّوَالِي. (٥) أ: الْمَوَاعِظَةُ.

(٦) فِي «ص» كَتَبَ فَوْقَ «قَلْبِهِ» مَا يَلِي: «عِلَاقَةُ الْهَوَى».

(٧) فِي هـ. ب: قَبَعَ الْقَنْفَذَ قَبْعًا وَقَبُوعًا: إِذَا أَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي جِلْدِهِ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ إِذَا أَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي قَمِيصِهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَبُوعِ الْقَنْفَذِ، وَفِي هـ. أ: انْزَوَى.

(٨) هـ. أ: كَسَرَ الْبَيْتَ: أَسْفَلَ شِقَّتَهُ الَّتِي تَلِي الْأَرْضَ...

(٩) فِي هـ. أ: فِي نَسْخَةٍ: إِلَى.

(١٠) فِي هـ. أ: أَيِ يَلْقِيهِ عَلَى الْجِدَالَةِ، وَهِيَ الْأَرْضُ.

(١١) فِي هـ. أ: أَيِ يَقْطُرُ الدَّمُ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا.

(١٢) فِي هـ. أ: قِيلَ الدُّنْيَا لَا تَقُومُ إِلَّا بِأَرْبَعِينَ بَدَلًا وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَشْتَغِلُونَ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِهِمْ تَدْفَعُ عَنْ أَهْلِهَا الْبَلَايَا، وَإِنَّمَا سَمَّوْا الْأَبْدَالَ؛ لِأَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ إِذَا تَوَفَّى قَامَ بَدَلُ [آخَرِ مَقَامِهِ]، وَيَعْنِي: أَفْضَلُهُمْ، كَمَا يَقَالُ: شَرِيفُ الْأَشْرَافِ.

(١٣) فِي «ص»: وَهَذَا، وَفِي هـ. أ: أَيِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ.

(١٤) فِي «ص»: فِيهَا، وَفِي هـ. أ: أَيِ بِالْخَصَائِصِ وَالْفَضَائِلِ.

بين الأشتات، وكثيراً ما أذاكرُ الاخوان بها، وأستخرجُ عَجَبَهُم^(١) منها، وهي موضع للعبارة بها^(٢)، والفكرة فيها.

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار: اللفظ المكرر والمعنى المردد^(٣)، والعذر في ذلك: أن روايات كلامه تختلفُ اختلافاً شديداً، فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه^(٤) الأول، إما بزيادة مختارة أو بلفظ^(٥) أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يُعاد، استظهاراً للاختيار، وغيرةً على عقائل^(٦) الكلام، وربما بُعد العهد - أيضاً - بما اختير أولاً، فأعيد بعضه سهواً ونسياناً، لا قصداً أو اعتماداً.

ولا أدعي مع ذلك أنني أحيطُ بأقطار جميع كلامه حتى لا يشذ عني منه شاذ، ولا يند ناد، بل لا أبعد أن يكون القاصِرُ عني فوق الواقع إليّ، والحاصل^(٧) في ربّقتي^(٨) دون الخارج عن يديّ، وما عليّ إلا بذلُ الجهد وبلاغُ الوسع، وعلى الله سبحانه نَهْجُ السبيل ورشاد الدليل إن شاء الله^(٩).

ورأيتُ - من بعدُ - تسمية هذا الكتاب بـ «نهج^(١٠) البلاغة»، إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها^(١١)، ويقربُ عليه طَلابُها، وفيه حاجةُ العالم والمتعلّم، وبُغيةُ البليغ والزاهد^(١٢)، ويمضي في أثناؤه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شَبّه الخلق، ما هو بِلَالٍ كُلِّ غُلَّة^(١٣) وشفاء كُلِّ عِلَّة، وجلاء كُلِّ شبهة.

(١) في هـ. أ: استخراج عجبهم بأن يعرفهم بأنهم عاجزون عنها وعن أمثالها، فلا يبقى لهم حينئذٍ عجب بأنفسهم من معرفتها. (٢) في هـ. أ: أي بالخصائص.

(٣) في أ و ب و د: اللفظ المردد والمعنى المكرر.

(٤) في هـ. ص: موضعه - خ ل. (٥) في «ب» و «د»: أو لفظ.

(٦) في هـ. أ: العقيلة: كريمة الحي، وكريمة الإبل، وعقيله كل شيء، أكرمه، والدرّة عقيلة: لأنّها تعقل ولا تبذل. (٧) في «ص»: والواقع.

(٨) الربة: حبل يشدّ به. (٩) في «ب»: زيادة: تعالى.

(١٠) في هـ. أ: النهج الطريق الواضح، والنهج، والمنهاج.

(١١) في هـ. أ: أي: أبواب البلاغة. (١٢) في هـ. أ: الزاهد - ها هنا - أي قليل الكلام.

(١٣) في هـ. أ: أي بلة كل عطش.

وَمِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ اسْتَمَدَّ التَّوْفِيقَ وَالْعِصْمَةَ، وَأَتَنَجَّزُ^(١) التَّسْدِيدَ وَالْمَعُونَةَ، وَأَسْتَعِيْذُهُ مِنْ
خَطَا الْجَنَانِ قَبْلَ خَطَا اللِّسَانِ، وَمِنْ زَلَّةِ الْكَلِمِ قَبْلَ زَلَّةِ الْقَدَمِ [وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ]^(٢).

(١) في هـ. أ: أي أستنجز، [يقال:] نجز حاجته ينجزها تنجزاً: قضاها.
(٢) من أب ود.

باب الخطب والاوامر

باب المختار من خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه
و [أوامره ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب،
في المقامات المحصورة، والمواقف المذكورة، والخطوب الواردة
ويدخل في ذلك المختار من]^(١) كلامه الجاري مجرى الخطب

(١) ما بين المعقوفتين من «أ» و «د»، ولم يرد في «ص» و «ط»، وورد العنوان في «ب»
هكذا: «باب المختار من خطب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام».

من ^(١) خطبة له

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم عليه السلام ^(٢)

الْحَمْدُ ^(٣) لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِذْحَتَهُ ^(٤) الْقَائِلُونَ ^(٥)، وَلَا يُخْصِي
نِعْمَاءَهُ ^(٦) الْعَادُّونَ ^(٧)، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ ^(٨) الْمُجْتَهِدُونَ ^(٩)، الَّذِي لَا يُذَرِّكُهُ بُعْدُ
الْهِمَمِ ^(١٠)، وَلَا يَنَالُهُ غَوْضُ الْفِطَنِ ^(١١)، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ ^(١٢) حَدٌّ

(١) في «أ» و«ب»: ومن. وفي «د» و«ط»: فمن.

(٢) في هـ. ص: «يتلو هذه الخطبة: كتاب (إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين) تأليف السيّد العلامة، وتحرير العارف الفهامة، بقيّة العلماء الأبرار، ومفخر الحكماء والأخيار، واحد زمانه، والمبرز على أقرانه، الواصل بتحقيقه إلى الرتبة العليا، عماد الدين، يحيى بن إبراهيم بن يحيى، تلقاه الله في رضاء الأمل، وختم زمانه بنيل العلم والعمل، والله يبقيه لنا سالماً بزيادة تبجيل وتعظيم.

نقل هذا من خطّ السيّد العلامة ضياء الدين إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى عليه السلام.

(٣) في هـ. أ: الحمد والمدح لفظان. [بمعنى] الثناء الجميل الواقع. وأقول: الحمد هو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها، والمدحة: فعلة من المدح، وهي الهيئة، كالجلسة للجالس.

(٤) في هـ. أ: [المدحة] للهيئة، أي: كما يستحق أن يحمد.

(٥) في هـ. أ: ولم يقل: «المادحون»: لأنّ القائلون أعم.

(٦) في «أ»: نعماء، وفي هـ. أ: في نسخة: نعمه، وفي هـ. د: نعمه - م. وفي هـ. أ: النعماء: النعمة.

(٧) في هـ. أ: أي عادّوا نعمه. (٨) في هـ. أ: أي ما وجب عليهم.

(٩) في هـ. أ: أي حاملو أنفسهم للإجتهد في طاعة الله.

(١٠) في هـ. أ: جمع الهمة، وهي فعلة من الهم، يعني القصد...، أمّا الهمة تطلق على قصد النفس، و [منه] فلان على الهمة، ومراده: [عدم وصول الهمم] إلى معرفة ذاته.

(١١) جمع فطنة، هو الحدس، وفي هـ. أ: جع الفطنة وهي: الفهم.

(١٢) في هـ. أ: أي ليس لصفته عند مقايسته إلى [الغير] كالعلم والقدرة والحياة، حدّ ونهاية.

وفي هامش آخر: معناه: أنّه لا نهاية؛ لكونه مختصاً بصفات ذاته؛ لأنّه لا نهاية لكونه موجوداً، ولا بدّ إذا كان موجوداً أن يكون مختصاً بصفات ذاته؛ لأنّه قديم، فكما أنّه لا بدّ أن يكون قديماً لم يزل ولا يزال، لا بدّ فيه أن يختصّ بصفات ذاته.

مَحْدُودٌ^(١)، وَلَا نَعْتَ مَوْجُودٌ^(٢)، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ^(٣) مَمْدُودٌ، فَطَرَ^(٤) الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ^(٥)، وَوَتَدَّ^(٦) بِالصُّخُورِ مِيدَانٌ^(٧) أَرْضِهِ.

أَوَّلُ الدِّينِ^(٨) مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ^(٩) تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ^(١٠)، لِشَهَادَةِ^(١١) كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ.

(١) في هـ. أ: أي معيّن لا حدّ ذو حدّ. وفي هامش آخر: قوله ﷺ: «محدود»، للمبالغة كقولهم شعر شاعر.

وفي هامش آخر: قوله ﷺ: «الذي ليس لصفته حدّ محدود» أي ليس لمطلق ما يعتبره عقولنا له من الصفات السلبية والإضافيّة نهاية معقولة لدينا فيكون حدّاً له، وليس لمطلق ما يوصف به أيضاً... بجمعه فيكون نعتاً له ومشخصاً به، وقال الكيدري: مثل قول العرب: ولا يرى الضب فتتحجر، أي ليس لها فتتحجر، أي ليس له صفة فتحدّ؛ إذ هو وجه ينزّه عن الكثرة بوجه ما، ويمتنع أن يكون له صفة تزيد على ذاته كما في سائر الممكنات، و [الصفات] المعلومة ليست من ذلك في شيء [بل هي مجرد] نسب وإضافات، والدليل على ذلك قوله بعد ذلك: «فمن وصفه، فقد حدّه».

(٢) في هـ. أ: أي لا منوعات، معناه: لا مثل له فيما يختصّ به من صفات ذاته.

(٣) الأجل: المدة التي تضرب للشيء، وكل أجل فهو لا بد وأن ينتهي ويمكن أن يقسم، فلذا لا يوصف به الله سبحانه.

(٤) في هـ. أ: أي ابتداءً وابتدع.

(٥) في الأصل: لرحمته، وفي هامش الأصل: برحمته.

(٦) كذا في الأصل، ولكن في هامش الأصل: في نسخة: وتد - بالتخفيف -.

وفي هـ. أ: في شرح الإمام قطب الدين: عبّر ﷺ بالتوتيد عن إرادة ما هو الكائن أوّل مرّة أو عما يكون يكون في آخر الأمر. وفي هـ. أ: وتد - بالتخفيف - وهو ضرب الوجد في حائط أو غيره، وهو مأخوذ من قوله تعالى: «والجبال أوتادا».

(٧) في هـ. أ: مصدر «ماد» «يميد» أي تحرك واضطرب.

(٨) في هـ. أ: أي أوّل أمور الدين: المقصود في نفسه.

(٩) في هـ. أ: أي معرفة أنّه واحد في صفات الإلهيّة، وهو مخالف لما عداه فيما يختصّ به، ... لا يشارك فيه غيره.

(١٠) في هـ. أ: أي الصفة إنّما تطلب لتعريف الشيء، فلا بدّ أن يكون غير الموصوف ليصحّ التعريف بها؛ لأنّها لو كانت نفس الموصوف لكان ذلك تعريف الشيء بنفسه.

(١١) في هـ. د: بشهادة - م.

فَمَنْ وَصَفَ^(١) اللَّهَ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ^(٢)، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ^(٣).

وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّه، وَمَنْ حَدَّه فَقَدْ عَدَّه، وَمَنْ قَالَ: فِيمَ؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ^(٤)، وَمَنْ قَالَ: عَلَى مَ؟ فَقَدْ أَخْلَى^(٥) مِنْهُ^(٦).

كَائِنْ^(٧) لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ^(٨)، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ^(٩)، وَغَيْرِ^(١٠)

(١) في هـ. أ: كما يوصف النوع بالجنس والفصل والخواص، فقد جمع شيئاً إلى شيء، ومن جمع بين الجنس والفصل ركب منهما نوعاً في ذهنه.

(٢) في هـ. أ: لأنَّ الجنس جزء النوع، والفصل جزء آخر، وكلُّها من أجزاء القوام.

(٣) هذا ما اتَّفقت عليه النسخ المخطوطة لنهج البلاغة والشرح الذي هو الأصل في هذا العمل، ولكن الملاحظ أن أغلب النسخ نهج البلاغة المطبوعة حديثاً، بما فيها الشرحين المطبوعين فيها إضافة جملة: «ومن جهله فقد أشار إليه»، ولعلَّ ذلك للمحافظة على سياق الجمل.

وهذه الجملة لا يمكن تفسيرها إلا بتكلف، ولم أجد من تنبّه لهذا الأمر إلا العلامة المحقّق علي أكبر الغفاري في تعليقه له على هذه الجملة في البحار ٧٤: ٣٠٠، ومن الملاحظ أن شرحي ميثم بن علي وابن أبي الحديد لم يتعرّضا لشرحها، انظر الصفحة ١٢٣ من شرح ميثم بن علي و١: ٧٥ من شرح ابن أبي الحديد، مع أنَّ المشرف على طبع الشرحين قد ذكر هذه الجملة في متن الخطبة، انظر شرح ميثم ١: ١٠٦ وشرح ابن أبي الحديد ١: ٧٣.

(٤) في هـ. أ: كلٌّ من قال: في ماذا هو؟ فقد جعل له مكاناً يتضمّنه.

(٥) في هـ. أ: كلٌّ من قال: على ماذا هو؟ فقد جعله عالياً على مكان وقد جعل ما تحته خالياً عنه.

(٦) في «ص»: عنه، وفي هـ. ص: في نسخة: منه.

(٧) في هـ. أ: أي موجود لم يزل، وقيل: أي موجود لا كوجود الإنسان من النطفة المحدثّة، والسيف من الحديد والحدث: المتولدات عن الأسباب المحدثّة.

(٨) في هـ. أ: أي لم يسبقه عدم أصلاً، كالعالم المحدث؛ فإنَّ الله تعالى أحدثه لا عن مادّة وأصل ومثال.

(٩) في هـ. أ: روي بمقاربة، وفي هـ. د: بمقاربة - ك. وفي هـ. أ ما يلي: بل باحاطة العلم والاعتدال على أبلغ ما يعقل، يقال: الأمير معي، أي مثاله معي، أو شرائعه، أو نصرته؛ وذلك بعد تحقق استحالة المعية في حقه تعالى بالحلول والمجاورة.

(١٠) في «أ»: وبائن عن كلِّ شيء، وفي هـ. أ في نسخة: وغير كلِّ شيء.

كُلُّ^(١) شَيْءٍ لَا يَمْرَآئِلَةٌ^(٢)، فاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ، بِصِيْرٍ إِذْ لَا مَنظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنٌ^(٣) يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.
أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً^(٤)، بِلا رَوِيَّةٍ^(٥) أَجَالَهَا^(٦)، وَلَا تَجْرِيَّةَ اسْتِفَادَهَا^(٧)، وَلَا حَرَكَةَ أَخْذَتَهَا، وَلَا هَمَامَةَ^(٨) نَفْسٍ اضْطَرَبَ^(٩) فِيهَا، أَحَالَ^(١٠) الْأَشْيَاءَ^(١١) لِأَوْقَاتِهَا^(١٢)، وَلَئِمَّ^(١٣) بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا^(١٤)، وَغَرَزَهَا^(١٥)

(١) في هـ. ص: في نسخة: وغير لكل شيء.

(٢) في هـ. أ: أي المزايلة بالتباين.

وفي هـ. أ: ما يلي: الغيرية بالمزايلة هي انفراد الذات عن ذات أخرى وهي صفة... لكل شيء، فلا تقع المباينة بها بين القديم وكل محدث، فلا تعقل الغيرية لا بالمزايلة إلا المخالفة والمباينة في الصفات.

(٣) السَّكَنُ: ما يسكن إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢٠ / ٢١].

(٤) في هـ. د: وابتدأ ابتداء - ن.

(٥) في هـ. أ: الرويَّة: الفكرة، وأجالها رددها، ومن رواه: «أحالتها» أراد: صرفها.

(٦) في هـ. أ: أي بلا فكرة أدارها، وفيه أيضاً: الإجالة: الإدارة... أخذ الفائدة.

(٧) في هـ. أ: أي استفاد منها.

(٨) في هـ. د: ولاهمة - م، ويروى: هما هم - ك. وفي هـ. أ: همامة النفس هنا: قواها، كالحس المشترك والخيال...، ويروى «هماهمة» من الهمهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر، ويروى: ولاهمة نفس.

(٩) في هـ. أ: أي تحرَّك.

(١٠) في هـ. ص: في نسخة: أحلّ، هذا ولكن ظاهر ألف: أجال، وفي هـ. د: أجال - ر.

(١١) في هـ. د: وروي: أجل الأشياء - ك.

(١٢) في هـ. ص: قوله ﷺ «أحال الأشياء»، من رواها: «أحلّ» فمعناها: جعل محل كل شيء وقته، كمحل الدين. ومن رواها: «أحال» فهو من قولك: حال في متن فرسه، أي: وثب، وأحاله غيره، أي: أوثبه على متن الفرس - عداه بالهمزة - فكأنه لما قرّر الأشياء في أحيائها وأوقاتها صار كمن أحال غيره على متن فرسه.

(١٣) في «أ»، «ب»، «د»: لأم، وفي هـ. أ: أي وجمع.

(١٤) في هـ. ص: قوله «ولائم بين مختلفاتها» أي جعل المختلفات ملتزمة، كما قرن النفس الروحانية بالجسد الترابي - جلّت عظمتة -.

(١٥) كذا في ص، وفي «أ»: الكلمة غير واضحة، وفي ب ود وط: وغرز، وفي هامش الأصل: عن نسخة: وأغرز، وفي هـ. أ: أي ركب.

غَرَائِزَهَا^(١)، وَأَلْزَمَهَا^(٢) أَشْبَاحَهَا^(٣)، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا^(٤)، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا
وَانْتِهَائِهَا^(٥)، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا^(٦) وَأَخْنَائِهَا^(٧).

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ^(٨) الْأَجْوَاءَ^(٩) وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ^(١٠) وَكَائِكَ^(١١) الْهَوَاءَ^(١٢) فَأَجَارَ^(١٣)

(١) في هـ. أ: أي طباعها، وفي هـ. ص ما يلي: وقوله: «وغرّزها غرائزها» المروي - بالتشديد -
والغريزة: الطبيعة، و«غرّزها» أي جعلها غرائز، كما قيل: سبحان من ضوّا الأضواء، ويجوز أن
يكون من غرزت الأبرة: أي غرست، وقد رأينا في بعض النسخ بالتخفيف.

(٢) في «ب»: وألزم.

(٣) في «أ» و هـ. ص: في نسخة: وأسناخها. وفي هـ. د: وروي أسناخها - ك. وفي هـ. أ: أي أصلها.
وفي هـ. ص - أيضاً - ما يلي: وقوله: أو «ألزمها - أي الغرائز - أشباحها» أي أشخاصها، جمع
شبح، وهذا حق؛ لأنّ كلّ مطبوع على غريزة فهي لازمة له، فالشجاع لا يكون جبناً، والبخيل
لا يكون جواداً، وكذا كلّ الغرائز لازمة لا تنتقل.

(٤) في هـ. ص: وقوله: «عالمًا بها قبل ابتدائها» إشارة إلى أنّه أحال الأشياء فيما لم يزل.

(٥) في هـ. أ: أي عالمًا، وفي هـ. ص: وقوله: «محيطاً بحدودها وانتهاؤها، أي بأطرافها ونهاياتها.

(٦) في هـ. أ: أي أمثالها.

(٧) في هـ. ص: في نسخة: أنحائها، وفي هـ. د: وروي: اختائها - ك. وروي: أخياتها - د وفي هـ. أ:
أي جوانبها التي بها تنتهي، وفي هـ. ص ما يلي: قوله: «عارفاً بقرائنها وأحنائها»، والقرائن
جمع قرونة، والأحناء: الجوانب، جمع «حنو» يقول: الله سبحانه عارف بنفوس هذه الغرائز
التي ألزمها أشباحها، عارف بجهاتها وسائر أحوالها المتعلقة بها، والصادرة عنها. انتهى من
شرح ابن أبي الحديد أكثرها. قلت: واحناء الأمور: متشابهاتها.

(٨) في هـ. أ: الفتق: فرجة بين جزئي المفتوق، وهي فضاء وخلا، وإذا كان الفتق مخلوقاً كان
موجوداً؛ لأنّ المعدوم ليس بمخلوق، وإنما خلق الفضاء أولاً؛ لأنّه أقرب شيء إلى العدم...
وبعده في [اللفظ] الماء.

(٩) في هـ. أ: الجو: الهواء المتباعد من الأرض في الأرجاء جمع الرجى - مقصور الألف - وأما
إضافة الفتق إلى الأجواء فهو من باب إضافة العام إلى الخاص كما في يوم أحد، وأما إضافة
سماء رجاء فكإضافة غلام زيد، وإنما هي الفرجة التي في جميع نواحي سماء...، والسماء
وهو الهواء الذي بينهم.

(١٠) في هـ. أ: جمع سكاكة، كذؤابة وذوائب، وهي أعلى [الفضاء] وهو الذي يلاقي عنان السماء.

(١١) في هـ. أ: أي المكان الخالي.

(١٢) كذا في «ص» و «أ»، وفي هـ. أ: أي فأجرى، ومن روى: «أجاز فيها» أي أدار. وفي هـ. د:
فأجار - ر. هذا، وفي النسخ المطبوعة: فأجرى.

فِيهَا مَاءٌ مُتَلَاظِمًا^(١) تَيَّارُهُ، مُتْرَاكِمًا^(٢) زَخَّارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَتْنٍ^(٣) الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ^(٤)،
وَالزَّعْزَعُ^(٥) الْقَاصِفَةُ^(٦)، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شِدَّةِ^(٧)، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ^(٨)، الْهَوَاءُ
مَنْ تَحْتَهَا فَتَيْقٌ، وَالْمَاءُ مَنْ فَوْقَهَا دَفِيقٌ^(٩).

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا^(١٠)، وَأَدَامَ مُرَبَّيْهَا^(١١)، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا^(١٢)، وَأَبْعَدَ
مَنْشَاهَا^(١٣)، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ^(١٤) الْمَاءِ الزَّخَّارِ^(١٥)، وَإِثَارَةِ^(١٦) مَوْجِ الْبَحَارِ، فَمَخَضَّشَهُ^(١٧)

(١) هـ. أ: أي متراداً أمواجه، والتلاطم: التضارب باللطمة، والتيار: موج البحر، وزخر البحر فهو زاهر من الماء: إذا جاش وامتلاً. (٢) في هـ. أ: أي متراكباً.

(٣) في هـ. أ: المتن لكل شيء: ما صلب واشتد [منه].

(٤) في هـ. أ: شديدة الجريان. وفي هامش آخر: شديدة المهب.

(٥) في هـ. د: وروي والرعود - ر، وفي هـ. ص: الزعزع القاصفة: شديدة الهبوب.

(٦) الزعزع: الريح التي تززع الأشياء، أي تحركها بقوة، والقاصفة: التي تحطم ما تمر عليه.

(٧) في هـ. ص: أي وثاقه، كأنه سبحانه لما سلط الريح على منعه من الهبوط، فكأنه قد شده بها.

(٨) أي قرن الريح إلى حد الماء، أي جعل الريح مكاناً للماء، تحمله على متنها وتقله، ومنح الريح جاذبية تمكّنها من مسك الماء بحيث لا يفلت منها ولا قطرة.

(٩) الفتيق: المفتوق المنبسط، والدفيق: المدفوق، أي أن الهواء التي تكون تحت السحاب تجري بانسباط، في حين أن الماء يكون فوقها، ومن شأن الماء، وطبعه أن يكون متحركاً إلى الأسفل لثقله، وهذا بيان لقدرة الله سبحانه.

(١٠) في هـ. أ: المهبّ مصدر، بمعنى الهبوب، وكذا المربّ بمعنى الربّ، أي جمع الله لها... المفعول، وليس جعله مضافاً إلى الفاعل، يعني سياستها للماء وله، أو جمعها له بوجه، لانه ^{عَلَيْهَا} قال بعد في وصفه شدة الريح: «أمرها بتصفيق».

وفي هامش آخر منه: وقوله: «اعتقم مهبتها» أي أنه تعالى عقد مهب الريح حتى تهب بقدر، ولم يطلقها مرة واحدة فتفسد ما تأتي عليه.

وفي هـ. ص: أي جعل هبوبها عقيماً لا يلقح سحاباً ولا شجراً.

(١١) في هـ. ص: أي ملازمته، له، أرب بالمكان: لازمه. وفي هـ. أ: «مربها» جمعها، من رب الشيء: إذا جمع، و«أدام مربها» أي جمع الريح على الماء.

(١٢) في هـ. أ: أي أجرى جريها بقوة وشدة.

(١٣) في هـ. أ: أي أبعد موضع نشوءها، أي حدوثها.

(١٤) التصفيق: التحريك والتغليب، وفي هـ. أ: التصفيق، الضرب المتراّد المصوّت.

(١٥) في هـ. أ: الزخار، مبالغة الزاخر، وهو الممتمليء.

(١٦) في هـ. أ: دفعه، أثار الموج، أي دفعه. (١٧) في هـ. أ: أي حرّكته.

مَخْضُ السَّاءِ^(١)، وَعَصَفَتْ^(٢) بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ^(٣)، تَرْدُّ أَوَّلَهُ^(٤) عَلَى^(٥) آخِرِهِ، وَسَاجِيَّةٌ^(٦) عَلَى مَائِرِهِ^(٧)، حَتَّى عَبَّ^(٨) عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبِيدِ زُكَامُهُ^(٩)، فَرَقَعَهُ^(١٠) فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ^(١١)، وَجَوٍّ مُنْفَتِقٍ^(١٢)، فَسَوَّى^(١٣) مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً^(١٤) وَعُليَاهُنَّ سَقْفاً^(١٥) مَحْفُوظاً^(١٦)، وَسَمَكاً مَرْفُوعاً^(١٧)، بِغَيْرِ عَمَدٍ^(١٨) يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ^(١٩) يَنْتَظِمُهَا^(٢٠).

- (١) في هـ. أ: السقاء يعمل من الجلود للبن [والماء]، ويمخض السقاء لإخراج الزبد.
(٢) في هـ. أ: أي مَرَّت سريعة. (٣) في هـ. أ: أي الصحراء.
(٤) في هـ. أ: أي ما وصلت إليه الريح، وكونه أول الماء...، وقوله: «ساجية» من سجا الليل والماء: إذا [سكن] و«مائره» من مار، أي تحرك وجاء وذهب.
(٥) في «ط»: «تردُّ أوله إلى آخره، وساجية إلى مائره» وفي هـ. د: نفس هذه العبارة، عن ض. ب.
(٦) في هـ. أ: أي ساكنه. وفي هـ. ص: ساجية: ساكنه.
(٧) في هـ. أ: أي متحركه. وفي هـ. ص: مائره: متحركه.
(٨) في هـ. ص: أي علا ما بعده. وفي هـ. أ: أي ارتفع معظم الماء.
(٩) في هـ. أ: أي المتراكم. (١٠) في هـ. أ: أي الماء الزبد.
(١١) في هـ. أ: أي منفتح.
(١٢) في هـ. ص: منهق، أي مفتوح واسع. وفي هـ. أ: أي واسع.
(١٣) في هـ. أ: أي جعلها مستوية لا اعوجاج فيها.
(١٤) في هـ. أ: قال ابن أبي الحديد: يعني أن السماء الدنيا موج مكفوف، بخلاف السماوات الفوقانية، قيل: أراد أن [السماء كان] في الأول موجاً ثم عقدها وكفها، استعمل الموج للسماء لما بينها من المشابهة في [العلو]. وفي هـ. أ: [مكفوفاً] أي ممنوعاً من الحركة الطبيعية إلى السفلى.
(١٥) في هـ. أ: استعار لفظ السقف من البيت للسماء، في الأصل: لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والإحاطة، ثم كثر ذلك الاستعمال حتى صار اسماً من أسماء السماء.
(١٦) في هـ. أ: أي من الشياطين، قال ابن عباس: كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السماوات كلها، واقتبس عليه السلام ذلك [من قوله تعالى: ﴿وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ الحجر: ١٥ / ١٧].
(١٧) سمك البيت: سقفه، وفي هـ. أ: مرفوعاً، أي عالياً مرتفعاً، بمعنى المفعول، أي مسموكاً.
(١٨) جمع عمود، ويدعمها: يسندها ويكون لها دعامة.
(١٩) في هـ. ص: الدسار: هو المسمار، وفي هـ. أ: الدسار: كل شيء أدخلته في شيء شدة، كسمار.
(٢٠) في هـ. د: ولادثار ينظمها - ض، وفي هـ. أ: المعنى إن هذه من الاجرام العظيمة في الجوّ العالي، ويحتمل أن يكون وقوفها هناك لذواتها، لأن الأجسام متساوية في الجسميّة، فلو

ثُمَّ زَيَّنَهَا^(١) بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الشُّوَاقِبِ^(٢)، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيرّاً، وَقَمراً مُنِيرّاً، فِي فَلَكٍ^(٣) دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ^(٤)، وَرَقِيمٍ^(٥) مَائِرٍ^(٦).

ثُمَّ فَتَقَ^(٧) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى^(٨)، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً^(٩) مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ: سُجُودٌ لَا يَزْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ^(١٠)، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ^(١١)،

→ وجب حصوله في حيّز لكونه جسماً، لزم أن يكون جميع الأجسام في حيّز واحد، أو لكونه جسماً معيناً لكان جميع أفراد نوع منها حاصلات في حيّز واحد، وهو محال. فلم يبق إلا أن يكون وقوفها بقدرة الله تعالى التقدير العليم الحكيم.

(١) في هـ. أ: أعلم أنه ﷺ شبه هذا العالم بأسره بشيء واحد، فالسمااء كقبة خضراء نصبه على الماء، وجعلت سقفاً محفوظاً محجوباً عن أن يصل إليه مردة الشياطين، كما تحمي غرف البيت بالسهام والحرايب عن مردة اللصوص. ثم هو مع عامة علوه وارتفاعه غير محمول بعمد يدعمه، ولا منظوم بدسار يشده، بل بقدرة صانعه ومبدعه.

ثم إن تلك القبة مزينة بالكواكب وضيائها، الذي هو أحسن الزينة وأكملها، فلو لم تحصل صور الكواكب في الفلك لبقى سطحاً مظلماً، وأنت إذا تأملت وجدت الكواكب في سطح من زمرد. وكان أجرام النجوم لوامعاً درر نثرن على بساط أزرق

(٢) في هـ. أ: الشواقب استعارة عن الأجسام التي تثقب [الشیطان] وتنفذ فيه؛ ولأجلها سمي الشهاب ثاقب [لأنه ينقب] بنوره الهواء، لكنّه لكثرة الاستعمال فيه [صح] إطلاقه عليه حقيقة.

(٣) في هـ. أ: الفلك مأخوذ من فلكة الغزل في الاستدارة.

(٤) في هـ. أ: أي متحرك، يجيء ويذهب.

(٥) أي اللوح المتحرك، كُتبي به عن الفلك، سمي بالرقيم لرقمه بالكواكب كالثوب المنقوش. هـ. أ: الرقيم اسم للفلك، واشتقاقه من الرقم، والرقيم: الكتاب.

(٦) في هـ. د: وسقف مائر، ورقيم سائر - ع، وفي هـ. ص: أي لوح متحرك سمي الفلك رقيماً؛ تشبيهاً باللوح.

(٧) في هـ. أ: هذا الفصل أيضاً من تمام التفسير لقوله: «فسوّى منه سبع سموات» إذ كان ما أشار إليه ها هنا من بين السموات إلى طبقاتها، وإسكان كل طبقة منها ملائمة من ملائكته، هو من تمام التسوية والتعديل لعالم السماوات.

(٨) في هـ. ص - بعد كلمتين لا يمكن قرائتهما ما يلي -: إلى السموات وترك الأرضون.

(٩) في هـ. ص ما يلي: قال في الصحاح: الناس أطوار أي أجناس على أحوال شتى. وفي هـ. أ: أصناف في ألوانهم ولغاتهم ومراتبهم. وفي هـ. أ: الحالات المختلفة والألوان المتباينة.

(١٠) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ٣٧ / ١].

(١١) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٤١ / ٤٩].

لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ^(١)، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ^(٢)، وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ.
وَمِنْهُمْ^(٣): أَمْنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ^(٤)، وَالسَّيِّئَةُ إِلَى رُسُلِهِ^(٥)، وَمُخْتَلِفُونَ^(٦) بِقَضَائِهِ^(٧) وَأَمْرِهِ.
وَمِنْهُمْ: الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ^(٨)، وَالسَّدَنَةُ^(٩) لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ^(١٠).
وَمِنْهُمْ: الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ^(١١)، وَالْمَارِقَةُ^(١٢) مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا
أَعْنَاقُهُمْ، وَالخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ^(١٣) لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ^(١٤)، نَاكِسَةُ
دُونِهِ^(١٥) أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ^(١٦) تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ^(١٧)
حُجُبُ الْعِزَّةِ.
وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ^(١٨)،
وَلَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاكِينِ^(١٩)، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ^(٢٠).

-
- (١) في هـ. د: نوم العين - ب.
(٢) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿يَسْتَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾. [الأنبياء: ٢١ / ٢٠].
(٣) في هـ. د: فمنهم - م.
(٤) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ٢٦ / ١٩٣].
(٥) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾. [الحج: ٢٢ / ٧٥].
(٦) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾. [سورة القدر: ٩٧ / ٤].
(٧) في هـ. أ: لقضائه.
(٨) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦ / ٦١].
(٩) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الزمر: ٣٩ / ٧١]. والسدنة: الخدم.
(١٠) في هـ. د: جنابه - م.
(١١) في هـ. د: في الأرض أقدامهم - م.
(١٢) في هـ. أ: أي الخارجة.
(١٣) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٦٩ / ٧].
(١٤) في هـ. أ: جمع الكنف.
(١٥) في هـ. أ: أي دون قوائم العرش.
(١٦) في هـ. ص وفي هـ. أ: أي ملتحفون.
(١٧) في هـ. ص: قال في الشرح: أي الملائكة الذين دون هؤلاء في الرتبة.
(١٨) في هـ. ص: المخلوقين.
(١٩) في هـ. د: بالمواطن - م.
(٢٠) في هـ. د: وروي بالنواظر - ك: وفي هـ. أ: أي لا يقصدون له مثلاً يشيرون إليه.

منها: في صِفَةِ خَلْقِ آدَمَ:

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهَّلَهَا^(١)، وَعَذَّبَهَا وَسَبَّخَهَا^(٢)، تَزَيَّنَّ سَنَهَا^(٣) بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ^(٤)، وَلَاطَهَا^(٥) بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ^(٦)، فَجَبَلَ^(٧) مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أُخْتَاءٍ وَوُصُولٍ^(٨)، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ^(٩)، أَجْمَدَهَا^(١٠) حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ^(١١)، وَأَضْلَدَهَا^(١٢) حَتَّى صَلَّصَتْ^(١٣)، لَوَقَّتِ^(١٤) مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ^(١٥) مَعْلُومٍ.

(١) حزن الأرض: ما غلظ منها وصلب كالحجر، ضد السهل.

(٢) العذب: الخصب، وفي هـ. ص: السبخ: المالح.

(٣) في هـ. أ: في نسخة: ثَمَّ سَنَهَا. وسنها: أي رققها، وقيل بلَّها وخطها. وفي هـ. أ: السن: صب الماء بالرفق، منه قولهم: مسنون الوجه، فيقال: إن اللحم سن على وجهه أي صب. ويقال: سننت الماء على وجهي: أرسلته. وقوله: «سنها بالماء» قال في الشرح: أي ملسها، قال:

ثُمَّ خَاصَرْتَهَا إِلَى الْقَبَةِ الْخَضِ

— راء تمشي في مرمر مسنون

الشعر لعبد الله بن حسان بن ثابت يصف فيها ابنة معاوية (لسان العرب ١٧ / ٨٨). أي مملس (انتهى من شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٧).

(٤) في هـ. أ: في نسخة: خضلت. وفي هـ. د: خضلت - ع، وخلصت: أي صارت طينا، وخضلت: أي ابتلت، وفي هـ. ص: قوله: «حتى خلصت»، فالأولى إن السن هنا بمعنى صب الماء، ولكنه ضمَّنه معنى طهرها وصفها، كأنه قال: طهرها بسن الماء حتى خلصت. (والله أعلم).

(٥) في هـ. أ: في نسخة: وناطها. واللوط: الإلصاق، والبللة: النداة، لاطها بالرطوبة ومزجها بها، وفي هامش آخر: أي ألصقها. وقيل: ملطها، لاط الحوض بالطين: ملطه بها وطيته، اللوط: الإلصاق، وفي هـ. ص: لاطها، أي خلطها وداخل اجزائها.

(٦) في هـ. أ: لزبت أي لصقت، وقيل: بلَّت. (٧) في هـ. أ: أي خلق.

(٨) في هـ. ص: الأحناء هي الجوانب، وفي هـ. أ: الأحناء أي الجوانب. وقيل الأضلاع والأعضاء المعوجة، والوصول: العضو، يعني الأعضاء التي تصل بعضها بعضاً. وفي هامش آخر: أي المفاصل الموصلة بعض الأعضاء ببعض، قال الجلالى: وقد يراد بها الأعصاب والعروق.

(٩) في هـ. أ: أي المفاصل. (١٠) في هـ. أ: أي صيَّرها جامداً.

(١١) في هـ. أ: أي تمسك بعضها ببعض الآخر.

(١٢) في هـ. أ: بأن جعلها كالحجر الصلب، أي صلبها حتى جفت.

(١٣) في هـ. أ: أي صوتت وصارت كالصلصال، والصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل، وهو غير مطبوخ.

(١٤) في هـ. ص: اللام للاختصاص ووقت للظرفية، مثل: فعلت ليوم كذا.

(١٥) في ص: وأمد.

ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، فَمَثَلَتْ^(١) إِنْسَانًا^(٢) ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا^(٣)، وَفَكَرَ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا^(٤)، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُونًا بِطِينَةِ^(٥) الْأَلْوَانِ^(٦) الْمُخْتَلِفَةِ^(٧)، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ^(٨)، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ^(٩)؛ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ^(١٠)؛ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ.

وَاسْتَأْدَى^(١١) اللَّهَ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُنُوعِ^(١٢) لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ^(١٣)؛ «اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ»^(١٤) وَقَبِيلَهُ^(١٥)، اعْتَرَتْهُمْ^(١٦)

(١) في هـ. ص: في نسخة: فتمثلت.

(٢) في هـ. ص: أي ظهرت وبرزت. وفي هـ. أ: أي انتصبت.

(٣) الأذهان: جمع ذهن، وهو بمعنى الفطنة، ويطلق على القوة المدركة أيضاً، ويجيلها: أي يحركها ويديرها، وفي هـ. أ: أي يحيلها. (٤) في هـ. أ: أي يتخذها خوادم.

(٥) هـ. ص: أي بأصلها، والمراد: جعل له مزاجاً من مركباتها.

(٦) في «أ»: الألكوان.

(٧) في هـ. أ: المراد بالألكوان: الأشياء الموجودة، ولا شك في أن الإنسان خلق من أشياء مختلفة.

(٨) في هـ. أ: ويعني بالأشبهاء المؤتلفة: إن الله خلق لكل عضو من أعضاء الإنسان غذاء يشمل قوى مختلفة. (٩) في هـ. أ: الأضداد المتعادية هي الامكان.

(١٠) في هـ. أ: والأخلاق المتباينة هي الأخلاق الأربعة التي لا يخلو الإنسان منها، وطبع كل واحد بيبين الآخر.

(١١) في هـ. أ: واستأدى أي استرجع، مأخوذ من الاداء، يعني طلب الله تعالى منهم أداء وديعته، وهي ما عهد إليهم.

(١٢) في د وط: الخشوع، وفي هـ. د: والخنوع والخضوع لتكرمه - م، في هـ. ب: كلمة غير واضحة ولعلها: الخضوع، وفي هـ. ص: الخضوع. وفي هـ. أ: أي الخضوع، والخضوع له ... لأن الأدلة تفيد أنهم أمروا أولاً بالخضوع له في السجود، والثاني: ... على الخضوع له لتكرمه أبداً.

(١٣) في «أ»: فقال تعالى. (١٤) البقرة: ٢ / ٣٤

(١٥) كلمة: «وقبيله» ساقطة من د. وفي هـ. أ: القبيل: الجماعة من ثلاثة فصاعداً من قوم شئ من العرب والروم والزنج، فيجوز أن الله تعالى خلق شياطين مختلفة كانوا قبيل إبليس.

(١٦) في «د» و«ط»: اعترته، بالافراد، وكذا فيما يليه من الكلمات، مثل: عليه، وتمرز، واستوهم.

الْحَمِيَّةُ^(١)، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخَلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا^(٢) خَلْقَ الصَّلْصَالِ.
فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِيرَةَ^(٣) اسْتِحْقَاقاً لِلْسُّخْطَةِ^(٤)، وَاسْتِثْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَّةِ،
فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(٥).
لَمَّا أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ^(٦) فِيهَا عَيْشَهُ^(٧)، وَآمَنَ فِيهَا^(٨) مَحَلَّتَهُ^(٩)،
وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَّارَتَهُ، فَأَغْتَرَهُ^(١٠) عَدُوُّهُ؛ نَفَاسَةً^(١١) عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةَ
الْأَبْوَارِ^(١٢)، فَبَاعَ الْيَقِينَ^(١٣) بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ^(١٤) بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبَدَّلَ بِالْجَذَلِ^(١٥) وَجَلًّا^(١٦)،
وَبِالْأَغْزَارِ نَدَمًا.

→ قال الجلالى: اتفقت النسخ المخطوطة على وجود كلمة «وقبيله»، بينما اتفقت النسخ المطبوعة على حذفها؛ ولعل ذلك للإفراد الموجود في الضمير في قوله: «فأعطاه الله». حيث يستقيم المعنى، ولكننا أثبتنا ما اتفقت عليه النسخ المخطوطة، وهو ما استصوبه الشيخ التستري في بهج الصباغة ٢: ٤١ أيضاً، ولم يذكر وجه ذلك.

ومعنى العبارة على ما أثبتناه: ان ابليس لم يكن هو وحده الممتنع عن السجود، هذا وقد ذكر الله سبحانه قبيل ابليس في سورة الاعراف الآية: ٢٧، قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾. وذكر تعالى ذرية له في سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(١) في هـ. أ: أي غشيتهم ما يحمي الانسان من الأنفة.

(٢) في هـ. أ: أي استضعفوا.

(٣) في هـ. ص: بفتح النون وكسر الظاء: الالهال والتأخير.

(٤) في هـ. أ: السخط: الغضب. (٥) سورة ص: ٢٨ / ٨٠ - ٨٣.

(٦) في هـ. أ: أي طيب حياته.

(٧) في د وط: عيشته، وفي هـ. ص: في نسخة: عيشته.

(٨) في هـ. د: وامن فيها - م. (٩) في هـ. أ: أي موضع حلوله.

(١٠) في هـ. أ: أي أتاه على غرة: أي غفلة.

(١١) في هـ. أ: أي حسداً ويخلاً، يقال: نفس عليه الشي: إذا لم يره يستأهل ذلك.

(١٢) يراد بالابرار هنا: الملائكة.

(١٣) في هـ. أ: يقينه: علمه بعداوة الشيطان؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾.

[الاسراء: ١٧ / ٥٣].

وشكه: ظنه ان الشيطان صادق في قوله: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ [الاعراف:

٧ / ٢١]. (١٤) في هـ. أ: العزيمة: الاهتمام بالشيء.

(١٥) في هـ. أ: أي الفرح والسرور. (١٦) في هـ. أ: أي خوفاً.

ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ^(١)، وَلَقَاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ ^(٢)، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ وَتَنَاسُلِ الذَّرِيَّةِ ^(٣).

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ ^(٤) أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ^(٥)، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ ^(٦) الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَافْتَنَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ.

فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ ^(٧) إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذِنَهُمْ ^(٨) مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ ^(٩) مَنَسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجِّجُوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرَوِّعُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ ^(١٠)؛ مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادِ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَاشِ تَحِييِهِمْ، وَآجَالِ تَقْنِيهِمْ، وَأَوْصَابِ ^(١١) تَهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثِ ^(١٢) تَتَابُعِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ ^(١٣) لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ ^(١٤) قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قِلَّةُ

(١) في هـ. أ: يعني وعده الله تعالى قبول توبته.

(٢) في هـ. أ: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٢ / ٢٧] وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الاعراف: ٧ / ٢٣]. (٣) في «ب»: أبناء.

(٤) في هـ. أ: في نسخة: إيمانهم.

(٥) في هـ. أ: في نسخة: واختيلتهم [ظ]، وفي «د»: واجتالتهم، وفي هـ. د: في بعض النسخ: واحتالتهم - ع. ر، وفي هـ. أ: أي إغترتهم، وقيل: استخفتهم، وفي هـ. ص: اجتالتهم - بالخاء المعجمة -، قال في الشرح: يقال: اختال فلان فلاناً، واختاله عن كذا، وعلى كذا: أداره عليه، كأنه يصرفه تارة كذا وتارة كذا، يحسن له فعله ويغيره به، انتهى. قال الجلال: ومعناه بالمهملة: جعلت لهم الحيلة وصدتهم به عن معرفة الله، هذا، ووردت الكلمة في النسخ المطبوعة: اجتالتهم - بالجيم المعجمة - ومعناها: صرفتهم عن قصدهم الذي وجَّهوا إليه بالفطرة إلى غيره. (٦) في هـ. أ: أي تابع.

(٧) في هـ. أ: أي ليطلبوا منهم أداء ما ألزمهم من ميثاق خلق الله، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥١ / ٥٦].

(٨) في هـ. د: ويذكرونهم - م. (٩) في هـ. د: الآيات المقدرة - ض وب.

(١٠) في هـ. أ: الوصب: المرض. (١١) في هـ. أ: أي مصائب.

(١٢) الحجة: الدليل الذي يُغلب به الخصم. (١٣) في هـ. أ: أي الطريقة الواضحة.

(١٤) في هـ. أ: أي هم رسل.

عَدُوِّهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ؛ مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ غَايِرِ^(١) عَرَّفَهُ مِنْ قَبْلَهُ.
عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتْ^(٢) الْقُرُونُ، وَمَضَتْ الدَّهُورُ، وَسَلَفَتْ الْآبَاءُ، وَخَلَفَتْ الْأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ
بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِإِتْجَارِ عِدَّتِهِ، وَتَمَامِ نُبُوتِهِ، مَأْخُوداً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ،
مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ^(٣)، كَرِيماً مِلَادُهُ^(٤)، وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ. وَأَهْوَاءُ مُنْتَشِرَةٌ،
وَطَرَائِقُ مُتَشَتَّتَةٌ^(٥)؛ بَيْنَ مُشَبَّهِ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ^(٦)، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ^(٧)،
فَهْدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ^(٨) مِنَ الْجَهَالَةِ^(٩).

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ
بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبُلُوَى^(١٠)، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً ﷺ، وَخَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتْ الْأَنْبِيَاءُ
فِي أُمَمِهَا^(١١)؛ إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عَلمٍ^(١٢) قَائِمٍ؛ كِتَابَ
رَبِّكُمْ^(١٣)، مُبَيِّناً لَكُمْ^(١٤) حَلَالَهُ^(١٥) وَحَرَامَهُ^(١٦)، وَفَضَائِلَهُ وَفَرَائِضَهُ^(١٧).

(١) الغابر: اللاحق، الباقي.

(٢) في هـ: أي مضت. قال الجلالى: ويقرأ بالبناء للمجهول بمعنى: ولدت.

(٣) السمات جمع السمة، وفي هـ: أي علامته.

(٤) أي مولده، وقت الولادة. (٥) عبارة: «وطرائق متشتتة» لم ترد في ص.

(٦) الملحد في اسم الله: الذي يميل به عن حقيقة مسماه كمن يعتقد بالتشبيه والتجسيم.

(٧) كذا صحح في هـ. ص، وفي المتن: إلى خلقه.

(٨) ب: به، وفي هـ: أي بفضله.

(٩) في هـ: د: عبارة «فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة» ساقط من ن، ش.

(١٠) كذا صحح في هـ. ص، وفي المتن: عن مقام البلوى. وفي هـ: د: عن مقام البلوى - ح، ن.

والمعنى: أن النبي ﷺ رغب بما عند الله عن أن يقيم في دار البلاء، أو يكون مقارناً لدار البلاء

وهي الدنيا. (١١) في هامش الأصل: الأمم: الشعوب.

(١٢) العلم: العلامة وما ينصب لاهتداء الناس به.

(١٣) في ط زيادة: فيكم. (١٤) كلمة «لكم» غير موجودة في أ و ب و ط.

(١٥) في هـ: أ: كقوله تعالى: ﴿أُجِلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ المائدة: ٥ / ١

(١٦) في هـ: أ: كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ المائدة: ٥ / ٣

(١٧) في «ب» و«د»: وفرائضه وفضائله، وفي «أ» هكذا: وفرائضه ونوافله وفضائله. وفي هـ: أ:

وَنَاسِخَهُ^(١) وَمَنْسُوخَهُ^(٢)، وَرُخْصَتَهُ^(٣) وَعَزَائِمَهُ^(٤)، وَخَاصَّتَهُ^(٥) وَعَامَّتَهُ^(٦)، وَعَيْبَرَهُ^(٧) وَأَمْثَالَهُ^(٨)، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ^(٩)، وَمُحْكَمَهُ^(١٠) وَمُتَشَابِهَهُ^(١١).

مُفسِّراً جَمَلَتَهُ^(١٢)، وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ^(١٣)؛ بَيِّنَ مَاخُوذَ مِيثَاقِ عِلْمِهِ^(١٤) وَمَوْسِعَ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ^(١٥)، وَبَيِّنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرَضَهُ^(١٦) وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخَهُ^(١٧).

→ تحت كلمة وفرائضه: [مثل قوله تعالى]: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: ٥ / ٣]. وتحت كلمة: ونوافله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الاسراء: ١٧ / ٧٩].

- (١) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥ / ٥].
- (٢) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١٠٩ / ٥].
- (٣) في هـ. أ: الرخص، جمع الرخصة، وهو التسهيل في الأمر، ضد العزيمة، وفي هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٥ / ٣].
- (٤) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ٢ / ١٨٥].
- (٥) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٣ / ١٦]. وفي هـ. ص: يحتمل أن يريد ما اختص من الأحكام بعض الناس، والعام ما عمهم، ويحتمل أن يريد بالخاص: ما خص من عمومات فيه، والعام: ما بقي من العام على عمومته (والله أعلم).
- (٦) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٣ / ٩٧].
- (٧) في هـ. أ: كآيات التي فيها قصص الأنبياء.
- (٨) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢ / ١٦٢].
- (٩) المرسل: المطلق، والمحدود: المقيد، وفي هـ. أ: أي مقيد، مثل: ﴿أَتَقُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ٢ / ١٨٧].

- (١٠) من اللفظ: ما اتضحت دلالاته، وفي هـ. أ: كقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ / ١١٣].
- (١١) ما لم يتضح دلالاته إلا ببيان أئمة الهدى عليهم السلام، وفي هـ. أ: كقوله: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣ / ٧٥].

- (١٢) في «أ» و«ط»: مجمله. وفي هـ. د: مجمله - ب.
- (١٣) في هـ. أ: مثل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ﴾ [البقرة: ٢ / ١٧٨].
- (١٤) «ط»: مأخوذ ميثاق في علمه، وفي هـ. د: ميثاق في علمه - ب، وفي هـ. أ: كالصلاة الواجبة وغيرها.

- (١٥) في هـ. أ: مثل «كهيعص» و«ألم» وجميع الحروف المقطعة في أوائل بعض السور.
- (١٦) في هـ. أ: ﴿مِثْلَ يَوْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ إلى آخر الآية [النساء: ٤ / ١١].
- (١٧) في هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاستشهدوا عليهنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ

وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ^(١)، وَمُرْخِّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ^(٢)، وَبَيِّنٍ وَاجِبٍ لَوْقَتِهِ^(٣)، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ^(٤)، وَمُبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ^(٥)، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ^(٦)، أَوْ صَغِيرٍ أُرْصَدَ لَهُ عُقْرَانُهُ^(٧)، وَبَيِّنٍ مَقْبُولٍ فِي أَذْنَاهُ^(٨) مُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ^(٩).

منها^(١٠) [في ذكر الحج^(١١)]:

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ^(١٢) حَجَّ بَيْتِهِ^(١٣)، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ رُودَ الْأَنْعَامِ،

→ شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً. [النساء: ٤ / ١٩]
فنسخ بسنة الرسول ﷺ.

(١) في هـ. أ: كالتوجه إلى بيت المقدس في ابتداء الإسلام، فإنه كان ثابتاً في السنة. لقوله: ﴿قَوْلَ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢ / ١٥٠].

(٢) في هـ. أ: كالجهاد مع وجود الإمام وصلاة العيد. وفي هـ. ص: لعل منه قوله تعالى في السعي: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ٢ / ١٥٨]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ٤ / ١٠١] إِنْ كَانَتْ وَارِدَةً فِي قِصْرِ الْعِدَدِ.

قال الجلالي: إِنْ مَا مَثَلُ بِهِ الشَّارِحُ لَيْسَ مَرْخُصٌ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، عَلَى مَذْهَبِنَا.

(٣) في «ط»: بوقته، وفي هـ. د: بوقته - ن وفي هـ. أ: كالجهاد مع وجود الإمام وصلاة العيد.

(٤) في هـ. أ: كآية النجوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ [المجادلة: ٥٨ / ١٢]. فنسختها الآية الأخرى، وهي ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [المجادلة: ٥٨ / ١٢].

(٥) والمراد حكم مبين بين محاله، وهو الحرمة، وتلك المحال ما سيبينها الإمام ﷺ فيما بعد ذلك، حيث يقول: «من كبير... أو صغير...».

(٦) في هـ. أ: كقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [النساء: ٤ / ٩٣].

(٧) ارصد: أي هَيَّأْ وَأَعَدَّ، وفي هـ. أ: كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾. [النساء: ٤ / ٣١].

(٨) في هـ. أ: كقوله: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾. [المزمل: ٧٣ / ٢٠].

(٩) في هـ. أ: كقراءة سورة طويلة في الصلاة. (١٠) في «أ»: ومنها.

(١١) ما بين المعقوفتين غير موجود في النسخ الخطية.

(١٢) في هـ. د: ويروى عليهم - ك.

(١٣) في «ط»: زيادة: الحرام، وفي هـ. د: بيته الحرام - ح، ض.

وَيَأْلَهُونَ^(١) إِلَيْهِ وُلُوءَ الْحَمَامِ^(٢)، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِّتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ^(٣)، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ^(٤) دَعْوَتَهُ^(٥)، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يَخْرُزُونَ^(٦) الْأَرْيَاحَ فِي^(٧) مَشْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ^(٨) عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ^(٩).

جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ^(١٠) لِلْإِسْلَامِ عِلْماً^(١١)، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ^(١٢)، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ^(١٣)، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجٌّ^(١٤) الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ^(١٥) فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١٦).

الشرح والبيان لما تضمنته هذه الخطبة من أصول الإيمان :

قال في شرح ميثم بن علي بن ميثم البحراني بعد كلام كثير: ولما بينا أنه كان لسان العارفين، والفتاح لاغلاق الطريق^(١٧) إلى الواحد الحق تعالى، والمعلم المرشد لكيفية السلوك، وكانت الأوهام البشرية حاكمة بمثلتيته تعالى لمدرجاتها، والعقول قاصرة عن إدراك حقيقته والوصول إلى ساحل عزته والمنزلة له عما لا يجوز عليه إذا أمكن وجوبه نادراً، ولم يكن للأوهام الواصفة له تعالى بما لا يجوز عليه معارض في أكثر الخلق بل

(١) أي يشتد إليه شوقهم، وفي هـ. ص: في نسخة: يؤلهون. وفي هـ. أ: أي يفرعون.

(٢) في هـ. ص: الولد: شدة الوجد بالشيء حتى يكل العقل أو يذهب.

(٣) العزة: الغلبة والفهر، ومن أسماء الله سبحانه: العزيز.

(٤) في هـ. أ: إليه، إي إلى البيت. (٥) في هـ. أ: دعوته، أي دعوة الله.

(٦) في هـ. أ: أي يجمعون. (٧) في هـ. أ: في نسخة: من.

(٨) في هـ. أ: أي يتسارعون. (٩) في «ط» و هـ. د: موعد - ض، ب.

(١٠) في «ط» و «د» زيادة: وتعالى. (١١) في هـ. أ: أي علامة.

(١٢) في هـ. د: فرض حقه وأوجب حجه - ج.

(١٣) في هـ. أ: الوفادة: القدوم للاستوفاد والانتفاع.

(١٤) في هـ. أ: الحج: القصد. وفي هامش آخر منه: أي زيارته.

(١٥) في هـ. أ: أي ترك الحج. (١٦) آل عمران: ٩٧ / ٣.

(١٧) كذا صحح في الهامش من نسخة الأصل، وفي المتن: السلوك.

كانت جارية على حكمها، قائدة لعقولها إلى تلك الأحكام الباطلة كالمشبهة ونحوهم، لا جرم بدأ بذكر السلب؛ إذ كان تقديمه مستلزماً لغسل درن الحكم الوهمي في حقه تعالى عن لوح الخيال والذكر، حتى إذا ورد عقيب ذلك ذكره تعالى بما هو أهله، ورد على ألواح صافية من كدر الباطل، فانتقشت بالحق، كما قال: «فصادف قلباً فارغاً»^(١) فتمكناً، انتهى^(٢).

قوله ﷺ: «لا يبلغ مدحته القائلون».

قال في شرح ابن أبي الحديد: المدحة هيئة المدح^(٣).

قلت: لعله أراد أنها مصدر نوعي، أي أن المدحة التي تليق به تعالى، وهي الكاملة ككمال لا يبلغها قائل؛ لقصور قوى البشر عن أن يقدره قدر عظمته، وإنما عليهم ما يطيقون. وفي شرح ميثم بن علي: أقول: أراد تنزيهه تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كيفية مدحته^(٤) سبحانه كما هي، فالقول وإن صدر عن المادحين بصورة المدح المتعارف بينهم، وعلى ما هو دأبهم من وصفه تعالى بما هو أشرف طرفي النقيض، فليس بكمال مدحه في نفس الأمر؛ لعدم إطلاعهم على ما به يكون المدح الحق في حقه تعالى، وإن تصوّر بصورة المدح الحق^(٥).

ويحتمل أن يكون المراد تنزيهه تعالى عن بلوغ العقول والأوهام تمام الثناء الحسن عليه وإحصائه، أي إن العبد كلما بلغ مرتبة من مراتب المدح والثناء، كان ورائها أطوار من استحقاق الثناء والتعظيم أعلى، كما أشار إليه سيّد المرسلين ﷺ بقوله: «لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٦)، انتهى^(٧).

(١) كذا في «ص»، وفي «ط»: خالياً. (٢) شرح ميثم بن علي ١: ١٠٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٩.

(٤) كذا في شرح ميثم بن علي، وفي «ص»: مدحته.

(٥) شرح ميثم بن علي ١: ١١٠.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ١: ٩٦ و ١١٨ و ١٥٠ و ٦: ٥٨.

(٧) شرح ميثم بن علي ١: ١١٠ و ١١١.

قوله ﷺ: «ولا يحصي نعماءه العادون».

بيان هذا الحكم بالعقل والنقل، أمّا العقل، فكلّ يرجع فيه إلى نفسه^(١).

وأما النقل، فقوله تعالى: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٢).

وغرض هذا الحكم: تنبيه الغافلين من مراقدة الطبيعة على لزوم شكر الله سبحانه، والاعتراف بنعمه؛ المستلزم لدوام إحضاره بالبال.

قوله ﷺ: «ولا يؤدّي حقّه المجتهدون»:

أي إنّ الحقّ الذي يجب له بالنظر إلى جلاله وبالنظر إلى إنعامه، وإفضاله، وإن كان قد أسقط الخطاب به عن المكلفين عدلاً وتخفيفاً، لو أراد المجتهدون في العبادة أن يبالغوا حتّى يؤدّوه لم يؤدّوه؛ لقصور قواهم عن ذلك.

فسمّاه حقّاً بالنظر إلى أنّ الباري كان لعظم جلاله ولشمول نعمه يستحقّه على العباد، لكنّه سبحانه لم يطلبه من عباده تخفيفاً وعدلاً.

وهذا الحكم الحكيم الذي حكم به، هو سرّ جعل التكبير فاتحة جملة العبادة ومبدأ أجزائها، كما بدّيء به الأذان وختم، أي إنكم تدعون لأمر الله أكبر من أن تقدروا قدره به، ثمّ إذا افتتح الصلاة أحضر بقلبه إنّ فعله هذا قاصر عن مرتبة عظمة الله وتأدية حقّه، ثمّ يستصحب ذلك في مبدأ كلّ ركن وتماّمه، كما روي أنّ جعفر بن محمّد قال لرجل: ما تنوي عند أن تكبّر قال: لا أدري. قال: تنوي الله أكبر من أن يحاط بكبريائه.

(هذا لفظ الرواية أو هو معناها)^(٣).

(١) فالإنسان لو تأمّل خصلة واحدة من خصال نفسه، لوقف على عدم قدرته على شكر نعم الله تعالى عنده، كالبصر وحده، والسمع وحده، والحركة، والعقل، وغير ذلك ممّا هو عنده، فلو تأمّل الإنسان في خصلة واحدة، لأدرك أنّه عاجزٌ تمام العجز عن أداء شكر الله سبحانه. وقد ورد في أدعية أهل البيت ﷺ ما معناه: أي ربّ كيف يمكنني أن أوّدّي حقّ نعمك عندي، وكلّ حمدٍ أحمّدك به هو بنفسه نعمة منك تستحقّ بها حمداً؛ لأنّ توفيق الحمد هو منك. أم كيف أحمّدك وكلّ ما أحمّدك به هو منك وموهوب من قبلك. (راجع دعاء عالية المضامين وغيره).

(٢) إبراهيم: ١٤ / ٣٤.

(٣) قال الجلالي: قد ورد في كتاب معاني الأخبار: ١٠، عن جميع بن عمير، قال: قال لي أبو

وفي شرح ميثم بن علي: أقول: هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين:
أحدهما: إنه لما كان أداء حقّ النعمة هو مقابلة الإحسان بجزاء مثله، وثبت في الكلمة السابقة إنّ نعم الله لا تحصى، لزم من ذلك أنه لا يمكن مقابلتها بمثل.
الثاني: إنّ كلّ ما نتعاطاه من أفعالنا الاختيارية مستندة إلى جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وسائر أسباب حركاتنا، وهي بأسرها مستندة إلى جوده، ومستفادة من نعمته، وكذلك ما يصدر عنّا من الشكر والحمد وسائر العبادات نعمة منه، أفنقابل نعمته بنعمته؟^(١)
وروي أنّ هذا الخاطر خطر لداود ولموسى عليه السلام فقال: «يا ربّ كيف أشكرك، وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلاّ بنعمة ثانية من نعمك».
وفي رواية أخرى: «وشكري لك نعمة أخرى توجب عليّ الشكر لك، فأوحى الله تعالى إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني».
وفي خبر آخر: «إذا عرفت أنّ النعم منّي رضيت منك بذلك شكراً»^(٢)، انتهى^(٣).
قوله عليه السلام: «الذي لا يدركه بعد الهَمَم ولا يناله غوص الفطن»:
أي همم النظار وأصحاب الفكر، وعزائمهم وإن علت وحرصت وبعدت في مذاهبها وترامت، فإنّها لا تدركه تعالى ولا تحيط به، وكذلك الفطن الذّهابة في عميقات سواتر المحتجبات، فإنّها إذا غاصت في بحر سواتر ذاته وغاية صفاته، لم تنل من مطلوبها شيئاً؛ لأنّ نيل ذلك محالٌ في حقّها؛ لأنّ ذلك المطلوب خارجٌ عن جميع أصناف المدركات بالحواس، فلا يمكن تصوّره؛ لا بتناء تصوّره على قياسه على المحسوسات.
شبهه حجب العزّة في تكاثفها وبعد غايتها بالبحر العميق، فأثبت للداخل فيها «الغوص» الذي هو حركة الداخل في الماء، الذهاب إلى قراره.

→ عبد الله عليه السلام: أي شيء «الله أكبر»؟ فقلت: الله أكبر من كلّ شيء. فقال: فكان ثمّ شيء، فيكون أكبر منه؟! فقلت: فما هو؟ قال: الله أكبر من أن يوصف.

(١) كذا في «ص»، وفي «ط»: فتقابل نعمه بنعمه.

(٢) ذكر هذه الروايات الثلاث التراقي في جامع السعادات ٣: ٤٢، وانظر الكافي ٢: ٩٨، والوافي، الجزء ٣، باب الشكر. (٣) شرح ميثم بن علي ١: ١١٣.

وقد كرّر ذكر هذا المعنى - أعني الحيرة في كنهه تعالى - كثيراً^(١)، حتّى صار كالمتواتر عنه.

قوله ﷺ : «الذي ليس لصفته حدّ محدود...» إلى قوله: «ممدود»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: فإنّه يعني بصفته - ها هنا - كنهه وحقيقته، يقول: ليس لكنّه حدّ فيعرف بذلك الحدّ، قياساً على الأشياء المحدودة؛ لأنّه ليس بمركب، وكلّ محدود مركب.

ثمّ قال ﷺ: «ولا نعت موجود» أي: ولا يدرك بالرسم كما تدرك الأشياء برسومها، وهو أن تعرف بلازم من لوازمها، وصفة من صفاتها.

ثمّ قال ﷺ: «ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود» فيه إشارة إلى الردّ على من قال: «إنّا نعلم كنه الباري سبحانه لا في هذه الدنيا، بل في الآخرة» فإنّ القائلين برؤيته في الآخرة يقولون: إنّا نعرف كنهه حينئذٍ، انتهى^(٢).

أقول: إنّ في تفسيره الصفة بالكنه خروجاً عن الظاهر غير معهود، وقلقاً - أيضاً - فإنّ في ملائمة تفسير قوله: «ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود» بُعداً.

ثمّ قال ابن أبي الحديد بعد كلام طويل ناقض به تفسير الراوندي واعترض به عليه: وأيضاً يمكن أن يجعل الصفة - ها هنا - قول الواصف، فيكون المعنى: لا ينتهي الواصف إلى حدّ إلّا وهو قاصر عن النعت لجلاله وعظمته جلّت قدرته، انتهى^(٣).

وأقول: هذا التفسير للصفة بقول الواصف هو الحقّ والصواب، ولكن لا بالمعنى الذي ذكره، بل معنى قوله: هو أنّ جملة الوصف المقول في حقّه تعالى ليس من إجزائه الحدود،

(١) ورد ذلك في مواضع عديدة من نهج البلاغة، منها الخطبة ٤٩: «لم يطلع العقول على تحديد صفته»، والخطبة ٨٣: «لا تقع الأوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية» والخطبة ١٥٣: «الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساعاً إلى بلوغ غاية ملكه». والخطبة ١٨٤: «لا تناله الأوهام فتقدّره ولا تتوهمه الفطن فتصوره» والخطبة ١٩٣: «وردع خطرات همام النفوس عن عرفان كنه صفته» وموارد أخرى غير ذلك.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٠ - ٦١.

أي أن يذكر في حقّه الحدّ - والمراد بالحدّ: اللغوي، وهو ما يحصر الشيء وينتهي عنده. وكذلك ليس من أجزائه النعت الموجود - أي الذي له معنى وجودي - كما يقال في حقّ المخلوق: عالم مثلاً؛ فإنّ له في حقّه مفهوماً وجودياً أي ذو علمٍ قائمٍ بذاته، فأما في حقّه تعالى فإنّما هو إضافة فقط.

وكذلك فليس من أجزائه الوقت فلا يوصف بالوقت بوجه؛ إذ ليس بزمني. وكذلك ليس من أجزائه الأجل؛ إذ لا غاية له، فمحال دخول الأجل فيما يوصف به. وفي شرح ميشم: قال أبو الحسن الكيدري رحمته الله: ويمكن أن يؤوّل قوله: «حد محدود» على ما تؤوّل به كلام العرب: «ولا يرى الضب بها فينحجر» أي ليس بها ضبّ فينحجر، حتّى يكون المراد أنّه ليس له صفة فتحدّ؛ إذ هو تعالى واحد من كلّ وجه منزّه عن الكثرة بوجه، فيمتنع أن يكون له صفة تزيد على ذاته كما في سائر الممكنات. وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء، إنّما هي نسب وإضافات لا يوجب وصفه بها كثرة في ذاته، انتهى^(١).

ولا يخفى عليك رجحان ما ذكرناه من التفسير، وأنّه الأصحّ^(٢). واعلم أنّ هذا الموضع هو أوّل مباحث الصفات التي بنى أمير المؤمنين عليه السلام التوحيد على نفي التوهم فيها، حيث قال: «التوحيد ألاّ تتوهمه»^(٣) فلندكر فيه تأسيساً على مذهب الأئمة عليهم السلام، يبتنى عليه تفسير كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيما تأخّر عنه، فنقول: إنّهُ لما كان الوهم يحكم على الغائب بأحكام الشاهد، وكان التوحيد المحقّق دفع التوهم، وجب أن نبيّن مفهوماً لفظ «صفة» في حقّ الشاهد، وما يصحّ إضافته إلى الباري تعالى،

(١) شرح ميشم بن علي ١: ١١٥.

(٢) في هامش الأصل في هذا الموضع ما يلي: وأقول: الحاصل من أقوال هؤلاء: أنّ ابن أبي الحديد قال: إنّ الصفة الذي ينفي عنها الحدّ أمير المؤمنين هي أقوال الواصفين، ومعنى التركيب ليس لأقوال الواصفين في وصفه [مقال وبيان] هو قريب من جهة تركيب الكلام، ومستحيل المعنى في حقّه تعالى، [لكن يضعف هنا أنه في معنى ما قيل في حقه].

وقوله عليه السلام: «لا يبلغ مدحته القائلون» معناها على ما فسّروه: إنّ المدحة [الكاملة] لا يبلغها قائل؛ لقصور عبارته. (٣) نهج البلاغة، الحكمة: ٤٧٠.

وما لا يصحّ، فنقول:

إنّ لفظ «صفة»، وجمعها «صفات»، يطلق في الشاهد ويراد به أحد ثلاثة معانٍ:
أولها: العرض الحال في الجسم، تدخل على اسمه الباء للاستعانة والسبيبة؛ لجريه
مجرى الآلة والسبب لما يصدر عن الجسم من التصرفات، نحو فعلته بقدرتي^(١)، وأدركته
بعلمي أو ببصري أو بسمعي أو بشمّي أو بذوقي أو بلمسي، ومثله: حيي الجسم بحياته^(٢)،
وأسودّ بسواده، وأبيضّ ببياضه، ونحو ذلك.

وثانيها: الوصف، أي اللفظ المادح أو الذام أو الشارح، نحو: قادر، عالم، عاجز، جاهل،
أبيض، أسود.

وهذا المعنى لا خلاف في صحّة إضافته إلى الله عزّ وجلّ، وإطلاق لفظ «صفة» بهذا
المعنى في حقّه تعالى حقيقة.

روي عن الإمام المهدي أحمد بن يحيى عليه السلام، أنّه قال: «ليست^(٣) إلّا بمعنى الوصف
فقط»، ولعلّه أراد [أنّها] ^(٤) في حقّ الباري حقيقة.

ويجري هذا الإسم على ألفاظ النفي، نحو: لا مثل له، لا ولد له، لا كفو له، ليس كمثله
شيء، ونحو هذا.

وهذا المعنى هو المعبر عنه بالإضافة والسلب، كما يقال: لا نعلم منه إلّا الإضافات
والسلوب.

وثالثها: الحالة والهيئة والكيفية الحاصلة للجسم عند حلول بعض تلك الأعراض فيه،
وهذه الحالة هي المسمّاة بالقادرية والعالمية والحيّة والسوادية والبياضية، ونحو ذلك
اصطلاحاً^(٥).

(١) في هـ. ص: مثال ما يجري مجرى الآلة. (٢) في هـ. ص: مثال ما يجري مجرى السبب.

(٤) ما بين المعقوفتين لم يرد في هـ. ص.

(٣) في هـ. ص: أي الصفة.

(٥) في هـ. ص ما يلي: باعتباره عبارة عمّا يصرّوه الخيال ويمثله من حيث المتصف بالصفة
بالمعنى الأول، فأما باعتبار اللغة: فإنّ القادرية بمعنى الاقتدار، مصدر اقتدر يقتدر، والعالمية

والظاهر أن إطلاق لفظة «صفة» على الثلاثة المعاني في حق الشاهد حقيقة، وأمّا في حقّ الباري، فقد بيّنا الثاني، وأمّا الأوّل، فقد اتّفقنا نحن والمعتزلة على منع إرادته في حقّه، وخالفنا الأشاعرة^(١).

فإن أضيف إلى اسم الباري اسم هذا المعنى، نحو: قدرة الله وعلم الله وحياة الله، فهو - عندنا - عبارة عن ذات الباريء الغني عن الآلات والأسباب^(٢).

وإطلاق هذه الأسماء على ذاته، وإطلاق لفظ «صفة» على هذه الأسماء، المضافة إلى اسمه، من باب المجاز؛ لضرب من التأويل لقصد الإفهام لخلاصة المراد، كما إطلاق لفظ «وجه» و«نفس» و«عين» و«يد» على ذاته؛ لقصد تحصيل فهم السامع لخلاصة المراد، وتقريره لديه وتأكيده.

→ بمعنى علم، مصدر علم يعلم علماً أي تبين المعلوم وانكشف ليغيّر بصيرته ويفهم عند غفلته فهما كالضاريّة، كلّ واحد منهما اسم مصدر مضاف إلى فاعله. ويقابلها المقدوريّة والمعلوميّة والمضرويّة، فكل واحد اسم للمصدر مضافاً إلى ما تعلّق به فاعرف ذلك (والله اعلم).

والمعنى الاصطلاحي الذي يقال في تحديد اللفظ الدال عليه هو اللفظ الدال على ذات باكتساب معنى هو المقصود، أي من وضع اللفظ فهو لافادة اقتران المعنى بالذات وقيامه معاً فاعرف ذلك.

(١) لأنّ لازم القول بأنّ الصفة كالعرض الحال في الجسم، هو زيادته على الذات، وقد التزم الأشاعرة بذلك، ولكنه ممنوع عندنا؛ لاستلزام ذلك: إمّا تعدّد القدماء أو كون الله محلاً للحواث، وكلاهما باطلان.

(٢) وبعبارة أخرى: هو الالتزام بعينيّة الصفات للذات، وأنّه ليس للذات والصفات سوى مصداق واحد لا أكثر.

توضيح ذلك: أنّ علم الإنسان بشيء - مثلاً - إنّما يكون بعلم زائد على ذاته، فهو بذلك العلم الزائد يطلع على ما هو خارج عن ذاته، فيدرك المسموعات والمبصّرات عن طريق الصور الذهنية التي تنطبع في نفسه بواسطة الحواسّ، ولو انتفت هذه الصور الذهنيّة لم يكن عالماً مع كونه إنساناً...

وأما علم الله سبحانه، فهو سبحانه يدرك جميع المبصّرات والمسموعات بنفس ذاته - لا بأسباب وآلات -، بحيث أنّه لو فرض سلب العلم عنه لكان ذلك مساوياً لنفي الذات.

وأما الثالث^(١): فالظاهر أنه موضع الخلاف بيننا وبين البصرية من المعتزلة، فهم أثبتوا نحو ذلك في حقّه تعالى وتكلّفوا الدفع ما لزمهم بإثباته بوضع اصطلاحات وتحريف عبارات. وقالوا: نحن نثبت أموراً ومزايًا وأحوالاً - على اختلاف عباراتهم -، لا معاني، ونقول: هي زوائد على الذات لا أغيار لها، تعلم الذات عليها ولا تعلم هي، ولا هي شيء ولا لا شيء^(٢)، وهي أزليّة لا قديمة... ونحو ذلك من عباراتهم عنها.

وزعموا أنهم بذلك يتفصّون عمّا ألزموه الأشاعرة من إثبات شركاء له في القدم، وفي سائر صفات الذات، مع أنّ الأشاعرة زعموا أنهم قد تفصّوا ممّا ألزموهم من ذلك بأنهم لم يشبّتوا أمراً مستقلاً، بل مضافاً إلى الذات.

قال السيّد مانكديم^(٣) - في الكلام مع الأشاعرة مثبتي المعاني -^(٤): فإن قيل: ما

(١) بالنسبة إلى المذهب الثالث، نقول: إنّ الأشاعرة قالوا بأنّ لله تعالى معاني قائمة بذاته، وتلك المعاني تقتضي اتّصاف الله بالقادرية والعالمية والحياة وغيرها، ويرد على هؤلاء: أن لازم هذا القول هو افتقار الواجب في صفاته إلى تلك المعاني، وتلك المعاني مغايرة لذاته قطعاً، فلزم احتياج الله إلى الغير، وكلّ ما احتاج إلى الغير فهو ممكن لا واجب. هذا، وقد حاول جماعة من المعتزلة سلوك طريق آخر في إثبات صفات الله، فقالوا بالأحوال، وإنها صفة للموجود، وأنّ الباري تعالى له متصف الحالة، وهي توجب له أحوالاً أربعة، هي: القادرية والعالمية والحياة والموجوديّة.

وقالوا: إنّ هذه الأحوال ليست معاني، وهي لا موجودة ولا معدومة، ولا هي شيء ولا شيء، ويعرف الذات بها ولكن لا تعرف هي... إلى آخر عباراتهم. والجواب عن هؤلاء: بأنّ تصوّر ثبوت الحال بما ذكره ممتنع ضرورة؛ للاستلزام التناقض لأنّ الشيء إمّا هو موجود أو معدوم ولا واسطة بينهما.

إضافة إلى أنّه يلزمهم ما لزم الأشاعرة من افتقار الواجب إلى تلك الأحوال. والظاهر أنّ الشارح يوافقنا في عدم قبول هذا الوجه الثالث في صفات الله وإن كانت ظاهر عبارته أنّه يخالف البصرية من المعتزلة فقط وهم القائلون بالأحوال.

(٢) في هذا الكلام تناقض ظاهر؛ فإنّه رفع للنقيضين معاً.

(٣) السيّد مانكديم هو قوام الدين أحمد بن عمر سيشديو، المستوفّي سنة ٤٢٥ هـ بالري، له حاشية على كتاب الخمسة الأصول.

(٤) هنا مطلب طويل في هـ ص، أمكن قراءة ما يلي منه:

→ قال في مختصر النسفي وشرحه لسعد الدين: «وله صفات» لما ثبت من أنه عالم قادر حيّ إلى غير ذلك، ومعلوم أن كل ذلك يدلّ على معنى زائد على مفهوم الواجب فيثبت لله صفة العلم والقدرة والحياة وغير ذلك، لا كما تزعم المعتزلة أنه عالم لا علم له وقادر لا قدرة له إلى غير ذلك؛ فإنه محال ظاهر.

وليس النزاع في العلم والقدرة التي هي من جملة الكيفيات والملكات، لما صرح به مشايخنا من أن الله تعالى حيّ وله حياة أزلية ليست بعرض وبمستحيل البقاء. والله تعالى عالم، وله علم أزلي شامل، ليس بعرض ولا مستحيل البقاء ولا ضروري ولا مكتسب، وكذا في سائر الصفات.

بل النزاع في أنه كما أن للعالم منّا علماً، هو عرض قائم به، زائد عليه، حادث، فهل للصانع العالم علم، هو صفة أزلية قائمة بذاته زائدة عليه؟ وكذا جميع الصفات؟ فأنكره الفلاسفة والمعتزلة، وزعموا أن صفاته عين ذاته، بمعنى أنه ذات يسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالماً، وبالمقدورات قادراً... إلى غير ذلك، فلا يلزم تكثّر في الذات، ولا تعدّد في القدماء، والواجبات أزلية، لا كما تزعم الكرامية من أن له صفات لكنّها حادثّة.

«قائمة بذاته»؛ ضرورة أنه لا معنى لصفة الشيء إلا ما يقوم به، ولما تمسك المعتزلة بأنّ في إثبات الصفات إبطال التوحيد؛ لما [ثبت] أنّها موجودات قديمة مغايرة لذات الله تعالى، فيلزم قدم غير الله تعالى وتعدّد القدماء، بل يلزم تعدّد الواجب لذاته على ما وقعت الإشارة إليه في كلام المتقدمين، حيث قالوا: الواجب والقديم مترادفان، والتصريح به في كلام المتأخرين من أن واجب الوجود بالذات هو الله تعالى وصفاته، وقد كفرت النصارى بإثبات ثلاثة من القدماء فما بال الثمانية أو أكثر.

أشار إلى الجواب بقوله: «وهي لا هو ولا غيره» يعني أن صفات الله تعالى ليست هي الذات ولا غير الذات، فلا يلزم قدم الذات ولا تكثّر القدماء. ولقائل أن يمنع توقّف المتعدّد والمتكثّر على التغير، بمعنى جواز الانفكاك؛ للقطع بأنّ مراتب الأعداد من الواحد والإثنين والثلاثة إلى غير ذلك متعدّدة ومتكثّرة، مع أن البعض جزء [وهو مغاير] الكلّ.

وأيضاً: لا يتصور نزاع من أهل السنّة في كثرة الصفات وتعدّدّها - متغايرة أو غير متغايرة - . فالأولى أن يقال: المستحيل تعدّد الذات القديمة لا ذوات وصفات، وإن لا نجراً على القول بكون الصفات واجب الوجود لذاتها، بل يُقال: هي واجبة لا لغيرها، بل لما ليست نفسها ولا غيرها - أعني ذات الله تعالى وتقدّس - .

ويكون هذا مراد من قال: الواجب الوجود لذاته هو الله تعالى وصفاته، يعني أنّها واجبة لذات

أنكرتم إنَّ هذه المعاني صفات، والصفات لا توصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم.

قلنا: هذه مناقضة ظاهرة من وجوه:

أحدها: إنَّك قد وصفتها بأنَّها معاني، بل سميتها علماً وقدرة وحياة.

والثاني: إنَّك وصفتها بأنَّها صفات.

→ الواجب تعالى وتقدس، وأمَّا في نفسها فهي ممكنة، ولا استحالة في قدم الممكن إذا كان دائم العدم واجباً له غير منفصل عنه [وهنا كلام كثير تعرض فيه لنقل ما ذهب إليه المعتزلة والفلاسفة وقدماء الأشاعرة في الصفات، جاء في آخره: (انتهى ما يتعلّق الغرض بنقله).] فانظر إلى هذا التمثّل، وإلى أنَّ التمثّل الآخر نقض ما قاله الأوّل: لأنّ تقويم ما لا يتقوّم محال.

ثم انظر إلى ما اشتمل عليه من المحال، كجعل الشيء ممكناً لنفسه واجباً لغيره، وجعل ذات الباري يتقوّم المعنى بها، وغير ذلك ممّا لا يخفى على المتأمّل الفطن.

وقوله: وليس النزاع في العلم والقدرة التي هي من جملة الكيفيات والممكنات، إشارة إلى الأحوال التي أثبتتها بعض الأشاعرة وبعض المعتزلة، وهي المعنى الثالث للفظ «صفة»، وهو الذي اختلفنا فيه نحن وبعض المعتزلة، فأثبتوه ونفيناه.

وفي كلامه إشارة إلى حدوثه وعدم بقائه، وذلك حكمه في الشاهد، فتأمّل، (والله سبحانه أعلم).

وقال السمرقندي في كتاب له يسمّى «الصحائف الإلهية»: وأمّا الأشاعرة، فلمّا علموا امتناع كون الصفة عين الماهية وكان عندهم أنّ غير الله تعالى لا يجوز أن يكون قديماً، ذهبوا إلى أنّ صفاته تعالى لا عين ذاته ولا غيرها، وفسّروا الغير على وجه صحّ ذلك، والمعقول منهم تفسيران: (فذكرهما، ثم قال: وقال المحقّقون: تجويز أمرين لا يكون أحدهما عين الآخر ولا غيره جهالة؛ لأنّ كلّ أمرين فرضاً فإن كان المفهوم من أحدهما عين المفهوم من الآخر فأحدهما عين الآخر، وإلا فغيره).

وهذا كلام حقّ، فعلم أنّ هذا النزاع لفظي؛ إذ لا خلاف في أنّ صفات الله على ذلك التفسيرين ليست عين ذاته، والأشاعرة يسلمون أنّها غيرها بهذا التفسير، فلا خلاف من جهة المعنى (انتهى كلامه).

واختار مقالة متأخري الأشاعرة، من أنّها غير الذات ناشئة عن الذات قديمة معها. ومن هذي الجهالات ذكروا كثيراً، وذلك لمّا أعرضوا من من جعلهم الله هداة بحكمته فضّلوا والله أعلم، (تمت منه).

والثالث: إنك وصفتها بأن لا توصف، فقد نقضت كلامك من هذه الوجوه، انتهى.
ولقائل أن يقول: كذلك أنتم في الأحوال، تقولون هي صفات وتصفونها بأنها زوائد على الذات، وبأن بعضها مقتضى وبعضها مقتضى وبأنها أزلية، وتسمونها علماً وقدرة وحياة، ثم تقولون: إنها لا توصف! فقد ناقضتم كلامكم، فما بالكم أفردتم الأشاعرة باللوم؟!

ثم قال مانكديم: فإن قيل: هذه المعاني عندنا كالأحوال عندكم، فكما إن هذه القسمة لا تدخل في الأحوال عندكم، فكذلك لا تدخل عندنا في هذه المعاني.
قلنا: إن هذه المعاني معلومة عندكم، فتدخلها قسمة المعلومات، وليس كذلك الأحوال؛ فإنها عندنا غير معلومة بانفرادها، وإنما الذات عليها تعلم، ففارق أحدهما الآخر، والذي يدل على أن الأحوال لا تعلم: أنها لو علمت لتميزت عن غيرها بأحوال أخر، والكلام في تلك الأحوال كالكلام فيها، فيتسلسل إلى ما لا نهاية له من الأحوال، وذلك محال، انتهى.

ويعني بالقسمة التي أشار إليها، قوله - قبل ذلك -: «لو كان تعالى عالماً بعلم، لكان لا يخلو إما أن يكون معلوماً، أو لا يكون معلوماً، فإن لم يكن معلوماً، لم يجز إثباته؛ لأن إثبات ما لا يعلم يفتح باب الجهالات، وإن كان معلوماً، فلا يخلو إما أن يكون معدوماً أو موجوداً، لا يجوز أن يكون معدوماً، وإن كان موجوداً فلا يخلو أن يكون قديماً أو محدثاً، والأقسام كلها باطلة، انتهى.

ولقائل أن يقول: إنك غير متخلص من لزوم هذه الأقسام لقولك، أمّا قولك: «إن الأحوال غير معلومة بانفرادها، وإنما الذات عليها تعلم» فأول ما فيه: أنها إذا لم تعلم فقد أثبت ما لا يعلم، وذلك يفتح باب الجهالات، ولا ينفعك قولك: «إن الذات عليها تعلم»؛ فإن ما لا يعلم في نفسه كيف يعلم علمه بغيره؟ لأن «يعلم بغيره علمه» حكم من أحكامه، فمهما لم يعلم المحكوم عليه، كيف يعلم حكمه؟

ثم إنك سميت هذه الأحوال صفاتاً، وأموراً، ووصفتها بالزيادة على الذات، وبأنها

أزليّة، وبأنّ بعضها مقتضى وبعضها مقتضى. وكلّ هذا تقضي بأنّها معلومة عندكم؛ إذ محالّ ثبوت هذه الأمور لغير معلوم.

وأيضاً: مايزت بينها في التسمية، فيلزم تمايز معانيها، فقد لزمك تميّزها عن غيرها، وتميّز بعضها عن بعض، وهو الذي قررت منه..

ثمّ إنّّه يقال: ما تعني بقولك: «إنّ الأحوال لا تعلم بانفرادها، وإنّما الذات عليها تعلم»؟ أتعني أنّها لا تتصوّر إلّا مضافةً إلى الذات، ومنسوبة إليها - كذلك - المعاني؟ فإنّ علم زيد لا يتصوّر إلّا مضافاً إليه؛ لأنّ العلم من حيث هو لا يعقل إلّا منتسباً إلى من يعلم، فأيّ فرق بين المعاني والأحوال بهذا الاعتبار؟ وإن أردت معنى غير هذا، فأبنه؛ فإنّا لم نفهمه. (والله أعلم، وبه التوفيق والعصمة).

واصحابنا الأئمّة، قالوا: لا يصحّ نسبة المعنى الثالث للفظ «صفة» إلى الباريء سبحانه؛ لأنّ الحالة والكيفيّة والهيئة عوارض مغايرات لما تضاف إليه، ألا ترى أنّها تعرض للذات في الشاهد بعد أن لم تكن، وتسلب عن الذات بعد كونها، فتوجد الذات مع عدمها؟! فدلّ ذلك على أنّها أغيار، حلية للمتحملي بها، فإن أخذت في حقّه تعالى بهذا المعنى المعقول من شأنها، لزم التشبيه، وحدوث صفة الذات، أو قدم غير الذات. وإن أخذت في حقّه لا بهذا المعنى المعقول منها، فهو إثبات ما لا يعقل، وما لا مثبت له إلّا مجرد الدعوى، وإثبات مثله يفتح باب الجهالات.

فثبت أن لا مفهوم للفظ «صفة» حقيقياً - إذا أضيف إلى الله - إلّا القول المادح والإضافة والسلب.

قال الهادي في كتاب «الديانة»: من زعم أنّ علمه وقدرته وسمعه وبصره صفات له لم يزل موصوفاً بها قبل أن يخلق، وقبل أن يكون أحد يصفه بها، وقبل أن يصف بها هو نفسه، وتلك الصفات - زعم - لا يقال هي الله، ولا يقال هي غيره، فقد قال منكراً من القول وزوراً، انتهى.

فانظر كيف نفى الصفة إلّا بمعنى قول الواصف، فائتته بالإشارة إليه، بقوله: «قبل أن

يخلق، وقبل أن يكون أحد يصفه بها، وقبل أن يصف بها نفسه» فتأمل.

وقال الإمام القاسم بن عليّ في شرحه للصفات بمعنى الأوصاف: فإن قال: إنكم قد قلتم صفات ذات وصفات فعل، فإذا قلتم: «صفات ذات»، فقد أثبتتم صفاتٍ مّا، وإذا قلتم: إنّنا لا نرجع في ذلك في غير الذات، فقد ناقضتم.

قلنا: ليس الأمر كذلك؛ لأنّا حين قلنا صفات الذات فإنما أردنا أن نعلمكم أنّنا لا نثبت بها غيره، ولم نرد أن الصفات هي ذاته، وإن الصفات أشياء ليست غيره.

وقال في كتاب «التجريد»: وإنّما أسماؤه التي تسمّى بها لنا، وصفاته التي وصف بها نفسه لنا، دلّائل عليه؛ ليستدلّ القاصدون لياشر قلوبهم اليقين البتّ، ويستشعر نفوسهم الحقّ المثبت.

وقال: صفاته دلّائل عليه يدرك علمه ولا يدرك الموصوف بهن؛ لأنّه جلّ وعلا بعد من المدرك وجلّ عن المدرك، فهو كما قال عزّ من قائل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(١). وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٢) فالله جلّ جلاله عن أن يحويه قول أو يناله، يعرف بما جعل من الدلائل عليه، ولا يوصل بشيءٍ من الحواس إليه، فليس ما نطق به الألسن من صفاته هو هو، ولا ما سمعت به الآذان من صفاته هو هو، ولا ما كتبت الأقلام من صفاته هو هو، بل هو سبحانه الموصوف، لا الصفات، والمعروف بما تعرّف به إلى خلقه من الآيات.

فتأمل، يظهر لك أنّ مفهوم «صفات» عند الأئمة، مفهومان متغايران، أحدهما: يعنى به الذات، والآخر يعنى به الوصف المادح للذات، وتسمية الآخر صفة حقيقة، وتسمية الأول صفة مجاز، فاستبصر وتبصّر.

وقال الإمام الحسين بن القاسم العياني في كتاب الصفات: إن كنت أردت الأسماء من الألفاظ والكلام، وما ينطق به من ذلك جميع الأنام، وما يوجد في الصحف والأجسام فذلك غير الموصوف؛ لأنّ الموصوف هو الله، وهذا الكلام هو من المعقولات المحدثات،

(١) الأنعام ٦: ١٠٣.

(٢) طه ٢٠: ١١٠.

والله أحدث علم^(١) ذلك وغيره من الصفات. وإن كنت أردت المسمّى بهذه النعوت، فهو الله ربّ العالمين، وهو معناها عند المؤمنين، انتهى. فذكر في هذا الكلام الصفات بمعنى قول الواصفين.

وقال في جوابه ليحيى بن مالك: ما تفسير علم الله وقدرته إلا كتفسير وجهه ونفسه، فهل يقول أحد يعقل بأن له وجهاً كوجه الإنسان، أو نفساً كأنفس الأبدان؟ إن هذا ما لا يقول به أحد [من] ذوي الألباب في الله ربّ الأرباب، وإنما وجهه هو ذاته، وكذلك علمه وقدرته، انتهى.

فشرح في هذا الكلام مسمى «صفة» بمعنى ما به يعلم ويقدر، فبيّن أن إطلاق لفظ «صفة» عليه مجاز، فتأمل وتبيّن.

إن قيل: قد بيّنت أن الصفات في حقّ الباري بمعنى الأوصاف، وهي العبارات، فبيّن لنا ما المعبر عنه بها، وما المفهوم منها عند إطلاقها؟

قلت: إن المعقول عند إطلاقها اعتبارات عقلية، تحدّثها عقولنا عند المقايسة إلى الغير وبيانها في قول ميثم بن علي في أوّل شرح هذه الخطبة: واعلم أنا نفتقر في بيان نظام كلامه في هذا الفصل إلى تقديم مقدّمة، فنقول: الصفة امر يعتبره العقل لأمرٍ آخر، ولا يمكن أن يعقل إلا باعتبارها معه وله، ولا يلزم من تصوّر العقل شيئاً لشيء أن يكون ذلك المتصوّر موجوداً لذلك الشيء في نفس الأمر. بيان ذلك ما قيل في رسم المضاف^(٢): إنه الأمر الذي تعقل ماهيته بالقياس إلى غيره، وليس له وجود سوى معقوليته بالقياس إلى ذلك الغير، والصفة تنقسم باعتبار العقل إلى حقيقية وإضافيّة وسليّة؛ وذلك لأنّ نسبة العقل للصفة إلى غيرها، إمّا أن يعقل معها نسبته من المنسوب إليه، أو لا يعقل.

فإن كان الأوّل، فهو: المضاف الحقيقي، وحقيقته أنّه المعقول بالقياس إلى غير يكون بإزائه، يعقل له إليه نسبة، ولا يكون له وجود سوى معقوليته بالقياس^(٣) إليه، ككونه تعالى

(١) في هـ. ص: اي علّمناه إياه.

(٢) في هـ. ص: مثاله في الشاهد: الأبوة والبنوة، الأمومة والأخوة، العمومة والخولة، فكلّ منها نسبة تعقل ولا وجود لها، والله أعلم. (٣) في «ص»: «بالنسبة» يدل «بالقياس».

خالقاً ورازقاً وربّاً؛ فإنّ حقيقة هذه الصفات هي كونها معقولة بالقياس إلى مخلوقيّة ومرزوقيّة ومربوبيّة موازية.

وإن كان الثاني، فالمنسوب إليه إمّا أن يكون ^(١) موجوداً للمضاف إليه ^(٢) أو ليس بموجود له.

والأوّل، هو الصفات الحقيقيّة، ككونه تعالى حيّاً؛ فإنّه أمر يعقل بالقياس إلى صحّة العلم والقدرة له، وليس بإزاء أمر يعقل منه نسبة إليه.

والثاني، هو الصفات السلبيّة، ككونه تعالى ليس بجسم ولا بعرض وغيرها ^(٣)؛ فإنّها أمور تعقل له بالقياس إلى أمور غير موجودة له تعالى.

ثمّ نقول: لا يلزم من اتّصاف ذاته سبحانه بهذه الأنواع الثلاثة من الصفات تركيب ولا كثرة في ذاته؛ لأنّها اعتبارات عقليّة، تحدّثها عقولنا عند المقايسة إلى الغير، ولم يلزم من ذلك أن تكون موجودة في نفس الأمر، وإلّا ^(٤) لم تعقل ^(٥).

ولمّا كان دأب العقلاء أن يصفوا خالقهم سبحانه بما هو أشرف طرفي النقيض؛ لما تقرّر في عقولهم من أعظميّته، ومناسبة أشرف الطرفين للأعظميّة، كان ما وصفه به تعالى من الصفات الحقيقيّة والإضافيّة والسلبيّة كلّها كذلك، انتهى ^(٦).

وقد سمّي الاعتبار العقليّ صفات وإن لم تكن موجودة، كما قال؛ لأنّ العبارات المفهومات لها تسمّى صفات لغة، كما تبين.

قوله عليه السلام : «أوّل الدين معرفته» إلى قوله: «فقد جهله»:

قال في شرح ميشم بن علي: اعلم أنّ معرفة الصانع سبحانه على مراتب، فأولها وأدناها: أن يعرف العبد أنّ للعالم صانعاً. الثانية: أن يصدّق بوجوده. الثالثة: أن يترقّى

(١) في هـ. ص: لعله يريد أنه ثبوتيّ لا سلبي. (٢) كلمة «إليه» لم ترد في شرح ميشم بن علي.

(٣) في ص: ولا غيرهما.

(٤) كذا صحّح في هـ. ص، وفي المتن وشرح ميشم بن علي: وإن.

(٥) إنّ عدم معقوليّتها في صورة جعل تلك الصفات زائدة على الذات.

هذا ولميشم بن علي تفسير لهذا المطلب ذكره في ١: ١٢٣ وسيذكره الشارح في هذا الكتاب:

(٦) شرح ميشم بن علي ١: ١٠٨ - ١٠٩.

- بجذب العناية الإلهية - إلى توحيده وتنزيهه عن الشركاء. الرابعة: مرتبة الإخلاص له. الخامسة: نفي الصفات التي تعتبرها الأذهان له، عنه، وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الإنسان.

وكلّ مرتبة من المراتب الأربع الأولى مبدأ لما بعدها من المراتب، وكلّ من الأربع الأخيرة كمال لما قبلها.

ثم إنّ المرتبتين الأوليين مركوزتان في الفطر الإنسانية، بل في ما هو أعمّ منها، وهي الفطر الحيوانية؛ ولذلك لم يدع الأنبياء: الخلق إلى تحصيل هذا القدر من المعرفة... وإنما كانت أوّل مرتبة دعوا إليها من المعرفة هي توحيد الصانع ونفي الكثرة عنه، المشتمل عليها أوّل كلمة نطق بها الداعي إلى الله وهي قولنا: لا إله إلا الله^(١).

وقوله ﷺ: «وكمال معرفته التصديق به» إلى قوله: «نفي الصفات عنه»:

أقول^(٢): ترتيب هذه المقدمات على هذا الوجه يسمّى قياساً مفصلاً - وهو القياس المركّب الذي تطوّر فيه النتائج -، وعند ذكرها يتبيّن أنّ المقصود منها بيان أنّ كمال معرفته نفي الصفات عنه.

فلنشرع في تقرير المقدمات:

أمّا المقدّمة الأولى؛ وهي أنّ «كمال معرفته التصديق به»:

وبيان ذلك: أنّ المتصوّر لمعنى «إله العالم» عارف به من تلك الجهة، وهذه معرفة ناقصة، تمامها الحكم بوجوده ووجوبه؛ إذ من ضرورة كونه موجوداً للعالم كونه موجوداً؛ فإنّ ما لم يكن موجوداً استحال بالضرورة أن يصدر عنه أثر موجود، فهذا الحكم اللاحق هو كمال معرفته.

وأما الثانية؛ وهي قوله ﷺ: «وكمال التصديق به توحيده»:

فبيانها: أنّ من صدّق بوجود الواجب ثمّ جهل - مع ذلك - كونه واحداً، كان تصديقه به تصديقاً ناقصاً، تمامه توحيده؛ إذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجود الواجب، فإنّ طبيعة

(١) شرح ميشم بن علي ١: ١١٩ - ١٢٠. (٢) هذا القول وما يليه هو لميثم بن علي.

خالقاً ورازقاً وربّاً؛ فإنَّ حقيقة هذه الصفات هي كونها معقولة بالقياس إلى مخلوقيّة ومرزوقيّة ومربوبيّة موازية.

وإن كان الثاني، فالمنسوب إليه إمّا أن يكون^(١) موجوداً للمضاف إليه^(٢) أو ليس بموجود له.

والأوّل، هو الصفات الحقيقيّة، ككونه تعالى حيّاً؛ فإنّه أمر يعقل بالقياس إلى صحّة العلم والقدرة له، وليس بإزاء أمر يعقل منه نسبة إليه.

والثاني، هو الصفات السلبيةّة، ككونه تعالى ليس بجسم ولا بعرض وغيرها^(٣)؛ فإنّها أمور تعقل له بالقياس إلى أمور غير موجودة له تعالى.

ثمّ نقول: لا يلزم من اتّصاف ذاته سبحانه بهذه الأنواع الثلاثة من الصفات تركيب ولا كثرة في ذاته؛ لأنّها اعتبارات عقليّة، تحدّثها عقولنا عند المقايسة إلى الغير، ولم يلزم من ذلك أن تكون موجودة في نفس الأمر، وإلّا^(٤) لم تعقل^(٥).

ولمّا كان دأب العقلاء أن يصفوا خالقهم سبحانه بما هو أشرف طرفي النقيض؛ لما تقرّر في عقولهم من أعظميّته، ومناسبة أشرف الطرفين للأعظميّة، كان ما وصفه به تعالى من الصفات الحقيقيّة والإضافيّة والسلبيةّة كلّها كذلك، انتهت^(٦).

وقد سمّي الاعتبار العقليّة صفات وإن لم تكن موجودة، كما قال؛ لأنّ العبارات المفهومات لها تسمّى صفات لغة، كما تبين.

قوله ﷺ: «أوّل الدين معرفته» إلى قوله: «فقد جهله»:

قال في شرح ميشم بن علي: اعلم أنّ معرفة الصانع سبحانه على مراتب، فأولها وأدناها: أن يعرف العبد أنّ للعالم صانعاً. الثانية: أن يصدّق بوجوده. الثالثة: أن يترقّى

(١) في هـ. ص: لعله يريد أنه ثبوتيّ لا سلبي. (٢) كلمة «إليه» لم ترد في شرح ميشم بن علي.

(٣) في ص: ولا غيرهما.

(٤) كذا صحّح في هـ. ص، وفي المتن وشرح ميشم بن علي: وإن.

(٥) إنّ عدم معقوليّتها في صورة جعل تلك الصفات زائدة على الذات.

هذا ولميشم بن علي تفسير لهذا المطلب ذكره في ١: ١٢٣ وسيذكره الشارح في هذا الكتاب:

(٦) شرح ميشم بن علي ١: ١٠٨ - ١٠٩.

- بجذب العناية الإلهية - إلى توحيده وتنزيهه عن الشركاء. الرابعة: مرتبة الإخلاص له. الخامسة: نفي الصفات التي تعتبرها الأذهان له، عنه، وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الإنسان.

وكلّ مرتبة من المراتب الأربع الأولى مبدأ لما بعدها من المراتب، وكلّ من الأربع الأخيرة كمال لما قبلها.

ثم إنّ المرتبتين الأوليين مركوزتان في الفطر الإنسانية، بل في ما هو أعمّ منها، وهي الفطر الحيوانية؛ ولذلك لم يدع الأنبياء: الخلق إلى تحصيل هذا القدر من المعرفة... وإنما كانت أول مرتبة دعوا إليها من المعرفة هي توحيد الصانع ونفي الكثرة عنه، المشتمل عليها أول كلمة نطق بها الداعي إلى الله وهي قولنا: لا إله إلا الله^(١).

وقوله ﷻ: «وكمال معرفته التصديق به» إلى قوله: «نفي الصفات عنه»:

أقول^(٢): ترتيب هذه المقدمات على هذا الوجه يسمّى قياساً مفصلاً - وهو القياس المركّب الذي تطوى فيه النتائج -، وعند ذكرها يتبيّن أنّ المقصود منها بيان أنّ كمال معرفته نفي الصفات عنه.

فلنشرع في تقرير المقدمات:

أمّا المقدمة الأولى؛ وهي أنّ «كمال معرفته التصديق به»:

وبيان ذلك: أنّ المتصور لمعنى «إله العالم» عارف به من تلك الجهة، وهذه معرفة ناقصة، تمامها الحكم بوجوده ووجوبه؛ إذ من ضرورة كونه موجوداً للعالم كونه موجوداً؛ فإنّ ما لم يكن موجوداً استحالة بالضرورة أن يصدر عنه أثر موجود، فهذا الحكم اللاحق هو كمال معرفته.

وأمّا الثانية؛ وهي قوله ﷻ: «وكمال التصديق به توحيده»:

فبيانها: أنّ من صدّق بوجود الواجب ثمّ جهل - مع ذلك - كونه واحداً، كان تصديقه به تصديقاً ناقصاً، تمامه توحيده؛ إذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجود الواجب؛ فإنّ طبيعة

(١) شرح ميثم بن علي ١: ١١٩ - ١٢٠. (٢) هذا القول وما يليه هو لميثم بن علي.

واجب الوجود بتقدير أن تكون مشتركة بين اثنين، فلا بد لكل واحدٍ منهما من مميز وراء ما به الإشتراك، فيلزم التركيب في ذاتيهما، وكلّ مركّب ممكن، فيلزمه الجهل بكونه واجب الوجود وإن تصوّر معناه وحكم بوجوده.

وأما الثالثة؛ وهي قوله ﷺ: «وكمال توحيده الإخلاص له»:

ففيها إشارة إلى أن التوحيد المطلق للعارف إنما يتم بالإخلاص له، وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن: تنحية ما سوى الحقّ الأوّل عن سنن الإيثار^(١).
فإذن التوحيد المطلق: أن لا يعتبر معه غيره مطلقاً، وذلك هو المراد بقوله: «وكمال توحيده الإخلاص له».

وأما المقدّمة الرابعة: وهي أن كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه.

فقد بيّن صدقها بقياس برهانيّ مطوّي النتائج أيضاً، استنتج منه: أن كلّ من وصف الله سبحانه فقد جهله. وذلك قوله ﷺ: «لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف [وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة...» إلى قوله: «ومن جزّأه فقد جهله»:

وبيان صحّة المقدّمات: أمّا قوله ﷺ: «لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف» [٢] وهو بالعكس، فهو توطئة الإستدلال ببيان المغايرة بين الصفة والموصوف، والمراد بالشهادة -ها هنا-: شهادة الحال؛ فإنّ حال الصفة تشهد بحاجتها إلى الموصوف وعدم قيامها بدونه، وحال الموصوف تشهد بالاستغناء عن الصفة والقيام بالذات بدونها، فلا تكون الصفة نفس الموصوف.

(١) يبيّن الشارح ميثم بن علي في شرحه معنى الزهد الحقيقي بما يلي، قال: وبيان ذلك: أنّه ثبت في علم السلوك أن العارف ما دام ملتفتاً مع ملاحظة جلال الله وعظمته إلى شيءٍ سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع الله غيراً، حتّى إنّ أهل الإخلاص ليعدّون ذلك شركاً خفياً، كما قال بعضهم: من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلالك فاعلم أنّه مريض، وإنّهم ليعتبرون في تحقّق الإخلاص أن يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله، وإن لحظها فمن حيث هي لحظة، لا من حيث هي متزيّنة بزينة الحقّ. «من شرح ميثم بن علي ١: ١٢٢»

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في ص، وأخذناه من شرح ميثم ١: ١٢٢.

وأما قوله عليه السلام: «فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه»:

فهو ظاهر؛ لأنه لما قرّر كون الصفة مغايرة للموصوف لزم أن تكون زائدة على الذات غير منفكة عنها، فلزم من وصفه بها أن تكون مقارنة لها، وإن كانت تلك المقارنة [على وجه] ^(١) لا يستدعي زماناً ولا مكاناً.

وأما قوله عليه السلام: «ومن قرنه فقد ثناه»:

فلأن من قرنه بشيء [من الصفات] ^(٢) فقد اعتبر في مفهومه أمرين، أحدهما: الذات، والآخر: الصفة، فكان واجب الوجود عبارة عن شيئين أو أشياء، فكانت فيه كثرة، وحينئذٍ ينتج هذا التركيب: أن من وصف الله سبحانه فقد ثناه.

وأما قوله عليه السلام: «ومن ثناه فقد جزّاه»:

فظاهر؛ لأنه إذا كانت الذات عبارة عن مجموع أمور، كانت تلك الأمور أجزاء لتلك الكثرة من حيث إنها تلك الكثرة، وهي مباديء لها.

وضمّ هذه المقدّمة إلى نتيجة التركيب الأول ينتج: أن من وصف الله سبحانه فقد جزّاه.

وأما قوله عليه السلام: «ومن جزّاه فقد جهله»:

فلأن كلّ ذي جزء فهو مفتقر إلى أجزائه، وجزؤه غيره، فكلّ ذي جزء فهو مفتقر إلى غيره، والمفتقر إلى الغير ممكن، فالمتصوّر له جزء متصور في الحقيقة لأمر هو ممكن الوجود، لا واجب الوجود بذاته، فيكون إذن جاهلاً به.

وضمّ هذه المقدّمة إلى نتيجة ما قبلها ينتج: أن من وصف الله سبحانه فقد جهله، وحينئذٍ يتبيّن المطلوب، وهو أن كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه؛ إذ الإخلاص له والجهل به [مما] ^(٣) لا يجتمعان.

وإذا كان الإخلاص له منافياً للجهل به، الذي هو لازم لإثبات الصفة له، كان إذن منافياً لإثبات الصفة له؛ لأنّ معاندة اللازم تستلزم معاندة الملزوم.

(١) - (٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في ص، وأخذناه من شرح ميشم ١: ١٢٢.

(٣) من شرح ميشم بن علي.

وإذا^(١) بطل أن يكون الإخلاص له في إثبات الصفة له، يثبت^(٢) أنه في نفي الصفة عنه، وعند هذا يظهر المطلوب الأول وهو: أن كمال معرفته نفي الصفات عنه، وذلك هو التوحيد المطلق والإخلاص المحقق، الذي هو نهاية العرفان، وغاية سعي العارف من كل حركة حسية وعقلية، وما يكون في نفس الأمر من [غير]^(٣) تعقل نقص [كل]^(٤) ما عداه عنه معه فهو الوحدة المطلقة المبرأة عن كل لاحق.

وهذا مقام حسرت عنه نوافذ الأبصار، وكلت في تحقيقه صوارم الأفكار، وأكثر الناس فيه الأقوال، فانتهمت بهم الحال إلى إثبات المعاني وارتكاب الأحوال، فلزمهم في ذلك الضلال ما لزمهم من المحال.

فإن قلت: هذا يشكل من وجهين، أحدهما: أن الكتب الإلهية والسنن النبوية مشحونة بوصفه تعالى بالأوصاف المشهورة كالعلم والقدرة [والحياة]^(٥) والسمع والبصر وغيرها، وعلى ما قلتم يلزم أن لا يوصف [سبحانه]^(٦) بشيء منها.

الثاني: أنه صرح بإثبات الصفة له في قوله: «ليس لصفته حدّ محدود» ولو كان مقصوده [بنفي الصفات]^(٧) ما ذكرتم لزم التناقض في كلامه.

قلت: قد سبق منا بيان أن كل ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية والإضافية اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايضة ذاته سبحانه إلى غيرها، ولا يلزم من ذلك تركب^(٨) في ذاته ولا كثرة، فيكون وصفه تعالى [بها]^(٩) أمراً معلوماً من الدين، ليعم التوحيد والتنزيه كل طبقة من الناس.

ولما كانت عقول الخلق^(١٠) على مراتب من التفاوت، كان الإخلاص الذي ذكره أقصى ما تنتهي إليه القوى البشرية عند غرقها في أنوار كبرياء الله، وهو أن تعتبره فقط من غير ملاحظة شيء آخر.

(١) في «ص»: وإذا.

(٢) في «ص»: ثبت.

(٣) - (٧) من شرح ميشم بن علي.

(٨) العبارة في شرح ميشم هكذا: ولا يلزم تركيب.

(٩) من شرح ميشم بن علي.

(١٠) في ص: الناس.

وكان إثباته الصفة في موضع آخر ووصفه في الكتاب العزيز والسنن النبوية إشارة إلى الاعتبار التي ذكرناها؛ إذ كان من هو دون درجة الإخلاص لا يمكن أن يعرف الله سبحانه بدونها. وبالله التوفيق^(١) (انتهى خلاصة ما ذكره ميثم في هذا البحث، والله اعلم). وأقول أنا: في هذا الكلام معنى قوله ﷺ - في جواب السائل: وما معرفة الله حق معرفته؟ - قال ﷺ: أن تعرفه بلا مثل ولا شبيه، وأن تعرفه إلهاً، واحداً، أولاً، آخراً، ظاهراً، باطناً، لا كفؤ له ولا مثل له^(٢).

جعل ﷺ رأس العلم معرفة ما يصح أن يضاف إليه وما ينفي عنه من الصفات. واعلم أنه لم يرد بقوله: «أول الدين معرفته» أن أول ما يجب على المكلف «المعرفة»، حتى يورد: إن أول ما يجب «النظر» على ما يذكره المعتزلة، ويجب عن هذا الإسراء: بأن المراد أول الواجبات الأصلية الواجبة لنفسها، والنظر وجب لغيره، كما قاله ابن أبي الحديد^(٣).

فإن الصحيح: إن الواجب على عموم المكلفين، المعرفة الجمليّة، والحق أنها بديهيّة. وقد صرح بأن الجمليّة هي الواجبة وبأنها ضروريّة، في مواضع من كلامه كثيرة، وسيأتيك التنبيه عليها في محالّها إن شاء الله تعالى. إنّما معنى كلامه هو أن أصل الدين وأساسه، والذي تنمو عليه غرائسه، وتسمو فروعه، وتنحصر فوائده، هو معرفة الله حق معرفته، وهي أن لا تتوهم ولا تتكلف القول فيه فوق ما أوصل العقول إليه، كما قال: «لم يوصل العقول إلى حقيقة صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته».

(١) شرح ميثم بن علي ١: ١٢٠ - ١٢٤.

(٢) في هـ. ص: روي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علّمني من غرائب العلم؟ فقال ﷺ: وماذا صنعت في رأس العلم حتى تسألني عن غرائبه؟ فقال الرجل: يا رسول الله، وما رأس العلم؟ فقال ﷺ: معرفة الله حق معرفته. قال: وما معرفة الله حق معرفته، قال ﷺ:

أن تعرفه... الخ. بحار الأنوار ٣: ٢٩٩، الحديث ٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٣.

وقد كرّر هذا المعنى في كلامه كثيراً، وصرّح بأن حقيقة الذات وغاية الصفات لا سبيل إلى الوصول إليها.

ولم تَضِلَّ الفرق المختلفة في ذات الله وصفاته - من أهل الكفر والإسلام - إلا لأنهم طلبوا الحقائق، فتلاشى عليهم ما فُطروا عليه من اليقين.

وأنا أضرب لك مثلاً في ذلك: الواحد من أولي الأبصار إذا انتفع بما اكتسب أجزاء الهواء من شعاع الشمس من الاستنارة، لم يخف عليه كل ما يدركه من المبصرات، ولم يزل سليم الحاسة مدركاً بها ما يدرك، فإن قال: أنا لا أكتفي بهذا النور، بل لا بدّ أن أدرك حقيقة هذا المنير، فقابل الشمس ببصره، فإنّ بصره - لا شك - يذهب، فلا يدرك شيئاً، فإن لجّ وألحّ في مراده أفضى به ذلك إلى العمى وذهاب الحاسة.

كذلك من اكتفى من معرفة الله سبحانه بما فطر عليه، وبما أقام عليه شواهد الصنع وأعلام القدرة - من أنّها للعالم صانعاً ليس كشيء من العالم؛ لضرورة اختلاف ذات الصانع وذات المصنوع -، ولا يعقل الصانع إلاّ موجوداً حياً قادراً عالماً، فمن اكتفى بهذا، ووضّحه بأدلة السمع، واعتمد على أعلام الحقّ، كان كمن انتفع بأشعة الشمس الخارجة عنها.

ومن افتكر في ذات ذلك الصانع، وحاول إدراك حقيقة المؤثّر، فهو كمن قابل عين الشمس ببصره، فلا شكّ أنّ بصيرته تتلاشى وتعدم.

ويناسب ما قلناه، ما ذكره الجاحظ في آخر كتابه «العبر والإعتبار»، قال: فإن قالوا: فما بال الناس اختلفوا فيه مع وضوح الأدلة - بزعمكم - عليه؟ قلنا: لقصور العقول عن الإحاطة به، وتعدّي النفوس مقاديرها بالسّم إلى معرفة ذاته؛ ولأنّها تروم الإدراك له وهي تعجز عمّا دونه، فمن ذلك هذه الشمس المضيئة التي ترونها تطلع على العالم كلّ يوم، وهم لا يعرفون حقيقة أمرها - ولذلك كثر القول من الحكماء في الاختلاف فيها -.

ثمّ أورد كلام الحكماء، ثمّ قال: ففي تفاوت الاختلاف في الشمس دليل على أنّهم لم يقفوا على حقيقة أمرها إلاّ بالرأي، والرأي يخطيء ويصيب.

فكيف به إذا تعدّى ذلك إلى مبدع الأشياء كلّها سبحانه؟ وكذلك اختلفوا في القمر والكواكب والحوادث السماوية والزلازل وشكلها وكثرتها وقتلتها، وفي الجبال وحدوثها وفي البحار، وكثير من العالم المشاهد، فقالوا فيه بآراء غير متفقة.

وإذا كان الأمر في إحكام الرأي في ما يمكن فيه القياس على هذا التفاوت، فما لا يقاس ولا يحدّ أولى بأن لا يعرف منه إلّا وجوده ووحدانيته وقدرته وحكمته، فما للأدلة وصول إليه من نفسه؛ لأنّه مستتر عن الأبصار، محتجب متعالٍ عن إحاطة الأوهام، انتهى^(١).

ويدلّك على أنّ أصل ضلال الفرق هو عدم الاقتناع بما فطروا عليه، ما أورده السيّد أحمد بن محمّد الشرقي رحمه الله في شرح الأساس ولفظه:

ولا يبعد أن يكون أصل معرفته تعالى إلهاماً منه تعالى وفطرة فطر العقول على ذلك، كما فطرها على إدراك المدركات، وقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «كلّ مولود يولد على الفطرة... الخبر»^(٢).

وقد ذكر مثل هذا الإمام الكبير محمّد بن القاسم في كتاب «الهجرة» والإمام القاسم بن علي العياني وغيرهم، وروي عن الفقيه حميد الشهيد - أيضاً -.

وقال القدسي: اتفق الناس على أنّه لا بدّ للعالم من مؤثّر ما، ثمّ اختلفوا، فقال أهل الإسلام والكتابيون والبراهمة وبعض عبّاد الأصنام: إنّهُ فاعلٌ مختار.

وبه قالت المطرفية، لكن زعموا أنّه لا يؤثّر إلّا في الأصول الأربعة - التي هي: الهواء والماء والأرض والنار -.

قال: وقال أهل الإلحاد: إنّهُ موجب، ثمّ اختلفوا، فقال أهل النجوم: التأثير لها ولحركاتها - فقط - ولم يشبتوا غير ذلك.

(١) الدلائل والإعتبار على الخلق والتدبير: ٦٨.

(٢) الكافي ٢: ١٣، الحديث ٤ والبحار ٣: ٢٧٩، الحديث ١١ و٢٨١، الحديث ٢٢.

وقال الدهريّة: التأثير للدهر، وهو قريب من الأوّل؛ إذ المرجع بالدهر إلى حركات الأفلاك.

وقالت الطبائعيّة: بالطبع.

وقالت الباطنيّة: إنّ الباري - تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً - علة قديمة، صدر عنها السابق، وصدر عن السابق التالي، وعن التالي النفس الكلّية...

وقالت الفلاسفة: المؤثر في العالم علة قديمة، صدر عنها عقل واحد، ثمّ تكثّر هذا العقل... إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة التي هي سبب لكلّ غالٍ، ومنها تفرّعت كلّ بدعة باطلة. قال في «المعراج»: ومثل ما ذكره القدسي ذكره قاضي القضاة، حيث قال: لا يوجد من قال بنفي المؤثر جملة وتفصيلاً^(١)، وقال: إنّ القول بنفي المؤثر في العالم جملةً وتفصيلاً يشبه مذهب السوفسطائيّة. خلا أنّه حدّث [ان] جماعة من الورّاقين وضعوا مقالة لم يذهب إليها أحد، وقالوا بأنّ العالم قديم ولا مؤثر فيه، ونصر هذا القول المتزندق ابن الراوندي.

قال: وهكذا ذكر الفقيه حميد وابن الملاحمي. (انتهى كلام شرح الأساس) فظهر لك: أنّ سبب ضلال هذه الفرق طلبهم التوقف على حقيقة الذات، وكذلك سبب ضلال فرق كثيرة من أهل الإسلام، إمعانهم النظر في مفهومات الصفات، ولم يقنعوا بما فطر الله في عقولهم من أنّ الصانع لا يكون إلّا موجوداً حيّاً قادراً عالماً. وقد صرّح بأنّ معرفة اتّصاف الصانع للعالم بكونه قادراً عالماً حيّاً موجوداً ضروري، لا يحتاج إلى الاستدلال، الإمام القاسم بن محمّد في «أساسه»، ويبيّن أنّ تأثير الإيجاب باطل بما لا مزيد عليه^(٢).

(١) في هـ. ص ما يلي: وإذا ثبت إجماع العقلاء على وجود مؤثر، فليعتمد في إثبات تخييره في تأثيره على الدليل الذي دلّ عليه كتاب الله عزّ وجلّ في مواضع كثيرة، وهو اختلاف صنعه في ذواته وصفاته وحكمته؛ وينقل بعضه في أطواره، وقد أشار إلى هذا الدليل أمير المؤمنين (عليه السلام) في مواضع من كلامه، وسيأتي التنبيه عليه في محالها إن شاء الله تعالى.

(٢) والدليل عليه هو حدوث العالم بعد عدمه؛ إذ لو كان الله موجباً لزم أن لا يتخلف اثره عنه فيلزم إمّا قدم العالم أو حدوث الله، وكلاهما باطلان.

وقد صرح بقريب من قوله الفقيه العلامة فخر الدين عبد الله بن زيد العنسي رحمته الله أنه أورده في شرح الأساس مارسمه، قال الفقيه العلامة فخر الدين عبد الله بن زيد العنسي رحمته الله ما لفظه: واعلم أننا إذا دللنا على إثبات صانع للعالم مختار، كفانا ذلك الدليل في أن الله تعالى موجود قديم قادر عليهم حي.

قلت: لا دليل لنا على هذه الأوصاف التي هي أوصاف الكمال سوى حدوث العالم وحاجته ^(١) إلى فاعل مختار؛ لأنه لا يصح أن يكون فاعلاً مختاراً إلا وهو قادر على ما خلق وعالم بذلك، لما في حدوث العالم من الإحكام الذي قد بيّنا بعضه، الدال على علمه، وحي بحيث لا يعقل أن يكون مواتاً. وهو قادر عالم مختار وموجود؛ لأنّ المعدوم لا يكون فاعلاً مختاراً، ويعلم ذلك ضرورة ^(٢).

(١) في هـ. ص ما يلي: وفي شرح السيّد شريف على المفتاح عند ظ آورد السكاك ظ في مثال الأطناب ظ قوله تعالى: «إنّ في خلق السموات والأرض... إلى الآيات» لعلامات دالة على وجود الصانع وصفاته؛ لأنّ ترجّحه لما لم يكن من ذات الممكن كان مستنداً إلى فاعل، إمّا واجب لذاته أو منتبه إليه، دفعاً للدور والتسلسل. وقد تقرّر في علم الكلام أنّ وجوب الوجود يدلّ على الوحدانيّة والعلم والقدرة وعلى سائر الصفات السلبية ^(*) (انتهى كلامه) والمتحصّل منه: إنّ دليل إثبات الصانع وأنّصافه بالصفات مثاله دليل واحد، وهو استدعاء الضرورة وجود فاعل مختار واجب، ودليل اختياره: حدوث العالم بعد عدمه.

(*) إنّ جميع صفات الله سبحانه تفهم من وجوب وجوده تعالى، فوجوب الوجود يدلّ على كون وجوده ضرورياً وغير متناه، كما يدلّ على أنّه قيوم، أي به يقوم ما سواه، وعلى كونه صمداً أي غنياً عما سواه.

فكونه ضرورياً وغير محدود وغير متناه، يدلّ على جميع الصفات الثبوتية، من العلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والإدراك، والإرادة، والعلم.

وكونه «قيوماً» يدلّ على جميع الصفات ذات الاضافة من أنّه خالق، رازق، مُغني معطٍ - إلى غير ذلك.

وكونه «صمداً» يدلّ على جميع الصفات السلبية من نفي الشريك، والمثل، والتركيب، والتقييد، والتحيّز، والحلول، والاتّحاد، والجهة، وحلول الحوادث فيه، والحاجة إلى الآلة، والمعاني، والأحوال، واللذة المزاجية، والصفات الزائدة على ذاته فإنّ كلّ هذه تفهم من كونه «صمداً».

(٢) توضيح هذه الأدلة:

قال: وإنما أردنا التقريب، بأن يجري تأسيساً^(١) على قاعدة أصحاب أبي هاشم، في أنهم يذكرون هذه الأوصاف فصلاً بعد إثبات الصانع، ويعتقدون إن إثبات الصانع دلالة مجملة لم يتعين بها اختصاصه تعالى بكونه قادراً عالمياً حياً موجوداً؛ لا اعتقادهم أنها صفات مقتضاة عن الصفة الذاتية، لا يمكن العلم بها إلا بنظر جديد، فلهذا فصلوا هذه الفصول.

→ فأما اختيار الله سبحانه وعدم كونه موجباً بما يلي:
إن ما سوى الله لما كان ممكناً، فلا بد أن يكون وجوده مفتقراً إلى مؤثر، فإن كان ذلك المؤثر في الوجود مختاراً فهو المطلوب، وأما لو كان موجباً فيلزم من ذلك إما قدم العالم أو حدوث الله. أما الأول، فلان المؤثر إذا كان موجباً لزم كون العالم الذي هو أثر الله قدسماً أيضاً لعدم تخلف الاثر عن الفاعل الموجب ولكن قدم العالم محال، لتغيره، وكل متغير حادث. وأما حدوث الله، ولأنه قد ثبت حدوث العالم لتغيره، وحيث أنه أثر لله والمفروض ان الفاعل موجب فلا يتخلف أثره عنه، فلا بد من كون الله حادثاً أيضاً. وهو محال، لوجوب وجوده الذي ينفي عنه العدم السابق واللاحق فلا بد من القول بكون المؤثر في العالم مختاراً لا موجباً.

ولا يرد الاشكال حينئذ لان الفاعل المختار يمكن ان ينفك اثره عنه، وهذا تفصيل ما أشرنا إليه آنفاً، من أن القول بإيجاب الخالق يستلزم إما قدم العالم أو حدوث الله تعالى، وكلاهما باطلان.

وأما علمه سبحانه: فيدلّ عليه صنعه للأشياء المحكمة المتقنة، وكلّ من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة. فلو تأمل الإنسان في الشمس، ودوران الأرض، وبناء الحيوان والإنسان وما أبدع فيهما من الدقة والحكمة، لأيقن أن صانع هذه الموجودات عالم حكيم.

هذا بالإضافة إلى أنه بعد أن ثبت أن الله مختار - كما أوضحناه في الدليل الأول - فإن كلّ مختار لا بدّ وأن يكون عالمًا؛ لأنّ المختار لا يعمل إلا بعد القصد والإرادة.

وأما الحياة، فالدليل عليه هو نفس العلم والقدرة؛ فإنّ كلّ قادر وعالم لا بدّ وأن يكون حياً. طبعاً لا نقصد بالحياة هو ما نفهمه من الحياة فإنّ الحياة مختلف في الموجودات، فحياة الشجر يختلف عن حياة الحيوان، وحياة الحيوان يختلف عن حياة الإنسان، والله سبحانه لا نعرف عنه سوى أنّه موجودٌ وحيّ، وأما كيفية حياته فهو ممّا لا تصل إليه عقولنا المحدودة. فالدليل يقتضي ثبوت أصل الحياة لا كيفية، وهذا كثبوت أصل القدرة والعلم، من دون إمكان الوقوف على حقائق الصفات في الذات الإلهية؛ لأنّها عين ذاته التي خفيت على كلّ البشر، فهو من لا يعلم ما هو إلا هو. (١) في هـ. ص: بانياً.

قال: ونحن لا نعتقد الصفة الذاتية، ولا المقتضاة، ولا أن بعض الصفات تؤثر في بعض على جهة الاقتضاء، ولا أن ذلك من مذاهب الأنبياء، ولا من دين محمد المصطفى، ولا علي المرتضى، ولا المتقدمين من أهل البيت النجباء صلوات الله عليهم جميعاً.

قال: ومن سمع بمقالتهم هذه - وهي: تجويزهم حصول العالم وحدوثه ممن ليس بموجود حي قادر عالم - سخر بها غاية السخرية، بل ذكر الشيخ أبو الحسين البصري والشيخ محمود الملاحمي عن المعتزلة: إنهم يجوزون أن الإنسان يعلم أن للعالم صانعاً مختاراً عدلاً حكيماً باعشاً للرسول، قبل أن يعلم أنه موجود حي قادر عالم حي، وهذه ضحكة لا ينبغي ذكرها إلا على وجه التحذير منها؛ لأنه لازم لهم على ذلك المذهب الذي ذهبوا إليه، فهم التزموا ما لزمهم من ذلك وإن كان شنيعاً جداً.

(انتهى من شرح الأساس)

فاتضح لك: أن المعرفة الواجبة لذات الباري، إما ضرورية أو يكفي في تحصيلها أيسر نظر، وإن العلم بصفاته لازم للعلم بذاته - ضرورياً كان أو استدلالياً - .
وتعيّن أن التوحيد الذي تفاوتت فيه رتب الخلق عائد إلى تنزيه الله ورفعته عن التوهّمات والظنون.

وهذا معنى قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «التوحيد ألا تتوهّمه»^(١) وأوضح ذلك في هذه الخطبة التي نحن في شرحها بالدليل، فقال (عليه السلام): «كمال معرفته التصديق به»:
أي: كمال ما هو الواجب الإذعان والسكون إلى المعرفة الجمليّة التي فطر الله العقول عليها، وإن لا يعبر بتوهّم وتظنن.

ثم قال (عليه السلام): «وكمال التصديق به توحيده»:

أي: المعتبر من التصديق هو عدم التوهّم والتصور الخيالي^(٢).

ثم قال (عليه السلام): «وكمال توحيده الإخلاص له»:

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٤٧٠.

(٢) إن كمال التصديق بالله هو نفي الشركاء عنه، فإن من صدّق بالله مع جعل الشريك له كبعض النصارى والثنوية، فإن تصديقهم ناقص.

أي: لا يتعتقد مشاركة مفهوم ولا معقول له في أخصّ صفات الإله، أي: القدم.

ثم قال ﷺ: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»:

أي: لا يحصل المعتبر من الإخلاص، إلا بأن لا تجعل صفته معنى قديماً، ولا أمراً، ولا مزية، ولا حالاً زائداً على ذاته ثابتاً أزلياً.

ثم قال: إنما صدق التلازم، وصحّ اتّحاد المؤدّي والمفهوم الواجب من هذه الجمل «لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنه غير الصفة»:

أي: إنّ هذه القضية - وهي تغاير كلّ صفة وموصوف - من البديهيات التي يوجبها تحقّق مفهوم صفة وموصوف.

ولا يجدي القائل بإثبات الصفة^(١) قوله: أنها ثابتة لا موجودة، وزائدة لا غير، وأزليّة لا قديمة، ويعلم الذات عليها لا معلومة. فإنّ هذه فروق في العبارة ولا توجب افتراقاً في المعنى؛ إذ لا يعقل منها إلا مفهومات مرادفات لها لغة.

وزعم أنها متغايرة المفهومات اصطلاحاً، مجرد دعوى لا حقيقة لها ولا دليل عليها، ومجرد الدعوى لا ينفي المعلومات اليقينيّات، لا سيّما البديهيات، كتغاير الصفة والموصوف. فإن قيل: فما تصنع بقول أئمة أهل البيت ﷺ: إنّ صفات الله ذاته، وهل هذا إلاّ ضدّ كلام أمير المؤمنين وخلافه؟

قيل له: إنّ المعلوم تغايره هو مفهوم صفة حقيقة ومفهوم الموصوف، ومفهوم صفة في قولهم: «صفة الله ذاته» مفهوم مجازي لا حقيقي، وذلك أنّهم قالوا: لفظ علم، وقدرة، وحياة، ووجود، إذا أضيفت إلى اسم الله وقيل: «علم الله» «قدرة الله» «حياة الله» «وجود الله»، فمفهومها: ذات الباري الذي ليس كمثله شيء.

(١) في هذا الموضع من نسختنا هامش طويل، أوله: بسم الله الرحمن الرحيم: وجدت في حواشي الفقيه قاسم بن أحمد بن حميد الحلبي على شرح الأصول للسيد مانكديم ما صورته: وأما الموضع الثاني، وهو في أن هذه الصفات زائدة على ذاته فهو [محل] خلاف بين الشيوخ، فالذي عليه أبو هاشم وأصحابه: أنها زائدة على ذاته، والذي عليه الشيخان أبو الحسين وابن الملاحمي: أنها هي ذاته، ثم نقل كلامه وكلام شيوخ آخرين، بتفصيل لم يمكننا قراءة كثير من كلماته؛ لعدم وضوحها في النسخة.

قالوا: وإنما اطلقت على ذاته تعالى؛ تحقيقاً لإفهام المقصود وتأكيده؛ وذلك لأنه لما كان المخلوق لا يعلم إلا بعلم، ولا يقدر إلا بقدره، ولا يحيى إلا بحياة - هي أعراض - فإذا أريد تحقيق تعلق كل واحد من هذه الأعراض بمتعلقه، قيل: «صدر هذا بعلمي»، و«علمي محيط بكذا»، و«قدرتي لا تقصر عن كذا» ثم استعيرت هذه العبارات في حق الله تعالى، كما اطلق في حقه تعالى: الوجه، والنفس، واليد، والعين، على ذاته تحقيقاً وتأكيذاً لمفهوم العبارة.

ألا ترى أن الواحد منا إذا أراد تحقق صدور الفعل منه قال: فعلت هذا بيدي، وإذا أراد تحقق إيصاره محضاً قال: أبصرته بعيني، وإذا أراد تحقق سماعه كلامه قال: سمعته بأذني، وإذا أراد تحقق لقاء صاحبه قال: لقيت به بوجهه، وإذا أراد تحقق صدور الفعل منه وأنه لم يستتب فيه قال: توليته بنفسي.

فزيادة مدخولات الباء في هذه العبارات لمجرد التأكيد، لا تأسيس في شيء منها، ثم استعيرت في حق الباري تعالى لغرض تأكيد المفهوم، وإن كان معانيها الحقيقية محالاً في حقه^(١)؛ نظراً إلى المغزى وخلاصة المفهوم.

(١) إن منشأ انحراف أصحاب المذاهب السقيمة في صفات الله، أنهم يلتزمون بأن إطلاق هذه الصفات على الله هي على نحو المجاز، وأن معانيها الحقيقية محالات في حقه. والصحيح أن صفات الله سبحانه تتحقق معانيها في الله سبحانه لكن لا بالمعنى الذي يتصور من إطلاق تلك الألفاظ. بل بالمعنى اللائق به سبحانه، والذي لا يدركه إلا هو، فالقدرة الإلهية غير قدرتنا وكل قدرة متصورة، بل لا يمكن القياس اصلاً، كما لا يمكن قياس الذات الإلهية بسائر الذوات.

صحيح إنه في قولنا: «الله عالم» أو «علم الله» المفهوم من لفظة الله غير المفهوم من لفظة علم وعالم، ولكن المعنى: أن العلم الإلهي غير منفصل عن الذات، بل هو من مظاهر الذات، لأن ذاته شيء وعلمه شيء آخر. ولا يمكن سلب العلم عن الله أبداً، بخلاف علم زيد؛ فإنه يمكن سلبه عنه، وذات زيد هو غير علمه، وكذا قولنا «قدرة الله» فليس معناه القدرة تختص بجزء من الذات حتى يستلزم التركيب وغيره، بل الذات كله علم وقدرة، وكله حياة، وكله وجود. وأما إطلاق كلمة «الوجه» و«النفس» و«اليد» و«العين» فهو كناية عن الوجود والذات والقدرة والعلم.

وكما إنّ الوجه والنفس والعين واليد عبارة عن ذات الباري - اتفاقاً - فكذلك العلم والقدرة والحياة والوجود في العبارات السابقة.

وكما لا يمتنع إطلاقها على ذات الباري من أن يصدق قول القائل: كلّ جزء فهو غير الكلّ، أي: بالمفهوم الحقيقي لهما، كذلك لا يمتنع إطلاق أسماء الصفات على ذات الباري، من أن يصدّق القول بأنّ كلّ موصوف غير الصفة^(١).

ثمّ عبّرنا عن هذه الألفاظ المضافة إلى الله تعالى نحو «علم الله تعالى» إلى آخره، بلفظ «صفة» و«صفات»؛ لأنّ مدلولها في الشاهد صفة نحو علم الواحد منّا وقدرته.

قال الأئمة عليهم السلام: لفظ صفة إذا أُضيفت إلى الله، لها معنيان: حقيقي ومجازي. فالحقيقي هو: قول الواصف، نحو قولنا: «الله عالم» «الله قادر»، وهذا هو الموضوع له لفظ صفة لغة.

والمجازي هو: علم الله، وقدرة الله، وحياة الله، ووجود الله؛ إذ مدلولات هذه المسمّيات ذات الله سبحانه.

[رجوع إلى شرح الخطبة]:

رجعنا إلى شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه»: هذا أخذ في توضيح أنّه لا يكمل التوحيد والإخلاص إلّا بنفي الصفات. قال: إذا عرفت أنّ كلّ صفة مفهومها الحقيقي غير الموصوف، فمن أثبت لله صفة زائدة أزليّة فقد قرنه - أي أثبت له قريناً هو الصفة -.

«ومن قرنه فقد ثناه»:

أي: جعل معه ثانياً مشاركاً له في أخصّ أوصافه - وهو القدم -.

قال: «ومن ثناه فقد جرّاه»:

(١) قول أمير المؤمنين عليه السلام ناظر إلى الصفات الزائدة على نحو المعاني أو الأحوال، لا الصفات التي هي عين الذات.

لأنه صار مفهوم اسم الله - على هذا - ذاتاً وصفة، ولا شك أن هذا لازم لمن قال: صفة الله أمر زائد على ذاته، تعلم الذات عليه ولا يعلم في نفسه.

ثم قال عليه السلام: «ومن جزأه» أي جعل ذاته مركبة من الأجزاء. «فقد جهله» لأنه عقد ضميره على غيره، فانتفى عنه أول الدين - وهو المعرفة ^(١) -.

قال الأئمة عليهم السلام: لا يخلص من هذه اللوازم الباطلة إلا من لم يثبت لله صفة زائدة على ذاته، ومن يعتقد أنه لا ثبوت في الأزل لمفهوم ولا لمعقول إلا لذات الباري، الذي لا يشابه شيئاً من الذوات ولا يحيط بها علماً إلا هو.

قالوا: فأما من أثبت أموراً، وسمّاها صفات أو أحوالاً أو مزايا، فإن أراد بها الأوصاف، أي أقوال الواصفين فحقّ وصواب، لكنّه لا يساعدهم عليه قولهم: إنها أزليّة، وقولهم ^(٢): إنها لا تعلم، وقولهم: لا هي الله ولا غيره، ولا شيء ولا لا شيء؛ لأنّ الأوصاف المقولة حادثة، ومعلومة، وغير الله، وأشياء.

وإن لم يريدوا بها الأوصاف، فما من دليل يبطل قول الأشاعرة إلا وهو يبطل قولهم: إذ لا يعقل مفهوم له إلا مثل مفهوم قول الأشاعرة.

وإن زعموا أنّ ثمّ مفهوماً معقولاً مخالفاً لمفهوم قول الأشاعرة، فإنّما هو مجرد دعوى. وتعويلهم في التفرقة على تحريف العبارة لا يجديهم نفعاً، كبذلهم أمراً من معنى، وأزليّاً من قديم، وزعمهم أنّها غير معلومة، وإنّما الذات عليها تعلم.

وقولهم: إنّها بهذا تفارق معاني الأشاعرة، لا حقيقة له؛ لأنّهم قد أثبتوها، وإثبات ما لا يعلم يفتح باب الجهالات - كما قالوا في ردّهم على الأشاعرة -.

ثمّ إنهم قالوا: إنّ الذات عليها تعلم. فما لا يُعلّم كيف يدعى له أنّ شيئاً يعلم عليه؟

ثمّ إنهم قالوا: هي أزليّة، وزوائد على الذات، وبعضها مقتضى وبعضها مقتضى. ومحال

ثبوت هذه الأمور لغير معلوم.

(١) كما ورد في أول هذه الخطبة قوله عليه السلام: أول الدين معرفته.

(٢) أي قول البصريّة من المعتزلة الذين أرادوا سلوك طريق آخر لإثبات الأحوال بتعابير سبق من الشارح ذكرها.

قال: من جعل صفات الله أموراً زائدة على ذاته: لما تقرّر أنّ الله سبحانه مخالف لغيره، ويستحيل وقوع^(١) المخالفة بنفس كونه ذاتاً، فيجب أن تكون المخالفة بأمور زوائد وراء كونه ذاتاً، وليس ذلك إلا الصفة التي نريدها.

وجواب هذا: إنهم بنوه على قولهم: إنّ الله مساوٍ لغيره في الذاتية، وإنّ الذوات كلّها متساوية لا تمايز إلا بالأحوال، ولم يتحاشوا من قولهم: إنّ الله لا يعلم من ذاته إلا مثل ما يعلمون، بل أكدوا ذلك بالتقسم، وسيأتيك من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يرد هذا القول ويبطله في مواضع^(٢).

(١) في هـ. ص: كون - خ ل.

(٢) في هـ. ص هنا ما يلي: قال ابن أبي الحديد: اعلم أن القول بالحيرة في جلال ذات البارئ والوقوف عند حد محدود لا يتجاوزه العقل، قول ما زال فضلاء العقلاء قائلين به: (انتهى كلام ابن أبي الحديد) وقال الامام يحيى بن حمزة - في مؤلف له يقال له: «المعالم الدينية» -: القول في أنّه تعالى بماذا يخالف غيره؟ وأن حقيقة ذاته هل هي معلومة للبشر أم لا؟ أمّا بماذا يخالف غيره؟ فالذي ذهب إليه نفاة الأحوال كابي الحسين واصحابه، أن مخالفته لغيره لا تكون إلا لذاته، وأنّه ليس بين الحقائق اشتراك إلا في الاسماء والاحكام، وأما في نفس الحقائق فلا.

وأما مثبتوا الاحوال كأبي هاشم وأبي علي وأصحابهما، فذهبوا إلى أنّ ذاته تعالى تساوى سائر الذوات في حقيقتها، ولكنها تخالفها بصفة مخصوصة [وهي حالة الالوهية، التي يتفرع عليها: القادرية والموجودية والحياة والعالمية، على زعمهم] ثم اختلفوا، فذهب أبو علي إلى أنّ مخالفته لغيره؛ لوجوب وجوده وقادريته وعالميته. وذهب أبو هاشم إلى أنّ مخالفته لغيره بصفة خامسة.

والاقرب هو الأوّل، ويدلّ عليه: أنّ مخالفته لغيره لو كانت لغيره لكانت ذاته مساوية لسائر الذوات، ولو كانت مساوية لها لكان اختصاصه بالصفة التي خالف بها غيره لا بدّ أن يكون لأمر موجود، وذلك الأمر إن كان جائزاً لم يك اختصاصه بتلك الصفة واجباً، وهو محال.

وإن كان واجباً، فذلك الوجوب إن كان لصفة أخرى تسلسل، وإن كان لنفس تلك الذات كانت تلك الذات لنفسها مخالفة لغيرها من الذوات، ولا يحتاج إلى صفة أخرى، وهو المطلوب.

وأما أنّ حقيقة ذاته معلومة لنا، وأنّ علمنا بحقيقته كعلمنا بذاته، فمن المتكلمين من ذهب إلى أنّ خاصّة ذاته ليست معلومة لنا، وهو الأقرب.

ويدلّ عليه: أنّ المعلوم لنا منه ليس إلا الصفات الحقيقية من كونه قادراً وعالمًا وغيرها، أو

وقالوا: إذا علمنا الله تعالى أولاً، ثم علمنا ثانياً أنه قادر، فليس يخلوا حال علمنا الثاني، إما أن يكون متعلقاً بذات فقط، أو بامرٍ زائد على ذاته. والاول باطل؛ لأنه لو كان متعلقاً بذاته لوجب إذا علمنا ذاته في أول الأمر أن نعلمها قدرة. وهذا باطل، فإننا نعلم ذاته ولا نعلمها قدرة إلا بنظر مستأنف، فيبطل أن يكون متعلقاً بذاته.

وان كان الثاني، فهو المطلوب؛ لأننا لا نريد بالصفة إلا أنها أمر زائد على الذات، داخل في حيّز العلم بالذات.

وأجيب عن هذا: بأن قولك: إذا علمنا الله سبحانه وتعالى أولاً ثم علمنا ثانياً أنه قادر ... الى اخره، مغالطة؛ لأنه لم يعلم الله من لا يعلم كونه قادراً عالماً حياً موجوداً، فتكرير النظر لأجل معرفة ذات الله تعالى المخالفة لجميع الذوات في الذاتية.

→ الصفات السلبية من كونه تعالى ليس بمتحيّز ولا في جهة وغيرها. ونحن نعلم بالضرورة أن هذه السلوب والإضافات لا بدّ لها من ذات تختص هي بها، وشيء من هذه السلوب والإضافات ليس بحقيقة ذاته، فثبت أنا لا نعرف حقيقة ذاته، انتهى.

وقال السمرقندي: حقيقة الله سبحانه مخالفة لسائر الحقائق لذاتها، عند المحققين من المتقدمين والمتأخرين.

وزعم كثير من المتكلمين أن الذوات كلّها متساوية، وامتنياز بعضها من بعض بصفات مخصوصة، وامتنياز ذات الله تعالى عن غيرها بالصفات الإلهية، وهي الوجوب والقدرة التامة والعلم الكامل.

وتحقيق هذا البحث: إنهم إن أرادوا بالذات: الماهية، فذاك واضح البطلان؛ لأن حقيقة تعالى لو كانت مساوية لحقائق الممكنات، فاختصاصها بالصفات الثبوتية إن كانت لا لأمر، لزم الرحجان بلا مرجح، وإن كانت لأمر فذلك الأمر - أن كان منفصلاً - يلزم أن يكون وجوده بالغير، فيكون ممكناً بالذات، وإن لم يكن منفصلاً يعود الكلام في اختصاصه به، ودار أو تسلسل.

وإن أراد بالذات: كل ما يُعلم بالاستقلال، كما صرّحوا في بعض كتبهم: أن الذات كل ما يتصور بالاستقلال، والصفة لما لا يمكن تصوّره الا تابعاً، فيصير النزاع لفظياً، انتهى.

هذا، وأمّا الأئمة، فإنهم بيّنوا: أن الضرورة قضت باختلاف ذات الصانع وذات المصنوع، وذلك أن الوجوب للصانع ذاتي والامكان للمصنوع ذاتي، فلو تساوى الذاتان اجتمع الضدان، وهما الوجوب والامكان في كل واحد من الذاتين، وذلك محال، والله أعلم وأحكم.

وقد تقدم من كلام العنسي وكلام الإمام القاسم بن محمد ما يتضمن الرد على هذا الایراد الآخر أيضاً.

ويمكن أن يقال: إنَّ الواجب على المكلف المبحوث عنه المنصوب عليه الأدلة هو وصف الله سبحانه بأنه قادر وعالم وحي وسميع وبصير، لا اثبات علم وقدرة وحياء وسمع وبصر.

والدليل على أن ذلك: هو الواجب، والمبحوث عنه لا غيره، قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١) وبيان دعائه بها في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ... إلى آخره^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...﴾ إلى آخره^(٣) وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ... إلى آخره^(٤) وغير ذلك من آي القرآن المتضمنة وصف الله كما يحق له من وصف الكمال، فهو تعليم وارشاد الى كيفية دعائه ووصفه بأوصاف كماله.

ومن السنة: قوله ﷺ: «أن تعرفه بلامثل ولاشبيه، وأن تعرفه إلهاً واحداً، أولاً، آخراً، ظاهراً، باطناً، لا كفؤ له، ولا مثل له».

دلّ على أن الواجب معرفة أن الله أهل لأن يوصف بهذه الاوصاف كما تقول: عرفت زيدا عالماً، أي: عرفت اتصافه بالعلم، لأنَّ لله علماً وقدرة، وإلّا لقال: أن تعرف أن لله علماً وقدرة.

ومن أقوال الأئمة: قول أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة التي نحن في شرحها، وقوله في غيرها: «فمن وصفه فقد شبهه، ومن لم يصفه فقد نقاه، وصفه أنه سميع ولا نصفه لسمعه»^(٥).

(٢) الحشر: ٥٩ / ٢٢ - ٢٤.

(١) الاعراف: ٧ / ١٨٠.

(٤) البقرة: ٢ / ٢٦.

(٣) الاخلاص: ١١٢ / ١ - ٤.

(٥) لم نقف على هذه العبارة في نهج البلاغة، ولعله من كلمات امير المؤمنين في غير نهج البلاغة والموجود في النهج الخطبة ١٥٢: «من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزلّه».

فانظر ، كيف أمر باثبات الوصف بقوله: «ومن لم يصفه فقد نفاه» ثم بيّن ذلك الوصف الواجب بقوله: «وصفه أنّه سميعٌ» اى يوصف بهذا التركيب وما يؤدى مدلوله، من ﴿اللّهُ سَمِيعٌ﴾^(١) ﴿كَانَ اللّهُ سَمِيعاً﴾^(٢) ونحوه هو: ﴿عَلِيمٌ﴾^(٣) و﴿كَانَ اللّهُ عَلِيماً﴾^(٤).
فمن لم يقل في حقّ الله هذا - كما يذهب إليه الباطنيّة -، فقد نفاه، إذ لا يعقل الصانع المختار إلّا من يصح قول هذا الوصف في حقّه. وكيف أمر بنفي الصفة على العموم، حيث قال في هذه الخطبة التي نحن في شرحها: «لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ... إلى آخره»، وقوله في كلامه الآخر: «فمن وصفه فقد شبّهه»، ثم بيّن الصفة المنفيّة بقوله: «ولا نصفه لسمعه».

فمن قال: إنّ سمع الله أمر زائد على علمه، المرجع به إلى كونه حيّاً لا آفة به، مع قوله في صفات الله أنّها أمور زائدة على ذاته، وأنّها أزليّة، وأنّ بعضها مقتضى وبعضها مقتضى، فقد وصف سمع الله قطعاً، وكذلك علم الله وقدرة الله، وكلام سائر الائمة يشير الى مثل كلامه وهو مأخوذ منه.

فإذا عرفت ما هو المبحوث عنه والمدلول عليه، وأنّها الأوصاف المتغايرة المغايرة للذات، فقد نصّ أمير المؤمنين عليه السلام وغيره من الائمة أنّ الدليل على ذلك المطلوب: السمع، قال عليه السلام في خطبة الأشباح^(٥): «فانظر أيّها السائل [بعقلك]^(٦)، فما ذلك القرآن عليه من صفته فأتّم به، واستضيء بنور هدايته، وما كلّك الشيطان علمه ممّا ليس عليك في الكتاب فرضه، ولا في سنّة الرسول ﷺ، و[لا عن] ائمة الهدى أثره، فكُلْ^(٧) علمه إلى الله؛ فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك ... إلى آخر كلامه»، وكلام الائمة من ولده مثل كلامه،

(١) البقرة: ٢ / ١٨١، ٢٤٤، ٢٧٧. (٢) النساء: ٤ / ٥٨، ١٣٤، ١٤٨.

(٣) الحديد: ٥٧ / ٦.

(٤) النساء: ٤ / ١١، ١٧، ٢٤، ٩٢، ١٠٤، وغيرها.

(٥) وهي الخطبة رقم ٩٠ من نهج البلاغة.

(٦) ما بين المعقوفتين لا توجد في نسخ نهج البلاغة، ولعل المؤلف اراد نقل مضمون كلامه وكذا فيما يأتي.

(٧) في «ص»: فكله (ظ) وكتب فوقه (علمه - خ).

وعملهم في الاستدلال على وفقه.

فإن أردنا أن نقيم دليلاً على هذا المطلوب عقلياً، قلنا في مسألة «قادر»: الله عز وجل قد صحّ منه الفعل على جهة الاختيار، بالدليل الذي دلّ على أن للعالم صانعاً مختاراً، وكلّ من صحّ الفعل منه على جهة الاختيار، صحّ وصفه بأنه قادر.

فإنّ الحيّين - في الشاهد - إذا حاول أحدهما فعل شيء، فلم يتعذّر عليه، وصفناه بأنه قادر، وإذا حاوله الآخر فتعذّر عليه، وصفناه بأنه غير قادر عليه.

والله قادر - من المقدورات - على ما لا يتناهى، فكان أحقّ القادرين بأن يقال في حقّه هذا الوصف، ولا حاجة إلى إثبات مزية زائدة على ذات الله تعالى؛ وذلك لأنّ الداعي إلى إثباتها في حقّ الشاهد: استواء الحيّين القادر والعاجز في الذات، فاحتجنا إلى أمر يكون الفرق بينهما باعتبارهما نفيّاً وثبوتاً، وذات الباريء سبحانه ليست كالذوات، بل هو مفارق لكلّ شيء بنفسه، فهو يقدر على المقدورات بذاته^(١).

(١) من المناسب هنا بيان صفات الله بشكل مفصّل بحيث لا يبقى مجال لإيهامات الملحدين والمغرضين فنقول: لا بدّ قبل أن نستدلّ على ثبوت القدرة أن نعرف حقيقة القدرة: لا بدّ في الوصف بالقادر أن يتحقّق في الذات ما يلي: أولاً - الإرادة، فالجمادات الفاقدة للإرادة لا يمكن وصفها بالقدرة بالمعنى الذي نبحت عنه. ثانياً: أن تكون القدرة على الفعل والترك معاً؛ إذ لو اختصّت بأحدهما لم تكن قدرة، بل هي وجوب. ثالثاً: أن تتعلق بأحد الطرفين إمّا الفعل أو الترك. رابعاً: أن يكون المقدور معلوماً عند القادر؛ إذ الإرادة لا بدّ لها من متعلّق. خامساً: أن تؤثر القدرة في شيء لم تكن محلاً للأثر؛ إذ لو كان الشيء متأثراً قبل تعلّق القدرة، لكان تعلّق القدرة به تحصيلاً للحاصل، وهو محال.

وأما الاستدلال على ثبوت أصل القدرة في الله سبحانه، ومعرفة حقيقة قدرته تعالى فتوضيحه:

أولاً - إنّ الممكنات هي متأثرة بواجب الوجود في وجودها. فكل ممكن يُرى في العالم فهو مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه، وكلّما توسّعنا في معرفة الموجودات السماوية والأرضية، فإنّنا نتعرف على عظمة وسعة قدرة الله سبحانه أكثر.

ثانياً - النظم الموجود في الكائنات، بدءاً بخلايا جسم الإنسان والحيوانات، ومروراً بحركات الكواكب والمجرات وغيرها. فالنظم الموجود فيها يدلّ على قدرة الخالق في الإبداع والنظم.

→ ثالثاً - الفطرة الكامنة في الانسان والتي تظهر عند وقوع الانسان في مخاطر وبياس من النجاة منها بالطرق الاعتيادية، فإن قلبه يتعلق بمبدأ يعلم علماً يقيناً بأنه قادر على إتقائه من تلك الورطة. والى هذا الدليل الاشارة في قوله تعالى في سورة الانعام: ٤ / ٤٠ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ إِلَهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَتَسَوَّنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ لا يوجد نقص في الله يوجب عدم ثبوت القدرة له. فلو تفحصنا في عوامل العجز لرأينا أنها تنشأ: إما من محدودية الفاعل، أو من وجود موانع تمنع تأثير فعله في الشيء، وحيث إن الله سبحانه ليس بمادي فلا يكون محدوداً، وحيث إن جميع موجودات العالم فهي ومصنوعة له فلا يمكن أن تكون موانع من إنفاذ قدرته، وقدرته بالنسبة إلى جميع المقدورات بنسبة متساوية، لأنها مشتركة في الامكان.

وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام هذا الامر في الخطبة (١٨٠) من نهج البلاغة، حيث قال: «وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في الخلقة إلا سواء». فالله قادر ولا مانع من انفاذ قدرته.

وأما بالنسبة الى العلم؛ فالدليل على علم الله سبحانه هو:

١ - أن سبحانه خلق المخلوقات المتعددة المتنوعة الكثيرة، فهو علّة لجميع ما عداه، ولا بدّ من ان يكون الصانع عالماً بمصنوعه، والعلّة عالمة بمعلولاتها.

٢ - النظام السائد في العالم دليل على علم الخالق، فإن حركات الكواكب والافعال والانفعالات الموجودة في العالم والمنظمة بشكل دقيق، تدل على أن صانعها له علم واطلاع دقيق، حيث أمكنه تنظيم هذه الموجودات بهذه الدقّة.

٣ - الحكمة الإلهية، دليل آخر على علم الله، وهو هدايته الموجودات بالهداية التكوينية وارشادها إلى طريقة دفع الضرر عن أنفسها وجلب المنافع لها.

٤ - إنه خلق الانسان، والانسان عالم قطعاً، فلا بد ان يكون خالقه عالماً؛ إذ فاقد الشيء لا يُعطى.

٥ - الوجود اللامتناهي له كمالات لا متناهية أيضاً، ومن تلك الكمالات العلم، فلا بد ان يكون العلم الالهي لا متناهياً أيضاً.

ولا بد من الاشارة هنا بأن علم الله ليس حصولياً، وليس هو تعلق بين العالم والمعلوم، بل هو حضوري.

فإن الوجود المجرد لا بدّ وأن يكون عالماً بنفسه؛ إذ المانع هو المادّة والله ليس بمادي حتى يكون له مانع من علمه بذاته، فجميع المعلومات حاضرة عند الله، لا أنّه يحصل عليها بعد أن لم تكن عنده. وهذا العلم الالهي غير محدود بحدّ أبداً؛ وقد أشار في القرآن الكريم إلى هذا

وقلنا في مسألة: «عالم»: قد ثبت بما مرّ من الاستدلال على ثبوت صانع للعالم قادر، صحة صدور الفعل منه محكماً ابتداءً، وكلّ من صحّ منه صدور الفعل محكماً ابتداءً فإنّه يوصف بأنّه عالم.

وقلنا في مسألة: «حي»: قد ثبت بما تقرر من الأدلّة أنّ الله يوصف بأنّه قادر عالم، ولا يوصف بأنّه قادر عالم إلاّ الحي، فكل من وصف بأنّه قادر عالم وصف بأنّه حيّ. وقلنا في مسألة «سميع بصير»: قد ثبت بالادلة السابقة أنّ الله يوصف بأنّه عالم، ومن

→ العلم اللامحدود بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَذْدَابًا﴾ (الكهف: ١٨ / ١٠٩) وقال ايضاً: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَنْفُدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (القمان ٣١: ٧). وأمّا الحياة، فالاستدلال الذي ذكره في المتن كاف ووافٍ؛ فإنّ كلّ قادر عالم لا بد وأن يكون حيّاً بالضرورة؛ إذ غير الحي لا يمكن أن يكون عالماً وقادراً. والغرض هنا هو اثبات الصفة، لا بيان حقيقة الصفة في الله؛ فإنّه ممّا لا يمكن لعقولنا المحدودة تصورها أصلاً.

وأما بالنسبة الى سميع وبصير فقد استدلل الشارح على ذلك بالعلم، وقال: إنّ الله يوصف بأنّه عالم ومن جملة معلوماته ما يسمع وما يبصروما يدرك، ولكن هذا الاستدلال لا يخلو من المناقشة؛ فإنّ العلم غير السمع والبصر، بل العلم هو ما يحصل من السمع والبصر وما يحصل من غيرهما من الحواس، وأعم من العلم الحضورى الذي هو حضور الشيء عند النفس. وليس مراد من يطلق السمع والبصر هو انتقال صورة الاجسام إلى الشيء؛ فإنّ لازم هذا القول هو التجسيم، وهو في الله سبحانه محال، بل يراد بالسمع والبصر هو معناهما الحقيقي وهو الشهود والحضور، وقولنا: إنّ الله سميع بصير: معناه أنّ الله عالم بالمسموعات والمبصرات وأنّها حاضرة عند الله سبحانه وتعالى.

والدليل على اتصاف الله سبحانه بالادراك يتكوّن من:

١ - الدليل النقلي، وهي الآيات والروايات الدالة على أنّ الله سميع بصير مدرك.

٢ - الدليل العقلي على نفي واستحالة وجود الآلات في الله سبحانه.

وبتركيب هذين يثبت أنّ الله سميع بصير مدرك لا بالآلة، وقد ذكر الامام علي عليه السلام ذلك في الخطبة: (١٧٩) من نهج البلاغة: حيث قال: «مريد لا بهمة، صانع لا بجارحة، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالركة». وبعد هذا كلّ فلا داعي لوصف الله سبحانه وتعالى بهذه الاوصاف مجازاً، بل يصح إطلاق هذه الاوصاف عليه سبحانه على نحو الحقيقة، بالمعاني التي ذكرناها.

جملة معلوماته ما يسمع وما يبصر وما يدرك، فلما ثبت أن الله يعلمه، صح وصفه بأنه عالم بالمسموعات والمبصرات والمدركات، ولكنه لما كان العلم بهذه الأشياء - في الشاهد - متوقفاً على صحة طريقه، وهي الأغراض المودعة في الآلات، بأن توصل هذه المعلومات إلى القلب، أطلق اسم حدث هذه الآلات على أثره، وهو العلم بمدركاتهما مجازاً.

ثم إنه لما كان الاعتبار عند من يعتبر حقائق الأمور هو الاثر، لا سببه حتى صح نفي السبب مع حصوله لما لم يحصل مسببه، فيقال: هو اعمى وأصم، مع صحة آله، وهو في القرآن كثير^(١)، صار إطلاق اسم السبب على مسببه كالحقيقة، وعلى السبب كالمجاز؛ لأن السبب إذا لم يحصل مسببه كالعدم، فثبتت قاعدة كلية هي: إن كل من صح منه أنه يعلم المسموع والمبصر، صح وصفه بأنه سميع بصير؛ نظراً إلى اشتهاار المجاز حتى غلب على الحقيقة، والله اعلم وبه التوفيق والعصمة.

قوله ﷺ: «ومن أشار إليه فقد حدّه»:

أي: إن من أشار إليه بأحد الحواس فقد جعل له حداً أو حدوداً، أي نهايات تحيط به وذلك أن كل ما يشير إليه الحس الظاهر أو الباطن، فلا بد وأن يشار إليه في حيز مخصوص، وما كان كذلك فلا بد وأن يكون له حد أو حدود، فإذا كان مشاراً إليه بأحدها لكان محدوداً.

وقوله ﷺ: «ومن حدّه فقد عدّه»:

يبين تلازم الحد له والعد له، وذلك؛ لأن المعدود ما تشخص وتميز، حتى يكون بحيث يمكن أن يضم إليه نظيره، وهذه خصيصة المحدود المحصور.

وأما الفساد اللازم من حدّه وعدّه، فهو لزوم أن يكون من جنس الأجسام والأعراض الممكنات، فيكون غير واجب الوجود، وهو خلاف ذاته.

وقوله ﷺ: «ومن قال: في م، فقد ضمنه»؛ وذلك: إن «في م» سؤال عن المحل، ومن

(١) مثل قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَغْنَىٰ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّغْنَا مِنْهُمْ أَصْلَهُ﴾.

اعتقد له محلاً فقد اعتقده محصوراً في ضمنه، فيلزمه ما لزم من جعله محدوداً من فساد الاعتقاد - كما مر بيانه -.

وقوله ﷺ : «ومن قال على مَ، فقد أخلى منه»؛ وذلك انَّ «على مَ» سؤال عن محلّ يقبل الحال فيه، ويرفعه عمّا تحته، فمن اعتقده على شيء فقد اعتقده متناه الحدّ، فأدخله في جنس المتناهيات، وهي الاجسام، فلزمه خلو غير جهته التي هو فيها عن ذاته وعلمه؛ لأنّه علمه على موجب هذا الاعتقاد كعلم ذوي الأبدان، لا يبدّ فيه من قرب العالم للمعلوم، والبعد يقطعه.

وذلك باطل؛ لأنّه يعلم ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى^(١). قوله ﷺ : «كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنةٍ وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور اليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده»:

إعلم أنّه لما كانت هذه الاوصاف تطلق في حق الخالق تعالى وفي حق المخلوق، وكانت الأوهام تحكم في حق الغائب بمثل الحكم الذي إلفته في حق الشاهد، نُبّه على اختلاف اعتبار الاطلاقين، ردعاً للأوهام.

وقوله ﷺ : «كائن»، الكائن: اسم الفاعل، وهو هاهنا من كان التامة، بمعنى: ثابت، ولما كان ثبوت ما عدى الباري سبحانه صادراً عن الحدث؛ إذ هو سبحانه واجب الوجود وحده، أخرجه عن عموم حكم الوهم بقوله: «لا عن حدث». قوله: «موجود لا عن عدم»:

اي انّ كل ما عدى الباري سبحانه مسبوق وجوده بعدم؛ لأنّه وحده واجب الوجود، فأخرجه عن عموم حكم الوهم؛ ليتحرز منه عند اطلاق هذا الوصف في حقّه. قوله ﷺ : «مع كل شيء لا بمقارنة»:

(١) اقتباس من قوله سبحانه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (طه ٢٠: ٦).

«المعينة» في حقه تعالى مجاز عن احاطة علمه بمجمل الاشياء وتفاصيلها، وظواهرها وخفيّاتها، استعيرت. «المعينة» لاحاطة العلم لما كانت سبباً لها في الشاهد، ثم استعملت العبارة في حق الغائب ملاحظة لخلاصة المعنى.

وقوله ﷻ : «لا بمقارنة»: ردعاً للوهم عن أن يحكم في حقه تعالى بما ألفه.

قوله ﷻ : «وغير كل شيء»:

معنى مغايرته للأشياء: أنه مُتميّز بذاته عن كل شيء لا يشارك شيئاً من الاشياء في معنى جنسي ولا نوعي، فلا يحتاج إلى أن ينفصل عنه بفصل ذاتي أو عرضي، بل هو مباين لها بذاته لا بمزايلة، ومعنى المزايلة: المفارقة بأحد الأمور المذكورة، بعد المشاركة في أحد الأمور المذكورة، كما هو المتقرّر في الشاهد.

فَمِنْ ثَمَّ دفع حكم الوهم بقوله: «لا بمزايلة».

قوله ﷻ : «فاعل لا بمعنى الحركات والآلة»:

قال في شرح ميثم: أمّا أنه لم يفتقر إلى الحركة؛ فلأن معنى الحركة إنّما يعرض للجسم، والباري تعالى منزّه عن الجسميّة، فيستحيل صدق مسمى الحركة في حقه.

وأما أن فعله ليس بتوسط آلة، فبيانه من وجهين:

أحدهما: أنه لو كان كذلك لكانت تلك الآلة ان كانت من فعله، فأمّا بتوسط آلة أخرى أو بدونها، فإن كانت بدونها فقد صدق أنه فاعل لا بمعنى الآلة، وإن كان فعله لها بتوسط آلة أخرى، فالكلام فيها كالكلام في الاولى، ويلزم التسلسل^(١).

وأما إذا لم تكن تلك الآلة من فعله ولم يمكنه الفعل بدونها، كان الباري تعالى مفتقراً في تحقيق فعله إلى الغير، والمفتقر إلى الغير ممكن بالذات، فالواجب بالذات ممكن بالذات، هذا خلف.

الثاني: أنه تعالى لو فعل بالآلة لكان بدونها غير مستقلّ بإيجاد الفعل، فكان ناقصاً بذاته مستكماً بالآلة، والنقص على الله تعالى محال، فتوقف فعله على الآلة محال. فإذاً هو

(١) في المصدر: ويلزم التناقض.

الفاعل المطلق بالإبداع ومحض الاختراع، المبرأ عن نقصان الذات، المنزّه عن الحاجة إلى الحركات والآلات^(١).

قوله ﷻ : «بصير إذ لا منظور إليه من خلقه»:

أقول: لما كان قصده التنبيه على الفرق بين اعتبار اطلاق هذه الاوصاف في حق الخالق، واعتباره في حق المخلوق؛ ليتحرر المستعمل من الوهم لتبادر اعتباره في حق المخلوق؛ لكونه المألوف وصفه به في حال امتناع اعتباره في حق المخلوق، وهو تعلق آلة البصر بالمنظور إليه، وذلك حال عدم المنظور اليه، فينصرف الذهن إلى معنى يصح أبداً في الازل وفيما لا يزال، وذلك علمه بالمبصرات. ومثل ذلك «سميع» فيستشعر الحق.

قال في شرح ميثم: وصفه بكونه بصيراً حال ما لا يتحقق المبصرات، وإذ ليس كونه بصيراً بمعنى أن له آلة البصر؛ لتنزّهه عن الحواس، وجب العدول إلى المجاز، وهو أن يكون بصيراً بمعنى أنه عالم. وقرينة ذلك قوله: «إذ لا منظور إليه من خلقه»؛ لأن البصر أمر إضافي يلحق ذاته بالنسبة إلى مبصر، وهو أمر يلحق ذاته أزلاً وأبداً، ولا شيء من المبصرات بالحواس موجود أزلاً؛ لقيام البراهين العقلية على حدوث العالم حتى يمكن أن يلحقه النسبة بالقياس إليه، فوجب أن لا يكون من حيث هو هو بصيراً بهذا المعنى.

ويحتمل أن الإشارة «إذ» في قوله: «إذ لا منظور إليه» إلى اعتبار كونه تعالى متقدماً على آثاره من جهة ما هو متقدّم؛ فإنه بالنظر الى تلك الجهة لا منظور إليه من خلقه معه، وهو عالم لذاته وبذاته مطلقاً، وإذ ليس بصيراً بالمعنى المذكور، فهو بصير بالصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات، وبها تظهر الأسرار والخفيات، فهو الذي يشاهد ويرى، حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى «وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى»^(٢).

وفي شرح ابن أبي الحديد: وأما قوله: «بصير إذ لا منظور إليه من خلقه»، هو مذهب أصحاب إبي هاشم^(٣)؛ لأنهم يُطلقون عليه في الأزل إنه سميع بصير، وليس هناك مسموع

(١) شرح ميثم بن علي ١: ١٢٩.

(٢) شرح ميثم بن علي ١: ١٢٩.

(٣) في شرح ابن أبي الحديد العبارة هكذا: «فهو حقيقة مذهب أبي هاشم : وأصحابه»، وأبو هاشم هو عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي، المتكلم المشهور، وأحد كبار المعتزلة، وله مقالات.

ولا مبصر، ومعنى ذلك كونه بحالٍ يصحّ منه إدراك المسموعات والمبصرات إذا وجدت؛ وذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفة به، ولا يُطلقون عليه أنه سامع مبصر في الأزل؛ لأنّ السامع المبصر هو المدرك بالفعل لا بالقوّة، انتهى^(١).

أقول: ليت شعري من اين ظهر له أنّ كلام أمير المؤمنين مطابق لكلام ابي هاشم دون غيره، وهل يدلّ كلامه إلا على أنّ الباري تعالى يوصف بأنّه بصير في الأزل؟ وغير أبي هاشم يقول ذلك، إنما اختلفوا في «مبصر»، هل يوصف به الباري في الأزل أم لا؟ فغير أبي هاشم يقول: نعم، ومعناه ومعنى «بصير» واحد، وهو عالم المبصرات. وأبو هاشم يقول: لا، وهذا الذي اختلفوا فيه لا ذكر له في كلام أمير المؤمنين.

هذا، ثم إنّ في تفسير أبي هاشم لبصير في حق الله بانه بمعنى: «حي لا آفة به» لزوم فسادٍ من وجهين: اللغو، وإيهام التجسيم؛ وذلك لأنّ تفسير «بصير» بذلك في حق المخلوق، إنما هو لبيان المقتضى وسلب المانع، فقولنا: «حي» بيان مقتضى الإبصار، وقولنا «لا آفة به» سلب لمانع الإبصار - وهو الآفة - والآفة: اختلال الآلة. فهو سلب للآفة عن ذي الآلة، والباري سبحانه ليس بذي آلة، فيلزم اللغو وذكر قيد لا معنى له.

ولا يجديّه: إنّ الباري سبحانه لا آلة له، فيصدق عليه أنّه لا آفة به؛ لأنّا بيّنا إنّ هذا القيد لسلب المانع، فهو عبارة عن صحة الآلة، ألا ترى أنّا لو صرّحنا بما لحظ إليه، وقلنا: معنى «بصير» في حق الباري: «حي» لا عين له، أو لا جسم له، لم يكن ذلك صحيحاً ولا مقبولاً؟ فتبيّن أنّ ذكره في حق الباري لغو.

وأما إيهام التجسيم؛ فلان المتبادر من لفظ «لا آفة به» أنّه ذو آلة سليمة؛ لأنّ الآفة إختلال الآلة، فتأمل.

قوله ﷻ: «متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده»:

معناه: إنّ العادة والعرف اطلاق «متوحد» على من كان له من يستأنس بقربه ويستوحش بعده، فانفرد عنه. والباري سبحانه يطلق عليه أنّه متوحد في الأزل ولا موجود سواء، وإذا

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٩ - ٨٠.

صدق سلب الموجودات كلّها في الأزل، صدق سلب مايؤنس أو يوحش، فتوحّده سبحانه بخلاف توحد غيره.

وفي شرح ميثم: واعلم أنّ القيود الثلاثة الزائدة على قوله: «فاعل» و«بصير» و«متوحد» في الفصول الثلاثة، مستلزمة للتنبيه على عظمة الله تعالى، كما بيّناه في قوله: «لا بمقارنة» و«لا بمزايلة»؛ وذلك لأنّ الاوهام البشرية حاكمة بحاجة الفاعل إلى الآلة، والبصير إلى وجود المبصر، والمتوحد إلى أن يكون في مقابلته انيس مثله انفراد عنه. ولما كانت ذات الباري سبحانه منزّهة عن جميع ذلك، أراد كسر الوهم ومعارضة أحكامه بتنبيه العقول عليها، فذكر هذه القيود الثلاثة، وبالله التوفيق، انتهى^(١).

قوله ﷺ: «بلا رويّة أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها»:

في شرح ميثم بن علي: أقول: لما كانت هذه الكيفيّات الأربع من شرائط علوم الناس وأفعالهم التي لا يمكن حصولها إلّا بها، أراد تنزيه الله سبحانه عن أن يكون ايجاده في العوالم^(٢) موقوفاً على شيء منها.

أمّا الرويّة والفكر: فلما كانا^(٣) عبارة عن حركة القوّة المفكّرة في تحصيل مبادي المطالب والانتقال منها إليها أو عن تلك القوّة أيضاً نفسها كان ذلك في حق الله تعالى محالاً لوجهين:

أحدهما: بأن المفكّرة^(٤) من خواصّ نوع الانسان.

الثاني: أنّ فائدتها تحصيل المطالب المجهولة. والجهل على الله تعالى محال. وأما التجربة، فلما كانت عبارة عن حكم العقل^(٥) بأمر على أمر بواسطة مشاهدات متكرّرة معدّة لليقين بسبب انضمام قياس حسّي إليها، وهو أنّه لو كان هذا الأمر اتّفاقياً لما كان دائماً ولا أكثرياً^(٦)، وكان توقّف أفعال الله تعالى على استفادة الاحكام منها محالاً

(١) شرح ميثم بن علي ١: ١٣٠.

(٢) في المصدر: العالم.

(٣) في المصدر: كانت.

(٤) في المصدر: ان القوة المفكّرة.

(٥) في المصدر: الفعل - وهو خطأ -.

(٦) في «ص»: لما كان دائماً أو أكثرياً.

لوجهين:

أحدهما: أنها مركبة من مقتضى الحسّ والعقل؛ وذلك أن الحس بعد مشاهدته^(١) وقوع الاسهال مثلاً عقيب شرب الدواء مرّة ومرّة، ينتزع منها حكماً كلياً بأنّ ذلك الدواء مسهل، ومعلوم أن اجتماع الحس والعقل من خواصّ نوع الانسان.

الثاني: أن التجربة إنّما يفيد علماً لم يكن، فالمحتاج إلى التجربة لاستفادة العلم بها، ناقص بذاته مستكمل بها، والمستكمل بالغير محتاج [إليه]^(٢)، فيكون ممكناً على مامرّ، وذلك على الله محال.

وأما الحركة، فقد عرفت أنها من خواص الاجسام، والباري سبحانه منزّه عن الجسميّة، فيمتنع صدق المتحرك عليه، وإن صدق انه محرك الكلّ؛ لأنّ المتحرك^(٣) ما قامت به الحركة، والمحرك أعمّ من ذلك.

وأما الهامة أو الهمة: فلما كانت مأخوذة من الاهتمام، وحقيقته: الميل النفساني الجازم إلى فعل شيء مع التأمّل والغم بسبب فقدته^(٤)، كان ذلك في حقّ الله تعالى محالاً، لوجهين:

أحدهما: أن الميل النفسانيّ من خواصّ الانسان، طلباً لجلب المنفعة. والباري سبحانه منزّه عن الميول النفسانيّة وطلب المنافع^(٥).

الثاني: أنّه مستلزم للتأمّل لبعده المطلوب^(٦)، والتأمّل على الله تعالى محال، وإذ ليس ايجاده تعالى للعالم على احدّ الأنحاء المذكورة^(٧) فهو إذن بمحض الاختراع والابداع البريء من الحاجة إلى أمر من خارج ذاته المقدسة ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٨).

(٢) من المصدر.

(١) هذه العبارة منقولة بالمعنى.

(٤) في المصدر: فقد - وهو خطأ.

(٣) في ص: من قامت.

(٦) كلمة «لبعد» ساقطة من المصدر.

(٥) في المصدر: وجلب المنافع.

(٧) كذا في المصدر، وفي «ص»: على حدّ الايجاد المذكور.

(٨) البقرة ٢: ١١٧.

فاعلم أنه أردف كلاً من هذه الأمور بما هو كَيْفِيَّة في وجوده، فأردف الرُّويَّة بالإحالة، والتجربة بالاستفادة، والحركة بالإحداث، والهمامة بالإضطراب، لتتَّفي الكيفية بانتفاء ماهي له عن ذاته المقدسة، انتهى^(١).

قوله ﷺ: «أحال الأشياء لأوقاتها، ولائم بين مختلفاتها، وغزّر غزائرها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها»: في شرح ميشم: أقول: المنصوبات الثلاثة - وهي قوله: «عالماً» و«محيطاً» و«عارفاً» - منصوبة على الحال، والعامل فيها قوله: «ألزمها» إعمالاً للقرب. والأحوال الثلاثة مفسرة لمثلها عقيب الأفعال الثلاثة الأول؛ إذ كانت صالحة لأن يكون أحوالاً عنها.

والمراد في القضية الأولى: إثبات الأفعال الأربعة له حال كونه عالماً بالأشياء قبل إيجادها، حاضرة في علمه بالفعل كليها وجزئها.

وفي القضية الثانية: نسبة تلك الأفعال إليه حال إحاطة علمه بحدودها وحقائقها المميّزة لبعضها عن بعض، وإنّ كلاً منتهٍ بحدّه، واقف عنده، وهو نهايته وغايته، ويحتمل أن يريد بانتهاؤها: انتهاء كل ممكن إلى سببه وانتهاء الكلّ في سلسلة الحاجة إلى الله تعالى.

وفي القضية الثالثة: نسبة الأفعال إلى قدرته حال علمه بما يقترن بالأشياء من لوازمها وعوارضها، وعلمه بكل شيء يقترن بشيء آخر على وجه التركيب أو المجاورة، كاقتران بعض العناصر ببعض في أحنائها^(٢) الطبيعية على الترتيب الطبيعي، وعلمه بأحنائها وجوانبها التي بها تنتهي وتقارن غيرها.

وبيان ثبوت^(٣) هذه الأحكام له تعالى ببيان أنه عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات، وذلك ممّا علم في العلم الإلهي.

(١) شرح ميشم بن علي ١: ١٣٤ - ١٣٥. (٢) في المصدر: في أحيائها.

(٣) كلمة «ثبوت» ساقطة من المصدر.

فان قلت: إطلاق اسم «العارف» على الله تعالى لا يجوز؛ لقول النبي ﷺ: «انَّ لِلَّهِ تسعة وتسعين اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة»^(١) واجماع علماء النقل على أنَّ هذا الاسم ليس منها.

قلت: الأثبة أنَّ أسماء الله تعالى تزيد على التسعة والتسعين لوجهين: أحدهما: قول النبي ﷺ «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمِيتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أُنْزِلَتْ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»^(٢)؛ فإن هذا صريح في أنه استأثر ببعض الأسماء.

الثاني: أنه ﷺ قال في «رمضان» أنه اسم من أسماء الله تعالى^(٣)، وكذلك كان الصحابة يقولون: فلان أوتي الاسم الأعظم، وكان ذلك ينسب إلى بعض الانبياء والأولياء، وذلك يدل على أنه خارج من التسعة والتسعين. وإذا كان كذلك كان كل الكلام في قوله ﷺ: «إنَّ لِلَّهِ تسعة وتسعين اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة» قضية واحدة معناها الاخبار بأنَّ من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً مَنْ أحصاها يدخل الجنة. ويكون تخصيصها بالذكر: لاختصاصها بمزيد شرف^(٤) لا يكون لباقي أسماء الله^(٥) وهي كونها مثلاً^(٦) جامعة لأنواع من المعاني المنبئة عن الكمال بحيث لا يكون لغيرها، لا لنفي ان يكون لله تعالى اسم غيرها، وإذا كان كذلك جاز أن يكون «العارف» من تلك الاسماء^(٧).

(١) بحار الأنوار ٦: ٢١٩، الحديث ١٣، ورواه من العامة البخاري في صحيحة في باب الدعوات (٦٩) ومسلم في باب الذكر (٥: ٦) وابن ماجة في باب الدعاء (برقم ٣٨٦٠) عن أبي هريرة.

(٢) كما ورد في الادعية كثيراً، انظر بحار الأنوار ٨٥: ٢٣٤، الحديث الأول وأيضاً ٩٣: ٢٢٦، الحديث الأول.

(٣) بحار الأنوار ٢٤: ٣٩٦، الحديث ١١٦.

(٤) في هـ. ص: ويمكن ان يقال: وجه تخصيصها بالذكر انها الممكن احصائها لجميع المؤمنين، الذي قصد بالحديث الترغيب فيه، فلا يلزم تفضيلها على ما استأثر الله به او اختص به خواص خلقه والله اعلم.

(٦) كلمة «مثلاً» غير موجودة في «ص».

(٧) لكن الحق ان اسم العارف لا يطلق على الله سبحانه لا من حيث استدلال في القليل، بل لأنَّ أسماء الله توقيفية لا يجوز لأحد ابتداع شيء منها وإطلاقها عليه سبحانه.

لا يقال: إنَّ الاسم الأعظم غير داخل فيها؛ لاشتهارها واختصاص معرفته بالانبياء والأولياء، وإذا كان كذلك فكيف يصدق عليها أنَّها أشرف الاسماء؟

لأنَّا نقول: يحتمل أن يكون خارجاً منها، ويكون شرفها حاصلًا بالنسبة إلى باقي الاسماء التي هي غيره، ويحتمل أن يكون داخلًا فيها إلاَّ أنَّنا لا نعرفه بعينه، ويكون ما يختص به النَّبِيُّ والولي إنما هو تعيينه منها، انتهى^(١).

قوله ﷺ: «ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء»:

كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل يطابقه ما رواه السيد حميدان رحمه الله عن اهل البيت عليه السلام، عن النبي ﷺ: «أول ما خلق الله فتق الأجواء» أي: الجو المفتوق لا أنه كان مرتوقاً ففتق. قالوا: ثم خلق الله سبحانه بعد خلق الهوآء: الماء، ثم خلق الرياح، حرَّكت ذلك الماء حتى ازبد، ثم خلق النار فاحرقت ذلك الزبد، ثم خلق الارض من الحُرَاقَة، والسماء من الدخان، انتهى^(٢). وفي ذلك ردّ على من زعم أنَّ أول ما خلق الله

(١) شرح ميثم بن علي ١: ١٣٧.

(٢) ولعل كلام أمير المؤمنين عليه السلام هو تفسير لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَالَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾. (الانبياء ١١: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَادِيَا طَائِعِينَ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾. إلى آخر الايات الواردة في سورة فصلت: ٤١ / ١١.

وقد ورد تفصيل خلق السموات والارض في احاديث الائمة من اهل البيت عليه السلام وسندكرها تباعاً. والذي يُشير اليه احاديث وكلام أمير المؤمنين عليه السلام هو ما يلي:

- ١- ان الارض وسائر الكرات السماوية كانت في ابتداء الخلق وحدة واحدة.
- ٢- ان الارض وسائر الكرات السماوية، -والسموات كانت في بدء الأمر على شكل دخان- وهذا ما تمكن العلم الحديث من الازعان به بعد عدة قرون من صدوره عن ائمتنا المعصومين عليه السلام.

واليك نماذج مما ورد عن ائمتنا عليه السلام في هذا المجال:

روى الكليني عن الباقر، قال: كان كل شيء ماء: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، (هود: ١١ / ٧) فأمر الله تعالى الماء فاضطرم ناراً، ثم أمر النار فخدمت فارتفع من خمودها دخان، فخلق الله

→ السماوات من ذلك الدخان، وخلق الارض من الرماد. (الكافي ٨: ٩٥، الحديث ٦٨).

وروي في خبر آخر عنه: «وخلق الشيء الذي جميع الاشياء منه، وهو الماء. فجعل نسب كل شيء الى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف اليه، وخلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء، فشقت الريح متن الماء حتى صار من الماء زيد على قدر ما شاء ان يثور، فخلق من ذلك الزيد أرضاً بيضاء نقية، ليس فيها صدع، ولا نقب، ولا صعود، ولا هبوط، ولا شجرة، ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء، فشقت النار متن الماء حتى صار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية، ليس فيها صدع ولا نقب (الكافي ٨: ٩٤، الحديث ٦٧).

وروي عن الصادق في بدء الخلق، قال: «كان عرشه على الماء والماء على الهواء، والهواء لا يُحدّ، ولم يكن يومئذ خلق غيرهما والماء يومئذ عذب فرات، فلما أراد ان يخلق الارض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً، ثم أزيد فصار زبدًا واحداً، فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلاً من زبد، ثم دحا الأرض من تحته، فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (آل عمران: ٩٦ / ٣) ... إلى أن قال: فلما أراد ان يخلق السماء، أمر الرياح فضربت البحور حتى أزيدتها، فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء ... إلى آخر الحديث بحار (بحار الأنوار ٥٩: ٣٧١، الحديث الأول) (١) في ص: جعل.

ثم اعلم ان هذه الفقرات من كلام أمير المؤمنين عليه السلام قد أخذ كل من شراح الخطبة نهجاً في شرحها، والفلاسفة الذين حاولوا معرفة كيفية ابتداء الخلق اضطربوا في ذلك ايضاً، فقال الشارح ميشم بن علي: اعلم أن خلاصة ما يفهم من هذا الفصل: ان الله قدّر أحياءاً وأمكنة أجرى فيها الماء الموصوف، وخلق ريحاً قوية على ضبطه وحفظه، حمله عليها وأمرها بضبطه، ويفهم من قوله: «الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق» أن تلك الأحياء والأمكنة تحتها، وإنما أمرت بحفظه وضبطه لتوصله إلى تلك الأحياء... ثم خلق سبحانه ريحاً آخر لأجل تموج ذلك الماء فأرسلها وعقد مهبها، أي أرسلها بمقدار مخصوص على وفق الحكمة والمصلحة... وأدام حركتها وملازمتها لتحريك الماء وأعصف جريانها وابتدأ هما، ثم سلطها على تموج ذلك الماء، فلما عبّ عبايه وقذف بالزبد، رفع الله تعالى ذلك الزبد في الفضاء وكوّن منه السموات العلى. (شرح ميشم بن علي ١: ١٣٨).

وقال العلامة المجلسي في البحار: الهواء من فتق الأجواء، إيجاد الاجسام في الأمكنة الخالية ... والمراد بالجو: البعد الموهوم أو أحد العناصر ... وقوله: «شق الأرجاء»، كالتفسير لفتق الاجواء، أو المراد بالأرجاء: الأفضية والأمكنة، وبالأجواء عنصر الهواء، وقوله:

اللّوح، وعلى من زعم أنّ أول ما خلق حيوان يلتطف.

قوله ﷺ : «قَسَوِي مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ»:

الذي يظهر لي من معنى هذا الكلام ويتخرج عليه نظمه صحيحاً متناسباً متفقاً فيه مرجع الضمائر، هو: أنّ معنى «قَسَوِي مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ» أي: من الزبد سبع أرضين؛ لأنّها هي المخلوقة من الزبد، أمّا السموات العلى فإنّما هي من الدخان، وقد جاء تسمية الأرضين سموات في كلام أمير المؤمنين في الخطبة التي أوّلها: «فكان من اقتدار جبروته ولطيف بدائع صنعته أن خلق من ماء اليم الزاخر المتراكم المتقاصف ييساً جامداً، ثم فطر منه أطباقاً ففتقها سبع سموات ... إلى آخره»^(١).

وفي قول الشاعر: «سما الاله فوق سبع سماءاً».

ودليل كون الأرض سبعاً، قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٢).

وأما قوله ﷺ : «جعل سفلاهن... إلى آخره»:

فالمراد بالسفلى: الجهة السفلى منهن، والجهة العليا منهن، والإضافة للتوضيح لا للتفضيل. والمراد بالموج: الماء الحامل للأرض، وبالسقف المرفوع: السماء الدنيا، وهي

→ «سكائك الهواء»، بالنصب، كما في كثير من النسخ - معطوف على «فتق الاجواء» أي أنشأ سبحانه سكائك الهواء، وبالجر - كما في بعض النسخ - أظهر؛ عطفاً على الاجواء، أي أنشأ فتق سكائك الهواء، انتهى.

وقال الخوئي رحمه الله في منهاج البراعة: الظاهر أن هذه الفقرات بحسب المعنى مترادفة، وبحسب الالفاظ متخالفة ... وكيف كان، ففيها دلالة على كون الفضاء مخلوقاً؛ لأنّ المخلوق لا بد وأن يكون موجوداً ... (منهاج البراعة ١: ٣٧٢).

واختلاف عبارات القوم في تفسير كلمات الخطبة ليس ببدع، فإن كلام أمير المؤمنين ﷺ فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، وبيان الشراح في تفسير كلمات الخطبة يخالف ماورد عن الفلاسفة في مجال بيان ابتداء الخلق، وقد أوردها بالتفصيل السيّد محمد تقي التقوي في مفتاح السعادة شرح نهج البلاغة ١: ١٧٥ وما بعدها، فليراجع.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢١١، مع اختلاف. (٢) الطلاق ٦٥: ١٢.

التي فيها النيرات، كما نطق به القرآن: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾^(١). وفي قوله ﷺ بعد: «ثم فتق ما بين السموات العلوى» دليل على أن السموات الأول هن السموات السفلى وهي الارضون، والله اعلم.
قوله ﷺ: «أطواراً من ملائكته»:

قال في الصحاح: الناس أطوار، أي: أخفاف - على حالات شتى^(٢)، قال في شرح ابن أبي الحديد: «الملك» عند المعتزلة، حيوان نوري شفاف عادم اللون كالهواء، ومنه ملون بلون الشمس^(٣).

اقول: سيأتي في كلام أمير المؤمنين ﷺ أن من ألوان الملائكة: السواد^(٤). وفي الاحاديث الكثيرة ما يدل على ان ألوانهم الخضرة: وهذان اللونان يمنعان الشفافة، وأظن أن الحامل لهم على هذه الدعوى اعتمادهم في نفي الرؤية على دليل الموانع، فتحرزوا عن نقضه بهذه الدعوى.

وعندنا أن من موانع الرؤية: ردع الابصار عما يمكن رؤيته، والصحيح من دليلي نفي الرؤية: دليل المقابلة^(٥) (والله أعلم).

قوله ﷺ: «والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم»: للناس في تفسير العرش كلام كثير^(٦).

(٢) صحاح اللغة ٢: ٧٢٧.

(١) الملك ٦٧: ٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٩١.

(٤) يريد الخطبة (٩٠) من نهج البلاغة، قوله: «ومنهم من هو في خلق الغمام الدلح، وفي عظم الجبال الشمخ، وفي فترة الظلام الأبهم». ولكن الكلام ليس بصريح في ألوانها كما هو ظاهر.
(٥) في هـ. ص هنا مايلي: قال المنصور بالله في «الزيادات»: القوي عندنا مراعاة المقابلة بين الرائي والمرئي؛ لأن ذلك الرؤية المعقولة، وما قالوه من الدليل الاخر ضعيف؛ لأننا نعلم ضرورة أن لافيل بين أيدينا إذا لم نره، ولا تعليل لهذا العلم. والدليل مبني على أنه لا يجوز أن يكون بحضرتنا فيل ولا نراه (والله أعلم).

(٦) في هـ. هنا مايلي: قد ذكر القاسم بن ابراهيم في كتاب «تأويل العرش والكرسي» في تأويل قول الله جل وعلا: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ خَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ (الزمر: ٣٩ / ٧٥) وقوله تعالى: ﴿وَيُخِيلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾ (الحاقة: ٦٩ / ١٧) مارسه: وذلك في يوم العرض للعباد على العلي الملك الذي علا وتقدس عن مشاركة كل شريك، يمثل ذلك لهم سبحانه، ما

وقول القاسم بن ابراهيم، في كتابه «الدليل الكبير» لما اورد الآية الكريمة: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَنْ

→ قد رأوا وعرفوا وأبصروا من ملوك الدنيا إذا عرضوا وحكموا وقضوا كيف ينصب لهم يوم ذلك عروشهم وكراسيهم للقضاء في أهل مملكتهم ومن تحت أيديهم. وكل ما أمكن في العرش والكرسي من التمثيل فقد يكون في حمله العرش مثله من التأويل، انتهى.

ثم إنه وسع الكلام في أن كل ما ورد في القرآن مما توهم منه الجاهلون التشبيه والجبر، فإنه يخرج مخرج التمثيل والتخييل ... حتى قال: وما نسمع من هذا ومثله إلا أمثال مضروبة، فهي - والله المستعان - في قلوب الجاهلين بالله تكون مقلوبة بهم فيها - والحمد لله - لا يعقلون ولا يفهمون، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٢٩/٤٣).

قال الحسين بن القاسم: وسألته عن تأويل قول الله جل جلاله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (السجدة: ٣٢/٤) فما وجه «استوى» ومعناه؟ فقال: ملكه للأشياء وارتفاعه عليها واعتلاؤه، كما يقول القائل: استولى فلان على ملك فلان واستوى، يريد بذلك: ملك كل ما كان يملكه فلان كله سواء. وكذلك يقول إذا ملك ملكه: قعد على عرش فلان وجلس، وليس يريد أن عرشه مقعد له ولا مجلس. وقد يكون العرش لكل شيء: سقفه وأعلاه، كما جعل الله أعلى ما خلق من السماوات منتهاه، هذا ما قال به في: «ثم استوى على العرش» قائلاً: لم يخطيء في تأويله به قائل.

وفي الكشف في تفسير قوله تعالى: ﴿ثم استوى﴾ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك. فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك، وإن لم يقعد على السرير (تفسير انكشاف ٣: ٥٢).

ولكن الصحيح: أن هناك فرقاً بين العرش والكرسي، فقد ورد في معاني الاخبار، باسناده عن المفضل ابن عمر، قال: سألت ابا عبد الله عن العرش والكرسي ما هما؟ فقال: العرش في وجهه هو جملة الخلق، والكرسي وعاءه، وفي وجه آخر: العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه (انظر معاني الاخبار: ٢٩).

وفي كتاب التوحيد: عن أبي عبد الله من جملة كلام له: «ثم العرش في باب الوصل منفرد عن الكرسي؛ لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان ...» (التوحيد: ٣٢١).

وأما معنى العرش فقد ورد في روايات عديدة تفسيره بالعلم، وأما ما يظهر من بعض المفسرين - العامة - من تفسير العرش بما له ظهور في الجسمية في هيئة السرير، وموضوعاً على السماء السابعة، فمما لا يدل عليه حديث صحيح، ولعله نشأ من القول بالتشبيه والتجسيم بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ... إِلَى آخِرِهَا^(١)؛ فَاخْبِرْ سُبْحَانَهُ أَنْ تَدْبِيرَهُ وَصَنَعَهُ الْعَرْشَ لِمَا بَعْدَ عَنْهُمْ كَتْدِيرِهِ وَصَنَعَهُ لِمَا قَرَبَ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ، وَأَنْ بُعْدَ مَا بَيْنَ الْعَرْشِ وَهُوَ ذُرَى السَّمَوَاتِ الْعُلَى، وَبَيْنَ مَا تَحْتَهُنَّ وَهُوَ مَا تَرَى أَعْيُنُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الْأُولَى مِقْدَارَ الْفِ سَنَةٍ كَامِلَةٍ مِمَّا يَعْدُونَ، وَأَنْ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لَا تَبْعُدُ عَنْهُ كَمَا يَسْتَبْعِدُونَ، انْتَهَى.

يدل على أن تفسير الائمة للعرش ليس بذى طريقة واحدة، فتارة يفسرونه بالملك، وتارة بجزء من الملكوت مخصوص، وكأنه المحل الذي ينتهي عنده علوم جميع المكلفين حتى الملائكة المقربين، لا يطلعون ممّا وراءه على شيء، استأثر الله بعلم ذلك فلم يطلع عليه غيره، وكأنه سماء السماوات وسقفها، كما هي سقف الأرض. (والله أعلم). قوله ﷺ: «لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ»:

قال في شرح ميشم بن علي: إشارة إلى تنزيههم عن الإدراكات الوهميّة والخيالية في حقّ مبدعهم عزّ سلطانه؛ إذ كان الوهم إنّما يتعلّق بالأُمور المحسوسة ذات الصور والأحياز والمحالّ الجسمانيّة، فالوهم وإن أرسل طرفه إلى قبلة وجوب الوجود، وبالغ في تقليب حدقته^(٢)، فلن يرجع إلّا بمعنى جزئيّ يتعلّق بمحسوس، حتّى أنّه لا يقدر نفسه ولا يدركها إلّا ذات مقدار وحجم، ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيوانيّ، لا جرم سلب التّوهم عن هذا الطور من الملائكة؛ لعدم قوة الوهم هناك؛ فإن هذه القوّة لما كانت موجودة في الإنسان، لا جرم كان يرى ربّه في جهة ويشير إليه متحيّزاً، ذا مقدار وصورة، ولذلك وردت الكتب الالهية والنواميس الشرعيّة مشحونة بصفات التجسيم، كإثبات العين^(٣)، واليد والاصبع، والاستواء على العرش، ونحو ذلك، خطاباً للخلق بما تدركه أوهامهم، وتوطيئاً لهم وإيناساً، حتّى إنّ الشارع لو أخذ في مبدأ الأمر يبيّن لهم أنّ الصانع الحكيم^(٤) لا داخل العالم ولا خارجة، ولا في جهة ولا بجسم^(٥) ولا عرض، لاشتدّ نفار أكثرهم عن قبول ذلك، وعظم انكارهم له؛ فإنّ الوهم في طبيعته لا يثبت موجوداً بهذه

(٢) في المصدر: حدقة.

(٤) في المصدر: ليس داخله.

(١) السجدة : ٣٢ / ٥.

(٣) في المصدر: كالعين.

(٥) في المصدر: مجسم.

الصفة ولا يتصوره، ومن شأنه انكار ما لا يتصوره، فكان منكرًا لهذا القسم من الموجودات.

والخطابات الشرعية وإن وردت بصفات التجسيم، إلا أن الالفاظ الموهمة لذلك لما كانت قابلة للتأويل، محتملة له، كانت وافيةً بالمقاصد؛ إذ العامي المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره، ويحصل بذلك تقييده عن تشتت اعتقاده، وذو البصيرة المتراقي عن تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله عقله من التأويل، وكذلك حال من هو أعلى منه، والناس في هذا على مراتب، فكان إيرادها حسنًا وحكمة، انتهى^(١).
قوله ﷺ : «سَنَّا بِالماء»:

قال في الشرح: أي مَلَّسَهَا، قال: «تَمْشِي فِي مَرَمٍ مَسْنُونٍ» أي مَمْلَسٍ، انتهى^(٢). أقول: ولا يناسبه قوله: «حَتَّى خَلَصْتُ»، فالأولى: أَنَّ السَّنَّ - هنا - بمعنى صَبَّ الماء، ولكنَّه ضَمَّنَهَا معنى طَهَّرَهَا وَصَفَّاهَا، كأنه قال: طَهَّرَهَا بِسَنِّ الماء (والله اعلم).
قوله ﷺ : «مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ»:

قال في الشرح: يقال: ما معنى قوله: «مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ»؟ الجواب: أَنَّهُ قَدْ فُسِّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «مِنْ الْحَرِّ، وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ، وَالْجُمُودِ» - يعني والرطوبة واليبوسة - ومراده بذلك: المزاج، الذي هو كيفية واحدة حصلت من كيفيات مختلفة، قد انكسر بعضها ببعض.

وقوله: «مَعْجُونًا» صفة «انسانًا»، والألوان المختلفة، يعني: الضروب والفنون، يقال: في الدار ألوان من الفاكهة^(٣).

(١) شرح ميشم بن علي ١: ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٧ وهذه قطعة من بيت أورده ابن أبي الحديد، وهو لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يصف فيها ابنة معاوية، وتمامه:

تَمْشِي فِي مَرَمٍ مَسْنُونٍ

ثم خاصرتها إلى القُبَّة الخضراء

راجع: لسان العرب ١٣: ٢٢٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٩.

قوله ﷺ : «ووعده المردّ إلى جنّته»:

اعلم: أنّ بين الناس خلافاً في أنّ الجنّة التي أسكنها آدم ثمّ أخرج عنها، هل هي دار الجزاء أو غيرها؟ ومبناه: هل خلقت الجنة والنار قبل القيامة، أو لم تخلقا؟ فروي في الأساس عن الائمة ثلاثة أقوال: القطع بأنهما لم يخلقا عن الهادي واحمد بن سليمان، والقطع بخلقهما عن القاسم والناصر والامام يحيى. والوقف: لتعارض الأدلة عن المرتضى والمهدي، واختاره صاحب الاساس (١).

وفي شرح ابن أبي الحديد: فان قيل: فما يقول شيو خكم في الجنّة والنار: فإنّ المشهور عنهم أنّهما لم يُخلقا، وسيخلقان عند قيامة (٢) الاجساد، وقد دلّ القرآن العزيز، ونطق كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل، بأنّ آدم كان في الجنة وأُخرج منها!

→ وهنا نقطة لا بأس بذكرها وهي ان هذه الفقرات من الخطبة تحتوى على أمور.

منها: الاشارة إلى قدرة الله تعالى في خلق آدم، بل كلّ البشر بهذه الصفات العجيبة، المميّزة له عن سائر الموجودات. ومنها: أنّ الله كرّم بني آدم وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، حيث أسجد له ملائكته. ومنها: التحذير من عداوة ابليس ومكائده. ومنها: بيان أنّ سبب شقاء ابليس هو عصيان الله في امر واحد، فيكون بيانه تذكيراً لبني آدم في تجنب معصية الله تعالى، وهذا ما صرّح به أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة (١٩٢)، حيث قال: «اعتبروا لما كان من فعل ابليس إذ أحبط الله عمله الطويل وجهده الجهد ... عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته ...».

(١) ولكن الصحيح على مذهبنا أنّ الجنة والنار مخلوقتان الآن، بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتِ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣) وقوله تعالى: ﴿عِنْدَ بَسْطِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم: ٥٣ / ١٥) وبالنسبة الى النار، قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ (التحريم: ٦٦ / ٦) وأما ما استدل به على عدم وجودها الآن من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ١٨٨ / ٧) الدال على هلاك كل شيء ومنها الجنة والنار، فيكون وجودها الآن عبثاً. فالجواب عنه: ان المراد بالهلاك هو عدم الانتفاع بها. ومع فناء المكلفين تهلك الجنة بمعنى انه لا يتنفع بها، وكذلك النار. وأما قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ (الحديد: ٥٩ / ٣) فمعناه لا أوّل قبله ولا عن بدء سيقه، وآخر لا نهاية له، كما يعقل في صفات المخلوقين، وهذا لا ينافي كون الجنة مخلوقتان لله الآن، واستدلّاهم بهذا على عدم خلق الجنة فيه اشكالات تظهر لمن يتأمل. (٢) في المصدر: قيام.

قيل: قد اختلف شيوخنا عليه السلام في هذه المسألة، فمن ذهب منهم إلى أنهما غير مخلوقتين الآن، يقول: قد ثبت بدليل السمع أن سائر الأجساد تُعَدَم ولا يبقى في الوجود إلا ذات الله تعالى، بدليل قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١)، وقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٢)، فلما كان «أولاً» بمعنى لا جسم في الوجود في الأزل، وجب أن يكون «آخرًا» بمعنى انه لا يبقى في الوجود جسم من الاجسام معه فيها لا يزال، وبآيات كثيرة. وإذا كان لا بد من عدم سائر الأجسام لم يكن في خلق الجنة والنار قبل أوقات الجزاء فائدة لأنه لا بد أن [تخلقا] - مع الاجسام التي تَفْنَى يوم القيامة، فلا يبقى في^(٣) خلقهما من قبل معنى ويَحْمِلُونَ الآيات التي دَلَّت على كون آدم كان في الجنة وأُخرج منها، على بستان من بساتين الدنيا. قالوا: والهبوط لا يدل على كونهما في السماء؛ لجواز أن يكون في الأرض، إلا أنهما في موضع مرتفع عن^(٤) سائر الأرض.

وأما غير هؤلاء من شيوخنا، فقالوا: إنهما مخلوقتان الآن، واعترفوا بأن آدم كان في جنة الجزاء والثواب، وقالوا: لا يبعد أن يكون في إخبار المكلفين بوجود الجنة والنار لطف لهم في التكليف، وإنما يحسن الإخبار بذلك إذا كان صدقا، وإنما يكون صدقا إذا كان خبره^(٥) على ما هو عليه، انتهى^(٦).

أقول: وفي تبين وجه الحكمة في خلقهما على القول الآخر - بعد؛ فإنه يحسن الإخبار عن المعدوم المحض إذا كان المخبر عالماً به، كما يذكر في القرآن أحوال الآخرة كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٧)... وما بعدها من الآيات، وغير ذلك من القرآن^(٨).

(٢) الحديد ٥٧: ٣.

(٤) في «ص»: على.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٠٩.

(١) القصص ٢٨: ٨٨.

(٣) في المصدر: مع.

(٥) في «ص»: مخبر.

(٧) الزمر: ٣٩ / ٦٩.

(٨) كقوله تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم السنتهم وإيديهم وأرجلهم﴾ النور: ٢٤ / ٢٤ ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾. الفجر: ٨٩ / ٢٣.

والأولى أن يقال: كونهما مخلوقتين صريح الكتاب والسنة وكلام أمير المؤمنين عليه السلام فلا يجوز العدول عنه، والواجب علينا أن نعلم أن في خلقهما حكمة ما؛ لأن الصانع حكيم، ولا يجب علينا أن ننظر في خصوصية تلك الحكمة ما هي؟ بل لا يجوز؛ لأنه من اتباع الظن ومن قول علي الله ما لا يعلمه القائل^(١)، والله اعلم.

(١) في هـ ص ما يلي: ويمكن أن يقال في بيان وجه الحكمة في إيجادهما في الدنيا إن وجه الحكمة فيه هو اتصاف أشياء الآخرة كلها بالابتداء والانتها؛ فإنها تتصف باعتبار وجودها في الآخرة بالابتداء، ولكن لا انتهاء لها فيها، فأراد سبحانه أن يثبت لها الاتصاف بالانتها، ولا يكون ذلك إلا في الدنيا، حتى ينفرد سبحانه بالاتصاف بأنه الذي لا ابتداء فيه ولا انتهاء، ويندرجا تحت قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨ / ٨٨]، فهذا وجه من الحكمة حسن، وإن لم نقطع به؛ لأن علم الله أوسع من ذلك، والله أعلم، قلت: ولا بأس هنا من شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام: «وواتر إليهم أنبيائه» فقد روى الكليني في الكافي بإسناده عن الباقر قال: «والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم، إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله، وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده» (الكافي: ١: ١٧٩).

وروى الصدوق في الأمالي. بإسناده عن الصادق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سيد النبيين، ووصيي سيد الوصيين، وأوصيائي سادة الأوصياء، إن آدم سأل الله عز وجل أن يجعل له ولياً صالحاً، فأوحى الله عز وجل إليه: إني أكرمت الانبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقاً وجعلت خيارهم الأوصياء، يا آدم أوصي إلى (شيث) وهو هبة الله ابن آدم، وأوصي شيث إلى ابنه (شبان) - وهو ابن «نزلة» الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة، فزوجها ابنه شيثاً، وأوصي شبان إلى (مجلث)، وأوصي مجلث إلى (محق)، وأوصي محق إلى (غشميشا)، وأوصي غشميشا إلى (أخنوخ) وهو أدريس النبي، وأوصي إدريس إلى (ناحور)، ودفعها ناحور إلى (نوح) النبي، وأوصي نوح إلى (سام)، وأوصي سام إلى (عثامر)، وأوصي عثامر إلى (برعيثاشا)، وأوصي برعيثاشا إلى (يافث)، وأوصي يافث إلى (برة)، وأوصي برة إلى (جفسية)، وأوصي جفسية إلى (عمران)، ودفعها عمران إلى (إبراهيم) الخليل الرحمن، وأوصي إبراهيم إلى ابنه (إسماعيل)، وأوصي إسماعيل إلى (إسحاق)، وأوصي إسحاق إلى (يعقوب)، وأوصي يعقوب إلى (يوسف)، وأوصي يوسف إلى (بثرياء)، وأوصي بثرياء إلى (شعيب)، وأوصي شعيب إلى (موسى بن عمران)، وأوصي موسى بن عمران إلى (يوشع بن نون)، وأوصي يوشع بن نون إلى (داود) وأوصي داود إلى (سليمان)، وأوصي سليمان إلى (آصف بن برخيا)، وأوصي آصف بن برخيا إلى (زكريا)، ودفعها زكريا إلى (عيسى بن مريم)، وأوصي عيسى إلى (شمعون بن حمون الصفا)، وأوصي شمعون إلى (يحيى بن زكريا) وأوصي

قوله: «ميثاق فطرته»: قال في شرح ابن أبي الحديد: يقال: ما معنى قوله: «ليستأدوهم ميثاقَ فِطْرَتِهِ»؟ هل هذا إشارة إلى ما يقوله أهل الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(١)؟ والجواب، أنه لا حاجة في تفسير هذه اللفظة إلى تصحيح ذلك الخبر، ومراده بهذه اللفظة^(٢): أنه لما كانت المعرفة به تعالى وأدلة التوحيد والعدل مركوزة في العقول، أرسل سبحانه الأنبياء أو بعضهم، ليؤكدوا ذلك المركوز في العقول. وهذه هي الفطرة المشار إليها بقوله: «كلّ مولود يُولد على الفطرة»^(٣).

قوله ﷺ: «أو حُجَّةٌ لازمة»:

قال في الشرح: يقال: إلى ماذا يشير بقوله: «أو حُجَّةٌ لازمة»؟ هل هو إشارة إلى ما يقونه الإمامية، من أنه لا بُدَّ في كلّ زمان من وجود إمام معصوم؟ الجواب: أنهم يفسرون هذه اللفظة بذلك، ويمكن أن يكون المراد بها حُجَّةٌ بالعقل، انتهى^(٤).

قلت: بل الظاهر أنه يريد بالحجة: الامام - كما ذكرته الإمامية - لكن لا دليل على شرط العصمة^(٥)، والدليل على أن المراد بها الامام: كلامه لكميل بن زياد - وتفسير كلامه بكلامه أولى -، ويكون الامام كما قال: «إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً»^(٦).

→ يحيى إلى (منذر)، وأوصى منذر إلى (سليمة)، وأوصى سليمة إلى (بردة)، ثم قال رسول الله ﷺ ودفعها إليّ بردة، وأنا أدفعها إليك يا علي، وأنت تدفعها إلى وصيّك، ويدفعها وصيّك إلى أوصيائك من ولدك، واحداً بعد واحد، حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، ولتكفرن بك الأمة ولتختلفن عليك اختلافاً شديداً، الثابت عليك كالمقيم معي، والشاذ عنك في النار، والنار مثوى للكافرين. (امالي الصدوق: ٣٢٨، المجلس ٦٣، الحديث ٣).

(١) المائدة ٥: ١٦٧. (٢) في المصدر: بهذا اللفظ.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ١١٥، وروي الحديث في بحار الأنوار ٣: ٢٨١، الحديث ٢٢.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١١٥.

(٥) بل لا بد من العصمة في الامام؛ ليحصل الوثوق بكلامه، فيحصل الغرض من نصبه، ولوجوب متابعتة، فإذا فعل معصية فإمّا أن يجب متابعتة أو، فإن وجبت المتابعة، فذلك باطل؛ لأنّ الفرض أنه فعل معصية، وعدم وجوب المتابعة أيضاً باطل؛ لأنّه نقض لغرض نصبه.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧.

قوله ﷺ في ذكر الكتاب: «ومرسله ومحدوده»:

وهو عبارة عن المطلق والمقيد، وسمي المقيد: محدوداً، وهي لفظة فصيحة جداً، كقوله تعالى: ﴿فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(١) وقال في آخر: ﴿فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٢). (انتهى من شرح ابن أبي الحديد)^(٣).

واقول: يحتمل ان المراد بالمرسل: الواجبات المطلقة مثل: (ولله على الناس حج البيت)^(٤) وبالحدود الواجبات المؤقتة مثل: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(٥)، بل هو الأنسب، والله أعلم.

قوله ﷺ: «بين مأخوذٍ ميثاق علمه وموسّع على العباد في جهله»:

هذا نصّ على انّ في القرآن ما لم يكلف الله العباد طلب حقيقة معناه. وهذه مسألة خلاف بين العلماء، فالذي يوافق قول أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه في الأساس وشرحه وهو في «الفصول» - أيضاً، قال في الأساس وشرحه: قال القاسم بن ابراهيم والهادي والمرتضى والحسين بن القاسم العياني والامام احمد بن سليمان: وفواتح السور - اي الحروف المقطّعة في أوائل السور، نحو: «آلَم» و«كَهَيَّعَصَ» و«طَه» و«يُسَيْن» ممّا استأثر الله بعلم معانيها دون خلقه.

قال القاسم وكذلك الهادي: ويجوز أن يُطلع الله بعض أوليائه على معانيها، انتهى.

واعلم أن مبني هذا الخلاف على تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ - إلى قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٦) قال الذين قالوا: «إنّ في القرآن ما لا يُوقف على حقيقة معناه»: تظاهرت الرواية عن النبي ﷺ: أنّه وقف على الجلالة. قال اهل الأداء: هو من لوازم الوقف، قالوا: ومعنى أن المحكمات هن أم الكتاب:

(٢) النساء: ٩٢/٤.

(١) المجادلة: ٥٨ / ٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٢١.

(٥) الاسراء: ١٧ / ٧٨.

(٤) آل عمران: ٣ / ٩٧.

(٦) آل عمران: ٣ / ٧.

أنها التي يبنى عليها العمل والاعتقاد، فالمكلف متعبد بتلاوتها واعتقاد معانيها، قالوا: وهي النص والظاهر، بخلاف المتشابهات؛ فإنَّ المكلف انما تعبد بتلاوة لفظها، واعتقاد أنَّ له معنى صحيحاً لا يتكلف علم خصوصيته، وانما يُقرَّر به جُملة، قالوا: وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾^(١) و«الواو» إمَّا للاستئناف، وإمَّا للعطف على تقدير «أمَّا» أخرى، أي: وأمَّا الراسخون في العلم فيقولون فحذف «أمَّا» وفائها، قالوا: ولا يصح عطف «الراسخون» على اسم الله، فيشرك بينهما في الحكم وهو العلم؛ لأنَّ المنسوب إلى الله هو اليقين بعين المراد، والعلماء إنَّما يستظنون معاني المتشابهات، ويذكرون وجوهاً مختلفة من المحتملات، وربما تكون متنافيات، فلا يصح أن يشرك بينهم وبين الله في الحكم المنسوب. وسيأتي تكميل البحث في ذلك في خطبة الاشباح^(٢) إن شاء الله.

وفي الفصول وشرحه للسيد صلاح بن أحمد المؤيدي ما يوضح ذلك: قال في الفصول: «بعض السلف». قال في الشرح: منهم مجاهد، وهو روايته عن ابن عباس، فإنه روى عنه في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ الآية، قال: أنا ممن يعلم تأويله، والضحاك أخرجه عنه ابن أبي حاتم.

(١) في هـ. ص ما يلي: في كتاب الإتيان في علوم القرآن للأسيوطي في آخر بحث أورد فيه أقوال الناس في هذه المسألة مارسمة: وقال الامام فخرالدين: صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل، وهو إمَّا لفظي أو عقلي، والأوّل لا يمكن اعتباره في المسائل الأصولية، لأنّه لا يكون قاطعاً؛ لأنّه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة، وانتفاؤها مظنون، والموقوف على المظنون مظنون، والظن لا يكتفى به في الاصول. واما العقلي، فإنّما نفى فيه صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالاً، وأمّا اثبات المعنى المراد، فلا يمكن بالعقل؛ لأنّ طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل، وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظي، والدليل اللفظي في الترجيح ضعيف، لا يفيد إلا الظن، والظن لا يعول عليه في المسائل الأصولية القطعية، فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف - بعد إقامة الدليل القاطع على أنّ حمل اللفظ على ظاهره محال - ترك الخوض في تعيين التأويل، انتهى. وحسبك بهذا الكلام من الامام (انتهى كلام الإتيان في علوم القرآن ٣: ١٣ - ١٤).

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٩٠.

الفصول: «ويعلم الراسخون في العلم تأويله؛ لوقوع الخطاب به».

الشرح: اي بالمتشابه، للنبي ﷺ وأُمَّته، والخطاب كما عرف - توجيه الكلام نحو الغير للافهام، فيمتنع ان يخاطب الله بما لا يفهم.

الفصول: «وقال بعض السلف». الشرح: كابن عباس في أصح الروايات عنه، فإن الحاكم أخرج في المستدرک وعبد الرزاق في تفسيره: أنه كان يقرأ: «وما يعلم تأويله الا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به»^(١) وكأني، فإنَّ القراء حكوا عنه - أيضاً - أنه كان يقرأ: «ويقول الراسخون» وابن مسعود، فإنه أخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق الاعمش قال في قراءة ابن مسعود: «وإن تأويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به» وفي الرواية ما يدل على أنه رأى أمير المؤمنين، وهو في أمالي ابي طالب معزّو وإليه ولم يتأوله وطعن فيه، ولفظه: اعلم ايها السائل ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن الاقتحام على السُّدِّ المضروبة دون الغيوب، الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، يمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمي تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخاً، واقتصر على ذلك (انتهى بحروفه) وهو مروي عن عائشة، أخرج ابن أبي حاتم عنها، قال: «كان رسوخهم في العلم انهم آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه». كما اخرج ما يدل عليه عن ابن عباس وعن ابي الشعثاء أيضاً، وابن نهيك والراوي ما يدل على هذا عن عمر.

الفصول: «لا يعلمونه لعدم الخطاب به». الشرح: بل إنما قصد به التلاوة فقط والايان به جملة، واذا كانا المقصودين به لم يقع به خطاب، فيلزمهم منه إفهام المعنى، بل هو بمنزلة ان يقال: أتلو كذا وكذا وآمنوا به، فخطبوا بهما فقط.

ومما استدل به أهل هذا القول - مع ما قدّمنا من حكايات المذاهب التي لا تخلو عن حجة غالباً - ما أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي مالك الاشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا أخافُ على أمتي إلا ثلاث خصال: أن يكثر المال فيتحاسدوا عليه

فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الجدل في الكتاب فيأخذوه المؤمن يبتغي تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله ... الحديث»^(١).

واخرج ابن مردويه من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به»^(٢).

واخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب، أنه قال: «سيأتيكم أناس يجادلونكم بمتشابهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى»^(٣).
واخرج ابن جرير عن ابن عباس مرفوعاً: «أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال، وحرام - لا يعذر احد بجهالة، وتفسير يفسره العرب، وتفسير يفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب»^(٤).
ثم أخرجه من وجه آخر عنه مرفوعاً^(٥) بنحوه^(٦).

الفصول، الهادي الى الحق: «يعلمون منه ما يتعلق به التكليف دون غيره كحتمّ عسق». الشرح: وينصر قول الهادي، ما أخرجه ابن المنذر وغيره عن الشعبي، أنه سئل عن فواتح السور، فقال: إن لكل كتاب سرّاً، وإن سرّ هذا القرآن فواتح السور.
وشبيه قول الهادي ما قاله الخطابي: المتشابه على ضربين، أحدهما: إذا ردّ إلى المحكم واعتبر به عرف معناه. والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ، فيطلبون تأويله ولا يتلقّون كنهه، فيرتابون فيه، فيفتنون. وفي هذا كلام طويل ومباحث شريفة وتفصيل وتحقيق لابن الراغب وغيره أورده في الاتقان^(٧).

(١) مجمع الزوائد ١: ١٢٧.

(٢) الدر المنثور ٢: ٦ و ٨، ورواه عنه في الاتقان ٣: ٧.

(٣) رواه عنه في الاتقان ٣: ٩.

(٤) جمع الجوامع للسيوطي، ٤٥٤٨ وكنز العمال ٣٠٩٧ ورواه السيوطي في الاتقان ٣: ٨.

(٥) في الاتقان: موقوفاً. (٦) ذكر ذلك السيوطي في الاتقان ٢: ٤.

(٧) الاتقان ٣: ١٠ - ١١.

الفصول، القاسم بن ابراهيم: «وقد يطلع الله عليه بعض أصفياه». الشرح: وهذا يقتضي انه لا يعلمه إلا الخواص.

الفصول: ويمتنع على القول الأوّل، جهل كلّ الراسخين، لمخالفته لخبره؛ إذ قد اخبر انه يعلمه الراسخون لا بعضهم؛ إذ لم يدل قاطع على امتناع جهل البعض، وإنما دلّ الدليل على أنّ جملتهم يعلمونه.

لكن انت خبير ممّا سبق أنّ دلالة العموم كلّية، فيقتضي أن لا يجهله منهم أحد. وعلى فرض أنّ علم البعض يكفي ويخرج الخطاب بذلك عن العبث. فيجوز ان يكون ذلك البعض هو رسول الله ﷺ. او من يشاء من ملائكته وخواص عباد.

الفصول: وعلى القول الثاني ينقسم الكتاب إلى ما يراد فهمه على سبيل التفصيل وهو المحكم وعلى جهة الإجمال - وهو المتشابه -، بمعنى أنّه يلزم المعرفة بأنّه من عند الله تعالى، وأنّ لله [فيه] (١) حكمة وان لم يعرف معناه، كما جاء في الأحاديث المارّة. وكما أخرجه الحاكم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، قال: «كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد، وينزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة احرف، زجر، وأمر (٢)، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فأحلّوا حلاله، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا كلّ من عند ربنا» (٣).

وأخرج البيهقي نحوه في «الشعب» من حديث أبي هريرة (٤).

وأخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس، أنّه قال: «نؤمن بالمحكم وندين به، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به، وهو من عند الله كلّ» (٥).

وقال القاسم بن ابراهيم - بعد ذكره للقول الأوّل في تفسيره - : وفيه قول آخر، وهو: أنّ

(١) الزيادة اقتضتها السياق .

(٢) في الاتقان: زاجر وأمر .

(٤) و(٥) الاتقان ٣ : ٨ .

(٣) الاتقان ٣ : ٧ - ٨ .

محكماته التي لا تشتهه كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) ﴿لَا تَذَرِكُ الْإِبْصَارُ وَهُوَ يُذَرِّكُ الْإِبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾^(٣). وأما المتشابه فلا يكون ابداً إلا متشابهاً، كما جعله رب الارباب، فلا يحيط غيره بعلمه، ولا يكلف أحداً العلم به، وإنما كلف العلم بأنه من عند ربه، كما قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤)، والعلم بأنه من عنده فريضة عليهم في متشابه الكتاب.

قال السيد صلاح في موضع من شرحه في أول البحث: «تنبيه: اعلم أن في افعاله ما يكتفى فيها بمعرفة حكمته تعالى وإن لم تعلم الحكمة في كل فعل، ولهذا أجاب على الملائكة ﷺ - لما قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ - بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وأما أقواله تعالى، فهل يكتفى فيها بمعرفة الحكمة، فخطابه كاف وأنه مراد بها معنى جملي، بحيث لا نعلمه، أو لابد من فهم معناها وإلا كان الخطاب عبثاً، فمنشأ الخلاف من هنا، انتهى.

قوله ﷺ: «ومباين بين محارمه»:

الواجب أن يكون «مباين» بالرفع لا بالجبر؛ لأنه ليس بمعطوف على ما قبله، ألا ترى أن جميع ما قبله يستدعي الشيء وضده، أو الشيء ونقيضه، وقوله: «ومباين بين محارمه» لا نقيض ولا ضد له؛ لأنه ليس القرآن العزيز على قسمين: أحدهما مباين بين محارمه، والآخر غير مباين؛ فإن ذلك لا يجوز فوجب رفعه^(٥)، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف، كذا في شرح ابن أبي الحديد^(٦).

(١) الشورى ٤٢: ١١.

(٢) الانعام ٦: ١٠٣.

(٣) يونس ١٠: ٤٤.

(٤) آل عمران ٣ / ٧.

(٥) في المصدر: رفع مباين.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٢.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ صِفِّينَ ^(١):

أَحْمَدُهُ ^(٢) اسْتِثْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلَاماً ^(٣) لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأُسْتَعِينُهُ
فَاقَةً ^(٤) إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَبْئُلُ ^(٥) مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ، فَإِنَّهُ ^(٦)
أَرْجَحُ ^(٧) مَا وَزَنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً
مُمْتَحَنَةً ^(٨) إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقِداً مُصَاصُهَا ^(٩)، نَتَمَسِّكُ بِهَا ^(١٠) أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَذْخِرُهَا ^(١١)
لِأَهَاوِيلَ ^(١٢) مَا يَلْقَانَا؛ فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيْمَانِ ^(١٣)، وَقَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ،
وَمَذْحَرَةٌ ^(١٤) الشَّيْطَانِ.

(١) «صفين» من بلاد الجزيرة، ما بين دجلة والفرات من أرض الشام، وهي اليوم قريبة من الرقة في سوريا، شمال مدينة حلب، وفي الرقة قبور شهداء صفين من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كعمار بن ياسر وأويس القرني وغيرهما من الصحابة والتابعين، في مقبرة البلد، وتعرف باسم «مقبرة ويس» كما يتلفظه العامة.

(٢) في هـ.أ: أحمدته: بمعنى أشكره.

(٣) في هـ.أ: أي انقيادا، وفي هامش آخر: الاستسلام: الانقياد للفاقة والفقير. هـ.د: واعتصاما - حاشية م.

(٤) في هـ.أ: أي حاجة.

(٥) في ألف: يبئل، وفي ب: يأل، والصحيح ما اثبتناه عن الأصل، وفي هـ.أ: وص: أي لا ينجو.

(٦) في هـ.أ: الضمير في «فإنه» يرجع لمدلول «أحمد»، وفي هـ.أ: أيضاً - بل الضمير راجع إلى ما دل عليه قوله: «أحمدته» من الحمد، على طريقة قولهم: من كذب كان شراً له.

(٧) في هـ.أ: أي أغلب.

(٨) في هـ.أ: أي خلاصتها، ومصاص كل شيء: خالصه.

(٩) في هـ.أ: أي كلمة الشهادة.

(١٠) في هـ.أ: أي كلمة الشهادة.

(١١) في هـ.أ: أي كلمة الشهادة.

(١٢) في هـ.أ: أي كلمة الشهادة.

(١٣) في هـ.أ: أي كلمة الشهادة.

(١٤) في هـ.أ: أي كلمة الشهادة.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْدينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعِلْمِ الْمَأْثُورِ^(١)،
وَالْكِتَابِ^(٢) الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ^(٣)، إِزَاحَةً
لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثَلَاتِ^(٤) وَ^(٥)النَّاسِ فِي
فِتْنٍ^(٦) أَنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ^(٧)، وَتَزَعَزَعَتْ^(٨) سَوَارِي^(٩) الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ^(١٠)،
وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ^(١١)، قَالَهُدَى خَامِلٌ^(١٢)، وَالْعَمَى شَامِلٌ،
عَصِيَ الرَّحْمَنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ^(١٣)،
وَتَسَنَّكَرَتْ مَعَالِمُهُ^(١٤)، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ^(١٥)، وَعَفَّتْ شُرُكُهُ^(١٦)، أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ
فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ^(١٧)، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لَوَاؤُهُ، فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ
بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأُظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا^(١٨)، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ

(١) في هـ. أ: المأثور: المختار أو المنقول، وفي هـ. أ - أيضاً -: المأثور: المقدم على غيره،
والمنقول - أيضاً - . (٢) في هـ. أ: أي ما في اللوح المحفوظ.

(٣) في هـ. أ: أي المبين.

(٤) في الأصل: للمثلاث، وفي هـ. أ: المثلاث: جمع مثلة - بفتح الميم وضم الثاء - وهي العقوبة.

(٥) في هـ. أ: «الواو» حال من «أرسله».

(٦) في هـ. أ: والفتنة: كل أمر صرف عن قصد الله وأشغل عنه؛ من وهوى متبع.

(٧) في هـ. أ: الجذم: القطع، انجذم: انقطع.

(٨) في هـ. أ: والزعزعة: الاهتزاز والاضطراب، وفي هـ. أ - أيضاً -: تحركت واضطربت، وفي
هـ. د: وروي: و تزعزعت - ك.

(٩) في الف: سوار. وفي هـ. أ: والسواري: الأساطين.

(١٠) هـ. ص وأ: النجر: الأصل والطبع، أي اضطرب الأصل.

(١١) في هـ. أ: أي المرجع. (١٢) في هـ. أ: أي ساقط.

(١٣) في هـ. أ: أي تهدمت وسقطت.

(١٤) في هـ. أ: المعالم: الآثار التي يعلم بها الشيء ويستدل بها عليه.

(١٥) في هـ. د: ودرست رسومه - حاشية م.

(١٦) في هـ. أ: والشرك جمع شرك - بفتح الشين والراء - وهو معظم الطريق، وفي هـ. أ وردت
الكلمة هكذا: «شركه».

(١٧) في هـ. أ: أي مشاربه، وهي موضع شرب الماء.

(١٨) في هـ. أ: أي أطراف مقدم الحوافر، الواحد: السنبكة.

حَائِزُونَ^(١)، جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ^(٢)، نَوْمُهُمْ سُهْوٌ^(٣)، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضِ عَالَمِهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مَكْرَمٌ.

وَمِنْهَا^(٤) - وَيَعْنِي آلَ النَّبِيِّ ﷺ - : مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ^(٥) أَمْرِهِ، وَعَيْيَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ^(٦) حِكْمِهِ، وَكَهْفُ^(٧) كُتُبِهِ، وَجِبَالُ^(٨) دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ^(٩)، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ.

وَمِنْهَا - يَعْنِي قَوْمًا آخِرِينَ^(١٠) - زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْقُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ^(١١). لَا يُقَاسُ^(١٢) بِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ^(١٣) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى^(١٤) بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ^(١٥)، وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِي الْغَالِي^(١٦)، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي^(١٧)، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ^(١٨) وَفِيهِمْ

(١) في هـ.أ: أَيُّ مُتَحَيِّرُونَ.

(٢) في هـ.أ: الْمَرَادُ بِخَيْرِ دَارٍ: الشَّامُ؛ لِأَنَّهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ وَأَهْلِهَا الْفَاسْطُونُ، وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَرَادُ بِخَيْرِ دَارٍ: الْعِرَاقُ، وَشَرِّ جِيرَانٍ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ الْمُسْتَسْرِحَ بِهِمْ لِلْجِهَادِ.

(٣) في هـ.أ: أَيُّ خَوْفًا مِنَ الْحَرْبِ. (٤) فِي الْف: مِنْهَا.

(٥) فِي الْأَصْلِ: وَمُلْجَأٌ، وَفِي هَامِشِ الْأَصْلِ: فِي نَسْخَةٍ: لَجَأٌ، وَفِي هـ.أ: أَيُّ وَمُلْجَأٌ.

(٦) فِي هـ.أ: أَيُّ وَمَرْجِعٌ.

(٧) فِي أَوْ ب وَ ط وَ د: وَكَهُوفٌ، وَفِي هـ.أ: كَهْفُ الْجَبَلِ: الْبَيْتُ فِيهِ.

(٨) فِي هـ.أ: وَيُرْوَى حِبَالٌ - جَمْعُ حَبْلٍ. (٩) فِي هـ.أ: أَيُّ النَّبِيِّ ﷺ.

(١٠) لَمْ تَرُدْ «يَعْنِي بِهَا قَوْمًا آخِرِينَ» فِي ب، وَفِي هـ.أ: أَيُّ الْخَوَارِجِ، أَوْ مَعَاوِيَةَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ وَفِي د: الْعِبَارَةُ هَكَذَا: «مِنْهَا الْمُنَافِقِينَ». (١١) فِي هـ.أ: أَيُّ الْهَلَاكَةِ.

(١٢) فِي هـ.أ: الْقِيَاسُ نِسْبَةً الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ وَإِلْحَاقَهُ بِهِ فِي الْحُكْمِ.

(١٣) فِي ب: «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

(١٤) فِي الْأَصْلِ: لَا يَسَاوِي، وَفِي هـ.أ: أَيُّ لَا يَسْتَوِي.

(١٥) فِي هـ.أ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ لَهُمْ اسْتِقَامَةَ الدِّينِ، وَثَبَاتَهُ وَتَفَرُّعَهُ عَنْهُمْ، كَمَا يَقُومُ الْبِنَاءُ عَلَى أُسَاسِهِ.

(١٦) فِي هـ.أ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُتَجَاوِزَ لِلْفَضَائِلِ الْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي مَدَارُهَا عَلَى الْحِكْمَةِ وَالْعِفَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعَدَالَةِ إِلَى طَرَفِ الْإِفْرَاطِ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَيَهْتَدِي بِهِمْ.

(١٧) فِي هـ.أ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُقَصِّرَ عَنْ بُلُوغِ هَذِهِ الْفَضَائِلِ الْمُرْتَكِبَ لَطَرَفِ التَّفْرِيطِ فِي تَحْصِيلِهَا، يَلْحَقُ بِهِمْ عِنْدَ طَلِبِهَا، وَبِمَعُونَةِ اللَّهِ بِالْهَدَايَةِ إِلَى ذَلِكَ.

(١٨) فِي هـ.أ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ وَلَايَةَ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَخِلَافَةَ الرَّسُولِ ﷺ لَهَا خَصَائِصٌ هِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهِمْ.

الْوَصِيَّةُ^(١) وَالْوَرَاثَةُ، الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ^(٢) إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُتَنَقِّلِهِ».

قوله ﷺ: «العلم المأثور»:

يجوز أن يكون عنى به القرآن؛ لأنَّ المأثور: المحكي، والعلم: ما يهتدى به، والمتكلمون يسمّون المعجزات أعلاماً. ويجوز أن يريد به أحد معجزاته غير القرآن؛ فإنّها كثيرة ومأثورة، ويؤكد هذا قوله بعد: «والكتاب المسطور [فدلّ على تغايرهما]^(٣) ومن يذهب إلى الأوّل يقول: المراد بهما واحد، والثانية تأكيد الأولى على قاعدة الخطابة^(٤)، انتهى من شرح ابن أبي الحديد.

قلت: هذا مع رواية «علم» بالتحريك، فإن روى: «علم» بالتسكين وكسر أوّله، فهو السنة.

قوله ﷺ: «والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين... إلى آخره»:

قال في شرح ابن ميثم: يحتمل أن يكون «الواو» في قوله: «والناس» للابتداء^(٥)، ويكون ذلك شروعا منه ﷺ في ذمّ أحوال أهل زمانه، وماهم فيه من البلاء والمحنة والمخاوف والحروب بسبب تشتت أهوائهم واختلاف أغراضهم.

وغرضه ﷺ تنبيه السامعين على ما عساهم غافلين عنه، مماهم فيه من الفتن المشتملة على المذام التي عدّها والتي يرجع حاصلها - وإن تعددت - إلى ترك مراسم الشريعة وعدم سلوك سبيل الحق وارتكاب طريق الباطل.^(٦) قيل^(٧): وأراد بخير دار وشرّ جيران: الشام، وقيل: العراق، وقيل: الدنيا، انتهى كلام ميثم^(٨).

(١) في الأصل: الوصاية.

(٢) في هـ. أ: في نسخة: إذ الحق رجع.

(٣) ما بين المعقوفتين من ص ١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٦.

(٥) في هـ. ص في هذا الموضع ما يلي: لا يصح هنا أن يكون الواو للحال مع اعتبار هذا المعنى؛

وذلك لأنّ محصل قوله: «أرسله بكذا وكذا» يثبت أمر هذه الأمة على نفي ومنع الاختلاف،

والناس بعد مفتونون مختلفون، لإغراضهم عن الاعتصام بمن جعل منجى لهم من الضلال،

والله أعلم وأحكم.

(٦) شرح ميثم بن علي ١: ٢٤١.

(٧) في ط: وقال آخرون.

(٨) شرح ميثم بن علي ١: ٣٤٣.

قلت: فلو قيل المراد بها دار الإسلام؛ لأن لها أحكامها مع فساد أهلها [لكن أفضل] ^(١)، والله اعلم.
قال ميثم: ويحتمل أن يكون الواو في «والناس» واو الحال، ^(٢) والعامل «أرسله»
والفتن المشار إليها: فتن الجاهلية، ويعني بخير دار: مكة، وشر جيران: قريشا ^(٣)، وهذا
أبعد الوجوه، والله اعلم.

[وأعلم ^(٤)] أن الذي يتبادر إلى الذهن أن هذا القدر الذي أورده السيد من هذه الخطبة
فصول ملفقة ليست على نظامها الذي جرت عليه، ولوانتظمت لاتضح المراد منها، والله
اعلم. هذا حاصل ما ذكره ميثم ^(٥).

قوله ﷺ: «هم موضع سره ولجأ أمره»:

الدجاء: مأثمتجأ إليه، كالوزر: ما يعتصم به ^(٦). والموئل: ما يرجع إليه. يقول: إن أمر النبي
صلى الله عليه وآله، أي شأنه ملتجئ إليهم، وعلمه مودع عندهم كالنوب يودع العيبة.
وحكمه - أي شرعه - يرجع ويؤول إليهم، وكتبه - أي الكتاب ^(٧) والسنة - عندهم، فهم
كالكهوف له، لا حتوائهم عليه، وهم جبال دينه لا يتحلحلون عن الدين، وأن الدين ثابت
بوجودهم؛ كما أن الأرض ثابتة بالجبال، ولولا الجبال لمادت بأهلها.

والهاء في «ظهره» ترجع إلى الدين، وكذا الهاء في «فرائضه»، والفرائض: جمع فريضة،
وهي اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة. ^(٨) انتهى من شرح ابن أبي الحديد.

قوله ﷺ: «زرعوا الفجور»:

جعل سنتهم المعاصي بارتكابها مع اقتداء غيرهم بهم فيها كزراع رعى زارعه نموّه
وحصول فائدته.

وقوله ﷺ: «سقوه الغرور»:

(١) ما بين المعقوفتين زدناه للسياق
(٢) في المطبوع من شرح ميثم: الواو في قوله: «والناس» للحال.
(٣) شرح ميثم بن علي ١ : ٢٤٤ وفي آخره: وهذا الإحتمال حسن.
(٤) من ط. (٥) شرح ميثم بن علي ١ : ١٤٤.
(٦) في ط: ما تلجىء إليه، كالوزر: ما تعتصم به.
(٧) في ط: يعني القرآن.
(٨) شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٣٨.

اي: أمّدّوه - من ترويجّه وتزيينه حتى قوي - بما هو بمنزلة سقي الزرع.

وقوله ﷺ: «حصدوا الثبور»:

اي: كان غاية فعلهم وفائدته: الهلاك لهم ولأتباعهم.

وقد عرف بالمقابلة بينهم وبين آل محمد: ان المعنيّ بهم أضدادهم، كما لا يخفى على من يعرف أساليب الخطاب.

قوله ﷺ: «لا يقاس بآل محمد...»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: «لاريب في أنّ كلامه هذا تعريض بمن تقدّم عليه». وقال: «لا شبهة أنّ المنعم أعلى وأشرف من المنعم عليه، ولاريب أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وأهله والأدنين من بني هاشم، لاسيما عليّ ﷺ، أنعموا على الخلق كافة بنعمة لا يقدر قدرها، وهي الدعاء إلى الإسلام والهداية إليه، فمحمد صلى الله عليه وآله وإن كان هدى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانه ويده ونصره الله تعالى بملائكته وتأييده، وهو السيد المطاع المتبوع، والمصطفى المنتجب الواجب الطاعة، إلا أن لعليّ ﷺ من الهداية أيضاً - وإن كان ثانياً لأول، ومصلياً على اثر سابق - ما لا يجحد، ولو لم يكن إلاّ جهاده بالسيف أولاً وثانياً، وما كان بين الجهادين من نشر العلوم وتفسير القرآن وإرشاد العرب إلى ما لم تكن له فاهمة^(١) ولا متصورة، لكفى في وجوب حقه، وسبوغ نعمته ﷺ»،^(٢) انتهى.

ويمكن ان يقال في بيان نسبة هذه النعمة الى محمد وآله صلى الله عليه وآله: إنّ أصل هذه النعمة من الله والمنّة فيها له، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ الى اخره^(٣)، وقال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلإِيمَانِ﴾^(٤).

وقد شرك الله نبيه ﷺ وآله المخصوصين في حقها بقوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٤١

(٤) الحجرات: ٤٩ / ١٧.

(١) في ص: فاهمة له.

(٣) آل عمران: ٣ / ١٦٤

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ^(١) فاقترضى ذلك تشريكهم في أصلها، واقتضى - أيضا - أنه تعالى قضى باتحاد رسول الله وآله المخصوصين في الفضائل النفسية والفعلية، وبأنهم في ذلك كنفس واحدة مع قوله تعالى: «أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» ^(٢) مع غير ذلك من الأدلة الناصّة على الاتحاد في النفوس والفضائل والأحكام، والله اعلم. ومن نعمتهم عليهم: أنهم من بعده يهدونهم من الضلال، وينجونهم من الهلاك باثبات الله ذلك، وإن لم يقبل تلك النعمة أكثرهم، كالانبياء نعمتهم على أممهم بالهداية والنصيحة ثابتة وإن لم يقبلوها.

قوله ﷺ: «هم أساس الدين»:

أي طريقتهم وهدىهم أصوله، فمن بنى دينه على الاهتداء بهم لم يختل، كما قال صلى الله عليه وآله: «أَنْتِي تَارِكُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا مِنْ بَعْدِي» ^(٣).

«وعماد اليقين»: أي من جعل عقيدته موافقة لعقيدتهم دعم يقينه فلم يسقط.

«اليهم يفيء» يرجع «الغالي» أي: من غلا في دينه، ثم آبت إليه بصيرته وراجع الحق، رجع اليهم وإلى مذهبهم: لأنّه الحق.

«بهم يلحق التالي»: أي: المتتابع للدلالة، المستبصر في دينه من مبدأ أمره يلحق بهم، فيكون من جملتهم واتباعهم؛ لأنّ أدلة الحق لا توصله إلا إلى مذهبهم لأنّه الحق.

ولهم خصائص يختص بهم من دون الناس، وهي كون الإمامة فيهم، لا تصح

في غيرهم.

وفيه «الوصية»، فإن علياً عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله لا يخالف فيه إلا من ينسب إلى العناد، وقد تضمنت ذلك اشعار الصدر الأول من الصحابة والتابعين وخطبهم.

(٢) آل عمران: ٣ / ٦١.

(١) الشورى: ٢٣ / ٤٢.

(٣) رواه الحاكم عن زيد بن أرقم في المستدرک ج ٣ ص ١٤٨ و ١٠٩ ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ / ١٦٢ و ١٦٣ عن زيد بن ثابت وابن سعيد الخدري ورواه أحمد بن حنبل في مسنده عن رجال شتى، انظر المسند ج ٣ ص ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ و ج ٤ ص ٣٦٧ و ٣٧١ و ج ٥ ص ١٩٠ وفي فضائل الصحابة الأحاديث: ١٧٠ و ٩٦٨ و ٩٩٠ و ١٠٣ و ١٣٨٣ و ١٤٠٣.

«والوراثه» أيضا لهم، وهي وراثه المال والخلافة.

ثم قال ﷺ: «الآن اذ رجع الحق» اي الخلافة والإمرة «الى اهله» ونقل إلى الموضع الذي وجب انتقاله إليه بعد النبي صلى الله عليه وآله بالنقل الشرعي. وهذا تصريح ونص بمذهب الشيعة: أنه كان خارجا من أهله.

وقد جعل ﷺ مدّة ولايته أنا واحدا، فهو يتكلّم في آخره ووسطه بما يتكلّم به في أوّله، وقصده دفع وهم من يتوهم ان انضراب الامر عليه واستقامته لمن قبله لاستحقاقهم له. فقال: هو حقي دونهم، ولا يقدر فيه عدم استقامة الرعية، وذلك كما لم يقدر في نبوة موسى ﷺ انضراب أمته عليه كما قصه الله تعالى (١).

روى أحمد بن حنبل في كتابه «مناقب أمير المؤمنين ﷺ» بسند متصل بأنس بن مالك، قال: قلنا لسلمان: سل النبي صلى الله عليه وآله مَنْ وصيّه؟

فقال له سلمان: يا رسول الله مَنْ وصيُّك؟

قال: يا سلمان من كان وصيُّ موسى؟

قال: يوشع بن نون.

فقال: إن وصيّي ووارثي يقضي ديني وينجز عداتي (٢) علي بن أبي طالب (٣).

(١) ورد ذكر ذلك في سورة طه: ٢٠.

(٢) راجع كتاب الفضائل الحديث ١٠٥٢، وفيه: «موعودي» بدل «عداتي».

(٣) قلت: ولعل من المناسب هنا ذكر تخطّات ابن أبي الحديد في شرحه لهذا الكلام، فقد اعترف في الجزء الاول من شرحه ص ١٣٩: انّ علي بن أبي طالب ﷺ كان وصي رسول الله. ولكنّه قال بعد ذلك: ولسنا نعني بالوصية النص على الخلافة، ولكن أمور أخرى لعلها اذا لمحت أشرف وأجل. ونحن نسأله: ما هي تلك الامور؟ وهل هناك شيء عندكم هو أجل وأشرف من الخلافة. وإن كان عليا وصيّا في الأشرف والأجل فما باله لا يكون وصيا في الخلافة أيضا!

وقال في نفس تلك الصفحة تفسيرا لقول أمير المؤمنين ﷺ: «الآن اذ رجع الحق إلى أهله». إنّ الحق رجع الآن إلى أهله، وهذا يقتضي أن يكون فيما قبل في غير أهله، ونحن نتأوّل ذلك

→ على غير ما تذكر الإمامية ونقول: إنه كان أولى بالامر وأحق لأعلى وجه النص، بل على وجه الأفضلية؛ فإنه أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ وأحق بالخلافة من جميع المسلمين لكنه ترك حقه. (انظر ١ : ١٤٠).

ونقول له: لماذا التجأت إلى التأويل هنا، ألم يكن دأبك الأخذ بالنص الواضح، إن تأويلك العليل هذا لا ينفع في إثبات حق لاوليائك، بل أمير المؤمنين مصرّح بأن أولئك كانوا على خلاف الحق وانهم أراحوا الخلافة والحق عن نصابه بتوليهم الأمور. ثم إن ابن أبي الحديد يرجع عن هذا التأويل ويعترف بأحقية الامام أمير المؤمنين في الخلافة وأنه أحق بها من جميع المسلمين، ولكن لا يثبت على هذا، بل ينقلب عنه ايضاً بقوله: «لكنه ترك حقه».

ونحن نقول : متى ترك حقه؟ هل عندما ذهب ليدفن رسول الله ﷺ وأصحاب السقيفة كانوا قد تركوا جسد النبي ﷺ بلا غسل ولادفن وذهبوا يتنازعون ويتنافسون على الخلافة؟ (تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٢).

أو عندما جمع عمر الخطب على باب دار على ليحرق الدار بمن فيها؟ (انظر الإمامة والسياسة؛ لابن قتيبة ١ : ١٩).

أو عندما جرّوه ملبياً بردائه الى المسجد حاسراً حافياً ليباع أبابكر؟
أو عندما وقف عمر على رأسه شاهراً سيفه مهدداً له: «إن لم تباع ضربت عنقك»؟
أو عندما استنفر المسلمين لنصرته على الغاصبين وأخذوا يعتذرون: بأن قد سبقت منا البيعة لأبي بكر؟

أو عندما خطبت فاطمة في المسجد وبيّنت أحقية زوجها بالخلافة في محضر من أبي بكر وعمر؟

أو عندما ماتت الزهراء غاضبة على أبي بكر وعمر لنصيبهما الخلافة، واوصت بأن يدفنها عليّ ليلاً ولا يحضرا الصلاة عليها ولا تشيعها؟

أو عندما عرض عليه عبد الرحمن البيعة على سيرة الشيخين فأبى الا كتاب الله وسيرة رسول الله ﷺ. وهل يعدّ رفضه لذلك رفضاً لأصل حقه في الخلافة؟

إذن متى ترك حقه؟!
وإذا كان قد ترك الخلافة، فلماذا خطب الخطبة الشقشقية الآتي ذكرها؟

ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية^(١):

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا^(٢) ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ^(٣)، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ
الْقُطْبِ^(٤) مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ^(٥) عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ^(٦)
دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ^(٧) عَنْهَا كَشْحًا^(٨) وَطَفِقْتُ^(٩) أَرْتِي^(١٠) بَيْنَ أَنْ أَصُولَ^(١١) بِيَدٍ جَذَاءً^(١٢).

(١) في هـ. ص: «الشقشقية» بكسر الشين.

قلت: وانما سميت بالشقشقية؛ لأنه عليه السلام وصفها بأنها شقشقة هدرت ثم قرأت.

(٢) في هـ. ص: قوله «تقمصها» أي لبسها، فهم يشبهون الفضائل بالثياب، حيث لا يقاوم من لبسها. وفي هـ. أ: الخلافة.

(٣) في أ وب ود: فلان، وفي هـ. أ: أي ابن أبي قحافة.

(٤) في هـ. أ: القطب: الذي تدور عليه الرحى.

(٥) في هـ. ب: هومن أوصاف الجبل والأماكن المرتفعة، وكنى به عن علوشرفه مع فضله في العلوم والتدبير والسياسة.

(٦) في هـ. ص: قوله «فسدلت» يقول: صرفت عيني عنها، وفي هـ. أ: سدلت الثوب: أرخيته

(٧) في هـ. ص: قوله: «طويت» أي أجمعت نفسي منها وزهدت فيها.

(٨) في هـ. أ: الكشح - بفتح الكاف - الخاصرة، وفي هـ. أ - أيضاً - : أي جنباً.

(٩) في هـ. أ: أي جهدت أفعلاً كذا طول النهار. وفي هـ. أ - أيضاً - «طفقت»: أخذت.

(١٠) في هامش الأصل قوله: «ارتائي» هو النقل في الرأي. في هـ. ص - أيضاً - أي أذكر وأفكر، وجعلت ارتائي الأمر: إذا فكرت في الرأي.

(١١) في هـ. أ: صال بنفسه على الأمر: إذا كان يقوم ويدخل فيه، وفي هـ. أ - أيضاً: أي حمل عليهم.

(١٢) هـ. د: بالجيم والحاء، وفي هـ. ص: وقوله: «جذاء» بالجيم فالمهملة، وبالجيم والحاء فالمعجمة - أي المقطوعة، وفي هـ. أ: المقطوعة.

أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَّةٍ^(١) عَمِيَاءَ، يَهْرَمُ^(٢) فِيهَا^(٣) الْكَبِيرُ، وَيَشْيِبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ^(٤)، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا^(٥) أَخْبَى^(٦)، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى^(٧)، وَفِي الْحَلْقِ شَجَاً^(٨)، أَرَى تُرَاثِي^(٩) نَهْباً، حَتَّى مَضَى الْاَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا^(١٠) إِلَى عَمْرِ^(١١) بَعْدَهُ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ لِلْأَعَشَى^(١٢)؛

شَتَانٌ^(١٣) مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا^(١٤) وَيَوْمٌ^(١٥) حَيَّانٌ أَخِي جَابِرٍ^(١٦)
فَيَا عَجَبًا! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا^(١٧) فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِآخِرٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدِّ^(١٨) مَا

(١) في هـ. ص: وقوله: «طخية»، أي فتنة؛ لأنهم كانوا يشبهونه بما يدخلون ويستر، ووصفها بالعمياء تأكيداً. وفي هـ. أ: الطخية: الظلمة، يقولون: ليلة مظلمة، وتركيب هذه الكلمة يدل على ظلمة الأمور وانغلاقها، وكلمة «طخية» أي اعجمية لا تفهم. وفي هامش آخر منه: أي ليلة مظلمة. وفي هـ. ب: أي ظلمة والتركيب يدل على ظلمة وانغلاق، ومنه: كلمة طخية أي اعجمية لا تفهم.

(٢) في هـ. أ: «الهرم»: شدة [الطعن] في السن، وفي هامش آخر: يخرم.

(٣) في هـ. أ وب: في نسخة: منها (٤) هـ. د: يلقي فيها ربه - م.

(٥) في هـ. أ: بمعنى هذه، وهاتني: لغة في هذه.

(٦) في هـ. ص: وقوله «أحجى» أي ادخل في باب الحجى. وفي هـ. أ: أي أعقل، وأحجى: أولى بالحجى.

(٧) في هـ. أ: القذى هو ما يتأذى به العين من غبار ونحوه.

(٨) في هـ. أ: والشجي: ما ينشب في الحلق من غصة غبن أو غم من الفراق، وفي هـ. ب: ما نشب في الحلق من غصة غبن أو غم.

(٩) في هـ. أ: والتراث كالميراث، وهو اسم ما يورث.

(١٠) وفي هـ. د: إلى ابن الخطاب - ح و ض: في هـ. أ: أدلى فلان بكذا: إذا تقرب به والقاء.

(١١) في أ وب ود: فلان. وفي هـ. أ: أي عمر بن الخطاب.

(١٢) في أ وب ود: بقول الأعشى. وفي هـ. د: «الأعشى» ساقطة من ح.

(١٣) في هـ. أ: شتان: أي بعد، يعمل عمل الفعل وإن كان اسماً، «وما يومي» فاعل شتان.

(١٤) في هـ. أ: «الكور» قنب الناقة، وكور الناقة: رحلها.

(١٥) في هـ. أ: عطف على «يومي».

(١٦) في هـ. أ: شبهه ﷺ تباعد ما بين اليومين: يوم الاستقالة ويوم الاستنابة بتباعد ما بين يومي الأعشى: يوم النعمة والسرور في مناومة حيان، ويوم الطواف في البلدان ومكابدة الأحران.

(١٧) في هـ. أ: الاقالة [فسخ] البيع ونحوه، والاستقالة طلب ذلك. وفي هـ. أ: أيضاً - أي يستقيلها الله.

(١٨) في هـ. أ: شد الأمر: أي صعب وعظم.

تَشَطَّرَا^(١) ضَرَعَيْهَا^(٢)، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ^(٣) خَشْنَاءَ^(٤) يَغْلُظُ^(٥) كَلْمَهَا^(٦)، وَيَخْشُنُ مَسَّهَا^(٧)، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ^(٨) فِيهَا^(٩) وَالْأَعْتِدَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا^(١٠) كَرَاكِبُ الصَّعْبَةِ^(١١)، إِنْ أَشْنَقَ^(١٢) لَهَا خَرَمَ^(١٣)، وَإِنْ أَشْلَسَ^(١٤) لَهَا تَقَحَّمَ^(١٥)، فَمُنِيَ النَّاسُ^(١٦) - لَعَمْرُ اللَّهِ^(١٧) - بِخَبِطِ^(١٨) وَشِمَاسِ^(١٩)، وَتَلَوْنَ^(٢٠) وَاعْتَرَضَ^(٢١)، فَصَبَرْتُ عَلَى طَوْلِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمُحَنَّةِ، حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي سِتَةٍ^(٢٢) زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ^(٢٣)، فَيَا اللَّهُ لِلشُّورَى^(٢٤)، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ؟! لَكِنِّي اسْفَقْتُ^(٢٥) إِذَا أَسْفَوَا.

(١) في هـ. أ: أي تقاسما، وأخذ كل شطراً، وهو البعض.

(٢) في هـ. أ: أي الخلافة.

(٣) هـ. د: ناحية خشناء - ر، وفي هـ. الف: أي في ناحية، والحوزة: الطبيعة.

(٤) في هـ. ب: كنى بها عن طباع عمر؛ فإنها كانت توصف بالجفاوة والغلظة في الكلام والتسرّع

في الغضب. (٥) في هـ. د: يعظم - ر.

(٦) في هـ. أ: الكلم - بفتح الكاف - : أنجرح. (٧) هـ. د: يجفومسّها - ك.

(٨) في هـ. أ: [العنار: يقال: عثر: إذا أصاب رجله في المشي حجراً ونحوه.

(٩) لم ترد «فيها» في ص. (١٠) في هـ. أ: أي صاحب الخلافة.

(١١) في هـ. أ: أي الممتنعة.

(١٢) في هـ. أ: أي جذب الزمام إلى نفسه، شق الناقة بالزمام واشنق لها: أخذ الزمام وجذبه إليه.

(١٣) في هـ. أ: أي قطع. (١٤) في هـ. أ: أي أرخى.

(١٥) في هـ. أ: أي أدخل في المهالك. (١٦) في هـ. أ: أي ابتلى الناس.

(١٧) في هـ. أ: أي أقسم بالله.

(١٨) في هـ. أ: أي الذهاب عن غير اهتداء، أو الحركة في غير استقامة. وسير في غير جادة.

(١٩) في هـ. أ: الشماس بكسر الشين: النفار والاضطراب.

(٢٠) في هـ. أ: أي مشي على غير استواء، وفي هامش آخر: والتلون.

(٢١) هـ. د: بتلون واعتياض - حاشية م. وفي هـ. أ: الاعتراض: المشي في عرض الطريق خابطاً،

وفي هـ. أ: أيضاً: الاعتراض: هو ضرب من التلون، وأصله المشي في عرض الطريق خابطاً.

(٢٢) في بعض النسخ: «جماعة» بدل «ستة»، وفي هـ. أ: أصحاب الشورى هم ستة نفر؛ وهم:

طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان، وعليّ.

(٢٣) في هـ. ص: أي أنني مساو لهم في استحقاقها.

(٢٤) في أوب ود وط: وللشورى. وفي هـ. أ: والشورى اختيار شيء من غير أمر معين، وفي هـ. أ:

- أيضاً: التشاور والشورى كالنجوى، مرادف للمشاورة.

(٢٥) في هـ. ص: أسف الطائر: إذا قارب الأرض في طيرانه. وفي هـ. أ: دنوت وقاربت.

وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَى ^(١) رَجُلٌ ^(٢) مِنْهُمْ لِضَغْنِهِ ^(٣)، وَمَالَ الْآخَرَ ^(٤) لِصَهْرِهِ، مَعَ هَنْ وَهْنٍ ^(٥)،
إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ ^(٦)، نَافِجاً ^(٧) حِضْنِيهِ ^(٨) بَيْنَ نَثِيلِهِ ^(٩) وَمُعْتَلِفِهِ ^(١٠)، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ ^(١١)،
يَخْضُمُونَ ^(١٢) مَالَ اللَّهِ ^(١٣) خَضْمَ ^(١٤) الْإِبِلِ نَيْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنْ انْتَكَتْ ^(١٥) قَتْلُهُ ^(١٦)، وَأَجْهَزَ ^(١٧)
عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ مَطْيِئَتُهُ ^(١٨)، فَمَا رَاعَنِي ^(١٩) إِلَّا وَالتَّاسُ إِلَيَّ ^(٢٠) كَعُزْفِ الضَّبْعِ ^(٢١)،

(١) في هـ. أ: اي مال، والصغو بكسر الصاد وسكون العين - : الميل.

(٢) في هـ. ص قال في الشرح: طلحة، وقد روي انه لم يحضر، وقيل: سعد بن أبي وقاص.

(٣) في هـ. أ: سعد بن أبي وقاص وفي هـ. أ - أيضاً - : هو سعد بن أبي وقاص الزهري

(٤) هـ. د: فمال رجل واصفى آخر لصهره - ك، وفي هامش. ص وهو عبد الرحمان بن عوف؛
لأنّ اخت عثمان كانت زوجته، وفي هـ. أ: الضغن - بكسر الصاد وسكون العين وفتحها - ايضا
- : الحقد، والاصهار المتحرمون بجوار او نسب كالزوج... وعن الخليل: انه لا يطلق إلا على
من كان من أهل المرأة.

(٥) وفي هـ. ص: اي مع امور يكتنى عنها ولا يصرّح بها، واكثر ما يكتنى به عن المستقبح . وفي
هـ. أ: [يتلفظ] بها العرب في الامور العظيمة، وأصله: هنو، وهو كناية عن هني وهني. وفي
هـ. أ - أيضاً - : هن على وزن اخ، كلمة [تطلق] كناية عن شيء، وأصله: هنو، يقولون: هذا هنك.

(٦) في هـ. أ: وهو عثمان بن عفان. (٧) في هـ. أ: اي نافخا، والنفج قريب من النفخ.

(٨) في هـ. أ: الحضن: الجنب ما بين الإبط والخاصرة، وفي هـ. أ - أيضاً - : اي الصدر والعضلات
وما يليهما. [قلت: اي رافعا لهما، او يقال للمتكبر: نافج حضنيه وذلك ايضا لمن ملأ بطنه من
الطعام والشراب. (٩) في هـ. ص: هوروثه.

(١٠) في هـ. ص: موضع العلف، وفي هـ. أ: اي بين مطعمه ومنكحه.

(١١) في هـ. أ: اي بنو أمية.

(١٢) الخضم: الاكل بجميع الفم، وقيل: المضغ بأقصى الأضراس، يقال هو قضم - بكسر الضاد...

(١٣) في أ وب زيادة: تعالى. (١٤) في ط: خضمة.

(١٥) في هـ. أ: انفض. وفي هـ. أ - أيضاً - : انتفض.

(١٦) في د: عليه قتله، وفي هـ. د: الى ان انتكث قتله - ض وح.

(١٧) في هـ. أ: أجهز أسرع قتله فعله. (١٨) كذا في ص وفي أ وب وط: بطنته.

(١٩) في هـ. أ: اي ما أخوفني، أو ما أعجبني.

(٢٠) كذا في النسخ الخطية، وفي ط: كعرف الضبع إلى.

(٢١) في هـ. أ: شبههم بعرف الضبع لكثرتهم؛ لان الضبع ذات عرف كثير، والعرب تشبهه [بالضبع]

لكثرة عرفها.

يَتَّخِلُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ^(١)، وَشُقَّ عِطْفَايَ^(٢)، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةِ الْغَنَمِ^(٣)، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَّثَتْ^(٤) طَائِفَةٌ، وَمَرَّقَتْ^(٥) أُخْرَى، وَقَسَطَ^(٦) آخَرُونَ^(٧)، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(٨) يَقُولُ: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^(٩) بَلَى - وَاللَّهِ - لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا^(١٠) وَلَكِنَّهُمْ خَلَيْتِ الدُّنْيَا^(١١) فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زَبْرٌ جُهَا^(١٢)، أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأ^(١٣) النَّسْمَةَ^(١٤)، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ^(١٥)، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا

(١) في هـ.أ: أراد الحسن والحسين عليه السلام، ويروى أنه أراد الابهامان، وهذا المعنى أليق، روي ان أمير المؤمنين عليه السلام انما كان يومئذ جالسا محتبئا، وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه وآله المسماة القرفصاء - وهي جمع الركبتين وجمع العطف، وهو الذيل - فاجتمعوا عليه وزاحموه حتى رطنوا ذيله وابهامه من تحته معهما، ولم يعن الحسن والحسين عليه السلام وهما رجلان كبيران كسائر الناس.

(٢) في د: عطافي، وفي هـ.أ: عطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه.

(٣) في هـ.أ: اي مأواها، أحاطوا بي بحيث لم يمكنني الخروج من بينهم، احاطة الربيضة بالغنم.

(٤) هـ. د: نكصت طائفة، بالصاد - ك. وفي هـ.أ: أراد بالناكثة طلحة والزبير ومن معهما بحيث نقضوا عهد بيعته.

(٥) في هـ.أ: أراد بهم الخوارج حيث أخبر النبي صلى الله عليه وآله عنهم بقوله: «إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

(٦) كذا صحح في هـ. ص، ولكنه في ص وب ود: وفسق.

(٧) في هـ. ب ما مضمونه: الناكثون هم طلحة والزبير، والمارقون هم خوارج النهروان، والناسطون هم أصحاب معاوية.

(٨) كلمة: «سبحانه» لم ترد في ص. وفي ط وهـ. د: كلام الله - ض وب وح.

(٩) سورة القصص: ٢٨ / ٨٣.

(١٠) في هـ.أ: اي تزينت.

(١١) هـ. د: اراقهم زبرجها - م، وفي هـ.أ: الزبرج - بكسر الزاء والراء - الزينة. أي وأعجبهم زخرفها، وهو ماله ظاهر جميل وباطن بخلاف ذلك، واصل الزبرج: الغيم الذي لاماء فيه، فهو يغري ظاهره ولاخير فيه.

(١٢) في هـ.أ: اي خلق.

(١٣) في هـ.أ: اي خلق.

(١٤) في هـ.أ: النسمة: ذي روح للانسان، وقد يستعمل في ماعده من الحيوان.

(١٥) في هـ.أ: يعني ان الفرض يعين ويوجد لو وجد من ينتصر به على دفع المنكر ودفع الباطل،

أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعَلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُوا^(١) عَلَى كَيْفَةِ^(٢) ظَالِمٍ وَلَا سَعْبٍ مَظْلُومٍ، لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا^(٣)، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أُولِهَا، وَلَا لَفَيْتُمْ^(٤) دُنْيَاكُمْ هَذِهِ عِنْدِي أَهْوَنُ^(٥) مِنْ عَفْطَةِ^(٦) عَنَزٍ.

قَالُوا: وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ^(٧) عِنْدَ بُلُوغِهِ^(٨) إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ، فَتَاوَلَهُ كِتَابًا، فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ^(٩)، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ^(١٠) قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ^(١١): يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ اطَّرَدْتُ^(١٢) مَقَالَتَكَ^(١٣) مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ^(١٤)؟ فَقَالَ^(١٥): هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، تِلْكَ شَفْشَقَةٌ^(١٦) هَدَرْتُ^(١٧) ثُمَّ قَرَرْتُ.

→ وبه [يدفع اعتراض] من لا علم له، من أن القعود في أول الأمر والنهوض في حرب الجمل وما بعدها لفقد الانصار أولاً وحضورهم ثانياً.

(١) في هـ. أ: في نسخة: يقرّوا، أي يرضوا، والمقارّة: إقرار كل واحد حقه على الآخر وتراضيهما به. (٢) في هـ. أ: أي البطنة: الامتلاء من الطعام.

(٣) في هـ. أ: الغارب: أعلى العنق وأعلى كتف الناقة.

(٤) في هـ. أ: أي لوجدتم.

(٥) في أ وب وط ود: أزهد عندي، وفي هـ. أ، في نسخة: أهون. وفي هـ. أ: «أهون» أي أقل من الزهيد، وهو القليل.

(٦) في هـ. أ: العفطة من الشاة كالعطسة من الإنسان، وقيل: هي الجيفة. وفي هـ. أ - أيضاً: العفطة: عطسة او ضرطة، وعفطة عنز يحتمل معنيين: أي نثرت بانفها كما ينثر الحمار، وعفطت: ضرطت.

(٧) في هـ. ص: السواد سمي سواداً لخضرته بالزروع والأشجار، فلما رأت العرب حين فتحوا العراق قالوا ما ذلك السواد؟ فغلب عليه. (٨) لم ترد: «عليه السلام» في ط ود.

(٩) في هـ. أ: في نسخة: ينظر إليه.

(١٠) في هـ. د: «فلما فرغ من قرائته» ساقطة من ب وح.

(١١) في ط: رضي الله عنه، ولم ترد في أ وب ود: عبارة الترحيم أو الترضية.

(١٢) في هـ. أ: أي استمررت. (١٣) في ط وهـ. د: خطبتك - ص وب.

(١٤) في هـ. أ: أي انتهيت. (١٥) لم ترد: «عليه السلام» في ط ود.

(١٦) في هـ. أ: الشفشقة: لهة البعير، ويقال للخطيب: ذو شفشقة.

(١٧) في هـ. أ: أي غلت، وفي هـ. أ - أيضاً - : هدر البعير هديرًا: ردّد صوته في حنجرتة.

قال ابن عباس: فَوَاللَّهِ مَا أُسِفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفِي عَلَى ذَلِكَ ^(١) الْكَلَامِ، أَنْ لَا يَكُونَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ ^(٢).

قال الرضي رحمه الله ^(٣):

قوله عليه السلام فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ: «كَرَّابِ الصُّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا حَرَمٌ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَفْحَمٌ»،
يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا شَدَّدَ عَلَيْهَا فِي جَذْبِ الزَّمَامِ وَهِيَ تُتَارَعُهُ رَأْسُهَا حَرَمٌ أَنْفَهَا، وَإِنْ أَرْخَى لَهَا شَيْئاً
مَعَ صُغُوبِهَا تَفْحَمَتْ بِهِ فَلَمْ يَمْلِكْهَا. يُقَالُ: «أَشْنَقَ النَّاقَةَ» إِذَا جَذَبَ رَأْسَهَا بِالزَّمَامِ فَرَفَعَهُ،
وَشَنَقَهَا أَيْضاً، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ السَّكَيْتِ فِي «إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ».

وَإِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَشْنَقَ لَهَا» وَلَمْ يَقُلْ: «أَشْنَقَهَا»؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ:
«أَسْلَسَ لَهَا»، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ رَفَعَ لَهَا رَأْسَهَا، بِمَعْنَى أَمْسَكَهُ عَلَيْهَا بِالزَّمَامِ، وَفِي الْحَدِيثِ:
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ عَلَى نَاقَتِهِ وَقَدْ شَنَقَ لَهَا فَهِيَ تَفْصَعُ بِجِرَّتِهَا.
وَمِنْ الشَّاهِدِ عَلَى أَنَّ «أَشْنَقَ» بِمَعْنَى «شَنَقَ»، قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ الْعَبَادِيِّ:

سَاءَ مَا لَهَا تَبَيَّنَ فِي الْأَيْدِي وَإِشْنَاقَهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ

قوله عليه السلام: «محل القطب من الرحي»:

يريد: كما ان الرحي لا تدور إلا على قطبها، كذلك الخلافة لا تستقيم أمورها بغيري.
ثم بيّن وجه احتياجها إليه فقال: المراد الأصلي من الخلافة أمران: تبيين المشكلات،
والذبّ عن حوزة الاسلام، كما قال الله عز وجل: فِي شَأْنِ الْمَخْلُوفِ ^(٤): ﴿لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ^(٥) ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ إِلَيَّ الرَّسُولُ﴾ ^(٦) وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) ط و هـ. د: هذا الكلام - ض وح. (٢) هـ. د: ما اراد - م.

(٣) من ط.

(٤) في هـ. ص: يعني النبي صلى الله عليه واله وسلم.

(٦) النساء: ٥٩/٤.

(٥) النحل: ٤٤/١٦.

لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَخَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ^(١)، وأنا الكامل في ذلك، لأنَّه ينحدر عني سيل العلم، وهم يشبّهون إفاضة العلم بسيلان الوادي وزخران البحر.

وانا في العلم في الاصل كجبل شامخ لا يرقى إليّ الطير، وهم إذا بالغوا في وصف ارتفاع الجبل قالوا: لا تعلوه الطير.

قوله ﷺ: «فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحا»:

قال في الشرح: واعلم أنّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديره: ولا يرقى إليّ الطير، فطفقت أرثني بين كذا وكذا، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنا كشحا، [ثم] ^(٢) فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى... ^(٣) إلى آخر الفصل^(٤)؛ لأنَّه لا يجوز أن يسدل دونها ثوباً ويطوى عنها كشحا، ثم يطفق يرثني بين أن ينابذهم أو يصبر، ألا ترى أنه إذا سدل دونها ثوباً، وطوى عنها كشحا، فقد تركها وصرمها، ومن ترك وصرم^(٥) لا يرثني المنابذة؟.

والتقديم والتأخير طريق لأحب وسبيل واسع^(٦) في لغة العرب، قال سبحانه: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾^(٧) أي انزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً، وهذا كثير انتهى^(٨).

واعلم ان الشارح ابن أبي الحديد تعسف في تأويل هذا الكلام وتخريجه على مذاهب أصحابه، وتهافت عليه قوله وتناقض، ومن ذلك قوله^(٩): «وأما قوله: أرثني بين ان أصول» فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب، بل صيال الجدل والمناظرة.

بيان ذلك: انه لو كان جادلهم وأظهر ما في نفسه لهم فربما خصموه بأن يقولوا: قد غلب

(١) النساء: ٨٤/٤. (٢) من ط.

(٣) جملة «في الحلق شجى» غير موجودة في ط.

(٤) في ط: القصة. (٥) في ط: ومن يترك ويصرم.

(٦) في ط: وسبيل مهيع. (٧) الكهف: ١٦/٢.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٥٥. (٩) في شرح النهج ١: ١٥٨.

على ظنوننا ان الفساد يعظم ويتفاقم لو^(١) وليت الامر، ولا يجوز مع غلبة ظنوننا لذلك ان نسلم الأمر اليك.

فهو عليه السلام قال: طفقت ارتائي بين ان اذكر لهم فضائلي عليهم واحاجهم^(٢) فيجيبوني بهذا الضرب من الجواب الذي تصير حجتى به جذاء مقطوعة لاقدرة [الي]^(٣) على تشييدها ونصرتها، ويين ان اصبر على ما منيت به ودفعت [اليه]^(٤)، انتهى.

فهذا كلام ساقط يستحي اللبيب من ايراده في تفسير كلام أمير المؤمنين. وكيف يكون أمير المؤمنين في مقام تظلم وتجرم من قوم، ثم يعترف في ذلك المقام بأن حجته عليهم مقطوعة مدفوعة؟ والحق: أنه أراد عليه السلام صيال الحرب، وسيأتي ذكره صريحاً في مواضع من نهج البلاغة.

وقد اعترف الشارح بأن أمير المؤمنين قد قال هذا المعنى مراراً، واعتذر بان هذه الإرادة كانت له في أول الأمر ثم سمح لهم، وله في ذلك تهوين كثير، والله اعلم. قوله عليه السلام: «فأدلى بها الى...»:

الادلاء: الارشاء، قال تعالى: ﴿وَتَذُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾^(٥)، وهو عليه السلام كان يعتقد أن جعل عمر في عنقه بيعة ابي بكر إنما كان ليصير الأمر اليه بعده، وقد صرح بذلك مراراً فقال لعمر: «احلب حلباً لك شطره، صير الأمر اليه اليوم ليرده اليك غداً»^(٦) فلما كان يعلم عليه السلام من ضميريهما ذلك، جعل تصيير ابي بكر الامر إلى عمر إرشاءً له، لما كان مقصوداً لهما عند بيعة ابي بكر وبنيا الأمر عليه، ويدل على ذلك قوله: «لشد ما تشطرا ضرعيها» اي: اخذا منافع الخلافة شطرين بتعاضدهما^(٧).

(١) في ط: ان. (٢) في ط: احاجهم بها.

(٣) من المصدر. (٤) من المصدر.

(٥) البقرة: ١٨٨/٢.

(٦) في هـ. ص ما يلي: وقال لعبد الرحمن بن عوف في يوم بيعة عثمان: والله ما فعلتها الا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دق الله بينكما عطر منشم. [وقد ذكر ذلك ابن ابي الحديد في شرحه ١: ١٨٨].

(٧) ولعل من المناسب نقل ما اورده ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٢٩ - ٣٤ فيما يتعلق بهذه

→ الحادثة. فقد قال: وروى الهيثم بن عدى، عن مجالد بن سعيد قال: غدوت يوماً إلى الشعبي وأنا أريد أن أسأله عن شيء بلغني عن ابن مسعود أنه كان يقول، فأتيته وهو في مسجد حيّه، وفي المسجد قوم ينتظرونه، فخرج فتعرفت إليه، وقلت: أصلحك الله! كان ابن مسعود يقول: ما كنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة، قال: نعم، كان ابن مسعود يقول ذلك، وكان ابن عباس يقول أيضاً، وكان عند ابن عباس دفائن علم يعطيها أهلها، ويصرفها عن غيرهم. فبينما نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزد، فجلس إلينا، فأخذنا في ذكر أبي بكر وعمر، فضحك الشعبي وقال: لقد كان في صدر عمر ضبّ على أبي بكر، فقال الأزدي: والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قطّ كان أسلس قياداً لرجل، ولا أقول فيه بالجميل من عمر في أبي بكر، فأقبل عليّ الشعبي وقال: هذا مما سألت عنه، ثم أقبل على الرجل وقال: يا أبا الأزد، فكيف تصنع بالقلّة التي رقي الله شرّها؟! أترى عدوّاً يقول في عدو يريد أن يهدم ما بنى لنفسه في الناس أكثر من قول عمر أبي بكر؟! فقال الرجل: سبحان الله! أنت تقول ذلك يا أبا عمرو! فقال الشعبي: أنا أقوله؛ قاله عمر بن الخطاب على رؤس الأشهاد، فلمّهُ أودع. فنهض الرجل مُغضباً وهو يهتهم في الكلام بشيء لم أفهمه. قال مجالد: فقلت للشعبي: ما أحسب هذا الرجل إلا سينقل عنك هذا الكلام إلى الناس ويبيّنه فيهم! قال: إذن والله لأحفل به، وشيء لم يحفل به عمر حين قام على رؤس الأشهاد من المهاجرين والأنصار أحفل به أنا؟! أذيعوه أنتم عني - أيضاً - ما بدالكُم.

وروى شريك بن عبد الله النخعي عن محمد بن عمرو بن مَرّة، عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة، عن أبي موسى الأشعري، قال: حججتُ مع عمر، فلما نزلنا وعظم الناس خرجت من رحلي أريده، فلقيني المغيرة بن شعبة، فرافقني ثم قال: أين تريد؟ فقلت: أمير المؤمنين، فهل لك؟ قال: نعم، فانطلقنا نريد رحل عمر، فإذا لفي طريقنا إذ ذكرنا تولّي عمر وقيامه بما هو فيه، وحياطته على الإسلام، ونهوضه بما قبله من ذلك، ثم خرجنا إلى ذكر أبي بكر، فقلت للمغيرة: ياللك الخير! لقد كان أبو بكر مسدداً في عمر، لكأنه ينظر إلى قيامه من بعده، وجده واجتهاده وغناؤه في الإسلام، فقال المغيرة: لقد كان ذلك، وإن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه، وما كان لهم في ذلك من حظّ، فقلت له: لا أبا لك! ومن القوم الذين كرهوا ذلك لعمر؟ فقال المغيرة: لله أنت! كأنك لا تعرف هذا الحيّ من قريش وما خصّوا به من الحسد! فوالله لو كان هذا الحسد يُدرَك بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره، وللناس كلهم عشر، فقلت: مه يا مغيرة! فإن قريشاً بانت بفضلها على الناس. فلم نزل في مثل ذلك حتى انتهينا إلى رحل عمر فلم نجد، فسألنا عنه فقل: قد خرج أنفاً، فمضيّنا نقتفوا أثره، حتى دخلنا المسجد، فإذا عمر يطوف بالبيت، فطفنا معه، فلما فرغ دخل بيني وبين المغيرة، فتوكأ على المغيرة وقال: من أين ←

→ جئتما؟ فقلنا: خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين، فأتينا رحلك فقيل لنا: خرج إلى المسجد، فاتبعناك. فقال: اتبعكما الخير، ثم نظر المغيرة إليّ وتبسم، فرمقه عمر، فقال: مم تبسمت أيها العبد! فقال: من حديث كنت أنا وأبوموسى فيه آنفا في طريقنا إليك، قال: وما ذاك الحديث؟ فنصصنا عليه الخبر حتى بلغنا ذكر حسد قريش، وذكر من أراد صرف أبي بكر عن استخلاف عمر، فتنفس الصعداء ثم قال: ثكلتك أمك يا مغيرة! وما تسعة أعشار الحسد! بل وتسعة أعشار العُشر، وفي الناس كلهم عُشر العُشر، بل وقريش شركاؤهم أيضا فيه! وسكت مليا وهو يتهادى بيننا، ثم قال: ألا أخبركما بأحسد قريش كلها؟ قلنا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: وعليكما ثيابكما، قلنا: نعم، قال: وكيف بذلك وأنتما ملبسان ثيابكما؟ قلنا يا أمير المؤمنين، وما بال الثياب؟ قال: خوف الإذاعة منها، قلنا له: أتخاف الإذاعة من الثياب أنت، وأنت من ملابس الثياب أخوف! وما الثياب أردت! قال: هو ذاك، ثم انطلق وانطلقنا معه حتى انتهينا إلى رحله، فخلّى أيدينا من يده، ثم قال: لا تريمنا، ودخل، فقلت للمغيرة: لأبأ لك! لقد أشرنا بكلامنا معه، وما كنا فيه، وما نراه حبسنا إلا ليزاكرنا إياها، قال، فإننا لكذلك إذ أخرج إذنه إلينا، فقال: ادخلا، فدخلنا فوجدناه مستلقيا على برذعة برحل، فلما رأنا تمثل بقول كعب بن زهير:

لأُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي ثِقَةٍ أَوْلَى وَأَفْضَلُ مَا اسْتَوْدَعْتَ أَسْرَارَا
صَدْرًا رَحِيًّا وَاسْعَا قَمِينَا أَلَّا تَخَافَ مَتَى أَوْدَعْتَ إِظْهَارَا

فعلمنا أنه يريد أن نضمن له كتمان حديثه، فقلت أنا له: يا أمير المؤمنين، الزمنا وحصنا وصلنا، قال: بماذا يا أخا الأشعرين؟ فقلت: بإفشاء سرك وإن شربنا في همتك فنعم المستشاران نحن لك. قال: إنكما كذلك، فاسألا عما بدلكما، ثم قام إلى الباب ليغلقه، فإذا الآذن الذي أذن لنا عليه في الحجرة، فقال: امض عنا لا أم لك، فخرج وأغلق الباب خلفه، ثم أقبل علينا، فجلس معنا، وقال: سلا تخبرا، قلنا، نريد أن يخبرنا أمير المؤمنين بأحسد قريش، الذي لم يأمن ثيابنا على ذكره لنا، فقال: سألتما عن معضلة وسأخبركما، فليكن عندكما في ذمة منيعة وحرز ما بقيت، فإذا مت فشأنكما وما شئتما من إظهار أو كتمان. قلنا: فإن لك عندنا ذلك، قال أبوموسى: وأنا أقول في نفسي: ما يريد إلا الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره، فإنهم قالوا لأبي بكر: أتستخلف علينا فظا غليظا، وإذا هو يذهب إلى غير ما في نفسي، فعاد إلى التنفس، ثم قال: من تريانه؟ قلنا: والله ما ندرى إلا ظنا! قال: ومن تظنان؟ قلنا: عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على صرف هذا الأمر عنك، قال: كلا والله! بل كان أبو بكر أعق، وهو الذي سألتما عنه، كان والله أحسد قريش كلها. ثم أطرق طويلا، فنظر المغيرة إليّ ونظرت إليه، وأطرفنا مليا لإطرافه، وطال السكوت منا ومنه، حتى ظننا أنه قد

→ ندم على ما بدا منه. ثم قال: والهفاه على ضئيل بنى تيم بن مرة! لقد تقدمني ظالما، وخرج إليّ منها آثما، فقال المغيرة: أَمَا تقدّمه عليك يا أمير المؤمنين ظالما فقد عرفناه، كيف خرج إليك منها آثما؟ قال: ذاك لأنّه لم يخرج إليّ منها إلّا بعد يأس منها، أما والله لو كنت أطعت يزيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلصّظ من حلاوتها بشيء أبدا، ولكنني قدّمت وأخّرت، وصعدت وصوّبت، ونقّضت وأبرمت، فلم أجد إلّا الإغضاء على ما نشب به منها، والتلهّف على نفسي، وأملت إنابته ورجوعه، فوالله ما فعل حتى نغّرها بشمّا.

قال المغيرة: فما منعك منها يا أمير المؤمنين، وقد عرّضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها! ثم أنت الآن تتقيّم وتتأسّف، قال: ثكلتك أمّك يا مغيرة! إني كنت لأعدّك من دُهاة العرب، كأنك كنت غائبا عمّا هناك! إن الرجل ما كرّني فما كرّته، وألفاني أحذّر من قطاة؛ إنّه لما رأى شغف الناس به، وإقبالهم بوجوههم عليه، أيقن أنهم لا يريدون به بدلا، فأحبّ لَمّا رأى من حرص الناس عليه، وميلهم إليه، أن يعلم ما عندي، وهل تنازعني نفسي إليها! وأحبّ أن يبلّوني بإطماعي فيها، والتعريض لي بها، وقد علم وعلمت لوقبلت ما عرضه عليّ، لم يجب الناس إلى ذلك، فألفاني قائما على أخصي مستوفزا حذرا، ولو أجبتّه إليّ قبولها لم يسلم الناس إليّ ذلك، واختبأها ضغنا عليّ في قلبه، ولم آمن غائلته ولو بعد حين مع ما بدا لي من كراهة الناس لي، أما سمعت نداءهم من كل ناحية عند عرضها عليّ: لا تريد سواك يا أبا بكر، أنت لها! فرددتها إليه عند ذلك، فلقد رأيته التمع وجهه لذلك سرورا. ولقد عاتبني مرّة على كلام بلغه عني، وذلك لما قدّم عليه بالأشعث أسيرا، فمنّ عليه وأطلقه، وزوّجه أخته أم فروة، فقلت للأشعث وهو قاعد بين يديه: يا عدو الله أكفرت بعد إسلامك، وارتددت ناكصا على عقبيك! فنظر إليّ نظراً علمت أنه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه، ثم لقيني بعد ذلك في سيكك المدينة، فقال لي: أنت صاحبُ الكلام يابن الخطاب؟ فقلت: نعم يا عدو الله! ولك عندي شر من ذلك، فقال: بشّس الجزاء هذا لي منك! قلت: وعلام تريد مني حُسن الجزاء؟ قال: لأنفّتي لك من اتّباع هذا الرجل، والله ما جرّأني على الخلاف عليه إلا تقدّمه عليك، وتخلّفك عنها، ولو كنت صاحبها لما رأيت مني خلافا عليك. قلت: لقد كان ذلك، فما تأمر الآن؟ قال: إنه ليس بوقت أمر، بل وقت صبر، ومضى ومضيت. ولقي الأشعث الزبرقان بن بدر فذكر له ما جرى بيني وبينه، فنقل ذلك إلى أبي بكر، فأرسل إليّ بعتاب مؤلم، فأرسلت إليه: أما والله لتكفّنّ أولأقولنّ كلمة بالغة بي وبك في الناس، تحملها الركبان حيث ساروا، وإن شئت استمدنا ما نحن فيه عفوا، فقال: بل نستديمه، وإنها لصائرة إليك بعد أيام، فظننت أنّه لا يأتي عليه جمعة حتى يردّها عليّ، فتغافل، والله ما ذكرني بعد ذلك حرفا حتى هلك.

ولقد مدّ في أمدها عاضّا على نواجذه حتى حضره الموت، وأيسّ منها فكان منه ما رأيتم،

وذكر الشارح في وجه تمثيله ﷺ وجهاً ليس بسديد^(١). والحق: ان مراده ﷺ لقد افترق حالاً ابي بكر: حاله وهو متلبس بالخلافة؛ فانه اخذ يستقبل البيعة ويطلب الخلوص منها، فعل الزاهد المتورع، وحاله حين أيقن بمفارقة الدنيا وأن الخلافة ستخرج من يده، فانه صيرّها في من يحبه ويهواه، فعل الحريص عليها الشحيح بها، وتحملها حياً وميتاً.

والذي يدلّ على ان هذا مراده ﷺ، قوله: «فيا عجباً ... الى آخره»، ألا تراه رتبّه على التمثيل بالفاء؟!.

ولا يخفى ما في قوله ﷺ: «فصيرّها في حوزة خشناء ... الى قوله: واعتراض» من عيب سيرة عمر.

اولاً: بالعنف والعجرفة.

وثانياً: بالجهل وقلة المعرفة بما يأتي وبما يدور.

وثالثاً: بأنّ معاملته الناس كانت خبطاً، أي إيقاعاً على غير وجه. وشماساً أي محاباة وإيثاراً، كما فعل في العطاء.

وشبّه عمله بفعل البعير النّاد الشارد وبفعل الفرس الشّمس في ذهابه، وتقلّب في الأقوال والأفعال، واعتراضاً أي مسيراً على غير متن طريق^(٢).

→ فاكتما ما قلت لكما عن الناس كافة وعن بني هاشم خاصة، وليكن منكما بحيث أمرتكما، قوما إذا شئتما على بركة الله. فقمنا ونحن نعجب من قوله، فوالله ما أفشيناه سره حتى هلك. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٩ - ٣٤ عن كتاب الشافعي: ٢٤١ - ٢٤٤.

(١) انظر شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦٣.

(٢) وأقول: وهذا هو المعروف من سيرته في حياته، وقد اعترف ابن أبي الحديد وغيره بهذا في مواضع عديدة من شرحه، منها ما ذكره في ١: ١٧٤، حيث قال: وعمر هو الذي شيّد بيعة ابي بكر وأرغم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرّده، ودفع في صدر المقداد ووطىء في السقيفة - سعد بن عباد، وقال: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، وحطم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: "انا جذيلها المحكك وغذيقها المرجّب"، وتوعّد من لجأ الى دار فاطمة ﷺ من الهاشميين وأخرجهم منها .. ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر ولا قامت له قائمة.

قلت: فليت شعري، أي خير بقي في سيرته بعد هذا، الذي تمسك به المتعصبون له.
وفي شرح ابن أبي الحديد: كان عمر يفتي [كثيراً] بالحكم ثم ينقضه، ويقضي بضده
وخلافه، وقضى في الجد مع الإخوة بقضايا كثيرة مختلفة، ثم خاف من الحكم في هذه
المسألة فقال: مَنْ أراد أن ينتقم جرائم جهنم فليقل في الجد برأيه^(١).

وقال مرة: لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلا ارتجعت ذلك منها،
فقالت له امرأة: ما جعل الله لك ذلك، إنه تعالى قال: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا
مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾^(٢)، فقال: كل الناس أفقه من عمر، حتى ربّات
الحجال! ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت؟ فاضلت إمامكم ففضلته!^(٣) وأورد ابن
أبي الحديد كثيراً من ذلك^(٤)، والغرض التنبيه على معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «وتلون
واعتراض» وقد قال عليه السلام في كتابه إلى محمد بن أبي بكر: «ولاتنقض في أمر واحد
بقضاءين، فيختلط عليك أمرك ويزلّك عن الحق»^(٥).

قوله عليه السلام: «فيا لله للشورى»

يقول عليه السلام: انا استغيث الله لامر الشورى، كيف يصح، وكيف يكون طريقاً إلى الامامة

مع قيام النص عليّ؟!

ويحتمل ان يكون «في الله للشورى» كناية عن التعجب.

→ وإني أتساءل: لماذا أخفى هذه المراحل والبطولات وهذه القوة الهائلة في الذب عن خلافة
أبي بكر، وإين كان يوم بدر وأحد والاحزاب وسائر حروب رسول الله مع الكفار، وهل روى
أحد من المتعصبين لهذا وامثاله رواية تظهر له قدماً في حروب الرسول وجهاد المشركين إلا
الفرار والخذلان والجبن.

نعم إن شجاعة عمر انما ظهرت في غضب الخلافة عن علي عليه السلام وفي جلد المجانين وارهاب
النساء والانتقام من ضعفاء المسلمين لاسلامهم. كما دوّن نماذج منه ابن أبي الحديد في

شرحه ١: ١٧٨ - ١٨٣.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨١، وما بين المعقوفتين من «ط».

(٢) النساء: ٢٠/٤. (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٢ - ١٨٤.

(٥) انظر شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٧١، ذيل الخطبة ٦٧، وفيه: «ولاتنقض في أمر واحد

بقضاءين مختلفين فيتناقض امرك وتزيغ عن الحق»

و«النظائر»: عثمان وعبد الرحمن وسعد وطلحة والزبير.

ثم استشعر أن قائلاً يقول: فلم أدخلت نفسك مع من ليس نظيراً لك؟ فقال: انهم كانوا من قبل يتصرفون في الولاية متباعدين مني، متناسين حقي، بل صرح بعضهم - وهو عمر - انه لا يصلح لها؛ لحداثته، لدعابته، لحبه بني عبد المطلب، لتيهه، لحقد الناس عليه، ونحو ذلك من البهت. (١)

قال: فكنت مبتعداً حين تباعدوا مني، فلما قاربوا واعترف عمر بأنني ممن يصلح لها في الجملة - ولوانه جعلني أسوة غيري - قاربتهم وتوصلت إلى نيل حقي أو إقامة الحجة علي من نازعنيه. (٢)

فقد كان علي عليه السلام يحب تأكيد الحجج.

فإن قيل: إنه بدخوله معهم أوهم أن الشورى طريق إلى الامامة وأبطل النص.

قيل: لا إيهام مع إيقان النص وثبوته عندهم، كما دل عليه قوله عليه السلام: «وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي» وقوله عليه السلام: «متى اعترض الريب في مع الأول منهم»:

روى في شرح ابن أبي الحديد عن محمد بن جرير الطبري - صاحب التاريخ - قال: لما طعن عمر قيل له: لو استخلفت [يا أمير المؤمنين] (٣) فقال: [من استخلف؟] (٤) لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته وقلت لربي - لو سأني - : سمعت نبيك يقول: «أبو عبيدة أمين هذه الأمة»، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، وقلت لربي إن سأني: سمعت

(١) ذكر بعض هذا البهتان من عمر، ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ١٨٦.

(٢) روى القطب الراوندي في شرحه ١ : ١٧٤: أن عمر لما قال: كونوا مع الثلاثة التي عبد الرحمن فيها، قال ابن عباس لعلي عليه السلام: ذهب الأمر منا، الرجل يريد أن يكون الأمر لعثمان. فقال علي عليه السلام: وأنا أعلم ذلك ولكني ادخل معهم في الشورى لأن عمر أهملني للخلافة، وكان قبل يقول: إن رسول الله ﷺ قال: إن النبوة والامامة لاتجتمعان بيت واحد، فأنا أدخل في ذلك لأظهر للناس مناقضة فعله لروايته.

(٤) من ط.

(٣) من ط.

نبيك يقول: «ان سالماً شديداً الحب لله»^(١). انتهى

اعجب لهذا الكلام وظهور الحيف عليه وكون مصدره مصدر الهوى، وأي نسبة بين أبي عبيدة وسالم وبين علي عليه السلام؟ وقد ملأ رسول الله صلى الله عليه وآله مسامعه من فضائل علي ما لا يعدّ معه ما ذكره في حق أبي عبيدة وسالم.

ثم ان سالماً ليس بقرشي وهو حاجج الانصار بالقرشيّة، فعلمت ان الرجل كان يصدر اقواله وافعاله عن الهوى كما اشار اليه عليه السلام انفاً^(٢).

وأورد ابن أبي الحديد في رواية اخرى: ثم قال - يعني عمر - : ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري، فدعوه له، فقال: انظر يا أبا طلحة، إذا عدتم من حُفرتي، فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر بامضاء الأمر وتعجيله، واجمعهم في بيت، وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم، فإن اتفق خمسة وأبي واحد فاضرب عنقه، وإن اتفق أربعة وأبي اثنان فاضرب أعناقهما، وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة، فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن، فارجع إلى ما قد اتفقت عليه، فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر، فاضرب أعناق الستة، ودع المسلمين يختارون لأنفسهم^(٣)، انتهى^(٤).

فأعجب لما في هذا الكلام من شواهد العصبية والحيف، فإن الرجل المأمور بضرب عنقه، وثاني الاثنين المأمور بضرب أعناقهما، وثالث الثلاثة المأمور بضرب أعناقهم، هو علي عليه السلام.

وذلك ان عمر كان يعلم من كل واحد من الخمسة كراهة ولاية علي عليه السلام الا الزبير،

(١) شرح أبي ابن الحديد ١ : ١٩٠.

(٢) بقوله: فمني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس وتلون واعتراض.

(٣) في هامش نسختنا في هذا الموضع ما يلي: واعلم ان هذا الكلام يصلح ان يكون اصلاً لما تهوّر فيه علماء العامة من المصالح المرسلّة، نحو قولهم: يقتل الثلث لاصلاح الثلثين، الذي اعتمدته المتغلبون على امور المسلمين الى يوم الناس هذا، وافنوا عليه الامم من محترمي الدماء، ولعمر في العمل بالمصالح وترجيحها على النصوص مجرى واسعاً تابعه عليه العامة لاستصلاح الدنيا، والله اعلم.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٨٧.

فكان يجوز منه هذا وهذا^(١).

وكان يعلم ان علياً لا يساعدهم؛ لما كان يعلم منه انه كان يدعي ان الخلافة حقه، فرتب هذا الترتيب حرصاً على صرف الامر عن علي عليه السلام:

وقد صرح بذلك علي عليه السلام فقال لقوم معه من بني هاشم: «ان اطيع فيكم قومكم من قريش لم تؤمروا أبداً^(٢)» وقال للعباس: «عُدِلَ بالأمر عني يا عمّ، قال: وما علمك؟ قال: قال عمر: كونوا مع الاكثر، فإن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن، فسعد لا يخالف ابن عمه، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان فيوليها أحدهما الآخر، فلو كان الآخرون معي لم يغنيا عني شيئاً^(٣)».

(١) وأقول لا تريد الدخول في جزئيات هذا المخطط الشيطاني وما فيه من منكرات ظاهرة؛ من حصر الشورى الستة، والزامهم بدخولها والرضى بها، والحكم بالقتل بمجرد ابداء الرأي المخالف للأكثر او الامتناع وتسليط أبا طلحة الانصاري على المؤهلين لزعامة المسلمين، وجعل عبد الرحمن محوراً يقتل من يخالفه. فان المهم في هذا المخطط أمران لابد من بيانهما:

الاول: إن عمر اراد نصب عثمان وإقصاء علي بن أبي طالب من الخلافة، والترتيب الذي اعده كان منتجا هذه النتيجة بالقطع واليقين كما اشار أمير المؤمنين عليه السلام اليه. فأمر علي عليه السلام يدور بين ان يخالف فيقتل ان كان وحده أو كان معه الزبير أو كان معهما طلحة، لأنه كان معادياً لعمر.

وأما ان لم يخالف فقد احرز عمر بالشورى هدفه الثاني وهوانه ساوئ بين علي وبين خمسة آخرين - بعد ان كانوا لا يقاسون بعلي عليه السلام في الفضائل والمناقب، فاصبحوا في هذا الوضع يرون انفسهم مؤهلين للخلافة، كما ان الناس سيرون إن اصحاب الشورى في مرتبة واحدة. وعندئذ يتيسر الامر لمعاوية، الذي كان قد اعده لاستلام الحكم بعد عثمان، وبهذا يقضي نهائياً على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد ذكر ابن أبي الحديد قول عمر لاهل الشورى: انكم ان تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم اكلتموها واولادكم، وان تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتم وتباغضتم غلبكم على هذا الامر معاوية بن أبي سفيان. وانظر الى مقالة عمر في شأن معاوية وكيف لُمح بتوليته الخلافة شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٩، بل يستفاد من كلامه هنالك ان عمر كان يرى أن معاوية اجدر بالخلافة من اهل الشورى.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٩١.

(٣) وقد ذكرنا ما يناسب المقام عن القطب الراوندي.

فهذا الاحتيال في صرف الامر عن علي عليه السلام أبلغ مما لو نصّ على غيره؛ فانه ربما يتهم وينازع.

ومما يرشدك الى ان القوم الذين اختارهم عمر كان اكثرهم مبغضاً لعلي كارها لولايته: ما أورده ابن أبي الحديد من تمام الرواية الاولى ولفظه:

فلما دُفِنَ عمر، جَمَعَهُم أبوطلحة، ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين رجلاً من الأنصار، حاملي سيوفهم، ثم تكلم القوم وتنازعوا، فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان، وذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به علياً وعثمان، وأن الخلافة لا تخلص له وهذان موجودان، فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف جانب علي عليه السلام، بهبة أمر لا انتفاع له به، ولا تمكن له منه.

فقال الزبير في معارضته: وأنا اشهدكم على نفسي أنني قد وهبت حقي من الشورى لعلي، وإنما فعل ذلك لأنه لما رأى علياً قد ضعف وانخدل بهبة طلحة حقه لعثمان، دخلته حمية النسب، لأنه ابن عمة أمير المؤمنين عليه السلام، وهي صفية بنت عبد المطلب، وأبو طالب خاله. وإنما مال طلحة إلى عثمان لانحرافه عن علي عليه السلام، باعتبار أنه تميمي وابن عم أبي بكر، وقد كان حصل في نفوس بني هاشم على بني تميم^(١) حنق شديد لأجل الخلافة، وكذلك صار في صدوري تميم على بني هاشم. وهذا الأمر مركز في طبيعة البشر، وخصوصاً طينة العرب وطباعتها، والتجربة إلى الآن تحقق ذلك. فبقِيَ من الستة أربعة.

فقال سعد بن أبي وقاص: وأنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبد الرحمن - وذلك لأنهما من بني زهرة، ولعلم سعد أن الأمر لا يتم له - فلما لم يبق إلا الثلاثة، قال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أيكما يخرج نفسه من الخلافة، ويكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟ فلم يتكلم منهما أحد، فقال عبد الرحمن: أشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحداً كما، فأمسكاً، فبدأ بعلي عليه السلام، فقال له: أبايعك على كتاب الله، وسنة رسول الله، وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر. فقال: بل على كتاب الله وسنة رسول

(١) في ط : من بني تميم.

الله واجتهاد رأيي. فعدل عنه إلى عثمان، فعرض عليه ذلك، فقال: نعم، فعاد إلى عليّ عليه السلام، فأعاد قوله، ففعل ذلك عبد الرحمن ثلاثاً، فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله، وأن عثمان يُنعم له ^(١) بالإجابة، صفق على يدي عثمان، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فيقال: إن علياً عليه السلام قال له: «والله ما آثرته بها إلا لأنك رجوت منه مارجاً صاحبكما من صاحبه، دق الله بينكما عطر منشم» ^(٢).

قيل: ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن، انتهى ^(٣). فانظر واعتبر.

واعلم أن القوم ملئوا حسداً له ومنافسة، والذي علّة هذا الداء، وتولى كبره منهم هو عمر بن الخطاب، وعنه لقف أعداء أمير المؤمنين معائبه واقتفوا أثره، وقد كان ييوح بشيء من منافسته في زمن النبي صلى الله عليه وآله.

قال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري في كتاب «الأوائل»: أخبرنا أبو بكر أحمد، عن أبي بكر بن دريد، عن علي العكلي، عن أبي خالد، عن الهيثم بن عدي قالوا: قام أبو الهيثم بن التيهان خطيباً بين يدي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال: إن

(١) أنعم له: إذا قال له مجيباً: «نعم».

(٢) قال الاصمعي: منشم، بكسر الشين: اسم امرأة كانت بمكة عطارة، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم، فكان يقال: أشام من عطر منشم؛ فصار مثلاً (صاحح اللغة ٥: ٢٠٤١).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٨. وأقول: لماذا أقحم عبد الرحمن اشتراط سيرة الشيخين في عمل الخليفة.

فإن سيرة الشيخين إن كانت مأخوذة من الكتاب والسنة فلا داعي لاشتراطها بصورة مستقلة بعد اشتراط الكتاب والسنة، وأما إن لم تكن مأخوذة من الكتاب والسنة فإن كانت موافقة لهما فلم يكن هناك مانع من قبول أمير المؤمنين لها.

فمن اشتراط ذلك، يعلم أن سيرة الشيخين لم تكن قد أخذت من الكتاب والسنة. ومن عدم قبول أمير المؤمنين لها يظهر أنها كانت مخالفة للكتاب والسنة، وعلي عليه السلام اتقى من أن يخالف الكتاب والسنة لمجرد الوصول إلى الخلافة وهي أقل قدراً عنده من نعل - كما قال هو عليه السلام لابن عباس - إذا لم تكن على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.

حسد قريش إياك على وجهين:

أما خيارهم، فتمنّوا أن يكونوا مثلك منافسة في الملأ وارتفاع الدرجة.
وأما شرارهم، فحسدوك حسداً أنغل القلوب وأحبط الاعمال، وذلك انهم رأوا عليك
نعمة قدمك إليها الحظ وأخرّهم عنها الحرمان، فلم يرضوا ان يلحقوك حتى طلبوا ان
يسبقوك، فبعدت عليهم - والله - الغاية، واسقط الضمان، فلما تقدمتهم بالسبق وعجزوا
عن اللحاق بلغوا منك ما رأيت، وكنت - والله - أحق قريش بشكر قريش، نصرت نبيّهم
حيّاً، وقضيت عنه الحقوق ميتاً، والله ما بغّهم إلاّ على أنفسهم^(١)، ولانكثوا إلاّ ببيعة الله
﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢)، فها نحن معاشر الانصار أيدينا والسننتنا لك، فايدينا على من
شهد، والسننتنا على من غاب.^(٣) انتهى

قوله عليه السلام: «فما راعني»:

«راعني»: أفرعني، وعرف الضبع، يضرب به المثل في الازدحام لشخه.

و«ينثالون»: يتتابعون مزدحمين كما يتهاير التراب^(٤).

و«الحسنان»: الحسن والحسين عليهما السلام^(٥).

و«العطفان»: الجانبان من المنكب الى الورك، ويروى: عطافي. والعطاف: الرداء
وهو شبه بالحال، إلاّ أن الرواية الاولى أشهر.

وقوله عليه السلام: «كربوضة الغنم» أي كالقطعة الرابضة من الغنم، يصف شدة ازدحامهم

حوله وجثومهم بين يديه.

والطائفة الناكثة: أصحاب الجمل.

والمارقة: اصحاب النهروان.

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِّئُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ يونس: ١٠/٢٣.

(٢) الفتح: ٤٨/١٠.

(٣) اشار ابن أبي الحديد الى خطبة ابن التيهان في شرحه ٧: ٣٦، ولكنه لم يوردها.

(٤) وقد ذكر معناه في الخطبة ١/٥٤ والخطبة ٤/٢٦ و٣/٢١٧.

(٥) راجع ما ذكرناه في تفسير هذه الكلمة في ما تقدم من توضيح مفردات الخطبة في الهامش.

والقاسطة: اصحاب الشام، وسماهم رسول الله صلى الله عليه وآله: القاسطين - اي: العادلين عن طريق الحق - في قوله صلى الله عليه وآله وسلم له ﷺ: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين».

وقوله ﷺ: «حليت الدنيا في اعينهم»:

حلى الشيء في فمي، يحلو، وحلي بعيني يحلى،

والزبرج: الزينة من وشي او غيره، ويقال: الزبرج: الذهب.

وقوله ﷺ: «لولا حضور الحاضر»، أي من الجيش الذي يستعان^(١) به على الحرب،

وهو معنى قوله ﷺ: «وقيام الحجة بوجود الناصر»: اي لولا انه صار القيام بأمور

المسلمين عليّ - في تلك الحال - فرضاً لازماً لا عذراً في تركه.

والكُضّة - بكسر الكاف - : ما يعتري الانسان من الثقل والكرب عند الامتلاء من

الطعام.

والسغب: الجوع.

ويقال: القى^(٢) فلان حبل الناقة والجمال^(٣) على غاربه، اي تركه هملأً سدئ يسرح

حيث يشاء من غير وازع ولا مانع، انتهى من شرح ابن أبي الحديد.^(٤)

قوله ﷺ: «ولسقيت آخرها بكأس أولها»:

يعني: ان خلافتي ثابتة منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنني عاملتها في

أولها بالصبر وكفّ اليد عن التصرف؛ إذ كان العذر موجوداً وهو عدم الناصر، فكذلك كان

يكون حالي في آخر مدة خلافتي، لولا منع وجود الناصر ذلك.

وعفطة العنز: ما تنثره من أنفها، ويحتمل أن المراد: جيفتها، مبالغة في الاستهانة.

قول ابن عباس: اطرّدت مقالتك، أي أتبعّت قولك^(٥) الأوّل قولاً ثانياً! من قولهم: اطرّد

النهر، إذا تتابع جريه.

(١) في ط : يستعين.

(٢) في ط : وقولهم: قد القى.

(٣) في ط : حبل فلان على غاربه.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٠٢.

(٥) لم ترد «قولك» في ط .

وقوله: «من حيث أفضيت»: أصل أفضى: خرجَ إلى الفضاء، فكأنه شبهه ﷺ حيث سكت عما كان يقوله، بمن خرج من خباء أو خدر إلى فضاء من الأرض، وذلك لأنَّ النفس والقوى والهمة عند ارتجال الخطب، والأشعار تجتمع إلى القلب، فإذا قُطع الإنسان وفرغ، تفرقت وخرجت عن حجر الاجتماع واستراحت. (١)

وقوله: «فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين ﷺ بلغ منه حيث أراد»:

قال ابن أبي الحديد: فحدثني شيخي أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطي ﷺ (٢) في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأتُ على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة، فلما انتهيتُ إلى هذا الموضع، قال لي: لو سمعتُ ابن عباس يقول هذا، لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمك أمراً لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد؟! والله ما رجع عن الأولين ولا عن الآخرين، ولا بقي أحد (٣) لم يذكره إلا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال مصدّق ﷺ (٤): وكان ابن الخشاب صاحبَ دعاية وهزل، قال: فقلت له: أتقول إنها منحولة! فقال: لا والله، وإني لأعلم أنها كلامه، كما أعلم أنك مصدّق. قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون: إنها من كلام الرضيّ ﷺ. فقال: أتني للرضيّ ولغير الرضيّ هذا النَّفس وهذا الأسلوب! قد وقفنا على رسائل الرضيّ، وعرفنا طريقه (٥) وفنّه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خلٍّ ولا خَمَرٍ: ثم قال: والله لقد وقفتُ على هذه الخطبة في كتب صُنِّفت قبل أن يخلق الرضيّ بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها،

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٠٤.

(٢) مصدق بن شبيب بن الحسين الصلحي الواسطي، ذكره القفطي في إنباه الرواة ٣: ص ٢٧٤، وقال: إنه قدم بغداد، وقرأ بها على ابن الخشاب وحبشي بن محمد الضرير، وعبد الرحمن بن الأنباري وغيرهم، وتوفي ببغداد سنة ٦٠٥.

(٣) في ط : ولا بقي في نفسه أحد.

(٤) ما بين المعقوفتين غير موجودة في نسختنا، وعبارة الترحيم لم يرد في ط.

(٥) في ط : طريقته.

وأعرف خطوط مَنْ هي من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيبُ أبو أحمد - والد الرضيّ - .

ثم قال ابن أبي الحديد: قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا القاسم^(١) البلخيّ إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يُخلق الرضيّ بمدة طويلة، ووجدت أيضاً منها كثيراً في كتاب أبي جعفر بن قبة - أحد متكلمي الإمامية^(٢) - وهو الكتاب المعروف بكتاب «الإنصاف» وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخيّ رحمته الله، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضيّ رحمته الله موجوداً، انتهى^(٣).

(١) أبو القاسم البلخي: عبد الله بن أحمد. ذكره ابن النديم وقال: "كان من أهل بلخ، يطوف البلاد ويجول الأرض، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة... ورأيت بخطه شيئاً كثيراً في علوم كثيرة مسودات ودرساتير، يخرج منها إلى الناس كتاب تام، الفهرست ص: ٢٩٩. وابن خلكان ج ١ ص ٢٥٢.

(٢) هو أبو جعفر بن محمد بن قبة، من متكلمي الشيعة وحقاقهم، وله من الكتب كتاب الإنصاف في الإمامة، الفهرست ص ١٧٦. (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٦.

ومن خطبة له عليه السلام:

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ^(١) فِي الظُّلُمَاءِ، وَتَسْتَمُّ^(٢) الْعُلْيَاءِ^(٣)، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ^(٤) عَنِ السَّرَارِ^(٥)،
وَقَرَّ^(٦) سَمْعٌ لَمْ يَسْمَعْ^(٧) الْوَاعِيَةَ^(٨)، كَيْفَ^(٩) يُرَاعِي النَّبَأَ^(١٠) مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ^(١١)،
رَبِطَ^(١٢) جَنَانَ^(١٣) لَمْ يُفَارِقَهُ الْخَفَقَانُ^(١٤).
مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ^(١٥) عَوَاقِبَ الْغَدْرِ^(١٦)، وَأَتَوَسَّمُكُمْ^(١٧) بِحِلْيَةِ^(١٨) الْمُغْتَرِّينَ.

(١) في هـ. أ: يخاطب قريشاً، وروي أن أمير المؤمنين خطب هذه الخطبة بعد أن قتل طلحة والزبير.

(٢) في هـ. أ: أي ركبتم السنام، أي علوتم الرتبة العليا بنورنا، أي كنتم خاملين الذكر فتشرفتم بنورنا.

(٣) في ط: ذروة العلياء: وفي هـ. أ: أي بتلك الهداية وشرف الإسلام علاقدركم وشرف ذكركم.

(٤) في ط: أي خرجتم عن ظلمة الكفر والفجور والفسق، ودخلتم في فجر الدين عن ظلمة الجهل.

(٥) في المطبوعة: السرار: آخر الليل من الليالي التي لا تظهر القمر فيها، استعارة عن الظلمة، وقد استعار عليه السرار لما كانوا فيه من الجهل في الجاهلية وخمول الذكر.

(٦) في هـ. أ: أي صمّت اذن لم تفهم الصيحة ولم تتدبر العبر.

(٧) في أ و ب و ط و د: لم يفقه. (٨) في هـ. أ: الواعية: الصيحة العظيمة.

(٩) في ط و د: وكيف. (١٠) النبأ: الصوت الخفي.

(١١) في هـ. أ: الصيحة: الصوت الشديد.

(١٢) في هـ. أ: أي ثبت، ويروى: «ربط» معلوماً ومجهولاً، وفي هـ. د: وروي: «ربطاً»، على ما لم يسم فاعله.

(١٣) في هـ. ص: أي أن القلب ملازم الخشية لمقام الله مربوط عليه، وفي هـ. أ: ربط جنان، أي ثبت، فلان رابط الجأش، أي شديد القلب. لا يربط نفسه على الفرار، أي ربط وثبت قلباً أن يخفق من خوف العقاب.

(١٤) في هـ. أ: أي التحرك من خشية الله، دعاء لمؤمن يكون قلبه ابداً على خوف ووجل.

(١٥) في هـ. أ: أي انتظروا فتن تغشاكم. (١٦) في هـ. أ: أي الخزي والفضيحة.

(١٧) في هـ. أ: أي أتفرسكم. (١٨) في هـ. أ: أي علامة وصفة.

سَتَرَنِي ^(١) عَنْكُمْ جَلْبَابُ الدِّينِ ^(٢)، وَبَصَّرَنِيكُمْ ^(٣) صِدْقُ النَّبِيِّ ^(٤).
أَقَمْتُ ^(٥) لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ؛ حَيْثُ تَلْتَقُونَ ^(٦) وَلَا دَلِيلَ،
وَتَحْتَفِرُونَ ^(٧) وَلَا تُبَيِّهُونَ ^(٨).

الْيَوْمَ انْطِقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءُ ^(٩) ذَاتَ الْبَيَانِ.
عَزَبَ ^(١٠) رَأْيِي أَمْرِي تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أَرَيْتُهُ ^(١١).
لَمْ يُوجِسْ ^(١٢) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ ^(١٣)، [بَلْ] ^(١٤) أَشْفَقَ ^(١٥) مِنْ غَلَبَةِ

-
- (١) في ط ود : حتى سترني.
(٢) في هـ.أ : اي حجابة، وهو قولكم : «لا إله إلا الله» وكلمة الشهادة.
(٣) اي اعرفكم ولا تعرفوني، [فإن] المؤمن ينظر بنور الله.
(٤) في هـ.أ : اي لصدق من نيتي.
(٥) في هـ.أ : يعني اني مقيم على طريق الحق في جواد لا يضل فيه الطريق، ولو طلبتم بعد رسول الله هادياً غير لما وجدتم.
(٦) في هـ.أ : اي تجتمعون.
(٧) في هـ.أ : اي تحفرتم.
(٨) في هـ.أ : اي لاتصلون الى الماء هـ.د : ولا تمهون - حاشية م.
(٩) في هـ.أ : قيل المراد: الكلمات العجماء، أراد ما ذكر في ضمن هذه الخطبة عن السر الكامن بالحيوان، فانه يكون للناظر فيها اعظم الفوائد، فهي ذات بيان عند اعتبارها، وفي هـ.أ - أيضاً العجماء صفة موصوف محذوف، اي الكلمات العجماء، عني بها ما ذكر في هذه الخطبة من الأمور، وتشبيهها بالعجماء من الحيوان: انه لانطق لها في الحقيقة، ومع ذلك يستفيد الناظر منها أعظم الفوائد، فهي ذات بيان، كما قيل: الامور الصامتة الناطقة، هي الدلائل المحيرة والعبر بالمواعظ. وقيل : هي بيان الحال والقرائن الشاهدة، أو الأدلة والبراهين.
(١٠) في هـ.أ : اي بعد عن الحق. وفي هـ.د : غرب - ض.
(١١) هـ.د : من رأيت هـ.م.
(١٢) في هـ.أ : الوجس: نزعة القلب. وفي هـ.أ - أيضاً : أي هجس وأحس.
(١٣) المقصود التنبيه على ان الخوف الذي عرض موسى عليه السلام، لم يكن نفسه، بل انه خاف من غلبة أهل الجهل الذين يقتدى بهم.
(١٤) كلمة «بل» من ط ود، ولم ترد في النسخ المخطوطة.
(١٥) في هـ.أ : اعلم ان «اشفق» من افعل، فهو صفة «لخيفة»؛ لأن الاشفاق خوف، والتقدير: لم يوجس موسى اشفاقاً على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال. وفي هامش آخر: أي كان فعل ماض معناه : خاف.

الْجَهَالُ وَدَوْلِ الضَّلَالِ (١).

الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا (٢) عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ (٣).

قوله ﷺ : «بنا اهتديتم في الظلماء» اي الجهالة.

«وتستمتم العلياء» اي ركبتن سنامها.

وقوله ﷺ : «وبنا انفجرتن عن السرار» اي: جئتم في الفجر،

والسرار: الليلة والليلتان يستتر فيها القمر في آخر الشهر فلا يظهر، وروي: «أفجرتن»

اي صرتن ذا فجر.

وأما «عن» في قوله ﷺ : «عن السرار» فهي للمجاوزة على حقيقة معناها الأصلي، أي

منفصلين عن السرار ومتجاوزين له. هكذا في شرح ابن أبي الحديد (٤).

والاظهر أن «انفجر» - هنا - من انفجر الماء، اي خرج من حابسه، والمعنى: خرجتم من

السرار، وهو الانكتم والخمول؛ فان في الاصل: العرب كانوا قبل البعثة أذلاء مغمورين

كأنهم خلف حابس، والله اعلم.

وقوله ﷺ : «وقر سمع»: هذا دعاء على السمع الذي لم يفقه الواعية بالثقل والصمم،

والواعية: الداعية.

والكلام اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم

يجبها - كذا في الرواية - أكبه الله على منخريه في النار» (٥).

(١) في هـ.أ: دول: جمع دولة الضلال، اي فرعون وقومه، وفي هـ.د: دولة الضلال - حاشية م.

(٢) في هـ.أ: الخطاب لمقابليه في القتال، والمراد: تواقفتم على سبيل الحق وانتم على سبيل الباطل.

(٣) في هـ.أ: تنبيه على وجوب التقيد به ﷺ وبما عنده، اي توافقتم عليّ لكنتم اقرب الى الهدى واليقين فيّ، وكنتي بالماء عما يشتمل عليه من العلم بكيفية الهداية الى الله تعالى، فإنه الذي لاظماً معه. (٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٨.

(٥) ذكر ارباب المقاتل هذا الحديث عن الحسين بن علي ﷺ بلفظ قريب مما هنا، وانه قاله

وقوله ﷺ: «كيف يراعي النبأ»:

اي: كيف يراعي الدعوة الخافية من أصمته - أي ملأت مسامعه - الدعوة الظاهرة.
والكلام تعريض بقوم وقفوا عنه، وزعموا انهم ينتظرون اماماً غيره يهديهم السبيل،
فقال: كيف يراعي الأمر الخافي من عرف الأمر الجلي وتعامي عنه؟
قلت: ويحتمل ان يكون المعنى: كيف يرجى استماع دعوتي والقبول مني، ممن سمع
ما هو أقوى من ذلك، من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يعمل به؟
وقوله ﷺ: «ربط جنان لم يفارقه الخفقان» هذا دعاء لقلب لا يزال خائفاً من الله
بالثبات والاستمساك.

قوله ﷺ: «مازلت أنتظر بكم عواقب الغدر» يقول: كنت مترقباً غدركم، متفرساً فيكم
الغفلة.

قوله ﷺ: «سترني عنكم جلياب الدين» يعني: ستر عقيدتي فيكم وأخفاها عنكم أي
ذو دين لا أظهر عداوة إلا لمن عاداني، ولا أكشف إلا سريرة من صارحني، ووضح لي ما
أنتم عليه صدق نيّتي في معاملة ربي، لأنّ المؤمن ينظر بنور الله.
وقوله ﷺ: «أقمت لكم على سنن الحق»:

اي: عرّفتكم بهديي ودلّالتي طريق الحق، وقمت لكم عليها، وهي داخلة من طرق
مضلة ملتبسة بها، فأوضحتها لكم في الوقت الذي لو طلبتم^(١) دليلاً لم تجدوه، ولو طلبتم
الحق لم تبلغوا اليه؛ لغلبة اللبس وقوة الشبهة.

وقوله ﷺ: «اليوم انطق العجماء»:

هذا مثل آخر، والعجماء: التي لا تنطق لها، وهذا اشارة الى الرمز التي تضمنتها هذه
الخطبة.

يقول: هي خفيّة غامضة، وهي مع غموضها جليّة لأولي الالباب، فكأنّها تنطق كما
تنطق ذوات^(٢) الألسنة، كذا في شرح ابن أبي الحديد^(٣).

→ لعبيد الله بن الحر الجعفي، وقاله أيضاً لعمر بن قيس المشرقي وابن عم له وهو في طريقه الى
كربلاء، انظر خزائن الادب ١: ٢٩٨ وعقاب الاعمال للصدوق ص ٢٥ ورجال الكشي ص ٧٤.
(١) في ص: "تطلبتم" ظاهراً. (٢) في ط: ينطق ذوو. (٣)

وأقول: أما إذا كانت الرواية: «أنطق» - بضم الهمزة - كان الأولى أن يكون العجماء: الحجة الخاصة من حجج الشريعة، وهي بعد اتضاحها ذات بيان وافصح. والمعنى: اني قد كشفت لكم عن اسرار الكتاب والسنة حتى صارت أدلتها الخافية ظاهرة، والله اعلم.

قوله ﷺ: «عزب رأي امريء تخلف عني»: عزب، أي: بعد، يحتمل أن يكون دعاءً وأن يكون إخباراً. وقوله ﷺ: «ما شككت في الحق مذأريته»، يريد أن معارفي عين اليقين، لا يتطرق إليها شك ولا شبهة.

قوله ﷺ: «لم يوجس موسى»: هذا كلام شريف جداً، يقول: إن موسى لما أوجس الخيفة، بدلالة قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٤)، لم يكن ذلك الخوف على نفسه، وإنما خاف من الفتنة والشبهة الداخلة على المكلفين عند إلقاء السحرة عصيهم، فخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى، وكذلك أنا لا أخاف على نفسي من الأعداء الذين نصبوا لي الحبائل، وأرصدوا لي المكائد، وسعروا علي نيران الحرب، وإنما أخاف أن يفتتن المكلفون بشبههم وتمويهاتهم، فتقوى دولة الضلال، وتغلب كلمة الجاهل.

قوله ﷺ: «اليوم تواقفنا»: التاف قبل الفاء، تواقف القوم على الطريق، أي وقفوا كلهم عليها؛ يقول: اليوم اتضح الحق والباطل، وعرفناهما نحن وأنتم، كذا في الشرح^(٥). وأقول: إن معنى تواقفنا على سبيل الحق والباطل، أي وقف بعض على سبيل الحق وبعض على سبيل الباطل، فتقابلنا وصرنا أهل حق وأهل باطل.

قوله ﷺ: «من وثق بماء لم يظماً» الظماً الذي يكون عند عدم الثقة بالماء، وليس يريد النفي المطلق؛ لأن الواثق بالماء قد يظماً، ولكن لا يكون عطشه على حد العطش الكائن عند عدم الماء، وعدم الوثوق بوجوده، يقول: إن وثقتم بي وسكنتم إلى أقوالي^(٦) كنتم أبعد عن الضلال وأقرب إلى اليقين وتلج النفس، كمن وثق بأن الماء في إداوته، يكون عن

(٤) سورة طه: ٢٠ / ٦٧.

(٦) في ط: إلى قولي.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١١.

الظماً وخوف الهلاك من العطش أبعدَ ممَّن لم يثقْ بذلك. كذا في الشرح.^(١)
ويظهر لي ان قصده ﷺ الإشارة الى شيءٍ من أسرار الوصية والتبشير به، كما نبّه على
اشفاقه وخوفه من غلبة كلمة الضلال.
قال: لكن عندي شيء يسكن بعض الوجد وينقع غلّة المشفق، وهو علمي بأنّ العاقبة
للمتقين، وأنّ الحق سيدال من الباطل ويغلبه، وتلك العاقبة هي التي اشار إليها في قوله ﷺ
: «واليها مصير العاقبة» وذلك بظهور دعوته في دعوة أهله وتكامل صنائع الله لجنده
الغالب، والله أعلم.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢١٢.

ومن كلام له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وخاطبه العباس عليه السلام^(١) وأبوسفیان بن حرب في أن يبايعا له^(٢) بالخلافة:

أَيُّهَا النَّاسُ؛ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ^(٣)، وَعَرَّجُوا^(٤) عَنِ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ^(٥) وَضَعُوا تَيْجَانَ^(٦) الْمَفَاخِرَةِ، أَفْلَحَ^(٧) مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحِ^(٨) أَوَّاسْتَسْلَمَ^(٩) فَأَرَاخَ.

(١) لم ترد «رحمه الله» في أ و ب و ط و د، وفي هـ. أ: فقد روي انه لما تم أمر السقيفة لأبي بكر، أراد أبو سفيان بن حرب أن يوقع الفتنة في المسلمين، فمضى إلى عباس بن عبد المطلب، فقال: يا أبا الفضل إن القوم ذهبوا بهذا الأمر من بني هاشم وجعلوه في بني تيم، وانه ليحكم فينا هذا اللفظ الغليظ من بني عدي، فقم حتى نستنهض علياً لهذا الأمر وأنت عم رسول الله. فأتيا أمير المؤمنين، فقال أبو سفيان: يا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر، متى كنا تبعاً لتيم الاراذل؟! وكان عليه السلام يعلم انه يقول ذلك لمحق الدين، فأجابه بهذا الكلام. وفي هامش آخر من الف: وكان ذلك قبل غسل رسول الله ﷺ و تجهيزه، و علي عليه السلام مشغول بذلك، قال أبو سفيان: يا بني عبد مناف، الله أن يلي أمركم تيم. فقال عليه السلام: للاسلام، ومنعه عن ذلك. (٢) في ب: ان يبايعاه.

(٣) في هـ. ص. فيه اشارة الى قول رسول الله ﷺ: «مثل اهل بيتي كسفينة نوح ... الخبر» [١] والى قوله عليه السلام: «انظروا اهل بيت نبيكم فان نهضوا فانهضوا وان ثبتوا فاثبتوا». وفي هـ. أ: سفن النجاة هم اهل البيت؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله: «مثل اهل بيتي كسفينة نوح». قلت: حديث السفينة مشهور عند الفريقين، ورواه من العامة الحاكم في المستدرک ٢: ٣٢٣ والطبراني في الكبير ج ٣ ص ٢٧ - ٢٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٨، والدولابي في الكنى ج ١ ص ٧٦، واحمد بن حنبل في الفضائل برقم ١٤٠٢. (٤) في هـ. أ: اي اميلوا اوقفوا وانحرفوا، وفي آخر: معناه على هذا: عرجوا عن الاستقامة منصرفين عن المنافرة.

(٥) في هـ. ص: قوله «المنافرة هي أن يذكر كل واحد من الرجلين مفاخره وفضائله وقديسه ثم يتحاكما الى ثالث لينصر احدهما على الآخر. وفي هـ. أ: اي المحاكمة والمفاخرة بالنسب. (٦) في هـ. أ: جمع تاج. (٧) في هـ. أ: اي خلص: فاز ونجى.

(٨) في هـ. أ: نهض: قام، وبجناح، استعار لفظ الجناح للأعوان والانصار.

(٩) في هـ. أ: «استسلم»: انقاد، «فأراح»: اي أراح نفسه.

مَاءٍ^(١) آجِنُ^(٢) وَلُقْمَةٌ يَغْصُ^(٣) بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ^(٤) لِيَغْيِرَ وَقْتُ إِيْنَاعِهَا^(٥) كَالزَّارِعِ يَغْيِرُ أَرْضِهِ،^(٦) فَإِنْ أَقْلُ، يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَشْكُتُ، يَقُولُوا: جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ. هَيْهَاتَ^(٧) بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي!^(٨) وَاللَّهِ لَا بِنُ أَبِي طَالِبٍ آتُسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِشَدِي أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجَتْ^(٩) عَلَى مَكُونٍ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ^(١٠) بِهِ لَا ضُطْرِبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ^(١١) فِي الطَّوَى الْبَعِيدَةِ^(١٢).

قوله ﷺ: «افلح من نهض بجناح»:

يريد: افلح من نهض في طلب الرئاسة بناصر ينصره واعوان يجاهدون بين يديه.

(١) في ط وهـ. د: هذا ماء - ص ب ح. (٢) في هـ. أ: اي متغير منتن.

(٣) في هـ. أ: يوقفها في حلقه فلا يبلعها. الباء للتعدية، اي: بجعلها في حلقه مخصصاً، فلا يكاد يبلعها، كنى بها عن أمره.

(٤) في هـ. أ: قوله: «ومجتني الثمرة... الى آخر القول»: يعنى هذا الوقت ليس وقت الطلب لهذا الامر، إمّا لعدم الناصر أولغيره، شبه ﷺ الثمرة باللقمة بها من حيث انها من المأكولات والمتلذذات بها، شبه الثمرة المجنية لغير أوانها، بالزرع في غير ارض الزارع، لان صاحب الارض قد يمنع ذلك سواء في عدم الانتفاع بها، فمثل ﷺ خلافته ذلك مثلهما، لأنه لا ينتفع منها، إمّا لعدم الناصر وإمّا لعدم المصلحة. (٥) في هـ. أ: اي ادراكها واستوائها.

(٦) في هـ. أ: من زرع بأرض غيره فلغيره ان يمنعه عن سقي زرعه وعن حصاده وعن التصرف فيه، فلا بد من التفكير في العواقب في كل الأمور. والمراد بيان ان من يطلب الامور لغير وقتها لا ينجح طلبه. (٧) في هـ. أ: اي بعد.

(٨) في هـ. أ: كناية عن الشدائد والأمور الكبيرة، وأصله: ان أحداً تزوج بأمرأة قصيرة سيئة الخلق، فقاسى منها الشدائد فطلقها بعد اللتيا واللى. وفي هامش آخر: هما الداهية الكبيرة، وكنى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيهاً بالحية، فانهما اذا كثر سمها صغرت لأن السم يأكل جسدها، وقيل: إن العرب تصغر الشيء كالدَّهيم واللهيم.

(٩) في هـ. أ: في نسخة «اندمخت»، وفي هـ. أ أيضاً: أي انطويت وطلعت واستوليت، وسيّرتة في باطني، وروي بالخاء والجيم، اما بالخاء فمن الدخوخ، وهو الارتفاع والاستيلاء، ودمخ اسم جبل، واما بالجيم فهو الدموج والدخول والاستتار في الشيء.

(١٠) في هـ. أ: اي لواظهرته. (١١) في هـ. أ: جمع رشاء وهو الحبل.

(١٢) في هـ. أ: وهو البئر.

«أو استسلم فأراح»: وترك المنازعة فأراح نفسه وغيره.

والماء الآجن: المتغير الفاسد.

والغص: أن ينشب المأكل في الحلق، يعني: بيعة السقيفة كالماء الآجن الذي من شأنه أن يعاف، وكاللقمة التي من شأنها أن توجب لآكلها ألماً وكرباً. إشارة إلى سوء العاقبة.

ثم أخذ^(١) في الاعتذار عن الإمساك وترك المنازعة، فقال: مجتنى الثمرة قبل أن تُدرك لا ينتفع بما اجتناه، كمن زرع في غير أرضه لا ينتفع به؛ بل يؤمر بقلعه وتفريغ الأرض منه؛ يريد ﷺ أن هذا الوقت ليس هو الوقت الذي أجده فيه الناصر.

ثم قال: قد حصّلت بين حالين؛ إن قلت قال الناس: حرص على الملوك وطلب الدنيا، وإن لم أقل، قالوا: جزع من الموت.

ثم قال: «هيهات»: استبعاداً لظنهم فيه الجزع. ثم قال: «بعد اللّتيا والتي» أجزع، أي بعد أن قاسيت الأحوال الكبار والصغار، ومُنيت بكل داهية عظيمة وصغيرة من المخالف؟!^(٢) ثم ذكر أن انسه بالموت كأنس الطفل بشدي أمه، وهذا أنس بالغ، ودالّ على يقين بالعاقبة كامل.

ثم ذكر أن عنده من علم الوصية وأسرارها ما لو باح بها لحصل بينهم اضطراب^(٣). قال في شرح ابن أبي الحديد: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، واشتغل عليّ عليه السلام بغسله ودفنه، وبُويع أبوبكر، خلا الزبير وأبو سفيان بن حرب وجماعة من المهاجرين بعليّ والعباس عليه السلام لإجالة الرأي، وتكلّموا بكلام يقتضي الاستنهاض والتهيج، فقال العباس رضي الله عنه: قد سمعنا قولكم، فلا لِقْلَة نستعين بكم، ولا لِقْظَة نترك رأيكم، فأمهلونا نراجع الفكر؛ فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصرّبنا وبهم الحقّ صرير

(١) من هنا ذكره عن ابن أبي الحديد باختلاف يسير في العبارات وهذا التفسير يوجد في ١ : ٢١٤.

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في نسختنا، وهي غير موجودة في شرح ابن أبي الحديد.

(٣) في هامش نسختنا في هذا الموضع ما يلي: فانه لو صرح لهم بأن الأمر سيتدرّج حتى يصير إلى بنى أمية سيفتنون بها، ثم يفضي بعدهم إلى بني العباس وأنه سوف يجرى بين الفريقين واولادهم ما جرى ويكون المغلوب اولاده، لفترت تلك العزيمة سيما لابي سفيان لأن يصير فيه غيرنا، وقد مر أن ما حمّله عليّ ما قال، الحمية والأنفة، والله اعلم.

الجدجد^(١)، ونبسط إلى المجد أكفًا لا تقبضها أو تبلغ المدى، وإن تكن الأخرى، فلا لقلّة في العدد، ولا لو هني في الأيد، والله لولا أن الإسلام قيد الفتك، لتدكدكت جبال^(٢) صخر يسمع اصطكاكها من المحل الأعلى.

فحلّ عليّ ﷺ حبّوته، وقال: الصبر حلم، والتقوى دين، والحجة محمد، والطريق الصراط، أيها الناس شقّوا أمواج الفتن... الخطبة، ثم نهض فدخل إلى منزله وافترق القوم. قال البراء بن عازب: لم أزل لبني هاشم محبًا، فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله خِفْتُ أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الواله^(٣) العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي صلى الله عليه وآله في الحجرة، وأتفقّد وجوه قريش، فإنّي لكذلك^(٤) إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعائية، لا يمرّون بأحدٍ إلا خبطوه وقدموه، فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه؛ شاء ذلك أو أبى؛ فأنكرت عقلي، وخرجت أشتدّ حتى انتهيت إلى بني هاشم، والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس: تَرَبّتْ أيديكم إلى آخر الدهر؛ أما إنّي قد أمرتكم فعصيتُموني. فمكثتُ نديماً نفسي، ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبازرّ وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التّيهان وحذيفة وعماراً. وهم يريدون أن يُعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين.

وبلغ ذلك أبا بكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذا الأمر نصيباً، ليقطعوا

(١) في هامش نسختنا: بالضم، وهو صرّار الليل، وهو قفّاز، وفيه شبه من الجراد، والجمع الجداجد، من الصحاح، (٢: ٤٥٣) وعن ابن منظور: انه حيوان شبيه بالجراد يصوت بالليل انظر لسان العرب «جدجد» (٢: ٢٠٤). (٢) في ط: جنادل.
(٣) في ط: الوالهة.
(٤) في ط: كذلك.

بذلك ناحية عليّ بن أبي طالب^(١).

فانطلق أبوبكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة؛ حتى دخلوا على العباس، وذلك في الليلة الثانية من وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

ثم أورد ابن أبي الحديد كلام أبي بكر للعباس، وجوابه له، لكنني تركته اختصاراً^(٢)، والغرض يتعلق بما نقلته. والله المستعان.

(١) في هـ. ص هذا اصل اصطناع عمر لعبد الله بن العباس واستيزاره له، وكان عمر يعظم شأن العباس وإينه بالقول والفعل، ويصف العباس بالعقل وجودة الرأي، ويعظم قرابته من رسول الله ﷺ، يريد بذلك معارضة منزلة أمير المؤمنين، فذراً ذلك حتى لقفه عنه بنو العباس وشيعتهم وعلماء العامة.

وأنت إذا تأملت المسائل التي جعلها علماء العامة أصول السنة في زعمهم، وجدتها مأخوذة عن عمر، وقد صرح الغزالي وغيره من علماء العامة بأن معاوية كان يقتدي بعمر ويؤيد طريقته، وقصد معاوية المعلوم - لا المظنون - معارضة طريقة أمير المؤمنين ونسخها، والله المستعان.

(٢) راجع شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٢٠، وما بعدها.

ومن كلام له عليه السلام لما أشير عليه ^(١) بالألا يتبع طلحة والزبير وأن لا يرصد ^(٢) لهما القتال:

والله لا أكون كالضبع ^(٣) تنام على طول اللدم؛ حتى يصل إليها طالِبُها، ويختلها ^(٤) راصدُها؛ ولكني أضرب بالمُقْبِلِ إلى الحقِّ المُدْبِرِ عنه، وبالسَّامِعِ المُطِيعِ العاصي المريب ^(٥) أبداً، حتى يأتي عليَّ يومي. ^(٦) فوالله ما زلتُ مدْفوعاً عن حقي، مُستأثراً ^(٧) عليَّ ^(٨) منذ قبضَ الله ^(٩) نبيّه صلى الله عليه وآله حتى يومِ الناسِ هذا.

لما خرج طلحة والزبير من المدينة إلى مكة لم يلقياً أحداً إلا وقالوا له: ليس لعلِّي في أعناقنا يئعة، وإنما بايعناه مكرهين. فبلغ علياً عليه السلام قولهما، فقال: أبعدهما الله وأغرب ^(١٠) دارهما، أما والله لقد علمتُ أنَّهما سيقْتَلان أنفُسهما أخبث مقتل، ويأتیان مَنْ وردا عليه بأشأم يوم، والله ما العُمرَةُ يريدان، والله لقد أتاني بوجهين فاجرَيْن، ورجعا بوجهَيْن غادرَيْن ناكثَيْن، والله لا يلقيانني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء، يقتلَان فيها أنفُسهما، فبُعْداً

(١) في هـ.أ: روي انه اقبل أمير المؤمنين يريد العراق لينبع طلحة والزبير فأشار عليه الحسن بن علي عليه السلام ان يرجع، فقال: والله... الخ.

(٢) في أوب ود: ولا يرصد، وفي هـ.أ: اي لا يحفظ ولا يرقب.

(٣) في هـ. د: لا اكون مثل الضبع - م. في هـ.أ: اللدم: ضرب الحجر على الحجر. وفي هامش آخر: اللدم أن يضرب الصائد الحجر على جحر الضب فيحسبه صيداً فلا يخرج حتى يصاد، قيل: إن الضبع في جحرها يدخل عليها قوم ويقولون: خامري أم عامري، ابشري أم عامر بلحم سمين وخير كثير وهي تتغافل، فيشدون الحبل في رجلها، فإذا وصل إليها الشر تصيح، فلا تنفعها صياحها. (٤) في هـ.أ: اي يخدعها هـ. د. ويختلسها - م.

(٥) في هـ.أ: اي المتهم، والريبة هي التهمة. (٦) في هـ.أ: اي يوم موتي.

(٧) في هـ.أ: اي مختاراً. (٨) هـ. د: عليّ غيري - م ول.

(٩) في «أ» زيادة: تعالى. (١٠) في يقال: اغرب دار ابعدها.

لهما وسحقاً.

وذكر أبو مخنف في كتاب الجمل: أنَّ علياً عليه السلام خطب لما سار الزبير وطلحة من مكة، ومعهما عائشة يريدان^(١) البصرة، فقال:

أيُّها الناس، إنَّ عائشة سارت إلى البصرة، ومعها طلحة والزبير، وكلُّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه، أمَّا طلحة فابنُ عمِّها، وأمَّا الزبير فزوج اختها^(٢)، واللَّه أن لو ظفروا بما أرادوا - ولن ينالوا ذلك أبداً^(٣) - ليضربنَّ أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع [منهما]^(٤) شديد. واللَّه إنَّ صاحبة^(٥) الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحلُّ عُقْدَةً إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَسُخْطِهِ، حَتَّى توردَ نفسها وَمَنْ معها موارد الهلكة؛ أَي واللَّه لَيُقتلَنَّ ثلثهم، وليهربنَّ ثلثهم، وليتوبنَّ ثلثهم، وإنَّها التي تنبَّحُها كلاب الحوَّاب^(٦)، وإنَّهما ليعلمان بأنَّهما^(٧) مخطئان. وربَّ عالمٍ قتله جهله، ومعه علمه لا ينفعه، حسبنا الله ونعم الوكيل! فقد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية، أين المحتسبون؟ أين المؤمنون؟ مالي ولقریش^(٨)! أمَّا واللَّه لقد قتلتهم كافرين، ولأقتلنَّهم مفتونين! وما لنا إلى عائشة من ذنب إلا أن أدخلناها في حَيْرِنَا، واللَّه لأبقرنَّ الباطل^(٩) حتى يظهر الحقُّ من خاصرته، قتل لقریش: فلتضجَّ ضجيجها، ثم نزل. انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد.

(٢) في ط: فختنها.

(٤) ما بين المعقوفتين غير موجود في ص .

(١) في ط: يريدون.

(٣) في ط زيادة: أبداً.

(٥) في ط: راكبة.

(٦) إلى هذا الموضع من الخطبة أوردها الشيخ المفيد في الإرشاد ص ١١٨.

(٧) في ط: انهما.

(٨) ذكر هذه الفقرة الشريف الرضي في نهج البلاغة في الخطبة ٣٣ بلفظ قريب ممَّا هنا.

(٩) ذكر هذه الفقرة الشريف الرضي في نهج البلاغة في الخطبة ١٠٤ بلفظ قريب ممَّا هنا.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ ^(١) لَأَمْرِهِمْ مَلَكَ ^(٢)، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَ ^(٣)، فَبَاضَ
وَفَرَّخَ ^(٤) صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ ^(٥) فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ ^(٦) بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِالسِّنَتِهِمْ ^(٧)،
فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلْزَلُ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ ^(٨) فَعَلَ ^(٩) مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ ^(١٠) الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ^(١١)،
وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ ^(١٢).

(١) في هـ. د: الشياطين - م.

(٢) في هـ. أ: في نسخة: مالكا وفي هـ. ص: ملاك الشيء قوامه وعماده، وفي هـ. أ: أي ما يقوم به، وملاك الأمر صغيرها وكبيرها ما يقوم به ويعتمد عليه، يقال: القلب ملاك الجسد.

(٣) في هـ. ص: الاشراك جمع شرك، وهو المصيا، وفي هـ. أ: يجوز ان يكون جمع شريك كشراف واشراف، ويجوز ان يكون جمع شرك كحبل وأحبال، وهو حباله الصائد.

(٤) في هـ. ص: فباض وفرخ، كناية عن التمكن، وفي هـ. أ: أي أخرج البيض.

(٥) في هـ. ص: ودب ودرج، عبارة عن الأتس والتأصل، وفي هـ. أ: الدب: المشي الضعيف، ودب: مشى رويداً. ودرج: مشى كثيراً.

(٦) في ص: ونظر. وفي هـ. ص: ونظر بأعينهم، كناية عن اتحادهم كأنهم هو، أو لأن نظرهم شهوة ونطقهم باطل. (٧) وفي هـ. أ: أي بمتابعة الهوى.

(٨) وفي هـ. أ: الزلل، بالفعل والخطل بالمنطق الفاسد وفساد بالقول.

(٩) وفي هـ. أ: أي فعلوا «فعل»، وانتصاب فعل على المصدر عن فعل محذوف، أي فعلوا ذلك فعل، أو عن قوله: اتخذوا، في معنى فعلوا، فهو مصدر من غير لفظه.

(١٠) في هـ. أ: بمعنى شاركه.

(١١) في هـ. أ: السلطان [القدرة] على الأعمال والأحوال.

(١٢) في هـ. أ: أي لسان الشيطان.

[٨]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﷺ يَعْنِي بِهِ الزُّبَيْرُ فِي حَالٍ اقْتَضَتْ ذَلِكَ:
يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ. فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيَّةَ^(١)، فَلَيَأْتِ عَلَيْهَا
بِأَمْرِ يُعْرِفُ^(٢) وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ، وَالسَّلَامُ^(٣).

(١) في هـ. ص: الوليعة هي الدخيلة وما يضر في الأمر من عذر أوحجة أوطانة. وفي هـ. أ:
الوليعة: الدخيلة في الأمر، يعني انه بايع بيده ولم يبائع بقلبه، وهو إشارة إلى التورية
والتعريض في العهود والايمان. (٢) في هـ. الف: اي بيعته.
(٣) في هـ. الف: اي البيعة التي خرج عليها.

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ^(١)؛
 وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا^(٢). وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَقْلُ^(٣)، وَلَسْنَا^(٤) نَرْعَدُ حَتَّى نَوْقِعَ،
 وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُطِيرَ.

-
- (١) ذكر هذا الكلام الواقدي في كتاب الجمل، والشيخ المفيد في النصرة في حرب البصرة ص ١٧٧، وفي هـ. أ: إنَّ هذا الكلام إشارة إلى طلحة والزبير وأشياعهما.
 (٢) في هـ. الف: عبارتان بمعنى التهديد والوعيد، وأبرقوا: خوفوا.
 (٣) في هـ. الف: أي الجبن.
 (٤) في د وهـ. الف: في نسخة: قلنا، وهو إشارة إلى أنه لا يبعد قبل الإيقاع بالعدو، وأنَّ فعله يتقدَّم على قوله؛ إذ القول - إذا تقدم - فربما لا يوافق الفعل.

ومن خطبة له ﷺ:

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجْلَبَ^(١) خَيْلَهُ وَرَجُلَهُ، وَإِنَّ بَصِيرَتِي لَمَعِي^(٢)، مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي^(٣)، وَلَا لُبَّسَ عَلَيَّ^(٤). وَأَيْمُ اللَّهِ^(٥) لَا فَرِطَنَ^(٦) لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحَهُ^(٧)، لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ^(٨) وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

قوله ﷺ: «وَإِنَّ بَصِيرَتِي لَمَعِي، مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لِبَسَ عَلَيَّ»، قال في الشرح: يريد أن بصيرتي التي كانت معي في زمن رسول الله ﷺ لم تتغير. وقوله ﷺ: «مَا لَبَّسْتُ... إِلَى آخِرِهِ»، تقسيم جيّد؛ لَأَنَّ كُلَّ ضَالٍّ عَنِ الْهَدَايَةِ، فَإِذَا أَن يَضِلَّ بِإِضْلَالِ نَفْسِهِ^(٩) أَوْ بِإِضْلَالِ غَيْرِهِ لَهُ.

(١) في هـ. الف: اي استجمع.

(٢) في أوب ط: وإن معي لبصيرتي، وفي هامش د: وإن معي لبصيرتي - ض وح ول.

(٣) في هـ. أ: يريد بذلك الدلالة على بقاء سريره وصفاء باطنه وخلوص طويته وطهارة ذاته.

(٤) في هـ. الف: قوله: «وَلَا لُبَّسَ عَلَيَّ» يدل على كمال عقله وعمله وكثرة تجاربه، وهذان اللفظان مجامع مكارم الاخلاق، وقال بعض السلف: العاقل من لا يخدعه أحد، والمسلم من لا يخدع احداً.

(٥) في هـ. أ: «وَأَيْمُ اللَّهِ» اصله ايمن الله، حذف نونه تخفيفاً كما حذف من «وَلَمْ يَكُنْ»، وهو جمع يمين، وقيل: ليس بجمع، بل اسم وضع للقسم، وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين، ولم يجرى في الأسماء ألف الوصل معطوفة غيرها، وهو مبتدأ محذوف الخبر، أي أيمن الله قسمي. وقيل: ألفه للقطع، وقد يطرح في الوصل لكثرة الاستعمال.

(٦) في هـ. الف: اي لا ملأ. (٧) في هـ. الف: حوضاً من المقاتلة والمقارعة.

(٨) في هـ. الف: لا يصدرون، اي لا يرجعون، بل يهلكون، كُنِيَ ﷺ بقوله: «لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ» ان الوارد منهم فيه لا ينجو منه، فهو سوف يغرق فيه، فلا يصدر عنه، وبقوله: «وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»: ان من نجى منهم لا يطمع في الحرب مرة اخرى، ولا يردون الى ما اعد لهم مرة ثانية، وأكد ذلك الوعيد بالقسم البار. (٩) في ط: من تلقاء نفسه.

وقوله ﷺ : «لأَفْرَظَنَّ» مَنْ رواها بفتح الهمزة، فأصله «فرط» ثلاثي، يقال: فرطَ زيد القوم، أي سبقهم. والفارط^(١): الذي يسبق القوم إلى الماء، فيهيئ لهم الحياض^(٢) والدلاء، فكأنه ضمّن «لافرطن لهم» معنى لأهيئن، فعدّاه تعديته. ومن رواه بضم الهمزة فهو رباعي، ومعناه: لاملأن. والماتح - بالتاء -: الذي ينزع بالدلو من أعلى البئر، والمايح - بالياء المهموزة -: الذي ينزل البئر فيملأ الدلاء ماءً، وهو يعني حوض الموت والقتال.

(٢) في ط : الأرشية.

(١) في ط : ورجل فرط.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﷺ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ لَمَّا أُعْطَاهُ الرَّايَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ:
تَزُولُ الْجِبَالُ^(١) وَلَا تَزُولُ^(٢)، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ^(٣)، أَعْرَ اللَّهُ جَمْعَمَتَكَ^(٤)، تَدُ فِي الْأَرْضِ
قَدَمَكَ^(٥)، إِزْمِ بِبَصْرِكَ^(٦) أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغَضَّ بَصْرَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ^(٧).

قال في شرح ابن أبي الحديد: أمّ محمد ﷺ خوّلة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد
بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة ابن الدّؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن
وائل. واختلف أمرها - ثم ذكر أقوالاً ثم قال: - وقال قوم، وهم المحققون، وقولهم الأظهر:

(١) في هـ. الف: جمع في هذه الكلمات جميع آداب الحروب، وهي الاعراض عن الإذبار،
تشبيهاً بالجبال فإنها لا تزول عن أماكنها، والعضّ على الناجذ لدفع ضرر كل ضرب يوافي
الرأس، وثبات القدم يسبّب انهزام العدو، وغضّ البصر يزيل الجبن، ورمي البصر أقصى القوم
يشحذ العزم.

(٢) في هـ. الف: هذا نهى مطلق؛ لأن النهي مع الزوال للجبال نهى بغير الزوال بطريق أولى.
(٣) في هـ. الف: أي الأسنان الظواهر بين النابين. وفي هامش آخر: الناجذ: سنّ بين الناب
والضرس، وقال: هو أقصى الأضراس. وقيل: الأضراس كلها.

وفي هامش آخر: عضّ على ناجذك فإنّ في ذلك ربط الجأش عن الفشل والخوف، ولأنّ
الضرب على الرأس مع ذلك غير مؤثّر كثير الضرر كما [يحصل في من] لا يفعل ذلك، وقد
قال ﷺ في موضع آخر فإنّه أنبأ عن الهام، وذلك لما فيه من [التشدد] والتصلب.

(٤) في هـ. الف: شبه الجمجمة التي تستعار للانتفاع بهائم ترد، فالجهاد في سبيل دين الله
وحزبه لمجرد رضی الله عنه على هذا الوجه تشبيه الانتفاع بالعارية، وفي ذلك تنبيه لمحمد
رضي الله عنه في هذا، بانه اذا أعير الله لا يرد من رده، وفيه تشييت لجأشه وربط لقلبه.

(٥) في هـ. الف: «قوله: تد في الأرض قدمك» وفي ذلك ربط الجأش، واستصحاب العزم على
الشهامة، وأمانة الصبر على المكاره. (٦) في ص: بصرك.

(٧) كلمة «سبحانه» غير موجود في ص، وفي ب: سبحانه وتعالى.

إِنَّ بني أسد أغارت على بني حَنِيْفَةٍ في خلافة أبي بكر فسبوا خَوَلةَ [بنت جعفر] ^(١) وقَدِموا بها المدينة، فباعوها من عليّ عليه السلام، وبلغ قومها خبرها، فقَدِموا المدينة على عليّ عليه السلام، فعرفوها وأخبروه بموضعها منهم، فأعتقها ومهرها وتزوَّجها. فولدت له محمداً فكنَّاه أبا القاسم.

وهذا القول، هو اختيار محمد بن أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه المعروف بكتاب [تاريخ] ^(٢) الأشراف.

[في شرح ابن أبي الحديد: لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة، وحمل عليّ عليه السلام بالراية، فضضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الراية، وقال: امْحُ الأُولَى بالأُخْرَى، وهذه الأنصار معك. وضمَّ إليه خُزَيْمة بن ثابت ذا الشهادتين، في جَمْع من الأنصار، كثير منهم من أهل بدر، فحمل حَمَلَات كثيرة، أزال بها القومَ عن مواقفهم، وأبلى بلاء حسناً. فقال خزيمة بن ثابت لعليّ عليه السلام: أما إنه لو كان غيرُ محمد اليوم لا فتضح، ولئن كنتَ خِفْتَ عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خِفْناه عليه، وإن كنتَ أردتَ أن تعلِّمه الطعان فطالما علِّمته الرجال.

[و] ^(٣) قالت الأنصار: يا أمير المؤمنين، لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين عليهما السلام لما قدَّمنا على محمدٍ أحداً من العرب.

فقال عليّ عليه السلام: أين النجم من الشمس والقمر! أما إنَّه قد أغنى وأبلى وله فضله، ولا ينقص فضله فضل صاحبيه عليه، وبحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه. فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا والله ما نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلمهما له، ولا نظلمه - لفضلهما عليه - حقّه، فقال عليّ عليه السلام: أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله ﷺ!

فقال خزيمة بن ثابت فيه:

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في ص . (٢) ما بين المعقوفتين من ط.

(٣) ما بين المعقوفتين من ط.

محمد مآ في عودك اليوم وَضَمَّةُ
 أبوك الذي لم يركب الخيل مثله
 فلو كان حقا من أبيك خليفة
 وأنت بحمد الله أطولُ غالب^(٢)
 وأقربها من كل خير تريده
 وأطعنهم صدر الكمي برمحه
 سوى أخويك السيدين، كلاهما
 أبى الله أن يعطي عدوك مقعدا
 وما كُنتَ في الحربِ الضُّروسِ مُعَرِّدا^(١)
 عليّ، وسَمَّاكَ النبيّ محمدا
 لكنت، ولكن ذاك مالا يرى بدا
 لساناً، وأنداهها بما ملكت يدا
 قُرَيْشُ وأوقاها بما قال موعدا
 وأكسَاهُمُ للهامِ عَضْباً مُهَنِّدا
 إماما^(٣) الوري والداعيان إلى الهدى
 من الأرض أوفي اللوح^(٤) مرقى ومصعدا^(٥)

(١) المعرد: المنهزم.

(٢) غالب: يقصد به ذرية غالب بن فهر بن مالك.

(٣) في ط: امام.

(٤) في ط: الأوج.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٤ - ٢٤٦.

ومن كلام له ﷺ:

لما ظفر^(١) بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهداً^(٢) ليرى مانصر ك الله به على عدوك^(٣) فقال ﷺ^(٤):
أَهْوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ قَالَ^(٥): نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ شَهِدْنَا، وَاللَّهِ^(٦) لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ هُمْ فِي^(٧) أَصْلَابِ الرِّجَالِ^(٨) وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَّرَعَفُ^(٩) بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ.

قوله ﷺ: «فقد شهدنا» مثل قوله ﷺ فيما سيأتي: «الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم»^(١٠)، وقوله ﷺ: «أيها الناس إنما يجمع الناس الرضى والسخط» وغير ذلك مما

(١) في أوب ود: أظفره الله.

(٢) كذا في ص: «حاضرنا» وقوفه: شاهدنا، ويحتمل كونه: شاهداً، وفي ب: معك شاهداً.

(٣) في أوب ود: على أعدائك. (٤) في ط وهود: فقال علي - ح.

(٥) في د وط: فقال.

(٦) في أ ود: ولقد شهدنا، وفي ب وه أ: في نسخة: ولقد شهدنا والله.

(٧) في أوب: قوم في، وفي ط ود: أقوام في.

(٨) في هـ ب: قوم في اصلااب، مستفاد من قول النبي ﷺ: «المرء مع من أحب».

(٩) في هـ ص: أي يخرجون ويظهرون فيه، وفي هـ أ: سيخرج ويأتي، وقد شبه الزمان بالإنسان، أو ما يوجد ويظهر من الخلق في أوقات الزمان بما يخرج ويقطر من الرعاف من أنف الإنسان.

(١٠) في هامش أ في هذا الموضع ما يلي: روي أنه قال: يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة، اتنفكت بأهلها ثلاثاً، وعلى الله تمام الرابعة، يا جند المرأة، وأعوان البهيمة، رغا فاجبتم، وعقر فانهزمت، أخلاقكم دقاق، وماؤكم زقاق، وبلادكم أنتن بلاد الله تربة، وأبعدها من السماء، بها تسعة أعشار الشر، المحتبس فيها مرتين بذنبه، والخارج منها بعفو الله، كآني أنظر إلى قريبتكم هذه وقد طبقت الماء حتى ما يرى منها إلا شراف المسجد، كأنه جوجوطير.

يجيء.

وقوله عليه السلام لمحمد بن أبي بكر فيما رواه الامام الحسن بن اسماعيل الجرجاني: « فإن الله يعطي العبد على قدر نيته إذا أحب الخير وأهله وان لم يعمله كأن قد عمله؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله حين خرج الى غزوة تبوك قال: «لقد كان في المدينة أقوام ما سرّتهم من سيرٍ ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم المرض، كانت لهم نيّة في ذلك».

ومن كلام له عليه السلام في ذم البصرة وأهلها:

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ ^(١)، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ^(٢)، رَغَا ^(٣) فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ ^(٤) فَهَرَبْتُمْ، أَخْلَقَكُمْ دِقَاقَ ^(٥)، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقَ ^(٦)، وَدِينُكُمْ نِفَاقَ ^(٧)، وَمَاؤُكُمْ رُعَاقَ ^(٨)، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُزْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ ^(٩)، وَالشَّاحِصُ ^(١٠) عَنْكُمْ مُتَدَارِكُ ^(١١) بَرْحَمَةٍ مِنْ رَبِّهِ ^(١٢)؛ كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ [هَذَا] ^(١٣) كَجَوْجُ ^(١٤) سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ ^(١٥) مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا، وَعَرِقَ مَنْ فِي ضَمْنِهَا.

وفي رواية أخرى ^(١٦): وَأَيْمُ اللَّهِ، لَتَغْرَقَنَّ بِلَدَّتْكُمْ ^(١٧) هَذِهِ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى

(١) في هـ. ص مايلي: فيه إشارة إلى قول النبي ﷺ: «لن يفلح قوم أولوا أمرهم امرأة».

(٢) في هـ. الف: أي المبهمة عن العقل، وهي كل من دواب البر والبحر.

(٣) في هـ. الف: الرغاء: صوت الإبل خاصة، وذكره لأنه عني بالبهيمة الجمل. أي صوت الجمل.

(٤) في هـ. الف: أي الجمل.

(٥) في هـ. الف: الدق من كل شيء: حقيقه وصغيره، وفي هامش آخر منه: أي دقيق قليل الخير.

(٦) في هـ. الف: والشقاق: الخلاف والافتراق، وفي هامش آخر منه: أي خلاف وعداوة.

(٧) في هـ. الف: الشقاق الخروج من الإيمان.

(٨) في هـ. الف: الرعاق: المانع، أي شديد الملوحة.

(٩) في هـ. الف: ذنبه هو إقامته فيما بينهم، وهذا يدل على لزوم الاحتراز من قرناء السوء، وهو من أهم الأمور، وأن صاحب الأخلاق الرديئة يضر جليسه.

(١٠) في هـ. الف: والشاحص: أي الخارج والراحل من بينكم فقد تداركه الله برحمته.

(١١) في هـ. الف: أي متلاقى.

(١٢) في هـ. د: برحمة ربه - م.

(١٣) لم يرد «هذا» في أوب وط ود.

(١٤) في هـ. الف: أي صدر.

(١٥) في هـ. ص في هذا الموضع هامش طويل لم يمكن قراءته بوضوح، والظاهر من بعض كلماته أن الشارح ينقل فيه حديثاً عن النبي ﷺ في شأن البصرة.

(١٦) ما بين المعقوفتين من أوب.

(١٧) في هـ. الف: في نسخة: بلدتكم هذه.

مَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُوسَيْنَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ. (١)

ويروى: (٢) كَجَوْجُوطَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

وفي رواية أخرى (٣): بِلَادُكُمْ أَنْتُنَّ بِلَادُ اللَّهِ تُرْبَةٌ، أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ، وَابْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَغْشَارِ الشَّرِّ. الْمُخْتَبِسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللَّهِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَوَائِمِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يَرَى مِنْهَا إِلَّا شُرْفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جَوْجُوطَيْرٌ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

قال ابن أبي الحديد في الشرح: قوله ﷺ: «وَأَتْبَاعُ الْبَهِيمَةِ»: يعني الجمل، فإنه كان رايةً عسكر البصرة، قُتِلُوا دُونَهُ كَمَا تُقْتَلُ الرِّجَالُ تَحْتَ رَايَاتِهَا، وَلَقَدْ كَانَتْ الرُّؤُوسُ تَنْدُرُ (٤) عَنْ الْكَوَاهِلِ، وَالْأَيْدِي تَطِيحُ مِنَ الْمَعَاصِمِ، وَأَقْتَابُ الْبُطْنِ (٥) تَنْدَلِقُ مِنَ الْأَجَوَافِ، وَهُمْ حَوْلَ الْجَمَلِ كَالْجَرَادِ الثَّابِتَةِ لَا تَتَحَلَّحِلُ وَلَا تَتَزَلْزَلُ، حَتَّى لَقَدْ صَرَخَ ﷺ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: وَيَلَكُمْ إِعْقَرُوا هَذَا (٦) الْجَمَلَ؛ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ! ثُمَّ قَالَ: اعْقَرُوهُ وَإِلَّا قَنَيْتِ الْعَرَبُ. لَا يَزَالُ السَّيْفُ قَائِمًا وَرَاكِعًا حَتَّى يَهْوِيَ هَذَا الْبَعِيرُ إِلَى الْأَرْضِ، فَصَمَدُوا لَهُ حَتَّى عَقَرُوهُ، فَسَقَطَ وَلَهُ رَغَاءٌ شَدِيدٌ، فَلَمَّا بَرَكْ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ. (٧)

وَخَلَّصَ عَلِيٌّ ﷺ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّخَعِ وَهَمْدَانٍ إِلَى الْجَمَلِ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنَ النَّخَعِ اسْمُهُ بِجَيْرٍ: دُونَكَ الْجَمَلَ يَا بُجَيْرُ دُونَكَ (٨)، فَضَرَبَ عَجْزَ الْجَمَلِ بِسَيْفِهِ فَوَقَعَ لَجْنَبِهِ، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ الْأَرْضَ، وَعَجَّ عَجِيجًا لَمْ يُسْمَعْ بِأَشَدَّ مِنْهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ صُرِعَ الْجَمَلَ حَتَّى فَرَّتِ الرِّجَالُ كَمَا يَطِيرُ الْجَرَادُ فِي الرِّيحِ الشَّدِيدَةِ الْهَبُوبِ، وَاحْتُمَلَتْ عَائِشَةُ يَهُودَجَهَا، فَحُمِلَتْ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ، وَأَمَرَ عَلِيٌّ ﷺ بِالْجَمَلِ أَنْ يَحْرَقَ، فَأُحْرِقَ ثُمَّ ذَرِيَ (٩) فِي الرِّيحِ. وَقَالَ ﷺ: لَعَنَهُ اللَّهُ مِنْ دَابَّةٍ! فَمَا أَشَبَّهَهُ بِعَجَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ قَرَأَ: وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي

(١) في هـ. الف: أي جائمة على صدرها.

(٢) في الف: وفي رواية، وفي هـ. الف: في نسخة: ويروى.

(٣) هذه الرواية الأخيرة من «ط» فقط. (٤) تندر: تقطع.

(٥) الأقتاب: الأمعاء؛ واحداها قتب، محركة، أو بكسر فسكون.

(٦) كلمة «هذا» ساقطة من المطبوعة. (٧) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٥٤.

(٨) كلمة «دونك» لم ترد في ط. (٩) في ط: أن يحرق ثم يذرى.

ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنَحْرَقَتْهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّ فِي الْيَمِّ نَسْفًا^(١).

ثم وصف المقيم بين أظهرهم بأنه مرتَهَن بذنبه؛ لأنه إما أن يشاركهم في الذنوب، أو يراها فلا ينكرها؛ ومذهب أصحابنا أنه لا تجوز الإقامة في دار الفسق، كما لا تجوز الإقامة في دار الكفر.

والجَوْجُو: عَظُم الصدر؛ وجَوْجُو السفينة: صدرها.^(٢)

وأما إخباره ﷺ أن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها، فقد رأيت من يذكر أن لم ترد في الأصل الملاحم تدلّ على أن البصرة تَهْلِك بالماء الأسود ينفجر من أرضها، فتغرق ويبقى مسجدُها.

والصحيح أن المخبر به قد وقع، فإن البصرة قد غرقت مرتين، مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها، ولم يبق منها إلا مسجدُها الجامع بارزا بعضه كجَوْجُو الطائر، حَسَب ما أخبر به أمير المؤمنين ﷺ، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام، وخربت دورها، وغرق كل ما في ضُمَّنْها، وهلك كثير من أهلها. وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقلها خلفهم عن سلفهم، انتهى^(٣).

قلت: ولا يبعد أن يكون الله تعالى أنبط شيئا من الماء الذي غرقت به من أرضها تنكيلا وتهويلا، فيكون ذلك مصداقا لقول أمير المؤمنين ﷺ من فوقها ومن تحتها، وموافقا لما في الملاحم.

(١) سورة طه: ٩٧ / ٢٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ١: ٢٥٢.

(٣) ١: ٢٥٤.

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ^(١)، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ أَحْلَامُكُمْ^(٢)، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأَكَلَةٌ لَأَكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِمَصَائِلٍ^(٣).

قال في الشرح: أرباب علم الهيئة وصناعة التنجيم يذكرون أنَّ أبعد موضع في الأرض عن السماء «الأبْلَةُ»^(٤)، وهذا موافق لقوله ﷺ، و«الأبْلَةُ» هي قسبة البصرة. والإخبار بهذا من خصائصه ﷺ؛ لأنَّه أخبر بما لا تعرفه العرب ولا تهتدي إليه، انتهى^(٥).

(١) في هـ. الف: أي لا يسمع دعاءكم أهلها.

(٢) في أوب: حلومكم. وفي هـ. الف: أي عقولكم.

(٣) في ب وهـ. أ: في نسخة: لصائد. وفي هـ. أيضاً: أي من يصول.

(٤) في مرصد الاطلاع ١ : ١٨: تقع في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي

أقدم من البصرة. (٥) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٦٨.

ومن كلام له عليه السلام فيما ردّه [على المسلمين] ^(١) من قطائع عثمان:
والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، ومُلِكَ به الإماء لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً. وَمَنْ
ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ.

قال في الشرح ما حاصله: كان عثمان قد أقطع كثيراً من بني أميّة وغيرهم من أوليائه
وأصحابه قطائع من أرض الخراج؛ وأسقط عنهم خراجها إلا اليسير.
وقال فيه: وهذه الخطبة ذكرها الكلبي مرويّة مرفوعةً إلى أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه:
أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام خَطَبَ النَّاسَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ بَيْعَتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ:
أَلَا إِنَّ كُلَّ قِطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ، وَكُلَّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ، فَهُوَ مُرْدُودٌ فِي بَيْتِ مَالِ
الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْحَقَّ الْقَدِيمَ لَا يُبْطَلُهُ شَيْءٌ، وَلَوْ وَجَدْتُهُ وَقَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ، وَفُرِّقَ فِي
الْبُلْدَانِ، لَرَدَدْتُهُ إِلَى حَالِهِ؛ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْحَقُّ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ.
قال الكلبي: ثم أمر عليه السلام بكلّ سلاح وجد لعثمان في داره مما تقوى به على المسلمين
فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة، فقبضت، وأمر بقبض سيفه
ودرعه، وأمر ألاّ يعرض [السلاح وجد ممّا له لم يقاتل] ^(٢) به المسلمين، وبالكفّ عن
جميع أمواله التي وجدت في داره وفي غير داره، وأمر أن ترجع الأموال التي أجاز بها
عثمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها.

فبلغ ذلك عمرو بن العاص، وكان بأيلة من أرض الشام، فكتب إلى معاوية: ما كنت
صانعاً فاصنع، إِذَا قَشَرَكَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ كُلِّ مَا تَمْلِكُهُ كَمَا تُقَشِّرُ عَنِ الْعَصَا لِحَاها ^(٣).

(١) من ط. (٢) في ص: لسلاح له ممّا لم يقاتل.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٦٩، وفي هامش نسختنا في هذا الموضع مايلي: وجدت في

ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة:

ذِمَّتِي ^(١) بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ ^(٢)، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ^(٣) إِنَّ ^(٤) مَنْ صَرَّحْتُ ^(٥) لَهُ الْعَبْرَ عَمَّا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ ^(٦) حَجَرَهُ ^(٧) التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ ^(٨) الشُّبُهَاتِ. أَلَا وَإِنَّ

→ «المصابيح» لأبي العباس الحسيني عليه السلام كتاباً من محمد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام جواباً
عمن سأل عن كيفية قتل عثمان ما لفظه: وانتهى إلى عثمان رفاعة بن رافع الانصاري وجبله
بن عمرو وعمر بن حكيم ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن حذيفة وعبد الله ومحمد ابناً بذي
الخرأعيان فضربوه بأسيا فمهم حتى قتلوه غير نائب ... ثم جاء المسلمون إلى مسجد رسول
الله صلى الله عليه وآله وأخذوا بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فبايعوه على العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله
وأمر بكل سلاح كان في دار عثمان وكان مما يتقوى به على المسلمين فقبضه وما كان غير
ذلك تركه ميراثاً على كتاب الله وسنة نبيه. انتهى ما يتعلق بنقله الغرض.

(١) في هـ. الف: الذمة: العهد والأمان. (٢) في هـ. الف: رهينة، أي مرهونة.

(٣) في هـ. الف: زعيم، أي كفيل، [والمعنى]: الحق ما أقول، أي ليس في قلبي كذب ولا في
وعدي خلف.

(٤) في نسخة ص: انه، وفي هامش ص: في نسخة: إن.

(٥) في هـ. ص: أي كشفت وأبانت، وفي هـ. الف: قوله: إن من صرّحت له العبر ... إلى آخره: في
ذلك إشارة إلى ... الاعتبار بوجوب التقوى، وعلى أن الاعتبار وسيلة إلى التقوى؛ ذلك لأن
من أخذت العناية زمام عقله ما صرحت به من آفات الدنيا، وكشف عبرها، وتبدّل حالاتها،
على من أوقف عليها همّه، واتخذها دار إقامة، شاهد أن كل ذلك أمور باطلة، فلا بد [أن] يفيض
الله سبحانه على صدره خشيته، وتلك الخشية متوقفة على أن يخلي نفسه من تلك الأمور
ويبتعد بسبب الاعتبار والتقوى عنها، والحاجز عن ذلك الفعل.

وأشار بالشبهات إلى ما يتوهم كونه حقاً ثابتاً باقياً لأمر غائبة زائلة، وليست هي كما تصوّر،
ولذلك سميت شبهة، لأنها تشابه الحق وتلتبس به.

وفي هامش آخر في الف: يعني عرفان حقارتي للأمور الدنياوية يمنع من الوقوع في
الشبهات. (٦) في هـ. ص والف: أي العقوبات.

(٧) كذا في ص والف، ولكن في ط وهـ. ص: في نسخة: حجزته. وفي هـ. الف: أي منعه،

والحجز: المنع. وفي هـ. د: حجره - ض وج.

(٨) في هـ. الف: تقحّم في الماء: أي القى بنفسه فيه.

بَلِيَّتِكُمْ^(١) قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا^(٢) يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ^(٣).
 وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتَبْلُغُنَّ^(٤) بَلْبَلَةً^(٥)، وَلَتَعْرَبُنَّ^(٦) غَرْبَلَةً^(٧)، وَلَتُسَاطُنَّ^(٨) سَوَاطِ
 الْقَدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلَكُمْ أَعْلَاكُمْ^(٩) وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ.
 وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوا، وَلَيَقْصُرَنَّ سَبَّاقُونَ^(١٠) كَانُوا سَبَقُوا^(١١).
 وَاللَّهِ مَا كُتِمْتُ وَشِمَّةٌ^(١٢) وَلَا كَذَبْتُ كَذِبَةً، وَلَقَدْ بُنِيتُ^(١٣) بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ.
 أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلُ شَمْسٍ^(١٤) حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجْمُهَا، فَتَفَحَّتْ^(١٥) بِهِمْ فِي النَّارِ.
 أَلَا وَإِنَّ التَّوْصِي مَطَايَا ذُلٍّ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأَعْطُوا أَرْمَتَهَا، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ.
 حَقٌّ وَبَاطِلٌ^(١٦)، وَلِكُلِّ أَهْلٍ، فَلَيْتُ أَمْرٌ^(١٧) الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ^(١٨)، وَلَيْتُ قَلَّ الْحَقُّ

(١) في هـ. ص: اي ابتلائهم واختبارهم. وفي هـ. الف: قد يعني: أقاسي من بليَّتكم مثل ما قاسى
 النبي ﷺ في ابتداء مبعثه من قومه. (٢) في هـ. الف: اي البلية.

(٣) في د: نبيكم ﷺ. (٤) في هـ. ص: اي لتحركن ولتخلطن.

(٥) في هـ. ص: البلبلة: الخلط. (٦) في هـ. أ: اي لتخلطن.

(٧) في هـ. ص: الغربة: النخل.

(٨) في هـ. الف: ساط القدر: إذا قلب ما فيها من طعام بحراك وإدارة، وفي هامش آخر: اي
 خلط القدر. وفي هـ. ص: السوط: الخلط.

(٩) في هـ. الف: أعلاكم: عزيزكم، أسفلكم: ذليلكم.

(١٠) في ص: سابقون.

(١١) في هـ. ص: المعنى أنهم كانوا سابقا يمتازون باعتبار السبق الى الايمان والإبطاء، والآن
 يمتازون باعتبار الدخول في الفتنة والسبق الى نصره الحق والإبطاء عنه.

(١٢) في الف: وشيمة. في ب: وسمة: وفي هامش د: وسمة - ك. وفي هـ. ص: اي كلمة مما ينبغي ان يقال
 في المقام، وفي هـ. الف: الوشيمة - بالشين المعجمة - الكلمة، وبغير المعجمة: العلامة والأثر.

(١٣) في هـ. الف: اي خبرت.

(١٤) في هـ. ص: جمع شمس، وهي النفور التي تمنع ظهرها وتلقي رايها. وفي هـ. الف: أي
 حرون، والشموس: الدابة تمنع ظهرها، وجمعه، شمس.

(١٥) في هـ. الف: التفحمت الذهاب بعنف.

(١٦) في هـ. ص: أي الأمر حق وباطل، ليس إلا أحدهما. وفي هـ. الف: اي في الدنيا حق وباطل... اي
 هذا حق وذاك وباطل، على تقدير المبتدأ، وفي الدنيا حق وباطل، على تقدير حذف الخبر.

(١٧) في هـ. ص: اي كثر، وفي هـ. الف: كثر ونما.

(١٨) في هـ. الف: بمعنى انفع، يقال: كسير مجبر: اي انجبر.

فَلَرَبُّمَا^(١) وَلَعَلَّ، وَلَقَلَّمَا أُدْبِرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ^(٢).

ومن^(٣) هذه الخطبة:

شُغِلَ^(٤) مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ سَاعٍ سَرِيعٌ نَجًّا^(٥)، وَطَالِبٌ بَاطِلِيٍّ^(٦) رَجَا، وَمُقَصِّرٌ^(٧) فِي النَّارِ [هَوَى] ^(٨).

الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ^(٩) مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ^(١٠)، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ^(١١) وَآثَارُ النُّبُوَّةِ^(١٢)، وَمِنْهَا^(١٣) مَنَقَدُ السُّنَّةِ^(١٤)، وَإِلَيْهَا^(١٥) مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ.

هَلَكَ مَنْ ادَّعَى^(١٦)، وَخَابَ مَنْ افْتَرَى^(١٧).

(١) في هـ. الف: اي لربما يكثر الحق، ورب للتقليل، واصله للتمني، اي فلعل يرجع الحق ... لقوله: لربما ادبر شيء فاقبل.

(٢) في هـ. ص: اي قد يجدون ذلك، فيه انذار وكشف عن غاية الامر، ثم استبعد ان يعود الامر اليه بعد صرفه عنه.

(٣) في نسخة جعلت هذه الفقرة خطبة مستقلة عنوانها هكذا: «وهذه الخطبة تضجّر بأحوال نفسه ﷺ»، هذا وفي أوب ود: صدر هذه الفقرة بكلام السيد الرضي الآتي بعد صفحات.

(٤) في هـ. الف: قوله: «شغل من الجنة والنار أمامه» سمات من كانت الجنة والنار أمامه، اي جعل له بهما شغل يكفيه عما عداه، ثم ذكر كلاما كأنه مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٥ / ٣٢] فقال الناس طبقات: ساع يسرع؛ فإنه ناج، ومقصر في الطاعة؛ فهو هالك، وطالب للخيرات؛ فهو راج.

فالأول هو المعصوم، والثاني هو الكافر، والثالث هو من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليه. (٥) في هـ. الف: اي من النار.

(٦) في هـ. الف: اي من خلطوا عملاً صالحاً بالسيئات.

(٧) في هـ. الف: الكفار. (٨) لم يرد «هوى» في ص وأ.

(٩) في هـ. الف: اليمين: الافراط، والشمال: التفريط.

(١٠) في هـ. الف: الجادة: الطريق المعظم، وهو ما عليه المعصوم.

(١١) في هـ. الف: ويروى: ما في الكتاب، وتقديره عند الكوفيين: الكتاب الباقي، وعند البصريين: الباقي من الكتاب.

(١٢) هـ. د: وروي عليها في الكتاب وعليها اثار النبوة - ر.

(١٣) في هـ. الف: اي من الجادة. (١٤) في هـ. الف: اي طريقة الشريعة.

(١٥) في هـ. أ: أي وإلى الجادة.

(١٦) في هـ. الف: اي بغير البيئة، أو ما ليس له أهل.

(١٧) في هـ. الف: أي على الله.

مَنْ أْبَدَى ^(١) صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ ^(٢) عند جهلة الناس ^(٣). وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ.

لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنٌّ أَصْلٍ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا ^(٤) زَرْعُ قَوْمٍ؛ فَاسْتَرَوْا بِبُيُوتِكُمْ ^(٥)، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ^(٦) وَالتَّوْبَةُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ^(٧)، وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَلْمُ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ ^(٨).

قال السيد:

وأقول: إن في هذا الكلام الأدنى من مواقع ^(٩) الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان ^(١٠). وإنَّ حَظَّ الْعَجَبِ ^(١١) مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ الْعُجْبِ بِهِ، وفيه - مع الحال التي وصفنا ^(١٢) - زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، ولا يطالع فجبها ^(١٣)

(١) في هـ. الف: أي اظهر. (٢) في هـ. الف: أي سقط قدره عندهم.

(٣) جملة: «عند جهلة الناس» لم ترد في ط ود.

(٤) في هـ. الف: أي على التقوى، مأخوذ من قوله تعالى في سورة الطلاق: ٦٠ / ٢: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

(٥) في ط ود: في بيوتكم. وكلمة «في» لم ترد في أ.

(٦) في هـ. الف: أي حقيقة وصلكم.

(٧) في هـ. الف: وكون التوبة وراء، لأن الجواذب جذبتة عن المعصية حتى أعرض عنها، والتفت بوجهه إلى ما كان معرضاً عنه من الندم على المعصية، وتوجه إلى القبلة الحقيقية؛ فانه يصدق عليه إذ ذاك أن التوبة وراءه، أي وراء عقلياً، وهو أولي من قول من قال: إن وراءكم الجنة، ووراءكم أي أمامكم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلَكٌ﴾.

(٨) في هـ. الف: هذا من قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ سورة النساء: ٧٩ / ٤.

(٩) في ب: بدائع، وفي هـ. ب: في مواقع.

(١٠) في هـ. الف: أشار بمواقع الاستحسان إلى «الفكر» من الناس؛ فانها من محال الاستحسان أيضاً؛ إذ أن الاستحسان من صفات المستحسن، أي أن الفكر لا يصل إلى محاسن هذا الكلام.

(١١) في هـ. الف: يقال: أعجبني هذا بحسنه، وأعجب فلان بنفسه، على البناء للمفعول، فهو معجب برأيه وبنفسه، والاسم: العجب، بالضم.

(١٢) في ب: وصفناه. (١٣) في هـ. الف: أي الطريق الواضح.

إِنْسَان، وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ^(١) إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحَقٍّ، وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ^(٢) ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٣).

قد روى هذه الخطبة ابو هلال العسكري الحسن بن عبد الله في كتاب الأوائل فقال: أول خطبة خطبها علي عليه السلام. أخبرنا ابو احمد الجوهرى عن أبي زيد عن محرز بن القاسم عن أبيه... ثم ساق كثيراً من ألفاظها وأكثرها باختلاف يسير في اللفظ وتقديم وتأخير والمعنى واحد.

وقال ابن أبي الحديد في الشرح: هذه الخطبة من جلائل خطبه عليه السلام ومن مشهوراتها، قد رواها الناس كلهم، وفيها زيادات حذفها الرضوي عليه السلام إما اختصاراً أو خوفاً من إيحاش السامعين، وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين» على وجهها^(٤)، ورواها عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: أول خطبة خطبها أمير المؤمنين علي عليه السلام بالمدينة في خلافته [حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله] ثم قال: أَلَا لَا يَرْعِيَنَّ^(٥) مُرْعٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ شُغْلٍ مِّنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ^(٦)، سَاعَ مَجْتَهِدٍ [يَنْجُو]^(٧)، وَطَالِبٍ يَرْجُو، وَمَقْصَرٍ فِي النَّارِ^(٨)؛ ثَلَاثَةٌ وَاثْنَانِ: مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ اللَّهَ بِجَنَانِهِ^(٩)؛ لَاسَادِسَ. هَلَكَ مَنْ ادَّعَى، وَرَدِيَ مِنْ اقْتَحَمَ، الْيَمِينَ^(١٠) وَالشَّامَالَ مَضَلَّةً.

(١) في ص: أقوله. (٢) في هـ: الف: أي على أصل.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٢٩ / ٤٣.

(٤) البيان والتبيين ٢: ٥٠ - ٥٢، ورواها أيضاً ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢: ٢٣٦.

(٥) في البيان: «أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه».

(٦) في البيان: «أما بعد فلا يرعى».

(٧) في البيان: «فإن من أرعى على غير نفسه شغل عن الجنة والنار أمامه».

(٨) من البيان، ولم يرد في ص.

(٩) في العيون: «ساع سريع نجا، وطالب بطيء رجا، ومقصر في النار هوى».

(١٠) كذا في ص، وفي الهامش: بيده. (١١) في البيان: فإن اليمين.

مَنْ أُبْدِيَ ^(١) صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ ^(٢) عند جهلة الناس ^(٣). وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ.

لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنٌّ أَصْلٍ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا ^(٤) زَرْعُ قَوْمٍ؛ فَاسْتَرَوْا بِبُيُوتِكُمْ ^(٥)، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ^(٦) وَالتَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِكُمْ ^(٧)، وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَلْمُ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ. ^(٨)

قال السيد:

وأقول: إن في هذا الكلام الأدنى من مواقع ^(٩) الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان ^(١٠). وإنَّ حَظَّ الْعَجَبِ ^(١١) مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ الْعُجْبِ بِهِ، وفيه - مع الحال التي وصفتنا ^(١٢) - زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، ولا يطلع فجاها ^(١٣)

(١) في هـ. الف: أي اظهر. (٢) في هـ. الف: أي سقط قدره عندهم.

(٣) جملة: «عند جهلة الناس» لم ترد في ط ود.

(٤) في هـ. الف: أي على التقوى، مأخوذ من قوله تعالى في سورة الطلاق: ٦٠ / ٢: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

(٥) في ط ود: في بيوتكم. وكلمة «في» لم ترد في أ.

(٦) في هـ. الف: أي حقيقة وصلكم.

(٧) في هـ. الف: وكون التوبة وراء، لأن الجواذب جذبتة عن المعصية حتى أعرض عنها، والتفت بوجهه إلى ما كان معرضاً عنه من الندم على المعصية، وتوجه إلى القبلة الحقيقية؛ فانه يصدق عليه إذ ذاك أن التوبة وراءه، أي وراءه عقلياً، وهو أولي من قول من قال: إن وراءكم الجنة، ووراءكم أي أمامكم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلَكٌ﴾.

(٨) في هـ. الف: هذا من قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾

سورة النساء: ٤ / ٧٩. (٩) في ب: بدائع، وفي هـ. ب: في مواقع.

(١٠) في هـ. الف: أشار بمواقع الاستحسان إلى «الفكر» من الناس؛ فانها من محال الاستحسان أيضاً؛ إذ أن الاستحسان من صفات المستحسن، أي أن الفكر لا يصل إلى محاسن هذا الكلام.

(١١) في هـ. الف: يقال: أعجبني هذا بحسنه، وأعجب فلان بنفسه، على البناء للمفعول، فهو معجب برأيه وبنفسه، والاسم: العجب، بالضم.

(١٢) في ب: وصفناه. (١٣) في هـ. الف: أي الطريق الواضح.

إِنْسَان، وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ^(١) إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحَقٍّ، وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِزِّ^(٢) ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٣).

قد روى هذه الخطبة ابو هلال العسكري الحسن بن عبد الله في كتاب الأوائل فقال: أول خطبة خطبها علي^{عليه السلام}. أخبرنا ابو احمد الجوهرى عن أبي زيد عن محرز بن القاسم عن أبيه ... ثم ساق كثيراً من ألفاظها وأكثرها باختلاف يسير في اللفظ وتقديم وتأخير والمعنى واحد.

وقال ابن أبي الحديد في الشرح : هذه الخطبة من جلائل خطبه^{عليه السلام} ومن مشهوراتها، قد رواها الناس كلهم، وفيها زيادات حذفها الرضوي^{عليه السلام} إمّا اختصاراً أو خوفاً من إيحاش السامعين، وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين» على وجهها^(٤)، ورواها عن أبي عبيدة مَعْمَر بن الْمُثَنَّى، قال: أوّل خطبة خطبها أمير المؤمنين علي^{عليه السلام} بالمدينة في خلافته [حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي^{صلى الله عليه وآله وسلم}] ^(٥) ثم قال: أَلَا لَا يَرْعِيَنَّ^(٦) مُرْعٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ شُغْلٍ مِّنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ^(٧)، سَاعٍ مَجْتَهِدٍ [يَنْجُو]^(٨)، وَطَالِبٍ يَرْجُو، وَمَقْصَرٍ فِي النَّارِ^(٩)؛ ثَلَاثَةٌ وَاثْنَانِ: مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ اللَّتَّةَ بِجَنَانِهِ^(١٠)؛ لَاسَادِسَ. هَلَاكَ مَن ادَّعَى، وَرَدِّي مَن اقْتَحَمَ، الْيَمِينِ^(١١) وَالشَّامَلِ مَضَلَّةً،

(١) في ص: أقوله. (٢) في هـ. الف: اي على اصل.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٢٩ / ٤٣.

(٤) البيان والتبيين ٢: ٥٠ - ٥٢، ورواها أيضا ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢: ٢٣٦.

(٥) في البيان: «أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه».

(٦) في البيان: «أما بعد فلا يرعين».

(٧) في البيان: «فإن من أرعى على غير نفسه شغل عن الجنة والنار أمامه».

(٨) من البيان، ولم يرد في ص.

(٩) في العيون: «ساع سريع نجا، وطالب بطيء رجا، ومقصر في النار هوى».

(١٠) كذا في ص، وفي الهامش: بيده. (١١) في البيان: فإن اليمين.

والوسطى هي ^(١) الجادة ^(٢)؛ منهج عليه باقي الكتاب والسنة وآثار النبوة. إن الله داوى هذه الأمة بدواءين: السيف ^(٣) والسوط؛ لاهوادة عند الإمام فيهما.

استترُوا في بيوتكم ^(٤) وأصلحُوا ذات بينكم ^(٥)، والتوبة من ورائكم.

من أبدى صفحته للحق هلك.

قد كانت، [لكم] ^(٦) أمور [ملتئم فيها عليّ مئة] ^(٧) لم تكونوا فيها عندي محمودين ^(٨) [ولامُصيبين] ^(٩). أما إني لو أشاء لقلت: عفا الله عما سلف. سبق الرجال وبقي الثالث كالغراب، همتُه بطنه، ويحهُ ^(١٠)، لو قص جناحاه، وقُطع رأسه لكان خيراً له!

انظروا، فإن أنكرتم فأنكروا، وإن عرفتُم فأزروا. حق وباطل، ولكل أهل. ولئن ^(١١) أمر الباطلُ لقديمًا فعل، وإن ^(١٢) قل الحق لربما ولعل، ولقلما ^(١٣) أدبر شيء فأقبل ^(١٤). ولئن ^(١٥) رجعتُ إليكم أموركم إنكم لسعداء، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة، وما علينا إلا الاجتهاد.

قال شيخنا أبو عثمان عليه السلام؛ وقال أبو عبيدة: وزاد فيها [في رواية جعفر بن محمد عليه السلام] عن آبائه عليهم السلام ^(١٦):

ألا إن أبرار عثرتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، ألا وإنا أهل بيت من علم الله علّمنا، وبحكم الله حكّمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تَتبعوا

(١) كلمة «هي» لم يرد في ط والبيان. (٢) الجادة: الطريق الواضح.

(٣) في ط والبيان: السوط والسيف.

(٤) في البيان: «استتروا ببيوتكم»، وفي العيون: «فاستتروا ببيوتكم».

(٥) في البيان: «وأصلحوا فيما بينكم». (٦) من البيان، ولم يرد في ص.

(٧) من البيان ولم يرد في ص. (٨) في البيان: «بمحمودين».

(٩) من البيان، ولم يرد في ص. (١٠) في البيان: «يا ويحه».

(١١) ص: وان. (١٢) في البيان: «ولئن قل».

(١٣) في ص: ولقلما. (١٤) في البيان: «ما أدبر شيء فأقبل».

(١٥) في ص: وإن. (١٦) في البيان: «وروى فيها جعفر بن محمد».

آثارنا^(١) تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يُهْلِكْكُمْ اللهُ بأيدينا. معنا^(٢) راية الحق؛ مَنْ تبعها لِحَقٍّ، وَمَنْ تأخَّر عنها غَرِقَ. ألاوبنا تُدْرِكُ^(٣) نَزَّةُ كل مؤمن، وبنا تخلع رُبْقَةُ الذِّلِّ عن أعناقكم^(٤)، وبنا فُتِحَ^(٥) لايكم، وبنا خُتِمَ^(٦) لايكم. قوله ﷺ: «لَا يُرْعَيْنَنَّ»:

أي لا يبيننَّ، أرعيتُ عليه، أي أبقيت؛ يقول: مَنْ أبقى على الناس فإنما أبقى على نفسه. والهوادة: الرفق والصلح، وأصله اللين، والتهويد: السير^(٧) رويداً، وفي الحديث: «أسرعوا المشي في الجنازة ولا تهودوا كما يهود أهل الكتاب». وآزرتُ زيدا: أعنته. والثرة: الوثر. والرُبْقَةُ: الحبل يُجعل في عنق الشاة^(٨).

قوله ﷺ: «ذمّتي بما أقول رهينة»:

أي هذا القول الذي أقوله واجب عليّ أن أقوله بسبب عقد الإمامة.

وقوله ﷺ: «أنا به زعيم»:

أي كفيل ضامن، وهذه المقدمة للترغيب، والاطناب للانتباه لما يقوله ﷺ وللقبول منه.

قوله ﷺ: «والطريق الوسطى ... إلى آخره»:

كالتصريح بطريق أهل البيت إذا اعتبرته إلى حديث: «إني تارك فيكم»^(٩) ونحوه.

(١) العبارة في ص هكذا: فإن تتبعون بآثارنا.

(٢) في ط: ومعنا.

(٣) في ط: يُدْرِكُ.

(٤) في البيان: من أعناقكم.

(٥) في البيان: فتح الله.

(٦) في ط: تختم، والشارح ضبطها هكذا: «تُخْتَم» كما في ط.

(٧) في ط: المشي.

(٨) الكلام بطوله منقول من شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٧٧.

(٩) حديث الثقلين مشهور متواتر ذكره أحمد بن حنبل في المسند ج ١: ٩١ وج ٣: ١٤، ١٧،

٢٦، ٥٩، وج ٤: ٣٧١، ٣٦٧ وج ٥: ١٨٢.

والى قوله ﷺ: «نحن النمرقة الوسطى»^(١)، والمراد «بالعاقبة» أمر المهدي ﷺ.

قوله ﷺ: «عند جهلة الناس»:

مراده - على هذه الرواية - انه يغلبه أهل الجهل اذا صرخ بالحق ويضللونهُ؛ لأنهم العامة الكثيرة، وفيه اشارة الى ما روي عن علي بن الحسين ﷺ:

إِنِّي لَأَكْثَمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرِهِ كَيْلَا يَرَى الْحَقُّ ذُو جَهْلٍ فَيَفْتِنَنَا إِلَى آخِرِ الشَّعْرِ.^(٢)

وليس في رواية: «عند جهلة الناس»، قال في الشرح: «وهي الصحيحة، ومعناها: من كاشف الحق مخاصماً له هلك، وهي كلمة جارية مجرى المثل»^(٣).

أو أن مراده معنى قوله ﷺ: «من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله، فمن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه حق الله»، والله اعلم.

قوله ﷺ: «ولئن^(٤) رجعت إليكم أموركم»^(٥):

أي إن ساعدني الوقت، وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالى ورسوله، وعادت لكم^(٦) أيام شبيهة بأيام رسول الله ﷺ، وسيرة شبيهة بسيرته في أصحابه؛ إنكم لسعداء.

ثم قال: «وإني لأخشى أن تكونوا في قفرة»، الفترة هي الأزمنة التي بين الأنبياء ينقطع

(١) وهو قول أمير المؤمنين ﷺ، وقد ذكره الرضي في النهج، الحكمة: ١٠٩.

(٢) وتامه:

وقد تقدّم في هذا أبوحسن	إلى الحسين وأوصى قبله الحسن
فربّ جوهر علم لوأبوح به	لقليل لي أنت ممّن يعبد الوئنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وهذه الابيات ذكره الشبلنجي في نور الابصار ص ١٢٩ والآلوسي في روح المعاني ج ٦ ص ١٩٠ والفيض الكاشاني في الحقائق. (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٧٤.

(٤) في ص: وإن.

(٥) هذه الجملة وما بعدها لم ترد في النهج، وانما اورده الشارح عن الزيادات التي كان قد حذفها الرضي ﷺ نقلاً عن شرح ابن أبي الحديد.

(٦) في ط من نهج شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨١: وعادت إليكم.

فيها الوحي، وأراد به ﷺ هنا المدة التي يخلو فيها الزمان من امام الحق والداعي إلى الصدق؛ لأنّته يضعف فيها الدين وتضمحل فيها الشرائع، وكأنّته ﷺ كان يعلم أن الأمر سينضرب^(١) عليه.

ثم قال: «وما علينا إلا الاجتهاد»، يقول: أنا أعمل بما يجب عليّ من الاجتهاد في القيام بالشرعية، وعزل ولادة السوء وأمراء الفساد عن المسلمين، فإنّ تمّ ما أريده فذاك، وإلا كنت قد أعذرت^(٢).

قال في الشرح: وأما الزيادة التي^(٣) عن جعفر بن محمد ﷺ فواضحة الألفاظ، وقوله آخرها: «وبنا تُختم لايكم»^(٤) إشارة إلى المهدي الذي يظهر آخر الزمان. وأكثر المحدثين على أنّه من ولد فاطمة ﷺ. وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه وقد صرحوا بذكره في كتبهم [واعترف به شيوخهم]^(٥)، إلاّ أنه عندنا لم يخلق بعد^(٦).

(١) في ط: سيضطرب.

(٢) ذكر ذلك ابن أبي الحديد في ١ : ٢٨١، ولم يشر إليه الشارح، ويحتمل ان سبب ذلك هو تصرفه في عبارات ابن أبي الحديد. (٣) في ط: وأما التتمة المروية عن.

(٤) هذه العبارة تختلف عما اوردها الشارح نقلا عن ابن أبي الحديد في ١ : ١٩٨.

(٥) ما بين المعقوفتين من ط.

(٦) ان الزيدية يتفقون مع بعض طوائف السنة في انكار وجود المهدي في هذا العصر، ويقولون انه سيولد آخر الزمان، ولعل هذا هو السبب في أنّ المصنف لم يعلق على كلام ابن أبي الحديد هنا بشيء، ولكن الصحيح هو ان المهدي مخلوق وحيّ في هذا الوقت، وانه قد ولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية في مدينة سامراء، وابوه هو الإمام الحادي عشر من ائمة الامامية وهو الحسن بن علي العسكري.

وأُمّه أم ولد تدعى «نرجس» وهي من احفاد أحد حوارى عيسى بن مريم ﷺ.

وقد ذكر تفصيل ولادته جميع علماء الإمامية، وكتبهم مشحونة بذلك، وفصل بيان ولادته ﷺ بحزبياتها محمد خواجه يارسا البخاري في كتابه فصل الخطاب ص ٣٨٦ واورده القندوزي في ينابيع المودة.

وقد جمع السيد محسن الأمين قائمة بأسماء الكثير من علماء السنة ممّن أقر بوجود الامام المهدي في زمانهم، منهم الحافظ محمد بن يوسف الشافعي.

ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى ^(١) للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل:
 إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى رَجُلَانِ:

رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ فَهُوَ جَائِرٌ ^(٢) عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ^(٣)،
 مَشْغُوفٌ ^(٤) بِكَلَامٍ بَدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ ^(٥) افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيٍ مَنْ
 كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنْ افْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، خَمَالٌ خَطَايَا ^(٦) غَيْرِهِ،

→ ومنهم الحافظ نور الدين بن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة حيث قال: «محمد بن الحسن ولد سامراء في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية، وامه ام ولد اسمها نرجس».

ومنهم الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب اليواقيت والجواهر: ٦٥.

ومنهم الشيخ محمد بن العربي في الفتوحات المكية ص ٤٤٢، وفي هؤلاء من صرح بان المهدي عليه السلام ولد سنة ٢٥٥ هـ مع عدم اعتقاده بما يعتقده اهل الحق من امامته عليه السلام وخلافته للرسول صلى الله عليه وآله.

راجع التفصيل عن اسماء الرواة والمؤرخين الذين صرحوا بولادة الامام المهدي في كتبهم في موسوعة اعيان الشيعة للسيد محسن الامين ٢: ٦٤-٧٠، ط / دار التعارف - بيروت.

وهناك الكثير من الاخبار التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومفادها: ان الامام المهدي هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام، ومن تلك الاخبار ما رواه القندوزي في «ينابيع المودة» عن كتاب «مودة القريب» باسناده عن سليم بن قيس عن سلمان، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله، فاذا الحسين عليّ فخذه، وهو يقبل عينيه ويقبل فاه، ويقول: «انت سيّد، ابن سيّد، وانت امام، ابن امام، وانت حجّة ابن حجّة، وانت أبو جحجح تاسعهم قائمهم». وروي مثله - ايضاً - عن المناقب لموفق بن احمد الخوارزمي.

وهناك روايات اخرى تذكر ان المهدي هو ابن الامام الحسن العسكري، انظر إسعاف الراغبين ص ١٥٧ ويناابيع المودة ص ٤٥١ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٢٥٨ وغيرها. ولزيادة التفصيل راجع كتابنا «احاديث المهدي من مسند احمد بن حنبل، والمقدمة المفصلة التي كتبناها لتلك الأحاديث.

(١) في هـ. الف: اي يتعرض. (٢) في هـ. الف: اي حائل.

(٣) في هـ. الف: أي الطريق المستقيم. (٤) في هـ. الف: اي حريص.

(٥) من اول الكلام الى هذا الموضع ساقط من ب.

(٦) في هـ. أ: هو من قول النبي صلى الله عليه وآله «من سنّ سنة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم

مرتَهْنٌ^(١) بِخَطِيئَتِهِ^(٢).

وَرَجُلٌ قَمَشٌ^(١) جَهْلًا، مُوضَعٌ^(٢) فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ، غَارٌ^(٣) فِي أُغْبَاشِ^(٤) الْفِتْنَةِ، عَمٌ^(٥) بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ^(٦) عَالِمًا، وَلَيْسَ بِهِ بَكْرٌ فَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَمْعٍ^(٧) مَا لَوْ^(٨) قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى^(٩) مِنْ آجِنٍ^(١٠) وَاكْتَتَرَ^(١١) مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ^(١٢) جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا، ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّا^(١٣) لَهَا حَشْوًا^(١٤)

→ القيامة» ومن قول العرب: «زلة العالم زلة العالم».

وقال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَى إِلَى الْهُدَى فَاتَّبِعْ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ تَبِعَهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَى إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتَّبِعْ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ تَبِعَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيُخْلِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ النحل: ٢٥/١٦.

(١) فِي «أ» وب وط ود: رهن وفي هـ. الف: أي مرهون.

(٢) فِي هـ. ص: أي مرهون بخطيئته مع خطايا غيره كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ النحل ٢٥ / ١٦.

(١) فِي هـ. ص: أي جمع من شتات، لا من أهل العلم، وفي هـ. الف: القمش: جمع الشيء المتفرق، والمجموع: قماش.

(٢) فِي هـ. ص: أي مسرع به، وفي هـ. الف: موضع - بالفتح - أي مسرع به.

(٣) فِي ب: غاد، وفي ط. عاد وفي هامش د: عاد - ج، عاد - ك، وروي: عاد - ر، وفي هـ. الف: غار، أي غافل، وهامش آخر: غار من العدو: أي ساع.

(٤) فِي هـ. د: اغطاش - م وك و ر في هـ. الف: وروي اغطاش، والمعنى واحد، قال تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ النازعات: ٧٩ / ٢٩ وفي هامش آخر: اغباش: أي الظلم. وفي هـ. ص:

جمع غبش، وهويقة ظلمة الليل.

(٥) فِي هـ. ص: أي هو عام.

(٦) فِي هـ. الف: أي الجهال.

(٧) فِي هـ. الف: أي عدم فضل.

(٨) فِي أ و ط و د: ما قل، وفي هـ. ص: الذي في أمالي الامام أبوطالب رضي الله عنه: وما قل منه خير مما كثر، وهذا تركيب صحيح الاعراب، و«لو» ساقط في بعض نسخ النهج... و«ما» مبتدأ، و«خير» خبر.

(٩) فِي د: ماء آجن، وفي هـ. ص: أي مشروب متغير منتن.

(١٠) فِي ب وهـ. أود: وأكثر - ن وك، وفي هـ. أ: أي اتخذ كنزاً.

(١١) فِي هـ. الف: أي غير علم مفيد.

(١٢) فِي هـ. الف: أي أعد، وفي هامش من آخر منه: أي قصد.

رَأَى^(١) مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَيْسَ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ، لَا يَذْرى
أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، إِنَّ^(٢) أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ،
جَاهِلٌ خَبَاطُ جَهَالَاتٍ، عَاشِ^(٣) رَكَابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعْصَ عَلَى الْعِلْمِ بِضَرْسٍ قَاطِعٍ، يُذْري
الرَّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ^(٤)، لَأَمْلِي^(٥) - وَاللَّهِ - بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا
فُوضَ إِلَيْهِ^(٦)، لَا يَخْسِبُ الْعِلْمُ^(٧) فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى^(٨) أَنْ وَرَاءَ مَا بَلَغَ
مَذْهَباً^(٩) لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرًا كُنْتُمْ بِهِ، لَمَّا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ^(١٠) مِنْ جَوْرِ
قَضَائِهِ الدَّمَاءِ، وَتَعَجُّ^(١١) الْمَوَارِيثُ مِنْهُ^(١٢).
إِلَى اللَّهِ [أَشْكُوا]^(١٣) مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَالاً، وَيَمُوتُونَ ضَلَالاً، لَيْسَ فِيهِمْ سَلْعَةٌ أَبْوَرُ^(١٤)

(١٤) في هـ. الف: اي كلاماً كثيراً لا طائل فيه.

(١) في هـ. الف: اي خلقاً ضعيفاً. (٢) في ط ود: فإن.

(٣) في هـ. الف: من يدور في الظلمات كالخفاش.

(٤) في هـ. الف: النبات اليابس المتكسر والشجرة البالية. وفي هـ. ص: وهو ما ييس من النبات
وتحطم.

(٥) في هـ. أ: في نسخة: ولا هو ملي، وفي هـ. ص: اي غير مستأهل.

(٦) هـ. د: في بعض النسخ: لما قرظ به.

(٧) في هـ. الف: يحسب، من الحساب، اي لا يعده، وبالكسر من الحساب، اي لا يظن، اي

لا يعقل العلم وأفضليته بحسب اعتقاده، واعتباره بها، فهو مما انكره، وفي هامش آخر: اي

لا يعده شيئاً... خالياً من الكمال والفضيلة. (٨) في هـ. الف: اي لا ينظر.

(٩) هـ. د: ما بلغ مذهباً - ض، ح. (١٠) في هـ. الف: اي تستغيث.

(١١) في أ، ب، د، ط: وتعج منه المواريث وفي هـ. أ: اي تصيح منه، والعج: رفع الصوت،

وهو استعارة في الشكاية الى الله.

(١٢) في هـ. الف: في نسخة: منه تعالى وفي المطبوعه. منه الى الله.

(١٣) من أود، وهذه الكلمة غير موجودة في ص ولا في ب، والعبارة في أ هكذا: «الى الله

تعالى اشكوا». وفي هامش نسخة ص ما يلي: قال في الشرح: وفي كثير من النسخ: «الى الله

اشكوا» فمن روى ذلك وقف على المواريث، ومن روى الرواية الأولى وقف على قوله: «إلى

الله» ويكون قوله «من معشر» من تمام صفات ذلك الحاكم، أي هو من معشر صفتهم كذا،

انتهى من شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨٦.

(١٤) في هـ. ص: أفعل من البوار، وهو كساد السلعة، وفي هـ. الف: اي أكسد.

مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَّ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ^(١)، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ^(٢) بَيْعًا، وَلَا أَعْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ^(٣) عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ^(٤) مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ.

قوله ﷺ: «يُذَرِّي الروايات»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: هكذا أكثر النسخ، وأكثر الروايات: «يُذَرِّي» من «أَذَرِي» رباعياً؛ وقد أوضحه بقوله ﷺ: «إِذْرَاءَ الرِّيحِ»، يقال: طعنه فأذراه، أي ألقاه، وأذريت^(٥) الحَبَّ للزرع، أي ألقيته، فكأنه يقول: يُلقِي الروايات كما يُلقِي الإنسان الشيء في الأرض؛ والأجود الأصح: الرواية الأخرى: «يُذَرِّو الرِّوَايَاتِ ذَرُّو الرِّيحِ الهشيم». وهكذا ذكر ابن قتيبة في غريب الحديث لما ذكر هذا عن أمير المؤمنين ﷺ، وليس في نسخة ابن أبي الحديد: «ولا هواهل لما فوض إليه، بل»^(٦) قال في الشرح: وفي كتاب ابن قتيبة تنمة هذا الكلام: «ولا أهل لما قُرِظَ به»، قال: أي ليس بمستحق للمدح الذي مُدِّح به. والذي رواه ابن قتيبة من تمام كلام أمير المؤمنين ﷺ هو الصحيح الجيد، لأنه يُستقْبَح في العربية أن تقول: لا زيدَ قائم، حتى تقول: ولا عمرو. أو تقول: ولا قاعد؛ فقوله ﷺ: «لا مليء» أي لا هو مليء، وهذا يستدعي «لا» ثانية، ولا يحسن الاختصار على الأولى، انتهى^(٧)

قلت: والأولى أن يكون تقدير الكلام على الرواية الأولى: هو لا مليء، فلا يحتاج إلى تكرير «لا» أخرى؛ لأنها لم تدخل على المعرفة، ولأنها هنا بمعنى غير، والله اعلم.

قال الامام أبو عبد الله الحسين بن اسماعيل الجرجاني - الموفق بالله - في كتابه «سلوة العارفين» في تفسير الفاظ هذا الكلام: أغباش الفتنة، واحدها: غباش، ويقال لبقايا

(١) في هـ. ص: أي فُسِّر بما أراده الله به. (٢) في هـ. أ: أي أكثر ربحاً.

(٣) في هـ. ص: أي بالتأويل.

(٤) في هـ. ص: هنا ما يلي: لاشك أن كل مخالف في أهل البيت يعدّون مذهبهم في الأصول والفروع بدعة ومنكراً، وخلاف مذهبهم سنة ومعروفاً. هذا معلوم، ولا يروون من أقوالهم إلا ما يستشنعونه تشنيعاً. (٥) في ص: وذريت.

(٦) الملاحظ أن هذه العبارة موجودة في ط من شرح ابن أبي الحديد، راجع ١: ٢٨٣، والظاهر أنها لم تكن موجودة النسخة التي اعتمد عليها المصنف.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٥.

ظلمة الليل: غبش، وروي: كنا نصلي الفجر خلف رسول الله ﷺ والنساء ملتحفات بمروطهن، ما يعرفن من الغبش.^(١)

والهدنة - بالسكون - يقال: هدن الشيء، اذا سكن؛ والمهادنة: المصالحة؛ سميت بذلك لأن السكون بها يحصل.

أراد أنه لا يعرف ما في الفتنة من الشر ولا ما في السكون من الخير.

قوله ﷺ: «رجلان»:

قال في الشرح: إن قيل: يتناولنا الفرق بين الرجلين اللذين أحدهما رجل وكله الله إلى نفسه، والآخر رجل قمش جهلاً، فإنهما في الظاهر واحد؟

قيل: أما الرجل الأول، فهو الضالّ في أصول العقائد، كالمشبّه والمجبّر ونحوهما؛ ألا تراه كيف قال: «مشغوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة» وهذا يشعر بما قلناه، من أن مراده به المتكلم في أصول الدين، وهو ضالّ عن الحق، ولهذا قال: «إنه فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدى من كان قبله، مضلّ لمن يجيء بعده» وأما الرجل الثاني فهو المتفقه في فروع الشريعات، وليس لذلك بأهل، كفقهاء السوء، ألا تراه كيف يقول: «جلس بين الناس قاضياً».

وقال أيضاً: «تصرّخ من جور قضائه»^(٢) الدماء، وتعيّج منه المواريث»، انتهى^(٣)

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام مناهج يسلكها في كلامه من اتبته لها عرف مقاصده، وذلك أنه يذم مذموماً مجملاً يذكره بصفاته، ويمدح ممدوحاً مجملاً يذكره بصفاته.

ويذكر - أيضاً - أن أهل البيت هم أهل الحق، ويأمر باتباعهم، ويحث على الكون معهم، فيكون ذلك بياناً للممدوح المجمل وتنبهها على أن المذموم المجمل هو مخالفهم؛ لأن المحق ضدّ المبطل.

فاعتمد هذه القاعدة تعلم مراده، والله اعلم.

(٢) في ص: «جوره».

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٦.

قوله ﷺ : «من آجن»:

اي من ماء متغير، يقال أجن الماء وأسن، اذا تغير. شبه به علمه.

قوله ﷺ : «إحدى المبهمات»:

أي مسألة مشكلة، ويقال لها: مُبْهَمَة؛ لأنها أُبْهِمَتْ عن البيان، تشبيها بالليل البهيم الداجي، ومنه قيل لمصمت اللون الذي لاشية له: بهيم.

قوله ﷺ : «خَبَّاطُ عَشَوَات»^(١):

اي يخبط في الظلمات، وخابط العشومثل الذي يمشي في الليل بلا مصباح، فيعمه ويتحير ويضل، وربما تردى في وادٍ أو سقط على سبع.

يقال في امثله : «سقط العشاء به على سرحان»، يقال: إنَّ خارجاً خرج يطلب العشاء فسقط على ذئب فأكله.

قوله ﷺ : «لم يعض»:

أي: لم يتقن. ولم يُحْكَمْ، ويقال: عضَّ فلان على ناجذه، وكذلك الضرس، ويقال: رجل منجذ: اذا كان محكماً، وأصله من طلوع الناجذ، والعامة تقول: انه ضرس الحلم^(٢)، كأنَّ الحلم يأتي مع طلوعه ويذهب عنه طيش الصبا ونزقه.

قوله ﷺ : «ذرو الرياح الهشيم»^(٣):

اي: ينسف الرواية كما تنسف الريح هشيم التبت وما تفتت، منه قوله تعالى: «هشيمًا تذروه الرياح»^(٤).

قوله ﷺ : «لا ملي»:

اي: ليس هو بكامل ردِّ ما يسأل عنه، انتهى^(٥).

(١) لم ترد هذه العبارة في الخطبة، وانما كان فيها «خَبَّاطُ جَهالات، عاش رَكَّابُ عَشَوَات»، فلاحظ.

(٢) انما يسمى ضرس الحلم؛ لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل [الصحاح].

(٣) هذه العبارة وردت في الخطبة هكذا: «اذراء الرياح الهشيم».

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٨.

(٤) الكهف: ٤٥/١٨.

ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا^(١):

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِّنَ الْأَحْكَامِ، فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ؛ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ^(٢) الَّذِي اسْتَفْضَاهُمْ؛^(٣) فَيَصُوبُ^(٤) آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَالْهَيْئُ وَاحِدٌ، وَنَبِيَّهُمْ وَاحِدٌ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ. أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ^(٥) بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ، أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ، أَمْ أُنْزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ^(٦) دِيناً نَاقِضاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ! أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ^(٧) فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى! أَمْ أُنْزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ^(٨) دِيناً تَامّاً فَقَصَرَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَذَاهِهِ؛ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ^(٩)، وَقَالَ: ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١٠). وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١١).

وَأَنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ،^(١٢) وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ،^(١٣) لَا تَقْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي^(١٤) غَرَائِبُهُ،

(١) في هـ أ مايلي: الفتيا والفتوى، لغتان بمعنى واحد.

(٢) في د: عند امامهم. (٣) في هـ. أ مايلي: أي جعلهم قضاة.

(٤) في هـ. أ مايلي: يقول كل واحد منهم مصيب في ما أدى إليه اجتهاده وفي ظنه.

(٥) في ط ود: تعالى. (٦) ما بين المعقوفتين لم يرد في ص.

(٧) في هـ. أ: في نسخة: لله. (٨) ما بين المعقوفتين لم يرد في ص.

(٩) سورة الانعام: ٣٨/٦.

(١٠) سورة النحل: ١٦ / ٨٩، والعبارة في ط هكذا: وفيه تبيان كل شي. وفي ب: لكل شي.

(١١) سورة النساء: ٨٢/٤، وفي هـ. ب: يريد به الالفاظ ولا يريد به المعاني.

(١٢) في هـ. ص: اي موق، [يقال: اينقني الشيء: اعجبني. وفي هـ. أ: عجب بأحسن العجب،

وفي هـ. ب: انيق معجب.

(١٣) في هـ. أ: اي معانيه كثيرة، منها ظاهر، ومنها خفي لا يطلع الله عليه إلا الأنبياء. وفي هـ. أ:

يحتاج الي تأمل تام، وقيل: اي لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم.

وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ^(١).

قوله ﷺ: «وباطنه عميق»:

اي ان مدلولاته كثيرة، فالآية الواحدة تدل على أحكام كثيرة، وكلما كشف الله لعبده من صفوته سرّاً من أسرارهِ ظهر له، ولمن وقفه عليه عجب، كذلك حاله مستمر وهذا كما روي عنه ﷺ: «ما من شيء إلا وحكمه في القرآن، ولكن رأي الرجل يقصر عنه»^(٢). وقال في شرح ابن أبي الحديد: يقول: لا ينبغي أن يحمل جميع ما في الكتاب العزيز على ظاهره؛ فكم من ظاهرٍ فيه غير مرادٍ، بل المراد به أمر آخر باطن، والمراد الردّ على أهل الاجتهاد الأحكام الشرعية، وإفساد قول من قال: كل مجتهد مصيب، وتلخيص الاحتجاج من أوجه^(٣).

أحدها: (٤) أنه لما كان الإله سبحانه واحداً، والرسول ﷺ واحداً، والكتاب واحداً، وجب أن يكون الحكم في الواقعة واحداً؛ كالملك الذي يُرسل إلى رعيته رسولا بكتابٍ يأمرهم فيه بأوامرٍ يقتضيها مُلكه وإمرته، فإنه لا يجوز أن تتناقض أوامره، ولوتناقضت لُنسب إلى السفه والجهل^(٥).

وثانيها: لا يخلو الاختلاف الذي ذهب إليه المجتهدون، إما أن يكون مأموراً به أو منهيّاً عنه، والأوّل باطل؛ لأنّه ليس في الكتاب والسنة ما يمكن الخصم أن يتعلّق به في كون الاختلاف حقّاً مأموراً به. والثاني حقّ، ويلزم منه تحريم الاختلاف. وثالثها: إما أن يكون دين الإسلام ناقصاً أو تامّاً، فإن كان الأوّل، كان الله سبحانه قد استعان بالمكلّفين على إتمام شريعةٍ ناقصة قد^(٦) أرسل بها رسوله، إمّا استعانةً على سبيل

(١) في هـ. أ: اي القرآن.

(١٤) في هـ. أ: اي لا تنقطع.

(٢) الموجود في النهج: «في القرآن نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم» كما في الحكمة رقم ٣١٣. ولعل هذه رواية أخرى عنه ﷺ غير ما في النهج.

(٤) في ط: الاول ... والثاني ... وهكذا.

(٣) في ط: من خمسة اوجه.

(٦) كلمة «قد» ساقطة من المطبوعة.

(٥) في ط: الجهل والسفه.

النيابة عنه، أو على سبيل المشاركة له، وكلاهما كفر.

وإن كان الثاني، فإمّا أن يكون الله تعالى أنزل الشرع تامّاً، فقصر الرسول عن تبليغه، أو يكون الرسول قد بلغه^(١) على تمامه وكماله.

فإن كان الأول فهو كفر أيضاً؛ وإن كان الثاني، فقد بطل الاجتهاد؛ لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لم يبيّن؛^(٢) فأما ما قد بيّن فلا مجال للاجتهاد فيه.

ورابعها: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣)، وقوله: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٥).

فهذه الآيات دالة على اشتمال الكتاب العزيز على جميع الأحكام؛ فكل ما ليس في الكتاب وجب ألا يكون من الشرع.^(٦)

وخامسها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٧)، فجعل الاختلاف دليلاً على أنه ليس من عند الله، لكنه من عند الله سبحانه بالأدلة القاطعة الدالة على صحة النبوة، فوجب ألا يكون فيه اختلاف.

واعلم أن هذه الوجوه هي التي يتعلّق بها الامامية ونفاة القياس والاجتهاد الشرعيات، وقد تكلم عليها أصحابنا في كتبهم، وقالوا: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يجتهد ويقيس، وادّعوا اجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس، ودفعوا صحة هذا الكلام المنسوب في هذا الكتاب الى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالوا: أنه من رواية الامامية، وهو معارض بما ترويه الزيدية عنه وعن أبنائه عليه السلام في صحة القياس والاجتهاد، ومخالطة الزيدية لأئمة أهل البيت عليه السلام كمخالطة الامامية لهم؛ ومعرفتهم بأقوالهم وأحوالهم ومذاهبهم كمعرفة الامامية، لافرق بين الفئتين في ذلك. والزيدية قاطبة جاروديتها وصالحيتها^(٨) تقول

(١) في ط: بلغه.

(٢) في ط: يتبين.

(٤) سورة النحل ١٦ / ٨٩.

(٣) سورة الانعام: ٣٨ / ٦.

(٦) في ط: في الشرع.

(٥) سورة الانعام: ٥٩ / ٦.

(٧) سورة النساء: ٨٢ / ٤.

(٨) الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ وهم أصناف ثلاثة:

بالقياس والاجتهاد، وينقلون في ذلك نصوصاً عن أهل البيت عليهم السلام. وإذا تعارضت الروايتان تساقطتا، وعدنا الى الأدلة المذكورة في هذه المسألة، انتهى كلامه^(١).

وأقول: لعمرى لقد ارتكب بقوله: (واعلم...الى آخره) مركباً وعرأً وأبطل ما قرره في مواضع وبالع في الاحتجاج له، وهو صحة كل نهج البلاغة وأنه كلام أمير المؤمنين وسنده الذي اعتمد عليه في تصحيح كلّه، وهو أن له نفساً وأسلوباً يتميز به عن غيره، موجود في هذا الكلام.

وإذا سوّغ دعوى الانتحال فيه لزمه تحريره في غيره مما اشتمل عليه هذا الكتاب، وكان له عن ذلك مندوحة، بأن يحمله على ما حمله عليه أئمة الزيدية وعلمائهم المحققون، من أنه ردّ على طائفة من أهل الاجتهاد خاصة، وهي التي تقول: «بأن كل مجتهد مصيب» «وانه ليس لله في الحوادث المتجددة حكم واحد، المصيب من أصابه والمخطيء من أخطأه، بل حكم الله فيها على كل أحد ما ظنّه، وأنه حكم الله عليه في نفس الأمر» فهذا ونحوه ردّ لهذا المذهب.

وفي شرح ميشم بن علي: وفي هذا الكلام تصريح بأنه عليه السلام كان يرى أن الحق في جهة، وانه ليس كل مجتهد مصيباً.

وهذه المسألة ممّا انتشر الخلاف فيها - وساق كلاماً كثيراً -.

ومن العجب أن الشارح ابن أبي الحديد قرر فيما سيأتي أن أمير المؤمنين عليه السلام يمنع الاجتهاد وينفيه^(٢)، وأنه مذهبه، وأنه قد كرر ذكره في مواضع من كلامه في نهج البلاغة. ولعمرى أن دلالة كلامه في هذه المواضع على منع كون كل مجتهد مصيباً واضحة فإن حملناه على الدلالة على منع الاجتهاد فهو منعه من كل أحد وتجويزه من مخصوصين خصتهم الأدلة، وقد ذكرنا هذا الوجه فيما سيأتي وبيناه بما وضّح صحّته وسيأتي ان شاء الله.

→ جرير، وصالحية أصحاب الحسن بن صالح بن حي، ومن هؤلاء البترية: أصحاب كثير الأثر.

وانظر تفصيل مذاهبهم في الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٣٧ - ١٤٣.

(٢) سورة الانعام: ٦/ ٥٩.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩.

قلت: ان في كلام ابن أبي الحديد هنا مواقع للنظر:

اولاً: دعواه انتحال هذا الكلام وأنه ليس لأمير المؤمنين عليه السلام في حين أنه ادعى قبل ذلك أن كل نهج البلاغة هو من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأنه عرف ذلك بتعرفه على الاسلوب الذي يتميز به أمير المؤمنين عليه السلام في الكلام، فدعواه الانتحال هنا يناقض ما سلف منه.

ثانياً: قوله: «والمراد الرد على أهل الاجتهاد في الأحكام الشرعية» في حين أن هذا الكلام ليس هو برد على مطلق أهل الاجتهاد، كيف؟ وأمير المؤمنين عليه السلام كان هو من أهل الاجتهاد ويعمل به في كثير من القضايا والأحكام، وأنه لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله قاضياً باليمن دعاه بالتسديد، وكان يجتهد بعد ذلك في القضاء.

بل المراد: الرد على طائفة خاصة، وهم الأشاعرة القائلون بالتصويب وتعدد أحكام الله تعالى في الواقع بحسب تعدد آراء المجتهدين. والقائلون بأن ظن المجتهد بالحكم يكون كاشفاً عن كون ذلك هو حكمه بحسب الواقع، إذ حينئذ يتم ما ادعوه وهو كون كل مجتهد عالماً بما هو حكم الله تعالى في الواقع، وهؤلاء يعرفون بالمصوبة.

وأما الإمامية، فيقولون: إن لله سبحانه وتعالى حكيمين واقعي، وهو الحكم الذي كلف به البشر ابتداءً، ويعتبر في تعلق التكليف به علم المكلف.

وحكم ظاهري، وهو الذي يستفاد من ظاهر الشرع بمقتضى الأدلة الشرعية، سواء كان هذا الظاهري مطابقاً للحكم الواقعي، أولاً.

وحيث ان الأحكام الظاهرية متعددة بحسب اختلاف أنظار العلماء والمجتهدين، فلا بد من أن يكون المطابق للواقع هو واحداً لا غير.

وحينئذ يكون واحداً مصيباً والآخرين مخطئون، وإن أوجروا على الخطأ أيضاً؛ لما بذلوه من الوسع والاجتهاد في درك الحكم الواقعي.

وهذا معنى ماورد في الحديث الشريف: «ان للمجتهد المصيب أجران وللمخطيء أجر واحد».

ويطلق على من يلتزم ما ذكرناه في الاحكام الشرعية بالمخطئة.
وثالثاً: قول ابن أبي الحديد: ان مخالطة الزيدية لأئمة اهل البيت عليهم السلام كمخالطة الامامية لهم. غير صحيح.

فإن أئمة اهل البيت عند الامامية هم اثني عشر خليفة لرسول الله كما قال عليه السلام - «سيكون بعدي اثني عشر خليفة»^(١)، آخرهم المهدي عجل الله فرجه في حين ان الزيدية لا يحصرون الأئمة بعدد خاص، وهم يفترون في إمامة أهل البيت عن الامامية في زيد بن علي وابنائهم، فإن الزيدية تدّعي أنه الامام بعد أبيه زين العابدين، والامامية ترى أن الامامة لأخيه الامام محمد الباقر عليه السلام، فكيف يكون مخالطة الزيدية لأئمة اهل البيت كمخالطة الإمامية لهم، إن ما ينقله الزيدية من نصوص القياس والاجتهاد فهو مروي عن أئمتهم لا عن أئمة اهل البيت. فانظر وراجع وتبصر.

(١) وهذا الحديث مشهور عند الفريقين، وإن أوله أهل الخلاف بما يلائم مذاهبهم [انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠ ودلائل الصدق ٢: ٣١٥ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٤٨ و٢٤٩] ولكن من الواضح انطباقه تماماً على ما ذهب اليه الامامية.
ولمعرفة النصوص المتعددة للحديث المذكور، انظر مسند احمد بن حنبل ١: ٣٩٨ و٤٠٦ وج ٥ ص ٨٦ - ٩٠ و٩٢ و٩٣ و٩٥ و٩٦ و٩٩ - ١٠١ و١٠٦ - ١٠٨.

ومن كلام له عليه السلام: قاله للأشعث بن قيس، وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء^(١) اعترضه الأشعث، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك، لا لك، فخفض^(٢) عليه السلام إليه بصره، فقال^(٣):

وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ! حَائِكُ ابْنُ حَائِكٍ، مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ^(٤) مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى^(٥)، فَمَا فَذَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا^(٦) مَالِكَ وَلَا حَسْبُكَ، وَإِنَّ امْرَأَةً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفُ، وَسَاقَى إِلَيْهِمُ الْحَتَفَ لَحْرِي^(٧) أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ.

قال السيد [رحمه الله]:^(٨)

يُرِيدُ عليه السلام أَنَّهُ اسْرَ فِي الْكُفْرِ مَرَّةً وَفِي الْإِسْلَامِ مَرَّةً.

(١) في هـ. أ ما يلي: قيل: إن أمير المؤمنين كان في خطبته ينكر أمر الحكيمين، فقال بعض أصحابه: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أي الأمرين أرشد؟ فقال عليه السلام: هذا جزائي، فنظر الأشعث أنه قال: هذا جزائي، فقال الكلمة الخبيثة.

(٢) في هـ. ب: خفض، أي: نظر إليه نظر غضيب.

(٣) في ط ود: ثم قال.

(٤) في هـ. أ: أي اهل الكفر.

(٥) في هـ. أ: أما أسره في الكفر، هوان مراداً لما قتل أباه خرج ثائراً طالباً بدمه فأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، ووفد على النبي ﷺ في سبعين رجلاً من كندة فأسلم على يديه، وأما أسره في الإسلام، فانه ارتد بحضرموت فبعث إليه ابوبكر زياد وعكرمة في جمع عظيم، فالتجأ الأشعث بقومه إلى حصنهم، فحصرهم زياد إلى أن بلغ جهدهم فطلب الأشعث منهم الأمان لاهله ولبعض قومه وغفل عن نفسه فأمنه، فلما نزل أسره وبعث به مقيداً إلى أبي بكر، فهذا هو أسره في الإسلام.

(٦) في هـ. ب: منهما، يعني الكفر والإسلام، ومنهما، يعني ماله وحسبه، وهذا صحيح.

(٧) في هـ. أ: أي مستحق.

(٨) عبارة: «قال السيد لم ترد في أ وب، وفي ط: «قال الرضى عليه السلام»، وفي د: «اقول».

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ»، فَأَرَادَ بِهِ حَدِيثًا كَانَ لِلْأَشْعَثِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِالْيَمَامَةِ، غَرَّ فِيهِ قَوْمُهُ، وَغَدَرَ بِهِمْ^(١) حَتَّى أَوْقَعَ بِهِمْ خَالِدٌ،^(٢) وَكَانَ قَوْمُهُ بَعْدَ ذَلِكَ يُسَمُّونَهُ عَرَفَ النَّارِ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْغَادِرِ^(٣) عِنْدَهُمْ.

كَانَ الْأَشْعَثُ مُنَافِقًا بِالنَّصِّ النَّبَوِيِّ^(٤)، كَانَ يَبْغِضُ عَلِيًّا ﷺ وَمَالًا عَلَى قَتْلِهِ^(٥)، وَأَمَّا كَانَ يِقَاتِلُ مَعَهُ مَحَافِظَةً عَلَى رِئَاسَتِهِ عَلَى قَوْمِهِ^(٦). وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَوْقِفٌ مَذْكُورٌ إِلَّا يَوْمَ الْمَاءِ^(٧) وَلِهَذَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: هَذَا يَوْمٌ نَصَرْتُمْ فِيهِ بِالْحِمَةِ^(٨). وَأَمَّا فِي غَيْرِهِ فَانَمَا كَانَ يَسْعَى فِي الْخِبَالِ وَالْفُسَادِ. وَوَجَدْتُ فِي كِتَابِ مُؤَلَّفٍ فِي أَخْبَارِ صَفِينٍ مَا صَوَّرْتَهُ: فَلَمَّا كَتَبْتُ الْقَضِيَّةَ^(٩) دَعَيْتُ الْأَشْثَرَ لِيُثَبِّتَ اسْمَهُ فِيهَا^(١٠)، فَقَالَ: لَا صَحْبَتَنِي يَمِينِي وَلَا نَفَعَتَنِي بَعْدَهَا شِمَالِي إِنْ خُطَّ^(١١) لِي فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ اسْمٌ عَلَى صَلَاحٍ وَلَا مُوَادَعَةٍ، أَلَسْتُ^(١٢) عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَيَقِينٍ مِنْ ضَلَالٍ^(١٣) عَدُوِّي؟ وَلَكِنْ كُنْتُمْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى الْخَوْرِ أَقْرَبَ مَا كُنْتُمْ

(١) فِي أَوْ ب وَط وَد: وَمَكْرَ بِهِمْ. (٢) فِي ب: حَتَّى أَوْقَعَ خَالِدٌ بِهِمْ.

(٣) فِي هـ. ب مَائِلِي: تَارَكَ الْوَفَاءَ.

(٤) لَعَلَّهُ يَرِيدُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ».

(٥) وَهَذَا مَعْرُوفٌ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَابْنُ مَلْجَمٍ: «النَّجَا النَّجَا بِحَاجَتِكَ فَقَدْ فَضَحَكَ الصَّبْحُ» وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِهِ ٦: ١١٧.

(٦) أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِهِ ٥: ٢٣٨، وَنَصْرَ بْنَ مَزَاحِمٍ فِي وَقْعَةِ صَفِينِ ص ١٦٦.

(٧) وَيُسَمَّى أَيْضًا يَوْمَ الْفَرَاتِ، وَهُوَ يَوْمٌ مَنَعَ فِيهِ مَعَاوِيَةُ أَصْحَابَ عَلِيٍّ ﷺ مِنْ شَرْبِ مَاءِ الْفَرَاتِ. وَلَعَلَّ شَعْرَهُ ذَلِكَ يَنْبِيءُ عَنْ سَرِيرَتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَحَارِبْ إِلَّا لِلْحَصُولِ عَلَى الْمَاءِ لَا لِلنَّصْرِ الدِّينِ وَهُوَ قَوْلُهُ:

مِيعَادُنَا الْيَوْمَ بِيَاضِ الصَّبْحِ هَلْ يَصْلُحُ الزَّادُ بِغَيْرِ مِلْحٍ [وَقْعَةُ صَفِينِ ص ٦٦].

(٨) رَوَى ذَلِكَ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ الْمَنْقَرِيُّ فِي وَقْعَةِ صَفِينِ ص ١٦٢ وَ ١٦٧.

(٩) فِي وَقْعَةِ صَفِينِ: الصَّحِيفَةِ. (١٠) فِي وَقْعَةِ صَفِينِ: دَعَيْتُ لَهَا الْأَشْثَرَ.

(١١) فِي وَقْعَةِ صَفِينِ: كَتَبْتُ. (١٢) فِي وَقْعَةِ صَفِينِ: أَوْلَسْتُ.

(١٣) فِي وَقْعَةِ صَفِينِ: ضَلَالَةٌ.

من الظفر^(١).

فقال له الاشعث: واللّه^(٢) ما رأيت ظفراً ولا خوراً، هلم اليّنا.. فلا رغبة بك عنا.^(٣)
فأقبل عليه الأشتر فقال: لا رغبة لي عنك زعمت؟! بلى واللّه ان لي لرغبة عنك في
الدنيا والآخرة^(٤) ولقد سفك الله بسيفي هذا دم رجال ما انت بخير منهم^(٥) ولا أحرم
دما.

ثم التفت الى علي فقال: واللّه لولا مكان هذا القاعد - او: لواذن لي فيك - لمألت سيفي
هذا منك غير متأثم ولا متخرج في أمرك.

قال ابو خباب: قال عمار: قال ربيعة^(٦): فوالله لكأنه قصع على انفيه الحمم [ولقد تغيّر
لونه وازبد واسود]. انتهى^(٧). وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع من شرحه.

(١) في وقعة صفين: اولستم قد رأيت الظفر ان لم تجمعوا على الخور؟.

(٢) في وقعة صفين: فقال له رجل من الناس: أنّك واللّه.

(٣) في وقعة صفين: هلم فاشهد على نفسك واقرر بما كتب في هذه الصحيفة؛ فانه لا رغبة بك
عن الناس.

(٤) في وقعة صفين: ان لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا، وفي الآخرة للآخرة.

(٥) في وقعة صفين زيادة: عندي.

(٦) في وقعة صفين: «فقال عمار بن ربيعة». ولم يرد فيه «قال ابو خباب» انظر وقعة صفين ص ٥١٢.

(٧) ما بين المعقوفتين لم يرد في شرح ابن أبي الحديد، راجع ٢: ٢٣٥.

ومن خطبة له عليه السلام:

فَأَنْتُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ^(١)؛ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ^(٢)؛ لَجَزَعْتُمْ^(٣) وَوَهَلْتُمْ^(٤) وَسَمِعْتُمْ
وَأَطَعْتُمْ، وَلَكِنْ مَخْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا عَايَنُوا^(٥)؛ وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ!
وَلَقَدْ بَصَّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأَسَمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ؛ بِحَقِّ^(٦) أَقُولُ
لَكُمْ^(٧)؛ لَقَدْ جَاهَرْتُكُمْ^(٨) الْعَبْرَ، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ
السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ.

هذا الكلام يحتمل ان يكون اشارة الى ما يعاينه المحتضر من مصيره ومآله عند ربه،
وفي كتابه عليه السلام لمحمد بن ابي بكر: وليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتى يعلم
إلى أي المنزلين يصير، إني الجنة أم إلى النار، أعدو لله سبحانه، أو ولي، فإن كان ولياً لله
سبحانه فتحت له أبواب الجنة، فنظر إلى ما أعد الله له فيها، وإن كان عدواً [لله] فتحت له
ابواب النار وسهل له طريقها، ونظر إلى ما أعد الله لأهلها واستقبل كل مكروه وفارق كل
سرور.

وقال في الشرح: وهذا الكلام يدل على صِحَّة القول بعذاب القبر^(٩)، وأصحابنا كلُّهم

(١) في ط: لو قد عاينتم. (٢) في هـ. أ: في نسخة: قبلكم.

(٣) في هـ. أ ما يلي: نقيض الصبر.

(٤) في هـ. ص: الوهل: الاشفاق، وفي هـ. أ: أي فرعتم.

(٥) في ط ود: ما قد عاينوا.

(٦) في ط وهـ د: وبحق أقول - ح، وفي هـ. ب: أي يحق لي عليكم، يعني الإمامة.

(٧) كلمة «لكم» لم ترد في ص. (٨) في هـ. أ: أي ظهرت لكم.

(٩) في هـ. ص: لا يدل هذا القول على ما ذكر، وإنما يستدل على عذاب القبر من طريق آخر،

وإنما كلامه عليه السلام هذا المحل ينبئ عما يشاهده المحتضر فقط، والله سبحانه اعلم.

يذهبون إليه، وإن شئ عليهم أعداؤهم من الأشعرية وغيرهم بجحده.
وذكر قاضي القضاة رحمته: أنه يعرف معتزلياً ينفي عذاب القبر، لا من متقدميهم ولا من متأخريهم؛ قال: وإنما نفاه ضرار بن عمرو^(١)، فلمخالطته لأصحابنا وأخذه من شيوختنا، نسب^(٢) قوله إليهم.

ويمكن أن يقول قائل: هذا الكلام لا يدل على صحة القول بعذاب القبر؛ لجواز أن يعني به، ما يعاينه^(٣) المحتضر من الحالة^(٤) الدالة على السعادة أو الشقاوة^(٥)، فقد جاء في الخبر: «لا يموت امرؤ حتى يعلم مصيره؛ هل هو إلى جنة أم إلى النار».

ويمكن أن يعني به ما يعاينه المحتضر من ملك الموت وهول قدومه، ويمكن أن يعني به عليه السلام ما كان عليه السلام يقوله عن نفسه: إنه لا يموت ميت حتى يشاهده عليه السلام حاضراً عنده. والشيعة تذهب إلى هذا القول وتعتقد، وتروى عنه عليه السلام شعراً قاله للحارث الأعور الهمداني:

يا حار همدان من يموت يرني	من مؤمن أو منافق قبلاً
يعرفني طرفه وأعرفه	بعينه واسمه وما فعلاً
أقول للنار وهي توقد للعرض	ذريه لا تقربي الرجلاً ^(٦)
لاتقريبه يا نار إن نه ^(٧)	حبلاً بحبل الوصي متصلاً
وأنت يا حار إن تمت ترني	فلا تخف عثرة ولا زلاً
أشقيك من باردٍ على ظمإٍ	تخاله في الحلاوة العسلاً ^(٨)

(١) ضرار بن عمرو، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية، وكان في بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلي، ثم خالفه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر. الفرق بين الفرق: ٢٠١.

(٢) في ط: «مانسب».

(٣) في ط: ما يشاهده.

(٤) في ص: من حاله.

(٥) في ص: والشقاوة.

(٦) في هـ، ص ما يلي: يصدق هذا أنه قسيم الجنة والنار بالنص النبوي.

(٧) كذا في ص، وفي ط: ذريه لاتقريبه إن له.

(٨) ما بين المعقوفتين غير موجود في ص وإنما اخذناه من الشرح.

وليس هذا بمنكر؛ إن صحَّ أنه ﷺ قاله عن نفسه، ففي الكتاب العزيز ما يدلُّ على أنَّ أهل الكتاب لا يموت منهم ميت حتى يصدَّق بعيسى بن مريم ﷺ؛ وذلك قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(١)، قال كثيرٌ من المفسرين: معنى ذلك أنَّ كلَّ ميت من اليهود وغيرهم من أهل الكتب السالفة إذا احتضر رأى المسيح ﷺ [عنده]^(٢) فيصدَّق به مَنْ لم يكن في أوقات التكليف مصدِّقاً به. ويشبهُ قوله ﷺ^(٣): «لوعايتنَّكم ما عاين مَنْ مات منكم» قولُ أبي حازم لسليمان بن عبد الملك في كلام يعظه به: إِنَّ آبَاءَكَ ابْتَزُّوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ، ثُمَّ مَاتُوا، فَلَوْ عَلِمْتَ مَا قَالُوا وَمَا قِيلَ لَهُمْ لَوَهَلْتَ وَلَجَزَعْتَ^(٤) فقليل: ان سليمان بكى^(٥) حتى سَقَطَ، انتهى^(٦).

(١) سورة النساء ١٥٩/٤.

(٢) هذه الكلمة غير موجوده في ص وفي ط: رأى المسيح عيسى.

(٤) عبارة «لوهلت ولجزعت» لم ترد في ط.

(٣) في ط: وشبيهه بقوله.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٩٨ - ٣٠٠.

(٥) في ط: انه بكى.

ومن خطبة له ﷺ^(١):

فَإِنَّ الْغَايَةَ^(٢) أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ زَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوَكُمْ^(٣)

تَخَفُّوْا^(٤) تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ^(٥) بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

إقال الشريف: [٦] وأقول: إِنَّ هذا الكلام لَوُوزِنَ بَعْدَ كلام الله سبحانه، وبعْدَ كلام رَسولِ

الله ﷺ^(٧) بِكُلِّ كلامٍ لَمَالٍ بِهِ رَاجِحاً^(٨)، وَبَرَزَ عَلَيْهِ سَابِقاً.

فَأَمَّا^(٩) قَوْلُهُ ﷺ: «تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا»، فَمَا سَمِعَ كَلامٌ أَقْلُ مِنْهُ مَسْمُوعاً وَلَا أَكْثَرُ

مَحْصُولاً؛^(١٠) وَمَا أَبْعَدَ غَوْرَهَا مِنْ كَلِمَةٍ! وَأَنْقَعَ^(١١) نُطْفَتُهَا^(١٢) مِنْ حِكْمَةٍ! وَقَدْ نَبَّهْنَا فِي

(١) رواه الشريف الرضي في الخصائص ص ٨٧ والطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٥٧.

(٢) في هـ. أ: المراد بالغاية الجنة والنار، والمراد بالساعة القيامة الصغرى، وكونها ورائهم فلأن الإنسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفرّ منه وكانت العادة من الهارب من الشيء أن يكون وراءه مهروب منه، فكان الساعة التي هي القيامة الصغرى - وهي الموت وراء الاحياء تحذوهم.. وفي هـ. ب: اما الجنة او النار. (٣) في هـ. أ: اي تسوقكم.

(٤) في هـ. أ: قوله: «تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا» كناية عن الزهد الحقيقي، وهو حذف ما هو شاغل عن التوجه الى القيامة الحقيقية، والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها في هـ. أ: أي تلحقوا الغاية. (٥) في هـ. أ: اي انما ينتظر بالبعث الاكبر والقيامة الكبرى للذين ماتوا أولاً، وصول الباقيين وموتهم.

وفي هـ. أ ايضا: يعني ينتظر أولكم موت آخركم، وهي القيامة الصغرى. وكتب تحت كلمة أولكم: المنتظر - بالكسر - وتحت كلمة آخركم: المنتظر - بالفتح - . وفي هـ. ب: ينتظر آخركم الوصول بأولكم. (٦) عبارة «قال الشريف» لم ترد في أ وب ود. (٧) في ب: وكلام رسوله ﷺ.

(٨) في هـ. أ ما يلي: كما قال ﷺ: «الدنيا ساعة فاجعلوها طاعة».

(٩) في ب: رجحاناً، وفي الهامش في نسخة: راجحاً.

(١٠) في ص: واما قوله. (١١) في ط: ولا اكثر منه محصولاً.

(١٢) في أ: انقع، وفي الهامش في نسخة: أنقع، وفي هـ. أ ايضا: اي اكثر نفعها.

وفي هـ. ب: اي اثبتها. وفي هـ. ب - أيضاً: نفع الماء منقعة اذا كثر الماء في خفة....

(١٣) في أ: نطقها، وكتب تحته: نطقاً، وفي الهامش عن نسخة «نطقتها» وفي هـ. أ ايضا: وقد

كِتَابِ الْخَصَائِصِ^(١) عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا، وَشَرَفِ جَوْهَرِهَا.

قوله ﷺ: «فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ»:

غاية المكلفين هي الثواب أو العقاب، فيحتمل أن يكونَ أراد ذلك، ويمكن أن يكون أراد بالغاية الموت؛ وإنما جعل ذلك أمامنا؛ لأنَّ الإنسان كالسائر إلى الموت، أو كالسائر إلى الجزاء، فهو أمامه، أي بين يديه.

ثم قال ﷺ: «وإن وراءكم الساعةَ تحدوكم»، أي تسوقكم، وإنما جعلها وراءنا؛ لأنَّها إذا وُجدت ساقطت الناس إلى محل الجزاء، كما يسوقُ الراعي الإبل، فلما كانت سائقةً لنا، كانت كالشيء يحفزُ الإنسان من خلفه، ويحرِّكه من ورائه إلى جهة ما بين يديه. كذا في الشرح^(٢).

ويمكن أن يقال في وجه اعتبار كون الساعة وراءنا: إنها لما كانت آتية بعد الدنيا وكانت الدنيا مبقاة ليلحق آخر الناس بأولهم في الوجود، كانت الساعة كالسابقة للدنيا، المعجلة لها ولمن فيها؛ لتحل بدلها، دليل هذا المعنى قوله ﷺ: «فانما ينتظر بأولكم آخركم»، والله اعلم.

وقد نظم الرضي أبو الحسن رحمه الله قوله ﷺ: «تخففوا تلحقوا» في التنزّه عن الاطماع، فقال:

حذفت فضول العيش حتى رددتها إلى دون ما يرضى به المتعفف
وأملت أن أجري سريعاً إلى العلى إذا شئتموا أن تلحقوا فتخففوا^(٣)

→ استعاروا لفظ النطفة - وهي الماء الصافي - للحكمة، وفي هـ. ب: أي اخلص.

(١) يريد به كتاب خصائص الائمة، وهو مطبوع متداول: انظر في الذريعة الى مصنفات الشيعة

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٢.

ج ٧ ص ١٦٤.

(٣) ديوان الشريف الرضي.

ومن خطبة له عليه السلام ^(١):

أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ ^(٢) حِرْبَهُ، وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ ^(٣)، وَيَرْجِعَ
الْبَاطِلُ إِلَى نَصَابِهِ.

وَاللَّهِ مَا أَتَكْرَمُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا ^(٤)، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا ^(٥)
تَرَكَوهُ ^(٦)، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَلَيْنَ كُنْتُ ^(٧) شَرِيكَهُمْ فِيهِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَيْسَ كَانُوا
وَلَوْهُ دُرْنِي؛ فَمَا التَّبِعَةُ ^(٨) إِلَّا عِنْدَهُمْ. وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أَمَّا قَدْ
فَطَمَتِ ^(٩)، وَيُحْيُونَ بِدُعَاةٍ قَدْ أُمِيتَتْ.

(١) وفي هـ. أ: هذه الخطبة خطبها عليه السلام حين بلغه أن طلحة والزبير خلعا بيعته، وفيها زيادة
ونقصان، وقد أورد بعضه فيما قبل، وإن كان نبه في خطبته على سبب التكرار والاختلاف.
(٢) في ط: ذمّر. وفي هـ. ص: أي حرض وأغراهم بالمقصود وأثار حفاظهم. وفي هـ. أ: أي
حث، وفي هامش آخر: ذمر مخففاً مشدداً - : أي حث، والحزب: الجماعة من الناس،
وتمخضت: تحركت والنصف - بكسر النون وسكون الصاد - : النصفة وهي الاسم من
الانصاف والتبعة: ما يلحق الانسان من درك، والنصاب للنصل، والجلاد المضاربة بالسيف،
والهبول: الثكل، والهبل: الثكل. (٣) في هـ. ص: في نسخة: قطابه.

(٤) في هـ. أ مايلي: النصفة: الاعتدال، وهو الاسم من الانصاف.

(٥) في ط ود وهـ. أ في نسخة: حقاً هم تركوه.

(٦) في هـ. ص: أي ما يزعمونه حقاً لهم وقد تركوه.

(٧) في ص: ولئن كنت دوط: فإن كنت.

(٨) في هـ. أ: الخطيئة والذنب؛ لأنّهما يستتبعان العقوبة.

(٩) في هـ. ب: في نسخة: فطمتهم.

يَا خَيْبَةَ^(١) الدَّاعِي^(٢)! مَنْ دَعَا^(٣)! وَإِلَى مَ^(٤) أَجِيب^(٥)! وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ^(٦) شَافِئاً مِنَ الْبَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ!

وَمِنَ الْعَجَبِ بَعَثُهُمْ^(٧) إِلَيَّ أَنْ ابْرُزَ لِلطَّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجَلَادِ^(٨). هَبَلَتْهُمْ^(٩) الْهَبُولُ! فَلَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَزْهَبُ بِالضَّرْبِ. وَإِنِّي لَعَلَى^(١٠) يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَفِي غَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

قوله **﴿عَلَى﴾**: «أوطانه»

قال في شرح ابن أبي الحديد: وروي «ليعود الجور إلى قطابه»، والقطاب: مزاج الخمر بالماء، أي ليعود الجور ممتزجاً بالعدل كما كان. ويجوز أن يعني بالقطاب: قطاب الجيب، وهو مدخل الرأس فيه، أي ليعود الجور إلى لباسه وثوبه^(١١).

(١) في هـ. أ: هذا تعجب من دعاء أهل الشام إلى محاربته، ونسبتهم إليه دم عثمان وهوبري الساحة منه.

وفي هامش آخر: تقديره: يا قومي اوبيا هؤلاء، خاب الداعي خيبة. وفي هامش آخر: قوله -: «يا خيبة الداعي من دعا» خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الداعي إلى ما دعا، وإلى ما أجيب، استفهام على سبيل الاستحقار للداعي والمدعويين لقتاله، والناصر إذا كانوا أعوانه الناس ورعا عنهم، وللمدعوي إليه وهو الباطل الذي دعوا لنصرته.

(٢) في هـ. ب: أي أيّ انسان.

(٣) في هـ. أ: قوله عليه السلام: «من دعا» استفهام، أي أيّ فرد دعا إلى الحرب وإلى أي شيء أجيب، على ما لم يسم فاعله، فكلاهما استفهام على سبيل التحقير.

(٤) «ما». (٥) هـ. د: إلى م أجيب - ض وح.

(٦) في هـ. أ: أي بحدّ السيف؛ (٧) في د: بعثتهم.

(٨) في ص: على الجلال، وكتب فوقه: «للجلاد»، وفي هـ. أ: أي المضاربة بالسيف.

(٩) في هـ. الف: أي ناحت عليهم الثكل، وفي هامش آخر: هبلته الهبول: أي ثكلته، والهبول: الهابلة، أي الثائلة.

(١٠) في أ: على يقين، وفي الهامش في نسخة: لعلى.

(١١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٤.

قوله ﷺ : «يرتضعون أمًّا قد فطمت، وبدعة قد أميتت»:

يريد ﷺ: أخذ الامر عليه وغضبه حقه فإنه أمرٌ قد انقطع، فهم يريدون ارجاعه، وشبهه انقطاعه بفطام الأم؛ لأنَّ الام اذا فطمت لم تعد إلى ارضاع المفلطوم،^(١) ولا يخفى ما في هذا الكلام من كشف حال الامر وحال ولاته قبل ان يصير اليه.

قال في الشرح: وأعلم أن كلام أمير المؤمنين ﷺ وكلام أصحابه وعَمَّاله في واقعة الجمل، كَلَّه يدورُ على هذه المعاني التي اشتملت عليها ألفاظُ هذا الفصل؛ فمن ذلك الخطبةُ التي رواها أبو الحسن عليّ بن محمد المدائني، عن عبد الله بن جُنادة، قال: قَدِمْتُ من الحِجاز أريد العراق؛ في أوّل إمارة عليّ ﷺ، فمررت بمكة، فاعْتَمَرْتُ، ثم قَدِمْتُ المدينة فدخلت مسجد رسول الله عليه وآله؛ إذ نودي: الصَّلَاةُ جامعة، فاجتمع الناس، وخرج عليّ ﷺ متقلِّداً سيفه، فشخصت الأبصارُ نحوه، فحمد الله وصلى على رسوله، ﷺ، ثم قال:

أما بعد، فإنه لما قَبِضَ اللهُ نبيّه ﷺ، قلنا: نحن أهلُه وورثته وعِترته، وأولياؤه دون الناس، ولا يَنَازِعُنَا^(٢) سلطانه أحد، ولا يطمع في حقِّنا طامع؛ إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيِّنا، فصارتِ الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقاً؛ يطمع فينا الضعيف؛ ويتعزَّز علينا الذليل؛ فَبَكَتِ الأعينُ مِنَّا لذلك، وَحَشِنَتْ^(٣) الصدور، وَجَزَعَتِ النفوس. وإسمُ الله لولا مخافة الفُرقة بين المسلمين، وأن يعودَ الكفر، ويبورَ الدين، لكنَّا على غير ما كنَّا^(٤) عليه، فولي الأمر ولَاة لم يألوا الناس خيراً، ثم استخرجتموني - أيها الناس - من بيتي، وبايعتموني على سَنَاءة^(٥) مِنِّي لأمرِكُم، وفِرَاسَة تَصْدُقُنِي ما في قلوب كثير منكم، وبايعني هَذَانِ الرجلان في أوّل مَنْ بايع؛ تعلمون ذلك، وقد نكنا وغَدَرَا، ونهضَا إلى البصرة بعائشة ليفرَّقَا جماعتكم، ويُلْقِيَا بِأَسْكُمْ بينكم. اللَّهُمَّ فَخَذْهُمَا بما عَمِلَا أَخْذَةً رَابِيَةً^(٦)،

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٠٤. قلت: وقد كشف أمير المؤمنين حال ولَاة الأمر قبله وهم ابوبكر وعمر وعثمان، في خطبته الشَّقْشَقِيَّة [رقم ٢] وقد ذكرها الشارح وعلق على ما ذكره ابن أبي الحديد بتفصيل فراجع. (٢) في ط: لا يَنَازِعُنَا.

(٣) اي أوغرت، وفي وحشنت. (٤) في ط: ما كنَّا لهم عليه.

(٥) في ط: على شين مني.

(٦) أَخْذَةً رَابِيَةً، أي أَخْذَةً تَزِيدُ عَلَى الْأَخْذَاتِ، وقال الجوهري: أي زائدة، كقولك: أربيت، إذا أَخَذْتَ أَكْثَرَ مما أعطيت، قال تعالى: ﴿فَقَضَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [سورة الحاقة ٦٩/١٠].

ولا تنعش^(١) لهما صرعة، ولا تثقل لهما عثرة، ولا تمهلها فواقا^(٢)؛ فإنهما يطلبان حقاً تركاه، ودمماً سفكاه. اللهم إني أقتضيك وعدك؛ فإنك قلت وقولك الحق، ثم بُغِيَ عليه «لينصرته الله^(٣) اللهم فأنجز لي موعدي، ولا تكلني إلى نفسي، إنك على كل شيء قدير ثم نزل. وروى الكلبي، قال: لما أراد عليّ^(٤) المسير إلى البصرة، قام فخطب الناس، فقال بعد أن حمّد الله وصلى على رسوله:

إن الله لما قبض نبيّه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دماهم. [والناس حديثو عهد بالإسلام]^(٥) والدين يُمخَضُ مخَضَ الوطْب، يُفسدُه أدنى وهن، ويعكسه أقلّ خُلْف. فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء، والله وليّ تمحيص سيئاتهم، والعفو عن هفواتهم. فما بال طلحة والزبير، وليسا من أهل هذا الأمر بسبيل! لم يصبرا عليّ حولا ولا شهرا حتى وثبا ومَرَقا، ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً^(٦)، بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين؛ يرتضعان أمّا قد قَطَمَت، ويحييان بدعة قد أُميتت. أدم عثمان زعماً؟ والله ما التّبعة إلا عندهم وفيهم؛ وإن أعظم حُجَّتهم لعلّى أنفسهم، وأنا راضٍ بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم، فإن فاءاً وأنا با فحظهما أحرزا، وأنفسهما غنما وأعظم بهما غنيمة! وإن أيتما أعطيتهما حدّ السيف، وكفى به ناصراً للحقّ، وشافياً من الباطل^(٧)! ثم نزل، انتهى^(٨)

قلت: وهذه المعاني قد تكرر نقلها عنه^(٩) في مواطن كثيرة، وفي الفاظ مختلفة حتى تواترت عنه، وفيها دلالة لمستبصر الشيعة، ثالجة لصدّره، وحجة مدحضة لشبه خصمه وشغبه، وما يعقلها إلا العالمون.

-
- (١) النعش: الرفع؛ نعشت فلانا، إذا جبرته بعد فقر، ورفعته بعد عثرة.
 (٢) الفواق - بفتح الفاء وضمها -: ما بين الحلبتين من الوقت؛ لأنّها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب؛ يقال: ما أقام عندنا إلا فواقا، أي قدر فواق.
 (٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سورة الحج: ٢٢/ ٦٠.
 (٤) ما بين المعقوفين لم يرد في ص.
 (٥) لم ترد «أهل» في ط.
 (٦) في ص: سببا.
 (٧) في ط: وشافيا للباطل.
 (٨) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٧ - ٣٠٩.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، ^(١) فَإِنَّ الْأَمْرَ ^(٢) يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرٍ ^(٣) الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِذَا ^(٤) رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً ^(٥) فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ، فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ ^(٦) فِتْنَةً ^(٧) فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ ^(٨) دَنَاءَةً ^(٩) تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ ^(١٠) لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ

(١) في هـ. ص: مصدر هذا الكلام مصدر النهي عن الحسد، وهو من أقبح الاخلاق المذمومة.

(٢) في هـ. أ: يعني ان الرزق انما يزيد وينقص على ما تقتضيه المصالح، فلا يأتي لأحد أن يحسد ذا مال كثير.

وَيُعْزَى بِهَا^(١) لِقَامُ النَّاسِ، كَانَ كَالْفَالِجِ^(٢) الْيَاسِرِ^(٣) الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ^(٤) فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ
تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ عَنْهُ بِهَا^(٥) الْمَعْرَمُ. وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ
يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ^(٦) إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ،^(٧) إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ^(٨) فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ^(٩)، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ،
فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ.

وَإِنَّ^(١٠) أَلْمَالَ وَالْبَنِينَ حَزْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَزْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا^(١١)
اللَّهُ لَأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً^(١٢) لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ^(١٣)،
وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ^(١٤) وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ^(١٥) عَمِلَ لَهُ.
نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ!

→ وان حملناه على المعنى العرفي، وهو: الخضوع والخشية، فالمعنى: ما لم يغش دناءة فيخشع
لها، أي: بل يخضع لله ويخشع له عند ذكرها، ويتضرع إليه هرباً من الوقوع في مثلها من وعيده
علي، يكون كالياسر الفالنج. (١) في هـ. أ: أي بالدناءة.

(٢) في هـ. أ: أي الفائز. وفي هـ. ص تقدير الكلام: كالياسر الفالنج، والياسر: ذو الميسر وهي
القُداح، والفالنج: الظافر الغالب.

(٣) في هـ. أ: أي الظافر، والياسر: اللاعب بالميسر، والقُداح: سهام الميسر التي يلعب بها.

(٤) في هـ. د: وروى ينتظر من الله أول - ر. (٥) في ط: ويرفع بها عنه.

(٦) لم ترد: «من الله» في ص.

(٧) في هـ. ص: هذا امر بالصبر، وهو رأس الإيمان ومفتاح الفرج.

(٨) في هـ. أ: أي الموت، وقيل: الجواذب الالهية.

(٩) كذا في هـ. ص: في نسخة، في المتن: خير للابرار، وهو اقتباس من الآية ١٩٨ من سورة ال
عمران ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾. (١٠) في ط: وان، وفي الهامش في نسخة: ان.

(١١) في ب: جمعهما.

(١٢) في هـ. أ: الامر بالخشية الصادقة البريئة من التغير، المستلزمة لترك محارمه ولزوم
حدوده، الجاذبة إلى الزهد الحقيقي.

(١٣) في هـ. أ: أي بتقصير. والتعذير: إظهار العذر ممن لا عذر له في الحقيقة.

(١٤) في هـ. أ: الرياء: ان يعمل شيئاً ليراه الناس فيحمدوه عليه لالله، وللسمعة: ان يعمل
ليسمعه الناس لالله. (١٥) في ط: لمن.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ ^(١) وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ
وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أُعْظِمُ النَّاسِ حَيْطَةً ^(٢) مِنْ وَرَائِهِ، وَاللَّهُمَّ لِسَعْيِهِ ^(٣)، وَأَعْظُمُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ
نَازِلَةٍ ^(٤) إِنْ ^(٥) نَزَلَتْ بِهِ، وَلِسَانُ الصَّدَقِ ^(٦) يَجْعَلُهُ اللَّهُ ^(٧) لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ
يُورِثُهُ غَيْرُهُ ^(٨).

ومنها: ^(٩)

أَلَا لَا يَغْدِلَنَّ ^(١٠) أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ، يَرَى ^(١١) بِهَا الْخَصَاصَةَ ^(١٢)، أَنْ يَسُدَّهَا ^(١٣) بِالَّذِي
لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ ^(١٤) وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا يَقْبِضُ ^(١٥)
مِنْهُ عَنْهُمْ يَدًا ^(١٦) وَاحِدَةً، وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ ^(١٧) كَثِيرَةٌ.

(١) في ط: عترته، وفي هامش ط: في نسخة: عشيرته، وفي هـ. أ: عشيرة الرجل: قبيلته ...
المعاشرون له.

(٢) في ص: الحيطه، وفي هـ. أ: اي شفقة وكلاءة ورعاية، وفي هامش آخر منه: الحوط
والحَيْطَةُ والحَيْطَةُ والحِيَاطَةُ: الحفظ، واصله الواو؛ لأنَّه من باب يفعل بضم العين، ومنه:
الحايط. وفي هامش آخر منه: حَيْطَةٌ وحَيْطَةٌ كلاهما اسم للاحتياط والحِيَاطَةُ، وفي الصحاح:
الحَيْطَةُ - بالكسر - الحِيَاطَةُ وهما من الواو صارت الواو ياءً لانكسار ما قبلها هامش آخر منه:
شفقة واشدهم دفاعاً عنه وحفظاً لجانبه، وفي هامش آخر: الحَيْطَةُ بالكسر - الحفظ
والرعاية.

(٣) في هـ. أ: اي اجمعهم لتفرقه، وفي هامش آخر: اللم: الجمع، والشعث: تفرق الأمر
وانتشاره.

(٤) في هـ. أ: اي بلاء، وفي هـ. ب: اي حادثة.

(٥) في د: إذا.

(٦) في هـ. أ: يعني به الثناء والذكر الجميل.

(٧) في هـ. أ: يجعله: أي ينحله.

(٨) في هـ. ص: عادته إلى الحث على صلة الارحام وابتداء الاقارب وسدّ خللتهم.

(٩) في هـ. أ وب: اي لا يميلن.

(١٠) في هـ. ب: محل «يرى» منصوب؛ لأنَّه مفعول له، ويجوز أن يكون حالاً.

(١١) في هـ. أ: اي الفقر.

(١٢) في هـ. الف: اي الخصاصة، بدل الاشتمال من القرابة.

(١٣) في هـ. أ: اي انفق.

(١٤) في هـ. ص: يداً، وهو صحيح بناء على ما في ص: «يقبض»، واما على ما في أ وب

فالصحيح: يداً، على أنه نائب فاعل. (١٥) في هـ. أ: في نسخة: أيدي.

وَمَنْ تَلَّنْ حَاشِيَّتُهُ^(١) يَسْتَدِمُّ^(٢) مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ^(٣).

قال السيد^(٤).

أَقُولُ: الْغَفِيرَةُ هَاهُنَا الزِّيَادَةُ وَالْكَثَرَةُ، مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْجَمْعِ الْكَثِيرِ: الْجَمُّ الْغَفِيرُ، وَالْجَمَاءُ الْغَفِيرُ. وَيُرْوَى: «عَفْوَةٌ مِنْ أَهْلِ أَوْمَالٍ»، وَالْعَفْوَةُ: الْخِيَارُ مِنَ الشَّيْءِ، يُقَالُ: أَكَلْتُ عَفْوَةً الطَّعَامِ، أَيْ خِيَارَهُ^(٥).

وَمَا أَحْسَنَ الْمَعْنَى هَذَا الَّذِي أَرَادَهُ عليه السلام بِقَوْلِهِ: «وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ...» إِلَى تَمَامِ الْكَلَامِ^(٦) فَإِنَّ الْمُؤَمِّسِكَ خَيْرُهُ^(٧) عَنْ عَشِيرَتِهِ، إِنَّمَا يُؤَمِّسُكَ نَفْعُ يَدٍ وَاحِدَةٍ، فَإِذَا احتَاجَ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَاضْطَرَّ إِلَى مُرَافَقَتِهِمْ^(٨) قَعَدُوا عَنْ نُصْرَتِهِ^(٩)، وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ^(١٠) فَمُنِعَ تَرَافُدُ^(١١) الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهَضَ الْأَقْدَامُ الْجَمَّةَ.

قوله عليه السلام: «واعملوا في غير رياء... إلى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: اعلم انه عليه السلام بعد أن أمر بالصبر، نهى عن الرياء في العمل، والرياء في العمل منهى عنه، بل العمل ذو الرياء ليس بعمل على الحقيقة، لأنَّه لم يقصد به وجه الله تعالى.

(١) في هـ. أ: تلن: اي تلين، وحاشيته: أي جانبه، كناية عن الخلق الحسن.

(٢) في هـ. أ: الاستدامة: طلب الدوام، اي يجد من قومه المودة دائماً.

(٣) في هـ د: المحبة - م.

(٤) في أ: زيادة: عليه السلام وفي ط: قال الرضي عليه السلام والعبارة لم ترد في ب.

(٥) من ط، وهي غير موجوده في النسخ. (٦) في ب: إلى آخر.

(٧) في أ بدل هذه الجملة الطويلة: وما أحسن هذا المعنى. واورد العبارة في الهامش عن

نسخة. (٨) في هـ. أ: في نسخة: يده.

(٩) في هـ. أ: اي معاونتهم.

(١٠) في أ: نصرته، وفي الهامش: في نسخة: نصره.

(١١) في هـ. أ: اي عن ندائه.

(١٢) في هـ. أ: اي تعاون. وفي هـ. ب: اي معاونة، اي معاونتهم.

وقد جاء في الآثار النهي عن الرياء والسمعة كثيراً، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يُؤْتَى في يوم القيامة بالرجل قد عَمِلَ أَعْمَالاً كَالْجِبَالِ - أَوْ قَالَ: كَجِبَالِ تِهَامَةَ - وله خطيئة واحدة، فيقال له: إِنَّمَا عَمِلْتَهَا لِنَفْسِكَ، وقد قيل، وذاك ثوابك وهذه خطيئتك، أدخلوه بها إلى جهنم».

وقال (ع): «ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنما الصلاة إخلاصك»، (١) وفي الخبر المرفوع: «ان أخوف ما أخاف على امتي الرياء في العمل، ألا وإن الرياء في العمل هو الشرك الخفي» (٢)

ثم أمر (ع) بالاعتضاد بالعشيرة والتكثر بالقبيلة، فإن الإنسان لا يستغني عنهم وإن كان ذا مال، وقد قالت الشعراء في هذا المعنى كثيراً، فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسة (٣):

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْضَبْ لَهُ حِينَ يَغْضَبُ	فَوَارِسُ إِنْ قِيلَ ارْكَبُوا الْمَوْتَ يَرْكَبُوا
وَلَمْ يَحْبِهْ بِالنَّصْرِ قَوْمٌ أَعَزَّةٌ	مَقَاحِيمُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُتَهَيَّبُ (٤)
تَهْضُمُهُ أَدْنَى الْعَدُوِّ وَلَمْ (٥) يَزَلْ	وَإِنْ كَانَ عِضًا بِالظَّلَامَةِ يُضْرَبُ (٦)
فَآخٍ لِحَالِ السَّلْمِ مَنْ شِئْتَ وَاعْلَمَنْ	بِأَنَّ سِوَى مَوْلَاكَ فِي الْحَرْبِ أَجْنَبُ (٧)
وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ (٨) الَّذِي إِنْ دَعَاكَ	أَجَابَكَ طَوْعاً (٩) وَالْذَّمَّاءُ تَصَبَّبُ.
فَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا	فَإِنَّ بِهِ تَثَايَ الْأُمُورُ وَتُرَابُ (١٠)

(١) في ط زيادة: وإن تريد بها الله وحده. (٢) المستدرک. ج ٤ ص ٣٧٥.

(٣) في الحماسة: «قراد بن عباد»، وصححه التبريزي: «قراد بن العيار»، وقال: «أبوه العيار

أحد شياطين العرب»، والأبيات في ديوان الحماسة - بشرح المرزوقي ٢: ٦٦٩.

(٤) مقاحيم: جمع مقحام، وهو الذي يخوض قحمة الشيء، أي معظمه.

(٥) في ط: أدنى العداة فلم يزل.

(٦) تهضمه، أي كسره وأذله. والعص: المنكر الشديد اللسان.

(٧) في ص: أخيب. (٨) في ط: ومولاك.

(٩) كذا في هـ. ص: في نسخة، وفي المتن: يجبك سريعاً.

(١٠) تثنى: تخرق وتفتق.

ثم إنه عليه السلام ذكر أن لسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره. ولسان الصدق هو أن يُذكر الإنسان بالخير، ويُثني عليه به ^(١) قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ^(٢)

وقد ورد في هذا المعنى من النثر والنظم الواسع.

ومن شعر الحماسة:

إذا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَقْبَيْتَ مَا لَكَ حَامِدُ
وَقَلَّ غِنَاءُ عَنْكَ مَالُ جَمْعَتِهِ إذا كان ميراثاً وواراك لا حِدُ ^(٣)

وحكى أبو عثمان الجاحظ عن إبراهيم السندي ^(٤)، قال: قلت في أيام ولايتي الكوفة ^(٥) لرجل من وجوهها - كان لا يجف ليدُه ^(٦) ولا يجف قلمه ^(٧)، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الناس، وإدخال السرور على قلوبهم، والمرافق على ضعفائهم، وكان عفيف الطعمة -: خبرني عما هوّن عليك النصب، وقوّاك على التعب؟ فقال: قد والله سمعتُ غناء الأطيّار بالأسحار على أغصان الأشجار، وسمعتُ خفق الأوتار، وتجاوب العود والمِزمار، فما طربتُ من صوتٍ قطّ، كطربي من ثناء حسن، على رجل محسن، فقلت: لله أبوك! فلقد ملئتُ كَرَمًا. انتهى من الشرح ^(٨).

(٢) سورة الشعراء: ٢٦ / ٨٤

(١) كلمة «به» لم ترد في ص.

(٣) من أبيات نسبها إلى محمد بن أبي شحاذ. ديوان الحماسة: بشرح المرزوقي ج ٣ ص ١١٩٩.

(٤) في ص: السدي.

(٥) في ص: للكوفة.

(٦) أي كان كثير الترحال والسفر، وإن عدم جف اللبد كناية عن التردد في المكان، وجفاف اللبد: المقام وترك الارتحال.

(٧) في ط: ولا يستريح.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٢٥ - ٣٢٩.

ومن خطبة له ﷺ:

وَلَعَمْرِي مَا ^(١) عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ ^(٢) مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ. وَخَابَطَ ^(٣) الْغَيَّ، مَنْ إِذْهَانَ وَلَا
إِيْهَانَ. ^(٤) فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَفَرُّوا ^(٥) إِلَى اللَّهِ مِنَ اللَّهِ، وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ ^(٦) لَكُمْ ^(٧)،
وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ ^(٨) بِكُمْ، فَعَلَيَّْ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ ^(٩) آجِلًا، إِنْ لَمْ تُسَخِّوهُ ^(١٠) عَاجِلًا.

(١) في هـ. ب: «ما» هنا نفي

(٢) في هاش ص: في نسخة: في قتال.

(٣) في هـ. أ: لازمه من غير معرفة، والخبط: هو المشي على غير استقامة. وفي هـ. ص: كأنه

جعله والغى متخاطبين، يخبط كل واحد منهما صاحبه، وهو أبلغ من خبط في الغي.

(٤) في هـ. أ: قيل: الكريم يهادن ولا يداهن، والادهان والمداهنة: النفاق، والايهان: الضعف -

من الوهن -

(٥) في هـ. أ: اي الى رحمة الله بالتوبة من معصية الله وعقوبته.

(٦) في هـ. الف: اي أوضحه.

(٧) في هـ. ص: اي جعله منهجاً لكم تسلكون فيه الى رضاه، وهو الجهاد. وفي هـ. ب: أي في

طريق الشرع.

(٨) في هـ. أ: اي شدّه كالعصاة. وفي هامش آخر: علّقه وكلفه وربطه وشدّه وجعله كالعصاة

لكم، وهو التكليف.

(٩) في هـ. أ: اي لظفركم، وفي هـ. ص: الفلج - بضم الفاء - هو الفوز والظفر.

(١٠) في هـ. الف: اي ان لم تعطوه.

ومن خطبة له عليه السلام:

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن، وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران، لما غلب عليهما بسر بن [أبي] ^(١) أرطاة، فقام عليه السلام إلى المنبر ^(٢)، ضجراً ^(٣) بتثاقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي، فقال عليه السلام ^(٤):

مَا هِيَ ^(٥) إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَبْسَطُهَا ^(٦)، إِنَّ لَمْ ^(٧) تَكُونِي ^(٨) إِلَّا أَنْتِ، تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ ^(٩)
فَقَبْحُكَ ^(١٠) اللَّهُ!
وتمثل ^(١١):

(١) ما بين المعنيتين لم يرد في ص وأ، وفي هـ. أ: بشر بن أرطاة، بالشين في شرح كمال الدين -، وفي هـ. أيضاً: بشر بن أبي أرطاة، وأرطاة هذا - أحد بني عامر بن لؤي، وكان قائداً من قواد معاوية.

(٢) في ط ود: على.

(٣) في هـ. أ: اي حزيناً.

(٤) في ب: وقال، ولم يرد عليه السلام.

(٥) في هـ. أ: الضمير اما للخلافة والولاية اولللكوفة، وفي هـ. ب: اي ما خلا لي الا الكوفة -

على طريق الاستفهام...هامش آخر: يعني ما في حكمي الا الكوفة.

(٦) في هـ. أ ما يلي: وكان علي عليه السلام يستنفر الناس الى الجهاد نحو معاوية فيتناقلون حتى تحرك

معاوية من الشام. اي قسّمت المملكة ولم تبق منها الا الكوفة، ثم التفت من الغيبة الى الخطاب

فقال: ان لم يكن لنا من هذه الدنيا الا انت يا كوفة مع هذه الفتن العظيمة فلا كنت.

(٧) وفي هـ. أ: «تكوني» تامة، التفت من الغيبة الى الخطاب.

(٨) في هـ. ب: اي يا كوفة.

٩ - في هـ. أ: الاعصار: ريح يثير الغبار ويرتفع إلى السماء كأنه عمود، وقيل: ريح يثير سحاباً ذا

رعد وبرق، ويكنّى بالريح عن الدولة، وفي هـ. ب: جمع اعصار، وهي التي ترفع تراباً الى

السماء.

(١٠) في هـ. أ: أي نحاك عن الخير وفي هـ. ب: ابعذك.

(١١) في ط ود زيادة: بقول الشاعر.

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنِّي عَلَى وَضْرٍ^(١) مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٌ^(٢)

ثم قال عليه السلام:

أُبَيِّتُ بُشْرًا قَدْ أَطْلَعَ^(٣) الْيَمَنَ، وَإِنِّي - وَاللَّهِ - لَأَظُنُّ^(٤) أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيَدَاؤُنَ^(٥) مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَمَعْصِيَتِكُمْ^(٦) إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَيَأْدَانِهِمُ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ صَاحِبَكُمْ، وَبِصَلَابِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ فَلَوِ اتَّصَلْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ^(٧) لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بَعْلَاقَتِهِ^(٨).
اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُونِي، وَسَيَّمْتُهُمْ وَسَيَّمُونِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي^(٩)!

(١) في هـ. ص: الوضر: بقية الدسم في الاناء. وعلى رواية: الالاء، فكأنه أراد بقية من مأكَل مرالمذاق مكروه وفي هـ. أ: والوضر: الدرن الباقي في الإناء بعد الأكل، ويستعار لكل بقية لا فائدة فيها، وقيل: ربح يوجد من طعام فاسد. وفي هامش آخر منه: وضر، أي بقية الاناء وفي هامش آخر: والوضر بفتح الضاد: الدرن الباقي في الاناء بعد الأكل ويستعار لكل بقية من شيء يقل الانتفاع به وفي هـ. ب: وضر، أي دنس، وفي هامش آخر: على وضر قليل من هذا الاناء. في هـ. ص: في نسخة: الإلاء، وعلى رواية الالاء: فكأنه أراد بقية من مأكَل مر المذاق مكروه، وفي هـ. أ: يروي من ذا الالاء، والآلاء شجر حسن النظر، مر الطعام أي أنا على بقية قليلة من هذا الشجر، أو عرق فاسد منه، تمثل عليه بذلك وأراد أنه إن لم يبق لي من الولاية في زمن الخلافة الا الكوفة؛ فإنه بمنزلة هذا الشاعر الذي لم يبق له الا ما ذكر من الوضر.

(٢) في هـ. أ: «قليل» صفة وضر.

(٣) في هـ. ص: أي اشرف عليها، وفي هـ. أ: اطلع اليمن، أي غشيتها.

(٤) في هـ. ب: أي ايقن.

(٥) في هـ. ص: أي سيغلبونكم وتكون لهم الدولة. وفي هـ. أ: الإدالة: الغلبة، وفي هـ. أ: سيدالون:

يعني يصير الامر إليهم والدولة لهم، وفي هـ. ب: سيدالون: يعني تكون لهم الدولة منكم.

(٦) في الف وب وط ود: وبمعصيتكم.

(٧) في هـ. الف: القعب: القدح من الخشب وفي هـ. ب: جفنة من خشب.

(٨) في هـ. أ: علاقة القدح ونحوه - بكسر العين -

(٩) في هـ. ص: قوله عليه السلام: «خيراً منهم وشرّاً مني»، التفضيل - هنا - على سبيل الفرض والتقدير

للمشاركة، والافلم يكن فيهم خيراً، ولم يكن فيه عليه السلام شراً.

اللَّهُمَّ مِثَّ^(١) قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمَاتُ^(٢) الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ. أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بَنِ غَنَمٍ^(٣) وَتَمَثَّلُ^(٤)

→ وفي هـ. أ: وروى انه قال علي في هذه الخطبة: اللهم سلِّط عليهم غلام ثقيف. وفي هامش آخر منه: قيل لما دعا ﷺ بهذا، ولد الحجاج بن يوسف الثقفي وكان لعنه الله عقوبة لهم، وقوله: شرا مني، أراد: على زعمهم، فانه ﷺ كان معصوما عن كل شر، كقوله تعالى: ﴿أَقْمِن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ هَنَ يَأْتِي آمَنًا﴾ فصلت: ٤١ / ٤٠.

(١) في هـ. أ: مِثَّ: أي اذب قلوبهم كما يذاب الملح. وفي هـ. ب: ذَوْب. وفي هـ. أ: مَات الشيء: أذابه.

(٢) في هـ. أ: وهو غنم بن تغلب بن وائل، وانما خصَّ هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية، وفي هامش آخر، بنى فراس بن غنم، وغنم ابوحي من تغلب وهم رماة شجعان نصارى.

وفي هـ. ص: وقوله بنى فراس بن غنم، قال في شرح ابن أبي الحديد: وهم من بني كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وهم حي مشهورون بالشجاعة، منهم: علقمة بن فراس جذل الطعان، ومنهم ربيعة بن مكدم الشجاع المشهور حامي الظعن حياً وميتاً، ولم يحرم الحريم وهو ميت أحد غيره، في قصة له مع بني سليم مذكورة.

قلت: وقد ذكر ابن أبي الحديد القصة في شرحه ١: ٣٤٢. وهي انه: عرض له فرسان من بني سليم، ومعه طعائن من أهله يحميهم وَحْدَهُ، فطاعنهم، فرماه نُبَيْشَةُ ابن حبيب بسهم أصاب قلبه، فنصب رمحه في الأرض، واعتمد عليه وهو ثابت في سُرْجِه لم يَزُلْ ولم يمل. وأشار إلى الطعائن بالرَّوَّاح، فسرَّح حتى بَلَغْنَ بيوت الحي، وبنو سليم قيام إزاءه لا يُقْدِمُونَ عليه، ويظنون أنه حيّاً، حتى قال قائل منهم: إِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا مَيْتًا، ولو كان حيّاً لتحرك، إِنَّه والله لما نل راتب على هيئة واحدة، لا يرفع يده، ولا يحرك رأسه. فلم يقدم أحد منهم على الدنومنه، حتى رموا فرسه بسهم، فسبَّ من تحته، فوقع وهو ميت، وفاتتهم الطعائن.

وقال الشاعر:

وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بَذَنُوبٍ
بُنِيَتْ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبٍ
شَرِيبٌ خَمْرٌ مِسْعَرٌ لِحُرُوبٍ
لَتَرَكْتُهَا تَجْثُو عَلَى الْعُرْقُوبِ
يَوْمَ الْإِلْقَاءِ نُبَيْشَةُ بْنُ حَبِيبٍ
فَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

لَا يَبْعَدَنَّ رَبِيعَةُ بْنُ مُكْدَمٍ
نَفَرْتُ قُلُوبِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ
لَا تَنْفِرِي يَا نَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ
لَوْ لَا السَّفَارُ وَبُعْدُ خَرَقِ مَهْمَةٍ
يَسْعَمُ الْفَتَى أَدَى نُبَيْشَةَ بَرَّةٍ
هُنَالِكَ لَوَدَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ

(٤) لم يرد «وتمثل» في أ وب وط ود.

هناك لودعوت أتاك منهم قوارس^(١) مثل أرمية^(٢) الحميم

ثم نزل عليه السلام عن المنبر: ^(٣)

قلت أنا: ^(٤) والأرمية ^(٥): جمع رمي، وهو السحاب. والحميم - في هذا الموضع ^(٦) - وقت الصيف، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر؛ لأنه أشد جفولاً، ^(٧) وأسرع خفولاً ^(٨)؛ لأنه لا ماء فيه، وإنما يكون السحاب ثقیلاً السیر لامتلائه بالماء، وذلك لا يكون في الأكثر إلا أزمان ^(٩) الشتاء، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسُرعة إذا دُعوا، والإغاثة إذا استغيثوا، ^(١٠) والدليل على ذلك قوله:

هناك لودعوت أتاك منهم ^(١١)

قوله عليه السلام: «ما هي إلا الكوفة»:

أي ما مملكتي ^(١٢) إلا الكوفة. أقبضها وأسطها، أي أتصرف فيها، كما يتصرف الإنسان في ثوبه، يقبضه ويبسطه كما يريد.

(١) في ب: رجال، وفي الهامش: ويروى قوارس.

(٢) في هـ. أ: الارمي والسقي: السحاب العظيمة المطر، الشديدة العصف، من سحاب الحميم والخريف... عن الاصمعي، وفي هـ. ب: ارمية: غيم.

(٣) في أ و ط: من المنبر.

(٤) في أ و ط: قال السيد عليه السلام وفي ط: قال الرضي عليه السلام اقول، وفي هـ. ص فوق كلمة «أنا»: الرضي.

(٥) في أ و ب و د: الارمية.

(٦) في ط و د: والحميم - هاهنا -

(٧) في هـ. أ: جفولا: أي ذهابا، والجفول... ثقيلًا لامتلائه وفي هامش آخر: الجفل السحاب الذي قد هرق ماءه.

(٨) وفي هـ. أ: في نسخة: جفوتا أي أسرع سيرا.

(٩) في أ: إلا في الشتاء، وفي د: الأزمان الشتاء، وفي هـ. أ: في نسخة في زمان الشتاء، وفي نسخة أخرى: في أزمان الشتاء.

(١٠) في أ: في نسخة: زيادة: منهم.

(١١) من قوله «والدليل على ذلك.. إلى آخر العبارة» لم يرد في ط، وانظر شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٣.

(١٢) - في ط: وما ملكتي.

ثم قال على طريق [صرف] الخطاب: «فإن لم تكوني إلا أنت»^(١) وهذا من باب الالتفات^(٢).

والاعاصير: جمع اعصار، وهي الرياح المستديرة على نفسها، يقول: ان لم يكن لي من ملك الدنيا الا ملك الكوفة ذات الفتن والآراء المختلفة، فأبعدها الله. وشبهه ما كان يحدث من أهلها من الاختلاف والشقاق بالأعاصير، لا تآرتها التراب وإفسادها الأرض.

قال أبو عثمان الجاحظ: العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام، أن أهل العراق أهل نظر وذو فطن ثاقبة، ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقذح والترجيح بين الرجال، والتمييز بين الرؤساء، وإظهار عيوب الأمراء.

وأهل الشام ذوو بلادة وتقليد وجمود على رأي واحد، لا يرون النظر، ولا يسألون عن مغيب الأحوال^(٣).

وما زال العراق موصوفاً أهله بقلّة الطاعة، وبالشقاق على أولي الرئاسة.

[بسر بن أرطاة، ونسبه]

وأما^(٤) بسر بن أرطاة هذا، فهو بسر بن أرطاة - ويقال: بسر ابن أبي أرطاة - بن عويمر ابن عمران بن الحليس^(٥) بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

بعثه معاوية إلى اليمن في جيش كثيف، وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة علي عليه السلام، فقتل خلقاً كثيراً، وقتل فيمن قتل ابنه عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان غلامين

(١) إلى هنا من شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٤٢.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٤٢ ما يلي: خرج من الغيبة إلى خطاب الحاضر كقوله تعالى: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين.

(٣) البيان والتبيين ٢: ١٣٧ وتاريخ الطبري ٧: ٢١٢ مع اختلاف في الرواية.

(٤) في ص: فاما.

(٥) في ط: الحليس.

صغيرين، فقالت أمهما ترثيهما:

يَا مَنْ أَحْسَنَ بِأَبْنَيْهِ اللَّذَيْنِ هُمَا كَالدُّرَّتَيْنِ تَشْطَى عَنْهُمَا الصَّدْفُ^(١)

في أبيات مشهورة.

قال ابو الحسن المدائني: ودعا علي عليه السلام على بُسر، فقال: «اللهم إِنْ بُسراً بَاعَ دِينَهُ بِالدُّنْيَا، وَانْتَهَكَ مَحَارِمَكَ، وَكَانَتْ طَاعَةُ مَخْلُوقٍ فَاجِرٍ آثَرَ عِنْدَهُ مِنْ طَاعَتِكَ. اللَّهُمَّ فَلَا تُمِثَّهُ حَتَّى تَسْلُبَهُ عَقْلَهُ، وَلَا تَوْجِبَ لَهُ رَحْمَتَكَ وَلَا سَاعَةَ مِنْ نَهَارٍ. اللَّهُمَّ الْعَنِ بُسْرًا وَعَمْرَوًا وَمَعَاوِيَةَ، وَلِيَحِلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُكَ، وَلِتَنْزِلَ بِهِمْ نِقْمَتُكَ وَلِيَصِيبَهُمْ بِأُسْكَ وَرِجْزُكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ».

فلم يلبث بُسرٌ بعد ذلك إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله، فكان يهذي بالسيف، ويقول: اعطوني سيفاً أقتل به، لا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقة، فلا يزال يضربها حتى يَغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات.

وكان الذي قتل بُسرٌ في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً، وحرَّق قومًا بالنار، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٢).

(١) تشطى: تفرَّق شظايا، والابيات في الكامل ج ٨ ص ١٥٨ بشرح المرصفي.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٨، والذي نقله الشارح من قول أبي الحسن المدائني هو من الجزء الاول ص ٣٤٠.

ومن خطبة له ﷺ:

إِنَّ اللَّهَ^(١) بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ^(٢) عَلَى شَرِّ دِينٍ^(٣) وَفِي شَرِّ دَارٍ^(٤)، مُنِيخُونَ^(٥) بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ^(٦) وَحَيَاتٍ صُمٍّ^(٧)، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ^(٨)، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ^(٩)، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ. الْأَضْنَامُ فِيكُمْ مَنُصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ^(١٠).
منها: (١١)

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ^(١٢) بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ^(١٣)

(١) في ب: ان الله سبحانه.

(٢) في هـ. أ: قيل: أراد بمعشر العرب: اهل الكوفة، هم من طي وخثعم، كانوا في الجاهلية لا يعظمون الكعبة والحرم ولا الاشهر الحرم، بخلاف عادة سائر الكفار.

(٣) في هـ. أ: شر دين هي عبادة الاصنام، فأنها شر من كل دين. وفي هـ. ب: على شر دين، اي على شر عادة، اي عادتكم القتل بينكم.

(٤) في هـ. أ: اذ هي دار لانبات فيها ولا فاكهة ولا طعام ولا لباس.

(٥) في هـ. ب: الاناخة: المقام بالمكان، وفي هـ. ب: الاناخة: النزول. وفي هامش آخر: تسرحون بين حجارة.

(٦) في هـ. أ: الخشن: التي لاندأوة بها ولا نبات.

(٧) في هـ. أ: الحية الصماء: قيل: هي التي لاتنزعج بالصوت؛ كأنها لاتسمع، وانما يراد بها الصلبة الشديدة، ويكنى عن الداهية بالحية، وتوصف الداهية بالصماء.

(٨) في هـ. أ: مادكن لونه.

(٩) في هـ. أ: الجشب: الخشن الغليظ الذي لا إدام معه. وفي هامش آخر: هو الطعام الغليظ. ويقال: هو الذي لا إدام معه، وفي هـ. ب: طعام غليظ.

(١٠) في هـ. أ و ب: معصوبة: اي مشدودة. (١١) في ط: ومنها.

(١٢) في هـ. أ: اي بخلت ومنعت. وفي هـ. ب: بخلت.

(١٣) في ص: «فأغضيت»، وفي هـ. ب: اي اغمضت.

عَلَى الْقَذَى^(١)، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى^(٢)، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخَذِ الْكَظْمِ^(٣)، وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ^(٤) منها: (٥)

وَلَمْ يُبَايِعْ معاوية في ص^(٦) حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ^(٧) عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْمَبَائِعِ^(٨) وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ!^(٩)، فَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا^(١٠)، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدَّ سَبَّ^(١١) لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا^(١٢) [وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ^(١٣)] (١٤)

قال في شرح ابن أبي الحديد: فَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «لَمْ يَكُنْ لِي مَعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضِنْتُ

(١) القذى: الذى الذى يصيب العين كالتراب وغيره.

(٢) في هـ. أ: الشجى: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره.

(٣) في هـ. أ: اي موضع الكظم. والكظم: مخرج النفس، اي منع نفسي وخنق نفسي فصبرت وفي هـ. ب: الكظم: اجتراع الغيظ.

(٤) في هـ. أ: العلقم: اصول الحنظل، وقيل: ثمرة الحنظل، قيل: العلقمة: قثاء الحمار، وله مرارة لاذعة، وانما خصه [من] بين سائر المرات: لأنته مفجّر الجراحات وبقية ويسهل ويهلك الجنين.

قلت: قثاء الحمار: نبات يحمل ثمرًا كالقثاء [الخيار] مر الطعم كريحه الرائحة، يسعط بعصارته لليرقان الاصفر كذا في كتب اللغة. (٥) في ط: ومنها.

(٦) في هـ. ص: يعني عمروًا. وفي هـ. أ: أراد عمرو بن العاص شرط على معاوية ان يفوض اليه ولاية مصر حتى يبايعه، فوقع بينهما تدافع حتى ضمن له ذلك، وفي هـ. ب: يعني عمرو بن العاص.

(٧) في ص: ان يعطيه.

(٨) في ط وهامش د: البائع - ض ح، وفي هـ. ب: المباع: عمرو بن العاص، والمبتاع: هو معاوية.

(٩) في هـ. أ: أي عدتها، وفي هـ. ب: أي آلتها.

(١٠) في الف: شبت - بضم الشين - وفي الهامش في نسخة: شب - بضم الشين - للبناء للفاعل: اي ارتفع لهبها.

(١١) في هـ. أ: في نسخة: سنائها. وسناها: الضوء اذا كان مقصورًا، واذا كان ممدودًا فالارتفاع. وفي هـ. ب: اي ضياءها.

(١٢) في أ: احزم للنصر.

(١٤) ما بين المعصومتين ليس في ب.

بهم عن الموت» فقول ما زال عليّ عليه السلام يقوله، ولقد قاله عقيب وفاة رسول الله ﷺ، قال: «لَوْ وَجَدْتُ أَرْبَعِينَ ذَوِي عِزٍّ!» ذكر ذلك نصر بن مزاحم في كتاب «صفين»، وذكره كثير من أرباب السير، انتهى^(١).

قلت: اعجب للشارح، ثم استفزع عجبك يتأول كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الشقشقية بذلك التأويل الباطل المعلوم البطلان الذي يستحي العاقل من إيراد^(٢)، ويعترف ها هنا بأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يزل في جميع مدته منذ قبض الله نبيه ﷺ إلى أن قبضه الله، يقول: لو وجد ناصراً ومعيناً على القتال لقاتلهم على حقه.

وسيدكر الشارح هذا المعنى في مواضع من شرحه ويجزم به، فكأنه إنما يورد تأويلاته مصانعة لأصحابه أو معارضة لمقالات الشيعة ومما حكة^(٣).

ثم قال ابن أبي الحديد بعد كلام طويل: وفي^(٤) كتاب معاوية المشهور إلى عليّ عليه السلام: وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار، ويداك بيد^(٥) ابنك حسن وحسين يوم بويج أبو بكر الصديق، فلم تدع أحدا من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك، ومنت^(٦) إليهم باقربائك،^(٧) وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله ﷺ، فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة، ولعمري لو كنت محققاً لأجابوك، ولكنك ادعيت باطلا، وقلت ما لا يعرف، ورمت ما لا يدرك، ومهما نسيته، فلا أنسى قولك لأبي سفيان، لما حرّكك وهيجك: لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم، فما يوم المسلمين منك بواحد، ولا بغنيك على الخلفاء بطريف ولا مستبدع.

وسنذكر تمام هذا الكتاب وأوله عند انتهائنا إلى كتب عليّ عليه السلام^(٨).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢ وانظر كتاب وقعة صفين: ١٦٣.

(٢) راجع الخطبة رقم «٣» وانظر تأويل ابن أبي الحديد هناك.

(٣) والمماحكة: الملاجة [من اللجاج] والخصومة.

(٥) في ط: في يدي ابنك الحسن والحسين.

(٤) في ط: ومن.

(٧) في ط: بأمرأتك.

(٦) في ط: ومشيت.

(٨) إلى هنا أورده المصنف عن شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧.

ثم قال ابن أبي الحديد بعد كلام طويل وروايات لأمر السقيفة وما جرى فيها وبعدها: وقال أبو بكر: حدثني المغيرة بن محمد المهلبني من حفظه، وعمر بن شبة من كتابه بإسناد يرفعه إلى أبي سعيد الخدري، قال: سمعت البراء بن عازب يقول: لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسول الله ﷺ تخوفت أن تنملاً قرئش على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول.

ثم ذكر ما قد ذكرناه نحن في أول هذا الكتاب في شرح قوله ﷺ: «أما والله لقد تقمصها فلان»^(١) وزاد في هذه الرواية: فمكثت أكابد ما في نفسي، فلما كان بليل، خرجت إلى المسجد، فلما صرت فيه تذكرت أنني كنت أسمع همهمة رسول الله ﷺ بالقرآن، فامتنعت من مكاني فخرجت نحو الفضاء، فضاء بنى بياضة، فأجد نفرا يتناجون، فلما دنوت منهم سكتوا فلما رأيتهم سكتوا انصرفت^(٢) عنهم، فعرفوني ولم^(٣) أعرفهم، فدعوني إليهم، فأتيتهم، فأجد المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأباذر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان، وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به، والله ما كذبت ولا كذبت، وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين.

ثم قال: اتوا أبي بن كعب، فقد علم كما علمت. قال: فانطلقنا إلى أبي، فضربنا عليه بابه فأثنى حتى صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد، فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: افتح عليك بابك، فإن الأمر أعظم من أن يجري من وراء حجاب، قال: ما أنا بفاتح بابي، وقد عرفت ما جئتم له، كأنكم أردتم النظر في هذا العقد. فقلنا: نعم، فقال: أفياكم حذيفة؟ فقلنا: نعم، قال، فالقول ما قال، والله لأفتح^(٤) عني بابي حتى تجري على ما هي عليه جارية، ولما يكون بعدها شر منها، وإلى الله المشتكى.

قال: وبلغ الخبر أبا بكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة والمغيرة بن شعبة، فسألاهما عن

(١) راجع تمام الحديث في شرح الخطبة «٣» وقد نقلناه عن شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢١٩.

(٢) في ط : فانصرفت ، ولم ترد عبارة «فلما رأيتهم سكتوا» في ط. فانصرفت.

(٣) في ط : وما. (٤) في ط : وبالله ما افتح.

الرأي، فقال المغيرة: أن تَلْقُوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيبا، يكون^(١) له ولعقبه، فتقطعوه^(٢) من ناحية عليّ، ويكون لكم حُجَّةٌ عند الناس على عليّ، إذا مال معكم العباس. فانطلقوا حتى دخلوا على العباس في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم ذكر خطبة أبي بكر وكلام عمر، وما أجابهما العباس به، وقد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب في الجزء الأول^(٣) انتهى^(٤).

(١) في ط: فيكون.

(٢) في ط: فتقطعوا به.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٢٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٢.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ
التَّقْوَى، ^(١) وَدَرَعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ ^(٢)، وَجَنَّتُهُ ^(٣) التَّوَيْقَةُ. فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ ^(٤) أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ
الذُّلِّ، وَشِمْلَهُ ^(٥) الْبَلَاءِ، وَدِيَّتَ ^(٦) بِالْصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ ^(٧)، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِشْهَابِ ^(٨)
وَأَدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ ^(٩) بِتَضْيِيعِ ^(١٠) الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخُسْفِ ^(١١)، وَمُنِعَ النَّصْفَ ^(١٢).

(١) في هـ. ص: لعله يريد المعنى بقوله تعالى: ﴿ولباس التقوى﴾ الاعراف: ٢٦/٧، فكانه عنى: وهو ذولباس التقوى وإذا كان قد انزل لباس الجهاد فقد أراد.

(٢) في هـ. ص: وقوله: ودرع الله وجنته، من قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ الآية البقرة: ٢٥١/٢ والحج: ٤٨/٢٢، والمعنى: أن الله وكل ذلك اليهم ابتلاء، وفي هـ. أ: أي حفيظ به.

(٣) في هـ. أ: الجنة: ما استترت به من سلاح وغيره.

(٤) في هـ. ص: أي زهداً فيه، وعبارة «رغبة عنه» لم ترد في ب.

(٥) في د: وشملة.

(٦) في هـ. أ: أي ذلل، ومنه الديوث: الذي لا غيرة له، والـ.. محارمه حتى يتغافل عن فجورهن، والصغار: الحقارة. وفي هـ. ص: أي ذلل بالصغار: أي بالاهانة.

(٧) في ب: القماء، وفي ط وهـ د: القماء - ح ض. وفي هـ. ص: مصدر قمؤ: أي حقر. وفي هـ. أ: القماء - ممدوداً: الصغار والذل، وفي هامش آخر منه: القماء: الحقارة والذل، ورواه الراوندي بالقصر، وهو غير معروف، وفي هـ. ب: القماء - فتح مع مد - : الحقارة والصغر.

(٨) في أ: الاسداد، وفي هـ. أ: في نسخة: الاسهاب وفي الهامش ايفاء الاسداد: جمع سد وهو الحاجز والمسهب: أي ذاهب العقل. وفي هـ. ب: اسهب الرجل - بالبناء للمفعول - إذا ذهب عقله، وفي هـ. ص: الاسهاب: كثرة الكلام غير طائل، فكان المعنى: بقلّة العقل، لأن قلّة العقل يستلزم الاسهاب والهديان.

هذا، ووردت الكلمة في

(٩) في هـ. أ: أي يقلب دولة الحق. وفي هامش آخر: كان مغلوب الحق و للحق عليه حجة، يقول: أدبل فلان أي غلبه عدوه عليه. (١٠) في هـ. ص: أي بسبب.

(١١) في هـ. ب: في نسخة: وسيما الخسف، وفي هـ. ص: سيم: أي كلف وأولي، وفي هـ. أ: أي كلف الذلّ والمشقة، والخسف: العجز والظلم. وفي هـ. ب: الحقارة والصغر.

(١٢) في هـ. ص وأ: أي الإنصاف، وفي هـ. أ: في نسخة: - النصف بالضم - .

أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالٍ ^(١) هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا،
وَقُلْتُ لَكُمْ ^(٢) اغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ - قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ ^(٣)
إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَا كَلْتُمْ ^(٤) وَتَخَاذَلْتُمْ ^(٥)، حَتَّى شُنَّتْ ^(٦) عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ، وَمُليَكَتْ عَلَيْكُمْ
الْأَقْطَارُ ^(٧).

وَهَذَا ^(٨) أَخُو غَامِدٍ ^(٩)، وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ ^(١٠)، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ
بَنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا ^(١١)، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ
الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى
الْمُعَاهِدَةَ ^(١٢) فَيُتَنَزِعُ جِجْهًا ^(١٣) وَقُلْبَهَا ^(١٤)، وَقَلَائِدَهَا ^(١٥)

-
- (١) في ب: إلى حرب - .
(٢) في ب: لهم، وفي الهامش: في نسخة: لكم.
(٣) في هـ. ص: أي في أصل مقرهم، وفي هـ. أ: أي أصلها. وهو محلة القوم وفي هـ. ب: عقر
الحوض: مؤخره حيث تعقر الإبل.
(٤) في هـ. ص: أي وكل بعضكم الأمر إلى بعض، وفي هامش: أ التواكل: أن يكل كل واحد
منهم الأمر إلى صاحبه ويعتمد عليه، وفي هـ. ب: وكل بعضكم إلى بعض أمركم.
(٥) في هـ. ب: يقعد بعضكم عن نصره بعض. (٦) في هـ. أ: أي صبت.
(٧) أ وب وط ود: الاوطان.
(٨) في ص وهـ. أ: في نسخة: هذا - بدون واو، وفي أ وب: فهذا.
(٩) في هـ. ص: اسمه سفيان بن عوف بن المغفل، وغامد: حي من أزد شنوءة، وفي هـ. أ: رجل
من اليمن من بني غامد بن النضير من الأزد، واسمه سفيان بن عوف وهو صاحب معاوية، أغار
على مسلحة أمير المؤمنين بعد صفين.
(١٠) في هـ. أ: اسم بلدة على فراسخ من الكوفة.
(١١) في هـ. ص: المسالحي هي المراقب والمراصد. وفي هـ. أ: مواضع الأسلحة، والأسلحة: قوم
ذو وسلاح، ثم أطلق المسالحي على مواضع الخوف والثغر، وفي هامش آخر منه: المسالحي:
جمع مسلحة، وهي الحدود التي ترتب فيها ذوو الأسلحة مخافة عادية العدو كالثغر. وفي هـ.
ب: مسالحي: جمع مسلح، وهو موضع السلاح.
(١٢) في هـ. أ: المعاهدة - بكسر الهاء وفتحها - يعني التي لها مع المسلمين عهد وأمان كالذمية.
(١٣) في هـ. أ: الخلل، وفي هـ. ص: موضعها الرجل.
(١٤) في هـ. أ: السوار.
(١٥) في هـ. ص: موضعها العنق.

ورعائها^(١)، مَا تَمْتَنِعُ^(٢) مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِزْجَاعِ^(٣) وَالْإِسْتِزْحَامِ^(٤)، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ^(٥)
مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ^(٦)، وَلَا أَرِيقُ لَهُ^(٧) دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا^(٨) أَسْفًا
مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا!

فَيَا عَجِبًا! عَجِبًا^(٩) وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقُلُوبَ، وَيَجْلِبُ إِلَيْهِمْ، مِنْ^(١٠) اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى
بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحًا^(١١) لَكُمْ وَتَرَحُّبًا^(١٢) حِينَ صِرْتُمْ^(١٣) غَرَضًا يُرْمَى، يُغَارُ
عَلَيْكُمْ وَلَا تَغْيِرُونَ، وَتَغْزُونَ وَلَا تُغْزُونَ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضُونَ!

فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَارَةٌ^(١٤) الْقَيْظِ، أَمْهَلْنَا حَتَّى
يُسَبِّحَ^(١٥) غَنَا الْحَرِّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ^(١٦) إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ^(١٧) قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَةٌ^(١٨)

(١) في ط وه. د: ورعئها - ح، وفي ه. ص: الرعاث - بكسر الراء - جمع رعثة، وهي الشنوف، وموضعها الأذن. وفي ه. أ وب: جمع رعثة وهو القرط.

(٢) في ه. د: ما تمنع - م.

(٣) في ه. أ والأصل: قول «انا لله وانا اليه راجعون» وطلب الرجعة. وفي هامش آخر منه: الاسترجاع: تردد الصوت في البكاء وغيره.

(٤) في ه. ص: الاسترحام قول: «بالله والرحم»، أو «ارحمني يرحمك الله». وفي ه. أ: يعني لا يدفعه عنها الاسترجاع عند المصيبة... (٥) في ه. ب: وافرين حال.

(٦) في ه. أ: كلم: جرح. (٧) في ط: أريق لهم، وه. د أريق لهم - ض وح.

(٨) في ص: بعدها.

(٩) في ه. أ: فيا عجباً، اي يا عجبى، اوياء عجباه - على النداء، و«عجباً» نصب على المصدر، اي اعجبه عجباً. (١٠) لم ترد في د.

(١١) في ه. أ: اي: بعداً عن الخير. وفي ه. ب: أي ألزم الله لكم قبحاً.

(١٢) في ه. أ: اي حزناً وأسفاً، اي تحسراً و غضباً، وفي ه. ب: حزن.

(١٣) في ب: حين قد صرتم.

(١٤) في ه. ص: حمارة القيض: اي شدته، وفي ه. أ: القيظ من الصيف ما اشتد حرّه. وفي هامش آخر منه: حمارة القيظ بتشديد الراء -: شدة حرّه.

(١٥) في ه. ص: اي يفتر ويخفف، وتسييخ كل عمل: تخفيفه.

(١٦) هـ د: في السير في الشتاء - م. (١٧) في ه. أ: في نسخة: في ايام الشتاء.

(١٨) في ه. ص و الف: اي شدته، وفي ه. الف: ايضاً: بتشديد الراء: شدة البرد.

الْقُرَّ^(١)، أُمِّهَلْنَا يَنْسَلِخُ^(٢) عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هَذَا^(٣) فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرَّ إِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرَّ تَفَرُّونَ^(٤) فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَقَرُّ^(٥)!

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ، حُلُومُ^(٥) الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رِبَاتِ الْحِجَالِ^(٦)، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ، مَعْرِفَةً - وَاللَّهِ - جَزَتْ نَدَمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا^(٧)، قَاتَلَكُمُ اللَّهُ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قُلُوبِي قَيْحًا^(٨)، وَشَحَنْتُمْ^(٩) صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي نُغَبَ^(١٠) التَّهْمَامِ^(١١) أَنْفَاسًا^(١٢)، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى لَقَدْ^(١٣) قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ. لِلَّهِ أَبُوهُمْ^(١٤)! وَهَلْ أَخَذَ مِنْهُمْ أَشَدَّ لَهَا مِرَاسًا^(١٥) وَأَقْدَمَ

(١) في هـ. أ: القر - بضم القاف - البرد.

(٢) في ب: يسبخ، وفي الهامش: ينسلخ. في هـ. أ: ينسلخ: ينقضي.

(٣) في هـ. ص: أي تقولون وتفعلون كل هذا. (٤) ما بين المعقوفتين لم ترد.

(٥) في هـ. أ: «حلوم» مبتدأ، خبره محذوف، أي: لكم حلوم أواخر مبتدأ محذوف، أي - حلومكم حلوم الاطفال، وروي بالنصب، أي: يا حلوم، وخبر مبتدأ محذوف، وفي هامش آخر منه: حلوم الاطفال أي ناقصة بلائيات، وفي هـ. ب: أي حلوم.

(٦) في هـ. أ: ربات الحجال: النساء اللاتي يتسترن بالستور، والحجال جمع حجلة، والحجلة - بالتحريك: واحدة حجال العرس، وهوبيت يزيّن بالثياب والاسرة والستور، وربات الحجال: النساء: عقول النساء يستولي عليها الحرص والشهوة والخوف والضعف والتغير.

(٧) في هـ. أ: السدمة: الحزن عن الندم. وفي هامش آخر: السدم: تغير يحصل من الندم. - أي حزنا، ووردت الكلمة في ب: ذمًا، وفي الهامش: في نسخة: سدمًا. في ص: ذمًا، وفي هـ. د: ذمًا - م.

(٨) في هـ. ص وهـ. أ: القبيح: هو ما يكون في القرحة من الصديد، والمعنى: أفسدت قلوب.

(٩) في هـ. أ: أي ملأتم.

(١٠) في هـ. ص: النغب: جمع نغبة، وهي قدر ما يأخذه الطائر في منقاره من الماء، وفي هـ. الف: جرعة، وهو مفعول ثان لجرعتُموني، أو مصدر من غير لفظه.

(١١) في هـ. أ: التهمام: تفعال من الهم. وفي هـ. ب: جرع الهم.

(١٢) في هـ. ب: أي نفساً نفساً، وفي هـ. أ: نصب على الحال، أي: نفساً نفساً، والنفس: الجرعة.

(١٣) لم ترد «لقد» في ص.

(١٤) في هـ. أ: أصل هذه الكلمة المدح بطريق تخصيص الاب بالاضافة أي الله تعالى، ولكنه هنا على طريق التهكم. وقيل: هو تعجب منهم.

(١٥) في هـ. أ: علاجاً ومداومة وتجربة، وفي هـ. ب: ممارسة.

فِيهَا مَقَامًا مِنِّي! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَذَا أَتَذًا^(١) قَدْ ذَرَفْتُ^(٢) عَلَى السَّيِّئِينَ! وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ!

قال في شرح ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام، قد ذكرها كثير من الناس، ورواها أبو العباس المبرّد في أول «الكامل»،^(٣) وأسقط من هذه الرواية ألفاظاً وزاد فيها ألفاظاً، وقال في أولها:

«إنه انتهى إلى علي عليه السلام أن خيلاً وردت الأنبار لمعاوية، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسان بن حسان، فخرج مغضباً يجرّ رداءه حتى أتى النخيلة، وأتبعه أصحابه، فرقى رباوة من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله، ثم قال: أما بعد، فإن الجهاد باب من ابواب الجنة ... إلى آخره^(٤)».

قال ابن أبي الحديد - نقلاً عن إبراهيم بن محمد بن هلال بن سعيد الثقفي من كتاب الغارات - ما لفظه: قال إبراهيم بن هلال: كان اسم عامل علي عليه السلام على مسلحة الأنبار: أسرس بن حسان البكري.

وروى إبراهيم بن عبد الله بن قيس، عن جندب^(٥) بن عفيف، قال: كنت مع أسرس بن حسان البكري بالأنبار على مسلحتها، إذ صَبَحْنَا سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ فِي كِتَابٍ تَلْمِزُ الْأَبْصَارُ مِنْهَا، فَهَأُونَا - وَاللَّهِ - وَعَلِمْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا بِهِمْ طَاقَةٌ وَلَا يَدٌ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُنَا وَقَدْ تَفَرَّقْنَا فَلَمْ يَلْقَهُمْ نَصْفُنَا، وَابْتَدَأَ اللَّهُ لَقَدْ قَاتَلْنَاهُمْ فَأَحْسَنَّا قِتَالَهُمْ، حَتَّى كَرِهُونَا^(٦) ثُمَّ نَزَلَ صَاحِبُنَا، وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

(١) في ص: وها أنا .

(٢) في هـ. ص: أي زدت، وفي هـ أ: أي زدت قليلاً عليها، ذرف على الشيء: زاد عليه قليلاً.

(٣) الكامل ١ : ١٠٤ - ١٠٧ بشرح المرفعي، يرويها عن عبيد الله بن حفص التيمي المعروف

بابن عائشة. (٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ : ٧٦.

(٥) في ط: حبيب. (٦) في ص: حتى كرهوا.

تَبْدِيلًا^(١). ثم قال لنا: مَنْ كَانَ لَا يَرِيدُ لِقَاءَ اللَّهِ، وَلَا يَطِيبُ نَفْسًا بِالْمَوْتِ فَلْيَخْرُجْ عَنِ الْقَرْيَةِ
مَادِمَنَا نَقَاتِلُهُمْ، فَإِنْ قَتَلْنَا إِيَّاهُمْ شَاغِلٌ لَهُمْ عَنْ طَلَبِ هَارِبٍ، وَمَنْ أَرَادَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ^(٢). ثم نزل مع ثلاثين رجلاً فهِمَّتْ بِالنُّزُولِ مَعَهُ، ثُمَّ أَبَتْ نَفْسِي، وَاسْتَقْدَمَ
هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَقَاتَلُوا حَتَّى قَتَلُوا^(٣)، وَانْصَرَفْنَا نَحْنُ مِنْهَزِمِينَ، انْتَهَى^(٣).

(٢) اقتباس من الآية ١٩٨ من سورة آل عمران.

(١) سورة الاحزاب: ٢٣/٢٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٧٦.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ وَأَذَنْتُ^(١) بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ^(٢) بِاطِّلَاعِ^(٣)، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ^(٤)، وَغَدَا السَّبَاقَ^(٥)، وَالسَّبَقَةَ الْجَنَّةَ، وَالْغَايَةَ النَّارَ^(٦).

أَفَلَا تَأْتُبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيِّهِ! أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ^(٧)، أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ، مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، [فَقَدْ سَعِدَ وَ] ^(٨) نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضُرُّهُ^(٩) أَجَلُهُ. وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ ^(١٠) خَسِرَ عَمَلَهُ، وَضُرَّه أَجَلُهُ، أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا^(١١).

(١) في هـ. أ: اي اعلمت.

(٢) في هـ. أ: اي اطلعت.

(٣) في هـ. ب، في نسخة: على اطلاع.

(٤) في هـ. أ: ان جعلت اليوم ظرفاً للمضمار اسم ان، والظرف في موضع الخبر، وجائز ان تخرج اليوم عن الظرفية والجملة اسم ان، وترفع المضمار على الخبر؛ لأنه عبارة عن مدة، وكذا في غدا السباق.

وفي هامش آخر: سمي المضمار مضماراً لأنه يضم فيه الخيل، وتضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوة، وذلك في اربعين يوماً، وهذه المدة تسمى المضمار، الموضع الذي يضم فيه الخيل، والضم: الهزال. وهـ. ب: المضمار: الموضع الذي تضم فيه الخيل.

(٥) في هـ. أ: مصدر مرادف للمسابقة، وهو جمع سبقة كنطفة ونطاف.

(٦) في هـ. أ: السبقة بالجنة والغاية بالنار؛ لأن السبق يكون باختيار ورغبة صادقة، والغاية ربما تكون على غفلة وكره، والغاية: النهاية.

(٧) في هـ. أ: اي هلاكه.

(٨) ما بين المعقوفتين من ص، ولم يرد في أ وب و ط ود، وفي هـ. د: فقد نفعه - ح وض.

(٩) في هـ. أ: حل الادغام لغة اهل الحجاز.

(١٠) لم يرد «فقد» في أ، وانما وردت في الهامش عن نسخة.

(١١) في هـ. ص: قوله: «كالجنة نام طالبيها»: اي ان الجنة شيء يرغب فيه، بل هي غاية ما يرغب فيه، فينبغي ان تطلب، ومع ذلك فان الناس يغفلون عن طلبها.

وَلَا كَانَتَارِ نَامَ هَارِيهَا^(١) أَلَا وَإِنَّهُ^(٢) مَنْ لَا يَنْفَعُهُ^(٣) الْحَقُّ، يَضُرُّهُ^(٤) الْبَاطِلُ^(٥)، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ^(٦) بِهِ الْهُدَى، يَجُرُّ بِهِ^(٧) الضَّلَالُ إِلَى الرَّذَى^(٨).

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ^(٩)، وَذُلِّتُمْ^(١٠) عَلَى الرَّادِ، وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ، تَزَوَّدُوا^(١١) فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحَرِّزُونَ^(١٢) بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا. قَالَ السَّيِّدُ الرَّضِيُّ^(١٣):

وَأَقُولُ: إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَلَامٌ يَأْخُذُ بِالْأَغْنَى إِلَى الرَّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَيَضْطَرُّ إِلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ لَكَانَ هَذَا الْكَلَامَ. وَكَفَى بِهِ قَاطِعًا لِعَلَّاقِ الْأَمَالِ، وَقَادِحًا^(١٤) زِنَادَ الْإِتْعَاطِ وَالْإِزْدِجَارِ^(١٥). وَمَنْ أَعْجَبَهُ قَوْلُهُ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَدًا السَّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ»، فَإِنَّ فِيهِ مَعَ فَخَامَةِ اللَّفْظِ،^(١٦) وَعِظَمَ قَدْرِ الْمَعْنَى، وَصَادِقَ التَّمْثِيلِ، وَوَاقِعَ التَّشْبِيهِ، سِرًّا عَجِيبًا وَمَعْنًى لَطِيفًا، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ»، فَخَالَفَ بَيْنَ

→ وقوله: «كالنار نام هاريها»: أي النار مرهوب، بل هو غاية ما يرهب ويتخوف، فينبغي أن يهرب منها، مع أن الناس يغفلون عن الهرب منها.

وفي هـ. أ: أي لم أر نعمة وطلبة مثل الجنة، ولانقمة وكرهة مثل النار، والضميران يرجعان إلى

موصوف الكاف التي هي النعمة. (١) في هـ. أ: أي الهارب منها.

(٢) في هـ. أ: الضمير للشأن. (٣) في هـ. أ و هـ. د: لم ينفعه - م.

(٤) في ط و د: يضره.

(٥) في هـ. ص: أي من لم يكن محققاً يكن مبطلاً؛ إذ لا واسطة.

(٦) في هـ. أ: أي يعدل وينحرف.

(٧) في ط و د: يستقيم.

(٨) في هـ. ص: أي فعل الضلال، واتباع الهوى مركب جموح.

(٩) في هـ. أ: أي السفر.

(١٠) في هـ. أ: أي أهديتم.

(١١) في ب و ط و هـ. د: فتزودوا - ض ح.

(١٢) هـ. د: وروي: تحوزون - ر، وفي هـ. أ: أي تقبضون أيديكم إلى أنفسكم، وفي الهامش: في نسخة: تحوزون، أي تجمعون، وفي نسخة: تحرزون، أي: تجعلون في حصن وحرز عن

الهلاك، وكلاهما قريب. وفي ب: تحوزون: أي تجمعون.

(١٣) هذه العبارة غير موجودة في ب و د، وفي هـ. أ: قال رضي الله عنه.

(١٤) في هـ. أ: بالفارسية ما ترجمته: القادح ما يوجب انقذاح النار.

(١٥) في هـ. أ: أي عظم اللفظ.

(١٦) في هـ. أ: الامتناع.

الْفُظَيْنِ لاختِلَافِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَلَمْ يَقُلْ: «وَالسَّبْقَةُ النَّارُ» كَمَا قَالَ: «وَالسَّبْقَةُ الْجَنَّةُ»؛ لِأَنَّ
الاسْتِيقَاقَ إِنَّمَا يَكُونُ إِلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ وَغَرَضٍ مَطْلُوبٍ^(١)، وَهَذِهِ صِفَةُ الْجَنَّةِ، وَلَيْسَ هَذَا
الْمَعْنَى مَوْجُوداً فِي النَّارِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهَا، فَلَمْ يَجْزُ أَنْ يَقُولَ: «وَالسَّبْقَةُ النَّارُ» بَلْ قَالَ:
«وَالْغَايَةُ النَّارُ»، لِأَنَّ الْغَايَةَ قَدْ يَنْتَهِي إِلَيْهَا^(٢) مَنْ لَا يَسْرُهُ الْإِنْتِهَاءُ إِلَيْهَا، وَمَنْ يَسْرُهُ ذَلِكَ^(٣)
فَصَلَحَ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَا^(٤) عَنِ الْأَمْرَيْنِ مَعاً، فَهِيَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْمَصِيرِ وَالْمَالِ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^(٥)، وَلَا يَجُوزُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يُقَالَ: فَإِنَّ
«سَبَقَتْكُمْ - بِسُكُونِ الْبَاءِ - إِلَى النَّارِ». فَتَأْمَلْ ذَلِكَ، فَبَاطِنُهُ عَجِيبٌ، وَغَوْزُهُ بَعِيدٌ لَطِيفٌ،
رَكَذَلِكَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ ﷺ.

[وَفِي بَعْضِ النُّسخِ]^(٦):

وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ^(٧) أُخْرَى: «وَالسَّبْقَةُ الْجَنَّةُ» بِضَمِّ السَّيْنِ، وَالسَّبْقَةُ - عِنْدَهُمْ -: اسْمُ^(٨)
لَمَّا يُجْعَلُ لِلْسَّابِقِ إِذَا سَبَقَ، مِنْ مَالٍ أَوْ غَرَضٍ، وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ جَزَاءً
عَلَى فِعْلِ الْأَمْرِ الْمَذْمُومِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ جَزَاءً عَلَى فِعْلِ الْأَمْرِ الْمَحْبُوبِ.^(٩)

وَقَالَ فِي شَرْحِ ابْنِ مِثْمٍ: وَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا الْفَصْلُ عَلَى اسْتِدْرَاجَاتٍ لَطِيفَةٍ لِانْفِعَالَاتٍ
عَنْ أَوْامِرِ اللَّهِ وَزَوَاجِرِهِ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ أُسْلُوبَ كَلَامِهِ ﷺ، وَرَاعَيْتَ مَا فِيهِ، مِنْ فَخَامَةِ
الْأَلْفَاظِ، وَجِزَالَةِ الْمَعَانِي الْمَطَابِقَةِ لِلْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ، وَحَسَنِ الاسْتِعَارَاتِ وَالتَّشْبِيهَاتِ
وَمَوَاقِعِهَا، وَصِحَّةِ تَرْتِيبِ أَجْزَائِهِ، وَوَضْعِ كُلِّ مَا يَنَاسِبُهُ، وَجَدْتَهُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ
لَدُنِّي، وَفِيضٍ رَبَّانِي، وَامْكِنَكَ حِينَئِذٍ الْفَرْقَ بَيْنَ كَلَامِهِ ﷺ وَكَلَامِ غَيْرِهِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَهُمَا

(١) فِي هـ. أ: أَيِ بَاخْتِيَارٍ وَرَغْبَةٍ. (٢) فِي هـ. أ: عَلَى غَفْلَةٍ وَكَرِهٍ.

(٣) فِي هـ. أ: أَيِ الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهَا. (٤) فِي هـ. أ: أَيِ بِالْغَايَةِ.

(٥) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: ١٤ / ٣٠.

(٦) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ مِنْ ط وَد، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْمَخْطُوطَةِ.

(٧) هَذِهِ الْجُمْلَةُ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ ب وَهـ. أ: عَنْ نَسْخَةٍ.

(٨) فِي هـ. أ: وَالسَّبْقَةُ اسْمٌ عِنْدَهُمْ.

(٩) فِي هـ. أ وَط وَد: الْمَحْمُودُ. وَالْعِبَارَةُ مِنْ قَوْلِهِ: «وَفِي بَعْضِ النُّسخِ» لَمْ تَرِدْ فِي ب.

بسهولة^(١)، انتهى.

(١) شرح نهج البلاغة: لابن ميثم ٢ : ٤٩، والعلم اللدني هوالمشار إليه في قوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ (الكهف: ٦٥/١٨)، واللّٰدني هوالَّذِي يكون من لدن الله تعالى

ومن خطبة له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ^(١)، كَلَامُكُمْ يُوهِي الضَّمَّ الصَّلَابَ^(٢)، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءَ.

تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ^(٣)، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حَيْدِي حَيَادٍ!^(٤) مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ^(٥)، أَعَالِيلُ^(٦) بِأَضَالِيلِ^(٧)، دِفَاعَ ذِي الدِّينِ

(١) في هـ. أ: الاهواء: الآراء.

(٢) في هـ. أ: الوهي: الضعف، والضمّ الصلاب: الحجارة الصلبة، أي يلين أو يُضعف الحجارة الشديدة والجبال الصلبة.

(٣) في هـ. أ: كيت وكيت، كناية عن الحديث، وفي هامش آخر: بفتح التاء وكسر ها، وتاؤها هاء في ص، فصارت تاء.

(٤) في هـ. ص: هي كلمة يقولها الهارب الفارّ، وهي من: حاد عن الشيء، أي انحرف، وهي مبنية على الكسر. وفي هـ. أ: في ص، حيدي حادي، امر الخيل بالحيود، وحيدي ايتهما الخيل: ابتعدي اوجانبي منا ايتهما الحرب، والمحايدة: الحياد. وقيل: حيا: اسم للغارة في الصباح، وقوله: حيدي حيا: امر مرتين، كما قالوا: ارجعوا وراءكم، أي: ارجعوا ارجعوا. وفي هامش آخر منه: حاد عن الامر: أي عدل عنه، قال الجوهري: حيدي حيا، كقولهم: تنحّي نياح، وتقل: ان نياح اسم للغارة، كقطام، فحيا: ايضاً اسم لها، والمعنى: اعدلنا ايتهما الحرب. ويحتمل ان يكون حيا: من اسماء الافعال كنزال وتراك، فيكون قد امر بالتنحي مرتين بلفظتين مختلفتين.

وفي هـ. ب: حيا، مبنية على الكسر: لاجتماع ثلاثة اسباب: العدل والتأنيث والتوصيف. وفي هامش آخر منه: حيدي حيا: يعني ميلي عن الحرب يا حائدة ويا مائلة، أي: يا كثيرة الميل عن الحرب.

(٥) في هـ. أ: أي عالجكم.

(٦) في هـ. أ: جمع اعلول، وهي التعليل، أي: التسلي، أي: معاليل. أو يكون جمع اعلال، وهو الاتيان بالعلل.

(٧) في هـ. ص: الباء متعلقة باعاليل، أي تتعللون بالأضاليل التي لاجدوى لها. وفي هـ. أ: جمع

المطول^(١). لَا يَمْنَعُ الضَّيْمُ^(٢) الدَّلِيلُ، وَلَا يَذَرُكَ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ^(٣).
 أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ^(٤)! تَمْنَعُونَ! وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ!^(٥)، الْمُعْرُورُ - وَاللَّهُ - مَنْ
 غَرَزْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ^(٦) بِالسَّهْمِ الْأَخِيْبِ^(٧)، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَاقِ
 نَاصِلٍ^(٨).

أَصْبَحْتُ - وَاللَّهُ - لَا أَصْدُقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ.
 مَا بِالْكُمُ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ^(٩)؟ مَا طِبُّكُمْ؟، الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالَكُمْ.
 أَقُولُ لَا بَغْيَ عِلْمٍ^(١٠)! وَغَفْلَةً^(١١) مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ! رَطَمَعَا فِي غَيْرِ حَقٍّ^(١٢)!

→ اضلولة والضللال، وقيل: هما جمعاً لإعلال وإضلال، يقال: اعل اذا جاء بعلة وصار صاحب
 علة، وقيل: هما جمعان للعلة والضللة. وهامش آخر: أعاليل وأضاليل جمع إعلال وإضلال،
 جمع علة وإضلالة، وهي اسم لما يتعلل به من مرض وغيره، وضلة اسم من الضلال، يعني:
 الباطل. وفي هـ. ب: اضاليل، يجوز ان تكون جمع اضلولة، وهي الخصلة من خصال الضلالة،
 ويجوز ان تكون جمع اضلال، مقدر أضل، وتقديره: لكم أعاليل بأضاليل.
 ١ - في هـ. أ: اي الممنوع. وفي هامش آخر: والمطول: كثير المطال، وهو تطويل الوعد مع
 تسويق. في هـ. أ: اي الظلم.

(٣) في ص هنا زيادة: «والتشمير»، وفي هـ. أ: الجد: الاجتهاد، وفي هـ. ب: الجد: الجهاد.
 (٤) في هـ. أ: اي مكة. (٥) في هـ. أ: اي تجاهدون وتغزون له.
 (٦) وفي د: ومن فاز بكم فاز بالسهم، وفي هامش أ: في نسخة: فقد فاز والله.
 (٧) في هـ. أ: اي لا خير فيكم كما لاخير في السهم الأخيب، وهوسهم لاحظ له في الغمار،
 وهو ثلاثة اسهم: السفيح، والمنيح، والوغد.
 وفي هامش آخر: الاخيب: الأشد خيبة، وهي: الحرمان. في هـ. أ: الافوق: السهم المكسور
 الافوق، وهو موضع الوتر منه، والناصل: الذي لا نصل فيه.
 (٨) وفي هامش آخر: اي بسهم منكر لا نصل فيه - على تقدير موصوف محذوف -، وناصل: ما
 خرج نصله وسقط.
 (٩) في هـ. أ: اي علاجكم او عادتكم.

(١٠) في ب: أقولاً بغير علم؟ وفي هـ. ص وهـ. أ: في نسخة: بغير عمل.
 (١١) في ب وهـ. أ: في نسخة: عقة، وفي هـ. د: عفة - م ك، وفي هـ. ب: في نسخة: وعقلة.
 (١٢) في هـ. أ: اي يمنحهم ويعظمهم بما لا يستحقونه، وليست هي واقعية ويجيبوا دعوته،
 وكأنه ^{عليه السلام} عرف عن بعضهم ان أحد اسباب غفلتهم عن ندائه انما هو طمعهم في ان يزداد
 عطياتهم او يمنحهم زيادة على ما يستحقونه كما فعل غيره... وأشار الى ذلك ونبههم الى قبحه
 ←

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في غزاة الضحاك بن قيس.

قال إبراهيم بن هلال الثقفى: دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة، وترفع ^(١) عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي عليه السلام فأغز عليه، وإن وجدت ^(٢) مسلحة ^(٣) أو خيلاً فأغز عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، ولا تقيم لخيـل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف.

فأقبل الضحاك، ينهب ^(٤) الأموال ويقتل من لقي من الأعراب، حتى مر بالشعلبية ^(٥) فأغار على الحاج، فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عَميس بن مسعود الهذلي وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقتله في طريق الحاج عند القُطْقُطانة ^(٦). وقتل معه ناساً من أصحابه.

قال: فروى إبراهيم بن مبارك البجلي عن أبيه، عن بكر بن عيسى، عن أبي رَوْق ^(٧)، قال: حدثني أبي، قال: سمعت علياً عليه السلام، وقد خرج إلى الناس، وهو يقول على المنبر: يا أهل الكوفة، اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عَميس، وإلى اخوان ^(٨) لكم قد أصيب منهم طرف، اخرجوا فقاتلوا عدوكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

فردوا عليه ردّاً ضعيفاً، ورأى منهم عجزاً وفشلاً، فقال: والله لو ددت أن لي بكل ثمانية منكم رجلاً منهم! ويحكم اخرجوا معي، ثم فرّوا عني ما بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نبي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم. ثم نزل.

→ من حيث انه طمع في غير حق. اي تختارون قولاً وغفلة وطعماً. استفهام بمعنى النهي والانكار والمعنى الايجاب؛ لاختيارهم السوء.

(١) في ط: وترتفع. (٢) في ط: وجدت له.

(٣) المسلحة: الجماعة ذوو السلاح. (٤) في ط: فنهب.

(٥) الشعلبية: من منازل طريق مكة الى الكوفة.

(٦) القُطْقُطانة - بالضم ثم السكون -: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف.

(٧) في ص: ابن روق. (٨) في ط: جيوش.

فخرج يمشى حتى بلغ النخيلة^(١)، ثم دعا حُجْر بن عديّ الكِنْدِيّ، فعقد له على اربعة
آلاف، فخرج مغذاً^(٢) في اثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر^(٣) فواقعه فاقتتلوا ساعة،
فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ومن أصحاب حجر رجلان وحجز بينهم
الليل، انتهى^(٤).

(٢) : اي مسرعاً .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١١٧ و ١١٨ .

(١) في ط : الغريين .

(٣) في ص : تدبر .

ومن خطبة له عليه السلام في معنى قتل عثمان:

لَوَأْمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا^(١)، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ^(٢) لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ^(٣) لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ^(٤)، اسْتَأْثَرْتُ^(٥) فَاسَاءَ الْآثَرَةُ^(٦)، وَجَزَعْتُ^(٧) فَاسَأْتُمُ الْجَزَعَ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ^(٨) فِي الْمُسْتَأْثَرِ^(٩) وَالْجَاذِعِ^(١٠).

(١) في هـ. أ ما يلي: تبرأ عليه السلام من قتل عثمان ونصره جميعاً، وإذا لم يكن ناصراً له ولا قاتلاً لم يبق إلا الخاذل؛ ثم طفق يعتذر للخاذل لأنه... الآثرة ما استحق النصر ولم يكن للقاتل أن يقتله أيضاً، وكان ما فعله الخاذل أولى بالحزم.

(٢) في هـ. أ: يعني مروان بن الحكم نصره، وطلحة والزبير خذلاه، فليس لمروان أن يقول: أنا خير من طلحة والزبير، وليس لطلحة والزبير أن يقولوا: مروان خير منا.

(٣) في هـ. أ: الخاذل عبد الله بن مسعود.

(٤) في هـ. ب: أي اجمع لكم بيان أمره، أو شرح أمره.

(٥) في هـ. أ: أما استئثار عثمان، فاستبداده برأيه فيما الأمة شركاء فيه، والخروج في ذلك إلى حد الإفراط الذي أفسد معه نظام الخلافة عليه، وأدى إلى قتله، وأما قاتلوه فلخرجهم في الجزع من فعله إلى طرف التفريط عما كان ينبغي لهم من التريث وانتظار إصلاح الحال بينهم بدون القتل.

(٦) في هـ. أ: قال المؤبري أنه فوض الأعمال إلى بعض قرابته صلة للرحم، فما راعى القريب حق العمل.

(٧) في هـ. أ: يعني جزعتم في أمر عثمان فافرطتم في الجزع، بأن اخترتم قتله، فالحاصل أنهم مفرطون في الجزع كمال الإفراط، وفرط هوفي استبداد ما ليس له.

(٨) في هـ. أ: قوله عليه السلام: «ولله الحكم الواقع» يريد بالحكم الواقع: الحكم المكتوب المقدر قضائه تعالى في اللوح.

(٩) في هـ. أ و ب: أي عثمان.

(١٠) في هـ. أ: القوم، وفي هامش آخر: وفي الجازع: هو الحكم لقاتليهم لكونهم قاتلين وجازعين، وفي نسبة هذه الأحكام إلى الله تعالى تنبيه على تبرئته من الدخول في أمر عثمان



قوله ﷺ: «غير أن من نصره ... إلى آخره»:

استثناء منقطع مما قبله لفظاً، متصل به معنى، كما هو شأن الاستثناء المنقطع، أي لكن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، وذلك لأنّه ﷺ خذله وهو خير الناس كلهم. فأثبت بهذه الكلمة أنه خذله.

ثم قال: «ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني»:

وذلك لأن انصاره لم يكن فيهم خير، ونفى ﷺ بهذه الكلمة نصره له، لأنّه لو نصره لكان خيراً من كل ناصر وخاذل، وقد كان في الخاذلين أختيار من الصحابة، فلا يكون خيراً منهم إلا علي ﷺ ولم يثبت نصره لعثمان، فامتنع هذا القول أن يقال.

وكل هذا الكلام شرح لحاله في امر عثمان، نفى أن يكون آمراً به أو ناصراً له، وأثبت أنه خاذل له، والله أعلم.

وقال في شرح ابن أبي الحديد: هذا الكلام بظاهره يقتضي أنّه ما أمر بقتله ولا نهى عنه، فيكون دمه عنده في حكم الأمور المباحة التي لا يؤمر بها ولا ينهى عنها. غير أنه لا يجوز أن يحمل الكلام على ظاهره؛ لما ثبت من عصمة دم عثمان^(١).

ثم أورد تأويلاً متعسفاً مبناه على دعواه عصمة دم عثمان، ودون اثبات هذا الأصل خرط القتاد^(٢)، وكيف يقال بذلك وقد حكم علي ﷺ على أهل الدار بحكم البغاة كما سلف نقله من رواية الكلبي.

وايضاً: فإنّ الذين أجلبوا عليه وحصلوه كانوا خلصان أمير المؤمنين ومن نعلم تولّيه

→ وقاتليه.

ويحتمل أن يكون الحكم في الآخرة لاحق لكل من الثواب والعقاب عما ارتكبه من خطأ أو صواب. كقوله تعالى: ﴿والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٦.

(٢) هذا مثل يقال لكل ما يصعب اثباته، والقتاد: نبات ذو شوك لا يمكن اختراطه باليد.

لهم بالضرورة كالاشتر، ومحمد بن أبي بكر، وعمرو بن الحمق، وحجر بن عدي، وحكيم بن جبلة، واضرايهم من أصحابه.

ثم قال ابن أبي الحديد بعد كلام طويل: أنه قد نقل كلام كثير لأئمة المؤمنين عليهم السلام في معنى قتل عثمان يجري هذا المجرى، نحو قوله عليه السلام: «ما سرّني ولا ساءني»، وقيل له: «أرضيت بقتله؟ فقال: لم أرض، فقيل له: أسخطت قتله؟ فقال: لم أسخط»، وقوله عليه السلام تارة: «الله قتله وأنا معه»، وقوله عليه السلام تارة أخرى: «ما قتلت عثمان ولا مالأت في قتله»، وقوله عليه السلام تارة أخرى: «كنت رجلاً من المسلمين أوردت إذ أوردوا، وأصدرت إذ أصدروا»^(١). ولكل شيء من كلامه إذا صح عنه تأويل يعرفه أولوا الألباب^(٢)، انتهى.

فان قلت: فإذا كان كلامه يدل على أن دم عثمان مباح فلن يكون إلا بارتكابه ما يبيحه، فهلاً تولاه وأعان عليه؟!

قيل له: ذلك نهى عن منكر، إذا تولاه بعض المسلمين سقط وجوبه، ورأى أن في التباعد منه مصلحة، وهو إزالة التهمة عنه التي لبس بها أنصار عثمان على الناس.

فان قلت: فما باله لم يرضه ولم يسخطه؟

قلت: أما عدم سخطه فلأنه صواب، وأما عدم رضاه به فأراد نفي المسرة التي كان ينسبها إليه أولياء عثمان، وهي المسرة بقتله لينال الملك، كما قال الوليد بن عقبة: قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه. والله اعلم.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٨.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٨.

ومن كلام له عليه السلام لعبد الله بن العباس لما أنفذه إلى الزبير يستفيئه^(١) إلى طاعته قبل حرب الجمل^(٢):

لَا تَلْقَيْنِ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّه تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ^(٣)، يَرْكَبُ الصَّعْبَ^(٤) وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ^(٥)، وَلَكِنَّ الْفَقْرَ الزُّبَيْرَ^(٦)، فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةً^(٧)، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ^(٨) وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ^(٩)، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ؟^(١٠)

(١) وفي نسخة ب: ليستفيئه، وفي هـ. ص: يستفيئه: يسترجعه، وفي هـ. أ: يستفيئه اي يسترجعه من فاء: اذا رجع.

(٢) في هـ. أ: لما أنفذ عبد الله بن العباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل وقوع حرب الجمل، وفي ب: لما أنفذ عبد الله بن العباس إلى الزبير قبل وقوع حرب الجمل. وفي أ زيادة: فقال له عليه السلام، وفي ب: زيادة قال له عليه السلام. وفي هـ. أ وفي ط في نسخة زيادة: قال له عليه السلام.

(٣) في هـ. ص: عاقصاً، اي عاطفاً له، مميلاً له إلى جانب اللطعن. وفي هـ. أ: عاقصاً، اي معوجاً قرنه إلى اذنه من خلفه، دلّ به على التواء، وفي هامش آخر فيه: العقص هو اعوجاج، وعقص الثور قرنه - بالفتح - متعدي، وبالكسر لازم. وفي هـ. ب: عاقصاً لاوياً.

(٤) في هـ. أ: الصعب: الدابة الجموح. (٥) في هـ. أ: الذلول: الساكنة السهلة.

(٦) في هامش ب: ابن خاله، كان أمير المؤمنين عليه السلام ابن خال الزبير؛ لان ام الزبير هي صفية بنت عبد المطلب، وصفية عمّة أمير المؤمنين عليه السلام وعمّة رسول الله (ص)، ولهذا قال رسول الله (ص): الزبير ابن عمتي وحواري من امتي.

(٧) في هـ. ص: العريكة هي هنا الطبيعة، وقد تطلق على اعلی السنام. وفي هـ. أ: بقية السنام: عبارة عن لين خلق، وفي هـ. ب: العريكة: اعلی السنام.

(٨) في هـ. ب: الحجاز يعني المدينة. (٩) في هـ. ب: العراق يعني بالبصرة.

(١٠) في هـ. أ: اي ما صرفك عني مما بدا لك مني؟ او ما صرفك عما كان بدا لك من بيعتك ونصرتك إياي؟، وفي هامش، آخر منه: قوله: فما عدا مما بدا، قيل: من بمعنى عن، أي عما بدا منك إليّ، اي ظهر، اي: ما الذي صرفك عن طاعتي بعد اختيارك لها؟ المفعول «كثير كقوله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ مِنْ أَرْسَلْنَا﴾ اي ارسلناه. وفي هـ. ب: قوله عليه السلام: فما عدا مما بدا، اي ما صرفك عني مما ظهر لك مني. وفي هـ. ص: عدا: أي صرف، وبدا: ظهر.

قال السيد^(١) رحمه الله عليه^(٢):

وهو عليه السلام أَرَلُ مَنْ سُمِعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ - أَغْنِي: «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا».

عدا: اي صرف. وبدا: ظهر، ويحتمل ان يكون المعنى: ما صرفك عن طاعتي التي كنت عليها؟، ويحتمل ان يكون المعنى: ما الذي صرفك عن ان تظهر ما أبديته لي بالعراق من الخلاف؟، هلاً أبديته قبل البيعة واطهارك لي الطاعة.

قال في الشرح: وروى جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جده عليه السلام، قال: سألت ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك^(٣)؟ قال: بعثني، فأتيت^(٤) الزبير. فقلت له، فقال: قل له إني أريد ما يُريده^(٥) - كأنه يقول: المُلْك - لم يَزِدْنِي على ذلك. فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته.

وروى محمد بن إسحاق الكلبي، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قلت الكلمة للزبير، فلم يزدني على أن قال: قُلْ له: إِنَّا مع الخوفِ الشديد لنَطْمَعُ. وقالوا: وسئل ابن عباس عما يَعْنِي بقوله هذا، فقال: يقول: إِنَّا على الخوف لنطمع أن نلبي من الأمر ما وليتم.

وقد فسرهم قوم بتفسير آخر فقالوا: أراد إِنَّا مع الخوف الشديد من الله، لنطمع أن يُغفر لنا هذا الذنب.

قلت: وعلى كلا التفسيرين لم يحصل جواب المسألة. انتهى من شرح ابن الحديد^(٦).

(١) في ط: قال الرضي رحمه الله. وفي د: اقول. (٢) ما بين المعقوفتين لم ترد في ص وب.

(٣) في ص: عنه. (٤) في ط: فقال اني اتيت.

(٥) في ط: ما تريد. (٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦٦.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ^(١)، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا،
وَيَزِدُّادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُنُوتًا^(٢)، لَا نَسْتَفْعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً^(٣)
حَتَّى تَحُلَّ بِنَا. وَالنَّاسُ^(٤) عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ:
مِنْهُمْ: مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً^(٥) نَفْسِهِ، وَكَلَالَةً حَدِّهِ، وَنَضِيزُ^(٦)
وَقُرْهِ^(٧).

وَمِنْهُمْ: الْمُضْلِلُ بِسَيْفِهِ، وَالْمُغْلِبُ بِسِرِّهِ^(٨)، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ^(٩) نَفْسَهُ
وَأَوْثَقَ^(١٠) دِينَهُ لِحُطَامٍ^(١١) يَنْتَهِزُهُ^(١٢)، أَوْ مَقْنَبٍ^(١٣) يَقْوَدُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ^(١٤). وَلِبِئْسَ الْمَتَجَرُّ

(١) في أ و د: كنود. وفي هـ. ب: في نسخة: كنود، يعني جحود.

(٢) في هـ. ب: عتوا: أي عصياناً. (٣) في هـ. ب: أي مصيبة.

(٤) في ص و ط: فالناس. (٥) في هـ. ب: أي مذلة.

(٦) في هـ. ص ما يلي: نضيض، يقال بالباء والنون، أي قلة ماله، وكان ص: «ونضاضة» ليقع المصدر في مقابلة المصدر.

(٧) في هـ. ب: نضيض وفره: أي قليل ماله، والجمع النضاضيض: المال الناض والنقد الحاصل.

(٨) في هـ. ص: في نسخة: لشره، وفي أ و ط و د: بشره.

(٩) في هـ. ص: أي علمها وهيئتها للإفساد، وفي هـ. ب: أي أعلم نفسه بعلامة أهل الإفساد.

(١٠) في هـ. ص و ب: أي أهلك.

(١١) في هامش ص: الحطام: متاع الدنيا، واصله ما يتحطم من النبات، سمي به عرض الدنيا لسرعة فناؤه.

(١٢) في هـ. ب: الانتهاز: انتظار الفرصة، وفي هامش آخر: ينتهزه: يسلبه.

(١٣) في هـ. ص: المقنب: الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. وفي هـ. ب: السرية.

(١٤) في هـ. ص: أي يعلوه، وفي هـ. ب: يصعده.

أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا، وَمَتَا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوْضًا.
وَمِنْهُمْ: مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ^(١)، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ
شَخْصِهِ^(٢)، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخَرَفَ^(٣) مِنْ نَفْسِهِ لِأَمَانَةٍ، وَاتَّخَذَ
سِتْرًا لِلَّهِ^(٤) ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ^(٥).
وَمِنْهُمْ: مَنْ أَقْعَدَهُ^(٦) عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤْلَةُ نَفْسِهِ^(٧)، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ
عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى^(٨) بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِإِلْبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ^(٩)، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ
وَلَا مَعْدَى.

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ^(١٠) وَأَزَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ،
فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ^(١١)، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ^(١٢)، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ^(١٣)، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ.

(١) في هـ. ب: اي بالتقشف.

(٢) في هـ. ب: اي قصر من نفسه، وفي هامش آخر: طامت: اي سكنت بالمكان المطمئن في
قوله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ يونس: ٧/١٠.

(٣) في هـ. ب: تزين. (٤) في هـ. ب: ستر الله: اي دين الله وشريعته.

(٥) في هـ. ص ما يلي: هذا الكلام يتضمن ذم من يدعي الآخرة من اهل كل زمن وليس لدعواه
حقيقة، وهم اهل الرياء والنفاق ولا يسي الصوف والشياب المرقوعة لغير وجه الله، وهم القراء
المراؤون، وقد روي في ذمهم عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين شيء كثير.
والفرق بين هذا القسم والمذكور بعده: ان هذا مختار لحالته يتوصل بها الى غرضه الديني،
والآخر ملجأ الى حالته، فظهر انه مختار لها للآخرة وليس كذلك.

وفي هامش آخر في ص: قد جاء في الأخبار عن النبي ﷺ انه قال: «تعوذوا بالله من جبّ
الْحَزْنِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا جِبُّ الْحَزْنِ؟ قَالَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، يَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلُّ يَوْمٍ مِائَةً
مَرَّةً. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَدْخُلُهُ؟ قَالَ: الْقَرَاءُ الْمَرَاوُنُ بِأَعْمَالِهِمْ».

(٦) في ط وهـ د: ابعد - ح. (٧) في هـ. ص: اي ضعفها وحقارتها.

(٨) في هـ. ب: تجلّى.

(٩) في هـ. ب: اي صفة الضعف على حال هو عليها.

(١٠) في هـ. ب: اي القيامة والقبر والحساب.

(١١) في هـ. أ: اي نافر - من الندود -، وفي هـ. ب: شريد: هارب.

(١٢) في هـ. أ: اي ذليل، وفي هـ. ب: ذليل، مقهور مذل.

(١٣) في هـ. أ: اي مشدود الفم، وفي هـ. ب: مكعوم: مشدود الفم بالكعام وهو ما يشد به الفم.

وفي هامش آخر منه: اي مشدود.

وَتَكْلَانِ^(١) مُوجِع، قَدْ أَحْمَلْتَهُمْ^(٢) التَّقِيَّةَ^(٣)، وَشَمَلْتَهُمُ الذَّلَّةَ، فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ^(٤)، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ^(٥) وَقُلُوبُهُمْ قَرَحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا. فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ^(٦) مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ^(٧)، وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ^(٨). وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ^(٩) بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً^(١٠)، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ^(١١) مَنْ كَانَ أَشْغَفَ^(١٢) بِهَا مِنْكُمْ.
إِذَا قَالَ الرُّضِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١٣):

وهذه الخطبة رُبَّمَا نسبها من لَاعِلَمَ له إلى معاوية، وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لَا يُشْكُ فِيهِ. وَأَيْنَ الذَّهَبُ مِنَ الرِّغَامِ^(١٤)! و^(١٥) العَذْبُ مِنَ الْأُجَاجِ! وقد دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْخَرِيتُ^(١٦)، وَنَقْدُهُ النَّاقِدُ الْبَصِيرُ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَاحِظِ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فِي كِتَابِ «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ»^(١٧) وَذَكَرَ مِنْ نَسَبِهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ. ثُمَّ [تَكَلَّمَ مِنْ بَعْدِهَا

(١) فِي هـ. ب: الشَّكْلَى الَّذِي مَاتَ وَلَدَهَا.

(٢) فِي هـ. ب: الْخَامِلُ: السَّاقِطُ: الْمَخْمُولُ الذَّكَرُ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ، وَفِي هـ. ب: أَيِ ادَّلْتَهُمُ التَّقِيَّةَ.

(٣) فِي هـ. ص: فِي نَسَخَةِ: الْفِتْنَةِ.

(٤) فِي هـ. ص: أَيِ هُمْ فِي حَاجَتِهِمْ مَعَ سَعَةِ الْأَمْوَالِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُونَ وَجُوهَهَا كَمَنْ يَرْكَبُ الْبَحْرَ وَلَيْسَ مَعَهُ مَاءٌ عَذْبٌ، فَهُوَ ظِمَانٌ عَلَى كَثْرَةِ الْمَاءِ عِنْدَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٥) أَوْ بَوْطٍ وَدَفِي ص: ضَامِرَةٌ، وَفِي هـ. د: غَامِرَةٌ - م، وَفِي هـ. أ: أَيِ سَاكِنَةٍ، وَفِي هـ. ب: الضَّامِرُ الرَّجُلُ السَّاكِنُ.

(٦) فِي د: فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَصْغَرَ فِي أَعْيُنِكُمْ.

(٧) فِي هـ. أ: الْقَرْظُ: نَبْتٌ يَدْبِغُ بِهِ، وَالْحُثَالَةُ: مَا يَسْقُطُ مِنْهُ، وَفِي هَامِشٍ آخِرٍ مِنْهُ: الْحُثَالَةُ: مَا يَسْقُطُ مِنَ الشَّيْءِ. وَفِي هـ. ب: الْقَرْظُ نَبْتٌ يَدْبِغُ بِهِ الْجُلُودُ.

(٨) فِي هـ. أ: أَيِ الَّذِي تَجَزُّ مِنْهُ، وَمِنْهَا: الْجِلْمَانُ، وَفِي هـ. ب: أَيِ قَرَاظَةِ الْمَقْرَاضِ.

(٩) فِي هَامِشٍ ب: قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ، يَعْنِي الْمَوْتَ.

(١٠) فِي هـ. ب: أَيِ الدُّنْيَا.

(١١) فِي هـ. ب: أَيِ تَرَكْتِ.

(١٢) فِي هـ. ب: أَيِ أَحْرَصَ.

(١٣) فِي ص وَأ: قَالَ السَّيِّدُ وَفِي د: أَقُولُ، وَمَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ لَمْ تَرِدْ فِي ب.

(١٤) فِي هـ. ب: الرِّغَامُ: التَّرَابُ، يُقَالُ: رَغِمَ اللَّهُ أَنْفَهُ أَيِ الصَّقَهُ بِالتَّرَابِ.

(١٥) فِي هـ. ب: الْخَرِيتُ: الدَّلِيلُ الْمَاهِرُ.

(١٦) فِي ط: وَابْنُ.

(١٧) الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٢: ٥٩ - ٦١، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ، وَقَالَ: وَزَادَ فِيهَا الْبَقَطْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ:

بكلام في معناها، جملته أنه قال: وهذا الكلام^(١) بكلام عليٍّ عليه السلام أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الأخبار^(٢) عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقيّة والخوف أليق، قال: ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذهب^(٣) العبّاد.

→ «لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له: من بالباب؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك، فقال: ويحك! ولم؟ قال: لا أدري، قال: فوالله ما لهم بعدى إلا الذي يسوءهم، وأذن للناس، فدخلوا». ثم أورد الخطبة بروايته، وقال في آخرها: «وفي هذه الخطبة - أبقاك الله - ضروب من العجب، منها: أن الكلام لا يشبه السبب الذي من أجلهم دعاهم معاوية. ومنها: أن هذا المذهب في تصنيف الناس، وفي الأخبار عما هم عليه من القهر والاذلال، ومن التقيّة والخوف أشبه بكلام علي رضي الله عنه ومعانيه وحاله منه بحال معاوية، ومنها: أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ويذهب مذاهب العبّاد، وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه، والله أعلم بأصحاب الأخبار، وبكثير منهم».

(١) كذا في ب وط، وفي ص وأ: ثم قال: هي بكلام عليٍّ عليه السلام.

(٢) في د: وبالأخبار. (٣) في أ وب وط ود وهـ: ص: ومذاهب.

ومن خطبة له ﷺ عند خروجه ^(١) لقتال أهل البصرة:

قال عبد الله بن العباس رضي الله عنه ^(٢): دخلت على أمير المؤمنين ﷺ بذي قار وهو يَخِصِف ^(٣) نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال ﷺ: والله لَهِىَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ ^(٤)، إِلَّا أَنْ أُقِيمَ ^(٥) حَقًّا، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا، ثُمَّ خَرَجَ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدَّعِي بُرْهَةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ^(٦)، وَبَلَّغَهُمْ مَنَاجَاتَهُمْ ^(٧)، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ^(٨)، وَاطْمَأَنَّتْ ^(٩) صَفَاتُهُمْ ^(١٠).

أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا ^(١١) حَتَّى تَوَلَّيْتُ ^(١٢) بَحْذَا فِيرِهَا، مَا عَجَزْتُ ^(١٣) وَلَا جَبَّيْتُ،

(١) في ب: مسيره.

(٢) لم ترد «رضى الله عنه» في أ ود.

(٣) في هـ. ص: أي يرقع، وذوقار موضع قريب من البصرة، وفيه وقعت الحرب بين العرب والفرس قبل الاسلام ونصرت العرب. وفي هـ. أ: يخصف: أي يخيطة.

(٤) في ص زيادة: هذه.

(٥) في هـ. ب: أي أقوم وأثبت.

(٦) في هـ. ص: أي انزلهم محلته من الاسلام التي ينبغي ان يكونوا عليها، وفي هـ. أ: أي اسكنهم منزلتهم، أي ضربهم بسيفه قبل الاسلام حتى أوصلهم إليه. ومثله: وبلغهم منجاتهم، إلا ان في هذه الفاصلة ذكر النجاة مصرحاً به. وفي هـ. ب: محلته، أراد دار الكرامة والعزة بالاسلام.

(٧) في هـ. ب: أي موضع نجاتهم.

(٨) في هـ. أ: فاستقامت قناتهم: أي استقاموا على الاسلام.

(٩) في هـ. أ: واطمأنت: أي كانت متزلزلة فاستقرت.

(١٠) في هـ. ب: الصفا: صخرة ملساء، وهي كناية عن النفس.

(١١) في هـ. أ: ثم أقسم أنه كان في ساقته حتى تولت، شبه أمر الجاهلية بكيفية مقبلة للحرب، فقال: إني طردتها فولت بين يدي ولم ازل في ساقته، أطردها حتى تولت بأسرها. وفي هـ. ب: إني كنت لفي ساقته، «أن» مخففة من الثقيلة، أي انه على اضرار الامر والشأن، «كنت لفي ساقته»، الساقة: جمع سائق، والهاء ضمير العرب، يعني: كنت في عداد من ساق العرب، أي كنت مع رسول الله ﷺ.

(١٢) في أ وهامش ط: في نسخة: ولت، وفي هـ. د: حتى توليت - ر.

(١٣) في هامش ط ود: ضعفت - وص ح ع.

وإنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا^(١) فَلَا تُقْبِنِ^(٢) الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ.
مَالِي وَلَقُرَيْشٍ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَلَا قَاتِلَتُهُمْ مَفْتُونِينَ^(٣)، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ
بِالْأَمْسِ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ^(٤)! وَاللَّهِ^(٥) مَا تَنْقِمُ مِنِّي قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ،
فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا^(٦)، فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:
أَدُمْتُ لَعْمَرِي^(٧) شَرْبَكَ الْمُحَضِّ^(٨) صَابِحاً وَأَكْلَكَ بِالزَّبْدِ الْمُقَشَّرَةِ^(٩) الْبُجْرَا
وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ عَلَيْنَا وَحُطْنَا^(١٠) حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا^(١١)

قوله ﷺ: «أما والله ان كنت لفي ساققتها... الى آخره»:
الأصل في «ساققتها»^(١٢) أن يكون جمع سائق كخائض وخاضة^(١٣) وحائك وحاقة،
ثم استعملت لفظة «الساقة» للأخير؛ لأن السائق إنما يكون في آخر الركب أو^(١٤) الجيش.
وشبهه على ﷺ أمر الجاهلية، إما بعجاجة نائرة، أو بكتيبة مُقْبِلَة للحرب، فقال: إني
طردتها فولّت بين يدي، ولم أزل في ساققتها أطردّها^(١٥) وهي تنطرد أمامي، حتى تولّت
بأسرها ولم يبق منها شيء، ما عجزت عنها، ولا جئنت منها.

-
- (١) في هامش أ: لمثلها، أي مثل مغازي رسول الله (ص).
(٢) في ص: ولا تقبِن، وفي ب: فلا تقرن، وفي هـ: ب: في نسخة: فلا تقرن، وفي هـ: د: وروي:
لا تقبِن - ر، وفي هـ: أ: ولا تقبِن الباطل، جعله كأنه شيء قد شمل على الجوف، فأقسم لينقبه
إلى أن يخرج من جنبه، وهذا من الاستعارة. وفي هـ: ب: أي لاشقن الباطل.
(٣) في هـ: أ: وإنما قال «مفتونين» لأن الباغي على الإمام مفتون فاسق.
(٤) في هـ: ب: صاحبهم اليوم، يعني: الجهاد والغزو.
(٥) من هنا إلى آخر الخطبة لم ترد في أ و ب، ووردت في د في الهامش عن ح.
(٦) في ص: خيرنا.
(٧) في ص: لعمرؤ.
(٨) في هـ: ص: المحض: هو اللبن الخالص.
(٩) في هـ: ص: الزبدة المقشرة، كأنه يعني الرطبة العظيمة، ومحصوله: ألّث له الأكل.
(١٠) في ص: وجلنا.
(١١) في هـ: ص: الجرد: الخيل، والسمر: الرماح.
(١٢) في نسخة ص: اصل لفي ساققتها. (١٣) في ط: كحائض وحاضة.
(١٤) في الأصل: والجيش.
(١٥) في ط: أنا أطردّها.

قال^(١): «وإن مسيرى هذا لمثلها، فلأنقبن^(٢) الباطل»:

كأنه جعل الباطل كشيء قد اشتمل على [الحق] واحتوى عليه، وصار^(٣) الحق في طيِّه، كالشيء الكامن المستتر فيه، فأقسم لينقبن ذلك الباطل إلى أن يخرج الحق من جنبه. وهذا من باب الاستعارة أيضاً.

ثم قال: «لقد قاتلت قريشا كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين»؛ لأن الباغي على الإمام مفتون فاسق.

[من أخبار يوم ذي قار]

وروى أبو مخنف عن الكلبي، عن أبي صالح، عن زيد بن علي، عن ابن عباس، قال: لما نزلنا مع عليّ عليه السلام ذا قار، قلت: يا أمير المؤمنين، ما أقلّ من^(٤) يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن! فقال: والله ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً، لا يزيدون رجلاً ولا ينقصونه^(٥).

قال ابن عباس: فدخلني^(٦) من ذلك شكٌ شديد في قوله، وقلت في نفسي: والله إن قدّموا لأعدّتهم.

قال أبو مخنف: فحدث محمد بن إسحاق، عن عمه عبد الرحمن بن يسار، قال: [نفر إلى عليّ عليه السلام إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبرّ ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً]^(٧) أقام عليّ بذى قار خمسة عشر يوماً، حتى سمع صهيل الخيل وشحيج البغال حوله. قال: فلما سار بهم منقلة^(٨)، قال ابن عباس: والله لأعدّتهم، فإن كانوا كما قال، وإلا أتممتهم من غيرهم، فإنّ الناس قد كانوا سمعوا مقالته^(٩). قال ابن عباس: فعرضتهم فما والله^(١٠) وجدّتهم يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً، فقلت: الله أكبر! صدق الله ورسوله! ثم سرنا.

(٢) في ص: ولا نقبن.

(١) في ط: ثم قال.

(٤) في ص: ما يأتيك.

(٣) ما بين المعقوفتين لم ترد في الاصل.

(٦) في ط: فدخلني والله.

(٥) في ط: لا يزيدون ولا ينقصون.

(٧) ما بين المعقوفتين من ط، ولم ترد في ص.

(٩) في ط: قوله.

(٨) المنقلة: مرحلة السفر.

(١٠) في ط: فوالله ما وجدّتهم.

قال أبو مخنف: ولما بلغ حذيفة بن اليمان أن علياً قد قدم ذا قار، واستنفر الناس، دعا أصحابه فوعظهم، وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا، ورغبهم في الآخرة، وقال لهم: الحقوا بأمر المؤمنين وسيد المسلمين^(١) فإن من الحق أن تنصروه، وهذا الحسن ابنه وعمار، قد قدما الكوفة يستنفران الناس، فانفروا.

قال: فنفر أصحاب حذيفة إلى علي^(٢)، ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة، وتوفي^(٣).

قال أبو مخنف: ^(٣) وقال هاشم بن عتبة المرقال، يذكر نفورهم إلى علي^(٤):

وَسِرْنَا إِلَى خَيْرِ السَّرِيَّةِ كُلِّهَا	عَلَى عِلْمِنَا أَنَا إِلَى اللَّهِ نَرْجِعُ
نُوقِرُهُ فِي فَضْلِهِ وَنُجِلُّهُ	وَفِي اللَّهِ مَا نَرْجُو وَمَا نَتَوَقَّعُ
وَنُخْصِفُ أَحْقَافَ الْمَطِيِّ عَلَى الْوَجَا	وَفِي اللَّهِ مَا نُزْجِي وَفِي اللَّهِ نُوضِعُ
بِجَمْعٍ عَظِيمٍ تَبْتَغِي الْحَقَّ وَالْهُدَى ^(٥)	إِلَى ذِي ثَقَى فِي نَصْرِهِ نَتَسَرَّعُ
نَكَافِحُ عَنْهُ وَالسَّيُوفُ شَهِيرَةٌ	تَصَافِحُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ فَتَقْطَعُ

انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٥).

(١) في ط: الحقوا بأمر المؤمنين ووصي سيد المرسلين.

(٢) في ط: إلى أمير المؤمنين. (٣) ما بين المعقوفتين من ط.

(٤) في ط: دلفنا بجمع آثروا الحق والهدى. (٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٨.

ومن خطبة له ﷺ في استنفار الناس إلى أهل الشام:
 أَفٌ^(١) لَكُمْ! لَقَدْ سِئِمْتُ عِتَابَكُمْ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضًا، وَبِالذِّلِّ مِنَ
 الْعِزِّ خَلْفًا! ^(٢) إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ^(٣)،
 وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ.

يُرْتَجُ^(٤) عَلَيْكُمْ حَوَارِي^(٥) فَتَعْمَهُونَ^(٦)، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَالُوسَةٌ^(٧)، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ.
 مَا أَنْتُمْ لِي بِبَيِّنَةٍ، سَجِيسَ اللَّيَالِي^(٨)، مَا أَنْتُمْ^(٩) بِرُكْنٍ يُمَالُ الْيَكْمَ^(١٠)، وَلَا زَوَافِرٍ^(١١) عِزٌّ
 يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ. مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَابِلٌ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ.
 بُسْ^(١٢) - لَعَمْرُ اللَّهِ - سَعُرُ نَارٍ^(١٣) الْحَرْبِ أَنْتُمْ!، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَيُسْتَنْقَضُ^(١٤)

(١) في هـ. ص: «أف» كلمة استقذار واهانة، وفيها لغات، وفي هـ. ب: الأف: وسخ الظفر
 والأنف.

(٢) في هـ. ب: أي في غشيان.

(٤) في هـ. ب: ص: يرتج أي يغلق، وفي هـ. ب: يرتج يغلق تشبيها بالرتاج، وهو الباب المغلق.

(٥) في هـ. ص: أي الجواب. وفي هـ. ب: أي كلامي.

(٦) في هـ. ص وب: أي: تنحيرون.

(٧) في هـ. ص: الألس: الجنون. وفي هـ. أ: المألوس: المجنون، والألس: اختلاط العقل.. وفي
 هـ. ب: المألوس والمألوق: مضطرب اللب.

(٨) في هـ. ص سجييس الليالي: أبدأ، أي مدى الليالي.

(٩) في هـ. أ: أي يستند اليكم.

(١٠) في ط: وما انتم.

(١١) في هـ. ص: زوافر: جمع زافرة، وزافرة الرجل: انصاره، ويحتمل أن تكون زوافر بمعنى

حوامل، والزفر: تحميل الوقر، وفي هـ. أ: الزافرة: حاشية الرجل: انصار الرجل وعشيرته.

(١٢) كذا في ص وأ، وفي ب وط ود: لبس.

وفي هـ. ب: أي انصار.

(١٣) في هـ. ص: ساعر: ككظم جمع كاظم. وفي هـ. أ: أي انتم ساعر ناره، والسعر جمع

سعور، وفي هـ. ب: ساعر: جمع سعور، وهو مبالغة ساعر، وهو الذي يسعر نار الحرب.

(١٤) في ب: تنقص، وفي هـ د: وينقص - ع.

أُطْرَافُكُمْ فَلَا^(١) تَمْتَعُضُونَ^(٢)، لَا يَنَامُ^(٣) عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ. غَلِبَ وَاللهِ الْمَتَخَاذِلُونَ!.
وَاَيْمُ اللهِ، إِنِّي لَاظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْحِيسَ الْوَعَى^(٤)، وَاسْتَحَرَ الْمَوْتُ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ
أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ^(٥).

وَاللهِ إِنَّ امْرَأًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، يَغْرُقُ لَحْمَهُ^(٦)، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَقْرِي^(٧) جِلْدَهُ،
لِعَظِيمٍ عَجْزُهُ^(٨)، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ.

أَنْتَ فَكُنْ^(٩) ذَاكَ إِنْ^(١٠) شِئْتَ، فَأَمَّا أَنَا، فَوَاللهِ^(١١) دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ^(١٢) ضَرْبٌ
بِالْمَشْرِفِيَّةِ^(١٣) تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ^(١٤) الْهَامِ^(١٥)، وَتَطِيحُ^(١٦) السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ

(١) في ص وأ: ولا.

(٢) في هـ. ص: لا تمتعضون، اي لا تغضبون ولا تأنفون، وفي هـ. ب: اي فلا تغضبون.

(٣) في هامش ب: اي لا يغفل.

(٤) في هـ. ص: حمس الوعى، حمس: اي اشتد، والوعى هي الحرب، وأصله: الأصوات والجلبة. وفي هـ. أ: حمس الوعى: اشتد الحرب، وفي هـ. ب: اشتد.

(٥) في هـ. د: انفراج الرأس من الجسد - م، وفي هـ. ب: اي انكشفتم وتفرقتم عنه ولا تعودون، كما لا يعود الرأس الى الجسد بعد مفارقتها.

(٦) في هـ. ص: يعرق لحمه، يقال: عرفت اللحم من فوق العظم، أي: اخذت جميعه، وفي هـ. ب: من العرق، وهو أخذ اللحم بالسيف والسكين.

(٧) في هـ. ب: اي يقطع.

(٨) في هـ. أ: يريد المبالغة في الوصف بالعجز وخسّة النفس، يقال ذلك لمن يملك عدوه من نفسه، وبلغ من ضيق عيشه وقلة ذات يده الى ان يأكل اللحم الذي على عظمه، واذا لم يمكنه ذلك كسر عظمه ليأكل محه، كل ذلك يكون بعد أن يقطع جلده، والعظيم العجز: الضعيف القلب.

(٩) في هـ. ص: انت فكن، خطاب لمن يرى هذا ويرضى به ويقار عليه غير معين. وفي هـ. أ: «انت» خطاب لكل واحد من حضور مجلسه، وذاك الى من يصف عجزه بتمكين عدوه من نفسه كائنا من كان. وفي هـ. ب: ايها الناس.

(١٠) في ص: اذا. (١١) هـ. د: فأما أنا والله - ف. (١٢) في د: ذاك.

(١٣) في هـ. ص: المشرفية: هي السيوف، نسبة الى مشارف، وهي قرى من ارض العرب تدنو من الريف. وفي هـ. ب: مشرفية سيف منسوب الى قرية باليمن.

(١٤) في هـ. ب: فراش اي عظام.

(١٥) في هـ. ص: فراش الهام: هي عظام الرأس، جمع فراشة وفي هـ. أ: كل عظم رقيق وفي هـ. ب: فراش الهام عظام الرأس الدقيقة تلي التحف.

(١٦) في هـ. ص: تطيح: اي تبين وتطرح، وفي هـ. ب: تسقط.

ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ.

فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ ^(١)، فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيِّنِكُمْ ^(٢) عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا ^(٣) تَعْلَمُوا ^(٤).

وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أُمُرُكُمْ.

قال في شرح ابن أبي الحديد: خَطَبَ أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج، وقد كان قام بالتهروان، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أَمَّا بعد، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ نَصْرَكُمْ، فَتَوَجَّهُوا مِنْ قُورُكُمْ هَذَا إِلَى [عَدُوِّكُمْ مِنْ] ^(٥) أَهْلِ الشَّامِ.

فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَفِدَتْ نِبَالُنَا، وَكَلَّتْ سِوْفُنَا، وَانْصَلَتْ ^(٦) أَسِنَّةُ رِمَاحِنَا، وَعَادَ أَكْثَرُهَا قِصْدًا ^(٧). ارْجِعْ بِنَا إِلَى مِصْرِنَا، نَسْتَعِدُّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا، وَلَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي عَدَدِنَا مِثْلَ مَنْ هَلَكَ مِنَّا، فَإِنَّهُ أَقْوَى لَنَا عَلَى عَدُونَا.

فَكَانَ جَوَابُهُ عليه السلام لَهُمْ: «يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ» ^(٨).

فَتَلَكَّأُوا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: إِنْ الْبَرْدَ شَدِيدَ.

فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَجِدُونَ الْبَرْدَ كَمَا تَجِدُونَ. فَتَلَكَّأُوا عَلَيْهِ وَأَبَوْا، فَقَالَ لَهُمْ: أَفَّ لَكُمْ! إِنَّهَا سُنَّةٌ جَرَتْ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: «قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُذْخِلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ» ^(٩).

(١) في هـ. د: فاما حقكم فالنصيحة لكم - م. (٢) في هـ. ب: الفياء الغنيمه.

(٣) في هـ. ب: اي كي تعلموا. (٤) في هـ. أ: في نسخة: تعلموا.

(٥) ما بين المعقوفتين من ط، ولم ترد في النسخ.

(٦) انصلت: انجرد، وفي ط: انصلت.

(٧) قصد: جمع قصده، وهي الكثرة من القنائة أو الرمح.

(٩) المائدة: ٢٤/٥.

(٨) المائدة: ٢٤/٥.

فقام منهم ناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، الجراحُ فاشٌ في الناس - وكان أهلُ التَّهْرَوانِ قد أكثرُوا الجراحَ في عسكرِ أمير المؤمنين (عليه السلام) - فارجعْ إلى الكوفة، فأقم بها أياماً ثم اخرج، خار الله لك!

فرجع إلى الكوفة عن غير رضا.

ثم لم يزل يدعوهم ويحفظهم ثم خطبهم، فقال: أفي لكم لقد سئمت عتابكم... إلى آخر الخطبة. (١)

ومن خطبة له ﷺ بعد التحكيم:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ^(١) الْفَادِحِ^(٢)، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ^(٣)، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ^(٤).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ^(٥) الْعَالِمِ الْمَجْرُبِ، تُورِثُ الْحُسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ^(٦) مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ^(٧) أَمْرًا، فَأَيَّبْتُكُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءَ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةَ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ^(٨) وَضَنَّ الرَّئِدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُوهُوَازِنْ^(٩):

(١) في هـ. ب: الخطب: الامر العظيم.

(٢) في هـ. ص وب: اي الثقيل، وفي هـ. أ: من قولهم: فدحه الدين الثقيل.

(٣) في هـ. ب: الحدث الجليل: هو الحكومة. (٤) في ط ود زيادة: وحده لا شريك له.

(٥) في هـ. ب: في نسخة: المشفق.

(٦) في ب: ومحللت وفي د: ونخلت، وفي هـ. ب في نسخة: نخلت: أخلصت، ونخلت: اعطيت، وفي هـ. ص: اي اخلصته من نخلت الدقيق.

(٧) في هامش الالف: هو صاحب جذيمة، وحديثه مع جذيمة والزباء مشهور، فضرب لكل ناصح معصي مثل بقصير. وفي هـ. أ: قصير هو الذي قال فيه عدي بن زيد.

فطاوع امرهم وعصى قصيرا وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش وقصته في النصيح له مشهورة، انتهى.

قلت: واصل المثل: ان جذيمة الأبرش - احد ملوك العرب - قتل ابا الزباء ملكة الجزيرة، فبعثت اليه عن حين ليتزوج بها وسألته القدوم، فأجابها الى ذلك، وخرج في أ فارس، وكان قصير قد اشار الى جذيمة بأن لا يتوجه اليها، فلم يقبل رأيه، فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة، ولم ير منهم اكراماً له، فأشار عليه قصير بالرجوع عنها، وقال: انها امرأة ومن شأن النساء الغدر، فلم يقبل منها، فلما دخل اليها غدرت به وقتلته، فعندها قال قصير: «لا يطاع لقصير امر» فذهبت مثلاً.

(٨) في هـ. أ: حتى ارتاب الناصح يشير الى نفسه، يقول: خالفتموني حتى ظننت ان نصحي الذي نصحتكم به غير نصيح؛ لاجتماعكم على خلافي. وهذا حق؛ لان ذا الرأي الصواب اذا كثر مخالفوه يشك في نفسه.

(٩) في هـ. ص: هودريد بن الصمة. وفي هـ. ب: اخوهوازن، وهودريد بن الصمة، غزا اخوه

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى قَلَمٌ يَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ^(١)

→ عبد الله بن الصمة قوماً وغنم منهم وساق ابلهم، وأقام بمنعرج اللوى، ونهاه دريد عن المقام، وقال: ان القوم سيطلبونك ويتبعونك، فليج اخوه واقام، ثم ظعن ولحقه القوم فقتلوه، وأفلت دريد، فقال: أمرتكم ... البيت. انتهى.

قلت: نسبة ^(١) إلى هوازن، لان دريداً هوا بن الصمة، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، فاطلق لفظ الأخوة لمجرد الاتصال بهم.

وقصته في هذه القصيدة: ان اخاه عبد الله بن الصمة غزاه بن بكر بن هوازن، فغنم منهم واستاق ابلهم، فلما كان بمنعرج اللوى أراد ان يقسم النهب فقال له اخوه دريد: لا تفعل؛ فان القوم في طلبك، فأبى عليه واقام وبات، فلما أصبح هجم عليه القوم وقتلوه ونجى دريد بعد طعنات وجراح، فقال القصيدة. ومطلعها:

وَرَهْطُ بَنِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمُ شُهْدَى
سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارَسِيِّ الْمَسْرَدِ
فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدٍ
غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرُشِدُ غَزِيَّةَ أَرُشِدِ

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ
فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفِي مَدْجَجٍ
أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ

قلت: قال المرزوقي: يجوز أن يكون معنى «ظنوا» كل ظن قبيح بهم، إذا غزوكم في أرضكم وعقر دياركم. ويجوز أن يكون معنى ظنوا: أيقنوا؛ لأن الظن يستعمل في اليقين، على حد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ البقرة: ٢ / ٤٦. والمدجج: التام السلاح، من الدجة، وهي الظلمة. وسراتهم: خيارهم، وعنى بالفارسي المسرد: الدروع. ديوان الحماسة ج ٢ ص ٨١٣.

(١) في هـ. أ: هذه استعارة في عدم الفائدة في قول الناصح اذا لم يقبل منه، معناه: انه لم يبد بعد ذلك رأي مصيب لشدة ما لقيته منكم من الالباء والمخالفة، وهذا حق لان المشير الناصح اذا اتهم فسد رأيه.

وسبب التحكيم ان اهل الشام طلبوا ذلك فراراً من سيوف اهل العراق، لأنهم رأوا منهم امارات القهر والغلبة وانها قد لاحت فلما رأوا ذلك عدلوا عن النزاع إلى الخداع وكان ذلك رأي عمرو بن العاص وقد اورد ذلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين وهو ثقة صحيح العلم من اصحاب الحديث غير منسوب إلى هوى وتعصب، فمن اراد الوقوف على ذلك فليطالع كتابه المذكور. انتهى. هذا، وقد نقل ابن أبي الحديد نبذاً من قصة التحكيم وظهور امر الخوارج عن كتاب صفين في شرحه ٢: ٢٠٦. فراجع.

قال في شرح ابن أبي الحديد: قال نصر: وكان عليّ عليه السلام لما خدع عمرو أباه موسى بالكوفة، كان قد دخلها منتظراً ما يحكم به الحكماء، فلما تمّ على أبي موسى من الحيلة ما تمّ غمّ ذلك عليّاً وساءه، ووجّم له، وخطب الناس، فقال:

«الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدث الجليل... إلى آخر الخطبة التي ذكرها الرضي عليه السلام، وزاد بعد الاستشهاد بسبب دريد: «ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب، وأحييا ما أمات، واتبع كل واحد منهما هواه، وحكم بغير حجة ولا بيّنة ولا سنة ماضية، واختلفا فيما حكما، وكلاهما^(١) لم يرشد الله. فاستعدوا للجهاد، وتأهبوا للمسير، وأصبحوا في معسكركم يوم كذا».

قال نصر: فكان عليّ عليه السلام بعد الحكومة، إذا صلى الغداة والمغرب، وفرغ من الصلاة وسلم، قال: «اللهم العن معاوية، وعمرا، وأبا موسى، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد، والضحاك بن قيس، والوليد بن عتبة»، فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا صلى لعن عليّاً، وحسنا، وحسينا، وابن عباس، وقيس بن سعد بن عباد، والأشتر.

وزاد ابن ديزيل في أصحاب معاوية: أبا الأعور السلمي، انتهى^(٢)
ان قيل: هلاك أمير المؤمنين عليه السلام عن لعنهم لئلا يسبّب في لعنهم آياه والصالحين، كما قال تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله...﴾ الآية^(٣).

قلت: هذا مما تعارضت فيه المصلحة والمفسدة، فصير إلى الترجيح، فرجحت مصلحة سبّهم بأن فيه كشفاً لحالهم لمن يأتي من أعقاب الأمة بعدهم، لئلا تطرأ عليه الشبهة فيتولاهم أو يشك في أمرهم، كما وقع لأكثر الناس بعد كشفه عليه السلام لحالهم، فغلب هذه المصلحة على مفسدة سبّهم؛ لعلمه بأنها ستضمحل وتبقى المصلحة، بخلاف سبّ آلهة الكفار؛ فإن أمرهم ظاهر لا يحتاج إلى بيان، فلم يكن في سبّهم مصلحة راجحة، والله اعلم.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٠.

(١) في ط: فكلاهما.

(٣) الانعام: ٦ / ١٠٨.

ولما كان من امر الحكمين ما كان، قال كردوس بن هاني مفضياً:

ألا ليت مَنْ يَرْضَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ بعمرٍ ووعيد الله في لُجَّةِ الْبَحْرِ
رَضِينَا بِحُكْمِ اللَّهِ لِحُكْمِ غَيْرِهِ وبالله رَبًّا وَالنَّبِيَّ وَبِالذِّكْرِ
وَبِالْأُصْلَحِ الْهَادِي عَلَيَّ إِمَامَنَا رَضِينَا بِذَلِكَ الشَّيْخِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
رَضِينَا بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا وَأَنَّهُ إِمَامٌ هَدَى فِي الْحُكْمِ وَالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ
فَمَنْ قَالَ: لَا، قُلْنَا: بَلَى إِنَّ أَمْرَهُ لَا أَفْضَلَ مَا نُعْطَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
وَمَا لَا بَنٍ هُنْدٍ بَيْعَةٌ فِي رِقَابِنَا وَمَا بَيْنَنَا غَيْرُ الْمُتَّقَةِ السُّرْرِ
وَضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الرِّضَا آخِرَ الدَّهْرِ
أَبَتْ لِي أَشْيَاخُ الْأَرَاقِمِ سُبَّةً أَسْبُ بِهَا حَتَّى أُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ^(١)

قوله عليه السلام: «حتى ارتاب الناصح بنصحه»:

يقول: خالفتموني حتى ظننت ان النصح الذي نصحتكم به غير نصح؛ لا طباقتكم واجماعكم على خلافه، وهذا حق لأنّ ذا الرأي الصواب إذا كثر مخالفوه تشكك في نفسه. وقوله عليه السلام: «ووضن الزند بقدره»:

اي بخل، اي لم ينقدح لي رأي صالح بعد ذلك لشدة ما لقيت منكم من الإباء والعصيان والخلاف، وهذا - ايضاً حق؛ لأنّ المشير الناصح إذا اتهم واستغش عمى قلبه وفسد رأيه، كذا قال ابن أبي الحديد^(٢).

والأصوب عندي أن يقال: معناه إنكم لمّا لم تقبلوا نصائحي، صرت اذا عرفت وجه الرأي لم يظهر ولم يكن له اثر في الخارج؛ لانكم لا تقبلونه، فيعود مكتوماً في صدري واتبع في الأفعال آراءكم الفاسدة، فتنسب إليّ، وهذا هو معنى قوله عليه السلام: «أفسدت عليّ رأيي بالعصيان» اي: لا تقبلون رأيي وتضطروني إلى العمل بآرائكم، فتنسب إليّ وهي فاسدة، والله اعلم.

(١) الاراقم: حي في تغلب، والسبّة: العار والايبات في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٠٥.

ووجدت في بعض الكتب المصنّفة في أخبار صفين ما صورته: وقيل لعلي لما كتبت الصحيفة: ان الاشترا لا يرضى بما في هذه الصحيفة ويأبى إلا قتال القوم، قال علي: وأنا أيضاً لم أرض، فإذا رضيت فلا يجوز التبديل والرجوع بعد الإقرار، إلا أن يعصى الله ويتعدى ما في كتابه.

وأما ما ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه، فليس من أولئك ولا أخافه على ذلك، ليت فيكم مثله إثنان، بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوكم مثل رأيه إذا لحفت عليّ مؤنتكم، ولرجوت ان يستقيم لي بعض اودكم، ولقد نهيتكم عن الذي اتيتم فأيتتم، فكنت واياكم كما قال أخو غزية:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

ومن خطبة له ﷺ في تخويف أهل النهر وان:

فَأَنَا نَذِيرُ لَكُمْ^(١) أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ^(٢) هَذَا النَّهْرِ، وَيَاهْضَامِ^(٣) هَذَا الْغَائِطِ،^(٤)
عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحْتُ^(٥) بِكُمْ الدَّارَ، وَاحْتَبَلْتُكُمْ^(٦)
الْمِقْدَارَ.^(٧)

وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى
صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمُ. وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخْقَاءِ الْهَامِ، سُفَهَاءِ الْأَخْلَامِ، وَلَمْ آتِ - لَا أَبَالَكُمْ^(٨) -
بُجْرًا^(٩)، وَلَا أَزْدْتُ بِكُمْ ضُرًّا.

قال في شرح ابن أبي الحديد: روى محمد بن حبيب، قال: خطب علي ﷺ الخوارج
يوم النهر فقال لهم :

-
- (١) في هـ. أ: المخاطبون الخوارج.
(٢) في هـ. ص: الاثناء جمع ثني، وهو العطف، وفي هـ. ب: أوسط.
(٣) في هـ. ص: الاهضام جمع هضم، أي المتطاطي، وفي هـ. أ: الأهضام جمع هضم، وهو ما
اطمان من الارض، وفي هـ. ب: وهو المطمئن من الارض.
(٤) من ص: الغائط: ما غار من الارض وتسافل.
(٥) في هـ. ص: طوحت، أي بعدتم من محالكم من غير مخرج لكم، الانفسكم، وفي هـ. ب:
بعدت، وفي هامش آخر: من التطوح، وهو التباعد.
(٦) في هـ. ص: احتبلكم: أي احتبسكم الجبن وفي هـ. ب: عقر بكم.
(٧) في هـ. أ: القدر.
(٨) في هـ. أ: لا ابالكم، يقال في الذم، ومعناه: لا ابالكم تقر عينه بكم، ومعناه: انه منفرد لا اب
له.
(٩) في هـ. أ: في نسخة: عراً، وفي هـ. ب: في نسخة: عراً، هجراً: فحش، وفي هـ. د: لا ابالكم عراً

- ن وع، وروي: عزاً - ر، ويروى: نكراً وهجراً - ك وفي هـ. ص: البجر: الداهية والامر العظيم،
وفي هـ. أ: البجر: الشر والامر العظيم، والعر: داء يصيب الابل في مشافرها، وهو هنا استعارة.

«نحن اهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وعنصر الرحمة، ومعدن العلم والحكمة، ونحن افق الحجى، بنا يلحق المبطىء، والينا يرجع التائب، ايها القوم انني نذير لكم... الى اخر الفصل»^(١).

[أخبار الخوارج]

قد تضافرت الأخبار حتى بلغت حدّ التواتر بما وعد الله تعالى قاتلي الخوارج من الثواب، على لسان رسوله ﷺ. وفي الصحاح المتفق عليها أنّ رسول الله ﷺ بينا هو يقيس قسماً جاءه رجل من بني تميم، يدعى: ذا الخويصرة، فقال: اعدل يا محمد، فقال ﷺ: «قد عدلت»، فقال له ثانية: اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل، فقال ﷺ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعدِلُ إِذَا لم أعدل!»، فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في ضرب عُنُقِهِ، فقال: «دَعُهُ، فسيخرج من ضُنْضِيءٍ»^(٣) هذا قوم يَمْرُقُونَ^(٤) من الدين كما يَمْرُق السهم من الرمية، ينظر أحدكم إلى نَصْلِهِ^(٥) فلا يجد شيئاً [فينظر إلى نَصْيِهِ^(٦) فلا يجد شيئاً]^(٧) ثم ينظر إلى القُدْذِ^(٨) فكذلك، سَبَقَ الْفَرْثَ والدم^(٩)، يخرجون على حين فُرْقَةٍ من النَّاسِ، تُحْتَقَرُ صَلَاتُكُمْ في جَنْبِ صَلَاتِهِمْ، وصومُكم عند صومهم، يقرءون القرآن

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٨٣.

(٢) نقله المبرد في الكامل ٥٤٥، ٥٦٥ [طبع أوربا] مع اختلاف في الرواية.

(٣) في هـ. ص هنا: الضنضىء: الاصل، فيحتمل ان يريد ﷺ: اصل النسب؛ لان جمهور الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام ورؤسائهم كانوا من بني تميم، ويحتمل ان يريد ﷺ: أصل الرأي والمعتقد، وهو التعمق والغلو ومجاوزة الحد. ويمرقون، اي يخرجون من الدين، كما يمرق السهم: اي لا يلتبس بشيء من الرمية، وفي هذا دليل واضح على كفر الخوارج، والله أعلم.

(٤) قال المبرد: «يقال: مرق السهم من الرمية، إذا نفذ منها، وأكثر ما يكون ذلك ألا يعلق به من دمها شيء».

(٥) النصل: حديدة السهم والسيف.

(٦) النضي، على «فعيل»: القُدَح - بكسر فسكون - وهو السهم قبل أن ينصل ويريش.

(٧) ما بين المعقوفتين من شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٦.

(٨) القُدْذ: جمع قَذة، وهي ريشة السهم.

(٩) الضمير عائد على السهم، والكلام على التشبيه والاستعارة التمثيلية، ضربه ﷺ مثلاً لخروجهم من الدين، لم يعلق بقلوبهم منه شيء.

لا يجاوز تراقيهم. آيتهم رجل أسود - أوقال: أدعج - ^(١) مُخْدَج ^(٢) اليد، إحدى يديه كأنها ثدي امرأة، أوبضعة تذر در ^(٣)».

وفي بعض الصحاح: أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر - وقد غاب الرجل عن عتيه -: قم إلى هذا فاقتله، فقام ثم عاد وقال: وجدته يصلي، فقال لعمر مثل ذلك، فعاد وقال: وجدته يصلي، فقال لعلي عليه السلام مثل ذلك، فعاد فقال: لم أجده، فقال رسول الله ﷺ: لو قُتِل هذا لكان أول فتنة وآخرها، أما إنه سيخرج من ضئضيء هذا قوم ... الحديث.

وفي بعض الصحاح: «يقتلهم أولى الفريقين بالحق» ^(٤).

وفي مسند أحمد بن حنبل، عن مسروق، قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدي ومن أحبهم إلي، فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه: تامرًا ^(٥) ولأسفله: النهران، بين لخاقيق ^(٦) وطرفاء ^(٧)، قالت: ألك على ذلك بيّنة؟ فأقمت رجالا شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها: سألتك بصاحب هذا القبر، ما الذي سمعت من رسول الله ﷺ فيهم؟ فقلت: نعم سمعته، يقول: «إنهم شرّ الخلق والخلقة، يقتلهم خير الخلق والخلقة، وأقربهم عند الله وسيلة» ^(٨).

وفي كتاب صفين أيضاً للمدائني عن مسروق، أن عائشة قالت له لما عرفت أن علياً عليه السلام قتل ذا النديّة: لعن الله عمرو بن العاص! فإنه كتب إلى يخبرني أنه قتله

(١) الدعج: شدة سواد العين مع اتساعها. ذكروا أنه حرقوص بن زهير، كان صحابياً أمدّ به عمر المسلمين الذين نازلوا الأهواز، ثم كان مع علي في صفين، ثم صار خارجياً عليه، فقتل. انظر تاج العروس ٤: ٣٧٩.

(٢) مخدج اليد، من أخذجه الله: إذا نقص عضواً منه.

(٣) تدردر، قال ابن الأثير في النهاية ج ٢: ص ١٩: تدردر، أي ترجرج، تجيء وتذهب، والأصل تتدردر، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٧.

(٥) كذا في ص، وفي ط تامراً، وفي الهامش مايلي: تامراً، ضبطه ياقوت: «بفتح الميم وتشديد الراء والقصر، وقال: نهر واسع يخرج من جبال شهر زور والجبال المجاورة لها.

(٦) في ه. ص: بالخاء معجمة والقف، واحدها لخدوق، وهي شقوق الأرض والاهيبيها، ذكره في الصحاح.

(٧) في ه. ص: الطرفاء شجر كالأثل.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٧.

بالاسكندرية، ألا إنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله ﷺ يقول:
« يقتله خير أمتي من بعدي »، انتهى^(١).

قلت: تأمل؛ فإن هذا الكلام يدلّك على أن عائشة لم تصف نفسها على عليّ عليه السلام، والله
المستعان.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٨.

ومن كلام له عليه السلام يجرى مجرى الخطبة:

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا^(١) وَنَطَنْتُ^(٢) حِينَ تَعَتَّعُوا^(٣)، وَتَطَلَّعْتُ^(٤) حِينَ تَقَبَّعُوا^(٥)،
وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ قُوَّةً^(٦)، فَطَرْتُ بِعِنَانِهَا^(٧)
وَاسْتَبَدَّدْتُ^(٨) بِرِهَانِهَا.

كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ^(٩) الْعَوَاصِفُ، وَلَا تَزِيلُهُ الْقَوَاصِفُ^(١٠). لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي مَهْمَرٍّ، وَلَا
لِقَائِلٍ فِي مَعْمَرٍ، الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى
آخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ.

رَضِينَا عَنْ^(١١) اللَّهِ قَضَاءً^(١٢)، وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ^(١٣) أَمْرَهُ. أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!
وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ.

(١) في هـ. ب: فقمتم بأمر الخلافة حين فشلوا، يعني ... عند الجهاد والقتال وعند بيان المسائل
و... المشكلات، وفي هامش آخر منه: أي غلبت على الخلافة ولم تغلب الخلافة علي، أي كل
ما كان من أمرها فهو حامل الي وبنفسها لأمع أحد من الانتصار والمعين.

(٢) هـ. د: وروي قطعت وتطلعت حين تعتعو - ر

(٣) في هـ. أ: التعتعة في الكلام: الترديد فيه... فالوه في الدابة إذا ارتطمت في الرمل، قال
الشاعر: يتعتع في... إذا علاه ويعتر في الطريق المستقيم. وفي هـ. ب: تعتوا: ترددوا.

(٤) في أ: وتطلعت، وفي ب: وتلطفت، وفي الهامش: في نسخة: وتطلعت: أي اشرفت وغلبت
على الأمر حين أكرهوا علي.

(٥) في هـ. د: حين تعتعو - ن ول وف.

(٦) في هـ. ب: أي ظفراً وسبقاً.

(٧) هـ. د: فطرت لعنانها، وروي: ظفرت بعنانها - ك ور، وفي هـ. ب: أي بعنان الخلافة.

(٨) في هـ. ب: انفردت.

(٩) في هـ. ب: لا ترده.

(١٠) في هـ. ب: جمع قاصفة، وهي الريح التي تكسر كل شيء.

(١١) في ب: على الله.

(١٢) في ب: قضاء.

(١٣) في أ: في نسخة: سلمنا اليه، وفي ب: وسلمنا له، وفي نسخة: وسلمنا لله.

فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي^(١)، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِعَيْرِي^(٢).

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذه فصول أربعة، لا يمتزج بعضها ببعض، وكل^(٣) منها ينحَوُّ به أمير المؤمنين (عليه السلام) نحواً غير ما ينحو^(٤) بالآخر، وإنما الرضي (عليه السلام) التقطها من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) طويل منتشر، قاله بعد وقعة النهروان، ذكر فيه حاله منذ توفَّى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلى آخر وقت، فجعل الرضي (عليه السلام) ما التقطه منه سرّداً، وصار عند السامع كأنه يقصد به مقصداً واحداً.

أما الفصل الأول: فهو من أول الكلام إلى قوله: «واستبددت برهانها»، يذكر فيه مقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أيام أحداث عثمان، وكَوْن المهاجرين كلهم لم ينكروا ولم يُواجهوا عثمان بما كان يواجهه به وينهاه عنه، فهذا هو معنى قوله (عليه السلام): «فَقَمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَسَلُوا»، أي قمت بإنكار المنكر حين فشل أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) عنه. والفشل: الخَوَر والجُبْن.

قال: «وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا»:

يقال: تعتّع فلان، إذا تردّد في كلامه من عِيٍّ أَوْحَصَر.

قوله (عليه السلام): «وَتَطَلَعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا»:

يقال: امرأةٌ طَلَعَةٌ قُبْعَةٌ، تَطْلُعُ ثم تَقْبَعُ رأسها، أي تدخله كما يقْبَعُ القنفذُ، يُدْخِلُ برأسه

في جلده، وقد تَقْبَعُ الرَّجُلُ، أي اختبأ، وضده: تَطْلُعُ.

قوله (عليه السلام): «وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ قَوْتًا»:

يقول: علوُّهم وفتُّهم وشأوُّهم سَبَقًا، وأنا مع ذلك خافِضُ الصوت، يشير إلى التواضع

(١) في هـ. ب: فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد وجبت عليهم قبل بيعتهم أي بما فرض الله

عليهم من طاعتي وولايتي.

(٢) في هـ. ب: وقوله: في عنقي لعيري، يشير بذلك ما أكره عليه من بيعته للمتقدمين عليه.

(٤) في ط: ينحوه.

(٣) في ط: وكل كلام.

ونفي التكبر.

قوله ﷺ: «فطرت بعنانها، واستبددت برهانها»:

يقول: سبقتهم. وهذا الكلام استعارة من مُسابقة خَيْل الحَلَبَةِ.

«واستبددت برهانها» أي تفردت^(١) بالخطر^(٢)، الذي وقع الرهان عليه.

الفصل الثاني: في ذكر حاله ﷺ في الخلافة بعد عثمان، يقول: كنتُ لَمَّا وَلِيْتُ الأمر

كالجبل لا تحركه القواصف، يعني الرياح الشديدة، ومثله العواصف.

والمهمز: موضع الهمز، وهو العيب، وكذلك المعمر

ثم قال ﷺ: «الذليل عندي عزيز حتى أخذ له الحق، والقوي عندي ضعيف

حتى أخذ الحق منه»:

هذا آخر الفصل الثاني، يقول: الذليل المظلوم أقوم بإعزازه ونصره، وأقوى يده إلى أن

أخذ الحق له، ثم يعود بعد ذلك إلى حاله التي كان عليها قبل أن أقوم بإعزازه ونصره،

والقوي الظالم أستضعفه وأقهره وأذله إلى أن أخذ منه الحق. ثم يعود إلى حاله التي كان

عليها قبل أن أهضمه، لاستيفاء الحق.

الفصل الثالث: من قوله ﷺ: «رضينا عن الله قضاءه» إلى قوله ﷺ: «فلا أكونُ

أولَ مَنْ كَذَبَ عليه»:

هذا كلام قاله ﷺ لَمَّا تفرّس في قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يحدثهم به عن

النبي ﷺ من أخبار الملاحم والغائبات، وقد كان شك منهم جماعة في أقواله، ومنهم مَنْ

واجهه بالشك والتهمة.

[الأخبار الواردة عن معرفة الإمام عليّ بالأمور الغيبية]

روى ابن هلال الثقفي في كتاب «الغارات» عن زكريا بن يحيى العطار، عن فضيل،

عن محمد بن علي، قال: لَمَّا قال عليّ ﷺ: «سلوني قَبْلَ أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني

عن فتنة تُضِلُّ مائة، وتهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها»^(٣) قام إليه رجل فقال:

(١) في ط: اي انفردت.

(٢) الخطر: السبق الذي يترامى عليه في الرهان.

(٣) في ط: بناعقتها وسائقها

أخبرني كم في رأسي ولحييتي من طاقة شعر، فقال له علي عليه السلام: والله لقد حدثني خليلي أن على كل طاقة من شعر رأسك ملكاً يلعنك، وإن على كل طاقة من شعر لحيتك شيطاناً يُغويك، وإن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ، وكان ابنه قاتل الحسين عليه السلام وكان يومئذ طفلاً، وهو سنان بن أنس النخعي.

وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التميمي، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، قال: قام أعشى باهلة^(١) - وهو غلام يومئذ حدث - إلى علي عليه السلام، وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة! فقال علي عليه السلام: إن كنت آثماً فيما قلت، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ فقال: غلام يملك بلدكم هذه لا يترك لله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها، قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بدءاً البطن، يثقب سريرته لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة، وقد أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن [بن محمد]^(٢) بن الأشعث بين يدي الحجاج، فقرّعه ووبّخه، واستنشدته شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس.

وروى محمد بن جبلة الخياط، عن عكرمة يزيد^(٣) الأحمسي أن علياً عليه السلام كان جالسا في مسجد الكوفة، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حريث، إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تعرف فوقفت، فقالت لعلي عليه السلام: يا من قتل الرجال، وسفك الدماء وأيتم الصبيان، وأرمل النساء! فقال عليه السلام: إنها لهي هذه السلفلق^(٤) الجليعة المجة، وإنها لهي هذه شبيهة الرجال والنساء، التي ما رأت دماً قط، قال فولت هاربة منكسة رأسها، فتبعها عمرو بن حريث، فلما صارت

(١) أعشى باهلة، اسمه: عامر بن الحارث، صاحب المريثة المشهورة في أخيه لأمه.

(٢) في ص: بن يزيد.

(٣) ما بين المعقوفين من ط.

(٤) في ط: السلقلة.

بالرحبة، قال لها: والله لقد سررتُ بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتى أهبَّ لك وأكسوك، فلما دخلتُ منزله أمر جواريه بتفتيشها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكتُ وسألته ألا يكشفها، وقالت: أنا والله كما قال، لي ركب النساء، وأثنيان كأتبي الرجال، وما رأيت دماً قطّ. فتركها وأخرجها. وجاء إلى عليّ عليه السلام فأخبره، فقال: إنّ خليلي رسول الله ﷺ أخبرني بالمتمردين عليّ من الرجال والتمرّدات من النساء حتّى تقوم الساعة.

قلت: السِّلْقَلَق: السِّلِيطَة، وأصله من السِّلْقَة، وهي الذلّة، والجَلِعة المِجعة: البذيّة اللسان. والركب: منبت العانة، انتهى. وزاد ابن أبي الحديد من هذا القليل روايات كثيرة. الفصل الرابع: قوله عليه السلام: «فنظرت في أمري ... إلى آخر الكلام» هذه كلمات مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله ﷺ، وأنه كان معهوداً إليه ألاّ ينازع في الأمر، ولا يثير فتنة، بل يطلبه بالرفق، فإن حصل له وإلاّ أمسك. هكذا كان يقول عليه السلام، وقوله الحق.

وتأويل هذه الكلمات: فنظرت فإذا طاعتي لرسول الله ﷺ، أي وجوب طاعتي، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. قد سبقت بيعتي للقوم، أي وجوب طاعة رسول الله ﷺ عليّ، ووجوب امتثالي أمره سابق على بيعتي للقوم، فلا سبيل إلى الامتناع من البيعة، لأنّه ﷺ أمرني بها.

فإذا الميثاق في عُنْقي لغيري، أي لرسول الله ﷺ، أي أخذ عليّ الميثاق بترك الشقاق والمنازعة، فلا يحلّ لي أن أتعدّى أمره، واخالف نهيه.

فإن قيل: فهذا تصريح بمذهب الإمامية.

قيل له: ليس الأمر كذلك، بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين: لأنّهم يزعمون أنه الأفضل والأحقّ بالإمامة، وأنّه لولا ما يعلمه الله ورسوله من أنّ الأصلح للمكلّفين تقديم المفضول عليه، لكان من تقدّم عليه هالكا، فرسول الله ﷺ أخبره أنّ الإمامة حقّه، وأنه أولى بها من الناس أجمعين، وأعلمه أنّ في تقدّم غيره عليه، وصبره

على التأخر عنها مصلحة للدين، راجعة إلى المكلفين، وأنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها، ويُعْضِي عنها لمن هو دون مَرَّتَبَتِهِ، فامتثل ما أمره به رسول الله ﷺ، ولم يخرجته تقدّم مَنْ تقدّم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحقّ.

وقد صرّح شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله بهذا، وصرّح به تلامذته، وقالوا: لو نازع عُقَيْب وفاة رسول الله ﷺ، وسلّ سيفه، لحكّمنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه، كما حكّمنا بهلاك مَنْ نازعه حين أظهر نفسه، ولكنّه مالك الأمر وصاحب الخلافة، فإذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق مَنْ ينازعه فيها، فإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من اغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّه قد ثبت عنه في الاخبار الصحيحة أنّه قال: «عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، يدور حيثما دار»، وقال له غير مرة: «حربك حربي وسلمك سلّمي». وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي، وبه أقول، انتهى كلام ابن أبي الحديد^(١).

أقول: لقد أبدع هذا الشارح في ما قال، وجاء من تفسيره وتأويله بالعجب العجائب. ويقال له: إن كنت صادقاً فيما قلت من أن رسول الله ﷺ قد أمره بترك المنازعة، وأمره بالبيعة للقوم، وأخبره أن تقدمهم عليه مصلحة ترجع إلى الدين، فأخبرنا عما تواتر عنه واشتهر، وصححته أنت في غير موضع، من امتناعه من البيعة سنة أشهر حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها، ومن استصراخه بالأحياء وطلبه لنصرهم وبالأموال كما حكيت أنت، أنه قال مخاطباً لرسول الله ﷺ: «يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»، وكما حكيت من قوله ﷺ: «يا حمزة ولا حمزة لي اليوم، ويا جعفر ولا جعفر لي اليوم». ومن قوله ﷺ غير مرّة - كما قلت أنت - : «فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت».

وقوله ﷺ: «لو كان لي أربعون ذوو عزم».

وقوله ﷺ: «فطففت ارتئي بين أن اصول بيد جدّاء».

وقوله ﷺ: «اللهم أني استعديك على قريش ومن اعانهم... إلى آخره».

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٩٧.

وقوله ﷺ : «مازلت مظلوماً منذ قبض الله نبيّه حتى يوم الناس هذا».

وقوله ﷺ : «مازلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي ... الى آخره»^(١).

هل توافق هذه الاقوال والافعال والارادات ما ذكرته من عهد رسول الله ﷺ بترك المنازعة وبالمبايعة واعلامه بان المصلحة في تقدّم غيره عليه، أويخالفه؟
فإن قلت: يوافقه، كذبتك الضرورة.

وان قلت: يخالفه، كان قصارى أمرى ان ينسب الى أمير المؤمنين ﷺ مخالفة عهد رسول الله وعصيان امره لتبرّئ جماعة من الصحابة، وكان اللائق بما ذكرته من أن منزلته منزلة رسول الله، ان تنزّهه عن ذلك، ولو أدّى الى نسبة جميع الامة كلّها - ما عداه - إلى عصيان رسول الله ﷺ.

ثم ان في قولك: إنّ الامامة حقّه الآن المصلحة في تقدّم غيره عليه، وملكه التصرف في نفسه وخواصه، تناقضاً ظاهراً؛ فإنّا لانعقل الامام المستحق للإمامة الا من كانت المصلحة بتوليّه الامور أرجح منها بتولي غيره لها.

ثم يقال له - فيما حكاه عن البغداديين وارتضاه - : ما تعنون بقولكم: «لونازع عقيب وفاة رسول الله، وقولكم: اذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من نازعه فيها، واذا امسك عنها وجب علينا القول بعدالة من اغضى له عنها؟!» أتريدون لو نازع بالقول وطلبها بالاستصراخ والاستنصار واقامة الحجج واظهار الادلة، ونسبة من نازعه فيها الى الظلم والاغتصاب والاستيثار، فالملزوم حاصل قطعاً بالتواتر.

فليزكم التزام اللازم، ولا يصح قولكم: اذا أمسك عنها ... الى آخره، لأنّه لم يمسك ولم يغض.

وان اردتم النزاع والطلب بالسيف، فلا نسلم اعتباره؛ لأنّ ترك القتال لا يدل على الرضا؛ لجواز ان يكون لعذر غير الرضا، كيف؟ وقد صرح ﷺ بعذره في غير موطن، وهو عدم الناصر، والخوف من حصول وهن في الاسلام أعظم من فوت الولاية.

(١) راجع الخطبة ٣ و ٦ و ٢٦ و ٢١٧ و ١٧٢ وغيرها.

هذا، على أن السيف إنما هو تبع للحجة، فإذا ثبت النزاع باقامة الحجج كان ذلك كإيقاع السيف وصار الطلب به في الحكم كالحاصل؛ لأن السيف موضوع لامضاء الحجج. وأعلم أنني إنما عُنيتُ برّد هذا الكلام ونقضه لأن كثيراً من متأخري المنتسبين إلى الزيدية يستحسنونه ويقرضونه ويميلون إليه جهلاً بمبانيه؛ فإنّ مبناه على دفع النص على علي عليه السلام وبالذغل الذي فيه.

إن قيل: فما يفسر به كلامه عليه السلام على مذهب الشيعة القائلين بالنص؟! قيل: لا يخلو أن يكون عليه السلام عني به الحال عقيب وفاة رسول الله ﷺ، فيكون تأويله: فإذا وجوب طاعتهم لي حاصل من قبل مبايعتهم لي، أي من قبل أن يبايعوني بالخلافة، وذلك لنص رسول الله ﷺ بالإمامة لي، ولم يعملوا به، ولم يراعوه، ثم انهم اضطروني إلى مبايعتهم فصار بزعمهم في عنقي ميثاق لهم.

فلو نازعت بعد ذلك أومانت لاستحلوا دمي، لأنّهم قد تركوا النص ولم يراعوه وصار بزعمهم في عنقي ميثاق لهم، فهم لا يعتبرون الحقائق ويتمسكون بالشبه.

وهكذا كان عليه السلام يرمز إلى ما في نفسه رمزا خفياً؛ إذ لا يمكنه التصريح. والله أعلم. أو يكون عني به الحال عقيب قتل عثمان، كأنّ المعنى: فنظرت في أمري فإذا وجوب طاعتهم لي قد سبق عقد الولاية لي، أي حكم الإمامة ثابت لي على الأمة بالنص قبل البيعة، وقد أخذ علي بذلك ميثاق القيام بأمرهم ولمّ شعثهم وإجابة دعوتهم حين يفرعون إليّ، وذلك معنى قوله عليه السلام في الشقشقية: «وقيام الحجة بوجود الناصر» ويكون مغزى الكلام: الإجابة لمعترضٍ يعترضه فيقول: لم دخلت في الأمر مع علمك بكرهه أكثر قريش لو لايتك، وبأن الأمر لا يستقيم لك؟! فأجاب: بأنّه قد لزمني فرض ذلك بالنص الشرعي، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

وإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً؛ لِأَنَّهَا تُشَبِّهُ الْحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ،
وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ، فِدَعَاؤُهُمُ الضَّلَالُ^(١)، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ
الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذان فصلان، أحدهما غير ملتئم مع الآخر، بل مبتور عنه،
وإنما الرضي عليه السلام كان يلتقط الكلام التقاطا، ومراده أن يأتي بفصيح كلامه عليه السلام، وما يجري
مجرى الخطابة والكتابة، فلهذا يقع في الفصل الواحد الكلام الذي لا يناسب بعضه بعضا،
وقد قال الرضي ذلك في خطبة الكتاب.

أما الفصل الأول: فهو الكلام في الشُّبْهَةِ، ولماذا سميت شُبْهَةً، قال عليه السلام: «لأنَّهَا تُشَبِّهُ
الْحَقَّ».

قال عليه السلام: «فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، فَضِيَاؤُهُمْ فِي حُلِّ الشُّبْهَةِ: الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى»
وهذا حق؛ لأنَّ من اعتبر مقامات^(٢) الشُّبْهَةِ، وراعى الأمور اليقينية، وطلب المقدمات
المعلومة قطعا، انحلت الشُّبْهَةُ له، وظهر له فسادها من أين هو؟
ثم قال عليه السلام: «وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فِدَعَاؤُهُمُ الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى»

وهذا حق؛ لأنَّ المبطل ينظر في الأمر بشبهة لانه نظر من يراعى الأمور اليقينية،
ويحيل^(٣) المقدمات إلى القضايا المعلومة؛ بل يغلب عليه حبُّ المذهب^(٤)، وعصبية
أسلافه، وإيثار نصرته مَنْ قد التزم بنصرته، فذاك هو العمى الضلال، للذان أشار إليهما

(١) ب: فدعاؤهم فيها الضلال.

(٢) في ط: مقدمات.

(٣) في ط: يحلل.

(٤) في ط: المذاهب.

أمير المؤمنين عليه السلام، فلا تنحلّ الشبهة له، وتزيد عقيدته فسادا.

الفصل الثاني، هو قوله عليه السلام : «لا ينجو من الموت مَنْ خافه، ولا يعطى البقاء مَنْ أُجِبَّ»^(١)

ولنا ان نقول في ايضاح معنى قوله عليه السلام : فأما اولياء الله فضيأؤهم ... الى اخر كلامه عليه السلام. ان للحق جملا يقينية ومعادن معلومة، فالأولياء اذا اشتبه عليهم شيء من الجزئيات وخفي عليهم وجهه ردّوه الى الجملة اليقينية، وإلى المعدن المعبر عنه بسمت الهدى، فمثال الجمل اليقينية: ما نقول في التوحيد ان الله لا تشبهه الاشياء في ذات ولا صفة، فننفي كل توهم يعرض بهذا الاصل اليقيني، وهو معنى قوله عليه السلام : «التوحيد ان لا تتوهمه». وما نقول في العدل إنّ الله غنيّ حكيم، فكل أفعاله حكمة وصواب، فإذا اشتبه علينا وجه الحكمة في فعل من افعاله وجب علينا ان نعتقد ان فيه حكمة مّا، وان لم نعرفها بخصوصيتها؛ ردّا الى ما ثبت ان أفعال الله مبنية على الحكمة.

وأما المعدن، فهو ان ترجع فيما التبس الى ما ثبت عن أمير المؤمنين أو الى ما اجمع عليه أهل البيت الطاهرين؛ لأنّ ذلك سمت الهدى، اي منهجه وطريقه، كما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام في مواضع كثيرة ستأتي، وكما يدل عليه مقابلته بقوله عليه السلام : «ودليلهم العمى»، على ما فسّره الشارح انه العصبية للمذهب والانتصار للاسلاف، والله اعلم.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٩٩.

ومن خطبة له عليه السلام ^(١):

مُنِيْتُ ^(٢) بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ
رَبِّكُمْ! أَمَّا دِينَ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حِمِيَّةَ تُحْمِسُكُمْ ^(٣)!، أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا، وَأُنَادِيكُمْ
مُتَغَوِّثًا ^(٤)، فَلَا ^(٥) تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشِفَ ^(٦) الْأُمُورَ عَنْ
عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ ^(٧)، فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ.

دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجَرَةَ الْجَمَلِ ^(٨) الْأَسْرَ ^(٩)، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقَلَ
النُّضُو ^(١٠) الْأَذْبَرِ ^(١١)، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتْدَائِبٌ ضَعِيفٌ، «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ».

قال الرضي رحمته الله ^(١٢) قوله عليه السلام: «مُتْدَائِبٌ»: أي مُضْطَرِبٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: تَذَاءَبَتِ الرِّيحُ،

(١) ذكر هذه الخطبة ارمقاطع منها كل من المبرد في الكامل ٣: ١٨٠، وزبير بن بكار في
الموفقيات ٣٤٨، وابن هلال الثقفى في الغارات ١: ١٠١، والبلاذري في انساب الاشراف
٤٠٤: ٢، والطبري في تاريخه ٦: ٣٤١١، وغيرهم.

(٢) في هـ. ص وب: اي بليت.

(٣) في هـ. ص وب: اي تغضبكم وفي هـ. أ: أحشمه: اذا أغضبه.

(٤) في هـ. ب: المتغوث: الذي يقول «واغوثة».

(٥) في ص: فما. (٦) في هـ. ب: تنجلي.

(٧) في هـ. ب: الحزن.

(٨) في هـ. ص: الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرتة، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء
والتعب. وفي هـ. أ وب: الجرجرة صوت يردده البعير في حنجرتة، اي حييتموني بجرجرة
كجرجرة البعير.

(٩) في هـ. ص وأ: الذي بكركرته دبرة، فإذا بك جرجر من آلمها، وفي هـ. ب: الأسير: البعير
الذي يشتكي سرتة.

(١٠) في هـ. ب: النضو: البعير الذي بظهره دبر. وفي هـ. ص: النضو: البعير المهزول.

(١١) في هـ. ص: الادبر: الذي به عقر من القتب وغيره.

(١٢) لم ترد «قال الرضي» في ب وفي أ: قال السيد، وفي د: أقول.

أَيُّ اضْطَرَبَ هُبُوبَهَا، وَمِنْهُ سُمِّيَ الذَّئْبُ ذَيْبًا لِاضْطِرَابِ مَشِيَّتِهِ.

قال في الشرح: وهذا الكلام خطب به امير المؤمنين عليه السلام في غارة النعمان بن بشير الانصاري على عين التمر.

ذكر صاحب كتاب الغارات: أنَّ النعمان بن بشير لم يزل مع معاوية، مناصحاً له، يجاهدُ علياً، ويتتبع قتلة عثمان، حتى غَزَا الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ أَرْضَ الْعِرَاقِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةَ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً: أَمَّا مَنْ رَجَلَ أَبْعَثْ مَعَهُ ^(١) بِجَرِيدَةٍ خَيْلٍ، حَتَّى يُغَيِّرَ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ! فَإِنَّ اللَّهَ يُرْعِبُ بِهَا أَهْلَ الْعِرَاقِ! فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ: فَأُبْعِثْنِي، فَإِنَّ لِي فِي قِتَالِهِمْ نِيَّةً وَهَوًى - وَكَانَ النُّعْمَانُ عَشْمَانِيًّا -، قَالَ: فَانْتَدَبْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ، فَانْتَدَبَ وَنَدَبَ مَعَهُ أَلْفِي رَجُلٍ، وَأَوْصَاهُ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْمَدْنَ وَالْجَمَاعَاتِ، وَالْأَيُّ يُغَيِّرُ إِلَّا عَلَى مَسْلَحَةٍ، وَأَنْ يَعَجِّلَ الرَّجُوعَ.

فَأَقْبَلَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، حَتَّى دَنَا مِنْ عَيْنِ التَّمْرِ، وَبِهَا مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ الَّذِي جَرَى لَهُ مَعَهُ مَا ذَكَرْنَاهُ ^(٢)، وَمَعَ مَالِكٍ أَلْفُ رَجُلٍ، وَقَدْ أُذِنَ لَهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا مِائَةُ رَجُلٍ أَوْ نَحْوَهَا، فَكَتَبَ مَالِكٌ إِلَى عَلِيِّ عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، قَدْ نَزَلَ بِنَا فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ، فَرَّ رَأْيُكَ، سَدَّدَكَ اللَّهُ تَعَالَى وَثَبَّتَكَ. وَالسَّلَامُ.

فَوَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى عَلِيِّ عليه السلام، فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

(١) في ط: «به».

(٢) في هـ. ص هنا ما يلي: الذي كان ذكره - حاصله: ان النعمان فر من عند علي عليه السلام بعد ان جرى بينه وبينه حديث طويل لما قدم عليه هو وابوهريرة يطلبان دفع قتلة عثمان اليه ليقتلهم، فألقى أمير المؤمنين ابا هريرة وخاطب النعمان واحتج عليه، فأوهم أمير المؤمنين انه سيقم معه فأقام أياماً، ثم فر من الكوفة، فمرّبعين التمر، فقبض عليه مالك بن كعب وأراد رده الى علي عليه السلام، أو الكتاب الى علي في شأنه، فعظم على النعمان ذلك وناشده الله، واستعان بفرظة بن كعب الانصاري، وكان كاتب عين التمر، فلم يزل يكلمه حتى خلى سبيله، وقاله له: «يا هذا لك الامان اليوم والليلة وغداً، والله ان ادركتك بعدها لأضربن عنقك» فهذا هو الذي جرى للنعمان مع مالك.

اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب أخيكم، فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام؛ ليس بالكثير، فانهضوا الى اخوانكم، لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفاً. ثم نزل.

فلم يخرجوا، فأرسل الى وجوههم وأمرائهم، فأمرهم أن ينهضوا أو يحثوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً، واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة فارس او دونها، فقام ﷺ، فقال، ألا اني منيت بمن لا يطيع... الفصل الذي شرحناه الى آخره، ثم نزل.

فدخل منزله، فقام عدي بن حاتم، فقال: هذا والله الخذلان، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين؛ ثم دخل اليه فقال: يا أمير المؤمنين؛ انّ معي من طيّ ألف رجل لا يعصونني؛ فإن شئت أن أسير بهم سرت. قال: ما كنت لأعرض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس، ولكن اخرج الى النخيلة فعسكر بهم. فخرج وعسكر، وفرض عليّ ﷺ لكل رجل سبعمائة؛ فاجتمع اليه ألف فارس، عدا طيّاً أصحاب عدي بن حاتم.

وورد على عليّ ﷺ الخبر بهزيمة النعمان بن بشير ونصرة مالك بن كعب؛ فقرأ الكتاب على أهل الكوفة، وحمد الله وأثنى عليه، ثم نظر اليهم، وقال: هذا بحمد الله وذمّ أكثركم. وكان كتاب مالك بن كعب الى عليّ ﷺ:

أما بعد، فانه نزل بنا النعمان بشير في جمع من أهل الشام، كانظاها علينا، وكان عظم^(١) أصحابي متفرّقين، وكنا للذي كان منهم آمنين؛ فخرجنا اليهم رجالاً مصلّتين^(٢) فقاتلناهم حتى المساء، واستصرخنا مخنف بن سليم، فبعث الينا رجالاً من شيعة امير المؤمنين وولده، فنعم الفتى ونعم الانصار كانوا، فحملنا على عدونا وشددنا عليهم، فأنزل الله علينا نصره، وهزم عدوّه، واعزّ جنده، والحمد لله رب العالمين، والسلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

وروى محمد بن فرات الجرمي، عن زيد بن عليّ ﷺ، قال: قال عليّ ﷺ في هذه

(١) عظم الشيء: أي معظمه.

(٢) يقال: اصلت الرجل السيف: اذا جرّده من غمده.

الخطبة: أيها الناس، إني دعوتكم إلى الحق فتوليتُم عني، وضربتكم بالدرّة فأعيبتموني، أما إنه سَيليكم بعدي ولاةٌ لا يرضون منكم بذلك حتى يعذبوكم بالسياط والحديد، فأما أنا فلا أعذبكم بهما، إنه من عذب الناس في الدّنيا عذّبه الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتِيكم صاحبُ اليمن، حتى يحلّ بين أظهركم، فيأخذ العمال وعمال العمال رجل يقال له: يوسف بن عمرو، ويقوم عند ذلك رجل منّا أهل البيت، فانصروه فإنه داع إلى الحق. قال: وكان الناس يتحدثون أن ذلك الرجل هوزيد بن علي عليه السلام، انتهى^(١)

ومن كلام له عليه السلام في الخوارج^(١) لما سمع قولهم: «لاحكم إلا الله» قال:
 كَلِمَةٌ^(٢) حَقٌّ يَرَادُ بِهَا بَاطِلٌ^(٣) نَعَمْ إِنَّهُ لَاحُكَمُ إِلَّا لِلَّهِ^(٤)، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ^(٥).
 وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَفْعَلُ فِي أَمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتَعُ^(٦) فِيهَا الْكَافِرُ^(٧)،
 وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ^(٨) الْفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ^(٩) وَتَأْمَنُ بِهِ السَّبِيلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ
 لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ.
 وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال:
 حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.
 وقال^(١٠):

أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَفْعَلُ فِيهَا التَّقِيُّ^(١١)، وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ
 تَنْقَطَعَ مَدَّتُهُ، وَتُذْرِكُهُ مَنِيَّتُهُ.

(١) في ب وهـ. ص: في نسخة في معنى الخوارج.

(٢) في ص: هذه كلمة. (٣) في هـ. د: الباطل - ض.

(٤) في هـ. ب: قالوا لاحكم إلا الله، أتريد يا علي أن تحكم علينا؟! لاحكم إلا لله ولا إمرة.

(٥) في هـ. د: لا إمرة إلا لله - ض في هـ. ص: قال في الشرح: كان هذا رأي الخوارج ابتداءً ثم رجعوا وأمرؤا عليهم أمراء وبايعوا بعضهم. وفي هـ. ب: الإمرة لذوي القربى لاستظهارهم...

(٦) في هـ. ب: ويمتنع فيها، وفي نسخة: ويستمتع.

(٧) في هـ. ب: بيانه في رواية أخرى: إلى أن تنقطع مدته ... إلى آخره.

(٨) في ص: فيها (٩) في هـ. ص: أي عدو المسلمين جملة.

(١٠) ليس في ب: قال.

(١١) في هـ. ص: أي الأمير التقى، أي يكسب الأجر.

ومن خطبة له عليه السلام:

أيُّهَا النَّاسُ ^(١)، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصَّدَقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى ^(٢) مِنْهُ، وَمَا ^(٣) يَغْدِرُ ^(٤) مَنْ عِلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ ^(٥).

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ اتَّخَذَ ^(٦) أَكْثَرُ أَهْلِهِ ^(٧) الْغَدَرَ كَيْسًا، وَنَسَبُهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ.

مَا لَهُمْ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ بَرَى الْحَوْلُ الْقُلُوبَ ^(٨) وَجَهَ الْحِيلَةَ وَدُونَهَا ^(٩) مَا نَعِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ ^(١٠) بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيُنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَاحِرِيحَةً لَهُ فِي الدِّينِ ^(١١).

(١) لم ترد في النسخ المخطوطة: «أيُّهَا النَّاسُ».

(٢) في هـ. ب: أي أحفظ. (٣) في هـ د: ولا يغدر - ض.

(٤) في هـ. ب: الغدر والكذب.

(٥) في هـ. أ: أي الآخرة، وفي هـ. ب: من كان له إيمان بالقيامة لا يغدر.

(٦) في ط وهـ. د: قد اتخذ - ض وح.

(٧) في ب: أهلها. وفي الهامش: أهله. وفي هـ. أ: يشير بذلك إلى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما.

(٨) في هـ. أ: ذي البصيرة في أمور الدين يقلبها ظهراً وبطناً. وفي هـ. ب: الحول القلب: الكيس الذي يمكنه تحويل الأمور وتقليبها.

(٩) في أ ود: ودونه، وفي وهـ. ص في نسخة: ودونه.

(١٠) في ب رأي العين في هـ. ب: يطلب، وفي هامش آخر: [الانتهاز] التناول والفرصة النهرة.

(١١) في هـ. أ: أي الحرج، وقيل هي: التقوى، وفي هـ. ب من لاجريحة أي من لا يحسب من الحرج وهو الاثم، وقيل: اسم المتحرج وهو المتأثم.

ومن خطبة له ﷺ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ^(١): اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ. أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءَ^(٢) فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، اصْطَبَّهَا^(٣) صَابُهَا^(٤)، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَتُونٌ، فَكُونُوا مِنْ أُنْبَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أُنْبَاءِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ كُلَّ^(٥) وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ^(٦) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٍ.

ثم قال السيد^(٧) الحذاء: السريعة، ومن الناس من يرويه: «جذاء» بالجيم والذال، أي انقطع درّها وخيرها.

قد روي عن رسول الله ﷺ كلام في وزان هذا الكلام، وهو: «ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة قد تحمّلت مقبلة، ألا وإنكم في يوم عملٍ ليس فيه حساب، ويوشك أن تكونوا في يوم حسابٍ ليس فيه عمل، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب، وإن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، إن شر ما أتخوف عليكم: اتباع الهوى، وطول الأمل، فاتّباع الهوى يصرف بقلوبكم عن الحق، وطول الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا، وما بعدهما

(١) في د: اثنان.

(٢) في هـ. أوص: السريعة، ومن الناس من يرويه بالجيم، أي انقطع درّها وخيرها.

(٣) في هـ. ب: أي صبّها (٤) في هـ. د: اصطبها صاحبها - م.

(٥) في هـ. د: فإن لكل - م. (٦) في د: بأبيه.

(٧) لم ترد «ثم قال السيّد» في أ وب، وفي ط: قال الرضي رحمه الله أقول، وفي د: أقول.

لأحد خير من دنيا ولا آخرة»، انتهى.

أقول: يقرب أن يكون هذا الكلام النبوي والعلوي مشيراً إلى سرٍّ من أسرار النبوة: هو الخبر عن سبب هلاك من يهلك من هذه الامة.

فالملتزمون بالدين ظاهراً، المتشرعون المتقشفون من أهل المذاهب الفاسدة، هلكوا باتباع الهوى واعتمدوا التعصب والجدال عمّن زلّ وجهل ممّن حسن ظنهم به، وحاولوا أن يدحضوا الحق بالباطل.

وأما المنقطعون الى الدنيا، المريدون لها، فلولوا رجاؤهم طول البقاء فيها لما تعنّوا في تحصيل ذخائرهما.

قال في شرح ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «فتصدّ عن الحق».

هذا حقّ لا ريب فيه، لأنّ الهوى يُعمي البصيرة، وقد قيل: حُبّك للشيء يُعمي ويُصِمّ، ولهذا استعان الصالحون على معرفة عيوبهم بأقوال غيرهم، علماً منهم أنّ هوى النفس لذاتها يُعميها عن أن تُدرك عيبها، وما زال الهوى مُردياً قَتّالاً، ولهذا قال سبحانه: «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ»^(١)، وقال عليه السلام: «ثَلَاثٌ مُّهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُّطَاعٌ، وَهَوًى مُّتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»^(٢).

وأنت، إذا تأملت هلاك مَنْ هلك من المتكلمين كالمجبّرة والمرجئة، مع ذكائهم وفطنتهم واشتغالهم بالعلوم، عرفت أنّه لا سبب لهلاكهم إلّا هوى الأنفس، وحُبّهم الانتصار للمذهب الذي قد ألفوه، وقد رأسوا طريقه، وصارت لهم أتباع وتلامذة، وأقبلت الدنيا عليهم، وعدّهم السلاطين علماء ورؤساء، فيكرهون نقض ذلك كلّّه وإبطاله، ويحبون الانتصار لتلك المذاهب والآراء التي نشأوا عليها، وعرفوا بها، ووصلوا إلى ما وصلوا إليه بطريقها.

(١) النازعات: ٧٩/٤٠.

(٢) كذا أورد الحديث مختصراً، ونقله السيوطي في الجامع الصغير [١: ٢٣٦] بهذه اللفاظ: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكات فشح مطاع، وهوى، متبع وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات...» إلى آخر الحديث.

قوله ﷺ: «وأما طولُ الأمل فينسى الآخرة»:

هذا حق، لأنَّ الذهن إذا انصرف إلى الأمل، ومدَّ الإنسان في مداه فإنه لا يذكر الآخرة، بل يصير مستغرق الوقت بأحوال الدنيا، وما يرجو حصوله منها في مستقبل الزمان^(١)، انتهى.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٣١٩.

ومن كلام له ﷺ، وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام، بعد إرساله إلى معاوية جرير بن عبد الله البجلي:

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ، إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لَأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ
إِنْ أَرَادُوهُ، وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبِهِ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًّا، وَالرَّأْيُ عِنْدِي ^(١)
مَعَ الْأَنَانَةِ ^(٢) فَأَرُودُوا ^(٣)، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ.

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ ^(٤)، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرِ لِي ^(٥) إِلَّا الْقِتَالَ
أَوْ الْكُفْرَ ^(٦).

إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالِ ^(٧) أَحَدٌ أَخْدَانًا، وَأَوْجَدَ النَّاسَ ^(٨) مَقَالًا، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا
فَغَيَّرُوا.

(١) لم ترد «عندي» في أ و ب. (٢) في هـ. أ: الانانة: التثبيت.

(٣) في هـ. أ: اي ارفقوا، وفي هـ. ب: يقال: ارودوا: تفكروا، ويقال: ارود في السير: اذا أرفق.

(٤) في هـ. أ: ضربت أنف هذا الأمر وعينه، اي جربت الأمور وصرفت الاحوال. وفي هـ. ب: الانف: الاول، والعين: الآخر، اي قطعت.

(٥) في ط: فلم أر فيه الا القتال، وفي هـ. د: فلم أر إلا القتال - ن، فلم أر فيه إلا القتال - ح.

(٦) في ط ود زيادة: بما جاء محمد ﷺ. وفي هـ. أ: او الكفر بما أنزل الله على محمد، ويجوز ان يكون المراد: ان النبي ﷺ قال: «ان عليا يقاتل الناكثين» فان لم يقاتل يلزم من ذلك تكذيب النبي، وذلك كفر. ويجوز ان يكون المراد بقوله ٧: لم أر: لم أعتقد الا وجوب القتال، كما يقال: ان ابا حنيفة يرى كذا، أي يعتقد، وذلك لان القتال في سبيل الله واجب لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ إِلَى الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ وغيرها من الايات، ومعاوية وحزبه كانوا باغين، ناكثين، ساعين في الارض بالفساد، فمن لم يعتقد وجوب قتالهم كمن لم يعتقد بمقتضى آيات الله، وذلك كفر.

ويؤيد هذا: تصريحه به في كلام له بعد هذا، وهو قوله: فما وجدتني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاءني به محمد ﷺ. [الخطبة: ٥٣].

(٧) في هـ. أ: يشير لذلك الى عثمان وفي هـ. ب: والوالي الذي أحدث أحداثاً هو عثمان.

(٨) في هـ. ب: الایجاد: جعل الغير واجداً للشيء.

روى ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام روايات كثيرة.

فمنها قوله: روى ابن ديزيل أيضا عن عمر بن عون، عن هشيم، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، قال: قال عبدالله بن مسعود: «كيف أنتم إذا لقيتكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو^(١) فيها الصغير، تجري بين الناس، ويتخذونها سنة، فإذا غيّر قيل: هذا منكّر»^(٢) انتهى.

أقول: لا ريب أن في هذه الفتنة هي لعن علي عليه السلام، ومعنى يهرم فيها الكبير ويربو^(٣) فيها الصغير: تطول مدتها، وهي السنة التي ينتسب^(٤) إليها مخالفوا الشيعة؛ لأن معاوية منع من قبول رواية من كان على خلافها، ورغب في قبول رواية من تمسك بها ولقف^(٥) ذلك عنه العامة.

قال ابن أبي الحديد: قال ابن ديزيل: وحدثنا يحيى بن عبد الله الكرابيسي، قال: حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن عمار بن زريق، عن عمار الدهني^(٦) عن سالم بن أبي الجعد، قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود، فقال: إن الله تعالى قد آمننا أن يظلمنا، ولم يؤمننا أن يفتننا، رأيت إذا أنزلت فتنة، كيف أصنع؟ فقال: عليك بكتاب الله تعالى، قال: أفرايت إذا جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله تعالى؟!، فقال ابن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحق»، يعني عمّارا.

وروى ابن ديزيل، قال: حدثنا يحيى بن زكريا^(٧) قال: حدثنا علي بن القاسم، عن سعيد بن طارق، عن عثمان بن القاسم، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما إن تسالتم^(٨) عليه لم تهلكوا؛ إن وليكم الله، وإن أمامكم علي بن أبي طالب، فناصره وصدقوه؛ فإن جبريل أخبرني بذلك».

(١) في ص: ويوقر. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٩٧.

(٣) في ص: ويوقر.

(٤) في هـ. ص: فهم يزعمون أنهم أهل السنة، بمعنى رواة الحديث والمعتنون به، وكذبوا. وقلت أنا: وإن كانت سنة فهي سنة عمر ومعاوية، لاسنة رسول الله ﷺ كما يوهمون به.

(٥) أي: أخذ. (٦) في ص: الذهبي.

(٧) في ص: زكريا بن يحيى. (٨) في ط: تساءلتم.

فان قلت: هذا نص صريح في الامامة، فما الذي تصنع المعتزلة بذلك؟
قلت: يجوز أن يريد أنه امامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية، لا في الخلافة.
وأيضاً فانا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما محصّله: أن الامامة كانت
لعليّ عليه السلام ان رغب فيها ونازع عليها، وان أقرّها في غيره^(١) وسكت عنها تولّينا ذلك الغير،
وقلنا بصحة خلافته، وامير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الأئمة الثلاثة، ولا جرّد السيف،
ولا استنجد بالناس عليهم: فدلّ ذلك على اقراره لهم على ما كانوا فيه؛ فلذلك تولّيناهم،
وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصلاح، ولو حاربهم وجرّد السيف عليهم، واستصرخ العرب
على حربهم لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعاملة، من التّفسيق والتّضليل، انتهى
من شرح ابن أبي الحديد^(٢)

ويقال له: لعمر الله، لتأويلك هذا وتعسفك وتكلفك من الامور التي الحامل عليها
الهوى والعصبية للمذهب المألوف، والانتصار للاسلاف، الذي ذكرت أنه اهلك اكثر الناس
فيما سبق.

وأما ما حكيته عن البغداديين، فإنّ الملزومات للتضليل والتفسيق حاصلة كلّها، على
ما رويته أنت وصحّحته وبلغ حدّ التواتر؛ فان أمير المؤمنين نازع يوم السقيفة واستنجد
واستصرخ بالأنصار حتى أيس كما صرّح به مراراً وكذلك يوم الشورى، وبيعة عثمان،
وعرض عليه القتال يومئذ فاعتذر بعدم الناصر، وأنّ الناس لا يجيئون، ولم يزل في كل
مدّة متظلّماً، ناسباً الى القوم غصب حقّه، والتظاهر عليه، والظلم، والعدوان.
وانت قد رويت كلّ هذا وصحّحته، بلى، الحرب لم يقع؛ لعدم الناصر كما اعتذر به عليه السلام،
والمعزوم عليه كالواقع، فكأنّه قد حارب ونابذ، فقد لزم اللازم قطعاً وان ما حكتم، والله
أعلم، أستغفر الله.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٩٩.

(١) في ص: أقرّها لغيره.

ومن كلام له ﷺ لَمَّا هَرَبَ مَصْقَلَةُ بْنُ هَبِيرَةَ الشَّيْبَانِي إِلَى مَعَاوِيَةَ، وَكَانَ قَدْ ابْتَعَ
سَبِيَّ بَنِي نَاجِيَةَ^(١) مِنْ عَامِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَأَعْتَقَهُمْ، فَلَمَّا طَالَبَهُ ﷺ بِالْمَالِ
خَاسَ بِهِ^(٢) وَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ، فَقَالَ: ^(٣) قَبَّحَ^(٤) اللَّهُ مَصْقَلَةَ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ^(٥)، وَفَرَّ فِرَارَ
الْعَبِيدِ، فَمَا أُنْطِقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَهُ، وَلَا صَدَقَ وَاصِفُهُ حَتَّى يَكْتَهُ^(٦)، وَلَرَأَقَامَ لِأَخَذُنَا
مَيْسُورَهُ^(٧)، وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ مَوْفُورَهُ^(٨).

(١) بنوناجية: حي ينسبون انفسهم إلى سامة بن لؤي، اخي كعب بن لؤي، وأكثر علماء النسب
ينفون نسبهم، وروي نفي نسبهم عن أمير المؤمنين ﷺ وكان أكثرهم نصارى وبعضهم كان قد
أسلم فخرج منهم خارجي فازلّ قومه فارتد بعضهم، ونقض الذمة النصارى، فقتل معقل
الخارجيين والمرتدين وسبى النصارى. [شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٢٠].

(٢) في هـ. أوب: خاس: أي غدر به، يقال: خاس فلان بالعهد: إذا نكث.

(٣) ليس في د: فقال.

(٤) في هـ. ص: أي نحاه عن الخير، وهو في معنى اللعن، وفي هـ. أ: من القبح، لامن القبح،
معناه: لعنه الله وبعده من الخير. وفي هـ. ب: ابعده الله من كل خير.

(٥) في هـ د: فعل السادات - شرح محمد عبده.

(٦) في هـ. ص: التبكيك كالتقريع وقطع الحجج، وفي هـ. أ: غلبه بالحجة وقرعه، وفي هـ. ب:
سكته. والتبكيك: التقريع والتعنيف. (٧) في هـ. ب: يُسر أمره.

(٨) في أ وب وط ود: وفوره، وفي هـ. ص: في نسخة: وفوره، وفي هـ. أ: في نسخة: موفوره،
وفي هـ. ب: أي موفوره، أي تمامه.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ ^(١) مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُومٍ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ،
وَلَا مَسْتَنْكَفٍ ^(٢) عَنْ ^(٣) عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ ^(٤) مِنْهُ ^(٥) رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ ^(٦) لَهُ نِعْمَةٌ.
وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيٌّ ^(٧) لَهَا الْفَنَاءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ ^(٨)، وَهِيَ حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ ^(٩)، وَقَدْ
عَجَلَتْ ^(١٠) لِلطَّالِبِ، وَالتَّبَسَّتْ ^(١١) بِقَلْبِ النَّازِرِ، فَارْتَحِلُوا مِنْهَا ^(١٢) بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ
الزَّادِ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ ^(١٣)، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاعِ ^(١٤).

(١) في هـ. ب: القنوط والخيبة واليأس بمعنى.

(٢) في هـ. ب: استنكف: أنف. (٣) في ص وأ: من، وفي هـ أ: في نسخة: عن.

(٤) في هـ. ب: الذي لاتزال تبرح. (٥) في أ: له.

(٦) في هـ. أ: في نسخة: ولا تفق. (٧) في هـ. أوب: أي قدر. وفي هـ. ب: سميت المنية: لانها مقدرة.

(٨) في هـ. أوب: الجلاء - بفتح الجيم - : الخروج عن الوطن.

(٩) في ب وط وهـ د: خضراء - ض.

(١٠) في ب: قد عجلت، وفي الهامش: أي اسرع حصولها للطالب.

(١١) في هـ. ب: اختلطت. (١٢) في ص: عنها.

(١٣) في هـ. ص: هو ما أغنى عن الطلب وصان عن السؤال.

(١٤) في هـ. ص: البلاغ والبلغة من العيش: ما يتبلغ به إلى الأجل. وفي هـ. ب: البلاغ والبلغة: ما يتبلغ به من العيش ويستكفى.

ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ^(١)، وَكَآبَةِ^(٢) الْمُنْقَلَبِ^(٣)، وَسُوءِ الْمُنْظَرِ^(٤) فِي السَّفَرِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ^(٥). اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ^(٦) لَأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا، وَالْمُسْتَضْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا. قال السيد رحمه الله: (٧)

وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله ﷺ، وَقَدْ قَفَّاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِأَبْلَغِ كَلَامٍ، وَتَمَّمَهُ بِأَحْسَنِ تَمَامٍ، مِنْ قَوْلِهِ: «وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ»، إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ.
[أدعية عليّ عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية]

قال في شرح ابن أبي الحديد: قال نصر بن مزاحم: لما وَضَعَ عليّ عليه السلام رِجْلَهُ فِي رِكَابِ دَابَّتِهِ يَوْمَ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى صِفِّينَ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ:

(١) في هـ. ص: أي مشقته، وعث السائر: وقع في طريق دهس تغيب فيه الاقدام، هذا اصله، ثم نقل إلى المشقة مطلقاً. وفي هـ. أ: الوعشاء: المشقة، وفي هـ. ب: الشدة. الوعشاء: الرمل اللين في الاصل، ثم يكتنى بها عن الصعوبة: لان المشي في الرمل اللين متعذر.
(٢) في هـ. ص وأ: وب: الحزن.
(٣) في هـ. أ: المنقلب: مصدر انقلب، أي رجع، وفي هـ. ب: موضع الانقلاب.
(٤) في هـ. ص والـف: أي قبح المرأى، وفي هـ. ب: سوء المنظر من النظارة وهم القوم ينظرون إلى الشيء.
(٥) في هـ. ص: زاد نصر بن مزاحم: ومن الحيرة بعد اليقين، وفي ط ود وهـ. ب: زيادة: والولد.
(٦) في هـ. ص مايلي: وذلك لان غير الباري سبحانه جسم أو عرض، ومحال كون الجسم الواحد أو العرض الواحد في محلين في وقت واحد، فاما الباري سبحانه فليس بذي محل، فانفرد بجمع هذين الحكمين.

(٧) لم ترد «قال السيد رحمه الله» في ب ود، وفي أ: قال السيد.

«سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»^(١).

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ... إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ. وَآخِرُهُ: لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبًا، وَالْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا.

قال: وقال حبيب بن مالك^(٢)، وهو على شُرْطَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وهو أَخَذُ بَعْنَانَ فَرَسَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَخْرُجُ بِالْمُسْلِمِينَ فَيُصِيبُوا أَجْرَ الْجِهَادِ بِالْقِتَالِ، وَتَخْلُفُنِي بِالْكَوْفَةِ لِحَشْرِ الْجِهَادِ^(٣)؟ فقال عليه السلام: إِنَّهُمْ لَنْ يُصِيبُوا مِنَ الْأَجْرِ شَيْئًا إِلَّا كُنْتَ شَرِيكَهُمْ فِيهِ، وَأَنْتَ هَاهُنَا أَعْظَمُ غَنَاءٍ عَنْهُمْ لَوْ كُنْتُ مَعَهُمْ.

[كلام عليّ حين نزل بكرّ بلاء:]

قال نصر: وَحَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ سَلَامِ التِّيمِي^(٤)، قَالَ: حَدَّثَنَا حِيَانُ التِّيمِي، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ هَرِثْمَةَ بْنِ سَلِيمٍ، قَالَ^(٥): غَزَوْنَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَفِّينَ، فَلَمَّا نَزَلَ بِكَرْبَلَاءَ صَلَّى بِنَا، فَلَمَّا سَلَّمَ رَفَعَ إِلَيْهِ^(٦) مِنْ تُرْبَتِهَا فَشَمَّهَا، ثُمَّ قَالَ: وَاهَا لَكَ مِنْ تُرْبَةٍ^(٧)! لِيُحْشَرََنَّ مِنْكَ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

قال: فَلَمَّا رَجَعَ هَرِثْمَةُ مِنْ غَزَاةِ^(٨) إِلَى امْرَأَتِهِ جَرْدَاءَ^(٩) بِنْتُ سُمَيْرٍ - وَكَانَتْ مِنْ شِيعَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - حَدَّثَهَا هَرِثْمَةُ فِيمَا حَدَّثَ، فَقَالَ لَهَا: أَلَا أُعْجِبُكَ مِنْ صَدِيقِكَ أَبَا حَسَنِ! قَالَ: لَمَّا نَزَلْنَا كَرْبَلَاءَ أَخَذَ حَقْنَةً مِنْ تُرْبَتِهَا فَشَمَّهَا، وَقَالَ: «وَاهَا لَكَ أَيْتُهَا التُّرْبَةُ! لِيُحْشَرََنَّ مِنْكَ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، وَمَا عَلَّمَهُ بِالْغَيْبِ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لَهُ: دَعْنَا مِنْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُلْ إِلَّا حَقًّا.

قال: فَلَمَّا بَعَثَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ الْبَغْثِ الَّذِي بَعَثَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كُنْتُ فِي الْخَيْلِ الَّتِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى حُسَيْنٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ، عَرَفْتُ الْمَنْزَلَ الَّذِي نَزَلْنَا فِيهِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالبُقْعَةُ الَّتِي رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تُرْبَتِهَا، وَالْقَوْلَ الَّذِي قَالَه، فَكَرِهْتُ مُسِيرِي، فَأَقْبَلْتُ

(١) سورة الزخرف: ٤٣ / ١٣ و ١٤. (٢) في ص: مالك بن حبيب.

(٣) في ط: لحشر الرجال. (٤) في ط: التميمي.

(٥) وقعة صفين: ١٠٧. (٦) لم ترد «إليه» في ص.

(٧) في وقعة صفين: «واها لك أيتها التربة» وفي ط: واها لك يا تربة.

(٨) في وقعة صفين: «من غزوته». (٩) في ص: مرداء.

على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه السلام، فسلمت عليه، وحدته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين: أمعنا أم علينا؟ فقلت: يا بن رسول الله، لا معك ولا عليك، تركت ولدي وعيالي^(١) أخاف عليهم من ابن زياد، فقال الحسين عليه السلام: فول هربا حتى لا ترى مقتلنا^(٢)، فوالذي نفس حسين^(٣) بيده، لا يرى اليوم مقتلنا أحد ثم لا يعيننا إلا دخل النار.

قال: فأقبلت في الأرض أشتد هرباً، حتى خفي علي مقتلهم.

قال نصر: وحدثنا مصعب، قال: حدثنا الأجلح بن عبد الله الكندي^(٤) عن جحيفة، قال: جاء^(٥) عروة البارقي إلى سعد بن وهب، فسأله فقال: حديث حدثتنا^(٦) عن علي بن أبي طالب، قال: نعم، بعثني مخنف بن سليم إلى علي، عند توجهه إلى صفين، فأتيته وهو بكره بلاء، فوجدته يشير بيساره ويقول: ها هنا ها هنا! فقال له رجل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ثقل لآل محمد ينزل ها هنا، فويل لهم منكم! وويل لكم منهم! فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار، انتهى^(٧).

(١) في وقعة صفين: «تركك أهلي وولدي». (٢) في وقعة صفين: «حتى لا ترى لنا مقتلاً».

(٣) «فوالذي نفس محمد». (٤) في ص: العبد.

(٥) وقعة صفين: ١٥٨. (٦) وقعة صفين: «حدثتني».

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٧١.

ومن كلام له ﷺ في ذكر الكوفة:

كَأَنِّي بِكَ ^(١) يَا كُوفَةُ تَمْدِينُ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِي، تُعَرِّكِينَ بِالنَّوَازِلِ ^(٢)، وَتُزَكِّيْنَ
بِالزَّلَازِلِ ^(٣)، وَإِنِّي لَا عَلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءَ إِلَّا ابْتِلَاءُ اللَّهِ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ ^(٤) بِقَاتِلٍ.

[فصل في ذكر فضل الكوفة.]

قال في الشرح: وقد جاء في فضل الكوفة عن أهل البيت ﷺ شيء كثير، نحو قول
أمير المؤمنين ﷺ: «نعمت المدرة». وقوله ﷺ: «إنه يُحشر من ظهرها يوم القيامة زهاء
سبعين ألفاً» ^(٥)، وجوهُهم على صورة القمر.

وقوله ﷺ: «هذه مدينتنا ومحلتنا، ومصر شيعتنا» ^(٦).

وقول جعفر بن محمد الصادق ﷺ: «اللهم ازم من رماها، وعاد من عادها». وقوله ﷺ:
«تربة تحبنا ونحبها».

فأما ما هم به الملوك وأرباب السلطان فيها من سوء، ودفاع الله تعالى عنها، فكثير.
وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتاب «المنتظم»: أن زياداً لما
حصبه أهل الكوفة، وهو يخطب على المنبر، قطع أيدي ثمانين منهم، وهم أن يخرب

(١) في هـ. ب: كأني عالم بأحوالك. وفي هامش آخر: ذكر ﷺ أولاً ما يجري بعده على الكوفة
- أي أهل الكوفة - وليس ذلك بعلم الغيب، وإنما كان النبي ﷺ أخبره بذلك، يقول: إن المحن
تنزل كثيراً بالكوفة، ويعترك أهلها عرك الأديم المنسوب إلى عكاظ، وهو اسم سوق للعرب
بناحية مكة، كانوا يجتمعون فيها في كل سنة فيقيمون شهراً ويتبايعون، فبالإسلام هدم ذلك.
وورد في هـ. أمثل هذه العبارة بزيادة: وأكثر ما كان يباع بها الأديم.

(٢) في هـ. ب: النوازل: جمع نازلة، وهي الحوادث.

(٣) في هـ. أ: أي الأمور المزعجة.

(٤) في ط: ود: أورماه.

(٥) في ط: يوم القيامة سبعون ألفاً.

(٦) في ط: ومقر شيعتنا.

دورهم، ويُجمَع نخلهم، فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة، ليعرضهم على البراءة من علي عليه السلام، وعلم أنهم سيمتنعون، فيحتج بذلك على استئصالهم، وإخراجهم بلدهم.

قال عبد الرحمن بن السائب الأنصاري: فإني لمع نفر من قومي، والناس يومئذ في أمر عظيم، إذ هومت تهويمه^(١)، فرأيت شيئا أقبل، طويل العنق، مثل عنق البعير، أهدر أهمل^(٢)، فقلت: ما أنت؟ فقال: أنا النقاد ذو الرقبة، بُعثت إلى صاحب هذا القصر، فاستيقظت فرعا، فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيتم؟ قالوا: لا، فأخبرتهم، وخرج علينا خارج من القصر، فقال: انصرفوا، فإن الأمير يقول لكم: إني عنكم اليوم مشغول، وإذا بالطاعون قد ضربه، فكان يقول: إني لأجد في النصف من جسدي حر النار، ثم مات، فقال عبد الرحمن بن السائب:

مَا كَانَ مُنْتَهِيًا عَمَّا أَرَادَ بِنَا حَتَّى تَنَاوَلَهُ النَّقَادُ ذُو الرَّقَبَةِ
فَأَثَبَتِ الشَّقَّ مِنْهُ ضَرْبَةً عَظُمَتْ كَمَا تَنَاوَلُ ظُلُمًا صَاحِبَ الرَّحْبَةِ

قلت: قد يظن ظان بأن قوله: «صاحب الرحبة» يمكن أن يحتج به من قال: إن قبر أمير المؤمنين عليه السلام في رحبة المسجد بالكوفة، ولا حجة في ذلك؛ لأن أمير المؤمنين عليه السلام كان يجلس معظم زمانه في رحبة المسجد، يحكم بين الناس. فجاز أن ينسب إليه بهذا الاعتبار^(٣).

(١) التهويم: هز الرأس من النعاس.

(٢) في ص: أهول، يقال: هدر البعير، إذا صوّت في غير شقشقة، والجمل الأهدل: المسترخي

المشفر. (٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩٩.

ومن خطبة له ﷺ عند المسير الى الشام
 الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا رَقَبَ ^(١) لَيْلٌ وَغَسَقَ ^(٢)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ ^(٣)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ، وَلَا مُكَافِ ^(٤) الْإِفْضَالِ.
 أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ ^(٥)، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ
 رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ ^(٦) هَذِهِ التُّفْنَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ، مُوَطِّئِينَ ^(٧) أَكْنَافَ ^(٨) دَجَلَةَ، فَأَنْهَضَهُمْ
 مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أُمْدَادِ الْقُوَّةِ.
 قال الرضي ^(٩): يَعْنِي ﷺ بِالْمِلْطَاطِ - هَاهُنَا - السَّمْتُ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِلُزُومِهِ،
 وَهُوَ شَاطِئُ الْفَرَاتِ، وَيُقَالُ ذَلِكَ أَيْضاً لِشَاطِئِ الْبَحْرِ، وَأَصْلُهُ: مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ.

(١) في هـ. ص: اي دخل على الناس وفي هـ. ب: دخل.

(٢) في هـ. ص: اي اظلم واسود، وفي هـ. ب: اظلم.

(٣) في هـ. ص: مال الى الغروب، وفي هـ. ب: اقل وغرب.

(٤) في هامش ب: لا يجازى فضله، والافضال: الانعام.

(٥) في هـ. ص: في الصحاح: الملطاط: حاقة الوادي وشفيره وساحل البحر، قال رؤبة: نحن
 جمعنا الناس بالملطاط، قال الاصمعي: يعني ساحل البحر، وقول ابن مسعود: هذا الملطاط
 طريق بقية المؤمنين هرباً من الدجال، يعني شاطيء الفرات.

(٦) في هـ. ب: اقطع، يجوز ان يكون من الإقطاع.

(٧) في هـ. ص: اي متخذين لها اوطاناً، وفي هـ. ب: اي متخذين حوالي هذا النهر وطناً يقال:
 أوطنت البلاد ووطنتها واستوطنتها، اي اتخذتها وطناً - وفي هـ. أ: من الإيطان: اي جعلوا
 أكنافها وطناً.

(٨) في هـ. ص: جمع كنف، وهو: الجانب، وفي هـ. أ: والاكناف: الجوانب، واحدها: كنف، وهذه
 الخطبة خطب بها خارج الكوفة بالنخيلة، لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين، ومرّر
 بمدائن كسرى فسمع رجلاً من أصحابه يتمثل بقول اسود بن يعفر:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال له ﷺ: هلا قلت: «كم تركوا من جنّات وعيون وزروع ومقام كريم»... الآيات.

(٩) في أ: قال السيد، ولم ترد العبارة في ب ود.

ويعني بالنُّظْفَة: ماء الفُرَات، وهو من غريب العبارات وعجيبها.

قال في الشرح: وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالنُّخَيْلَة، خارجاً من الكوفة ومتوجّهاً إلى صَفِّين، لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين، ذكرها جماعة من أصحاب السير^(١).

قال نصر: وحدثنا عبد العزيز بن شباه، قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت، قال: حدثنا [أبو]^(٢) سعيد التيمي المعروف بعقيص^(٣)، قال: كنّا مع عليّ عليه السلام في مسيره إلى الشام، حتى إذا كنّا بظهر الكوفة من جانب هذا السّواد^(٤)، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء، فانطلق بنا عليّ عليه السلام حتى أتى ابنّا^(٥) إلى صخرة ضرس^(٦) في الأرض، كأنها رُبْضَة عنز^(٧)، فأمرنا فاقتلعناها، فخرج لنا من تحتها ماء، فشرب الناس منه، وارتوؤا. ثم أمرنا فأكفأناها عليه. وسار الناس حتى إذا مضى قليلاً، قال عليه السلام: أمّنكم أحدٌ يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فانطلقوا إليه، فانطلق مِنّا رجالٌ ركبانا ومشاة، فاقتصصنا الطريق إليه، حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه، فطلبناه، فلم نقدر على شيء، حتى إذا عِيلَ علينا، انطلقنا إلى دَيْرٍ قريب مِنّا، فسألناهم: أين هذا الماء الذي عندكم؟ قالوا: ليس قرّيباً مِنّا ماء، فقلنا: بلى، إنّنا شربنا منه، قالوا: أنتم شربتم منه؟! فقلنا: نعم، فقال صاحب الدَيْر: والله ما يُبْنى هذا الدير إلا بذلك الماء، وما استخرجه إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ^(٨)، انتهى.

[كرامة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام]:

قال نصر: فروى حَبَّةُ العرني: أن علياً عليه السلام لما نزل على الرِّقّة، نَزَلَ بموضع يقال له: «البليخ» على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صَوْمَعَتِهِ، فقال لعليّ عليه السلام: إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحابُ عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال: نعم، فقرأ الراهب الكتاب:

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠١. (٢) من وقعة صفين، ولم ترد في ص.

(٣) في ص: بعقيصاء - بالمد. (٤) في ص: الواد.

(٥) من وقعة صفين، ولم ترد في ص. (٦) الضرس: الأكمة الخشنة.

(٧) الرِبْضَة، بضم الراء ويقال بكسرهما، مقدار جثة العنز إذا ربضت، وفي الأثر: جاء بشريد كأنه

ربضة أرنب، أي جثتها. راجع اللسان. (٨) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٥.

بسم الله الرحمن الرحيم. الذي قضى فيما قضى، وسَطَّر فيما كتب^(١)؛ أَنَّهُ باعَثُ فِي
الْأَمِيينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَعْلَمُهُم الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ، لَا فِظًا، وَلَا غَلِيظًا،
وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيْنَةِ السَّيْنَةَ، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَح، أُمَّتُهُ الْحَمَادُونَ، الَّذِينَ
يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ نَشْرٍ^(٢)، وَفِي كُلِّ صَعُودٍ وَهَبُوطٍ، تَذَلُّ السَّنْتَهُم بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ،
وَالْتَسْبِيحِ، وَيَنْصُرُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ، فَإِذَا تَوَفَّاهُ اللَّهُ، اخْتَلَفَتْ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ اجْتَمَعَتْ،
فَلَبِثَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اخْتَلَفَتْ، فَيَمُرُّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِهِ بِشَاطِئِ هَذَا الْفُرَاتِ، يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يَرْكُسُ^(٣) الْحُكْمَ، الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنَ الزَّمَادِ فِي
يَوْمِ عَصْفَتِ بِهِ الرِّيحِ، وَالْمَوْتُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ عَلَى الظَّمآنِ^(٤)، يَخَافُ اللَّهُ فِي
السِّرِّ، وَيَنْصَحُ لَهُ فِي الْعِلَانِيَةِ، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ النَّبِيَّ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ
الْبِلَادِ فَأَمَّنْ بِهِ كَانَ ثَوَابُهُ رِضْوَانِي وَالْجَنَّةَ، وَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الْعَبْدَ الصَّالِحَ فَلْيَنْصُرْهُ، فَإِنَّ الْقَتْلَ
مَعَهُ شَهَادَةٌ.

ثم قال له: أَنَا مَصَاحِبُكَ، فَلَا أَفَارُكَ حَتَّى يَصِيَّبَنِي مَا أَصَابَكَ.

فبَكَى ﷺ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ أَكُنْ عَنْدهُ مُنْسِيًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَكَرَنِي عَنْدهُ فِي
كِتَابِ الْأَبْرَارِ^(٥).

فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغذى مع أمير المؤمنين ويتعشى، حتى أصيب
يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم، قال ﷺ: اطلبوه، فلما وجد^(٦)، صلى عليه
ودفنه. وقال: هَذَا مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لَهُ مَرَارًا.

روى هذا الخبر نصر بن مزاحم في كتاب «صفين»^(٧) عن عمر بن سعد، عن مسلم
الأعور، عن حبة العرنبي. ورواه أيضا إبراهيم بن ديزيل الهمداني، بهذا الإسناد عن حبة
أيضا في كتاب صفين^(٨)، انتهى من شرح ابن أبي الحديد.

(١) وقعة صفين: فيما سطر.

(٢) الركس: رد الشيء مقلوبا، وفي صفين: «ولا يرتشى في الحكم».

(٣) الركس: رد الشيء مقلوبا، وفي صفين: «ولا يرتشى في الحكم».

(٤) في وقعة صفين: الظماء.

(٥) وقعة صفين: ١٦٤ - ١٦٥.

(٦) في ط: وجدوه.

(٧) وقعة صفين: ١٦٤ - ١٦٥.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٠٦.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ ^(١) خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ^(٢)، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ ^(٣)، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ ^(٤)، فَلَا عَيْنَ ^(٥) مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ ^(٦)، وَلَا قَلْبَ ^(٧) مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ. سَبَقَ فِي الْعُلُوفِ لَأَشْيَاءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرَّبَ فِي الدُّنُوفِ لَأَشْيَاءَ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا اقْرَبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ ^(٨). لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ^(٩)، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ ^(١٠)، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوءًا كَبِيرًا.

(١) في هامش ب: في نسخة: فطن، وفي هـ: فطن - ن وك، وفي هـ: أ: بطن الأمر: أي عرف باطنه.

(٢) في هامش ب: معناها: أن جميع الحمد ثابت لله الذي يعلم كل أمر مستور، ويدل على كونه: أفعاله الظاهرة التي هي دالة عليه، وليس هو بمشاهد.

(٣) في هـ: أ: الأعلام جمع علم، وهو المنار يهتدى به. وأعلام الظهور: أي الأدلة الظاهرة الواضحة، وأعلام الوجود: أي الأدلة الموجودة.

(٤) في هامش ب: وكذلك لا تدركه عين البصير، إلا أنه مع ذلك لا يمكن أن ينكره في كل حال من لم يره، ولا يمكن لمن أثبتته بالدلائل أن يحيط به علماً.

(٥) في هـ: د: ولا عين - ك، وفي هـ: ص: في نسخة: قلب.

(٦) في هـ: أ: أي: أنه سبحانه ليس يبين بالغير، ومع ذلك فلا يمكن لمن لم يره بعينه أن ينكره؛ لدلالة كل شيء عليه. (٧) في هـ: ص: في نسخة: عين.

(٨) في هامش ب: أي فلا علوه أبعد عن الخلق، ولا قربهم منهم جعله مساوياً لهم في الاحتياج إلى المكان.

(٩) في هامش ب: أن العقول لا تطلع على معرفة الله الواجبة فإن وجوده وعظمته لا يحدها بمعنى لا يوصف تعالى بعقل إلا وكان أعظم.

(١٠) في هـ: أ: أعلام الوجود، أي الأدلة الموجودة، وفي هامش ب: تمسك أصحاب المعارف كالجاحظ بقوله: «فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود».

افصول في العلم الإلهي:

قال ابن أبي الحديد: وهذا الفصل يشتمل على مباحث كثيرة من العلم الإلهي:

أولها: كونه تعالى عالماً بالأمور الخفية.

والثاني: كونه تعالى مدلولاً عليه بالأمور الظاهرة، يعني أفعاله.

والثالث: أن هويته تعالى غير معلومة للبشر.

والرابع: نفي شبهه سبحانه في مخلوقاته^(١).

والخامس: بيان أن الجاحد لإثباته مكابر بلسانه، وعارف بقلبه.

ونحن نذكر القول في^(٢) جميع ذلك على سبيل اقتصاص المذاهب والأقوال، ونحيل

في البرهان على الحق من ذلك وبطلان شبه المخالفين فيه، على ما هو مذكور في كتبنا

الكلامية، إذ ليس هذا الكتاب موضوعاً لذلك، وإن كنا قد لانخلي بعض فصوله عن إشارة

إلى الدليل موجزة، وتلويح إلى الشبهة لطيف:

الفصل الأول:

وهو الكلام في كونه تعالى عالماً بالأمور الخفية.

فاعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما قال: «بَطْنُ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ» وهذا القدر من الكلام

يقتضي كونه تعالى يعلم الأمور الخفية الباطنة، وهذا ينقسم قسمين:

أحدهما: أنه يعلم الأمور الخفية الحاضرة.

والثاني: أنه يعلم الأمور الخفية المستقبلية.

والكلام من حيث إطلاقه يحتمل الأمرين، فنحمله عليهما معاً. فقد خالف في كل

واحدة من المسألتين قوم، فمن الناس من نفى كونه عالماً بالمستقبلات، ومن الناس من

نفى كونه عالماً بالأمور الحاضرة، سواء كانت خفية أو ظاهرة، وهذا يقتضي أن نشرح

أقوال العقلاء في هذه المسائل، فنقول: إن الناس فيها على أقوال:

القول الأول: قول جمهور المتكلمين، وهو أن الباري سبحانه يعلم كل معلوم،

(١) في ط: نفي تشبيهه من مخلوقاته. (٢) من ط، ولم ترد «القول في» في ص.

الماضي والحاضر والمستقبل، ظاهرها وباطنها، ومحسوسها وغير محسوسها، فهو تعالى العالم بما كان وما هو حاضر، وما سيكون وما لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(١)، فهذا علم بأمرٍ مقدّر على تقدير وقوع أصله الذي علم أنّه لا يكون.

ثم أورد ابن أبي الحديد الأقوال الاخر معزّوة إلى من نسبت إليه، ولا حاجة بنا إلى نقلها لوضوح بطلانها، ثم قال: واعلم أن حجة المتكلمين على كونه عالما بكل شيء، إنما تتّضح بعد إثبات حدوث العالم، وأنه فعله بالاختيار، فحينئذ لا بدّ من كونه عالما؛ لأنّه لو لم يكن عالما بشيء أصلا لما صحّ أن يحدث العالم على سبيل الاختيار؛ لأنّ الإحداث على طريق الاختيار، إنما يكون^(٢) بالعرض والداعي، وذلك يقتضي كونه عالما، فإذا ثبت أنه عالم بشيء ما، أفسدوا - حينئذ - أن يكون عالما، بمعنى اقتضى له العالمية، أو بأمر خارج عن ذاته، مختارا كان أو غير مختار.

فحينئذ ثبت لهم أنّه إنما علم؛ لأنّه هذه الذات المخصوصة لا شيء أزيد منها، فإذا ثبت^(٣) لهم ذلك وجب أن يكون عالما بكل معلوم، لأنّ الأمر الذي أوجب كونه عالما بأمر ما، وهو ذاته، يوجب كونه عالما بغيره من الأمور؛ لأنّ نسبة ذاته إلى الكلّ نسبة واحدة.

الفصل الثاني: في تفسير قوله ﷺ: «وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ»:

فتقول: إنّ الذي يستدلّ به على إثبات الصانع يمكن أن يكون من وجهين، وكلاهما يصدق عليه أنه أعلام الظهور: أحدهما الوجود، والثاني الموجود^(٤).

(١) الانعام: ٢٨/٦.

(٢) كذا في ط، وفي ص: لأنّه إنما يكون... الخ.

(٣) في ط: فإذا كان.

(٤) في هـ. ص هنا للشارح تعليقة على قوله: أحدهما الوجود، وهي كما يلي: اعلم ان الوجود يقال لمفهومين.

أحدهما بمعنى الثبوت ويقابلها العدم والنفي

والثاني: بمعنى الكون، مرادف الحصول. أي الخروج من العدم.

أما الاستدلال عليه بالوجود نفسه فهي طريقة المدققين من الفلاسفة، فإنهم استدّلوا على أنّ نفس الوجود مشترك، وأنه زائد على ماهيّات الممكنات على ما هنا من الممكنات، وأنّ وجودَ الباري تعالى لا يصحّ أن يكون زائداً على ماهيّته، [فتكون ماهيّته] ^(١) وجوداً، ولا يجوز أن تكون ماهيته عارية عن الوجود، فلم يبقَ إلا أن تكون ماهيته هي الوجود نفسه، وأثبتوا وجوبَ ذلك الوجود؛ لاستحالة تطرّق العدم إليه بوجه ما، فلم يفتقروا في إثبات الباري إلى تأمل أمرٍ غير نفس الوجود.

وأما الاستدلالُ عليه بالموجود لا بالوجود نفسه، فهو الاستدلال عليه بأفعاله، وهي طريقة المتكلمين. قالوا: كلّ ما لم يُعَلَمْ بالبداهة ولا بالحسّ، فإنما يُعلم بآثاره الصادرة عنه، والباري تعالى كذلك، فالطريق إليه ليس إلا أفعاله، فاستدلّوا عليه بالعالم، وقالوا تارة: العالم محدث وكلّ محدث له محدث. وقالوا تارة أخرى: العالم ممكن، وكلّ ممكن له مؤثّر.

وقال ابن سينا: إن الطريقة الأولى، وهي الاستدلال عليه بالوجود نفسه أعلى وأشرف، لأنّه لم يحتج فيها إلى الاستدلال بأمر خارج عن ذاته، واستنبط آيةً من الكتاب العزيز في هذا المعنى، وهي قوله تعالى: ﴿سَرِّهِمْ أَيَّامَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ

→ ولما اختلف مفهومه، اختلف الناس فيه، هل هو عين ماهية الموجود أو زائد عليها. فقال أبو الحسين البصري وموافقوه: هو عين الماهية في حق الخالق سبحانه والمخلوقات؛ نظراً إلى أنّ ثبوت الأشياء هو عدم انتفائها.

وقال غيرهم من المتكلمين: بل الوجود زائد على ماهية الموجود في حق الجميع، نظراً إلى أنه بمعنى الكون أي الحصول، وفي تحقق هذا المعنى في حق الباري سبحانه نظر.

وقالت الفلاسفة: هو في حق الباري نفس الذات، وفي حق غيره زائد على الذات؛ نظراً إلى أنه في حق الباري بمعنى الثبوت، وفي حق غيره بمعنى الكون أي الحصول.

والحق أن يقال: أما في حق الباري، فليس إلا بمعنى الثبوت، إذ لم يسبق وجوده عدم، فيكون بمعنى الكون، فهو نفس الذات.

وأما في حق غيره فيكون بالمعنيين، فإن كان بمعنى الثبوت مقابل النفي، فهو عين الذات، وإن كان بمعنى الكون، فهو زائد عليها.

هذا الذي يتحصل من النظر في كلامهم تحقيقاً، والله أعلم.

أَنَّهُ الْحَقُّ»^(١).

قال ابن سينا: أقول: إنَّ هذا الكلام لقوم - يعني المتكلمين وغيرهم ممن يستدل عليه تعالى بأفعاله، وتمام الآية: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).
قال: هذا حكمُ الصَّديقين الذين يستشهدون به، لا عليه، يعني الذين استدلوا عليه بنفس الوجود، ولم يفتتروا إلى التعلُّق بأفعاله في إثبات ربوبيته.

الفصل الثالث:

في أن هويَّته تعالى غير معلومة^(٣) للبشر^(٤).

(١) سورة فصلت: ٤١ / ٥٣. (٢) سورة فصلت: ٤١ / ٥٣.

(٣) في ط: غير هوية.

(٤) في هـ. ص: قال الامام يحيى بن حمزة، في مؤلف له في اصول الدين: القول في انه تعالى بما ذا يخالف غيره، وان حقيقة ذاته، هل هي معلومة للبشر، أم لا؟ أمّا بماذا يخالف غيره؟ فالذي ذهب إليه نفاة الاحوال كأبي الحسين واصحابه: ان مخالفته تعالى لغيره لا يكون إلا لذاته، وأنه ليس بين الحقائق اشتراك إلا في الأسماء والأحكام، وأما في نفس الحقائق فلا. واما مثبتوا الاحوال كأبي هاشم وأبي علي وأصحابهما، فذهبوا إلى أن ذاته تعالى تساوي سائر الذوات في حقيقتها، ولكنها تخالفها بصفة مخصوصة، ثم اختلفا فذهب ابو علي إلى أن مخالفته تعالى لغيره بوجوب وجوده وقادريته وعالميته.

وذهب ابو هاشم إلى أن مخالفته لغيره بصفة خامسة، وهي «الالوهية». والأقرب هو الأول، ويدل عليه أن مخالفته لغيره لو كانت بغير ذاته، لكانت ذاته مساوية لسائر الذوات، ولو كانت مساوية لها، لكان اختصاصه بالصفة التي خالف بها غيره لا بد أن تكون لأمر موجود، وذلك الامر ان كان جائزاً، لم يكن اختصاصه بتلك الصفة واجباً، وهو محال.

وان كان واجباً، فذلك الوجوب: ان كان لصفة أخرى، تسلسل وان كان لنفس تلك الذات، كانت تلك الذات لنفسها مخالفة لغيرها من الذوات. ولا تحتاج إلى صفة أخرى وهو المطلوب. وأما إن حقيقة ذاته معلومة لنا، وإن علمنا بحقيقته كعلمنا بذاته، فمن المتكلمين من ذهب إلى ان خاصة ذاته ليس معلوماً لنا، وهو الأقرب، ويدل عليه: أن المعلوم لنا منه ليس إلا الصفات الحقيقية من كونه قادراً وعالماً وغيرها، أو الصفات السلبية من كونه تعالى ليس بمتحيّز ولا في جهة وغيرها.

ونحن نعلم - بالضرورة - أن هذه السلوب والإضافات لا بد لها من ذات تختص هي بها وتقوم بها، وشيء من هذه السلوب والإضافات ليس بحقيقة ذاته، فثبت أننا لا نعرف حقيقة ذاته، انتهت من مؤلفه: المعالم الدينية.

وذلك معنى قوله ﷺ: «وامتنع عَلَى عَيْنِ البصير»، وقوله: «ولا قلب من أثبتته يبصره»، وقوله: «لم يُطْلَع العقول على تحديد صفته»

فنقول: إن جمهور المتكلمين زعموا أننا نعرف حقيقة ذات إله، ولم يتحاشوا من القول بأنه تعالى لا يعلم من ذاته إلا ما نعلمه نحن منها.

وذهب ضرار^(١) بن عمرو: إلى أن لله تعالى ماهية لا يعلمها إلا هو، وهذا هو مذهب الفلاسفة. وقد حُكي عن أبي حنيفة وأصحابه أيضاً، وهو الظاهر من كلام أمير المؤمنين ﷺ في هذا الفصل.

الفصل الرابع:

في نفي التشبيه عنه تعالى. وهو معنى قوله ﷺ: «بعد وقرب»: أي في حال واحدة، وذلك يقتضي نفي كونه تعالى جسماً؟ وكذلك قوله ﷺ: «فلا استعلاؤه بأعداه عن غيره، ولا أقربه ساواهم في المكان به»، فنقول: إن مذهب جمهور المتكلمين نفي التشبيه، وهذا القول يتنوع أنواعاً:

النوع الأول: نفي كونه تعالى جسماً مركباً، أو جوهراً فرداً غير مركب، والمراد بالجواهر - هاهنا - الجرم والحجم. وهو قول المعتزلة وأكثر محققي المتكلمين من سائر الفرق، وإليه ذهب الفلاسفة أيضاً.

النوع الثاني: نفي الأعضاء والجوارح عنه، فالذي يذهب إليه المعتزلة وسائر المحققين من المتكلمين نفي ذلك عنه، وقد تأولوا ما ورد في القرآن العزيز من ذلك، من نحوقوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿عَلَى مَا قَرَّبْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(٣) وغير ذلك، وحملوه على وجوه صحيحة جائزة في اللغة العربية.

النوع الثالث: نفي الجهة عنه سبحانه، فالذي يذهب إليه المعتزلة وجمهور المحققين

(١) هو ضرار بن عمرو، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية، كان في بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلي، ثم خالفه في خلق الاعمال وإنكار عذاب القبر [الفرق بين الفرق: ٢٠١].

(٢) سورة ص: ٢٨/٧٥.

(٣) سورة الزمر: ٢٩/٤٦.

من المتكلمين أنه سبحانه ليس في جهة ولا مكان، وأن ذلك من توابع الجسمية أو العرضية القائمة بالجسمية، فإذا انتفى عنه كونه جسماً وكونه عرضاً لم يكن في جهة أصلاً، وإلى هذا القول يذهب الفلاسفة.

النوع الرابع: نفي كونه عرضاً حالاً في المحل، فالذي تذهب إليه المعتزلة وأكثر المسلمين نفي ذلك القول؛ باستحالته؛ عليه سبحانه لوجوب وجوده، وكون كل حال في الأجسام ممكناً، بل حادثاً.

النوع الخامس: نفي كونه تعالى محلاً لشيء، ذهبت المعتزلة وأكثر أهل الملل والفلاسفة إلى نفي ذلك، والقول باستحالته على ذاته سبحانه.

النوع السادس: نفي اتحاده تعالى بغيره، ذهب أكثر العقلاء إلى استحالة ذلك.

النوع السابع: نفي الأعراض الجسمانية عنه، من التعب والاستراحة، والألم واللذة، وانغمّ والسرور، ونحو ذلك.

وذهبت المعتزلة وأكثر العقلاء من أهل الملة وغيرهم إلى نفي ذلك، والقول باستحالته عليه سبحانه.

النوع الثامن: في أنه سبحانه ليس بمتلّون. لم يصرح أحد من العقلاء قاطبة بأنه تعالى متلّون، وإنما ذهب قوم من أهل التشبيه والتجسيم إلى أنه نور، فإذا أبصرته العيون، وأدركته رآته شخصاً ثورانياً مضيئاً، لم يزيدوا على ذلك، ولم يصرحوا بإثبات اللون بهذه العبارة، وإن كان كل مضيء متلّوناً.

النوع التاسع: في أنه تعالى لا يشتهي ولا ينفر. ذهب شيوخنا المتكلمون إلى أنه سبحانه لا يصحّ عليه الشهوة والثفرة؛ لأنهما إنما يصحّان على من يقبل الزيادة والنقصان بطريق الاغتذاء والنمو، والباري سبحانه يتعالى عن ذلك، وما عرفت لأحد من الناس في ذلك خلافاً، اللهم إلا أن يطلق هاتان اللفظتان على مسمى الإرادة والكراهية مجازاً.

النوع العاشر: في أن الباري تعالى غير متناهي الذات. قالت المعتزلة: لما كان الباري ليس بجسم ولا جسماني، وكانت النهاية من لواحق الأشياء ذوات المقادير، يقال: هذا

الجسم متناهٍ، أي ذو طَرَفٍ.

قلنا: إن الباري تعالى غير متناهٍ، لا على معنى أن امتداد ذاته غير متناهٍ، فإنه سبحانه ليس بذي امتدادٍ، بل بمعنى أن الموضوع الذي يصدق عليه النهاية ليس بمتحقق في حقه سبحانه، فقلنا: إن ذاته غير متناهية، كما يقول المهندس: إن النقطة غير متناهية، لا على معنى أن لها امتداداً غير متناهٍ، فإنها ليست بامتددة أصلاً، بل هي على معنى أن الأمر الذي تصدق عليه النهاية - وهو الامتداد - لا يصدق عليها، فإذا صدق عليها أنها غير متناهية. النوع الإحدى عشرة: في أنه تعالى لا تصح رؤيته. قالت المعتزلة: رؤية الباري تعالى مستحيلة في الدنيا والآخرة، وإنما يصح أن يرى المقابل ذو الجهة^(١).

فهذه الأنواع الأحد عشر هي الأقوال والمذاهب التي يشتمل قوله ﷺ بنفي التشبيه عليها، وسيأتي من كلامه ﷺ في نفي التشبيه ما هو أشدّ تصريحاً من الألفاظ التي نحن في شرحها^(٢).

أقول: وابن أبي الحديد قد ذكر الأقوال المخالفة للقول الصحيح، وأنا اسقطتها واقتصرت على حكاية القول الصحيح.

الفصل الخامس:

في بيان أن الجاحد له مكابر بلسانه ومثبت له بقلبه.

وهو معنى قوله ﷺ: «فهو الذي تشهد له أعلام الوجود، على إقرار قلب ذي

الوجود»

لاشبهة في أن العلم بافتقار المتغيّر إلى المغيّر ضروريّ، والعلم بأن المتغير ليس هو المغيّر، إمّا أن يكون ضرورياً أو قريباً من الضروريّ، فإذا قد شهدت أعلام الوجود على أن الجاحد لإثبات الصانع، إنما هو جاحد بلسانه لا بقلبه، لأنّ العقلاء لا يجحدون الأوليات بقلوبهم، وإن كابروا بألسنتهم، ولم يذهب أحدٌ من العقلاء إلى نفي الصانع سبحانه. وأمّا القائلون بأنّ العالم وجد عن طبيعة، وأنّ الطبيعة هي المدبرة له، والقائلون بتصادم

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٢٣ - ٢٣٦. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٣٨.

الأجزاء في الخلأ الذي لانهاية له، حتى حصّل منها هذا العالم. والقائلون بأن أصل العالم وأساس بنيته هو التّور والظلمة، والقائلون بأنّ مبادئ العالم هي الأعداد المجرّدة، والقائلون بالهَيُولَى القديمة التي منها حدّث العالم، والقائلون بعشق النفس للهَيُولَى، حتى تكونت منها هذه الأجسام، فكلّ هؤلاء أثبتوا الصانع، وإنما اختلفوا في ماهيته وكيفية فعله.

وقال قاضي القضاة: إن أحداً من العقلاء لم يذهب إلى نفي الصانع للعالم بالكلية، ولكن قوماً من الوراقين اجتمعوا ووضعوا مقالة، لم يذهب أحد إليها، وهي أنّ العالم قديم لم يزل على هيئته هذه، ولا إله للعالم ولا صانع أصلاً، وإنما هو هكذا ما زال، ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر.

قال: وأخذ ابن الراونديّ هذه المقالة فنصرّها في كتابه المعروف بكتاب «المنهاج»^(١) قال: فأما الفلاسفة القدماء والمتأخرون، فلم ينفوا الصانع، وإنما نفوا كونه فاعلاً بالاختيار، وتلك مسألة أخرى. قال: والقول بنفي الصانع قريب من السفسطة، بل هو هو بعينه؛ لأنّ من شكّ في المحسوس أعذر ممّن قال: إن المتحركات تتحرك من غير محرك.

وقول قاضي القضاة هذا، هو محض كلام أمير المؤمنين عليه السلام وعينه، وليس قول الجاحظ هو هذا؛ لأنّ الجاحظ يذهب إلى أنّ جميع المعارف والعلوم الإلهية ضرورية، ونحن ما ادّعينا في هذا المقام إلا أنّ العلم بإثبات الصانع فقط هو الضروري، فأين أحد القولين من الآخر، انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد^(٢).

واقول: إن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ينطبق على كلام الجاحظ وأهل المعارف انطباقاً صحيحاً، لأنّه قال: إنّ اعلام الوجود، أي ما في العالم من الحكمة والترتيب والتفاضل والارتفاع والانخفاض والإشراق والاضلام وسائر انحاء الاختلاف، وارتباط بعضه بالاسباب وتخلّفه عنها في بعض الازمان ونحو ذلك من تفاصيل احوال الحادثات اذا نظر الناظر فيها وصرف فكره إلى معرفتها قضى عقله بوجود صانع متجبر في الابداد، قادر

عالم حيّ ضرورة، وهذا هو عين مذهب الجاحظ واصحابه.

قال السيد احمد بن محمد السرفي رحمته الله: ومن ذهب من العلماء الى ان المعارف الدينية ضرورية - كالجاحظ وشيخه النظام وأبي علي الإسواري - فانما يريدون: ان التفكير في المصنوع يؤدي الى العلم الضروري بالصانع، وهذا لا مانع منه، ومنعه بعض المتكلمين، وهو غلط.

والدليل على انهم ارادوا ذلك ما ذكره الجاحظ في كتاب «العبر والاعتبار» وشحنه فيه من قوله: فكّر في كذا... فكّر في كذا. وهذه المعرفة تحصل بادنّي تفكّر ونظر، انتهى.

اقول: وهذه الدلالة هي التي نبتّه عليها القرآن الكريم في مواضع منه كثيرة كذكره أطوار خلق الانسان. واختلاف صورهم ^(١) والألوان والألسنة ^(٢)، وكذكره تنزيل الغيث وما يخرج به من الألوان واختلاف الألوان في الجمادات والحيوانات، كما تضمنته آية فاطر ^(٣).

وكل ما ورد على هذا النمط من آي القرآن وتبّه عليها أمير المؤمنين عليه السلام في مواضع من كلامه، وسننّبّه عليها ان شاء الله في محالها.

فعلى هذا انما يكون النظر في اعلام الوجود، لتنبيه العقل من رقدة الغفلة التي طرئت عليه من الوسوس والتخيلات بالأوهام الفاسدة.

وكثير من العلم الضروري يترتب على سببه كالعلم بمخبر الاخبار المتواترة وما يترتب على الخبرة.

ومما يؤيد ذلك ويحققه: ان الذين اثبتوا مؤثراً غير مختار ^(٤) - كما ذكره قاضي القضاة عنهم - فساد قولهم ضروري؛ وذلك انهم اثبتوا مؤثراً لا أول لوجوده، وقضوا بتأخر أثره

(١) في قوله تعالى: ﴿وَصُورُكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ غافر: ٦٤/٤٠ والتغابن: ٣/٦٤.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ السِّنِّكُمْ وَالْوَانُكُم﴾ الروم ٢٢/٣٠.

(٣) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾.

(٤) في هـ. ص: في نسخة: غير متحيّز. فاطر ٢٧ / ٢٨.

عنه، فلو كان فعله إيجاباً لما تأخر عن وجوده، فيلزمهم قدم العالم - وهم قد قضوا بحدوثه كما حكاه عنهم - فقد ابطالوا قولهم بتأثير الإيجاب ولزمهم القول بالاختيار فصار القول بالصانع المختار مجمعاً عليه بين العقلاء بالتصريح واللزوم.

اقول: وفي هذا القدر الذي تقرر - اعني: كون اثبات الصانع ضرورياً عند أمير المؤمنين عليه السلام والمحققين وهو الذي تقضي به الأدلة السمعية والاثار - فائدة جلية وهي: انه اذا ثبت ذلك، وكان القرآن معلوم الاعجاز بكف العرب أهل الحرص والرغبة في إيطاله، وأهل الفصاحة الطبيعية عن معارضته مع التحدي لهم^(١) وتعليق ابطال دعوى النبوة بمعارضته، حصل القطع بأنه من صنع صانع العالم المختص به.

وصح الاستدلال به على سائر مسائل علم الكلام، كما هو ظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام في مواضع مما يأتي، وطريق الائمة عليهم السلام من ولده.

وقال في شرح ابن ميثم: وفي هذا الفصل مباحث جلية من العلم الإلهي وجملة من صفات الربوبية:

أولها: كونه تعالى بطنَ خفَيّات الأمور، ويفهم منه معنيان:

أحدهما: كونه داخلاً في جملة الأمور الخفية، ولما كانت بواطن الأمور الخفية أخفى من ظواهرها، كان المفهوم من كونه بطنها أنه أخفى منها عند العقول.

الثاني: أن يكون المعنى: أنه نفذ علمه في بواطن خفَيّات الأمور.

أمّا المعنى الأول، فبرهانه: أنك علمت أن الإدراك إما حسي أو عقلي، ولما كان الباري سبحانه وتعالى منزهاً عن الجسميّة، منزهاً عن الوضع والجهة، استحال أن يدركه شيء من الحواس الظاهرة والباطنة، ولما كانت ذاته بريئة عن أنحاء التركيب استحال أن يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه، فخفاؤه إذن على جميع الادراكات ظاهر، وكونه أخفى الأمور الخفية واضح.

وأما الثاني: فقد سبق ممّا بيان أنه عالم الغيب والسرائر.

وثانيها: كونه تعالى قد دلّت عليه أعلام الظهور، وكُنّي بأعلام الظهور عن آياته وآثاره في العالم الدالة على وجوده الظاهر في كلّ صورة منها، كما قال:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

وهي كناية بالمستعار، ووجه المشابهة ما بينهما من الاشتراك في الهداية^(١).

ثم قال ميثم - بعد إيراد كلام ابن سينا -: بل هو أظهر وجوداً من كلّ شيء وإن خفي مع ظهوره فلشدة ظهوره، وظهوره سبب بطونه، ونوره هو حجاب نوره؛ إذ كل ذرّة من ذرّات مبدعاته ومكوّناته فلها السنة تشهد بوجوده وبال حاجة إلى تدبيره وقدرته، لا يخالف شيء من الموجودات شيئاً في تلك الشهادات ولا يتحصّن بعضها بعدم الحاجات.

وقد ضرب العلماء الشمس مثلاً لنوره في شدة ظهوره، فقالوا: إنّ أظهر الإدراكات التي ساعد عليها الوهم إدراك^(٢) الحواسّ، وأظهرها إدراك البصر، وأظهر مُدرك للبصر نور الشمس المشرق على الأجسام، وقد أشكل ذلك على جماعة حتّى قالوا: الأشياء الملوّنة ليس فيها إلّا ألوانها فقط من سواد ونحوه، فأما أنّ فيها مع ذلك ضوء يقارن اللون فلا. فإذا أريد تنبيه هؤلاء على سهوهم. فطريقة التنبيه بالترفة التي يجدونها بين غيبة الشمس بالليل واحتجابها عن الملوّنات، وبين حضورها بالنهار وإشراقها عليها مع بقاء الألوان في الحاليين. فإنّ التفرقة بين المستضيء بها وبين المظلم المحجوب عنها جليّة ظاهرة، فيعرف وجود النور إذن بعدمه. ولو فرضت الشمس دائمة الإشراق على الجسم الملوّن لا تغيب عنه، لتعذّر على هؤلاء معرفة كون النور شيئاً موجوداً زائداً على الألوان، مع أنّه أظهر الأشياء وبه ظهورها، ولو تصوّر الله تعالى وتقدّس عدم أو غيبة^(٣) لانهدمت السماوات والأرض، وكلّ ما انقطع نوره عنه، ولأدركت التفرقة بين الحاليين وعلم وجوده قطعاً، ولكن لما كانت الأشياء كلّها في الشهادة به متّفقة، والأحوال كلّها على نسق واحد مطّردة متّسقة، كان ذلك سبباً لخفائه. فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره، وخفى عنهم بشدة

(١) شرح ميثم بن علي ج ٢ ص ١٢٧. (٢) في ط: إدراكات.

(٣) ليس في ص: أو غيبة.

ظهوره.

ثالثها: إشارة إلى سلوب توجب ملاحظة تركيبها تعظيمه تعالى^(١).

أحدها: كونه ممتنعاً على عين البصير: أي لا يصح أن يدرك بحاسة البصر، وصدق هذا السلب ظاهر بدليل، هكذا: الباري تعالى هو غير جسم وغير ذي وضع، وكل ما كان كذلك فيمتنع رؤيته بحاسة البصر، فينتج أنه تعالى ممتنع الرؤية بحاسة البصر. والمقدمة الأولى استدلالية، والثانية ضرورية، وربما استدلل عليها. والمسألة مستقصاة في الكلام، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم: ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾^(٢).

وثانيها، قوله ﷺ: «فلا عين من لم يره تنكره»، أي إنه سبحانه مع كون البصر لا يدركه بحاسة بصره، لا ينكره من جهة أنه لا يبصره؛ إذ كانت فطرته شاهدة بظهور وجوده في جميع آثاره ومع ذلك ليس له سبيل إلى انكاره من جهة عدم ابصاره؛ إذ كان حظ العين أن يدرك بها ما صح ادراكه، فأما أن ينفي بها ما لا يدرك من جهتها، فلا.

وثالثها، قوله ﷺ: «ولا قلب من أثبتة يبصره»، أي من أثبتته مع كونه مثبتاً له بقلب لا يبصره، وإنما أكد ﷺ بهذين السلبين الأخيرين؛ لأنهما يشتملان عند الوهم في مبدأ سماعها على منافاة وكذب إلى أن يقهره العقل على التصديق بهما، فكأن الوهم يقول في جواب قول: «فلا عين من لم يره تنكره»، كيف لا تنكر العين شيئاً لاتراه؟ وفي جواب السلب الثاني: كيف يثبت بالقلب ما لم يبصره؟ فلمّا كان في صدق هذين السلبين إزعاج لأوهام السامعين مفرغ لهم إلى ملاحظة جلال الله وتنزيهه وعظمته عمّا لا يجوز عليه، كان ذكرهما من أحسن الذكر، ويحتمل أن يريد بقوله ﷺ: «ولا قلب من أثبتة يبصره»: أي إنه وإن أثبتته من جهة وجوده فيستحيل أن يحيط به علماً.

ورابعها: كونه تعالى قد سبق في العلوّ فلا شيء أعلى منه.

(١) هذا المبحث بتمامه لم يرد في ص، واثبتناه من المصدر.

(٢) سورة الانعام: ٦ / ١٠٣.

وتقريره: أنّ العلوّ يقال بالاشتراك على معان ثلاثة:

الأول: العلوّ الحسّي المكاني، كارتفاع بعض الأجسام على بعض.

الثاني: العلوّ التخيلي، كما يقال للملك الإنساني: إنه أعلى الناس، أي أعلاهم في الرتبة المتخيّلة كمالاً.

الثالث: العلوّ العقليّ، كما يقال في بعض الكمالات العقليّة ان بعضها أعلى من بعض، وكما يقال: السبب أعلى من المسبّب.

إذا عرفت ذلك، فنقول: يستحيل أن يكون علوّه تعالى بالمعنى الأوّل، لاستحالة كونه في المكان. ويستحيل أن يكون بالمعنى الثاني؛ لتنزّهه سبحانه عن الكمالات الخياليّة التي يصدق بها العلوّ الخيالي، إذ هي كمالات إضافيّة تتغيّر وتتبدّل بحسب الأشخاص والأوقات. وقد تكون كمالات عند بعض الناس وتقصانات عند آخرين، كدول الدنيا بالنسبة إلى العالم الزاهد، ويتطرّق إليه الزيادة والنقصان، ولا شيء من كمالات الأوّل الواجب سبحانه كذلك؛ لتنزّهه عن النقصان والتغيّر بوجه ما. فبقي أن يكون علوّه علوّاً عقلياً مطلقاً، بمعنى أنّه لارتبة فوق رتبته، بل جميع المراتب العقليّة منحطة عنه. وبيان ذلك: ان أعلى مراتب الكمال العقليّ هو مرتبة العليّة، ولما كانت ذاته المقدّسة هي مبدأ كلّ موجود حسّي وعقلي، وعلته التامة المطلقة التي لا يتصور النقصان فيها بوجه ما، لاجرم كانت مرتبته أعلى المراتب العقلية مطلقاً، وله الفوق المطلق في الوجود العاري عن الإضافة إلى شيء، وعن إمكان أن يكون فوقه ما هو أعلى منه. وذلك معنى قوله ﷺ: «سبق في العلوّ فلا شيء أعلى منه» فسبقه في علوّه: تفرّده في العلوّ المطلق، وفواته لغيره أن يلحقه فيه.

وخامسها: قربه في الدنوّ فلا شيء أدنى منه.

وقد أورد ﷺ القرب - ها هنا - مقابلاً للبعد اللازم عن السبق في العلوّ، فإنّه مستلزم

للبعد عن الغير فيه، وأورد الدنو مقابلاً للعلوّ، وكما علمت أنّ العلوّ يقال على المعاني الثلاثة المذكورة بحسب الاشتراك، فكذلك الدنوّ، يقال على معان ثلاثة مقابلة لها.

الأمواج من كلّ جانب فانكسرت سفينتنا فتعلّقت بخشبة منها، ولم تزل الأمواج تقلّبها حتّى قذفت بها إلى الساحل وسلمت عليها. فقال له: أرايت الذي كان قلبك إذ انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم أمواج البحر فزعاً إليه مخلصاً في التضرّع له طالباً للنجاة منه، فهو إلهك، فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده.

وبالجملة، فاتفاق العقول على الشهادة بوجود الصانع سبحانه أمر ظاهر، وإن خالطها غواشي الأوهام، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿وَحَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرْتُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٢) انتهى^(٣). ولا يخفى ما في كلامه من توضيح، لكون المشبهين منافقين.

(٢) سورة يونس: ٢٢.

(١) سورة الاسراء: ١٧/٦٩.

(٣) شرح ميثم بن علي: ١٣٢ - ١٣٣.

ومن خطبة له ﷺ:

إِنَّمَا بَدْءُ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا^(١) عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ^(٢)، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفَ عَلَى الْمُتَادِينَ^(٣)، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لِبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ^(٤)، وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيُمَزَّجَانِ! فَهَذَا لِكَ يَسْتَوِلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُوا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى.

قال ابن أبي الحديد في الشرح - بعد كلام وتفسير لقوله ﷺ: «إِنَّمَا بَدْءُ وَقُوعِ الْفِتَنِ ... إِلَى آخِرِهِ»: «وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالَهُ ﷺ حَقٌّ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ، وَإِنْ لَمْ تَفْسِرْهُ عَلَى مَا قَدَمْنَاهُ مِنَ التَّفْسِيرِ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ ضَلُّوا مِنْ مَقَلَّةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَرْبَابِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ، مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَغَيْرِهِمْ، إِنَّمَا ضَلُّ أَكْثَرُهُمْ بِتَقْلِيدِ الْأَسْلَافِ، وَمَنْ يَحْسُنُ الظَّنَّ فِيهِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَأَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ، وَإِنَّمَا قَلْدَهُمُ الْآتِبَاعُ، لَمَا شَاهَدُوا مِنْ صَلَاحِ ظَوَاهِرِهِمْ، وَرَفَضَهُمُ الدُّنْيَا وَزَهَّدَهُمْ فِيهَا، وَإِقْبَالَهُمْ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَتَمَسُّكَهُمْ بِالذِّينِ، وَأَمْرَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَشِدَّتَهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَجِهَادَهُمْ فِي سَبِيلِهِ وَقَوَّتَهُمْ فِي مَذَاهِبِهِمْ، وَصَلَابَتَهُمْ فِي عَقَائِدِهِمْ، فَاعْتَقَدَ الْآتِبَاعُ وَالْخَلْفُ وَالْقُرُونُ الَّتِي جَاءَتْ

(١) فِي هَامِشٍ ب: وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا، أَيِ يَتَّبِعُ قَوْمٌ قَوْمًا عَلَى تَرْبِيَةِ الْبِدْعِ فِي الشَّرِيعَةِ عَلَى خِلَافِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيُؤَلِّي بَعْضُ الرِّجَالِ بَعْضًا عَلَى اثْبَاتِ تِلْكَ الْفِتَنِ.

(٢) فِي ه. أ: يَقُولُ ﷺ: الْمَذَاهِبُ الْبَاطِلَةُ وَالْأَرَاءُ الْفَاسِدَةُ الَّتِي يَفْتَتِنُ النَّاسَ بِهَا أَصْلُهُ اتِّبَاعُ الْإِهْوَاءِ وَابْتِدَاعُ الْأَحْكَامِ الَّتِي لَمْ تَعْرِفْ، وَمُسْتَنْدَ وَقُوعِ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ امْتِزَاجُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ.

(٣) فِي ه. أ: الْمُرْتَادُ: الطَّالِبُ وَفِي هَامِشٍ ب: مِنَ الْإِرْتِيَادِ وَهُوَ الطَّلَبُ، أَيِ طَالِبُ.

(٤) فِي ه. أ: أَيِ قَبْضَةٍ مِنَ الْحَشِيشِ.

بعدهم: أن هؤلاء يجب متابعتهم، وتحريم مخالفتهم، وأن الحق معهم، وأن مخالفهم مبتدع ضالّ، فقلدوهم في جميع ما نقل إليهم عنهم، ووقع الضلال والغلط بذلك؛ لأنّ الباطل استتر وانغمر بما مازجه من الحقّ الغالب الظاهر المشاهد عياناً، والحكم للظاهر: ولولاه لما تروّج الباطل، ولا كان له قبول أصلاً.^(١)

ومن كلام له ﷺ لما غلب أصحاب معاوية أصحابه ﷺ على شريعة القرات^(١) بصفين ومنعواهم من^(٢) الماء:

قَدْ اسْتَطَعْمُوكُمْ^(٣) الْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ^(٤) أَوْرَوْوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَزَوُّوا مِنَ الْمَاءِ، فَأَلَمَّوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ.
أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُئْمَةٍ^(٥) مِنَ الْغَوَاةِ، وَغَمَسَ^(٦) عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيِّ.

(١) في هامش الاصل: هي الموضع الذي يغترف منه. وفي هامش ب: مورد الشارعة، ومشريعة الماء.

(٢) في هـ. ص: قوله: «استطعموكم» كلمة مجازية، معناها: طلبوا القتال، وأصلها طلب الطعام، ثم استعملت في مطلق الطلب، وفي الحديث: إذا استطعمكم الامام فاطعموه، ثم توسع فيها حتى استعملت في الطلب الحكمي.

وفي هـ. أ: استطعموكم القتال كلمة مجازية، وفي الحديث: إذا استطعمكم الامام فاطعموه، يعني امام الصلاة إذا ارتج عليه واستعلم، فافتحوا عليه، ويقال: فلان يستطعمني الحديث، أي يطلب أن أحدثه.

وفي هامش ب، بعد عبارات لا تقرأ: معاوية طلبوا ان تطعموهم القتال، وجعلوا المقاتلة طعمة لهم. وقيل: معناه: استفتح اهل الشام مقاتلتكم: اي ابتدأوا بقتالكم فقاتلوهم.

(٤) في هـ. أ: المحلة المرتبة والمنزلة.

(٥) في هـ. ص: بالتخفيف: اي جماعة. وفي هـ. أ: اللمة بالتخفيف: جماعة قليلة، وفي هامش ب: جماعة ما بين الثلاثة الى العشرة...

(٦) في د: غمس. وفي هـ. ص: بالتخفيف والتشديد، اي لبسه عليهم حتى أشكل واظلم. ليل غماس، اي مظلم، وفي هـ. أ: وغمس بالتشديد، معناه: ابهم عليهم الخبر، جعله مظلماً، وليل غماس اي مظلم، وفي هامش ب: ليس عليهم وجعله مظلماً يقال: أمر غموس اي مظلم، ويقال: جاء بأمر مغمس، اي مظلمة، ولولا تلبيس معاوية على أصحابه لما قتلوا أنفسهم دونه.

ومن خطبة له عليه السلام [وقد تقدم مختارها برواية ^(١)، ونذكر ما هنا برواية أخرى؛
لتغاير الروايتين] ^(٢)؛

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ ^(٣)، وَأَذَنْتْ ^(٤) بِانْقِضَاءِ، وَتَنَكَّرَ ^(٥) مَعْرِفُهَا، وَأَذْبَرَتْ حَدَاءَ ^(٦)،
فَهِيَ تَحْفِزُ ^(٧) بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا ^(٨)، وَقَدْ أَمَرَ ^(٩) مِنْهَا ^(١٠) مَا كَانَ حُلُوءًا،
وَكَدَرَ ^(١١) مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ ^(١٢) كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ ^(١٣) كَجُرْعَةِ
الْمَقْلَةِ ^(١٤)، لَوْ تَمَرَّرَهَا ^(١٥) الصَّدَيَانِ ^(١٦) لَمْ يَنْقَعْ ^(١٧).

(١) تقدم مختارها برواية في الخطبة رقم [٢٨].

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في أ (٣) في هـ. ص وب: أي انقطعت.

(٤) في هـ. ص وأ: أي أعلمت، وفي ب: آذنت الدنيا بانقضاء: أي أعلمت بأنها تنفي.

(٥) في هـ. ص: صار منكوراً لا يعرف. وفي هامش ب: تغير.

(٦) في هامش ب: في نسخة: جذاء، وحذاء: سريعة، وفي هـ. ص: سريعة أو مقطوعة، ويروى

بالجيم. وفي هامش د: الحذاء بالحاء والجيم - ر.

(٧) في هـ. ص: أي تسوقهم إلى الآخرة بعجلة، وفي ب: تحفز، أي: تدفع وتسوق.

(٨) في هامش ب: أي أهلها.

(٩) في هـ. أ: أمر، من المرارة، أي صار مرّاً، وأمر لازم ومتعدي.

(١٠) في ط: فيها. وفي هـ: قد أمر فيها ما كان - ح.

(١١) في هـ. أ: أي صار كدراً.

(١٢) في هـ. ص: بقية الماء، وفي هـ. أ: الماء القليل يبقى في أسفل الإناء، وفي هامش ب: ماء

قليل. (١٣) في أ و ط: وجرعة.

(١٤) في هـ. ص: المقلة - بفتح الميم وتسكين القاف -: حصاة توضع في قاع الإناء يقدر بها

نصيب كل شارب من الماء، وفي هـ. أ: المقلة: حصاة القسمة التي يتعرف بها قدر ما يسقي كل

واحد منهم، وذلك عند قلة الماء في السفر، وهي الحصاة التي تلقى في الكوز ثم تملأ

ويغمرها الماء، وفي هامش ب: صخرة يقسم عليها الماء. ويقال: حجارة تطرح في الماء.

(١٥) في هـ. ص: أي ترشّفها قليلاً قليلاً وفي هامش ب: التمزز والمص: شرب الماء قليلاً قليلاً.

(١٦) في هـ. ص وب: العطشان. (١٧) في هـ. ص وب: أي لم يرو.

فَأَزِمُّوهُ^(١) عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ، وَلَا تَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا
الْأَمَلُ، وَلَا يَطْوِلَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ^(٢)، فَوَاللَّهِ لَوْ خَشَنْتُمْ حَيْنَ الْوُلَّةِ^(٣) الْعِجَالَ^(٤)، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيدِ
الْحَمَامِ^(٥)، وَجَارْتُمْ جُؤَارَ^(٦) مُتَبَتِّلِي^(٧) الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ،
الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ،
لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَزْجُولَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.
وَتَاللَّهِ لَوْ^(٨) انْمَأَتْ^(٩) قُلُوبُكُمْ انْمِيَاثًا، وَسَأَلْتُمْ غُيُونَكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ وَرَهْبَةٍ^(١٠) مِنْهُ
دَمًا، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ^(١١) فِي الدُّنْيَا، مَا الدُّنْيَا بِأَقِيَّةً، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ^(١٢) - وَلَوْلَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ
جُهْدِكُمْ - أَنْعَمَهُ^(١٣) عَلَيْكُمْ الْعِظَامَ، وَهَذَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ.
ومنها^(١٤) في ذكر يوم النحر، وصفة الأضحية^(١٥):

(١) في هـ. ص: اي اعزموا.

(٢) في ط: عليكم فيها الأمد، وفي هـ د: عليكم فيها الأمد - ض وح.

(٣) في هـ. ص: الولة: جمع وال، وهي الفاقدة ولدها. وفي هامش ب: جمع وال، والهة، وهو الذي ذهب عقله ولها لفقد محبوب.

(٤) في هـ. ص: العجال، جمع عجول: المبادرة، وفي هامش ب: العجال: جمع عجول، وهي الناقة التي فقدت ولدها.

(٥) في هـ. ص: هديل الحمام: هو صوته المرتفع، وفي هـ. أ: الهديل: صوت الحمام.

(٦) في هـ. ص: الجوار: هو صوت مرتفع، وفي هـ. أ: الجوار: التضرع إلى الله، وفي هامش ب: لصرختهم، والجوار: التضرع إلى الله.

(٧) في د: متبتل، وفي هـ. ص: اي منقطعهم في البيع، وفي هـ. أ: التبتل: هو الاتقطاع عن الدنيا للعبادة. وفي هامش ب: المتبتل: المنقطع من الدنيا إلى الله تعالى.

(٨) في د: والله.

(٩) في هـ. ص: يقال: انماث الملح في الماء: ذاب، وفي هـ. أ: ذابت،

(١٠) في ط أورهة، وفي هـ د: أورهة - ض ح.

(١١) في هامش ب: عمرتم، اي لوبقيتم ما بقيت الدنيا.

(١٢) في د زيادة: اعمالكم. (١٣) في هامش ب: مفعول «ماجزت».

(١٤) كذا في جميع النسخ، إلا أن كلمة «منها» لم ترد في نسخة المعجم، ولم يشر إليها في الهامش.

(١٥) في هـ. أ: اي ما يذبح يوم النحر وأيام التشريق من النعم.

وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ: اسْتَشْرَافٌ ^(١) أَذْنِهَا، وَسَلَامَةٌ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءُ الْقَرْنِ ^(٢) تَجَرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسْكِ.
قال الرضي رحمه الله: وَالْمَنَسْكُ - هَاهُنَا -: الْمَذْبَحُ ^(٣).

قال في شرح ابن أبي الحديد: وفي هذا الكلام تلويح وإشارة إلى مذهب البغداديين من أصحابنا في أَنَّ الثواب على فعل الطاعة غير واجب؛ لَأَنَّهُ شُكِرَ النعمة، فلا يقتضي وجوبَ ثواب آخر، وهو قوله رحمه الله: «لو انمائت قلوبكم انميائا... إلى آخر الفصل».

وأصحابنا البصريون لا يذهبون إلى ذلك، بل يقولون: إِنَّ الثواب واجب على الحكيم سبحانه، لَأَنَّهُ قَدْ كَلَّفَنَا مَا يَشُقُّ عَلَيْنَا، وَتَكْلِيفُ الْمَشَاقِّ كَأَنْزَالِ الْمَشَاقِّ، فَكَمَا اقْتَضَتْ الْأَلَامُ وَالْمَشَاقُّ النَّازِلَةَ بِنَا مِنْ جِهَتِهِ سُبْحَانَهُ أَعْوَاضاً نَسْتَحَقُّهَا عَلَيْهِ تَعَالَى عَنْ إِنْزَالِهَا بِنَا، كَذَلِكَ تَقْتَضِي التَّكْلِيفَاتُ الشَّاقَّةُ ثَوَاباً مُسْتَحَقّاً عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ إِزَامِهِ إِيَّانَا بِهَا، قَالُوا: فَأَمَّا مَا سَلَفَ مِنْ نَعْمِهِ عَلَيْنَا فَهُوَ تَفَضُّلٌ مِنْهُ تَعَالَى، وَلَا يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَتَفَضَّلَ الْحَكِيمُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ، ثُمَّ يُلْزِمُهُ أَفْعَالاً شَاقَّةً وَيَجْعَلُهَا بِإِزَاءِ ذَلِكَ التَّفَضُّلِ، إِلَّا إِذَا كَانَ فِي تِلْكَ الْأُمُورِ مَنَافِعٌ عَائِدَةٌ عَلَى ذَلِكَ الْحَكِيمِ، فَكَانَ مَا سَلَفَ مِنَ الْمَنَافِعِ جَارِيًّا مَجْرَى الْأَجْرَةِ، كَمَنْ يَدْفَعُ دَرَاهِمًا إِلَى إِنْسَانٍ لِيَخِيطَ لَهُ ثَوْبًا، وَالْبَارِي تَعَالَى مَنْزُهُ عَنْ الْمَنَافِعِ، وَنَعْمِهِ عَلَيْنَا مَنْزُهُ عَنْ أَنْ تَجْرِيَ مَجْرَى الْأَجْرَةِ عَلَى تَكْلِيفِنَا الْمَشَاقِّ.

وأيضا: فقد يتساوى اثنان من الناس في النعم المنعم بها عليهما، ويختلفان في

(١) في هـ. أ: استشرافها: انتصابها وارتفاعها، وفي هامش ب: اذن شرفاء: أي طويلة عالية، يقال: استشرفت الشيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه وبسطت كفك فوق حاجبك، كالذي يستظل من الشمس.

(٢) في هـ. أ: العضباء: مكسورة القرن. وجر الرجل إلى المنسك، كناية عن العرج.

(٣) من ط: وفي د: المنحر.

التكاليف، فلو كان التكليف لأجل ما مضى من النعم، لوجب أن يقدر بحسبها، فإن قيل: فعلى ماذا يُحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه إشارة إلى مذهب البغداديين؟

قيل: أنه عليه السلام لم يصرح بمذهب البغداديين، ولكنه قال: لو عبدتموه بأقصى ما ينتهي الجهد إليه ما وقّيتم بشكر أنعمه، وهذا حقٌّ غيرٌ مختلف فيه، لأنَّ نعم الباري تعالى لا تقوم العباد بشكرها، وإن بالغوا في عبادته والخضوع له والإخلاص في طاعته، ولا يقتضي صدق هذه القضية وصحتها مذهب البغداديين في أنَّ الثواب على الله تعالى غير واجب، لأنَّ التكليف إنما كان باعتبار أنه شكر النعمة السالفة^(١)، انتهى.

واقول: لا يخفى على ذي فهم عارف بأساليب تركيب الخطاب منصف، أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس بتلويح إلى مذهب البغداديين، بل هو تصريح به، وقد صرح به أمير المؤمنين عليه السلام في غير هذا الموضع، وعليه دلَّت الأدلة الشرعية، قال تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾^(٢). وقال بعد الأمر بالطاعة: ﴿لعلكم تشكرون﴾^(٣) وبعد الأمر بالتقوى: ﴿لعلكم تشكرون﴾^(٤).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٣٥. (٢) سورة سبأ: ١٣/٣٤.

(٣) البقرة: ١٨٥/٢.

(٤) آل عمران: ١٢٣/٣، وفي هـ. ص - هنا - ما يلي: والذي يظهر لي مثل هذا التركيب وإيقاع كلمة الترجي موضع التعليل ونحو ﴿لعلكم ترحمون﴾ النور: ٥٦/٢٤ ﴿لعلكم تفلحون﴾ المائدة: ٣٥/٥ ﴿لعلكم تسلمون﴾ النحل: ٨١/١٦، أن القصد به إلى تعليل إلزام الحكم السابق وبيان حكمته.

فالعلة هو خبر لعل، ولكنه لما كان الحكمة من التكليف بالامر والنهي هو تمييز المطيع من العاصي، وكان معلوماً للمكلف سبحانه أن من المكلفين من يطيع ومنهم من يعصي، نزل المكلف منزلة من يرجئ من المكلف الفعل والترك، وحصول الفائدة التي هي التقوى والهدى والشكر والفلاح والرحمة، فاستعار للتعبير عن الحصول وعدمه لفظ الترجي، بجامع الترديد بين شيئين، للإشارة إلى ما ذكر من الأسرار. وفيه دلالة واضحة على أن الطاعة شكر، وإلزام الشكر ابتلاء؛ لتحصيل التمييز المراد ظهوره، كما أنها هدى وتقوى، والله أعلم بأسرار كتابه.

وقابل الكفر بالشكر^(١)، وأمر بالشكر في آيات^(٢). والشكر في اللغة: قول وفعل واعتقاد في مقابلة النعمة، ولا مخصص لبعض الثلاثة للحمل عليه دون البعض. وقال ﷺ: لما تحمّل المشقة في العبادة، فقليل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر^(٣) أي: فلست بمحتاج إلى عبادة تكفر خطيئتك - «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»^(٤). وغير ذلك مما يكثر لو استقصي، وهو مذهب المتقدمين من الائمة ومن التزم بمذهبهم من المتأخرين.

ودليل ان الشكر يكون في مقابلة التفضل، قول الله تعالى: ﴿ان الله ل ذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون﴾^(٥) ونحوها. ووجه الحكمة في ايجاب الشكر على ما هو تفضل المتفضل على العباد بالتعريض

(١) في هـ. ص - ما يلي: ومن مقابلة الشكر بالكفر بعد ذكر الطاعة قوله تعالى: ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾. [ال عمران: ٣ / ١٤٤]. والاتقلاب على العقب: يراد به هنا - ترك الطاعة.

وقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر أي: لم يطع - فان الله غني عن العالمين﴾.

وقوله تعالى: ﴿ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرض لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم﴾ [الزمر: ٣٩ / ٧].

وقوله تعالى: ﴿ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور، ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا﴾ أي على نزع الرحمة ﴿وعملوا الصالحات﴾ [في مقابلة اذقة النعماء] ﴿اولئك لهم مغفرة واجر كبير﴾. [هود: ٩ / ١١].

(٢) منها: قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر الله﴾ [لقمان: ٣١ / ١٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ان اشكر لي ولوالديك الي المصير﴾ [لقمان: ٣١ / ١٤].

ومنها: قوله تعالى: ﴿فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة: ٢ / ١٥٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله﴾ [البقرة: ١٧٢ / ٢]. وايضاً في سورة العنكبوت: ٢٩ / ١٧ وسورة سبأ: ٣٤ / ١٥ وسورة النحل:

١١٤ / ١٦. (٣) سورة الفتح: ٤٨ / ٢.

(٤) تفسير نور الثقلين ٥: ٥٥. (٥) سورة يونس: ١٠ / ٦٠.

للتبجيل والتعظيم والتكرمة ليتميز - بإيجاب الشكر - المستأهل للتعظيم والتكريم من غيره؛ اذ لا يحسن وضعهما إلا في اهلهما، وهذا هو معنى الابتلاء بمعنى الاختبار - كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رِبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (١).

والحق أن يقال: في بيان تحقيق مذهب البغداديين: إن الباري سبحانه لما تفضل على العباد بالإيجاد وبالتأهيل للفهم بالعقل وبالحواس وبالمرافق، وأراد سبحانه تعريضهم لتفضل أعظم، وهو التكريم، ولا يكون الا لمستأهل له، ألزمهم في مقابلة التفضل الأول أفعالاً وأقوالاً واعتقاداً يتميز بسببها المستأهل للتفضل العظيم وهو التكرمة والتبجيل، من غير المستأهل، فمن حيث كانت هذه الأفعال والأقوال والاعتقاد في مقابلة النعم الأولى سميت شكراً. وإن لم تساوي الشكر في نفع المنعم، بل هي في الحقيقة نفع للمنعم عليه كما قال تعالى ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ (٢).

ومن حيث أن بها يتميز المستأهل من غيره سميت ابتلاء، ومن حيث كانت في مقابلتها تفضل هي سبب في اختصاص فاعلها به سميت سعيًا واكتسابًا، ومن حيث أن العبد بها يذكر الله فيتصور عظمته في نفسه فيبعد بذلك عن معصيته ويكون أقرب إلى طاعته سميت لطفًا. (٣) فلم تخرج نعم الله الأولى والاخرية عن كونه تفضلاً.

وقد تبين بهذا أن الحكمة في إيجابها: الابتلاء، وكونها شكراً من المبتلى بها، وكونها لطفاً لما يتحصل بها من الفوائد حاصلان بالتبع.

(٢) سورة النمل: ٢٧/٤٠.

(١) سورة النمل: ٢٧ / ٤٠.

(٣) في هـ. ص - هنا - ما يلي: اعلم أن هذا الاعتقاد الذي حققه الوالد العلامة يحيى بن إبراهيم رحمته الله وجزاه عن الاسلام افضل الجزاء، قد جمع الله العاصي عند الله المتجري في المعتاد، فقال: نعم، لا بعد في أن يكون كونها شكراً أو محصلة للثواب، أو لدفع العقاب أو للثلاثة كلها وجهاً لفعالها مطلوباً لله، ويكون فعالها لذلك لطفاً لنا، كما هو ظاهر نصوص القرآن والسنة، بل هذا هو الذي يجب أن يعتقد، والا لبطلت فائدة التهيب والترغيب بالعقاب والثواب، بل كان لا يحسن من الله مع الوعد والوعيد، ولا يخرج بذلك عن أنها وجبت لكونها لطفاً كما ذكرنا، انتهى المقصود.

وأما قول البصريين الذي حكاه الشارح ولا يجوز في الحكم ان يتفضل الحكيم على غيره بأمر، ثم يلزمه افعالاً شاقة ويجعلها بازاء ذلك التفضل ... إلى آخر كلامهم. فهو يلزمهم في إيجاب الشكر بالقول؛ فإنهم يقولون: إن الشكر المأمور به هو البناء باللسان، فما أجابوا به فهو جواب البغدادية.

والحل لما ذكره: أن المحال هو عود نفع الشكر على المنعم أو خلوه من النفع، والحق ان نفعه عائد على المنعم عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾^(١)، وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢) وانما سمي شكراً لكونه في مقابلة الانعام، كما ان الشكر النافع للمنعم في مقابلة الانعام^(٣)، والله اعلم.

(١) سورة لقمان: ٣١ / ١٢.

(٢) سورة ابراهيم: ١٤ / ٧.

(٣) في هامش ص ما يلي: وقد ذكر بعض البصرية: انها تجري مجرى الشكر، كالقاضي عبد الجبار، ذكره عنه مانكديم في شرح الاصول، وذكره الزمخشري في مواضع كثيرة من الكشف، وذلك انها توضحت لهم براهين قول البغدادية وكرهوا مخالفة قواعد الاسلاف، فحاولوا التوسط والتأويل.

ومن كلام له عليه السلام في ذكر البيعة:

فَتَدَاكُّوا^(١) عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وَرْدِهَا^(٢)، وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا، وَخُلِعَتْ
مَتَانِيهَا^(٣)، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ. وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ^(٤) بَطْنُهُ
وظَهَرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي^(٥) النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٦)، فَكَأَنْتُ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ^(٧) الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا
أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ.

(١) في هـ. ص و أ: اي ازدحموا. وفي هامش ب: تراحموا، ووردوا علي يدق بعضهم بعضاً مثل
تدأك الإبل العطاش، يوههم ورودها ودخولها الماء مرسله مخلوعة حبالتها، والتدأك التفاعل:
من الدك، وهو الدق، وكان الكاف مبدل من القاف.

(٢) في ب: ورودها.

(٣) في هـ. ص: جمع مثناة، وهي - بفتح الميم ويكسرهما -: الحبل، وفي هـ. أ: أزمته، وفي
هامش ب: مثاني جمع مثني، وهي حبل المثني يجعل في طرف الزمام.

(٤) في هامش ب: قلبت: اي فكّرت فيه سرا وجهراً وليلاً ونهاراً حتى أرقّت بسبب ذلك وذهب
مني النوم. (٥) في هـ د: حتى فارقتني - ك.

(٦) في هـ. ص: قتال البغاة واجب بنص الكتاب، فتاركه جاحد أوفي حكم الجاحد؛ لأن من
لا يحذر ضرراً دلّ عليه خبر، لا بد وأن يكون مرتاباً في ذلك الخبر، وإلا لما فرط في مقتضاه
القطعي.

ودليله نفي الله - عمّن لا يعمل لوجه الله وثواب الآخرة - الايمان في كثير من القرآن
نحو [كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر] وغيرها ممّا يكثر على
الايراء.

وفي هـ. أ: هذا مثل ما سبق [في الخطبة ٤٣] من كلامه عليه السلام في هذا المعنى وهو يدل على ان
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره عن علم الغيب بما يلقي من اهل الشام وأمره بقتالهم.

(٧) كذا في ص، وفي غير ص: معالجة.

وأما قول البصريين الذي حكاه الشارح ولا يجوز في الحكم ان يتفضل الحكيم على غيره بأمر، ثم يلزمه افعالاً شاقة ويجعلها بازاء ذلك التفضل ... إلى اخر كلامهم. فهو يلزمهم في إيجاب الشكر بالقول؛ فإنهم يقولون: إنّ الشكر المأمور به هو البناء باللسان، فما أجابوا به فهو جواب البغدادية.

والحل لما ذكره: أنّ المحال هو عود نفع الشكر على المنعم أو خلوه من النفع، والحق ان نفعه عائد على المنعم عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾^(١)، وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢) وانما سمي شكراً لكونه في مقابلة الانعام، كما ان الشكر النافع للمنعم في مقابلة الانعام^(٣)، والله اعلم.

(١) سورة لقمان: ٣١ / ١٢.

(٢) سورة ابراهيم: ١٤ / ٧.

(٣) في هامش ص ما يلي: وقد ذكر بعض البصرية: انها تجري مجرى الشكر، كالقاضي عبد الجبار، ذكره عنه مانكديم في شرح الاصول، وذكره الزمخشري في مواضع كثيرة من الكشف، وذلك انها توضحت لهم براهين قول البغدادية وكرهوا مخالفة قواعد الاسلاف، فحاولوا التوسط والتأويل.

ومن كلام له ﷺ في ذكر البيعة:

فَتَدَاكُّوا^(١) عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا^(٢)، وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا، وَخُلِعَتْ
مَتَانِيهَا^(٣)، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ. وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ^(٤) بَطْنُهُ
وظَهَرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي^(٥) النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ
مُحَمَّدٌ ﷺ^(٦)، فَكَأَنْتُ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ^(٧) الْعِقَابِ، وَمَوَاتُ الدُّنْيَا
أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ.

(١) في هـ. ص وأ: اي ازدحموا. وفي هامش ب: تراحموا، ووردوا علي يدق بعضهم بعضاً مثل
تدَاكَ الْإِبِلِ الْعِطَاشُ، يَوْمَ وَرودها ودخولها الماء مرسله مخلوعة حبالها، والتدَاكَ التفاعل:
من الدك، وهو الدق، وكان الكاف مبدل من القاف.

(٢) في ب: ورودها.

(٣) في هـ. ص: جمع مثناة، وهي - بفتح الميم وبكسر ها - الحبل، وفي هـ. أ: أزمّتها، وفي
هامش ب: مثاني جمع مثني، وهي حبل المثني يجعل في طرف الزمام.

(٤) في هامش ب: قلبت: اي فكرت فيه سرا وجهراً وليلاً ونهاراً حتى أرتقت بسبب ذلك وذهب
مني النوم. (٥) في هـ د: حتى فارقتني - ك.

(٦) في هـ. ص: قتال البغاة واجب بنص الكتاب، فتاركه جاحد أوفي حكم الجاحد، لأن من
لا يحذر ضراً دلياً عليه خبر، لا بد وأن يكون مرتاباً في ذلك الخبر، وإلا لما فرط في مقتضاه
القطع.

ودليله نفي الله - عمن لا يعمل لوجه الله وثواب الآخرة - الايمان في كثير من القرآن
نحو [كاذبي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر] وغيرها مما يكثر على
الايراد.

وفي هـ. أ: هذا مثل ما سبق [في الخطبة ٤٣] من كلامه ﷺ في هذا المعنى وهو يدل على ان
النبي ﷺ أخبره عن علم الغيب بما يلقي من اهل الشام وأمره بقتالهم.

(٧) كذا في ص، وفي غير ص: معالجة.

ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين:
 أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلٌ^(١) ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ! فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي، دَخَلْتُ إِلَى^(٢) الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ
 الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: شَكَّا فِي أَهْلِ الشَّامِ^(٣)! فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ
 أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوا إِلَى ضَوْئِي^(٤)، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ^(٥) مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا
 عَلَى ضَلَالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ^(٦) بِآثَامِهَا.

قال في الشرح^(٧): من رواه «أَكُلٌ ذَلِكَ» بالنصب، فمفعول فعل مقدر، أي يفعل كل ذلك، وكراهية منصوب؛ لأنه مفعول له. ومن رواه: «أَكُلٌ ذَلِكَ» بالرفع، أجاز في «كراهية» الرفع والنصب، أما الرفع فإنه يجعل «كل» مبتدأ، وكراهية خبره، وأما النصب، فيجعلها مفعولاً له كما قلنا في الرواية الأولى، ويجعل خبر المبتدأ محذوفاً، تقديره: أكل ذلك مفعول! أو تفعله كراهية للموت!

(١) في أ: كل.

(٢) في هـ د: على.

(٣) في هامش ب: كان عليه السلام لا يأذن لأصحابه في قتال أهل الشام، لعلهم يندمون ويهتدون، فظن منافقوا أصحابه أنه يمتنع من القتال كراهية الموت أو شكاً في أهل الشام، يعني أنهم يقولون: انني شاك في أهل الشام هل يستوجبون القتل...

(٤) في هـ. ص: عشا إلى النار: استدل عليها ليلاً ببصر ضعيف، وفي الكلام كناية عن ضعف بصائر أهل الشام وأنهم لا يستثبتون الحق واضحاً.

وفي هـ. أ: عشا يعشوا: إذا استدل عليها ببصر ضعيف، وفي هامش ب: ... وعشوت إلى النار اعشوا إليها: إذا استدلت عليها ببصر ضعيف، قال الشاعر:

فان تعشوا إلى ضوء ناري تجد
 خير نار عندها خير موقد.

(٥) في ب: إلى ضوئي أحب إليّ، وفي هـ. د: فهو أحب إليّ - م.

(٦) في هـ. أ: تبوء أي ترجع بآثامها. (٧) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠.

[من أخبار يوم صفين]:

لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصفين ثم سَمَحَ لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة، رجاء أن يعطفوا إليه، واستمالَةً لقلوبهم وإظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم، مكث أياماً لا يُرسل إلى معاوية، ولا يأتيه مِنْ عند معاوية أحدٌ، واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال، وقالوا: يا أمير المؤمنين خَلَّفْنَا ذراريَّنا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لنَتَّخِذَهَا وطناً؟!، ائذن لنا في القتال، فإنَّ الناس قد قالوا: قال لهم عليه السلام: ما قالوا؟ فقال منهم قائل: إنَّ الناس يظنون أنَّك تكرهُ الحرب كراهيةً للموت، وإنَّ من الناس من يظن أنَّك في شكٍّ مِنْ قتال أهل الشام. فقال عليه السلام: وَمَتَى كنت كارهاً للحرب قطاً! إنَّ من العجب حُبِّي لها غلاماً ويافعاً، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذِ العمر وقرب الوقت. وأما شكِّي في القوم فلو شككت فيهم لشككتُ في أهل البصرة.

والله، لقد ضربتُ هذا الأمر ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعُنِي إلا القتال أو أن أعصِي الله ورسوله، ولكني أَسْتَأْذِنُ بالقوم، عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة؛ فإن رسول الله ﷺ قال لي يوم خيبر: لأنَّ يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك ممَّا طلعت عليه الشمس.

ومن كلام له عليه السلام:

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا^(١). مَا يَزِيدُنَا^(٢) ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ^(٣)، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ^(٤) الْأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ^(٥) الْعَدُوِّ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ^(٦) تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ^(٧). يَسْتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا^(٨) أَيُّهُمَا يَسْقِي^(٩) صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ. فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُونَا، وَمَرَّةً لِعَدُونَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكِبْتَ^(١٠)، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ^(١١). وَمَتَّبَعُوا^(١٢) أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ^(١٣)، وَلَا اخْضَرَ لِلْإِيمَانِ عُودٌ^(١٤)، وَإِيْمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبَنَّهَا دَمًا^(١٥) وَلَتَسْبِغَنَّهَا نَدَمًا.

(١) في هـ. أ: أما قتلهم الاقارب في ذات الله سبحانه فكثير، فإن علياً عليه السلام قتل من بني عبد مناف وبني عبد الدار - وهم عترته وبنوعمه - جماعة، وقتل يوم بدر العاص بن هاشم بن المغيرة، وقتل حمزة شعبة بن ربيعة إلى غير ذلك.

(٢) في هـ د: ولا يزيدنا - ن.

(٣) في هـ. أ: اللقم: وسط الطريق، وفي ب: الطريق الواضح.

(٤) في هامش ب: أي شدة الألم. (٥) في ب: على جهاد.

(٦) في هـ. أ: التصاول: أن يحمل كل واحد من المتبارزين على صاحبه.

(٧) في ب: الفحلين منه، والظاهر أنها من زيادة الناسخ لتغاير الخطين.

(٨) التخالس: التسالب والانتهاب. (٩) في هـ د: يستقي ن.

(١٠) في هـ. أ: الكبت: الإذلال.

(١١) في هـ. أ: جران البعير: مقدم عنقه من مذبحة إلى منحرة، أي متمكنا كالبعير يلقي جراحه على الأرض.

(١٢) في هـ. أ: متبوء أوطانه: جعله كالجسم المستقر في وطنه.

(١٣) في هـ. أ: جعله كالبيت القائم على العمدة.

(١٤) في هـ. أ: جعله كالشجرة ذات الفروع والأغصان.

(١٥) الاحتلاب: استخراج ما في الضرع من اللبن، وهذا تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سوء العاقبة من أعمالهم، وانهم سيعقبون تلك الأعمال بالندم.

[فتنة عبد الله بن الحضرمي بالبصرة]:

قال في شرح ابن أبي الحديد: وهذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في قصة ابن الحضرمي حيث قدم البصرة من قبل معاوية، واستنهض أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إلى البصرة، فتقاعدوا.

قال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب «الغارات»: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا الحسن بن علي الزعفراني، عن محمد بن عبد الله عن عثمان^(١)، عن ابن أبي سيف، عن يزيد بن حارثة^(٢) الأزدي، عن عمرو بن محسن، أن معاوية لما أصاب محمد بن أبي بكر بمصر وظهر عليها، دعا عبد الله بن عامر الحضرمي، فقال له: سر إلى البصرة، فإن جل أهلها يرؤن رأينا في عثمان، ويعظمون قتله، وقد قتلوا في الطلب بدمه، فهم موتورون حنقون لما أصابهم، ودوا لويجدون من يدعوهم ويجمعهم وينهض بهم في الطلب بدم عثمان، واحذر ربيعة، وانزل في مضر، وتودد الأزدي، فإن الأزدي كلها معك إلا قليلاً منهم، وإنهم إن شاء الله غير مخالفين.

فقال عبد الله بن الحضرمي له: أنا سهم في كنانتك، وأنا من قد جربت، وعدواهل حربك، وظهيرك على قتلة عثمان، فوجهني إليهم متى شئت^(٣).

ثم ذكر ابن أبي الحديد كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص يعرض عليه هذا الرأي، وما أجابه به عمرو، وكيفية دخول ابن الحضرمي البصرة، ومن أجابه ومن امتنع عليه ومن اعتزل، وارسال علي إلى البصرة، وكتابه إليهم في حديث طويل^(٤).

ثم كان آخر أمر ابن الحضرمي أنه حضر في دار مع سبعين رجلاً ثم احرق عليهم الدار حتى هلكوا، والحمد لله.

(١) في ط: عبد الله بن عثمان.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٥.

(٣) في ص: بن جابر.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٦ - ٣٧.

ومن كلام له ﷺ لأصحابه:

أما إنه ^(١) سَيُظْهَرُ عَلَيْكُمْ ^(٢) بَعْدِي رَجُلٌ ^(٣) رَحْبُ الْبُلْعُومِ ^(٤)، مُنْذِحِقُ ^(٥) الْبَطْنِ ^(٦)، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَأَقْتُلُوهُ - وَلَنْ تَقْتُلُوهُ. أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِيٍّ وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي، فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي ^(٧)؛ فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ ^(٨) وَلَكُمْ نَجَاةٌ ^(٩)، وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَّبِعُوا وَمَنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ^(١٠)، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ.

قال في الشرح: المعنى بهذا الكلام معاوية على الصحيح، وكان موصوفاً بالثبوت وكثرة

(١) في هـ د: أما وإنه - م. (٢) في هـ أ: يخاطب أهل الكوفة.

(٣) في هـ أ: يعني به زياداً، وكان عاملاً على علي عليه السلام حين قتل، وكان في يده مال الأهواز فالتجأ إلى معاوية، فلما استولى على الكوفة جمع الناس في المسجد ليأمرهم بلعن علي، فخرج حاجبه فأمر الناس بالانصراف، فانصرف الناس وكان قد أصابه الفالج حين خرج حاجبه، ولم يزل علي يسب على المنابر بعد خطب الجمع مدة خلافة معاوية، ومن بعده من خلفاء بني أمية، إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فأمر بقطع السب، وأن يجعل مكانها «أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» النحل: ٩٠ / ١٦.

(٤) في هـ ص: هو مجرى الطعام، أي واسع، والمعنى كثير ما يجري فيه.

(٥) في هـ أ: واسع. (٦) في هـ ص: أي بارزه، لفرط امتلائه.

(٧) في هـ أ: أباح لهم سبه عند الإكراه؛ لأن الله تعالى قد أباح التلطف بكلمة الكفر عند الإكراه.

(٨) في هـ أ: أي زيادة في الحسنات أوفي الشرف، فإن الله تعالى جعل الأسباب التي حاول أعداءه بها الغش منه سبباً لانتشار صيته في مشارق الأرض ومغاربها.

(٩) في هـ أ: من القتل.

(١٠) في هـ أ: أي خلقت في أول حالي على الإيمان والهدى، وذلك لأن الله تعالى أعطى الإنسان في أول الفطرة، فلم يعرض الضلال من خارج لكان مقتضاه معرفة الخالق وتوحيده ولزوم سبيل الهدى.

الاكل، وكان بطيناً يأكل فيكثر، ثم يقول: ارفعوا، فوالله ما شبع، ولكن مَلِيتُ وتعبت.
وتظاهرت الأخبار أن رسول الله ﷺ دَعَا عَلَى معاوية لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ، فوجدته
يَأْكُل، ثم بعث فوجده يأكل، فقال: «اللهم لا تُشبع بطنه»، قال الشاعر:

وَصَاحِبِ لِي بَطْنُهُ كَأَلْهَاوِيَّةُ كَأَنَّ فِي أَحْشَائِهِ مُعَاوِيَّةُ

وروى صاحب كتاب الغارات، عن الاعمش، عن انس بن مالك، قال: سمعت رسول
الله ﷺ يقول: سيظهر على الناس رجل من أمتي، عظيم السرم، واسع البلعوم، يأكل
ولا يشبع، يحمل وزر الثقليين، يطلب الإمارة يوماً، فإذا أدركتموه فابقروا بطنه، قال: وكان
في يد رسول الله ﷺ قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية.

قلت: وهذا الخبر - مرفوعاً - مناسب لما قاله علي عليه السلام في نهج البلاغة، ومؤكّد
لاختيارنا أن المراد معاوية دون ما قاله كثير من الناس أنه زياد أو المغيرة^(١).

وروى الاعمش عن عمار الدهني، عن أبي صالح الحنفي، عن علي عليه السلام، قال: قال
لنا يوماً: لقد رأيت الليلة رسول الله ﷺ في المنام، فشكوت إليه ما لقيت حتى بكيت، فقال
لي: انظر، فنظرت فإذا جلاميد وإذا رجلان مصفّدان، قال الاعمش: هما معاوية وعمرو بن
العاص، فجعلت أرضخ رؤسهما ثم تعود، ثم أرضخ ثم تعود، حتى انتهت.

وروى نحوه هذا الخبر عمرو بن مرة، عن أبي عبد الله بن سلمة، عن علي عليه السلام، قال: رأيت
الليلة رسول الله ﷺ فشكوت إليه فقال: هذه جهنم فانظر من فيها؟ فإذا معاوية وعمرو بن
العاص معلقين بأرجلهم منكسين، ترسخ رؤسهما بالحجارة - أوقال: تشدخ - انتهى
نقلاً من شرح ابن أبي الحديد^(٢). ثم قال فيه: وفي هذا الفصل مسائل:

المسألة الأولى: في تفسير قوله ﷺ: «فاقتلوه ولن تقتلوه» فنقول: إنه لا تنافي بين الأمر
بالشيء والإخبار عن أنه لا يقع، كما أخبر الحكيم سبحانه عن أن أبا لهب لا يؤمن وأمره
بالإيمان، وكما قال تعالى: ﴿فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) ثم قال: ﴿وَلَا يَسْتَمْتُونَهُ

(١) ذكر ابن أبي الحديد هذه الأقوال في شرحه ٤: ٥٤.

(٢) لم نجد هذه الروايات في المطبوعة من شرح ابن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة، ولعلها

(٣) سورة البقرة: ٩٥/٢.

موجودة في نسخة المؤلف.

أَبَدًا»^(١)، وأكثر التكاليفات على هذا المنهاج.

مسألة كلامية في الأمر بالشيء مع العلم بأنه لا يقع!

واعلم أن أهل العدل والمجبرة لم يختلفوا في أنه تعالى قد يأمر بما يعلم أنه لا يقع، أو يخبر عن أنه لا يقع، وإنما اختلفوا: هل يصح أن يريد ما يعلم أنه لا يقع، أو يخبر عنه أنه لا يقع؟ فقال أصحابنا: يصح ذلك، وقالت المجبرة: لا يصح؛ لأن إرادة ما يعلم المريد أنه لا يقع، قضية متناقضة؛ لأن تحت قولنا: «أراد» مفهوم أن ذلك المراد مما يمكن حصوله، لأن إرادة المحال ممتنعة. وتحت قولنا: «يعلم أنه لا يقع» مفهوم أن ذلك المراد مما لا يمكن حصوله، لأننا قد فرضنا أنه لا يقع، وما لا يقع لا يمكن حصوله مع فرض كونه لا يقع.

فقال لهم أصحابنا: هذا يلزمكم في الأمر؛ لأنكم قد أجزتم أن يأمر بما يعلم أنه لا يقع. فقالوا في الجواب: نحن عندنا أنه يأمر بما لا يريد، فإذا أمر بما يعلم أنه لا يقع، كان ذلك الأمر أمراً عارياً عن الإرادة، والمحال إنما نشأ من إرادة ما علم المريد أنه لا يقع، وهاهنا لا إرادة.

ف قيل لهم: هب أنكم قد ذهبتم إلى أن الأمر قد يعزى عن الإرادة، مع كونه أمراً، أستم تقولون: إن الأمر يدل على الطلب، والطلب شيء آخر غير الإرادة! وتقولون: إن ذلك الطلب شيء قائم بذات الباري، فنحن نلزمكم في الطلب القائم بذات الباري، الذي لا يجوز أن يعزى الأمر منه ما ألزمتونا في الإرادة. ونقول لكم: كيف يجوز أن يطلب الطالب ما يعلم أنه لا يقع!، أليس تحت قولنا: «طلب مفهوم» أن ذلك المطلوب مما يمكن وقوعه! والحال في الطلب كالحال في الإرادة، حدوا نعل بالنعل. ولنا في هذا الموضوع أبحاث دقيقة ذكرناها في كتبنا الكلامية، انتهى كلام ابن أبي الحديد^(٢).

واعلم أن أصل هذا التخالف والنزاع: أن المعتزلة تقول: إن المعنى الذي وضع له الأمر هو إرادة المأمور به. قال أبو الحسين البصري: لأن هذه الصيغة موضوعة عند أصحابنا للإرادة، انتهى كلامه. وإرادة الله عندهم على حد إرادة المخلوق.

واعلم ان الاشكال أبين انكشافا واطهر اندفاعا على قولنا: إن إرادة الله هي علمه باستعمال الفعل المأمور به على مصلحة هي المقتضية للأمر به، كما حقق من مذهب الائمة ومن وافقهم، والله أعلم.

[فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعلي عليه السلام]:

قال ابن أبي الحديد: المسألة الثانية: في قوله عليه السلام: «يأمركم بسبِّي والبراءة مني» فنقول: إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب علي عليه السلام والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبد العزيز فأزاله. وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ: إن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إن ابتراب الحد في دينك، وصد عن سبيلك فالعنه لعنا وبيلا، وعذبه عذابا أليما. وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يُشاد بها على المنابر إلى خلافة عمر ابن عبد العزيز (١).

وروى أبو عثمان أيضاً: أن قوماً من بني أمية قالوا للمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكرٌ فضلاً!

وقال أبو عثمان أيضاً: وما كان عبد الملك مع فضله وأناته وسدّاده ورجاحته ممن يخفى عليه فضل علي عليه السلام، وإن لعنه على رؤس الأشهاد، وفي أعطاف الخطب، وعلى صهوات المنابر مما يعود عليه تقصه، ويرجع إليه وهنه، لأنّهما جميعا من بني عبد مناف، والأصل واحد، والجرثومة منبت لهما، وشرف علي عليه السلام وفضله عائد عليه، ومحسوب له، ولكنه أراد تشييد الملك وتأكيد ما فعله الأسلاف، وأن يقرّر في أنفس الناس أن بني هاشم لاحظّ لهم في هذا الأمر، وأن سيّدهم - الذي به يصلون، وبفخره يفخرون - هذا حاله وهذا مقداره، فيكون من ينتمي اليه ويدلي به عن الأمر، أبعد وعن الوصول إليه أشحط وانزح (٢).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٥٨.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٥٧.

وقد روى الواقدي: أن معاوية لما رجع من العراق إلى الشام بعدبيعة الحسن عليه السلام واجتماع الناس عليه، خطب فقال: ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: «إنك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدسة، فإن فيها الأبدال، وقد اخترتكم، فالعنوا أبا تراب. فلعنوه، فلما كان من الغد كتب كتابا، ثم جمعهم فقرأ عليهم، وفيه: هذا كتاب كتبته أمير المؤمنين معاوية، صاحب وحي الله الذي بعث محمدا نبيا، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب، فاصطفى له من أهله وزيرا كاتبا أمينا، فكان الوحي ينزل على محمد وأنا أكتبه، وهو لا يعلم ما أكتب، فلم يكن بيني وبين الله أحد من خلقه. فقال له الحاضرون كلهم: صدقت يا أمير المؤمنين^(١).

قال أبو جعفر^(٢): وقد روى أن معاوية بذل لِسْمُرَةَ بن جُنْدَب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»^(٣)، وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ»^(٤) فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك.

قال: وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام، وعاقبوا ذاكر ذلك والراوي له، حتى إن الرجل كان إذا روى عنه حديثا لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه، فيقول: عن أبي زينب.

وروى عطاء، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: وددت أني أترك فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يوما إلى الليل، وأن عُنُقِي هذه ضربت بالسيف.

قال: فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة، لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة، وشدة العداوة،

(٢) في هامش الأصل: هو الاسكافي.

(٤) سورة البقرة: ٢ / ٢٠٧.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٧٢.

(٣) سورة البقرة: ٢ / ٢٠٤ و ٢٠٥.

ولولا أن الله تعالى في هذا الرجل سرًّا يعلمه مَنْ يعلمه لم يُرَوْ في فضله حديث، ولا رُوِيَتْ له منقبة، ألا ترى أن رئيس قرية لو سخط على واحد من أهلها، ومنع الناس أن يذكروه بخير أو صلاح لخلل ذكره، ونسي اسمه، وصار - وهو موجود - معدوماً، وهو حيٌّ ميتاً. هذه خلاصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر عليه السلام في هذا المعنى في كتاب التفضيل ^(١).

وروى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم عليه السلام، عن نصر بن عاصم الليثي، عن أبيه، قال: أتينا مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة، فأخذ بيد أبي سفيان، فخرجا من المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله التابع والمتبوع، ربّ يوم لأمتي من معاوية ذي الأستاه»، قالوا: يعني كبير العجيزة.

وقال: روى العلاء بن حريز القشيري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاوية: «لتتخذن يا معاوية البدعة سنة، والقيح حسنا، أكلك كثير، وظلمك عظيم» ^(٢).

[فصل في معنى قول عليّ: «فسبوني؛ فإنه لي زكاة»:]

قال ابن أبي الحديد: المسألة الثالثة: معنى قوله عليه السلام: «فسبوني، فإنه لي زكاة، ولكم نجاة»

فنقول: إنه أباح لهم سبّه عند الإكراه، لأن الله تعالى قد أباح عند الإكراه التلفظ بكلمة الكفر، فقال: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» ^(٣)، والتلفظ بكلمة الكفر أعظم من التلفظ بسب الإمام.

فأما قوله عليه السلام: «فإنه لي زكاة ولكم نجاة»، فمعناه: أنكم تنجون من القتل إذا أظهرتم ذلك، ومعنى الزكاة، يحتمل أمرين: أحدهما: ما ورد في الأخبار النبوية أن سبّ المؤمن زكاة له وزيادة في حسناته.

والثاني: أن سبّهم لي لا ينقص في الدنيا من قدري، بل أزيد به شرفاً وعلوّ قدر، وشياع ذكر، وهكذا كان، فإن الله تعالى جعل الأسباب التي حاولت أعداؤه بها النقص منه، عللاً

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٩.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٣.

(٣) سورة النحل: ١٦ / ١٠٦.

لانتشار صيته في مشارق الأرض ومغاربها.

وقد لمح هذا المعنى أبو نصر بن نباتة، فقال للشريف الجليل محمد بن عمر العلوي:

فأبوك الوصيَّ أولُّ من شادَ منار الهدى وصامَ وصَلَّى
نشرت حبله قريش فأعطته إلى صُبحَةِ القيامة قَتَلًا^(١)

فإن قلت: أيُّ مناسبة بين لفظ «الزكاة» وانتشار الصيت والشياع؟

قلت: لأنَّ الزكاة هي النماء والزيادة، ومنه سمَّيت الصدقة المخصوصة زكاة؛ لأنَّها

تتمي المال المزكَّى، وانتشار الصيت نماء وزيادة^(٢).

[فصل في اختلاف الرأي في معنى السبِّ والبراءة:]

قال ابن أبي الحديد: المسألة الرابعة: إن قيل: كيف قال عليه السلام: «فَأَمَّا السَّبُّ فَمُسْبُونِي،

فإنَّه لي زكاة، ولكم نجاة، وأمَّا البراءة فلا تبرءوا مني»؟ وأي فرق بين السبِّ

والبراءة؟ وكيف أجاز لهم السبِّ ومنعهم عن التبرِّي، والسبِّ أفحش من التبري!

فالجواب، أما الذي يقوله أصحابنا في ذلك: فإنه لا فرق عندهم بين السَّبِّ^(٣) والتبري

منه، في أنَّهما حرام وفسق وكبيرة، وأنَّ المكره عليهما يجوز له فعلهما عند خوفه على

نفسه، كما يجوز له إظهار كلمة الكفر عند الخوف.

ويجوز ألا يفعلهما، وإن قتل، إذا قصد بذلك إعزاز الدين، كما يجوز له أن يُسلم نفسه

للقتل ولا يُظهر كلمة الكفر إعزازاً للدين، وإنما استفحش عليه السلام البراءة؛ لأنَّ هذه اللَّفْظَةُ ما

وردت في القرآن العزيز إلا عن المشركين، ألا ترى إلى قوله تعالى: «بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٤)، وقال الله تعالى: «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ

وَرَسُولُهُ»^(٥)، فقد صارت بحكم الشرع مطلقة على المشركين خاصّة، فإذا نُحْمِلَ هذا

النهْي على تَرْجِيحِ تحريم لفظ البراءة على تحريم لفظ السبِّ، وإن كان حكمهما واحداً،

انتهى من شرح ابن أبي الحديد.^(٦)

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١١٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١١٢.

(٣) في ط: سبه.

(٤) سورة التوبة: ٩ / ١.

(٥) سورة التوبة: ٩ / ٣.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١١٣.

واقول: لاشك ان أمير المؤمنين عليه السلام قد فرق بينهما في الجواز بالاكراه وعدم الجواز به، وما ذكره الشارح في بيان وجه الفرق بينهما غير صحيح، لان لمعارض ان يعارضه ويقول: كذلك لم يرد السب واللّعن في القرآن الا لمشرك او من له حكمه من مستحق النار واعداء الله، ويلزمه ان لا يجوز اطلاق لفظ البراءة على فاسق لا اختصاصها بالمشركين، ولا يقول بذلك أحد.

والحق ان يقال: ان أمير المؤمنين اعتبر في كل واحد منهما مورده الاصلي ومحلّه دون ما يقترن به.

فالسب مورده الاصلي اللسان، فإن انضم اليه الضمير فحش وغلظ وكان قبيحا مطلقا، وان لم يطابقه الضمير كان باعتبار الحامل عليه^(١)، فان كان الحامل الهزاء والسخرية، كان قبيحا فاحشا، وان كان الحامل الاكراه أو قصد الحكاية، لم يكن قبيحا؛ لعدم مطابقة الضمير للسان، ووجود المسوّغ للفظ.

وأما البراءة فمحلّها الاصلي القلب؛ لأنّها العزم على الانفصال من المبتدأ منه ومن طريقته واعماله، وإنّما قول اللسان عبارة عن فعل القلب، فالبراءة حقيقة في فعل القلب فنهى عليه السلام عنها باعتبار حقيقتها، اي لاتعزموا على الانفصال مني ومجانبة طريقتي، فإن طريقتي منذ ولدت الى أن اموت طريقة حقّ وصواب.

ويجوز ان يعتبر في الفرق بينهما اعتبار آخر: وهو أنّ السب ذكر اوصاف في حق المسبوب مذمومة، وكذب الذاكر لها في حق أمير المؤمنين قريب من الضروري. وأما البراءة، فهي انشاء، فاذا سمعه السامع فرما يحصل عنده شك إنّ القائل إنّما قاله لاستحقاق علمه، لاسيما إذا كان القائل ممّن يقتدى به، والوجه هو الاول^(٢).

(١) اي الموجب له.

(٢) اقول: قال الشيخ الانصاري في رسالة «التقية» الصفحة ٤٣ - بعد أن أورد أخباراً تدل على جواز البراءة - : أنّ المروى في بعض الروايات من النهي عن التبرّيء مكذوب على أمير المؤمنين عليه السلام وأنّه لم ينه عنه، ففي موثقة مسعدة بن صدقة: «قلت لابي عبد الله عليه السلام :

[فصل في معنى قول عليّ: «إني ولدت على الفطرة»:]

قال ابن أبي الحديد: المسألة الخامسة: أن يقال: كيف علّل نهيّه لهم عن البراءة منه عليه السلام، بقوله عليه السلام: «فإني ولدت على الفطرة»؛ فإن هذا التعليل لا يختص به عليه السلام، لأن كلّ أحد يولد على الفطرة، قال النبي صلى الله عليه وآله: «كلّ مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرّانه».

والجواب، أنه عليه السلام علّل نهيّه لهم عن البراءة منه بمجموع أمور وعلل، وهي كونه ولد على الفطرة، وكونه سبق إلى الإيمان والهجرة، ولم يعلل بأحد هذا المجموع، ومراده هاهنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد في الجاهلية، لأنّه ولد عليه السلام لثلاثين عاماً مضت من

→ الناس يروون أنّ عليّاً عليه السلام قال على منبر الكوفة: «أيّها الناس أنكم ستدعون إلى سبّي ثم تدعون إلى البراءة منّي فلا تبرأوا منّي».

فقال عليه السلام: ما أكثر ما يكذب الناس على عليّ، ثم قال: أنما قال: ستدعون إلى سبّي فسبّوني ثم تدعون إلى البراءة منّي وإني لعليّ دين محمد صلى الله عليه وآله، ولم يقل: لا تبرأوا منّي.

فقال له السائل: أرايت أن اختار القتل دون البراءة؟ فقال: واللّه ما ذاك عليه ولاله، إلا ما مضى عليه عمّار بن ياسر حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان، فانزل الله تعالى: ﴿الْأَمَنُ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٦/١٠٤] فقال النبي صلى الله عليه وآله عندها: يا عمّار إن عادوا فعد» [الوسائل ١١: ٤٧٦، الباب ٢٩ من ابواب الامر والنهي، الحديث ٢]

وفي رواية محمد بن مروان: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما منع ميشم رحمة الله عن التقيّة، فوالله لقد علم أنّ هذه الآية نزلت في عمار وأصحابه: ﴿الْأَمَنُ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ﴾ ... الآية.» [الوسائل ١١: ٤٧٦، الباب ٢٩، الحديث ٣]

وفي رواية عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر ٧ - في رجلين من اهل الكوفة أخذوا وأمرا بالبراءة عن أمير المؤمنين عليه السلام فتبرأ واحد منهما وأبى الآخر، فخلّي سبيل الذي تبرأ وقتل الآخر - فقال عليه السلام: أمّا الذي بريء فرجل فقيه في دينه، وأمّا الذي لم يتبرأ، فرجل تعجل إلى الجنة» [الوسائل ١١: ٤٧٦، الباب ٢٩ من ابواب الامر والنهي، الحديث ٤].

وعن كتاب الكشي بسنده إلى يوسف بن عمران الميثمي قال: سمعت ميشم النهرواني يقول: قال عليّ بن طالب عليه السلام: يا ميشم كيف انت اذا دعاك دعوي بني أميّة - عبيد الله بن زياد - إلى البراءة منّي؟ فقلت: يا أمير المؤمنين انا والله لأبرأ منك. قال: إذاً والله يقتلك ويصلبك، قال: اصبر، فإنّ ذلك في الله قليل، قال عليه السلام: يا ميشم فإذاً تكون معي في روضتي». [الوسائل ١١: ٤٧٧، الباب ٢٩ من ابواب الامر والنهي، الحديث ٧، وفيه: في درجتي].

عام الفيل، والنبى ﷺ أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل، وقد جاء في الأخبار الصحيحة، أنه ﷺ مكث قبل الرسالة سنين عشرين عشرين يسمع الصوت ويرى الضوء، ولا يخاطبه أحد، وكان ذلك إرهاباً لرسالته ﷺ، فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته ﷺ، فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته، مولود في أيام النبوة، وليس بمولود في جاهلية محضة، ففارق حاله حال من يدعى له من الصحابة مماثلته في الفضل وقد روي أن السنة التي ولد فيها علي ﷺ هي السنة التي بدى فيها برسالة رسول الله ﷺ، فأسمع الهنات من الأحجار والأشجار ومن السماء، وكشف عن بصره، فشاهد أنواراً وأشخاصاً، ولم يخاطب منها^(١) بشيء. وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبلي والانتقطاع والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كُشف بالرسالة، وأنزل عليه الوحي، وكان رسول الله ﷺ يتيمن بتلك السنة، وبولادة علي ﷺ فيها، ويسمّيها سنة الخير وسنة البركة، وقال لأهله ليلة ولادته، وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهية، ولم يكن من قبل شاهد من ذلك شيئاً: «لقد وُلد لنا هذه الليلة مولود يفتحُ الله به علينا أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة»، وكان كما قال صلوات الله عليه، فإنه ﷺ كان ناصرَه، والمحامى عنه، وكشف الغم^(٢) عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الإسلام، ورسد دعائمه، وتمهّدت قواعده ﷺ.

وفي المسألة تفسير آخر، وهو أن يعني بقوله ﷺ: «فإني ولدتُ على الفطرة»، أي على الفطرة التي لم تتغيّر ولم تحلّ، وذلك أن معنى قول النبي ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة» أن كلّ مولود فإنّ الله تعالى قد هيّأه بالعقل الذي خلقه فيه وبصحّة الحواس والمشاعر، لأنّ يتعلم التوحيد والعدل، ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه عن ذلك، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين والإلف لا اعتقادهما وحسن الظنّ فيهما يصدّه عما فطر عليه، وأمير المؤمنين ﷺ دون غيره، وُلد على الفطرة التي لم تحلّ ولم يصدّ عن مقتضاها مانع، لا من جانب الأبوين ولا من جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة، ولكنه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها.

(٢) في ط: الغمّاء.

(١) في ط: فيها.

ويمكن أن يفسر: بأنه ﷺ أراد بالفطرة: العضة، وأنه منذ ولد لم يواقع قبيحا، ولا كان كافرا طرفة عين قط، ولا مخطئا ولا غالطا في شيء من الأشياء المتعلقة بالدين، وهذا تفسير الإمامية.

[فصل في سبق عليّ ﷺ إلى الإسلام]

قال ابن أبي الحديد: المسألة السادسة: أن يقال: كيف قال: «وسبقتُ إلى الإيمان» وقد قال قوم من الناس: إنَّ أبا بكر سَبَقَه، وقال قوم: إنَّ زيد بن حارثة سَبَقَه؟ والجواب، أن أكثر أهل الحديث وأكثر المحققين من أهل السيرة رَوَوْا أَنَّهُ ﷺ أول من أسلم، ونحن نذكر كلام أبي عمر يوسف بن عبد البر، المحدث في كتابه المعروف «بالاستيعاب».

قال أبو عمر في ترجمة عليّ ﷺ: المروى عن سلمان وأبي ذرٍّ والمقداد وخَبَّاب وجابر وأبي سعيد الخدريّ وزيد بن أسلم أن عليا ﷺ أول من أسلم، وقَضَّله هؤلاء على غيره. قال أبو عمر: وقال ابن إسحاق: أول من آمن بالله وبمحمد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ﷺ، وهو قول ابن شهاب، إلا أنه قال: «من الرجال بعد خديجة».

قال أبو عمر: وحدَّثنا أحمد بن محمد، قال: حدَّثنا أحمد بن الفضل، قال: حدَّثنا محمد بن جرير، قال: حدَّثنا علي بن عبد الله الدهقان، قال: حدَّثنا محمد بن صالح، عن سِمَاك بن حرب، عن عِكْرَمَةَ، عن ابن عباس، قال: لعليّ ﷺ أربع خصال، ليست لأحد غيره: هو أول عربيٍّ وعجميٍّ صلى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان معه لواؤه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فَرَّ عنه غيره، وهو الذي غَسَّله وأدخله قبره.

قال أبو عمر: ورَوَى عن سلمان الفارسيّ أنه قال: أول هذه الأمة ورُودا على نبيها ﷺ الحوض، أولها إسلاما: عليّ بن أبي طالب. وقد رَوَى هذا الحديث مرفوعاً عن سلمان عن النبي ﷺ، أنه قال: «أول هذه الأمة وروداً عليّ الحوض أولها إسلاما: عليّ بن أبي طالب». قال أبو عمر: ورفعهُ أولى، لأنَّ مثله لا يُدْرَك بالرأي.

قال أبو عمر: فأما إسنادُه المرفوع، فإنَّ أحمد بن قاسم، قال: حدَّثنا قاسم بن أصبغ قال:

حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثني يحيى بن هاشم^(١)، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن حنّس بن المعتمر، عن عليم^(٢) الكندي، عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله ﷺ: «أولكم وأردا عليّ الحوض أولكم إسلاماً، عليّ بن أبي طالب».

قال أبو عمر: وروى أبو داود الطيالسي، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، أنه قال: أول من صلى مع النبي ﷺ بعد خديجة عليّ بن أبي طالب.

قال أبو عمر: وحدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب، قال: حدثنا الحسن بن حماد، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، قال: كان عليّ أول من آمن من الناس بعد خديجة. قال أبو عمر: هذا الإسناد لامطعن فيه لأحد، لصحته وثقة نقلته، وقد عارض^(٣) ما ذكرناه في باب أبي بكر عن ابن عباس: والصحيح في أمر أبي بكر أنه أول من أظهر إسلامه كذلك. قاله مجاهد وغيره، قالوا: ومنعه قومه.

قال أبو عمر: اتفق ابن شهاب، وعبد الله بن محمد بن عجيل، وقتادة، وابن إسحاق على أن أول من أسلم من الرجال عليّ. واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدّقه فيما جاء به، ثم عليّ بعدها.

وروى علي بن أبي رافع^(٤) مثل ذلك.

قال أبو عمر: وحدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا قاسم، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد السلام بن صالح، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، قال: حدثنا عمر مولى غفرة، قال: سئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم: عليّ أم أبو بكر؟

(١) في ص: قاسم.

(٢) في ص: «عكيم»، وما أثبتناه من الاستيعاب.

(٣) ج: «عورض»، والاستيعاب: «وهو يعارض».

(٤) في ط: علي بن رافع.

فقال: سبحان الله! عليّ أولهما إسلاما، وإنما شُبّه على الناس، لأنّ عليا أخفى إسلامه من أبي طالب، وأسلم أبوبكر، فأظهر إسلامه.

قال أبو عمر: ولا شك عندنا أنّ عليا أولهما إسلاما، ذكر عبد الرزاق في جامعه، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن وغيره، قالوا: أول من أسلم بعد خديجة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وروى معمر، عن عثمان الجزريّ، عن مِقْسَم، عن ابن عباس، قال: أول من أسلم عليّ بن أبي طالب.

قال أبو عمر: وروى ابن الفضل عن الأجلح، عن حَبّة بن جوين العُرنِيّ، قال: سمعت عليا عليه السلام، يقول: لقد عبدتُ الله قبل أن يعبدّه أحدٌ من هذه الأمة خمس سنين.

قال أبو عمر: وروى شُعْبَة، عن سلمة بن كهيل، عن حَبّة العُرنِيّ، قال: سمعت عليا يقول: أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبو عمر: وقد روى سالم بن أبي الجعد، قال: قلت لابن الحنفية: أبوبكر كان أولهما إسلاما؟ قال: لا.

قال أبو عمر: وروى مسلم الملائّي، عن أنس بن مالك، قال: استنبيء النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، وصلى عليّ يوم الثلاثاء.

قال أبو عمر: وقال زيد بن أرقم: أول من آمن بالله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن طالب عليه السلام. قال: وقد روى حديث زيد بن أرقم من وجوه، ذكرها النسائي وأسلم بن موسى وغيرهما، منها ما حدثنا به عبد الوارث، قال: حدثنا قاسم، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: حدثنا شعبة، قال: أخبرني عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا حمزة الأنصاريّ قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال أبو عمر: [وحدثنا عبد الوارث، حدثنا قاسم، حدثنا أحمد بن زهير بن حرب] ^(١)

حدثنا أبي، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن أبي الأشعث، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي، عن أبيه، عن جدّه، قال: كنت امرأةً تاجراً، فأتيت العباس بن عبد المطلب لأُبتّاع منه بعض التجارة، وكان امرأةً تاجراً، فوالله إني لعنده بمنى، إذ خرج رجل من خِباء قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رآها قد مالت قام يصلي، ثم خرجت امرأة من ذلك الخِباء الذي خرج منه ذلك الرجل، فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخِباء، فقام معه [يصلي] ^(١) فقلتُ للعباس: من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ابن أخي، قلتُ: مَنْ هذه المرأة؟ قال: امرأته خديجة بنت خويلد، قلتُ: من هذا الفتى؟ قال: علي بن أبي طالب ابن عمه، قلتُ: ما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الغلام، وهو يزعم أنه سيفتح على أمته كنوز كسرى وقىصر، قال: فكان عفيف الكندي يقول - وقد أسلم [بعد ذلك] ^(٢) وحسن إسلامه: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ وكنتُ أكون ثانياً مع علي.

قال أبو عمر: وقد ذكرنا هذا الحديث من طرق في باب عفيف الكندي من هذا الكتاب. قال أبو عمر: ولقد قال عليّ عليه السلام: صليت مع رسول الله ﷺ كذا وكذا، لا يصلي معه أحد غيري إلا خديجة.

فهذه الروايات والأخبار كلّها، ذكرها أبو عمر يوسف بن عبد البر في الكتاب المذكور ^(٣)، وهي كما تراها تكاد تكون إجماعاً.

قال أبو عمر: وإنما الاختلاف في كمية سنّه ﷺ يوم أسلم، ذكر الحسن ابن عليّ الحلواني في كتاب «المعرفة» قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن، أنه بلغه أن عليّاً والزبير أسلما وهما ابنا ثمانين سنين. كذا يقول أبو الأسود يتيم عروة، وذكره أيضاً أبو خيثمة عن قتبية بن سعيد، عن

(٢) من ط.

(١) من ط.

(٣) الاستيعاب: ٥٤٦ - ٥٤٩

الليث بن سعد، عن أبي الأسود، وذكره عمر بن شبة، عن الحرامى، عن ابن وهب، عن الليث، عن أبي الأسود، قال الليث: وهاجرا وهما ابنا ثمانى عشرة سنة.

قال أبو عمر: ولا أعلم أحدا قال بقول أبي الأسود هذا.

قال أبو عمر: وروى الحسن بن علي الحلواني، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن قتادة، عن الحسن، قال: أسلم عليّ وهو ابن خمس عشرة سنة.

قال أبو عمر: وأخبرنا أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل الطوسي، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج، قال: حدثنا محمد بن مسعود، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن الحسن، قال: أسلم عليّ، وهو أول من أسلم، وهو ابن خمس عشرة سنة، أوست عشرة سنة.

قال أبو عمر: قال ابن وضاح: وما رأيت أحدا قطّ أعلم بالحديث من محمد بن مسعود، ولا بالرأى من سُحنون.

قال أبو عمر: قال ابن إسحاق: أول ذكر آمن بالله ورسوله: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو يومئذ ابن عشر سنين.

[قال أبو عمر: والروايات في مَبْلَغ سنّة عليه السلام مختلفة، قيل ^(١): أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وقيل: ابن اثنتي عشرة سنة. وقيل: ابن خمس عشرة سنة. وقيل: ابن ست عشرة سنة. وقيل: ابن عشر. وقيل: ابن ثمان.

قال أبو عمر: وذكر عمر بن شبة، عن المدائني، عن ابن جعدة، عن نافع، عن ابن عمر قال: أسلم عليّ وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

قال: وأخبرنا إبراهيم بن المنذر الحرامى، قال: حدثنا محمد بن طلحة، قال: حدثني جدى إسحاق بن يحيى، عن طلحة، قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام والزبير ابن العوام وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص أعمارا واحدة.

(١) ما بين المعقوفتين من ط.

قال: وأخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال: حدثنا إسماعيل بن علي الخطبي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا حُجَيْنُ أبو عمر، قال: حدثنا حَبَّان عن معروف، عن أبي معشر، قال: كان عليّ عليه السلام وطلحة والزبير في سنٍّ واحدة.

قال: وروى عبد الرزاق، عن الحسن وغيره: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ بعد خديجة عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وهوابن خمس عشرة سنة، أوست عشرة سنة.

قال أبو عمر: وروى أبو يزيد عمر بن شبة، قال: حدثنا شريح بن النعمان، قال: حدثنا الفُرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ابن عمر، قال: أسلم عليّ وهوابن ثلاث عشرة سنة، وتوفي وهوابن ثلاث وستين سنة.

قال أبو عمر: هذا أصحُّ ما قيل في ذلك، والله أعلم، انتهى حكاية كلام أبي عمر في كتاب «الاستيعاب».

واعلم أَنَّ شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون في أَنَّ أَوَّلَ الناس إسلاما عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، إلا مَنْ عساه خالف في ذلك من أوائل البصريين، فأما الذي تقررت المقالة عليه الآن، فهو القول بأنه أسبقُ الناس إلى الإيمان، لا تكاد تجد الآن في تصانيفهم، وعند متكلميهم والمحققين منهم خلافا في ذلك.

واعلم أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام ما زال يدّعي ذلك لنفسه، ويفتخر به، ويجعله حجة في أفضليته على غيره، ويصرّح بذلك: وقد قال غير مرّة: «أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته».

وروى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمد بن قتيبة في كتاب «المعارف» وهو غير متّهم في أمره.

ومن الشعر المروي عنه عليه السلام في هذا المعنى الأبيات التي أولها:
 محمد النبيّ أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمّي

ومن جملتها:

سبقتكم إلى الإسلام طُرّاً
غلاماً ما بلغتْ أوَّانَ حِلْمِي
والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جداً لا يتسع هذا الكتاب لنقلها، فلتطلب من مظانها.

ومن تأمل كتب السِّير والتواريخ عَرَفَ مِنْ ذَلِكَ ما قلناه^(١)

[فصل فيما ذكر من سبق عليّ إلى الهجرة:]

قال ابن أبي الحديد: المسألة السابعة: أن يقال: كيف قال: إنه سبق إلى الهجرة، ومعلوم أن جماعة من المسلمين هاجروا قبله، منهم عثمان بن مظعون وغيره، وقد هاجر أبو بكر قبله، لأنَّه هاجر في صحبة النبي ﷺ، وتخلف عليّ عليه السلام عنهما^(٢)، فبات على فراش رسول الله ﷺ، ومكث أياماً يردُّ الودائع التي كانت عنده، ثم هاجر بعد ذلك. والجواب، أنه ﷺ لم يقل: وسبقت كلَّ الناس إلى الهجرة، وإنما قال: «وسبقت» فقط، ولا يدلُّ ذلك على سَبْقِهِ للناس كافة، ولا شبهة أنَّه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة، ولم يهاجر قبله أحد إلا نفر يسير جداً.

وأيضاً فقد قلنا إنه علَّلَ أفضليَّته وتحريم البراءة منه مع الإكراه بمجموع أمور: منها ولادته على الفِطْرة، ومنها سبقه إلى الإيمان، ومنها سَبْقُهُ إلى الهجرة، وهذه الأمور الثلاثة لم تجتمع لأحد غيره، فكان بمجموعها متميِّزاً عن كل أحد من الناس.

وأيضاً فإنَّ اللام في «الهجرة» يجوز ألا تكون للمعهود السابق، بل تكون للجنس، وأمير المؤمنين عليه السلام سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة التي قبل هجرة المدينة، فإنَّ النبي ﷺ هاجر عن مكة مراراً، يطوف على أحياء العرب، وينتقل من أرض قوم إلى غيرها، وكان عليّ عليه السلام معه دون غيره.

أما هجرته إلى بني شيبان، فما اختلف أحد من أهل السيرة أنَّ علياً عليه السلام كان معه هو وأبو بكر، وأنَّهم غابوا عن مكة ثلاثة عشر يوماً وعادوا إليها، لما لم يجدوا عند بني شيبان ما أرادوه من النَّصرة.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٢٣. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٢٣.

وروى المدائني في كتاب «الأمثال» عن المفضل الضبي: أن^(١) رسول الله ﷺ لما خرج عن مكة يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج إلى ربيعة، ومعه علي بن أبي بكر، فدفعوا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر - وكان نَسابة - فسلم، فردوا عليه السلام، فقال: ممّن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: أمّن هَامَتِهَا أم من لَهَا زَمَها؟^(٢) قالوا: من هَامَتِهَا العظمى، فقال: مَن أيّ هَامَتِهَا العظمى أنتم؟ قالوا: من ذُهل الأكبر، قال: أفمنكم عوف الذي يقال له: لا حُرّ بوادي عوف؟ قالوا: لا، قال أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم جَسَّاس^(٣) حامي الدّمار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم الحوقزان، قاتل الملوك وسالبيها أنفسها؟ قالوا: لا، قال أفمنكم المزدكف^(٤) صاحب العمامة الفرّدة؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم أخوال الملوك من كِنْدَة؟ قالوا: لا، قال: فليستم إذن ذُهل الأكبر، أنتم ذُهل الأصغر. فقام إليه غلام قد بَقِل^(٥) وجهه، اسمه دَعْفِل، فقال:

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعِيبَاءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلَهُ

يا هذا، إنك قد سألتنا فأجبناك، ولم نكتملك شيئا، فممّن الرجل؟ قال: من قريش، قال: بخٍ بخٍ، أهل الشرف والرياسة، فمن أيّ قريش أنت؟ قال: من تَيْم بن مرة، قال: أمكنت والله الرامي من الثغرة^(٦)، أمّنكم قصي بن كلاب الذي جَمَعَ القبائل من فِهر فكان يدعي مجمعا؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذي هَشَم لقومه الثريد؟ قال: لا، قال: أفمنكم شيبه الحمد، مُطْعِم طير السماء؟^(٧) قال: لا، قال: أفمن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل النَّدوة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الرِّفَادَة^(٨) أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الحِجَابَة أنت؟

(١) مجمع الأمثال ١ : ١٩ - ٢٠.

(٢) فسرّه صاحب اللسان فقال: وفي حديث أبي بكر والنسابة: «أمّن هَامَتِهَا أولها زَمَها»: أي: من اشرافها أنت أو من أواسطها، واللهازم اصول الحنكين، واحدها: لهزيمة - بالكسر - فاستعارها لوسط النسب والقبيلة.

(٣) في مجمع الأمثال: جساس بن مرة.

(٤) بقل وجهه: أي نبت شعره وجهه.

(٥) في ص: المرداب.

(٦) في مجمع الأمثال: من صفاء الثغرة.

(٧) بعده في مجمع الأمثال: «الذي كان في وجهه قمر يضيء ليل الظلام الداجي».

(٨) الرفادة: شيء كانت قريش توافد به في الجاهلية، فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته،

قال: لا، قال: أفمن أهل السّقاية أنت؟ قال: لا، قال: فاجتذب أبو بكر زمام ناقته، ورجع إلى رسول الله ﷺ هارباً من الغلام، فقال دَغُفْل:

﴿صَادَفَ دَرَّءُ السَّيْلِ دَرَّءٌ يَصُدُّعُهُ﴾^(١).

ثم قال ابن أبي الحديد^(٢): «وأما هجرته ﷺ إلى الطائف فكان معه علي بن زيد بن حارثة في رواية أبي الحسن المدائني ولم يكن معهم أبو بكر... وغاب رسول الله ﷺ عن مكة في هذه الهجرة أربعين يوماً، ودخل إليها في جوار مطعم بن عدي.

وأما هجرته ﷺ إلى بني عامر بن صعصعة وأخوانهم من قيس عيلان؛ فإنه لم يكن معه إلا علي بن أبي طالب وحده، وذلك عقيب وفاة أبي طالب، أُوحي إليه ﷺ: اخرج منها، فقد مات ناصرك، فخرج إلى بني عامر بن صعصعة ومعه علي بن أبي طالب وحده، فعرض نفسه عليهم وسألهم النصر، وتلا عليهم القرآن فلم يجيبوه، فعادوا ﷺ إلى مكة، وكانت مدة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيام، وهي أول هجرة هاجرها ﷺ بنفسه.

فأما أول هجرة هاجرها أصحابه ولم يهاجر بنفسه، فهجرة الحبشة، هاجر فيها كثير من أصحابه ﷺ إلى بلاد الحبشة في البحر، منهم جعفر بن أبي طالب ﷺ فغابوا عنه سنين ثم قدم عليه منهم من سلم وطالت أيامه، وكان قدوم جعفر ﷺ عام فتح خيبر فقال ﷺ: «ما ادري أيهما أسرّ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر»^(٣).

→ فيجمعون من ذلك مالا عظيماً أيام الموسم، فيشترون به للحاج الخبز والطعام والزبيب فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام الموسم، وكانت الرفاة والسقاية لبنى هاشم والسدانة واللواء لبنى عبد الدار، وكان أول من قام بالرفاة هاشم بن عبد مناف.

(١) درأ الوادي بالسيّل: دفعه، وأورد هذا المثل صاحب اللسان وفسر بقوله: يقال للسيّل إذا اتاك من حيث لا تحتسبه: سيّل درء أي يدفع هذا ذاك وذاك هذا.

(٢) من هنا إلى آخر شرح الخطبة ٥٨ لم ترد في نسخة ص، لفقدان ورقة واحدة من النسخة، فأكملنا الشرح لهذه الخطبة اعتماداً على ما في شرح ابن أبي الحديد.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٢٨.

ومن كلام له عليه السلام^(١) كَلَّمَ بِهِ الْخَوَارِجُ:
 أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ^(٢)، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آيَرٌ. أَبْعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ^(٣)، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
 أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ! لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، فَأَوْبُوا شَرَّ مَا بٍ^(٤)، وَارْجِعُوا
 عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ.
 أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا، وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَأَثَرَةً^(٥) يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

قال الرضي رحمه الله^(٦): قوله ﷺ: «وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آيَرٌ»، يُرْوَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:
 أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ: «آيَرٌ» بِالرَّاءِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجُلٌ آيَرٌ، لِلَّذِي يَأْبُرُ النَّخْلَ، أَيْ
 يُصْلِحُهُ.

(١) هذا الكلام لامير المؤمنين عليه السلام وما يتعلق به من شرح، لم يكن في نسخة ص، والموجود في آخر الورقة ٧٢/ ب ما يلي: فقال دغفل: صادف درء السيل. بينما تبدأ الصفحة ٧٣/ أ بقوله: وقال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج... إلى آخره، وهو أول الكلام رقم ٥٨ من نهج البلاغة.

ونحن اثبتنا هذه الخطبة من نسختي أ و ب، مع الإشارة إلى ما ورد في هامش النسخة أ، فإن نسخة ب قد حصل فيها سقط ورقة واستكبتت من نسخة أخرى كما ألمحنا إلى ذلك انفا.

(٢) في هـ. أ: الحاصب: الريح الشديدة التي تثير الحصباء.

(٣) في هـ. أ: وأما قوله: أبعد إيماني؛ فلائنه يقال: إن الخوارج زعموا انه كفر بسبب التحكيم، فقالوا له: اشهد على نفسك بالكفر وأسلم حتى نبايعك، فأجابهم بهذا. وهم كانوا اصحابه في الجمل وصفين قبل التحكيم، وقد استجيب دعاءه عليهم؛ فانهم لقوا بعده الذل الشامل والسيوف القاطع، وما زالت حالتهم تضحل حتى أفناهم الله تعالى.

(٤) أي انقلبوا شر منقلب.

(٥) في هـ. أ: اثره. يريد - هنا - الاستبداد بالفيء والمغنم وأطراح جانبهم.

(٦) لم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أ و ب ود.

وَيُرْوَى: «آيَرُ» بالثاء، بثلاثِ نقطٍ، يُراد به: الذي يَأْتُرُ الحديثَ، أي يرويه ويحكيه، وهو أَصَحُّ الوُجُوهِ عُنْدِي، كَأَنَّهُ عليه السلام قال: لَا بَقِيَّ مِنْكُمْ مُخْبِرٌ.

وَيُرْوَى: «آيَرُ» بالزَّاي المعجمة، وهو الوَائِب، والهَالِكُ - أَيْضاً - يُقَالُ له: آيَرٌ.

وفي شرح ابن ميثم: المروي في السبب أَنَّهُ لما كتب عهد التراضي بين الحكمين بين علي ومعاوية، اعتزلت الخوارج وتناذوا من كل ناحية: لا حكم إلا لله، الحكم لله يا علي لا لك، إن الله قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه أن يدخلوا تحت حكمنا، وقد كنا زللنا وأخطأنا حين رضىنا بالتحكيم، وقد بان زللنا وأخطأنا، ورجعنا إلى الله وتبنا، فارجع انت كما رجعنا، وتب إليه كما تبنا.

وقال بعضهم: انك أخطأت فاشهد على نفسك بالكفر، ثم تب منه حتى نطيعك، فأجابهم بهذا الكلام.

وفي هذا بيان غلظه على نفسه لو أجابهم إلى ما سألوا، فإنَّ شهادة الانسان على نفسه بالكفر ضلال عن الحق، وعدم اهتداء في سبيل الله^(١).

قال ابن أبي الحديد: واعلم ان الخوارج على امير المؤمنين عليه السلام كانوا أصحابه وأنصاره في الجمل وصفين قبل التحكيم، وهذه المخاطبة لهم والدعاء عليهم، وهذا الإخبار عن مستقبل حالهم، وقد وقع ذلك؛ فإنَّ الله تعالى سلَّط على الخوارج بعده الذل الشامل والسيف القاطع والأثرة من السلطان، وما زالت حالهم تضمحل حتى افناهم الله تعالى واقضى جمهورهم، ولقد كان لهم من سيف المهلب بن أبي صفرة وبنيه الحنف القاضي والموت الزؤام، ثم ذكر من اخبار الخوارج وحروبهم طرفاً^(٢).

(١) شرح ميثم بن علي ٢: ١٥٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤: ١٣٢ وما بعدها.

وقال ﷺ لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إن القوم قد عبروا جسر النهر وان:

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النَّطْقَةِ^(١)؛ وَاللَّهِ لَا يَفْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ.
قال الرضي رحمه الله^(٢):

يَعْنِي بِالنَّطْقَةِ مَاءَ النَّهْرِ، وَهِيَ أَفْصَحُ كُنَايَةٍ عَنِ الْمَاءِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا جَمًّا، وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ مُضِيِّ مَا أَشْبَهَهُ^(٣).

قوله ﷺ: «لا يفلت منهم عشرة ... الخ».

قال في الشرح: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد أن تكون متواترة؛ لاشتهاره ونقل الناس كافة له؛ وهو من معجزاته ﷺ وأخباره المفصلة عن الغيوب.

والأخبار عن الغيوب على قسمين:

أحدهما: الأخبار المجملة، ولا إعجاز فيها.

والقسم الثاني: هي الأخبار المفصلة عن الغيوب؛ مثل هذا الخبر؛ فإنه لا يحتمل التلبيس؛ لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب على موجب، من غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمر إلهي عرفه ﷺ من جهة رسول الله ﷺ، وعرفه رسول الله ﷺ من جهة الله سبحانه.

(١) في هامش الف: هذا خبر من الأخبار التي يكاد يكون من متواتراً؛ لاشتهاره وهو من معجزاته ﷺ، فإن الأمر جرى كما أخبر من غير زيادة ولا نقصان، وهو من باب الإخبار بالمغيبات، وقد اتفق له مثل [ذلك] كثير، وقد ذكر في كتب الملاحم.

(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أوب و ص و د .

(٣) الخطبة رقم [٤٨] .

والقوة البشرية تقصّر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره. وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته، وأحواله المنافية لقوى البشر، غلّ فيه من غلا، حتى نُسب إلى أنّ الجوهر الإلهي حلّ في بدنه، كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام، وقد أخبره النبي ﷺ بذلك، فقال: «يهلك فيك رجلان محبّ غالٍ، ومبغض قالٍ».

وقال له تارة أخرى: «والذي نفسي بيده، لو لا أنّي أشفق أن يقول طوائف من أمّتي فيك، ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالا، لا تمرّ بملاّ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة».

وروى أبو العباس أحمد بن عبيد الله، عن عمّار الثقفيّ، عن عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ، عن أبيه، وعن غيره من مشيخته؛ أنّ عليا قال: «يهلك فيّ رجلان: محبّ مُطرٍ يضعني غير موضعي ويمدحني بما ليس فيّ، ومبغض مُفترٍ يرميني بما أنا منه بريء».

وقال أبو العباس: وهذا تأويل الحديث المرويّ عن النبي ﷺ فيه، وهو قوله: «إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم، أحبّته النصارى فرفعته فوق قدره، وأبغضته اليهود حتّى بهتت أمّه»، انتهى^(١).

وقال ﷺ لما قتل الخوارج فقيلاً له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم^(١)؛
 كلاً - والله^(٢) - إِنَّهُمْ نُطِفَ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ^(٣) النِّسَاءِ، وَكُلَّمَا نَجَمَ^(٤) مِنْهُمْ
 قَرْوَنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَابِينَ^(٥).

(١) في الف: وقال لما قتلهم فقيلاً هلك القوم بأجمعهم.

(٢) في الأصل: فقال كلاً.

(٣) في هامش الأصل: جمع قرارة وهي مجتمع الماء، وهذه كناية لطيفة عن الارحام، وهي
 هامش الف: كناية لطيفة عن الارحام، ومن الكنايات اللطيفة الجارية هذا المجزئ قوله
 تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَسْتُمْ النِّسَاءَ﴾ يعني الجماع، وقول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم
 الآخر فلا يسقين ماءه زرع غيره» أراد النهي عن نكاح الحامل.

(٤) في هامش الأصل: أي ظهر.

(٥) أي ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصاً سلابين، لا يقومون بملك، ولا ينتصرون لمذهب،
 ولا يدعون إلى عقيدة، شأنهم شأن الاشرار الجهلة وقطاع الطرق.

وقال ﷺ في الخوارج:

لَا تَقْتُلُوا^(١) الْخَوَارِجَ بَعْدِي؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ^(٢)؛ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَذْرَكَهُ.

قال الرضي رحمه الله^(٣): يَعْنِي معاوية وأصحابه.

قال في شرح ابن أبي الحديد: مراده ﷺ أَنَّ الخوارج ضَلُّوا بشبهة دخلت عليهم؛ وكانوا يطلبون الحق؛ ولهم في الجُملة تمسُّك بالدين، ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها، وإن أخطئوا فيها؛ وأما معاوية فلم يكن يطلب الحق؛ وإنما كان ذا باطل محض، لا يحامي عن^(٤) اعتقاد، قد بناء على شبهة، وأحواله كانت تدلُّ على ذلك؛ فإنه^(٥) لم يكن من أرباب الدين، ولا ظهر عنه نُسك؛ ولا صلاحُ حال، وكان مترفاً يُذهب مالَ الفيء في مآربه؛ وفي تمهيد مُلكه، ويصانع به عن سلطانه؛ وكانت أحواله كُلُّها مؤذنةً بانسلاخه عن العدالة، وإصراره على الباطل؛ وإذا كان كذلك لم يَجْزُ أَنْ يَنْصُرَ المسلمون سلطانه، ويُحاربوا الخوارج عليه. فَإِنَّ الخوارج وإن كانوا أهل ضلال؛ إِلَّا أَنَّهُمْ أَحْسَنُ^(٦) حالا منه؛ فَإِنَّهُمْ كانوا ينهون عن المنكر، ويرون الخروج على أئمة الجور واجباً، ولا ريب في تمسك^(٧) الخوارج بالدين، كما لا ريب في أَنَّ معاوية لم يظهر عنه مثل ذلك^(٨).

(١) في ط: لا تقتلوا، وفي هود: لا تقتلوا - ح .

(٢) في ب، وهامش الف: في نسخة: فاعطيه.

(٣) لم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أ و ب و ص و د .

(٤) في الأصل: على . (٥) في الأصل: تدل على أنه .

(٦) في ط: ويحارب الخوارج عليه وإن كانوا أهل ضلال لأنهم أحسن .

(٧) في ط: في تلزم . (٨) شرح ابن أبي الحديد ٥ : ٧٩ .

[أخبار متفرقة عن أحوال معاوية]

وقد قدح كثير من أصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه: إنه كان ملجداً لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه، وسقطات ألفاظه ما يدل على ذلك:

فمن ذلك: ما رواه المطرف بن المغيرة بن شعبة: عن أبيه عن معاوية، أنه قال في جواب كلام جاره إياه: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تميم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره؛ إلا أن يقول قائل: أبو بكر؛ ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين؛ فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره؛ إلا أن يقول قائل: عمر؛ وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: «أشهد أن محمداً رسول الله»، فأبي عمل يبقى؛ وأي ذكر يدوم بعد هذا، لا أبالك! لا والله إلا دفنا دفنا^(١).

قال ابن أبي الحديد: ولا ريب أن الخوارج إنما بريء أهل الدين والحق منهم؛ لأنهم فارقوا علياً وبرءوا منه، فأما ما عدا ذلك من أقاويلهم؛ فإن أصحابنا يقولون بها، ويذهبون إليها، فلم يبق ما يقتضي البراءة منهم إلا براءتهم من علي؛ وقد كان معاوية يلعنه على رؤوس الأشهاد [وعلى المنابر في الجمع والأعياد، في المدينة ومكة وفي سائر مدن الإسلام]^(٢) فقد شارك الخوارج في الأمر المكروه منهم؛ وامتازوا عليه^(٣) بإظهار الدين والتلزم بقوانين الشريعة، والاجتهاد في العبادة، وإنكار المنكرات، وكانوا أحق بأن يُنصَرُوا عليه من أن يُنصَر عليهم، فوضح بذلك قول أمير المؤمنين: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي»، يعني في ملك معاوية^(٤).

(٢) من ط .
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٣١ .

(١) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٣٩ .
(٣) في ط: عليه .

ومن كلام له عليه السلام لما خوّف من الغيلة^(١) :

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمْتَنِي؛ فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلَمُ.

قال ابن أبي الحديد: ويعني بالجُنَّة - ها هنا - الأجل، ومثل هذا الشعر المنسوب إليه عليه السلام:

من أي يوميّ [من الموت] ^(٢) أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر
فأيوم لم يقدر لا أرهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر ^(٣)
والأصل في هذا كله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ ^(٤) وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ^(٥) وقوله سبحانه: ﴿تَوَفَّيْتُهُ رُسُلَنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ^(٦). وفي القرآن العزيز الكثير من ذلك.

واختلف المتكلمون ^(٧) في الآجال؛ فقالت المعتزلة: ينبغي أن نحقق - أولاً - مفهوم قولنا: «أجل»؛ ليكون البحث في التصديق بعد تحقق التصوّر؛ فالأجل عندنا هو الوقت الذي يعلم الله أن حياة ذلك الإنسان أو الحيوان تبطل فيه، كما أن أجل الدّين هو الوقت الذي يحلّ فيه؛ فإذا سألنا سائل فقال: هل للناس آجالٌ مضروبة؟ قلنا له: ما تعني بذلك؟ أتريد: هل يعلم الله تعالى الأوقات التي تبطل فيها حياة الناس؟ أم تريد بذلك أنه: هل يراد بطلان حياة كلّ حيٍّ في الوقت الذي بطلت حياته فيه؟

فإن قال: عَنَيْتُ الأوّل، قيل له: نعم، للناس آجال مضروبة بمعنى معلومة؛ فإن الله تعالى

(١) في هامش الف: أي القتل على غير علم. (٢) من ط .

(٣) البيت في لسان العرب ٦: ٣٨٣. (٤) آل عمران ٣: ١٤٥ .

(٥) الأعراف ٧: ٢٤ . (٦) الأنعام ٦: ٦١ .

(٧) في الأصل: المسلمون.

عالم بكل شيء.

وإن قال: عَنَيْتُ الثاني؛ قيل: لا يجوز عندنا إطلاق القول بذلك؛ لأنه قد تبطل حياة نبي أو ولي يقتل ظالم؛ والباري تعالى لا يريد عندنا ذلك.

فإن قيل: فهل تقولون بأن كل حيوان يموت وتبطل حياته بأجله؟ قيل: نعم، لأن الله تعالى قد علم الوقت الذي تبطل حياته فيه، فليس تبطل حياته إلا في ذلك الوقت، لا لأن العلم ساق إلى ذلك، بل إنما تبطل حياته بالأمر الذي اقتضي بطلانه، والباري تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه؛ فإن بطلت حياته يقتل ظالم فذلك ظلم وجور، وإن بطلت حياته من قبل الله تعالى فذلك حكمة وصواب، وقد يكون ذلك لطفاً لبعض المكلفين.

واختلف الناس لو لم يقتل المقتول؛ هل كان يجوز أن يقيه الله تعالى؟ فقطع الشيخ أبو الهذيل على موته لو لم يقتله القاتل؛ وإليه ذهب الكرامية^(١).

وقال قوم من أصحابنا البغداديين بالقطع على حياته لو لم يقتله القاتل؛ وهذا عكس مذهب أبي الهذيل ومن وافقه^(٢).

وقال قوم من قدماء الشيعة: الآجال تزيد وتنقص، ومعنى الأجل، الوقت الذي علم الله تعالى أن الإنسان يموت فيه إن لم يقتل قبل ذلك، أو لم يفعل فعلاً يستحق به الزيادة والنقصان في عمره.

قالوا: وربما يُقتل الإنسان الذي ضرب له من الأجل خمسون سنة، وهو ابن عشرين سنة، وربما يفعل من الأفعال ما يستحق به الزيادة، فيبلغ مائة سنة، أو يستحق به النقيصة فيموت وهو ابن ثلاثين سنة.

قالوا: فمما يقتضي الزيادة: صلة الرحم، ومما يقتضي النقيصة: الزنا وعقوق الوالدين، وتعلقوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^(٣).

وقال أصحابنا: هذا يوجب أن يكون الله تعالى قد أجل الآجال على التخمين دون التحقيق؛ حيث أجل لزيد خمسين؛ فقتل لعشرين، وأفسدوا أن يعلم الله تعالى الشيء بشرط؛ وأن يبدو له فيما يقضيه ويقدره، بما هو مشهور في كتبهم.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٣٥.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٣٤.

(٣) فاطر ٣٥: ١١.

وقالوا في الآية: إنّ المرادَ بها أن ينقص سبحانه بعضَ الناس عن مقدار أجل المعمر؛ بأن يكون انتقصَ منه عمراً، ليس أنه ينقص من عمر ذلك المعمر.

فأما مشايخنا أبو عليّ وأبو هاشم، فتوقّفاً في هذه المسألة وشكّاً في حياة المقتول وموته؛ وقالوا: لا يجوز أن يبقى لو لم يقتل، ويجوز أن يموت^(١).

ورداً ما احتج به من جزم بالموت ومن جزم بالحياة.

وأما شيخنا أبو الحسين رحمه الله، فاختار الشك أيضاً في الأمرين^(٢)، إلّا في صورة واحدة، وذكرها عنه ابن أبي الحديد^(٣)، انتهى^(٤).

وأقول: إنّ في قول الشارح في نقل مذهب الشيعة: «الآجال تزيد وتنقص ومعنى الاجل: الوقت الذي علم الله ... إلى آخره» تدافعاً واضطراباً، والحق أنّ للأجل عندهم معنيين:

أحدهما: الوقت الذي يعلم الله موته فيه معيناً، لحصول شرائطه ومقتضياته، وهو آخر جزء من أجزاء حياته، وهذا لا معنى للزيادة والتقصان فيه. والآخر: الأمد الذي يعيش فيه، وهو الذي يسمى عمراً، وهذا هو الذي يزيد وينقص بالأسباب والشروط.

وقال في الكشف: والأجل يقع على المدة كلها، وعلى آخرها يقال لعمر الانسان: أجل، وللموت الذي ينتهي به: أجل، وكذلك الغاية والأمد، انتهى.

وإذا تأملت كلام الشارح وجدته لم يحقق موضع النزاع؛ فإنّ موضع النزاع في: هل ضرب الله لكل انسان أجلاً؟ أي وقتاً وقتاً وقضى بموته فيه لا أنه بمعنى: عَلِمَهُ - كما زعم الشارح - فإنّ علم الله للوقت الذي يموت فيه الميت^(٥) متفق عليه.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٢٧. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٣٨.

(٣) وهي أنّ الظالم قد يقتل في الوقت الواحد الالوف الكثيرة في المكان الواحد، ولم تجر العادة بموت مثلهم في حالة واحدة في المكان الواحد.

(٤) انتهى كلام ابن أبي الحديد بتلخيص من المؤلف، راجع شرح نهج البلاغة ٥: ١٣٥ - ١٣٧.

(٥) في الأصل: المائت.

فقال بعضهم: نعم، وُقِّتَ أجلاً واحداً مبتوتاً^(١) وجزموا بأنه لو لم يقتل مات فيه.
وقال بعضهم: بخلاف قوله.

وقالت الشيعة: إن الله ضرب أجلين؛ أجلاً مبتوتاً - وهذا الذي يموت فيه إذا لم يحصل أسباب التقديم عليه والتأخير عنه، وأجلاً مشروطاً أو مقروناً بسبب يتوقف عليه، وقد أشار إلى هذا قول الله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾^(٢).
وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّغْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(٤).

وقد ذكر الزمخشري ما يعطي هذا في تفسير الآية: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ...﴾ إلى آخر الآية^(٥).

وأقول: وما ذكره عن قدماء الشيعة هو ظاهر الأدلة وفي الأحاديث الصحيحة التصريح بما قالوه من اقتضاء بعض الأعمال: الزيادة وبعضها؟؟
ولا يلزم ما ذكرته المعتزلة: من كون هذا يقتضي أن يكون الله أجَلَ الأَجَالِ على النجمين.

لأننا نقول: إن الله عالم بالوقت الذي يموت فيه الإنسان على التعيين، ولكنه جعل ذلك الوقت على وجهين باعتبار حصول مقتضي الطول والقصر، ليخبر^(٦) بذلك المكلفين،

(١) المبتوت: المتطوع من بت بالشيء أي قطع به.

(٢) نوح: ٧١ / ٤. (٣) يونس: ١٠ / ٩٨.

(٤) البقرة: ١٧٩ / ٢.

(٥) فاطر: ٣٥ / ١١، قال في الكشاف (٣: ٦٠٤): وفيه تأويل آخر، وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب، وصورته: أن يكتب في اللوح: إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره ستون سنة، وإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمّر، وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون، وإليه أشار رسول الله ﷺ في قوله: «إن الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار»، وقد استفاض على الألسنة: أطال الله بقاءك وفسح في مدتك، وما أشبه ذلك، انتهى.

(٦) ليخبر: أي يعلم ويمتحن ويختبر.

فيكون فيه لطف لهم، وحثّ لهم على اعتماد المصلحة وترك المفسدة.
ولا يصح ان يخبرهم بالأمر إلا وهو واقع، وان كان عالماً بأي الأمرين يقع فلا شك ولا تخمين.

مثاله: ان يعلم سبحانه أن الحكمة بقاء زيد خمسين فيقضي عمره خمسين سنة، ولم يفعل ما يحسن وما يقبح، مما يقتضي زيادة أو نقصاناً على هذا القدر، فإن فعل صلة الرحم زيد عشرين؛ لما في الزيادة من مصلحة حثّ العباد على صلة الأرحام، وإن عقّ والديه أو زنا أو قطع رحمه نقص من ذلك القدر عشرين؛ لما في النقصان من مصلحة المكلفين بالزجر عن المعاصي.

ولا يحصل واحدة من هاتين المصلحتين إلا إذا علم العباد بهما، ولا يعلمون بهما إلا إذا أخبروا، ولا يخبرون إلا بما هو واقع، ومع ذلك فإن الله يعلم أي الأوقات الثلاثة يموت فيه معيّنًا، وأي الأمور الثلاثة يقع، أمقتضى الزيادة أو مقتضى النقصان، أو عدمهما.

وليس المشروط علم الله، وانما علمه متعلق بالشيء مع شرطه كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(١)، ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾^(٢).

وهذا القول الذي نسبه إلى قدماء الشيعة، رواه في الأساس عن متقدمي الأئمة عليهم السلام^(٣)، ونقل في شرحه نصوصهم ونقل الأدلة على ذلك من الكتاب برواية تفسيره

(١) الأنعام ٦ : ٢٨ . (٢) الكهف ١٦ : ١٨ .

(٣) في هـ . ص : ممّا يحسن نقله ما وجدته في تاريخ ابن خلكان في ترجمة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، بسنده عنه: انه لما ادخل على المنصور الدوانيقي - لما حمله مع العلويين إلى العراق، بعد مقتل ابراهيم بن عبدالله عليه السلام - قال له بعد حديث طويل: حدثني الحديث الذي كنت حدثت فيه عن أبيك، عن آبائك، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في صلة الرحم. قلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: صلة الرحم يعمر الديار ويطيل في الاعمار ويكثر العمار ولو كانوا كفاراً.

قال: ليس هذا.

فقلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الرحم شجنة من الرحمان، قال الله: خلقت الرحم وشققت لها اسماً من أسمائي فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته». قال: ليس هذا.

من طريقهم مسنداً عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، ومن السنة عن النبي صلى الله عليه وآله، ومن كلام عليّ عليه السلام.

فأما قوله عليه السلام: «وان عليّ من الله جنة حصينة» فلا ينافي هذا، لأنّ معناه: إنّ الوقت الذي أموت فيه سواء كان هو الأجل المبتوت أو المشروط، لا أموت إلّا فيه، وفي غيره لا بدّ أن أوقى، والله أعلم.

→ قلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، انه قال: «إنّ ملكاً من ملوك الارض بقي من عمره ثلاث سنين، فوصل رحمه فجعلها الله ثلاثين سنة». قال: هذا الحديث الذي أردت. (انتهى ما يتعلق به الغرض).

ومن خطبة له عليه السلام:

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا^(١)، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، أَبْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا
فِتْنَةً^(٢)، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ^(٣) وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا
عَلَيْهِ، وَأَقَامُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَىءُ الظِّلِّ^(٤)، بَيْنَمَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ، وَزَائِداً
حَتَّى نَقَصَ.

(١) في هامش الف: تقدير الكلام ان الدنيا لا تسلم من عقاب ذنوبها إلا فيها؛ لأن عقابها يسقط بأحد الأمرين، اما بثواب على طاعات تفضل على ذلك العقاب المستحق، أو توبة كاملة الشروط، وكلا الأمرين لا يصح إيقاعه إلا في الدنيا؛ فإن الآخرة ليست دار التكليف ليصح من الانسان فيها عمل طاعة «ولا ينجى بشيء كان لها»، معناه: إن أفعال التكليف التي يفعلها لاغراضه الدنيوية ليست طريقاً إلى نجاة الآخرة، ولكن بافعال البر التي يقصد بها وجه الله تعالى، وقد أوضح ذلك بقوله: «ما اخذوه» إلى قوله: «واقاموا فيه» فمثال الاول: من يكسب الاموال ويدّخرها للملاذه، ومثال الثاني: من ينفقها في سبيل الله.

(٢) في هامش ب: الناس في الدنيا [في] فتنة؛ أي امتحاناً وتكليفاً، وهذا الكلام مقطوع بما قال: ولا ينجى بشيء كان لها ولزينتها.

(٣) وفي هامش ب: أي فما أخذوها من هذه الدنيا لأجل الدنيا وزينتها ولذاتها، أخرجوا منه وتركوه في الدنيا وحوسبوا عليه.

(٤) في هامش الف: لأنّ العرب تضيف الشيء إلى نفسه، والظلّ أعم من الشيء؛ لأنّ الشيء لا يكون إلا بعد الزوال وكل فيء ظل وليس كل ظل فيء.

ومن خطبة له عليه السلام:

وَاتَّقُوا^(١) اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا^(٢) آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ^(٣)، وَتَرَحَّلُوا^(٤) فَقَدْ جُدَّ^(٥) بِكُمْ، وَأَسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُكُمْ^(٦)، وَكُونُوا قَوْمًا صَوِيحَ بِهِمْ فَأَنْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدَّلُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(٧) لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا^(٨)، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى^(٩)، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ^(١٠).

وَإِنَّ غَايَةَ تَنْقِصِهَا اللَّحْظَةُ، وَتَهْدِيمُهَا السَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقَصْرِ الْمُدَّةِ. وَإِنَّ غَايَةَ^(١١) يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ، اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، لَحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ. وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ^(١٢) الْعُدَّةِ.

فَتَزَوَّدَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ^(١٣) غَدًا، فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ نَصَحَ نَفْسَهُ،

(١) في ط : فاتقوا، وفي هـ. د: فاتقوا - ح ض ل .

(٢) في هامش الف: أي سابقوها وعاجلوها.

(٣) في هامش الف: أي ابتاعوا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية.

(٤) في هـ. د: فترحلوا - م، وفي هامش ب: ارتحلوا وهيئوا الرحيل، فقد اجتهد بكم الجد والاجتهاد في الأمر.

(٥) وفي هامش الف: فقد جد بكم، أي حُثِّمَ على الرحيل.

(٦) في هامش الف: أي قرب منكم، وفي هامش ب: أي قرب منكم وعلا عليكم ظله، وفي هامش آخر: أي قرب منكم الموت. (٧) في ط ود زيادة: سبحانه.

(٨) في هامش ب: قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾.

(٩) في هامش الف و ب: سدئ، أي مهملين.

(١٠) في هامش الف: بدل من قوله: «إِلَّا الْمَوْتُ».

(١١) في هامش الف: الغائب المشار إليه هو الموت، وفي هامش ب: غائباً، الغائب هو الموت، وكذلك القادم، وقيل: الغائب صاحب، تدنياً لمكان ... خلق لغيرها فهو سريع الأوبة والرجوع.

(١٢) في ب: نفوسكم.

(١٣) في ب: بأفضل.

وَقَدَّمَ^(١) تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَ مَسْتَوْرٍ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ؛ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَزَكِّيَّهَا، وَيُمْنِيهِ^(٢) التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حَتَّى تَهْجَمَ^(٣) مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا.

فَيَا لَهَا حَسْرَةً^(٤) عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشَّقْوَةِ!

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَابَةً.

(١) هـ. د: قدم - ض ح .

(٢) في هامش الف: أي يعده ويحسن له التسويف، وهو ان يقول لنفسه: سوف افعل، وفي هامش ب: يمنيّه التوبة: أي يجعل في امنيته انه يتوب بعد ذلك، والتسويف: ان يقول سوف افعل.

(٣) في ط: إذا هجمت.

(٤) في هامش ب: أي ما أعظمها حسرة. (٥) لم ترد «كل» في د.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ^(١) الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ^(٢) لَهُ حَالٌ خَالًا^(٣)، فَيَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا، وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا^(٤)؛ كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ^(٥)، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلَّمٌ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ؛ وَيُصَمُّهُ كَبِيرُهَا؛ وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَغْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرٌ بَاطِنٌ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرٌ ظَاهِرٌ.

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِ^(٦)، وَلَا تَخَوُّفِ^(٧) مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، وَلَا اسْتِعَانَةِ عَلَى نِدٍّ مُتَاوِرٍ^(٨)، وَلَا شَرِيكِ مُكَائِرٍ، وَلَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ^(٩)، وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ^(١٠)، لَمْ يَخْلُ^(١١) فِي الْأَشْيَاءِ فَيَقَالَ: هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَتَأَنَّ عَنْهَا فَيَقَالَ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ.

(١) لم ترد «الحمد لله» في ألف وب.

(٢) في د: لم تسبق، وفي هـ. د: لم يسبق - ح و ل.

(٣) في هامش ألف: معناه انه تعالى منزّه عن تغيّر الأحوال والصفات، وحين كان موصوفاً بالأوليّة كان موصوفاً بالآخريّة؛ لأنّه كان موجوداً قبل كلّ موجود، ويكون موجوداً بعد عدم الأشياء كلّها.

(٤) في هامش ب: للظاهر بالأدلة الدالة عليه، والباطن لكونه غير مدرك بالحواس قد أجمعت له الأولى والآخرة والظهور والخفاء، والباطن: الذي بطن كل شيء، أي: عِلْمُهُ.

(٥) في هامش ب: قوله: «قليل» هاهنا، مجاز غير حقيقة، يعني الذي يسمى بالوحدانية هو الله تعالى. (٦) في هامش ب، وفي نسخة: لشديد لسلطان.

(٧) في هامش ب تخويف، وفي هـ. د: تخويف - م.

(٨) في هامش ب: المتأوّر: الموائبة. قلت: والموائب هو المحارب.

(٩) في هامش ألف: المنازع نسباً، المنافر: المحاكم في الرفعة: نسباً، يقال: نافرته فغلّبتة وأثبت رفعتي عليه.

(١٠) في هامش ألف: الدخور: المذلّة، وفي هامش ب: عاجزون وخاضعون.

(١١) في هامش ب: ذكرها هو تأكيد لجميع ما تقدم وقال: «لم يحلل ...» بين انه ليس بصفة الاجسام والاعراض.

لَمْ يُوَدِّهِ خَلْقٌ مَّا ابْتَدَأَ، وَلَا تَذِيرُ مَّا ذَرَأَ وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ
شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ، بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنٌّ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ^(١)، الْمَأْمُولُ مَعَ النَّعَمِ^(٢)،
الْمَرْهُوبُ مَعَ النَّعَمِ^(٣).

قوله عليه السلام: «لم تسبق له حالٌ حالا ... الخ».

اعلم أنَّ الحال اسم لعوارض الاجسام^(٤)، قال في الصحاح: والحالة واحدة حال
الانسان وأحواله ، انتهى.

وهذه الأحوال تكون نفسية: وهي هيئة المحل باعتبار قيام العرض به، وخارجية:
وهي ما تكون باعتبار حصول خارجيات له واقترانها به كالغنى والفقر والعزة والذل، فهي

(١) المبرم: المحتوم، واصله من «أبرمت الحبل»: إذا فتلته.

(٢) في هامش ب: السطح .

(٣) في هامش ب، وفي نسخة: المأمول مع النعم والمرهوب مع النقم.

(٤) في هـ . ص: ومما يرشد إلى أن الأحوال هي العوارض الزائلة عند الحكماء، قول ميشم بن
علي في بيان اقسام الكيف: «واما ان لا تكون استعداداً لكمالات او نقائص، بل تكون في
نفسها كمالات او نقائص، وهي مع ذلك غير محسوسات بذواتها، فما كان ثابتاً سمي ملكة
كالعلم والفقه والشجاعة، وما كان سريع الزوال سمي حالاً كغضب الحليم ومرض
المصباح»، انتهى.

دلَّ على أن الحال في عرفهم: ما لا ثبوت له من العوارض للذوات، وقد اختلف في نسبة
الأحوال إلى الباري سبحانه.

قال الشيخ محمود الملاحمي: ولم يكن للمشايخ المتقدمين كلام في ذلك حتى جاء الشيخ
أبو هاشم، قال: واعلم أنَّ الشيخ أبا هاشم وأصحابه هم المثبتون للأحوال فيثبتون له حالة
بكونه قادراً وحالة بكونه حياً وكونه موجوداً ومريداً وكارها على نحو هذه الأحوال في
الشاهد للحي القادر العالم المريد الكاره منا.

ويثبتون له تعالى حالة ذاتية غير هذه الأحوال توجب هذه الأحوال إلا كونه مريداً أو كارهها
فإنهما يجبان له لوجود ارادة وكراهة لا في محل.

والشيخ أبو علي وأبو القاسم وأصحابهما وشيوخ بغداد ينفون الاحوال.

وغيرهم من الشيوخ المتقدمين لم يجر لهم قول في إثبات الأحوال ولا نفيها، انتهى .

هيئات الاجسام وكيفياتها الحاصلة لها باعتبار غيرها.
وسميت أحوالاً لتحولها وتبدلها، ألا ترى أن العلم يكون بعد الجهل ويكون الجهل بعد العلم كما قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾^(١). ويكون القوة بعد الضعف وقد يكون الضعف بعد القوة كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْئَةً﴾^(٢).
والظهور يكون بعد البطون ويكون البطون بعد الظهور، والأحوال تكون تابعة، لقيام الأعراض بالمحال، وكذلك يكون الغنى بعد الفقر، وقد يكون الفقر بعد الغنى، ويكون العز بعد الذل، وقد يكون الذل بعد العز.

فلا بد لكلّ حال أن يكون مسبوقاً بحال، فالسبق والتعاقب من لوازم الأحوال. إذا ثبت ذلك فلنا أن نقول في تفسير كلام أمير المؤمنين عليه السلام: انه نفى عن الباري سبحانه الأحوال، فكفى بنفي لازمها - وهو السبق والتعقيب - عن نفيها.
والأحوال هي الكيفيات التي نفاها صريحاً في قوله: «كل مسمى بالوحدة غيره قليل، وكل عزيز غيره ذليل ... إلى آخر كلامه».

وكل متوقف على غيره حادث، والحوادث لا تلحق ذاته تعالى، فيعلم أن الأحوال لا تنسب إليه عزّ وعلا.

وقال في شرح ابن أبي الحديد: فأما قوله: «الذي لم يسبق له حال حالاً، فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً»، فيمكن تفسيره على وجهين:
أحدهما: أن معنى كونه أولاً: أنه لم يزل موجوداً، ولا شيء من الأشياء بموجود أصلاً؛ ومعنى كونه آخراً: أنه باقٍ لا يزال، وكل شيء من الأشياء يُعَدَمُ عدماً محضاً حسب عدمه فيما مضى، وذاته سبحانه ذات يجب لها اجتماع استحقاق هذين الاعتبارين معاً في كلّ حال، فلا حال قطّ إلا ويصدق على ذاته أنه يجب لها كونها^(٣) مستحقّة للأولية والآخرية بالاعتبار المذكور استحقاقاً ذاتياً ضرورياً، وذلك الاستحقاق ليس على وجه وصف الترتيب؛ بل مع خلاف غيره من الموجودات الجسمانية؛ فإنّ غيره مما يبقى زمانين فصاعداً، إذا نسبناه إلى ما يبقى دون زمان بقائه لم يكن استحقاقه الأولية والآخرية

(٢) الروم ٣٠ : ٥٤.

(١) النحل ١٦ : ٧٠.

(٣) في ط: يجب كونها.

بالنسبة إليه على هذا الوصف؛ بل إما يكون استحقاقاً في الجملة^(١)، بأن يكون استحقاقاً مرتباً^(٢)، فيكون إنما يصدق عليه أحدهما، لأن الآخر يصدق^(٣) عليه^(٤)، أو يكونا معاً يصدقان عليه مجتمعين غير مرتبين^(٥)؛ لكن ليس ذلك لذات الموصوف بالأولية والآخرية، بل إنما ذلك الاستحقاق لأمر خارج عن ذاته.

الوجه الثاني: أن يريد بهذا الكلام أنه تعالى لا يجوز أن يكون مورداً للصفات المتعاقبة؛ على ما يذهب إليه قوم من أهل التوحيد؛ قالوا: لأنه واجب لذاته، والواجب لذاته واجب من جميع جهاته؛ إذ لو فرضنا جواز اتصافه بأمر جديد ثبوتي أو سلبي لقلنا: إن ذاته لا تكفي في تحققه، ولو قلنا ذلك لقلنا: إن حصول ذلك الأمر، أو سلبه عنه، يتوقف على حصول أمر خارج عن ذاته؛ أو على عدم أمر خارج عن ذاته؛ فتكون ذاته لا محالة متوقفة على حضور ذلك الحصول أو السلب، والمتوقف على المتوقف على الغير، متوقف على الغير، وكل متوقف على الغير ممكن، والواجب لا يكون ممكناً^(٦).

فيكون معنى الكلام على هذا التفسير: نفى كونه تعالى ذا صفة، يكون أولاً وآخرًا، بل إنما المرجع بذلك^(٧) إلى إضافات لا وجود لها في الأعيان؛ ولا يكون ذلك من أحوال ذاته الراجعة إليها كالعالمية ونحوها؛ لأن تلك أحوال ثابتة؛ ونحن إنما ننفي عنه بهذا الحجة الأحوال المتعاقبة.

وأما قوله: «أو يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً»، فإن للباطن والظاهر تفسيراً على وجهين:

أحدهما: أنه ظاهر، بمعنى أن أدلة وجوده وأعلام ثبوته وإلهيته جلية واضحة، ومعنى

(١) في ط: بالكلية. (٢) في ط: قريباً.

(٣) في ط: لم يصدق.

(٤) في هـ. ص: لعله يريد بهذا القسم حيث نسبته إلى ما يبقى دون زمان بقائه.

(٥) في هـ. ص: لعله يريد بهذا القسم نسبته إلى ما لا بقاء له.

(٦) في هـ. ص: أقول: لا يخفى ما في هذا الاستدلال من منع صفة الادراك المتحددة الزائدة على كونه عالماً - التي قال بها أبو هاشم واتباعه -.

(٧) في هـ. ص: أي عند من يقول بها.

كونه باطناً أنه غير مدرك بالحواس الظاهرة، بل بقوة أخرى باطنة؛ وهي القوة العقلية. وثانيهما: أنا نعني بالظاهر: الغالب؛ يقال: ظهر فلانٌ على بني فلان، أي غلبهم، ومعنى الباطن: العالم، يقال: بطنت سرّ فلان، أي علمته، والقول في نفيه عنه سبحانه أن يكون ظاهراً قبل كونه باطناً؛ كالقول فيما تقدّم من نفيه عنه سبحانه كونه أولاً قبل كونه آخراً^(١). وفي شرح ميشم بن علي: أقول: إنه لما ثبت أن السبق والمقارنة والقبلية والبعديّة أمور تلحق الزمان لذاته وتلحق الزمانيات به، وثبت أنه تعالى منزّه عن الزمان، إذن من لواحق الحركة المتأخّرة عن وجود الجسم المتأخّر عن وجود الله سبحانه كما علل ذلك في موضعه، لا جرم لم تلحق ذاته المقدّسة ومالها من صفات الكمال ونعوت الجلال شيء من لواحق الزمان. فلم يجز إذن أن يقال مثلاً كونه عالماً قبل كونه قادراً وسابقاً عليه، وكونه قادراً قبل كونه عالماً، ولا كونه أولاً للعالم قبل كونه آخراً له قبليةً وسبقاً زمانياً.

بقي أن يقال: إن القبلية والبعديّة قد تطلق بمعان أخر، كالقبلية بالشرف والفضيلة والذات والعلية، وقد بيّنا في الخطبة الأولى أن كلّ ما يلحق ذاته المقدّسة من الصفات فاعتبارات ذهنيّة تحدثها العقول عند مقايسته إلى مخلوقاته، وشيء من تلك الاعتبارات لا تتفاوت أيضاً بالقبلية والبعديّة بأحد المعاني المذكورة بالنظر إلى ذاته المقدّسة، فلا يقال مثلاً: هو المستحقّ لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار أو بعده، وإلاّ لكان كمال ذاته قابلاً للزيادة والنقصان؛ بل استحقاقه بالنظر إلى ذاته لما يصحّ أن يعبرّ لها استحقاق واحد لجميعها دائماً، فلا حال يفرض إلّا وهو يستحق فيه أن يعتبر له الأوليّة والآخريّة معاً استحقاقاً أولياً ذاتياً لا على وجه الترتّب وإن تفاوتت الاعتبارات بالنظر إلى اعتبارنا، وهذا بخلاف غيره من الأمور الزمانيّة، فإن الجوهر مثلاً يصدق عليه كونه أولاً من العرض ولا يصدق عليه مع ذلك أنه آخر له حتّى لو فرضنا عدم جميع الأعراض وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين معاً بل استحقاقه لاعتبار الأوليّة متقدّم إذ كانت بعض أحواله سابقة على بعض، ولا استحقاقه لهما لذاته بل بحسب بقاء أسبابه. ولا العرض لما صدق عليه أنه بعد الجوهر يصدق عليه أنه قبله باعتباراً، وخلاف المختلفين

(١) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٥٤ و ١٥٥.

في أي الصفات أقدم؟ مبني على سوء تصوّرهم لصانعهم سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

إذا عرفت ذلك فنقول: أوّليته هو اعتبار كونه مبدأ لكلّ موجود، وآخريته هو كونه غاية لكلّ ممكن، وقد سبق معنى كونه ظاهراً وباطناً في الخطبة التي أوّلها: «الحمد لله الذي بطن خفيّات الأمور»، انتهى^(١).

قال ابن أبي الحديد: وأما قوله: «كلّ مسّى بالوحدة غير قليل»: فلأنّ الواحد أقلّ العدد؛ ومعنى كونه واحداً يباين ذلك؛ لأنّ معنى كونه واحداً إما نفي الثاني في الإلهية، أو كونه يستحيل عليها الانقسام؛ وعلى كلا التفسيرين يُسلّب عنها مفهوم القلّة. هذا، إذا فسرنا كلامه على التفسير الحقيقي، وإن فسرناه على قاعدة البلاغة وصناعة الخطابة، كان ظاهراً؛ لأنّ الناس يستحقرون القليل لقلّته، ويستعظمون الكثير لكثرتهم، قال الشاعر:

تَجَمَّعْتُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَوَجْهَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَازِلْتُمْوِ قِرْنٍ وَاحِدٍ
وأما قوله: «وكلّ عزيز غيره ذليل»:

فهو حق؛ لأنّ غيره من الملوك وإن كان عزيزاً فهو ذليل في قبضة القضاء والقدر، وهذا هو تفسير قوله: «وكلّ قوى غيره ضعيف، وكلّ مالك غيره مملوك».

وأما قوله: «وكلّ عالم غيره متعلم»:

فهو حق؛ لأنّه سبحانه مفيض العلوم على النفوس، فهو المعلم الأوّل، جلّت قدرته.

وأما قوله: «وكلّ قادر غيره يقدر ويعجز»:

فهو حق؛ لأنّه تعالى قادر لذاته، ويستحيل عليه العجز؛ وغيره قادر لأمر خارج عن ذاته، إما لقدرة كما قاله قوم، أو لبنية وتركيب كما قاله قوم آخرون، والعجز على مَنْ عداه غير ممتنع، وعليه مستحيل.

وأما قوله ﷺ: «وكلّ سميع غيره يصمّ عن لطيف الأصوات، ويصمّه كبيرها، ويذهب عنه ما بعد منها»:

(١) شرح ميشم بن علي ٢: ١٦٨ و ١٦٩.

فحق؛ لأن كلَّ ذي سَمْعٍ من الأجسام يضعف سمعه عن إدراك خَفِيِّ الأصوات، ويتأثر من شديدها وقويها؛ لأنَّه يسمع بآلة جسمانية، والآلة الجسمانية ذات قوَّة متناهية واقفة عند حدٍّ محدود، والباري تعالى بخلاف ذلك.

واعلم أنَّ أصحابنا اختلفوا في كونه تعالى مدركاً للمسموعات والمبصرات، فقال شيخنا أبو عليّ وأبو هاشم وأصحابهما: إنَّ كونه مدركاً صفة زائدة على كونه عالماً، وقالوا: إنَّا نصف الباري تعالى فيما لم يزل بأنَّه سميع بصير، ولا نصفه بأنَّه سامع مبصر، ومعنى كونه سامعاً مبصراً أنَّه مدرك للمسموعات والمبصرات.

وقال شيخنا أبو القاسم وأبو الحسين وأصحابهما: إنَّ معنى كونه تعالى مُدْرِكاً، هو أنه عالم بالمدرَكات؛ ولا صفة له زائدة على صفته بكونه عالماً؛ وهذا البحث مشروح في كتبي الكلامية كـ «تقرير الطريقين» و «شرح الغرر» وغيرهما.

أقول: وقول الشيخين أبي القاسم وأبي الحسين هو قول المتقدمين من الأئمة كافة ومن اتبعهم من المتأخرين منهم، وهو الحق، وتحقيق ما قالوه: انه يطلق على علمه بالمسموعات: سمعاً، وعلى علمه بالمبصرات: بصرأً، للتنخيص على المعلوم ما هو من أول العبارة مع فائدة الاختصار؛ لان «سمعاً» يقوم مقام «عالم بالمسموعات» و «بصرأً» يقوم مقام «عالم بالمبصرات».

وأصل إطلاق «سمع» و «بصر» على علم المسموع والمبصر في الشاهد، من باب المجاز من إطلاق السبب على المسبب؛ لأنَّ إدراك الحاسة سبب لعلم المدرك ثم اشتهر حتى صح نفي السبب مع وجوده لما لم يوجد مسببه، ومثله في القرآن كثير، وحتى صح إطلاقه على علم لا سبب له وهو علم الباري من غير قرينة، لمساواته الحقيقية في التبادر للاشتهار^(١).

وقد سبق منا تأييد لهذا القول وتزييف لقول أبي هاشم وبيان لوجه اختلاله^(٢).

وفي شرح ميثم بن علي: قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة التوحيد الآتية: «يسمع بلا

(١) في هـ. ص: كما اطلقت الرحمة على احسانه من غير قرينة.

(٢) في شرح الخطبة الاولى.

خروج وأدوات»^(١).

أي: ليس سمعه بأداة هي الأذن والصماخان كما يسمع الانسان؛ لتنزهه تعالى عن الآلات الجسمانية.

وقد كان هذا البرهان كافياً في منع إطلاق السميع عليه تعالى، لكن لما ورد الإذن الشرعي باطلاقه عليه ولم يمكن حمله على ظاهره وحقيقته، وجب صرفه إلى مجازه، وهو العلم بالمسموعات؛ إطلاقاً لاسم السبب على المسبب، إذ كان السمع من أسباب العلم، فإذا كان كونه تعالى سميعاً يعود إلى علمه بالمسموعات، انتهى^(٢).

قال في شرح ابن أبي الحديد: والقول في شرح قوله: «وكلّ باطن غيره يعنى عن خفيّ الألوان، ولطيف الأجسام»: كالقول فيما تقدّم في إدراك السمع.

وأما قوله: «وكلّ ظاهر غيره غير باطن، وكلّ باطن غيره غير ظاهر» فحق؛ لأن كلّ ظاهر غيره على التفسير الأول فليس بباطن، كالشمس والقمر وغيرهما من الألوان الظاهرة، فإنّها ليست إنّما تدرك بالقوة العقلية؛ بل بالحواس الظاهرة، وأمّا هو سبحانه فإنّه أظهر وجوداً من الشمس، لكنّ ذلك الظهور لم يمكن إدراكه بالقوى الحاسة الظاهرة، بل بأمّر آخر، إمّا خفيّ^(٣) في باطن هذا الجسد، أو مفارق ليس في الجسد ولا في جهة أخرى غير جهة الجسد.

وأما على التفسير الثاني: فلأنّ كلّ ملكٍ ظاهر على رعيته أو على خصومه وقاهر لهم، ليس بعالم ببواطنهم، وليس مطلعاً على سرائرهم، والباري تعالى بخلاف ذلك؛ وإذا فهمت شرح القضايا الأولى، فهمت شرح الثانية، وهي قوله: «وكلّ باطن غيره غير ظاهر».

[اختلاف الأقوال في خلق العالم]

فأما قوله: «لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان... إلى قوله: عباد داخرون»:

فاعلم أنّ الناس اختلفوا في حكمة خلقه تعالى للعالم ما هي؟ على أقوال^(٤)؛ وأورد

(١) وهي الخطبة (١٤٨) من خطب أمير المؤمنين في نهج البلاغة.

(٢) شرح ميشم بن علي ٤: ١٧٠. (٣) في ص: أخفي.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٨٥.

ابن أبي الحديد بعد هذا أقوال غير أهل الاسلام^(١)، ثم قال: القول الخامس: قول متكلمي الإسلام، وهو على وجوه:

أولها: قول جمهور أصحابنا: إن الله تعالى إنما خلق العالم للإحسان إليهم والإنعام على الحيوان؛ لأن خلقه حيّاً نعمة^(٢) عليه جليله، لأن حقيقة النعمة موجودة فيه، وذلك أن النعمة هي المنفعة المفعولة للإحسان، ووجود الجسم حيّاً منفعة مفعولة للإحسان.

أما بيان كون ذلك منفعة، فلأن المنفعة هي اللذة والسرور ودفع المضارّ المخوِّفة، وما أدّى إلى ذلك وصحّحه، ألا ترى أن مَنْ أشرَفَ على أن يهوي من جبل؛ فمنعه بعضُ الناس من ذلك؛ فإنه يكون منعماً عليه. ومَنْ سَرَّ غيره بأمر، وأوصل إليه لذة، يكون قد أنعم عليه، ومَنْ دفع إلى غيره ما لا يكون قد أنعم عليه، لأنه قد مكّنه بدفعه إليه من الانتفاع، وصحّحه له، ولا ريب أن وجودنا أحياء يصحّح لنا اللذات، ويمكننا منها؛ لأننا لو لم نكن أحياء لم يصحّ ذلك فينا.

قالوا: وإنما قلنا إن هذه المنفعة مفعولة للإحسان؛ لأنها إما أن تكون مفعولة لا لغرض أو لغرض.

والأول باطل؛ لأن ما يُفعل لا لغرض عبث، والباريء سبحانه لا يصحّ أن تكون أفعاله عبثاً؛ لأنه حكيم.

وأما الثاني؛ فإمّا أن يكون ذلك الغرض عائداً عليه سبحانه بنفع أو دفع ضرر، أو يعود على غيره. الأول: باطل؛ لأنه غنيّ لذاته؛ يستحيل عليه المنافع والمضارّ؛ ولا يجوز أن يفعل لمضرة يوصلها إلى غيره؛ لأنّ القصد إلى الإضرار بالحيوان من غير استحقاق ولا منفعة يوصل إليها بالمضرة قبيح، تعالى الله عنه! فثبت أنّه سبحانه إنّما خلق الحيوان لنفعه، وأما غير الحيوان فلو لم ينفعه لينفع به الحيوان، لكان خلقه عبثاً، والباريء تعالى لا يجوز عليه العبث؛ فإذا جميع ما في العالم إنما خلقه لينفع به الحيوان.

(١) كارسطاليس وقدماء الفلاسفة والمجوس والمانوية. شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٥٨ - ١٦١.

(٢) في الأصل: نعمة.

فهذا هو الكلام في علّة خلق العالم عندهم؛ وأمّا الكلام في وجه حُسن تكليف الإنسان؛ فذاك مقام آخر لسنا الآن في بيانه ولا الحاجة داعية إليه.

وثانيها: قول قوم من أصحابنا البغدايين: إنّه خلق الخلق ليظهر به لأرباب العقول صفاته الحميدة، وقدرته على كلّ ممكن، وعلمه بكلّ معلوم؛ وما يستحقّه من الثناء والحمد. قالوا: وقد ورد الخبر أنه تعالى قال: «كنتُ كنزاً لا أعرف، فأحببت أن أعرف»؛ وهذا القول ليس بعيداً^(١).

وأقول: ومذهب البغدادية هو المناسب لظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

ولقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٣). قال في الكشف: الإشارة إلى الابتلاء الذي دل عليه صدر الآية وهي قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ... الخ﴾^(٤).

هذا لفظ الكشف، أو هو معناه، ويطابقه فحوى قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٥). وغير هذه الآيات مما يكثر إيرادها.

والتحقيق عندي - والله اعلم بالصواب -: إنّ الوجه الذي أفهمته النصوص والأدلة السمعية إنّ الله خلق المكلفين ليمتنّ عليهم بنعيم الآخرة وكرامتها، ولكنها لما كانت نعمة الآخرة للتكريم لم تكن إلّا لمستأهل لها، لأنّ تكريمة من ليس بأهل للتكريم لا يحسن من الحكيم.

فأراد سبحانه أن يميّز بين المستأهل وغيره باعتبار أمره ونهيهِ وأذنه ومنعه مع قصد التفضيل في التكرمة الذي هو من الحكمة، كما دلّ عليه قول الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾^(٦).

فلم يصح أن يكون ذلك في دار التكريم؛ لأنّ المراد منها: الإنعام المجرد عن الامتحان

(١) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٦٣. (٢) الذاريات ٥١: ٥٦.

(٣) هود ١١: ١١٩. (٤) تفسير الكشاف ٢: ٤٣٨.

(٥) المؤمنون ٢٣: ١١٥. (٦) الإسراء ١٧: ٢١.

ليصفو ويلد، فلم يكن بدّ من دار للامتحان منفصلة عن دار الجزاء.

فخلق الدنيا ليخلق المكلفين فيها للابتلاء، وخلق منافعها للبلاغ والابتلاء، ومضارّها للامتحان ليظهر الصبر والشكر الذين بهما التمايز بين العباد.

وهذا المعنى هو الذي دل عليه نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، لأنّ معناه لا ابتلائهم بطلب العبادة، إذ لا انتفاع له بالعبادة، وقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢)، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٣) و ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾^(٤) و ﴿إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾^(٥)، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٦)، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ، أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٧).

فنبّه أنّ خلق الدنيا وما فيها لو لم يكن لحكمة الآخرة لكان عبثاً، ولا يصح ان يكون حكمة للآخرة الا التفضل والامتنان، وانما على العذاب فيها؛ ليفترق جزاء المسيء من جزاء المحسن، والقرآن مشحون بهذه الدلالة فتدبره واطرح اقوال الناس ترشد. وفيما ذكرناه ايضاح كون التكاليف شكراً والجزاء تفضلاً، والله أعلم.

هذا، على أنّ المختار: الوقف عن تخريج خصوصيات الحكم والاكتفاء بالقطع بان فعل الله مشتمل على الحكمة، ولا نقطع بخصوصيتها، وهو مفهوم كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة وفي خطبة التوحيد؛ لأنّه نفى ما يتوهم علّة لفعل الله، ولم يذكر علّة والله أعلم.

قوله عليه السلام: «لم يحلل في الاشياء ... إلى آخره»:

- | | |
|------------------------|----------------------|
| (١) الذاريات ٥١ : ٥٦ . | (٢) هود ١١ : ٧ . |
| (٣) الأنفال ٨ : ٦٧ . | (٤) غافر ٤٠ : ٣٩ . |
| (٥) غافر ٤٠ : ٣٩ . | (٦) الانسان ٧٦ : ٢ . |
| (٧) ص ٣٨ : ٢٧ - ٢٩ . | |

قال في شرح ابن أبي الحديد: وأما قوله: «لم يحلّ في الأشياء فيقال: ... هو فيها كائن ولا منها بائن»^(١)، فينبغي أن يحلّ على أنّه أراد أنّه لم يثنّ عن الأشياء نأياً مكانياً، فيقال: هو بائن المكان، هكذا ينبغي أن يكون مراده؛ لأنّه لا يجوز إطلاق القول بأنّه ليس بباين عن الأشياء؛ وكيف؟ والمجرّد بالضرورة بائن عن ذي الوضع؛ ولكنها بينونة بالذات لا بالجهة. والمسلمون كلّهم متفقون على أنّه تعالى يستحيل أن يحلّ في شيء إلا من اعتزى إلى الإسلام من الحلولية، كالذين قالوا بحلّوله في عليّ وولده، وكالذين قالوا بحلّوله في أشخاص يعتقدون فيها إظهاره كالحلاجية وغيرهم؛ والدليل على استحالة حلّوله سبحانه في الأجسام: أنّه لو صحّ أن يحلّ فيها لم يعقل منفرداً بنفسه أبداً؛ كما أنّ السواد لا يعقل كونه غير حالّ في الجسم؛ لأنّه لو يعقل غير حالّ في الجسم لم يكن سواداً، ولا يجوز أن يكون الله تعالى حالاً أبداً؛ ولا أن يلاقى الجسم؛ أن ذلك يستلزم قدّم الأجسام؛ وقد ثبت أنها حادثة.

فأما قوله: «لم يؤدّه خلق ما ابتدأ... إلى قوله: عمّا خلق»:

فهو حق؛ لأنّه تعالى قادر لذاته، والقادر لذاته لا يتعب ولا يعجز؛ لأنّه ليس بجسم؛ ولا قادر بقدره يقف مقدورها عند حدّ وغاية؛ بل إنما يقدر على شيء؛ لأنّه تعالى ذات مخصوصة، يجب لها أن تقدر على الممكنات؛ فيكون كلّ ممكن داخلاً تحت هذه القضية الكلية؛ والذات التي تكون هكذا لا تعجز، ولا تنفقد مقدوراتها على حدّ وغاية أصلاً؛ ويستحيل عليها التعب، لأنها ليست ذات أعضاء وأجزاء.

وأما قوله: «ولا ولجّت عليه شبهة إلى قوله: وأمر مُبرّم»:

فحق؛ لأنّه تعالى عالم لذاته؛ ونسبة تلك الذات إلى غير ذلك الشيء المشار إليه، كنسبتها إلى المشار إليه، فكانت عالمة بكلّ معلوم؛ واستحال دخول الشبهة عليها فيما يقضيه ويقدره.

وأما قوله: «المأمول مع النّقم، المرهوب مع النّعم»:

فمعنى لطيف، وإليه وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾^(١)، وقوله سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٣)، وقوله سبحانه: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٤)، انتهى^(٥).

(٢) الأعراف ٧: ٧.

(٤) النساء ٤: ١٩.

(١) الأعراف ٧: ٩٧ و ٩٨.

(٣) الشرح ٩٤: ٦٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٦٤ و ١٦٥.

ومن كلام له عليه السلام كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ^(١)، وَتَجَلَّبَّوْا السَّكِينَةَ^(٢)، وَعَظُّوا عَلَى
التَّوَاجِذِ^(٣)، فَإِنَّهُ أَنْبَى^(٤) لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ. وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ^(٥)، وَقَلِّقُوا^(٦) السُّيُوفَ فِي
أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَأَلْحَظُوا الْخَزَرَ^(٧)، وَأَطْعِنُوا الشَّرَرَ^(٨)، وَنَافِحُوا^(٩) بِالظُّبَا^(١٠)، وَصَلُّوا

(١) في هامش الف: يعني اجعلوا خشية الله شعاركم وهو اللباس الداخل الذي يمس الجسد وما فوقه الدثار ومراده امرهم بمداومة الخشية من الله كما ان الجلد يلاصق الشعار، وفي هامش ب: اي اجعلوا خشية الله شعاركم، والشعار من الثياب دون الدثار، وهو على جلد الانسان، وفي هامش الأصل: اي اجعلوا الخوف من الله شعاركم، والشعار من الثياب ما يكون دون الدثار، وهو يلي الجسد، وهو الصق ثياب الجسد، وهذه استعارة حسنة.
(٢) في هامش الف: اي اجعلوها جلباباً لكم وفي هامش ب: أي اجعلوا الوقار والحلم جلباباً. وفي هامش الأصل: اي اجعلوا السكينة والحلم والوفاق جلباباً، والجلباب: الثوب المشتمل على البدن.

(٣) في هامش الف زيادة: ولكل انسان أربع نواجد لكل شقي ناجدان والعض عليهما كناية عن الصبر. وفي هامش الأصل: جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس.

(٤) في هامش الف أي أشد تجافياً وتباعداً، من قولهم: نبا السيف، إذا لم يقطع. وفي هامش الأصل: افعل من النبؤ، وهو الارتفاع.

(٥) في هامش الأصل: اللأمة هي جميع آلة الحرب. وفي هامش ب: الدرع.

(٦) في هامش الف: وقلقلوا: اي حركوها في اغمارها كيلا تنشب فيها عند سَلِّهَا.

(٧) في هامش الف: الخزر: النظر بمؤخر العين وفي هامش ب: الخزر: نظر المغضب، في هامش الأصل: الخزر هو ان ينظر بمؤخر العين، وهو نظر المغضب.

(٨) في هامشي أ و ص: الشرر: الطعن عن اليمين والشمال، وفي هامش ب: طعن يطعن، بالظم: باللسان، وبالفتح: باللسان، والخزر والشرر صفتان للنظر.

(٩) في هامش الف: أي اضربوهم بها. وفي هامش ب: اضربوهم بها في المكافحة، وفي هامش أ و ص: المنافحة: المدافعة عند الاختلاط بحد السيف.

(١٠) في هامش ب: حد السيف.

السيوف بِالْخُطَا^(١).

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ^(٢) بِعَيْنِ اللَّهِ^(٣)، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَعَاوِدُوا الْكَرَّ، وَأَسْتَحْيُوا مِنَ
الْفَرِّ؛ فَإِنَّهُ عَارٍ فِي الْأَعْقَابِ، وَنَارُ يَوْمِ الْحِسَابِ^(٤)، وَطَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا^(٥)، وَأَمْشُوا
إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سَجْحًا^(٦)، وَعَلَيْكُمْ^(٧) بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ^(٨)، وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ^(٩)،
فَاضْرِبُوا تَبَجَّهُ^(١٠)، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ^(١١) كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ^(١٢)، وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوُثْبَةِ^(١٣) يَدًا، وَأَخَّرَ
لِلنَّكُوصِ^(١٤) رِجْلًا.

(١) في هامش الف: وصلوا السيوف بالخطي، مثل قوله:

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى اعدائنا فنضارب

اي استعملوها في كل خطوة. وفي هامش ب: يعني كان عليّ ﷺ يوماً ومعه سيف قصير
يصله بالوثر ب خطوة وخطوتين، يقال في حقه: ما أقصر حسامك وما أطول خطاك؟ والخطي
جمع خطوة. (٢) في هـ. د: وانتم - ك.

(٣) في هامش الف: اي ينظر إليكم ويشاهد اعمالكم، فلا تقصروا، بل واصلوا الكر، وفي
هامش ب: اي يراكم الله تعالى ويرى افعالكم، وفي هامش الأصل: اي يعلم عملكم.

(٤) في هامش الف: أراد أن الفرار من الزحف ذنب عظيم، وهو عند المعتزلة من الكبائر.

(٥) في هامش الأصل: طيبوا عن أنفسكم: اي هونوا الموت عليها واسمحوا بها لما لكم من
الجزاء.

(٦) في هـ. أ و ب: سهلاً، وفي هـ. د: سهلاً - م. وفي هامش الأصل: أي سهلاً، والسجوحة
السهولة. (٧) في هـ. د: عليكم - ع.

(٨) في هامش الف: السواد الاعظم: اي القوم الأكثر. وها هنا: جمهور أهل الشام. وفي هامش
ب: اي يجب عليكم ان تقتلوهم وتقتلوهم، وسواد الناس عوامهم وكل عدوكثير، والسواد:
الشخص يجوز ان يعني معاوية وحده لان الالف في ... للجنس كالدينار والدرهم.

(٩) في هامش الف: الرواق المطنَّب: مضرب معاوية، وفي هامش ب: المطنَّب المشدود
بالاطناب.

(١٠) في هامش الف: ثبج الانسان: ما بين كاهله إلى ظهره وثبج الرجل معظمه وفي هامش ب:
اي ظهره، وفي هامش الأصل: أي وسطه،

(١١) في هامش الأصل: يحتمل ان يريد نفس الشيطان وان يريد معاوية.

(١٢) في هامش الف: الكسر: جانب الخباء. وفي هامش الأصل: كسره: أي جانبه.

(١٣) في هامش الأصل: اي ان جبتتم و هنتتم.

(١٤) في هامش الف: نكص: تأخر.

فَصَمْدًا صَمْدًا^(١)! حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ^(٢) ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ^(٣) أَعْمَالَكُمْ^(٤)﴾^(٥).

قال في شرح ابن أبي الحديد: وهذا الكلام خُطِبَ به أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم الذي كانت عشيتُه ليلة الهَرِيرِ في كثير من الروايات.
وفي رواية نصر بن مزاحم^(٦) أَنَّهُ خُطِبَ به في أوَّل أيام اللقاء والحرب بصِفَيْنَ، وذلك في صفر من سنة سبع وثلاثين.

[من أخبار يوم صفين]

قال نصر: كان عليّ عليه السلام يركب بغلةً له يستلذُّها^(٧)، قبل أن يلتقي الفئتان بصِفَيْنَ، فلما حضرت الحرب وبات تلك الليلة يعبئُ الكتاب حتى أصبح قال: اتنوني بفرس، فأَتَيْ بفرس له ذَنُوبٌ أَدْهَمُ^(٨) يُقَادُ بِشَظَيْنَيْنِ^(٩)، يَبْحَثُ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ جَمِيعاً، لَهُ حَمْحَمَةٌ وَصَهِيلٌ، فركبه، وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وروى ابن أبي الحديد عن نصر بن مزاحم في هذا الموضع الدعاء الذي أورده الرضي رحمه الله في النهج وهو قوله عليه السلام: «اللهم إليك نقلت الأقدام ... الخ»، وقوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ رَبِّ

(١) في هامش ب: اي اقصدوا قصداً. وفي هامش الأصل: اي اصمدوا إليه صمداً.

(٢) في هامش الف: عمود الحق، اي سطوع نوره.

(٣) في هامش الاصل: اي ينقصكم.

(٤) في هامش الف: اي لن ينقصكم اجر اعمالكم.

(٥) اقتباس من سورة آل عمران ٣: ١٣٩.

(٦) في كتاب وقعة صفين، الصفحة ٢٥٨، وما بعدها.

(٧) وقعة صفين: «بغلا له يستلذه». (٨) الذنوب: الوافر الذنب، وأدهم: أسود.

(٩) في اللسان ١٧: ١٠٣، «الشطن: الحبل، وقيل: الحبل الطويل الشديد القتل يستقي به وتشد به الخيل ... وفي حديث البراء: وعنده فرس مربوطة بشطنين ... وإنما شده بشطنين لقوته وشدته».

هذا السقف المرفوع ... الخ» من طرق عدّة^(١)، ثم قال ابن أبي الحديد: قال نصر: وكان عليّ عليه السلام رجلاً ربّعة، أدعج العينين؛ كأنّ وجهه القمر ليلة البدر حسناً، ضخّم البطن، عريض المسرّبة^(٢)، شثن الكفين، ضخّم الكُسور^(٣)، كأنّ عنقه إبريق فضّة؛ أصلع من خلفه شعر خفيف^(٤)، لمنكبه مشاش^(٥) كمُشاش الأسد الضاري، إذا مشى تكفّأ^(٦) ومازبه جسده، ولظهره سنام كسنام الثور، لا يبين عضده من ساعده^(٧)، قد أدُمجت إدماجاً^(٨)، لم يمسك بذراع رجل قطّ إلا أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس؛ ولونه إلى سمرة ما^(٩)، وهو أذلف الأنف^(١٠)، إذا مشى إلى الحرب هرّول^(١١)، قد أیده الله تعالى في حُرُوبه بالنصر والظفر^(١٢).

ثم أورد ابن أبي الحديد بعد ذلك ما لفظه: قال نصر: وخطب عليّ عليه السلام أصحابه - فيما

(١) أقول: ما رواه ابن أبي الحديد عن نصر هو ما يلي:

قال نصر: وحدثنا عمرو بن شمر، عن جابر الجعفيّ، قال: كان عليّ عليه السلام إذا سار إلى قتال، ذكر اسم الله قبل (هـ. ط، وفي نسخة: حين) أن يركب، كان يقول: الحمد لله على نعيمه علينا وفضله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿ (الزخرف ٤٣: ١٢ و ١٤) ثم يستقبل القبلة، ويرفع يديه إلى السماء ويقول: اللهم إليك نُقِلَت الأقدام، وأُتِعِبَت الأبدان، وأُفْضِتِ القلوب، ورُفِعَت الأيدي وشَخَّصَت الأبصار ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف ٧: ٨٩)، ثم يقول: سيروا على بركة الله، ثم يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، يا الله، يا أحد، يا صمد، يا ربّ محمد، أكف عتاً بأس (هـ. ط، وفي نسخة: شر) الظالمين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: وكانت هذه الكلمات شعاره بصقّين، (شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٧٦).

(٢) المسرّبة: الشعر وسط الصدر إلى البطن. (٣) شثن: غليظ، والكسور: الأعضاء.

(٤) في وقعة صفين: «أصلع، ليس في شعره إلا خفاف من خلقه»، والحفاف، بالضم: الخفيف.

(٥) المشاش بالضم: رؤوس العظام؛ مثل المنكبين والمرفقين والركبتين.

(٦) تكفّأ: تمايل. والمور: التحرك والمجيء والذهاب.

(٧) العضد: ما بين المرفق والكتف؛ يذكر ويؤنث.

(٨) في الأصل: قد اندمجت اندماجاً. (٩) في الأصل: إلى السمرة ما.

(١٠) في وقعة صفين: «وهو إلى السمرة أذلف الأنف»، والذلف: قصر الأنف وصغره.

(١٢) (١٢) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٧٨.

(١١) في الأصل: يترّول.

حدثنا به عمر بن سعد، عن أبي يحيى، عن محمد بن طلحة، عن أبي سنان الأسلمي - قال: كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ مَتَوَكَّنًا عَلَى قَوْسِهِ، وَقَدْ جَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَهُ، فَهَمَّ يَلُونَهُ، كَأَنَّهُ أَحَبُّ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الصَّحَابَةَ مُتَوَافِرُونَ [مَعَهُ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأُثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْخِيَلَاءَ مِنَ التَّجَبُّرِ، وَإِنَّ النَّخْوَةَ مِنَ التَّكْبَرِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ، يَعِدُّكُمْ الْبَاطِلَ] ^(١)، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ، فَلَا تَنَابَذُوا وَلَا تَخَاذَلُوا، أَلَا إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسَبِيلُهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحَقٍّ، وَمَنْ فَارَقَهَا سُحِقَ، وَمَنْ تَرَكَهَا مَرَّقَ، لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالْخَائِنِ إِذَا اتَّيَمَّنَ، وَلَا بِالْمُخْلِفِ إِذَا وَعَدَ، وَلَا بِالْكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ. نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ، وَقَوْلُنَا الصَّدَقُ، وَفَعَلُنَا الْقَصْدُ ^(٢)، وَمِنَّا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَفِينَا قَادَةُ الْإِسْلَامِ، وَفِينَا حَمَلَةُ الْكِتَابِ. أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوِّهِ، وَالشَّدَةِ فِي أَمْرِهِ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَتَوْفِيرِ أَلْفِيٍّ عَلَى أَهْلِهِ ^(٣). أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ الْأُمَوِيَّ، وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ السَّهْمِيِّ، أَصْبَحَا يَحْرِضَانِ النَّاسَ عَلَى ^(٤) طَلْبِ الدِّينِ بِزَعْمِهِمَا، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَمْ أَخَالَفْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ، وَلَمْ أَعْصِهِ ^(٥) فِي أَمْرٍ، أَقْبَهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَنْكِصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتُرْعَدُ فِيهَا الْفَرَائِصُ، نَجْدَةٌ ^(٦) أَكْرَمَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَا، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَلَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَفِي حِجْرِي، وَلَقَدْ وَلَّيْتُ غَسْلَهُ بِيَدِي وَحْدِي، تَقْلَبُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مَعِي، وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا اخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ قَطُّ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلَّا ظَهَرَ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

قال أبو سنان الأسلمي: فأشهدُ لقد سمعتَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، يَقُولُ لِلنَّاسِ: أَمَّا أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ أَعْلَمَكُمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَمْ تَسْتَقِمْ عَلَيْهِ أَوَّلًا، وَأَنَّهُ لَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَيْهِ آخِرًا. قال: ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ، وَقَدْ نَدَقَتْ أَبْصَارُهُمْ فِي قِتَالِ عَدُوِّهِمْ، فَتَأَهَّبُوا وَاسْتَعَدَّوْا، ^(٧) انتهى.

(١) ما بين المعقوفتين من ط. (٢) في ه. ط، وفي نسخة: الفضل.

(٣) صفين: «لأهله».

(٤) في الأصل: أخنه.

(٥) في ط: بنجدة.

(٦) في ط: بنجدة.

(٧) شرح نهج البلاغة لأبْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٥: ١٨١ و ١٨٢.

قلت: فليت شعري هل تنبه الشارح لعموم قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما اختلفت أمة بعد نبيها ... إلى آخره»، وأنه يشمل الخلاف الواقع بين أمير المؤمنين ومن نازعه الأمر عقيب وفاة رسول الله عليه السلام بلا فصل، كما فهمه عمار رحمه الله؟ وغير بعيد ان يكون فهمه، ولكنه يحيص عن مقتضاه بتأويلاته الباطلة ليعمد مذهب أصحابه، والله أعلم.

ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار:

قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ،

قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟

قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير.

قال عليه السلام: فَهَلَا اخْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَّى بِأَنْ يُخَسَّنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ،

وَيُسَبَّحَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ؟

قَالُوا: وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟

فَقَالَ عليه السلام: لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ^(١) فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟

قَالُوا: اخْتَجَجْتُ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ ﷺ.

فَقَالَ عليه السلام: اخْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ^(٢)!

(١) في ط و هـ. د: الامامة - ح .

(٢) في هـ. ص : أقول: انه وقع خلاف في صلاة أبي بكر بالناس في مرض رسول الله ﷺ،

أكانت عن امر رسول الله ﷺ فيكون تأهيلاً للامامة الكبرى، كما روي عن عمر: «رضيك لديننا، أفلا نرضاك لدينانا» أو لم يكن عن أمره كما رواه أصحابنا واسلافنا.

واعلم أنه إذا صح ان رسول الله ﷺ أمر أبا بكر بالصلاة ثم عزله عنها فإن ذلك من أقوى الأدلة على عدم صلاحيته لخلافته، وان هذه طريقته عليه الصلاة والسلام في التنبيه بأمر من يخيل الناس فيه أمراً به ثم يصرفه عنه، لينبّه على انه لا يصلح له، وذلك كما أرسل براءة مع أبي بكر ثم صرفه عن تبليغها بعلي عليه السلام، وكما أرسل أبا بكر ثم عمر بالراية في فتح خيبر قبل علي لينبّه على أنهما لا يصلحان لما يصلح له، وكما أمرهما بقتل ذي الخويصرة المبتدع المارق فلم يقتلاه، ثم أمر علياً بقتله فلم يجده، ونحو ذلك الكثير من أفعاله وأقواله المنبهة على صلاحية علي لخلافته دون غيره، والله أعلم وأحكم.

قال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: انه كلام قد تكرر منه ﷺ أمثاله: نحو قوله: «إذا احتج عليهم المهاجرون بالقرُب من رسول الله ﷺ كانت الحجة لنا على المهاجرين بذلك قائمة؛ فإن فُلجَت حَجَّتْهم كانت لنا دونهم؛ وإلا فالأنصار على دعوتهم».

ونحو هذا المعنى قول العباس لأبي بكر: «وأما قولك: نحن شجرة رسول الله ﷺ فإنكم جيرانها؛ ونحن أغصانها»^(١).

قال ابن أبي الحديد: ونحن نذكر خبر السقيفة - ثم أورد ما وقع في السقيفة وما بعدها... إلى أن قال :-

واجتمعت بنو هاشم إلى بيت علي بن أبي طالب، معهم الزبير، وكان يعدّ نفسه رجلاً من بني هاشم؛ كان عليّ ﷺ يقول: «ما زال الزبير منّا أهل البيت؛ حتى نشأ بئوه، فصرقوه عَنّا». واجتمعت بنو أميّة إلى عثمان بن عفّان، واجتمعت بنو زُهرة إلى سعد وعبد الرحمن؛ فأقبل عمر إليهم وأبو عبيدة، فقال: مالي أراكم خلفاً^(٢)؟ قوموا فبايعوا أبا بكر؛ فقد بايع له الناس، وبايعه الأنصار. فقام عثمان ومن معه، وقام سعد وعبد الرحمن ومنّ معهما، فبايعوا أبا بكر.

وذهب عمر ومعه عَصَابَة إلى بيت فاطمة، منهم أسيد بن حُضير وسلمة بن أسلم، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا، فأبوا عليه؛ وخرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب، فوثب عليه سلمة^(٣) بن أسلم، فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، ثم انطلقوا به وبعليّ ومعهما بنو هاشم، وعليّ يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ؛ حتى انتهوا به إلى أبي بكر، فقبل له؛ بايع، فقال: أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادّة، وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتجُّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار. فأنصفونا - إن كنتم تخافون الله - من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون.

(٢) في الأصل: ملتائين.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٥.

(٣) في الأصل: سلم.

فقال عمر: إِنَّكَ لَسْتَ مَتْرُوكاً حَتَّى تَبَايَعَ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: احْلُبْ يَا عَمْرُ حَلْباً لَكَ شَطْرُهُ! اشْدُدْ لَهُ الْيَوْمَ أَمْرَهُ لِيَرُدَّ عَلَيْكَ غَدًا! أَلَا وَاللَّهِ لَا أَقْبِلُ قَوْلَكَ وَلَا أَبَايَعُهُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنْ لَمْ تَبَايَعْنِي لَمْ أَكْرِهْكَ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنَّكَ حَدِيثُ السَّنِّ، وَهَؤُلَاءِ مَشْيِخَةُ قُرَيْشٍ قَوْمُكَ، لَيْسَ لَكَ مِثْلُ تَجَرِبَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِالْأُمُورِ، وَلَا أَرَى أَبَا بَكْرٍ إِلَّا أَقْوَى عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ، وَأَشَدُّ احْتِمَالاً لَهُ؛ وَاضْطِلَاعاً بِهِ، فَسَلِّمْ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ وَارْضَ بِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ تَعَشَّ وَيَطْلُ عَمْرُكَ فَإِنَّكَ بِهَذَا الْأَمْرِ ^(١) خَلِيقٌ وَبِهِ حَقِيقٌ؛ فِي فَضْلِكَ وَقِرَائَتِكَ، وَسَابِقَتِكَ وَجِهَادِكَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، اللَّهُ اللَّهُ لَا تَخْرُجُوا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ عَنْ دَارِهِ وَبَيْتِهِ إِلَى بَيْوتِكُمْ وَدُورِكُمْ، وَلَا تَدْفَعُوا أَهْلَهُ عَنْ مَقَامِهِ فِي النَّاسِ وَحَقِّهِ؛ فَوَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، لَنُحْنُ - أَهْلَ الْبَيْتِ - أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ. مَا كَانَ فِينَا ^(٢) الْقَارِيءُ لِكِتَابِ اللَّهِ، الْفَقِيهَ فِي دِينِ اللَّهِ، الْعَالِمَ بِالسُّنَّةِ، الْمَضْطَلْعَ بِأَمْرِ الرِّعْيَةِ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَفِينَا، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى، فَتَزْدَادُوا مِنَ الْحَقِّ بَعْدًا.

فَقَالَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: لَوْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ سَمِعْتُهُ مِنْكَ الْأَنْصَارِ يَا عَلِيٌّ قَبْلَ بَيْعَتِهِمْ لِأَبِي بَكْرٍ؛ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ اثْنَانِ؛ وَلَكِنَّهُمْ قَدْ بَايَعُوا.

وَانصَرَفَ عَلِيٌّ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَلَمْ يَبَايِعْ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ، فَبَايَعَ ^(٣).
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ أَيْضاً حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، وَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَفِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوْفٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ عَلِيّاً حَمَلَ فَاطِمَةَ عَلَى حِمَارٍ، وَسَارَ بِهَا لَيْلاً إِلَى بَيْوتِ الْأَنْصَارِ؛ يَسْأَلُهُمُ النُّصْرَةَ، وَتَسْأَلُهُمْ فَاطِمَةُ الْإِتِّصَارَ لَهُ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، قَدْ مَضَتْ بَيْعَتُنَا لِهَذَا الرَّجُلِ؛ لَوْ كَانَ ابْنُ عَمِّكَ سَبَقَ إِلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ مَا عَدَلْنَا بِهِ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَكُنْتُ أَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ مَيْتاً فِي بَيْتِهِ لَا أَجْهَرُهُ، وَأَخْرَجُ إِلَى النَّاسِ أَنْ أُنَازِعَهُمْ فِي سُلْطَانِهِ!

(١) فِي ط: فَانْتَ لِهَذَا الْأَمْرِ.

(٢) فِي ط: أَمَّا كَانَ مِنَّا.

(٣) شَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٦: ١٢.

وقالت فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيهم^(١) عليه.

وقال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وحدّثنا أحمد، قال: حدّثني سعيد بن كثير، قال: حدّثني ابن لهيعة، أن رسول الله ﷺ توفي وأبو ذرّ غائب، وقدم وقد ولي أبو بكر، فقال: أصبتم قناعه، وتركتم قرابه؛ لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اتنان.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدّثنا أبو قبيصة محمد بن حرب، قال: لما توفي النبي ﷺ، وجرى في السقيفة ما جرى تمثل عليّ:

وأصبح أقوام يقولون ما اشتها
ويطغون لما غال زيداً غوائله^(٢)

قال الزبير بن بكار: فلما بُويع أبو بكر، أقبلت الجماعة التي بايعته تزفّه زفاً إلى مسجد رسول الله ﷺ، فلما كان آخر النهار، افترقوا إلى منازلهم، فاجتمع قوم من الأنصار وقوم من المهاجرين، فتعاتبوا فيما بينهم، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا معشر الأنصار، إنكم وإن كنتم أولي فضل ونصر وسابقة؛ ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا عليّ ولا أبي عبيدة.

فقال زيد بن أرقم: إنا لا ننكر فضل مَنْ ذكرت يا عبد الرحمن؛ وإنّ منّا لسيد الأنصار سعد بن عبادة، ومنّ أمر الله رسوله أن يقرئه السلام وأن يأخذ عنه القرآن أبي ابن كعب، ومن يجيء يوم القيامة إمام العلماء معاذ بن جبل، ومن أمضي رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين: خزيمة بن ثابت، وإنا لنعلم أنّ ممن سميت من قريش مَنْ لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد: عليّ بن أبي طالب^(٣).

وروى الزبير بن بكار، قال: روى محمد بن إسحاق، أنّ أبا بكر لما بُويع افتخرت ثيّم بن مرة، قال: وكان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فقال الفضل بن العباس: يا معشر قريش، وخصوصاً يا بني ثيّم؛ إنكم إنما

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٤.

(١) في ط: حسيهم.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٩ - ٢٠.

أخذتم الخلافة بالنبوة، ونحن أهلها دونكم^(١)؛ ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحنُ أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراحتهم لغيرنا، حسداً منهم لنا، وحِقْداً علينا؛ وإنا لنعلم أن عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه.

وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم، شعرا:

ما كنتُ أحسِبُ أنَّ الأمرَ منصرفٌ	عن هاشمٍ ثمَّ منها عن أبي حَسَنٍ
أليس أولَ مَنْ صليَ لقبيلتكم	وأعلمَ الناسَ بالقرآنِ والسَّنَنِ
وأقربَ الناسَ عهداً بالنبِيِّ وَمَنْ	جبريلَ عَوْنٌ له في الغسلِ والكَفَنِ
لما فيه ما فيهمُ لا يمترونَ به	وليس في القومِ ما فيه من الحسنِ
فما الذي رَدَّهُمُ عنه لنعرفه ^(٢)	ها إنَّ ذَا غَبْنُنَا من أعظم الغَبَنِ

قال الزبير: فبعث إليه عليٌّ فنهاء وأمره ألا يعود، وقال: سلامة الدين أحب إلينا من غيره^(٣).

قال الزبير بن بكار: وحدَّثنا محمد بن موسى الأنصاري المعروف بابن مخرمة، قال: حدَّثني إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، قال: لما يُوبع أبو بكر واستقرَّ أمرُهُ، نَدِمَ قوم كثير من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وذكروا عليّ ابن أبي طالب، وهتفوا باسمه؛ وإنه في داره لم يخرج إليهم^(٤).

ثم أورد ابن أبي الحديد بعد هذا عن الزبير بن بكار ما وقع بين قريش والأنصار من المقالة والخطب والاشعار في هذا الشأن، ومن جملة ذلك - وهو الذي يتعلّق به غرضنا - قول أبي سفيان بن حرب: يا معشرَ قريش، إنه ليس للأنصار أن يتفضّلوا على الناس حتى يُقرُّوا بفضلنا عليهم، فإن تفعلوا^(٥) فحسبنا حيث انتهى بها، وإلا فحسبهم حيث انتهى بهم، وإيمُ الله لئن بطروا المعيشة، وكفّروا النعمة، لنضربنَّهم على الإسلام كما ضربونا عليه^(٦)، فأما عليّ بن أبي طالب فأهل والله أن تُسوّدَه قريش^(٧)، وتطيعه الأنصار^(٨).

(١) ليس في الأصل: دونكم.

(٢) لم ترد «دونكم» في ص.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٣.

(٥) في ط: تفضّلوا.

(٦) في ط: كما ضربوا عليه.

(٧) في ط: أن يسوّد على قريش.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٤.

ثم أورد الزبير بن بكار بعد ذلك كلاماً كثيراً وشعراً صدر من الفريقين، حتى روى عن النعمان بن العجلان كلاماً وشعراً رد به على عمرو بن العاص، ومن جملة الشعر - وهو الذي يتعلق به غرضنا -:

وَقَلْتُمْ: حَرَامٌ نَصَبَ سَعْدٌ وَنَصَبَكُمْ	عَتِيقُ بْنُ عَثْمَانَ حَلَالٌ أَبَا بَكْرٍ
وَأَهْلُ أَبُو بَكْرٍ لَهَا خَيْرٌ قَائِمٌ	وَإِنْ عَلِيًّا كَانَ أُخْلِقَ بِالْأَمْرِ
وَكَانَ هَوَانًا فِي عَلِيٍّ وَإِنَّهُ	لَأَهْلٌ لَهَا يَا عَمْرُو مِنْ حَيْثُ لَا تَذَرِي
فَذَلِكَ بِعَوْنِ اللَّهِ يَدْعُو إِلَى الْهَدْيِ	وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْبَغْيِ وَالنُّكْرِ
وَصِيٍّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ	وَقَاتِلُ فِرْسَانَ الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ ^(١)

ثم روى الزبير بن بكار أن الأمر تطاول بين الفريقين وكثر المقال حتى انتهى الأمر إلى عليٍّ عليه السلام فغضب للأنصار فأتى المسجد وخطب خطبة عظم فيها الأنصار، وقال:

ألا وإن عمرو بن العاص قد قام مقاماً آذى فيه الميِّت والحي، ساء به الواتر وسرَّ به الموتور؛ فاستحق من المستمع الجواب، ومن الغائب المقت؛ وإنه مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ، فليَكْفُفْ عمرو عَنَّا نَفْسَهُ.

قال الزبير: فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص، فقالوا: أيها الرجل؛ أما إذ أغضبت علياً فاكفُفْ^(٢).

قال الزبير: وقال عليٌّ للفضل: يا فضل، انصر الأنصار بلسانك ويدك، فإنهم منك وإنك منهم، فقال الفضل: ... وأورد للفضل شعراً^(٣) ثم قال:

ودخل الفضل على عليٍّ فأسمعه شعره، ففرح به، وقال: ورَيْتُ بك زنادي يا فَضْلُ؛ أنت شاعر قريش وفتاها، فأظهر شِعْرَكَ وأبعث به إلى الأنصار؛ فلما بلغ ذلك الأنصار،

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٤، وفيه إذا غضب علي فاكف.

(٣) مطلع شعره:

إِنْ تُعَدِّ يا عَمْرُو وَاللَّهِ فَلَكُ

قَلْتُ يا عَمْرُو مَقَالًا فَاحْشَا

شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٤.

قالت: لا أحد يجيبُ إلا حَسَّانَ [الحسام؛ فبعثوا إلى حَسَّانَ] ^(١) بن ثابت، فعرضوا عليه شعر الفضل، فقال: كيف أصنع بجوابه! إن لم أتحرَّ قوافيه فضحني، فرويدا حتى أقفُو أثره في القوافي. فقال له خزيمة بن ثابت: اذكر علياً وآله يكفك عن كل شيء، فقال:

جزى الله عنا ^(٢) والجزاء بكفه	أبا حسنٍ عَنَّا، وَمَنْ كَأبي الحَسَنِ؟
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله	فصدرك مشروح، وقلبك محتج
تمنَّت رجالٌ من قريش أعزَّة	مكائك، هيهات الهُزال من السَّمن!
وأنت من الإسلام في كل موطن	بمنزلة الدُّلو البَطِين من الرَّسن
غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة	أما تبهى التقوى وأحيا بها الإحن
فكنت المرجي من لؤي بن غالب	لما كان منهم، والذي بعد لم يكن ^(٣)
حفظت رسول الله فينا وعهده	إليك ومن أولى به منك من!
ألت أخاه في الهدى ووصيه	وأعلم منهم بالكتاب وبالسُّنن
فحقك ما دامت بنجد وشيجة	عظيم علينا ثم بعد على اليمن

قال الزبير: وبعثت الأنصار بهذا الشعر إلى علي بن أبي طالب، فخرج إلى المسجد، وقال لمن به من قريش وغيرهم: يا معشر قريش، إن الله جعل الأنصار أنصاراً، فأثنى عليهم في الكتاب، فلا خير فيكم بعدهم؛ إنَّه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتَّره الإسلام، ودفعه عن الحق، وأطفأ شرفه، وفضل غيره عليه؛ يقوم مقاماً فاحشاً فيذكر الأنصار؛ فاتقوا الله وارعوا حقَّهم، فوالله لو زالوا لزلت معهم: لأنَّ رسول الله قال لهم: «أزول معكم حيثما زُلتُم»؛ فقال المسلمون جميعاً: رحمك الله يا أبا الحسن! قلت قولاً صادقاً.

قال الزبير: وترك عمرو بن العاص المدينة، وخرج عنها حتى رضى عنه علي والمهاجرون.

انتهى ما يتعلق بغرضنا من رواية الزبير بن بكار، وقد التقطته من كلام طويل نقله عنه ابن أبي الحديد ^(٤).

(١) من ط. (٢) في هامش الأصل، وفي نسخة: خيراً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٢ - ٣٤.

(١) من ط. (٢) في ط: والذي كان لم يكن.

وغيرنا بما نقلناه منه: أن يتبين للمتأمل المستبصر أن منزلة أمير المؤمنين عليه السلام كانت في نفوس الناس عظمة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وعقيب وفاته: أهل الدين تدنياً، وغيرهم مهابةً، وإن الجمهور كانوا يعتقدون أنه أهل هذا الأمر والمستحق له، وإنما نقصت منزلته بعد ذلك لتقدم غيره عليه واصطناعهم الناس بالدنيا، ولما حدث من رغبة الناس فيها، وعلموا أنه لا ينيلهم ^(١) منها إلا ما أنا لهم الحق، فكرهوا ولايته بعد ذلك وانحرف عن ولايته من كان له ولياً وفي أمره مستبصراً، ولو ولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لا نقاد له الناس أجمعون ديناً ومهابة.

وبهذا يندفع عذر من يقول: إن عذر عاقد البيعة لأبي بكر أنهم خافوا من عدم انقياد الناس له لبغضهم إيّاه، وإن كان ذلك العذر هو المصحح لإمامة المفضول، ولا يشك ذو إنصاف أن لو انقاد المهاجرون والأنصار له لا نقاد الناس أجمعون.

وقد صرح بذلك أهل البصائر من المهاجرين والأنصار. وقالوا: إنه لو تولى عليه السلام ما اختلف في هذه الأمة اثنان.

وعلم بهذا: إن بيعة السقيفة سبب كل اختلاف وفرقة إلى يوم القيامة، وإن الله لم يق شرّها ^(٢)، بل وقع من شرّها ما عناه الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٣).

ولزم من ذلك أن عاقدتها حاملوا أوزار من اقتدى بهم وسقط في الفتنة إلى يوم القيامة. وعلم أنهم المعنيون بقول أبي بن كعب: «هلك أهل العقد، هلك أهل العقد، والله ما آسى عليهم ولكن على من يضلّون».

وأنهم المعنيون بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً كنت أولى به من غيري» ^(٤).

(١) أي لا يعطيهم، من المناولة وهي: الاعطاء.

(٢) تعريض بما قاله عمر من أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها.

(٤) نهج البلاغة الخطبة: ١٧٣.

(٣) النور ٢٤: ٦٣.

وفي بعضها: «منعوني ميراثي من ابن أُمِّي»^(١).

وغير ذلك من قوله ﷺ، كقوله: «حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الاعقاب ... إلى آخر كلامه»^(٢).

وتبيّن ضعف قول ابن أبي الحديد: أن المعنيّ به معاوية وعمرو وأتباعهما، وأنهم نقلوا البناء وقت موت رسول الله ﷺ.

فإنّ المنصف يعلم انه لم يكن لمعاوية ولا لعمر وولا لغيرهما من مسلمة الفتح^(٣) أثر ولا نيّة في صرف الأمر عن عليّ ﷺ، بل كان مصير الأمر إليه احب إليهم - أنفةً وحمية - من ولاية أبي بكر كما تدل عليه الروايات.

هذا، وأعلم أنا وإن تكلمنا في هذه المسألة بما يحقّق النص ويوضّح عظم الخطر في مخالفته فإنّا لا نرتضي لأنفسنا مذهباً: شتم أعراض الصحابة الذين اختصوا برسول الله ﷺ واستقاموا في حياته وخالفوه بعد وفاته، ولا البراءة منهم، بل نختار مذهب جمهور قدوتنا من ائمة أهل البيت^(٤) ونجومهم وهو الاحترام لأعراضهم، والتوقف في حكمهم مع التوجّع من فعلهم، فإنّ طريقتهم في ذلك كما قال الهادي: وأما كبار الصحابة الذي تصدّروا للامامة ونهضوا بالخلافة فلا أغض نفوسهم ولا أقابل بالشتم أعراضهم. بل أجد موجدة الزاري عليهم؛ لتمسّكهم بالمحتملات، وتعلّقهم بالمتأولات، وأكل أمرهم إلى الله تعالى، كما قال القاسم بن إبراهيم: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ...» الآية^(٥)، انتهى. وكما قال المنصور بالله عبد الله بن حمزة^(٦) - في بعض مواضع الشافي -: وأما بغضة أبي بكر وعمر،

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٣٦، وفيه: وسلبوني سلطان ابن أُمِّي.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٠.

(٣) أي الذين اسلموا في فتح مكة، ومنهم أبو سفيان ومعاوية.

(٤) يعني أئمة الزيدية فقط، ولهم عقائدهم الخاصة بهم، وإلا فمن يشك في كفر من ارتدّ على الأعقاب بعد رسول الله ﷺ وخالف نص الرسول ﷺ، وقلّب أحكام الإسلام وابتدع فيها، وقتل المسلمين، ونفاهم، وشرّدهم، ودمّر عليهم، حتى يشك في اللعنة عليهم والبراءة منهم ومن أفعالهم، كيف ولا يقتدي بالمعصومين من أهل البيت وسيدهم أمير المؤمنين الذي كان يلعنهم في كل صلاة يصلّيها.

(٥) البقرة ٢: ١٣٤ و ١٤١.

(٦) توفي سنة ٦١٤ هـ.

فما أبغضناهما ابتداءً، بل احببناهما ورضينا عليهما^(١) وعرفنا سبقهما، لكن قد فعلا ما خمش في وجه تلك الحسنات، ولا تقطع - بعد مافعلا - على بقاء ثواب مافعلا، ولا على فواته بما ارتكبا وإن طمّ، بل يسعنا ان نجعل الأمر إلى متوكله ولا نبقيهما على الأصل فنكون بذلك معتقدين لاستحقاقهما لمقام ليسا له بأهل، ولا تقطع بيقين وظن على ان ما فعلا مهلك لهما ومحبط لحسناتهما، وموجب لسبتهما، ودخولهما به النار. بل نتوقف عند هذه الأخطار عملاً بما جاء عن النبي المختار، إذ قال فيما صح من الاخبار: «أيها الناس ان الاشياء ثلاثة ... إلى آخر الحديث»، وهذا الأمر مما وقع فيه الاشتباه: لأنه لا يعلم مقدراً ما يستحقه المكلف على طاعته ومعاصيه إلا الله سبحانه وتعالى، انتهى من الشافي^(٢). وكرر هذا المعنى في مواضع منه كثيرة.

ونحن إنما اخترنا الوقف في حكمهم؛ لأننا وجدنا الأدلة القطعية دلّت على إحباط السيئات للحسنات، وعلى تكفير الحسنات للسيئات، ودلّت على أن عظم الطاعة وكبر المعصية لوقوعهما على وجوه استأثر الله تعالى بعلمها كما قال تعالى: ﴿أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣) وكما قال تعالى: ﴿وَيَعْفُو مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤)، فلا سبيل إلى القطع بواحد بالنظر^(٥)، والله أعلم.

قال ابن أبي الحديد: قال أبو بكر الجوهري: وروى أبو زيد، عن حباب بن يزيد، عن

(١) في هـ ص ما يلي: اعرف يا سبحان الله لهذا الراقم لللفظ، اعرف كأنه مبهم من كلام المنصور بالله انه يقول بالترضية على المشايخ، وهذا عدم تأمل للخطاب، فانه قيّد ذلك بقوله: ابتداءً، أي قبل ان يجري منهما ما جرى إلى أمير المؤمنين، ثم بعد ذلك توقف في حقهما [فانه] ظاهر بعد ذلك بسطر أو سطرين. فان قوله: «بل يسعنا ان نجعل الأمر إلى متوكله، ولا نبقيهما على الأصل»، ظاهر في عدم الترضية، وكان يسعه ان يترك التنبيه ويعتقده اعتقاداً باطلاً.

(٢) في جزئين، مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء مؤرخة ربيع الأول ١٠٧٥ تحت الرقم ٩٠ (مجاميع).

(٣) الحجرات ٤٩: ٢.

(٤) النساء ٤: ٤٨.

(٥) في هـ ص: اعرف أنه اختار التوقف، وقيل: انه يتبني على مسألة الموازنة، كيف يقول هذا الراقم لهذه الأحرف أنه مبني على الموازنة، والمصرّح في متن الكتاب أنه لا يعتبر بها، بل يقول بالإحباط والتكفير، وإن كان التوقف فتوقف على من قال باحدهما، والمراد ان نسبته قادتهم ان الوالد يحيى رحمه الله كان يقول بها، فإنه كان يرجّح ما قاله أبو علي من الإحباط والتكفير، لا الموازنة كما يقوله أبو هاشم، فلا تخبط خبط عشواء.

جرير، عن المغيرة أن سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبایعوا علياً بعد النبي ﷺ، فلما بويج أبو بكر، قال سلمان للصحابه: أصبتم الحفرة^(١) ولكن أخطأتم المعدن. قال: وفي رواية أخرى: أصبتم ذا السن منكم، ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم. أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم^(٢) اثنان ولا أكلتموها رَغداً.

قال ابن أبي الحديد: قلت: وهذا هو الخبر الذي رواه المتكلمون في باب الإمامة عن سلمان، أنه قال: «كرديد و نكرديد»، تفسره الشيعة، فتقول: أراد أسلمتم وما أسلمتم، ويفسره أصحابنا فيقولون معناه: أخطأتم وأصبتم.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا غسان ابن عبد الحميد، قال: لما أكثر في تخلف علي عن البيعة، واشتد أبو بكر وعمر في ذلك، خرجت أم مسطح بن أثاثة، فوقفت عند قبر النبي ﷺ ونادته: يا رسول الله

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَبْتُهُ^(٣) لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُنْ الْخَطْبُ

إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدْ الْأَرْضُ وَابِلَهَا وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ، فَاشْهَدْهُمْ وَلَا تَغِبْ^(٤)

قال: أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وسمعت أبا زيد عمر بن شبة، يحدث رجلاً يحدث لم أحفظ إسناده، قال: مرَّ المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر، وهما جالسان على باب النبي حين قبض، فقال: ما يقعد كما؟ قال: تنتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه - يعنيان علياً -، فقال: أتريدون أن تنظروا حبل الحبل^(٥) من أهل هذا البيت! وسعوها في قريش تنسع.

قال: فقاما إلى سقيفة بني ساعدة، أو كلاماً هذا معناه.

قال: وحدثني علي بن محمد بن سليمان التوفلي، قال: سمعتُ أُمِّيَا^(٦) يقول: ذكر سعد بن عبادَةَ يوماً علياً بعد يوم السقيفة، فذكر أمراً من أمره نسيه أبو الحسن، يوجب ولايته،

(١) في ط: الخير. (٢) في ط: فيكم.

(٣) في ط هينمة، والهنيمة: الصوت الخفي. وفي اللسان - ونسب البيت إلى السيدة فاطمة الزهراء ﷺ: «وهنية» والهنينة: الاختلاط في القول.

(٤) في هامش الأصل، وفي نسخة: فاشهدهم فقد نكبوا.

(٥) الحبل في الأصل: الكرّم؛ قيل: معناه حمل الكرمة قبل أن تبلغ؛ ولعله كناية عن صغر سن علي.

(٦) في الأصل: سمعت أبي.

فقال له ابنه قيس بن سعد: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب، ثم تطلب الخلافة، ويقول أصحابك منّا أمير ومنكم أمير؟! لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة أبداً.

قال أبو بكر: وحدّثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني شريك ابن عبد الله، عن إسماعيل بن خالد^(١)، عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال علي: كنت ابائع الأنصار^(٢) لرسول الله ﷺ على السمع الطاعة له في المحبوب والمكروه، فلما عزّ الإسلام، وكثّر أهله، قال: يا علي: زد فيها: «وعلى أن تمنعوا رسول الله وأهل بيته مما تمنعون منه أنفسكم وذرائعكم»، قال: فحملها على ظهور القوم، فوفى بها من وفى، وهلك من هلك.

قال ابن أبي الحديد: قلت هذا يطابق ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب «مقاتل الطالبين»: أن جعفر بن محمد^(٣) وقف مستترا في خفية، يشاهد المحامل التي حُمِل عليها عبد الله بن الحسن وأهله في القيود والحديد من المدينة إلى العراق، فلما مرّوا به بكى، وقال: ما وفّت الأنصار ولا أبناء الأنصار لرسول الله ﷺ، بايعهم على أن يمنعوا محمداً وأبناءه وأهله وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم وأهلهم وذرائعهم فلم يفوا. اللهم اشدّد وطأتك على الأنصار.

قال أبو بكر: وحدّثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد، قال: حدّثنا أحمد بن الحكم، قال: حدّثنا عبد الله بن وهب، عن ليث بن سعد، قال: تخلّف علي عن بيعة أبي بكر، فأخرج مُلَبِّباً^(٣) يُمَضَى به رَكْضاً^(٤)؛ وهو يقول: معاشر المسلمين، علام تُضرب عنق رجل من المسلمين لم يتخلّف لخلاف، وإنما تخلّف لحاجة! فما مرّ بمجلس من المجالس إلا يقال له: انطلق فبايع.

(١) في ص: إسماعيل بن أبي خالد، وفي هـ. ص: إسماعيل عن أبي خالد، وما أثبتناه من «ط».

(٢) في ط: «كنت مع الأنصار» والتحريف فيه واضح بملاحظة سياق العبارة.

(٣) يقال: لبب فلان فلاناً: أخذ بتلبيبه، أي جمع ثيابه عند صدره ونحره ثم جرّه.

(٤) في ص: رَكْضاً.

قال أبو بكر: وحدثنا علي بن جرير الطائي، قال: حدثنا ابن فضل، عن الأجلح، عن حبيب عن ثعلبة^(١) بن يزيد، قال: سمعت علياً يقول: أما ورب السماء والأرض - ثلاثاً - إنه لعهد النبي الأمي إلي: «لتغدرن بك الأمة من بعدي».

قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة، بإسناد رفعه إلى ابن عباس، قال: إنني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة، يده في يدي، فقال: يا ابن عباس، ما أظن صاحبك إلا مظلوماً، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين، فاردد إليه ظلامته. فانتزع يده من يدي، ثم مر بهم ساعة ثم وقف، فلحقته فقال لي: يا ابن عباس، ما أظن القوم منهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه، فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى، فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر.

قال أبو بكر: وحدثني أبو زيد عمر بن شبة، عن رجاله، قال: جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم. فخرج إليه الزبير مصلتا بالسيف، فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فنذر^(٢) السيف من يده، فضرب به عمر الحجر فكسره، ثم أخرجهم بتلايبيهم يساقون سوقاً عنيفاً حتى بايعوا أبا بكر.

قال أبو بكر: وأخبرني أبو بكر الباهلي، عن إسماعيل بن مجالد، عن الشعبي، قال: قال أبو بكر: يا عمر، أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا، فقال: انطلقا إليهما - يعني علياً والزبير - فأتياني بهما، فانطلقا، فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: أعدته لأبايع علياً، قال: وكان في البيت ناس كثير: منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميين، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه ثم دفعه فأخرجه، وقال: يا خالد، دونك هذا، فأمسكه خالد - وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس، أرسلهم أبو بكر رداءً لهما.

ثم دخل عمر فقال لعلي: قم فبايع، فتلكأ واحتبس^(٣)، فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير، ثم أمسكهما خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً،

(٢) نذر: سقط.

(١) في ط: حبيب بن ثعلبة.

(٣) احتبس: توقف.

واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة ما صنع عمر فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن؛ فخرجت إلى باب حجرتها، ونادت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرثتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلم عمر^(١) حتى ألقى الله.

قال: فلما بايع عليّ والزبير؛ وهذأت تلك الفؤرة، مشي إليها أبو بكر بعد ذلك فشفع لعمر، وطلب إليها فرضيت عنه^(٢).

قال أبو بكر: وحدثني المؤمل بن جعفر، قال: حدثني محمد بن ميمون، قال: حدثني داود بن المبارك، قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ونحن راجعون من الحجّ في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سألته، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: أجيبك بما أجاب به جدّي عبد الله بن الحسن، فإنه سئل عنهما، فقال: كانت أمنا صديقة ابنة نبيّ مرسل، وماتت وهي غضبي على قوم، فنحن غضاب لغضبها.

قلت: قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز؛ أنشدني النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلويّ، قال: أنشدني هذا الشاعر لنفسه - وذهب عني أنا اسمه^(٣) - قال:

يا أبا حفص الهويّني وما كنت ملياً بذلك لولا الحمام

أتموت البتول غضبي ونرضي ما كذا يصنع البنون الكرام^(٤)

قال ابن أبي الحديد: والصحيح عندي أنّها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وأنها أوصت ألاّ يصلّي عليها؛ وذلك عند أصحابنا من الأمور^(٥) المغفورة لهما. وكان

(١) في الأصل: اكلمه .

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد، ولكن الثابت من مسانيد الجماعة أنفسهم أنّها لم ترض عنهم وماتت واجدة على أبي بكر، كما رواه أحمد بن حنبل .

(٣) في هـ . ص: يروى هذا الشعر الامير السيد علي بن عيسى بن حمزة بن غانم الزيدي، الذي ذكره الزمخشري في خطبة الكشف ومدحه بالنظم والنشر.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٤٩ . (٥) في الأصل: من الاهواء .

الأولى بهما إكرامها واحترام منزلها لكنهما خافا الفرقة، وأشفقا من الفتنة، ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما؛ وكانا من الدّين وقوة اليقين بمكان مكين، [لا شك في ذلك، والأمور الماضية يتعذر الوقوف على عللها وأسبابها، ولا يعلم حقائقها إلا من قد شاهدها ولا بسها] بل لعل الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الأمر؛ فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى؛ والله وليّ المغفرة والعفو؛ فإنّ هذا لو ثبت أنّه خطأ لم يكن كبيرة، بل كان من باب الصغائر التي لا تقتضي التبرّي، ولا توجب زوال التولّي^(١).

انتهى كلامه، وعينه فرارة في تكلّفه وتعسّفه وقطعه بما لا طريق له إلى العلم به، ومبناه على حسن اعتقاده في القوم، واطراح حقائق الأمور ومقتضيات الأدلّة.

وليت شعري، كيف خفي على أمير المؤمنين وجميع بني هاشم وخيار المهاجرين والأنصار مصلحة علمها أبوبكر وعمر، وما منعهما أن يقولوا لعلي وقت المجادلة: إنّنا خشينا من مبايعتك الفرقة وانتشار الفتنة، ولم يحتج عمر في سائر عمره إلى تطلّب اعداء مفتراه ينتقص بها أمير المؤمنين ويظهر بها أنه ليس بأهل لما رشّحه النبي ﷺ كقوله: «فيه دعابة»^(٢)، «فيه زهو» «حديث السن» «يحب بني عبد المطلب»^(٣) «أغضب رسول الله بخطبة بنت أبي جهل»^(٤).

ثم ليت شعري من أين عرف الشارح أنّ ذنبهما صغيرة مغفورة، مع أنّه سبب كل فتنة في الأمّة إلى يوم القيامة.

وإذا كنا متفقين نحن والشارح، بل وجميع الامّة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يغضب لغضب فاطمة»^(٥)، أو قال ما في معناه حيث قال - فيما يروونه من خطبة بنت أبي جهل - «إنّ فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها»^(٦).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٥٠ .

(٢) قاله عمرو بن العاص، وقد ذكره أمير المؤمنين، وذكر مقالته وردّها في الخطبة ٨١ فراجع.

(٣) وسيأتي من كلام المصنف على ما يدل أن عمر صرح بهذا لابن عباس في حديث مسند.

(٤) في قصة مفتعلة اختلقها الكرايسي، وقد تكلمنا حولها في هامش كتاب الذرية الطاهرة للدولابي، فراجع.

(٥) مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٣، كنز العمال ٣٧٧٢٥.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٣٢٦، كنز العمال ٣٤٢١٢ و ٣٤٢١٥ و ٣٤٢٤٢.

وثبت باعتراف السّارح وتظافر الروايات انها ماتت غاضبة عليهما، فقد ثبت^(١) غضب الله ورسوله عليهما، فمن أين الطريق إلى حصول رضاها لو يسلك القوم طريق الانصاف؟!

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدّثنا محمد بن حاتم، عن رجاله عن ابن عباس [قال: مرّ عمر بعلي وأنا معه بفناء داره، فسلم عليه، فقال له علي: أين تريد؟ قال: البقيع. قال أفلا تصل صاحبك ويقوم معك، قال: بلى. فقال لي علي: قم معه. فقمتم]^(٢) فمشيت إلى جانبه، فشبك أصابعه في أصابعي ومشينا قليلاً، حتى إذا خلفنا البقيع، قال لي: يا ابن عباس اما والله ان صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله، إلا أنا خفناه على اثنين، قال ابن عباس: فجاء بكلام لم أجد بداً من مسألته عنه، فقلت: ما هما يا أمير المؤمنين؟ قال: خِفْنَاهُ عَلَى حَدَاثَةِ سَنَةٍ، وَحَبَّةِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

قال أبو بكر: وحدّثنا الحسن بن الربيع، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عليّ ابن عبد الله بن العباس عن أبيه، قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة، وفي البيت رجالٌ فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول الله ﷺ: «أتتوني بدواةٍ وصحيفة، أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي»، فقال عمر كلمة معناها^(٣): أَنْ الْوَجَعَ قَدْ غَلَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثم قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله؛ فاختلف مَنْ فِي الْبَيْتِ واختصموا، فمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ: الْقَوْلُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ: الْقَوْلُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْطَ وَاللَّغْوَ والاختلاف، غضب رسول الله، فقال: «قوموا؛ إنه لا ينبغي لنبيٍّ أَنْ يُخْتَلَفَ عنده هكذا»، فقاموا، فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم؛ فكان ابن عباس يقول: إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ كِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يعني الاختلاف واللّغط.

قال ابن أبي الحديد: قلت: هذا الحديث قد خرّجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحيهما^(٤)، واتفق المحدثون كافة على

(١) في هامش الأصل: في نسخة: فقد لزم.

(٢) ما بين المعقوفتين من شرح ابن أبي الحديد ٦: ٥٠.

(٣) في هامش الأصل: ان الرجل ليهجر. (٤) صحيح مسلم: ١٢٥٩.

روايته^(١).

قال أبو بكر: وحدّثنا أحمد [بن إسحاق بن صالح، عن أحمد]^(٢) بن سيار، عن سعيد بن كثير الأنصاري [عن رجاله]^(٣) عن عبد الله بن عبد الرحمن، أن رسول الله ﷺ في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار؛ منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير، وأمره أن يُغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين. فتناقل أسامة وتناقل الجيش بتناقله، وجعل رسول الله ﷺ في مرضه يؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث؛ حتى قال: «انفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عنه» ويكرر ذلك، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٤).

والحديث عن أنباء السقيفة طويل، وفي هذا القدر الذي نقلناه عبرة للمستبصر، والله الهادي والعاصم والراحم.

(٢) و (٤) من ط .

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٥١ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٥٢ .

ومن كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فمُلكت عليه وقُتل:
 وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّةَ مِصْرَ هَاشِمِ بْنِ عُثْبَةَ^(١)؛ وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعُرْصَةَ^(٢)، وَلَا
 أَنْهَزَهُمْ^(٣) الْفُرْصَةَ، بِلَا ذِمٍّ لِمَحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا، وَكَانَ لِي رَبِيبًا^(٤).

(١) في هـ ص : هاشم بن عتبة هو المرقال، سمي مرقالاً لأنه كان يرقل في الحرب إرقال الجمال البزل، وكان من شيعة علي عليه السلام وخلصائه وقتل بصفين عليه السلام قبل مقتل محمد بن أبي بكر عليه السلام فهذا اخبار من أمير المؤمنين عن ارادته حين ولي محمد بن أبي بكر وذلك قبل صفين وربما يؤخذ من هذا الكلام دليل على الاجل المشروط، فقتل هاشم مشروط بحضوره في صفين وبقائه وردّه لأصحاب معاوية مشروط بحضوره مصر، والله أعلم.

(٢) في هامش ب: أي لم يخل وأصحابه عرصة مصر، يقول هذا لأنّ محمداً ترك عرصة مصر وهرب. وفي هامش الأصل: العرصة أي عرصة مصر؛ لأن محمداً لما غلب فرّ.

(٣) في هامش الأصل: أي لما جعلهم منتهزين للفرصة، يصفه بالحزم الشجاعة، وفي هامش ب: أي لا اعطاهم.

(٤) في هامش الف: كانت أم محمد بن أبي بكر، اسماء بنت عميس، تحت جعفر بن أبي طالب، وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبدالله بن جعفر الجواد، ثم قتل يوم موته فتزوجها أبوبكر الصديق فأولدها محمداً، ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب، فكان محمد ربيبه وجارياً عنده مجرى أولاده، فلم يعرف أباه إلاً علياً حتى كان يقول: محمد ابني من صلب أبي بكر، وفي هامش ب: والدة محمد بن أبي بكر اسماء بنت عميس، فلما قتل جعفر بن أبي طالب تزوجها [أبوبكر، فأولدها محمداً، فلما مات تزوجها] علي بن أبي طالب [وصار محمد له] ربيباً.

ومن كلام له ﷺ في ذم أصحابه:

كَمْ أَذَارِيكُمْ^(١) كَمَا تُدَارِي الْبِكَارَ^(٢) الْعِمْدَةَ^(٣)، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ^(٤)، كُلَّمَا حِيصَتْ^(٥)
مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ^(٦) مِنْ آخَرٍ، كُلَّمَا أَظَلَّ^(٧) عَلَيْكُمْ مِئْسَرٌ^(٨) مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ
رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَأَنْجَحَرَ^(٩) أَنْجَحَارَ الضَّبَّةِ^(١٠) فِي جُحْرِهَا، وَالضُّبُعِ فِي وَجَارِهَا^(١١).
الدَّلِيلُ - وَاللَّهُ - مَنْ نَصَرْتُمُوهُ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ^(١٢) نَاصِلٍ^(١٣).

(١) المداراة بالهمزة: المدافعة، وبغير الهمزة: الملاينة.

(٢) في هامش الأصل والـ ف وب: جمع بكر، وهو الفتى من الإبل، وفي هامش ب: الجمل.

(٣) في هامش الأصل: العمدة جمع عميد، وهو الذي تشدّخ سنامه من داخله وظاهره صحيح،
وفي هامش الف: عمد البعير: إذا انتفخ داخل سنامه من الركوب وظاهره صحيح، وهو ذو
عمد.

(٤) في هامش الف: تداعت الحيطان للخراب: إذا خرب بعضها فدعا الآخر إلى مثل حاله،

وفي هامش ب: الثياب المتداعية: الخلق، كأن بعضها يدعو بعضها للانخراق إذا مس باليد.

(٥) في هامش الأصل: أي رقعت، والحيص: الخياطة، وفي هامش الف وب: أي خيطة.

(٦) في هامش ب: انخرقت.

(٧) في الف و ط ود: أطل. وفي هامش الأصل: روي بالمعجمة وبالمهملة، والمعنى: أشرف.

(٨) في هامش الأصل: بفتح الميم وكسر السين، وبكسر الميم وفتح السين: سرية، وفي هامش

الف: جماعة. وفي هامش ب: قطعة من الجيش، المقدم.

(٩) في هامش ب: دخل.

(١٠) في هامش الف: إنما أوقع التشبيه على الضبة مبالغة في وصفهم بالجبن: لأنّ الأنثى أذلّ من

الذكر. (١١) في هامش ب: موضعها.

(١٢) في هامش الف: الأفوق: السهم إذا انكسر فوقه، وفي هامش الأصل: أي مكسور فوقه وهو

موضع الوتر من السهم، وفي هامش الف: مثله بزيادة: وهذا مثل يضرب لمن استنجد بمن لا
ينجد.

(١٣) في هامش ب: إذا الفى نصله، وفي هامش الأصل: أي سقط نصله.

إِنَّكُمْ وَاللَّهُ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ^(١)، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّاياتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ
 أَوْدَكُمْ^(٢)، وَلِكِنِّي وَاللَّهُ لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي.
 أَضْرَعُ^(٣) اللَّهُ خُدُودَكُمْ^(٤)، وَأَتَعَسَّ^(٥) جُدُودَكُمْ^(٦)، لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَا تَعْرِفَتُمْ الْبَاطِلَ،
 وَلَا تَبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَمَا يَبْطُلُكُمْ الْحَقُّ!

-
- (١) في هامش الف: الباحة: ساحة الدار، وفي هامش ب: العرصات.
 (٢) في هامش الف: معناه: لا يصلحكم إلا السياسة بالسيف، وأنا لا أرى ذلك، وفي هامش
 الأصل: أي اعوجاجكم.
 (٣) في هامش ب: أي ذلل، وفي هامش الأصل: أي أذل.
 (٤) أي أذل الله وجوهكم.
 (٥) في هامش الف: أي أهلك حظوظكم، يريد جعل شعوركم ادباراً، وفي هامش ب: التمس
 الهلاك، وأصله النكب، وهو ضد الانتعاش [والمعنى]: ألزمه هلاكاً.
 (٦) في هامش ب: جمع جد، وهو البخت.

وقال ﷺ في سحرة^(١) اليوم الذي ضرب فيه:

مَلَكْتَنِي عَيْنِي^(٢) وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ^(٣) لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أَمَّتِكَ^(٤) مِنَ الْأَوْدِ^(٥) وَاللَّدِ^(٦)! فَقَالَ: آدُعُ عَلَيْهِمْ، فَقُلْتُ: أَبَدَلَنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ^(٧)، وَأَبَدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي.

(قال الرضي رحمه الله)^(٨):

وَيَعْنِي^(٩) بِالْأَوْدِ الْإِعْجَاجَ، وَبِاللَّدِ الْخِصَامَ، وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ.

أورد ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام ما رسمه: قال أبو الفرج^(١٠): وحدثني أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناد ذكره في الكتاب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: قال لي الحسن بن علي ﷺ: خرجتُ وأبي نصلي^(١١) في المسجد، فقال لي: يا بني إني بت الليلة أوقظ أهلي، لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بذر لتسع^(١٢) عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، فملكتنِي عينا، فسَنَحَ لي رسول الله ﷺ، فَقُلْتُ: يا رسول الله! ماذا لقيتُ من

(١) في هامش ب: وقت سحر اليوم الذي قتل فيه.

(٢) في هامش الف: أي غلبني النوم. وفي هامش ب: نامت عيني.

(٣) في هامش الأصل والف: أي مرّ مسرعاً كما يمر الطير، وفي هامش ب: سَنَحَ: اعترض، وسَنَحَ: مرّ من ميامنك إلى ميسارك.

(٤) في هامش الف: عنى بهم الخوارج وما جرى معهم بالنهر وان.

(٥) في هامش الأصل: الاعوجاج.

(٦) في هامش الأصل: الخصومة، وفي هامش ب: الداهية، يريد أي شرّ لقيت، على معنى التعجب، كقوله: يا جارتا ما أنت جار. (٧) في الف وب ود: خيراً لي منهم.

(٨) لم ترد «قال الرضي... إلى من أفصح الكلام» في أ وب، ولم ترد عبارة «قال الرضي رحمه

الله» في ص ود. (٩) في ص: يعني.

(١٠) في هامش الأصل: هو الاصفهاني. (١١) في ط: يصلي.

(١٢) في الأصل: لسبع.

امتك من الأود^(١) واللدد! فقال لي: أدع عليهم؛ فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني.

قال الحسن عليه السلام: وجاء ابنُ التياح^(٢)، فأذنه بالصلاة؛ فخرج فخرجت خلفه، فاعتوره الرجلان، فأما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق، وأما الآخر فأثبتها في رأسه.

قال أبو الفرج: قال: حدّثني أحمد بن عيسى، قال حدّثنا الحسين بن نصر، قال: حدّثنا زيد بن المعدّل، عن يحيى بن شعيب^(٣)، عن أبي مخنف، عن فضيل بن خديج^(٤)، عن الأسود الكندي والأجلح: قالوا: توفّي عليّ عليه السلام وهو ان أربع وستين سنة، في عام أربعين من الهجرة، ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان، ووليّ غسله ابنه الحسن وعبدالله^(٥) بن العباس، وكفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلى عليه ابنه الحسن، فكبر عليه خمس تكبيرات، ودُفن بالرّحبة، مما يلي أبواب كِنْدَةَ عند صلاة الصبح، هذه رواية أبي مخنف.

قال أبو الفرج: وحدّثني أحمد بن سعيد، قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العلويّ، قال: حدّثنا يعقوب بن زيد، عن ابن^(٦) أبي عمير، عن الحسن^(٧) بن عليّ الخلال، عن جدّه، قال: قلت للحسين بن عليّ عليه السلام: أين دفنتم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس، ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغريّ.

قلت: وهذه الرواية هي الحقّ وعليها العمل؛ وقد قلنا فيما تقدّم أن أبناء الناس أعرّف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب؛ وهذا القبر الذي بالغريّ، هو الذي كان بنو عليّ عليه السلام يزورونه قديماً وحديثاً؛ ويقولون: هذا قبر أبينا - لا يشكّ أحد في ذلك من الشيعة، ولا من غيرهم - أعني بني عليّ عليه السلام من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته، المتقدمين منهم والمتأخرين، مازاروا ولا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه، انتهى ما أورده ابن أبي الحديد^(٨).

(١) في مقاتل الطالبين: قال أبو الفرج: الأود: العوج، واللدد: الخصومات.

(٢) في ط: ابن أبي الساج. (٣) في الأصل: سعيد.

(٤) في الأصل: جريح. (٥) في هامش الأصل: عبيدالله.

(٦) لم ترد «ابن» في ص. (٧) في الأصل: عن الحسين.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٢١ - ١٢٢.

قلت: يمكن الجمع بأنه قبر أولاً بالرحبة ظاهراً، أو أظهر ذلك ووري به، ثم نقل إلى الغري فدفن به خافياً بوصية منه عليه السلام.

وليعتبر المعتبر بأن أحب الرجال وأحب النساء من هذه الأمة إلى الله ورسوله لم يتمكن أهلها من قبرهما ظاهراً كسائر المسلمين. أنا لله وأنا إليه راجعون.

وكذلك الحسن جرى من دفنه ما جرى^(١)، والحسين جرى في موته وفي قبره من بعد الطامة الكبرى^(٢).

(١) حيث منعوا من دفنه عند قبر جده رسول الله، ورشقوا جنازته بالنبال حتى أصابت جسده الشريف وهو ميت يراد أن يجدد به العهد مع جده رسول الله.

(٢) يعني بالطامة الكبرى فاجعة كربلاء الفظيعة حيث قتل الحسين ومعه ثلاث وعشرون بديراً من ذرية رسول الله عطاشاً بجانب الفرات، وسبوا أهل البيت أسارى إلى الشام حيث الطاغية يزيد بن معاوية. وذلك في يوم عاشوراء من سنة ٦١ للهجرة وراجع تفصيل هذه الفاجعة في كتب السير والمقاتل كمقتل الحسين للخوارزمي وغيره.

ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل العراق:

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلْتَ فَلَمَّا أَتَمَّتْ^(١) أَمْلَصَتْ^(٢) وَمَاتَ قَيْمُهَا^(٣)، وَطَالَ تَأْيِمُهَا^(٤)، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا^(٥).

أَمَّا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ^(٦) اخْتِيَاراً؛ وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً^(٧)، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلَيَّ^(٨) يَكْذِبُ، قَاتِلَكُمْ اللَّهُ^(٩)! فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ! أَعَلَى اللَّهِ؟ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى

(١) في هامش ب: زمان حملها.

(٢) في هامش الأصل: أَلَقَتْ وَلَدَهَا سَقَطاً، وفي هامش ب: اسقطت.

(٣) في الف: قائمها، وفي هـ ب و ص: زوجها، وفي هامش الف: بعلمها.

(٤) في هامش الأصل: خلوها عن زوجها، وفي هامش ب: طال عليها الأيمومة، وفي هامش الف: خلوها عن الأزواج، يقول: لما شارفتم استئصال أهل الشام وظهرت لكم أمارات الظفر، نكصتم وأوجفتكم إلى السلام والإجابة إلى التحكيم عند رفع المصاحف، فكنتم كالمرأة الحامل لما أتمت أشهر حملها أَلَقَتْ وَلَدَهَا هَالِكاً، ثم لم يكتف لهم حتى قال: ومات بعلمها وطال أيمتها وورثها أبعدها.

ثم أقسم أنه لم يأتهم اختياراً، بل اضطراراً؛ فإنه عليه السلام لولا احتياجه إلى أهل الكوفة ليستعين بهم على أهل البصرة لما خرج من المدينة أصلاً.

ثم بلغه عن منافقي أصحابه أنهم يقولون: يكذب، وذلك أنه روي عنه أنه قال: لو شئت لحدثكم بأخباركم وما تخفون عني وما يكون منكم خفياً، يظهرني الله سبحانه عليه، وإذا تأملت أحواله في خلافته وجدتها مختصرة من أحوال رسول الله ﷺ في حياته من حربه وسلمه وسيرته وأخلاقه وشكواه من منافقي أصحابه، وتكذيب قومه له واستبعاد ما كان يخبرهم به.

(٥) في هامش ب: تزوج بها جاف سيء الخلق، وفي هـ ب - أيضاً: أبعدها: أي الخائن، ومنه قولهم: كبت الله الأبعد.

(٦) في الأصل ظاهراً: أجبتكم، ويحتمل: جئتكم، ثم صحح بما في المتن.

(٧) في هامش ب: أي ساقوني إليكم سوقاً.

(٨) كذا في ط وهامش ب، وفي نسخة، ولم ترد «علي» أو في .

(٩) في ط: الله تعالى.

نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ^(١)!

كَأَلَا وَاللَّهِ؛ لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ^(٢) غِثُّمُ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا^(٣)، وَيْلُ أُمَّهِ^(٤) كَيْلًا^(٥) بَغَيْرِ ثَمَنِ^(٦) لَوْ كَانَ لَهُ^(٧) وَعَاءٌ: ﴿وَلْتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾

قال في شرح ابن أبي الحديد: كان ﷺ كثيراً ما يخبر عن الملاحم والكائنات ويومئء إلى أمورٍ أخبره بها رسول الله ﷺ، فيقول المنافقون من أصحابه: يكذب، كما كان المنافقون الأولون في حياة رسول الله ﷺ يقولون عنه: يكذب. وروى صاحب كتاب "الغارات" عن الأعمش، عن رجاله، قال: خطب عليّ ﷺ، فقال:

«والله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مائة، ثم لو شئت لحدتكم من غُدوة إلى أن تغيب الشمس؛ لا أخبرتكم إلا حقاً؛ ثم لتخرجن فلتزعمن أني أكذبُ الناس وأفجرهم». وقد روى صاحب كتاب الغارات وغيره من الرواة أنه قال:

«إن أمرنا صعب مستصعب، لا يتحمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان».

وهذا الكلام منه كلام عارفٍ عالم بأن في الناس مَنْ لا يصدِّقه فيما يقول؛ وهذا أمر مركوز في الجبلَّة البشرية، وهو استبعاد الأمور الغريبة، وتكذيب الإخبار بها. وإذا تأملت أحواله في خلافته كلّها وجدتها مختصرة من أحوال رسول الله ﷺ في حياته؛ كأنها نسخة منتسخة منها، في حربه وسلّمه، وسيرته وأخلاقه، وكثرة شكايته من المنافقين من

(١) في ط: صدّق به. وفي هـ. د: صدق به - ح.

(٢) في هامش الأصل: أي طريقة علم، وفي هامش الف: كلمة وفي هامش ب: لهجة لسان يقال: فلان حسن اللهجة. (٣) في هامش ب: أي تقولون بها وأنتم غافلون.

(٤) في هامش ب: لهجة تعجّب، والضمير في «امه» للعلم أو الكلام.

(٥) في هامش ب: اكيل علمي كيلا، اكيل كيلا يعني علمه وكلامه.

(٦) في هامش ب: ثمن با إشارة إلى كثرة ما يعطهم ولا يريد منهم جزاء ولا شكورا.

(٧) في هـ. د: لو كان لهم وعاء - ع.

أصحابه والمخالفين لأمره؛ وإذا أردت أن تعلم ذلك علماً واضحاً، فاقراً سورة «براءة»
ففيها الجَمُّ الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه^(١).

[خطبة عليّ بعد يوم النهروان]:

وروى المدائني في كتاب «صفين»، قال: خطب عليّ عليه السلام بعد انتضاء أمر النهروان،
فذكر طرفاً من الملاحم، قال:

إذا كَثُرَتْ فيكُمْ الْأَخْلَاطُ^(٢)، وَاسْتَوْلَتْ الْأَنْبَاطُ^(٣)؛ دَنَا خَرَابُ الْعِرَاقِ؛ ذَلِكَ إِذَا بَنِيَتْ
مَدِينَةُ ذَاتِ أَثْلٍ وَأَنْهَارٍ^(٤). فَإِذَا غَلَّتْ فِيهَا الْأَشْعَارُ، وَشُيِّدَ فِيهَا الْبَنِيَانُ، وَحَكَمَ فِيهَا الْفُسَّاقُ،
وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ، وَتَفَاخَرَ الْغَوَاغَاءُ؛ دَنَا خُسُوفُ الْيَتْدَاءِ، وَطَابَ الْهَرَبُ وَالْجَلَاءُ. وَسَتَكُونُ قَبْلَ
الْجَلَاءِ أُمُورٌ يَشِيبُ مِنْهَا الصَّغِيرُ، وَيَعْطِبُ الْكَبِيرُ، وَيَخْرَسُ الْفَصِيحُ وَيَبْهَتُ اللَّسِيبُ؛
يَعَاجِلُونَ بِالسَّيْفِ صَلَاتَنَا، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي غَضَارَةٍ مِنْ عَيْشِهِمْ يَمْرُحُونَ، فَيَالِهَا
مُصِيبَةٌ حِينْتِذَا! مِنَ الْبَلَاءِ الْعَقِيمِ، وَالْبَكَاءِ الطَّوِيلِ، وَالْوَيْلِ وَالْعَوِيلِ، وَشِدَّةِ الصَّرِيخِ؛ فِي ذَلِكَ
أَمْرُ اللَّهِ - وَهُوَ كَائِنٌ (وَقْتاً - مَرِيحاً)^(٥).

فِيَابِنَ حُرَّةِ الْإِمَاءِ^(٦) مَتَى تَنْتَظِرُ! أَبَشِرْ بِنَصْرِ قَرِيبٍ مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ. أَلَا فَوَيْلٌ
لِلْمُتَكَبِّرِينَ؛ عِنْدَ حَصَادِ الْحَاصِدِينَ، وَقَتْلِ الْفَاسِقِينَ. عَصَاةُ ذِي الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؛ فَبِأَيِّ
وَأَمِيٍّ مِنْ عِدَّةٍ قَلِيلَةٍ! أَسْمَاؤُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ، قَدْ دَانَ^(٧) حِينْتِذَا ظُهُورُهُمْ، وَلَوْ شِئْتَ
لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا يَأْتِي وَيَكُونُ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِكُمْ وَنَوَائِبِ زَمَانِكُمْ، وَبَلَايَا أَيَّامِكُمْ، وَغَمَرَاتِ
سَاعَاتِكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَفْضِيهِ إِلَيَّ مَنْ أَفْضِيهِ إِلَيْهِ، مَخَافَةً عَلَيْكُمْ، وَنَظَرًا لَكُمْ؛ عَلِمَا مِنِّي بِمَا هُوَ
كَائِنٌ وَمَا يَكُونُ مِنَ الْبَلَاءِ الشَّامِلِ؛ ذَلِكَ عِنْدَ تَمَرُّدِ الْأَشْرَارِ، وَطَاعَةِ أَوْلَى الْخَسَارِ ذَاكَ أَوَانٌ

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) في هامش الأصل: كانه يعنى العجم يختلطون بالعرب.

(٣) في هامش الأصل: اي كانوا مدبرين للملك.

(٤) في هامش الأصل: لعله يريد بها بغداد.

(٥) كذا وردت العبارة في الأصول، وفيها غموض.

(٦) ما بين القوسين من ط ولم ترد في ص. ولعله اشاره إلى الامام الحجة عليه السلام.

(٧) في الأصل: حان.

الْحَتَفِ والدمار، ذاك إِدْبَارُ أَمْرِكُمْ، وانْقِطَاعُ أَصْلِكُمْ، وَتَشْتَتِ الْفِتْكَمُ؛ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِ الْعَصِيَانِ، وَانْتِشَارِ الْفُسُوقِ؛ حَيْثُ يَكُونُ الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ أَهْوَنَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ اكْتِسَابِ دَرْهَمٍ حَلَالٍ؛ حِينَ لَا تُنَالُ الْمَعِيشَةُ إِلَّا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فِي سَمَائِهِ، حِينَ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَظْلِمُونَ مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ، تَتَفَكَّهُونَ بِالْفُسُوقِ، وَتَبَادُرُونَ بِالمَعْصِيَةِ، قَوْلُكُمْ الْبَهْتَانِ، وَحَدِيثُكُمْ الزُّورِ، وَأَعْمَالُكُمْ الْغُرُورِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا تَأْمَنُونَ الْبَيَّاتِ، فَيَالَهُ مِنْ بَيَّاتٍ مَا أَشَدَّ ظَلَمَتَهُ! وَمَنْ صَانِحٌ مَا أَفْطَحَ صَوْتَهُ! ذَلِكَ بَيَّاتٌ لَا يَتَمَنَّى^(١) صَاحِبُهُ صَبَاحَهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقْتُلُونَ^(٢)، وَبِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ تَضْرِبُونَ، وَبِالسَّيْفِ تَحْصِدُونَ، وَإِلَى النَّارِ تَصِيرُونَ؛ وَبِعِضِّكُمْ الْبَلَاءِ كَمَا يَعِضُّ الْغَارِبُ الْقَتَبَ، يَا عَجَبًا كُلِّ الْعَجَبِ، بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَبٍ! مِنْ جَمْعِ أَشْتَاتٍ، وَحَصْدِ نَبَاتٍ، وَمِنْ أَصْوَاتٍ بَعْدَهَا^(٣) أَصْوَاتٍ.

ثم قال: سبق القضاء، سبق القضاء.

قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنه كاذب على الله ورسوله! قال الكوفي: وما يدريك؟ قال: فو الله ما نزل علي من المنبر حتى قُلِجَ الرجل، فحَمِلَ إلى منزله في شِقِّ مَحْمَلٍ، فمات من ليلته لا رحمه الله.

[من خطب علي أيضاً:]

وروى المدائني أيضاً، قال: خطب علي عليه السلام، فقال:

لو كسرت لي الوسادة^(٤) لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهلٍ أو جبلٍ إِلَّا وأنا عالمٌ متى أنزلت، وفيمن أنزلت.

فقال رجل من القُعود تحت منبره: يا الله وللدعوى الكاذبة! وقال آخر إلى جانبه: أشهد أنك أنت الله رب العالمين!

(١) في ط : لا يمني.

(٢) في ط : يقتلون.

(٣) في الاصل: بعد.

(٤) في هامش الأصل: كناية عن تمكين الولاية.

قال المدائني: فانظر إلى هذا التناقض والتباين فيه.

وروى المدائني أيضاً، قال: خطب عليّ ﷺ، فذكر الملاحم، فقال:

سلوني قبل أن تفقدوني، أما والله لتشغرن الفتن الصماء برجلها، وتطأ في خطامها.

يالها من فتنة شبت نارها بالحطب الجزل، مقبلة من شرق الأرض رافعة ذيلها، داعية

ويلها، بدجلة أو حولها، ذاك إذا استدار الفلك، وقلتم: مات أو هلك، بأي واد سلك!

فقال قوم تحت منبره: لله أبوه! ما أفصحه كاذباً!

وروى صاحب كتاب "الغارات" عن المنهال بن عمرو، عن عبدالله بن الحارث، قال:

سمعت علياً يقول على المنبر:

ما أحد جرث عليه المواسي إلا وقد أنزل الله فيه قرآناً؛ فقام إليه رجل، فقال: يا أمير

المؤمنين، فما أنزل الله تعالى فيك؟ قال: يريد تكذيبه. فقام الناس إليه يلکزونہ في صدره

وجنبه، فقال: دعوه، أقرأ سورة هود؟ قال نعم، قال: أقرأ قوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ

عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(١) قال: نعم، قال: صاحب البينة محمد، والتالي

الشاهد أنا، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٢).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٣٤ - ١٣٧.

(١) هود ١١: ١٧.

ومن خطبة له ﷺ علّم فيها الناس الصلاة على النبي ﷺ:

اللَّهُمَّ دَاجِي^(١) الْمَذْخُوتِ^(٢)، وَدَاعِمِ الْمَسْمُوكَاتِ^(٣)، وَجَائِلِ الْقُلُوبِ^(٤) عَلَى
فِطْرَاتِهَا^(٥)؛ شَقِيَّتِهَا وَسَعِيدِهَا^(٦)؛ اجْعَلْ شَرَائِفَ^(٧) صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي^(٨) بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ
عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا أُنْفِقَ^(٩)، وَالْمُغْلِي الْحَقَّ بِالْحَقِّ^(١٠)،
وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ^(١١)، وَالْدَّامِغِ^(١٢) صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ^(١٣)، كَمَا حُمِّلَ^(١٤)

(١) في هامش الف وب: الدحو: البسط.

(٢) وفي هامش ب: أي يا باسط الأرضين المسبوبات، وفي هـ د: المسموكات - م.

(٣) في هامش الف: تقول دعمت البناء: إذا حفظته من الهدم، فداعم المسموكات: حافظ السموات المرفوعات، وفي هامش ب: حافظ السماوات.

(٤) في هامش الف وب: أي خالق القلوب.

(٥) في ط: فطراتها، وفي هامش الف: أي خالق القلوب على ما استعدت له في أصل الخلقة؛ لأنّ النفوس الإنسانية إنما تنال السعادة والشقاوة بحسب استعدادها الجبليّ لذلك، وفي هامش ب: الفطرة التي فطر آدمي عليها.

(٦) في هامش ب: روي عن أمير المؤمنين ﷺ: أن السعيد والشقي كلاهما مجبولان على الفطرة، أي على الحالة التي يمكن معها اختيار فعل الخير والشر.

(٧) في هامش ب: جمع شريف.

(٨) في هامش الأصل: جمع نامية، وهي المتزائدة، وفي هامش ب: عوالي.

(٩) في هامش الأصل: أي ما كان باب الهدى قد انغلق فيه لغلبة الجاهلية، ففتحه.

(١٠) في هامش الف: أي المظهر لدين الحق بالمعجزات الحقّة والكتاب.

(١١) في هامش الأصل: جيّشات الأباطيل: تزايدها وعلوّها، وفي هامش ب: جمع جيّش.

(١٢) في هامش الأصل: الدماغ: ضرب الرأس حتى تؤثر في الدماغ، وفي هامش الف: المهلك الموصل إلى دماغه، وفي هامش ب: دماغه دماغاً: أي شجّه.

(١٣) في هامش الف: جمع ضلال، على غير قياس.

(١٤) في هامش الأصل: كما حمّل، يرادها هنا التعليل، وهي تستعمل له وفي هامش الف: كما حمّل من اعباء الرسالة.

فاضْطَلَعَ^(١)، قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِراً^(٢) فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِيلٍ عَنِ قُدَمٍ^(٣)،
وَلَا وَاهٍ^(٤) فِي عَزَمٍ، وَاعِياً^(٥) لِيُوحِيكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً^(٦) عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ؛
حَتَّى أُوْرَى^(٧) قَبَسَ^(٨) الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ^(٩)، وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبُ
بَعْدَ خَوْضَاتٍ^(١٠) الْفِتَنِ^(١١) وَالْآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتٍ^(١٢) الْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتٍ^(١٣)
الْأَحْكَامِ؛ فَهُوَ أَمِينُكَ^(١٤) الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ^(١٥).

(١) في هامش الأصل والـف: أي نهض قوياً، وفي هامش الف أيضاً: يقال: فرس ضليع، أي قوي
الأضلاع، يريد أنه حث نفسه وأجهد لها في رضى الله تعالى، وفي هامش ب: أي قوي فحمل
ما حمّله الله من الرسالة.

(٢) في هامش الأصل: مستوفراً: أي حثيثاً مستيقظاً، وفي هامش الف وب: المستوفى:
المستعجل.

(٣) في هامش الأصل: غير ناكل عن قدم، أي عن تقدّم، وفي هامش الف: أي غير جبان ولا
متأخّر عن اقدام، والقدم: التقدم، وفي هامش ب: غير جبان عن التقدم.

(٤) في هامش ب: واه: أي ضعيف.

(٥) في هامش الأصل: أي ناهماً عاقلاً، وفي هامش ب: أي حافظاً.

(٦) في هامش الف: مصرأ، كقوله تعالى ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾، ولم نقل مرسلأ لان؟؟
يدل بعضه على بعض.

(٧) في هامش الأصل: الإبراء: قدح النار من الزند، والمراد أظهر نور الحق لمن يقتبسه، وفي
هامش الف: الوري: خروج النار من الزند، والإيراد: اخراجها منه، وفي هامش ب: ما وري
الزند.

(٨) في هامش الأصل: القبس: الشعلة، وفي هامش الف: القبس: شعلة من النار، وأراد به -ها
هنا- نور الحق، وفي هامش ب: شعلة نار.

(٩) في هامش الأصل: هو السائر في ظلمة على غير طريق جادة واضحة.

(١٠) في هامش الأصل: جمع خوضة، وهي المرّة من الخوض في الماء والوحل.

(١١) في ب زيادة: والاثم، وفي ط ود زيادة: والآثام، وفي هامش ب: والمصدر في «خوضات»
و«الفتن» يضاف إلى المفعول: أي بعد ما خاضت القلوب الفتن أطواراً.

(١٢) في هامش ب: أي إلى موضحات الاعلام.

(١٣) في هامش الف: النيرّات: ذوات النور.

(١٤) في هامش الف: امينك على وحيك، والمأمون من القابة ﷺ.

(١٥) في هامش الأصل: العلم المخزون: ما أطلع الله عليه رسوله من الأمور الخفية التي لا تتعلق

وَشَهِيدَكَ^(١) يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيَّتَكَ^(٢) بِالْحَقِّ، وَرَسُوكَ إِلَى الْخَلْقِ.
 اللَّهُمَّ أَفْسَحْ^(٣) لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ؛ وَاجْزِهِ مَضَاعِفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ.
 اللَّهُمَّ وَأَعْلِ^(٤) عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ^(٥)، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنَزِلَتَهُ، وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ^(٦)
 مِنْ أَتِغَائِكَ لَهُ، مَقْبُولَ^(٧) الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخَطَّةٍ^(٨) فَضْلٍ.
 اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ^(٩) وَقَرَارِ النِّعَةِ^(١٠)، وَمَنْئَى الشَّهَوَاتِ^(١١)، وَأَهْوَاءِ
 اللَّذَاتِ^(١٢)، وَرَخَاءِ^(١٣) الدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ^(١٤)، وَتُخَفِ الْكَرَامَةَ^(١٥).

→ بالأحكام الشرعية: كالملاحم وأحوال الآخرة ونحو ذلك من الغيوب، وفي هامش الف: يريد:
 أطلع الله نبيه على الأمور الخفية التي لا تتعلق بالأحكام الشرعية كالملاحم وأحوال الآخرة:
 لأن الأمور الشرعية لا يجوز أن تكون مخزونة عن المكلفين.

(١) في هامش الف، وفي نسخة: شاهد. وفي هامش الف: شهيدك أي شاهدك؛ كقوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ وفي هامش ب: الشاهد على أتمته.

(٢) في هامش الف: البعيت: المبعوث.

(٣) في هامش الف: في ظلك: أي الظل الممدود الذي ذكره سبحانه فقال: ﴿وَوَظِلٌّ مَدُودٌ﴾
 يقول: فلان يشملني بظله أي بإحسانه، وفي هامش ب: أي وسَّع له المقام في ظلك.

(٤) في د: أعل.

(٥) في هـ. ص: بناءه أي في دار الجزاء، كأنَّ العامل يبني بعمله منزله فيها.

(٦) في هامش ب: من الجزاء. (٧) في هامش ب: مقبول، نصب على الحال.

(٨) في ط: خطبة. وفي هامش ب: الخطبة: الحال والأثر، يقال: خطبة سوء.

(٩) في هامش الأصل: برد العيش: العرب تقول: عيش بارد ومعيشة باردة، أي لا حرَّ فيها ولا
 نزع، لأنَّ البرد والسكون متلازمان كتلازم الحر والحركة.

(١٠) في هامش الأصل: قرار النعمة: مستقرها، لا ينتقل عنها.

(١١) في هامش الأصل: منى الشهوات: أي ما يتعلَّق به الشهوات فيتمنى.

(١٢) في هامش الأصل: وأهواء اللذات: أي ما تهواه الأنفس لتحصيل لذتها.

(١٣) في هامش الأصل: ورخاء الدعة: الرخاء مصدر، من قولهم رجل رخي البال، أي واسع
 الحال مطمئن. والدعة: السكون وعدم التخوُّف.

(١٤) في هامش الأصل: منتهى الطمأنينة: غايتها بحيث لا طمأنينة ترجى بعدها. وفي هامش
 ب: الطمأنينة: السكون في الأمن وخفض العيش.

(١٥) في هامش الأصل: التحف جمع تحفة، ما يتحف بها المكرم.

ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة.

قالوا: أَخَذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ، فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ٨ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالَا لَهُ: يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟! لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ، إِنَّهَا كَفُّ يَهُودِيَّةٍ^(١)، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِيهِ^(٢)، أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ^(٣)، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ^(٤)، وَاسْتَلْقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ^(٥).

(١) في هامش الأصل: أي غدارة وفي هامش الف: قيل: إن آباء مروان كانوا يهوداً باليمامة، وقيل: إنما قال ذلك لأن اليهود مشهورون بالغدر.

(٢) في هامش الف: السبة - بفتح السين - وذكر السبة إهانته له، والعرب تسلك مثل ذلك في خطبها، وفي هامش ب: السبة: الأست، ويقال: سبه بسبته: أي طعنه في الأست، يعني أنه منافق.

(٣) في هامش الف: كلعة الكلب أنفه: يريد قصر المدة، وكذلك كانت خلافته فإنها [كانت] تسعة أشهر. وفي هامش ب: كلعة الكلب: إشارة إلى قصر مدة تولّيه وإمرته، وإنها كانت ستة أشهر، ولعقت الشيء: أي لحسته، واللعة بالفتح - المرة الواحدة.

(٤) في هامش الأصل: الأكبش الأربعة، هؤلاء الأربعة هم شياطين من ولي من ولده ومردتهم وعتاتهم وجبايرتهم، وفي هامش الف: قيل: أنه أراد بهم: بنوا ابنه عبد الملك، وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، ولم يل الخلافة من بني أمية ولا من غيرهم أربعة إخوة إلا هؤلاء، وقيل: الأكبش: هم بنو صلبه عبد الملك وعبد العزيز ومحمد - والد مروان الحمار - والحكم. وفي هامش ب: هم ولده: عبد الملك والوليد وسليمان وهشام.

(٥) في هامش الأصل: يوماً أحمر، أي: قتلاً ذريعاً.

ومن كلام له ﷺ لما عزموا على بيعته عثمان^(١):

لَقَدْ عَلِمْتُمْ^(٢) أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي؛ وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ^(٣) مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ^(٤) إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، أَلْتَمَسَا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ^(٥) مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِينَتِهِ^(٦).

(١) كذا في ب و ط، والعنوان في الأصل وألف: ومن كلام له ﷺ في بيعته عثمان.

(٢) في هامش الأصل: قوله «لقد علمتم» هذا نصُّ منه ﷺ أن القوم كانوا يعلمون أن الخلافة حقه.

(٣) في هامش الأصل: وقوله: «لأسلمن... إلى قوله: وزبرجه» في هذا دليل على أن ترك الإنسان حقه في يد الظالم والصبر عليه فضيلة دينية، ولو كان الأخذ له منكراً، لما خص الصابر، ومثله الإعراض عن الأذى والسب كما نصه القرآن.

(٤) في هامش ب: من جور.

(٥) في هامش الف: أي تنافستم فيه فحذف، وأوصل الفعل، وفي هامش ب: رغبتهم.

(٦) في هامش ب: زينته من جوهر وغيره.

ومن كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان:
 أَوَلَمْ يَنْهَ^(١) بَنِي أُمَيَّةَ^(٢) عِلْمَهَا بِي عَنْ قَرْفِي^(٣)! أَوْ مَا^(٤) وَزَعَ^(٥) الْجُهَّالِ سَابِقَتِي^(٦) عَنْ
 تُهْمَتِي! وَلَمَّا^(٧) وَعَظَّهُمُ اللَّهُ بِهِ^(٨) أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي.
 أَنَا حَجِيجُ^(٩) الْمَارِقِينَ، وَخَصِيمُ^(١٠) الْمُؤْتَابِينَ، عَلَى^(١١) كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ^(١٢)،
 وَبِمَا فِي الصَّدُورِ تُجَازَى^(١٣) الْعِبَادُ.

-
- (١) في هامش ب: فاعل «ينه» علم بني أمية به، أي بعلي أنه من أمناء الله ...
 (٢) في هـ. د: أولم ينه أمية - م ف ن ل . (٣) في هامش ب: قرفي: عيبي وتهمتي.
 (٤) في هامش ب: الهمزة للاستفهام دخلت على واو العطف.
 (٥) في هامش ب: وزع: زجر ودفع. (٦) في هامش ب: فاعل «وزع».
 (٧) في هامش الف: اللام للابتداء.
 (٨) في هامش ب: الهاء راجعة إلى الوعظ أو إلى كتاب الله.
 (٩) في هامش ب: أي محاج الخوارج. (١٠) في ط زيادة: الناكثين.
 (١١) في ط: وعلى.
 (١٢) في هامش ب: أي كل ما كان مشتبهاً من الأمور تعرض على كتاب الله وتعرف به.
 (١٣) في الف و ط ود: تجازى.

ومن خطبة له عليه السلام:

رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا^(١) سَمِعَ حُكْمًا^(٢) فَوَعَى، وَدُعَى إِلَى رِشَادٍ فَذَنَّا^(٣)، وَأَخَذَ بِحُجْزَةٍ^(٤) هَادٍ
فَنَجَا؛ رَاقِبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصًا، وَعَمِلَ صَالِحًا، اِكْتَسَبَ^(٥) مَذْخُورًا^(٦)، وَاجْتَنَبَ
مَحْذُورًا، رَمَى غَرَضًا^(٧)، وَأَحْرَزَ^(٨) عِوَضًا، كَابَرَ^(٩) هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مَنَاهُ.
جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةً وَفَاتِهِ، رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ، وَلَزِمَ أَلْسَحَةَ
الْبَيْضَاءِ^(١٠)، اِعْتَمَمَ الْمَهْلَ^(١١)، وَتَوَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

(١) في ط: إمراء، وهامش الأصل والف و د، وفي نسخة: امرءاً.

(٢) في هامش الف: أي حكمة، وفي هامش ب: سمع حكمة فحفظها وعمل عليها.

(٣) في هامش الأصل، أي: لم يتباعد استكباراً.

(٤) في هامش الأصل: أي اقتدى بمن جعله الله قدوة ودلّ عليه، وفي هامش الف: الحجة:

معقد الإزار، وفي هامش ب: حجة السروايل: التي فيها التكة، وها هنا كناية عن التمسك

بحبل رجل هاد.

(٥) في هامش ب: كسب أهل العلم والصواب، كسب مذخوراً، كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

(٦) في هـ د: والصواب: كسب مذخوراً - ك، وفي هامش الف: يعني بالمذخور: الثواب؛ لأن

ثواب العمل الصالح في الدنيا مذخور في الآخرة.

(٧) في ط: ورمى غرضاً، وفي هامش الأصل: أي اشتغل بما يعنيه، وفي هامش الف: ورمى

غرضاً، أي القى مقصوداً في الدنيا وطرحه، وأحرز عوضه من ثواب الآخرة.

(٨) في هامش ب: أي جعله في حرزه. (٩) في هامش الف: كابر هواه: غلبه.

(١٠) في هامش ب: الحجة: الجادة الواضحة.

(١١) في هامش ب: طول العمر.

ومن كلام له عليه السلام ^(١):

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيَفُوقُونَنِي ^(٢) تُرَاثُ مُحَمَّدٍ ^(٣) تَفْويقاً، وَاللَّهِ لَئِنْ ^(٤) بَقِيَتْ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّاهُمْ نَفْضَ
اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرْبَةِ ^(٥).

قال الرضي رحمه الله ^(٦):

وَيُرْوَى «التَّرَابُ» ^(٧) الْوِذَمَةُ، وهو على الْقَلْبِ ^(٨).

* * *

(١) أورد هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام: أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٢: ٢٩، وأورد مقاطع منه قاسم بن سلام في غريب الحديث: ١٩٦، والأزهري في تهذيب اللغة ١٥: ٢٧، وأبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: ١٦٥.

(٢) وفي هامش ب: فوقت الفضيل أي سقيفه اللبن فواقا فواقا، والفواق ما بين الحلبتين، والترات: الميراث. (٣) في د: زيادة عليه السلام.

(٤) في هامش الف: روى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني أن سعيد بن العاص حيث كان أميراً بالكوفة من قبل عثمان، بعث إلى علي عليه السلام بهدايا، فقال: والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية ما أفاء الله على رسوله بمثل قوت أرملة ثم قال: والله لئن بقيت ... الخ. وفي هامش آخر: حاشية عن الأصمعي عن شعبة، قال: أهدى سعيد بن العاص هدايا لأهل المدينة وقال لرسوله لا تعد ... إلا علي عليه السلام. قال له ... وفي الهدية أهداها إليك ...، فقال علي: لشد ما ... بني أمية مصانعتي، والله لئن وليتها لانفضنهم نفض القصاب التراب الوذمة. قال الأصمعي: غلط شعبة، إنما قال: التراب الموذمة.

قال الثوري: أحسب شعبة أصاب والأصمعي وهم التراب: الكروش، واحدها [ترب]، والوذمة: ذات زوائد شبيهة بوذام الدلو، وحكم في ذلك أبو عمرو، فصوب قول شعبة.

(٥) في هامش ب: الوذام التربة، أي [ما] سقط في التراب.

(٦) لم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أ و ب و ص و د.

(٧) في هامش ب: التراب: الجرن، والتراب لغة في التراب.

(٨) على القلب، أي على قلب الكلمات في الجملة. وهو اصطلاح بلاغي، معناه: أن الأصل «الوذام التربة»، فقلبت على: التراب الوذمة، فالمراد من هذه العبارة مقلوبها.

قوله ^(١) **لِيُعْطُونِي**: «لِيُعْطُونِي»:

أي يُعْطُونِي من المال ^(٢) قليلاً كُفُوق الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها.
وَالْوِذَامُ التُّرْبَةُ: جمعٌ وَذَمَةٌ، وهي الْحُرَّةُ ^(٣) من الكَرِشِ أو الكَبْدِ تقع في التُّراب فتُنْقَضُ.

(٢) في هامش الأصل: صوابه: «من الأمر».

(١) في ط: وقوله.
(٣) في هامش ب: أي القطعة.

ومن كلمات كان ﷺ يدعو بها:

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي؛ فَإِنْ عُدْتُ فَقَدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا
وَأَيْتُ^(١) مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَقَاءً عِنْدِي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي، ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ
الْأَلْحَاطِ^(٢)، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاطِ^(٣)، وَسَهَوَاتِ^(٤) الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ^(٥).

٢٠

(١) في هامش الأصل وب: أي وعدت، وفي هامش الف: من الوأي، وهو الوعد.

(٢) رمزات الألحاط: الإشارة بالعين، وفي هامش ب: النظر بمؤخر العين

(٣) في هامش ب: اللغو.

(٤) في الف وب: وشهوات، وفي هامش ب: أي غفلات.

قلت: وتفسيره «بغفلات» يدل على أنه أثبت «سهوات» في المتن. وإن وافقه بعض

(٥) في هامش ب: أي الزلات.

النسخ المطبوعة أيضاً.

ومن كلام له ﷺ قاله ^(١) لبعض أصحابه ^(٢) لما عزم على السير إلى الخوارج، وقال له ^(٣): يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت، خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال ﷺ:

أَتَرَعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ، وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ ^(٤) الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ ^(٥) بِهِ الضُّرُّ! فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَتَبَتَّغَى ^(٦) فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ ^(٧) أَنْ يُؤَلِّكَ ^(٨) الْحَمْدُ دُونَ رَبِّهِ؛ لِأَنَّكَ - بِرَعْمِكَ - أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ، وَأَمِنَ الضُّرَّ.

ثم أقبل ﷺ على الناس فقال: ^(٩)

أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمُوا النُّجُومَ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ ^(١٠) فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ؛ الْمُنَجِّمِ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنِ كَالسَّاحِرِ ^(١١)، وَالسَّاحِرِ كَالْكَافِرِ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ؛

(١) لم ترد في ألف.

(٢) في هامش ب: هذا المنجم هو عفيف بن قيس، أخ الأشعث بن قيس.

(٣) في د: وقد قال. (٤) ليس في الف وب ود: من.

(٥) في هامش ب: حاق: أحاط، قال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وحقاق

الأمر: أي: لزم. ويقال: الحيق: ما يشتمل عليه من مكروه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ

السَّيِّءُ﴾. (٦) في ط: وتبتغى.

(٧) في هامش الأصل: أي على مؤداه ومقتضاه.

(٨) في هامش ب: ولآه الأمير على كذا، أو ولآه على بيع كذا، وأوليت معروفاً.

(٩) لم ترد «ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال» في أ.

(١٠) في هامش ب، وفي نسخة: بها.

(١١) في هامش ب: السحر: كل ما لطف مأخذه ودقّ، والساحر: من يصرف الناس عن الحق

بتخييل.

سَيَرُوا عَلَىٰ أَشْمِ اللَّهِ وَعُونَهُ^(١).

جعل الله في أمر النجوم بلوى يختبر بها إيمان المكلفين وذلك انه جعل في تسبّجها واقتران بعضها ببعض علامات أغلبيات^(٢) على كائنات من قضائه وقدره، وقد ينتقضاها وتختلف مدلولها عنها؛ ليستدل المؤمن على أنّ المدبر غيرها، وإن هو الذي جعلها علامات وخصص بعضها بذلك دون بعض، ويجوز حصول مدلولها حين تدل عليه وعدم حصوله. وأما المنجمون فهم فريقان، بعضهم يجعلونها مدبرة مختارة لمقتضاها أو موجبة. وبعضهم يجعلون دلالتها قطعية لا يتخلف مدلولها عنها. والقولان الآخران لمنجمة الاسلام.

وهذا كما جعل سبحانه في امر الانواء الذي كانت العرب تعتبره ابتلاءً هو الذي أشار إليه النبي ﷺ في قوله في ضحية ليلة وقع فيها سماء: «أتدرون ما قال ربكم في هذه الليلة؟ قال: أصبح عبادي مؤمن وكافر، أمّا المؤمن فيقول: مطرنا بفضل الله وبرحمته، وأمّا الكافر فيقول: مطرنا بنوء كذا»^(٣). هذا لفظ الحديث أو هو معناه، وهذا كما ربط الله سبحانه أكثر أفعاله بالأسباب فضلًا بذلك القائلون بالطبع.

ومنهم القائلون بالعدوى والطيرة، اللتين تفاهما النبي ﷺ في قوله: «لا عدوى ولا طيرة»^(٤).

وأثبت التسبب بنهيه عن بلاد الاسقام وقوله: «ان من القرف التلف» وعن مدانة المجذومين وذوي العاهات وعن أكل ما يضرّ، مع تقريره أنّ الفعل كلّّه لله؛ لأنّ الله طرد العادات وربط بالاسباب لحكم بالغة، وأعمها تعليلًا وأظهرها: الابتلاء.

(١) كذا في الأصل، ولم ترد «وعونه» في الف وب وط ود.

(٢) أي أمور غالبية لا دائمية.

(٣) صحيح البخاري ٥ : ٧٥٥، الدر المنثور ٥ : ٢٣٩.

(٤) صحيح البخاري ٧ : ١٦٤، مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٢٤ و ٢٢٢ و ٤٣٤، مجمع الزوائد ٥ :

هذا مع انه سبحانه قد كشف الأمر بتخلف المسببات عن أسبابها كثيراً، فجعل ذلك دليلاً، هو الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «عرفت ربي بفسخ العزائم وحلّ العقود»^(١)، والله سبحانه أعلم.

(١) هذا، ولكن الاستدلال بهذا الحديث لا ينطبق على تخلف المسببات عن الأسباب إلا إذا جعلنا العزم سبباً تاماً للفعل وكان الأولى الاستدلال بحصول حوادث تؤدي إلى حالات معينة من المرض أو الموت غالباً، ولكنها لا تؤدي إلى ذلك أحياناً كما يحصل في مصادمات السيارات مثلاً أو سقوط الإنسان من مكان مرتفع وعدم إصابته بما يحصل عادة عند حصول أمثاله، من كسر أو رض، وهذه حوادث تحصل في حياة الإنسان وتدل عند تخلف المسببات عن أسبابها العادية الغالبية على وجود قدرة تتحكم بالتسبيب، فكما أن الله لا يجري الأمور إلا بأسبابها، فهو أيضاً المسبب للأسباب ويمكنه أن يمنع التسبيب إذا شاء، وفي كون ذلك دليلاً على مريد قاهر للأسباب في العالم.

ومن كلام له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء^(١) :
 مَعَاشِرَ النَّاسِ؛ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ.
 فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ^(٢) وَالصَّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ.
 وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ الْأَمْرَاتَيْنِ^(٣) مِنْهُنَّ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ.
 وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ.
 فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ^(٤) فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى
 لَا يَطْمَعَنَّ فِي الْمُنْكَرِ.

كلامه عليه السلام في ذم النساء سببه عائشة، وقد أورد الشيخ أبو جعفر الإسكافي في كتابه
 «المعيار والموازنة» عند ذكره أمر عائشة مارسعه: وقد وقفها أم سلمة على ما فيه رشدتها
 وصلاحها وذكرتها وصية النبي صلى الله عليه وآله لها، وأم سلمة لم تقل بما قالت في علي لقرباتها
 القريية منه ولا لهوى وميل إليه بغير الحق. وقد كانت مخزومية، غير أن الدين والتقوى
 والورع والرغبة في الحق دعاها إلى القول بتفضيل علي والصدع به.

(١) في هـ. أ: وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذم النساء أخبار يطول ذكرها، منها: انه خطب يوم
 عيد ثم التفت إلى صفوف النساء فقال: «معاشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار
 عدداً، فقالت واحدة منهن: لم يا رسول الله؟ فقال: انكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير
 وتمكنن إحداكن شطر عمرها لا تصلني».

وفي حديث آخر: «ما رأيت ناقصات عقل ودين مثلكن».

(٢) في هامش ب: الصلاة من الإيمان. (٣) في ب و ط ود: شهادة إمرأتين.

(٤) في هامش الف: أي لا تفعلوه طاعة لهن، بل افعلوه لأنه معروف، وهذا مثل ما في المثل: لا
 تعطي العبد كراعاً فيأخذ ذراعاً.

[ما خطته أم المؤمنين عائشة ونقضته أم المؤمنين أم سلمة سلام الله عليها] وفيما يؤثر عنها: أن عائشة لما لقيتها بمكة قالت لها: يا بنت أبي أمية، كنت أول ضعينة هاجرت، وكنت كبيرة أمهات المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ يقسم لنا من بيتك، وكان جبريل أكثر شيء تعبداً في بيتك^(١).

قالت أم سلمة: يا بنة أبي بكر لأمر ما تقولين هذا القول؟!

قالت عائشة: إن ابني وابن أختي^(٢) أخبراني أن القوم استتابوا الرجل حتى إذا تاب قتلوه - يعني عثمان -، وأخبراني أن ابن عامر أخبرهم أن بالبصرة مائة ألف يغضبون لقتله ويطلبون بدمه، وقد خشيت أن يكون بين الناس حرباً ودماء، فهل لك أن أسير أنا وأنت، لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا؟

قالت لها أم سلمة: يا بنت أبي بكر: أهدم عثمان تطلبي؟ فو الله إن كنت لأشد الناس عليه وما كنت تدعينه إلا نعثلاً^(٣)!! أم علي بن أبي طالب تنقمين وقد بايعه المهاجرون والأنصار، أذكرك الله وخمساً سمعتن أنا وأنت من رسول الله ﷺ.

قالت: وما هن؟

قالت: أتذكرين يوم أقبل رسول الله ﷺ ونحن معه حتى إذا هبط من «قديد» مال الناس ذات اليمين وذات الشمال، فأقبل هو وعلي بن أبي طالب يتناحيان، فأقبلت علي جملك عليهما، فنهيتك، وقلت: رسول الله ﷺ مع ابن عمه ولعل لهما حاجة؛ فعصيتني، فهجمت عليهما فلم تلبثي أن رجعت تبكين، فقلت لك: قد نهيتك، فقلت: والله ما جرأتي على ذلك إلا أنه يومي من رسول الله ﷺ، فقلت لك: ما أبكاك؟ فقلت: هجمت عليهما فقلت: يا علي إنما لي من رسول الله ﷺ من تسعة أيام يوم، فلا تدعني ويومي؟ فأقبل علي رسول الله ﷺ غضباً ناعاً محمراً وجهه فقال: والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي وغيرهم إلا أخرج من الإيمان، وإنه مع الحق والحق معه!

(١) في ط: وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك.

(٢) في ط: أن عبد الله أخبرني أن القوم، وفي هامش الأصل: لعله عروة.

(٣) في ط: قالت أم سلمة: أنك كنت بالأمس تحرّضين علي عثمان وتقولين فيه أخبث القول.

أتذكرين هذا؟ قالت: نعم!

قالت: ويوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ، وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس [له] حيساً^(١) وكان يعجبه، فرفع رأسه إليّ فقال: يا بنت أبي أمية أعيذك بالله أن تكوني منبحة كلاب الحوآب، وأنت يومئذ ناكبة عن الصراط. فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: إن إحدانك يفعل هذا^(٢).

أتذكرين هذا؟ قالت: نعم!

قالت: ويوم كنّا أزواج رسول الله ﷺ في بيت حفصة بنت عمر، فتبدّلنا لرسول الله ﷺ ولبست كل امرأة منا ثياب صاحبته، فأقبل رسول الله ﷺ حتى جلس إلى جنبك وكنت تعجيبينه فقال: وضرب بيده على ظهرك -: أترين يا حميراء أني لا أعرفك؟، إن لأمّتي منك يوماً مرّاً.

أتذكرين هذا؟ قالت: نعم^(٣).

قالت: ويوم كنّت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وكان عليّ يتعاهد ثياب رسول الله ﷺ ونعله، فإذا رأى ثوبه قد توسّخ عضله، وإذا رأى نعله قد نضبت أو رثّت خصفها، فأقبل عليّ ﷺ يوماً فأخذ نعل رسول الله ﷺ فخصفها في ظلّ سمرة، فأقبل أبوك وعمر فاستأذنا فقمنا إلى الحجاب، فدخلا ثم قالا: يا رسول الله إنا والله ما ندري ما قدر ما تصحبنا، أفلا تعلمنا خليفتك فينا فيكون مفزعنا إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: أمّا إنني قد أرى مكانه، ولو فعلت لنفرت منه كما نفرت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران.

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في ط، وفي الأصل: وأنت تغلّين رأسه وأنا أحوس حيساً وكان يعجبه....

(٢) في ط: «قالت: وأذكرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ وأنت تغسلين رأسه وأن أحيس له حيساً، وكان الحيس يعجبه فرفع رأسه وقال: يا ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأدب، تنبّحها كلاب الحوآب، فتكون ناكبة عن الصراط، فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك. ثمّ ضرب على ظهرك وقال: إياك أن تكونيها، ثمّ قال: يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها، يا حميراء أمّا أنا فقد أنذرتك».

(٣) من قوله: «قالت ويوم كنّا أزواج رسول الله - إلى قوله -: نعم»، غير موجود في شرح النهج طبع دار الكتب العربية بمصر.

فلما أن خرجا، خرجت أنا وأنت، فقلت له: -وكنت جريئة عليه -: يا رسول الله من كنت مستخلفاً عليهم؟ فقال رسول الله ﷺ: خاصف النعل؛ قال: فنظرت إلى علي بن أبي طالب، فقلت: يا رسول الله ما أرى إلا علي بن أبي طالب. فقال رسول الله ﷺ: هو ذاك.

أتذكرين هذا؟ قالت: نعم^(١).

قالت: ويوم جمع رسول الله ﷺ أزواجه عند موته، فقال: يا نسائي! اتقين الله وقرن في بيوتكن ولا يستقرنكن أحد.

أتذكرين هذا؟ قالت: نعم.

فخرجت من عندها وقد ضعفت عزيمتها، وفترت عن الخروج، وأمرت مناديا فنادى بمكة: ألا إن أم المؤمنين قد بدا لها من الخروج.

فاجتمع عليها طلحة والزبير، ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير، فقلّبوا رأيها وموّها الأمور عليها، واستغلطوها واستغفلوها، وقالوا لها: تخرجين وتصلحين بين الناس فلعل الله أن يدفع بك الفتنة فهو أعظم لأجرك؟! فردّوا رأيها وقوّوا عزمها^(٢)، انتهى.

(١) وفي أواخر باب مناقب أهل البيت من اللآلي المصنوعة ١: ٢١١ الطبعة الأولى. شاهد لما ها هنا.

(٢) المعيار والموازنة: ٢٧ - ٢٩، ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٧٩) من نهج البلاغة - وهو قوله ﷺ: «معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان...» - ٢: ٧٧ ط مصر. وفي الطبعة الحديثة بمصر ٦: ٢١٧، ورواه عنه العلامة الأميني في الغدير ٢: ٣١٩ ط ٣.

ومن كلام له عليه السلام^(١):

أَيُّهَا النَّاسُ: الزَّهَادَةُ^(٢): قِصْرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ، وَالْوَرَعُ^(٣) عِنْدَ^(٤) الْمَحَارِمِ، فَإِنْ عَزَبَ^(٥) ذَلِكَ عَلَيْكُمْ^(٦) فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ؛ فَقَدْ أَعَذَّرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ^(٧) ظَاهِرَةٍ؛ وَكُتِبَ بَارِزَةً الْعُذْرُ وَاضِحَةً.

(١) أورد هذا الكلام أو فقرات منه: الشيخ البرقي في المحاسن: ٢٣٤، والشيخ الكليني في الكافي ١: ١٤١، و ٥: ٧١، والشيخ الصدوق في الخصال ١: ١١ و ١٧، ومعاني الأخبار: ٢٥١، وابن شعبة الحراني في تحف العقول: ١٠١، و ١٣٨، و ١٥٤، والطبرسي في مشكاة الأنوار: ١٠٦، والفتال النيشابوري في روضة الواعظين: ٤٣٤، والآمدي في الغرر ١: ٢١٩ و ٢٧٦ و ٣٠٨، و ٢: ٦٦٣.

(٢) في هامش الف: اعلم ان الزهد في العرف هو الإعراض عن منافع الدنيا وطيباتها، لكنه لما كانت الأمور الثلاثة طريقاً إلى ذلك أطلق الزهد عليها. وفي هامش ب: ذكر عليه السلام ان الزهد ثلاثة اشياء: أدونها قصر الأمل، وأعظمها الشكر والورع.

(٣) في ط: والتورع، وفي هـ. د: والتورع - ح.

(٤) في ب: عن. (٥) في هامش ب: أي بعد.

(٦) في الف وط و د عنكم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: عنكم.

(٧) في هامش ب: مضيئة، أسفر الصبح: إذا أضاء.

ومن كلام له ﷺ في صفة الدنيا:

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ، أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا^(١) عِقَابٌ. مَنْ أَسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ أَتَقَرَّ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاَهَا فَاتَتْهُ^(٢)، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ^(٣)، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ^(٤)، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا^(٥) أَعْمَتْهُ^(٦).

قال الرضي رحمه الله:

أقول: ^(٧) وإذا تَأَمَّلَ الْمُتَأَمِّلُ قَوْلَهُ ﷺ: «وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ» وَجَدَتْحَتَهُ مِنَ الْمَعْنَى الْعَجِيبِ، وَالْغَرَضِ الْبَعِيدِ، مَا لَا يَبْلُغُ^(٨) غَايَتَهُ وَلَا يَدْرِكُ غَوْرَهُ، لَا سِيَّما إِذَا قَرَنَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ: «وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ»، فَإِنَّهُ يَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ «أَبْصَرَ بِهَا» وَ«أَبْصَرَ إِلَيْهَا» وَاضِحًا نَيِّرًا، وَعَجِيبًا بَاهِرًا.

(١) في هـ. د: وحرامها عقاب - ف.

(٢) في هامش ب: فاتته: سبقتة وصارت فاتنة، وفي هامش الف: نظر عبدالله بن المعتز إلى قوله ﷺ: «وَمَنْ سَاعَاَهَا فَاتَتْهُ» فقال: الدنيا كظلك إن طلبته زاد منك بعداً.

(٣) في هامش ب: واتته أي طاوعته. وفي هامش الف، وفي نسخة: وافقتة.

(٤) في هامش الأصل: أبصر بها، أي اعتبر بغيرها وفكر في تصرف أحوالها علم أنها لم ترد لنفسها وأن المراد بها غيرها.

(٥) في هامش ب: ابصر إليها أي من راقه زبرجها فطلبها لنفسها نسي ما ورائها فعمي عن المقصد والمطلب، وفي هامش ب: ابصر إليها أي نظر إليها معجباً بها.

(٦) وفي هامش الف: نظر عبد الحميد المدائني إلى قوله: «وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ» فقال:

دنياك مثل الشمس تدني

إليك الضوء لكن وعبر المسلك

ان أنت ابصرت إلى نورها

تعمش وان تبصر به تدرك

وفي هامش ب: ابصر بها: أي اعتبر بها فابصر بمعنى استبصر كأجاب واستجاب وإذا قلت: ابصر بها فالمحذوف هو المفعول أي ابصر بها الدليل.

(٧) كذا في ط، وفي الأصل: قال السيد رضي الله عنه، وفي د: أقول.

(٨) في د: تبليغ.

ومن خطبة له ﷺ؛ وتسمى بالغراء؛ وهي من الخطب العجبية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ ^(١)، وَدَنَا بِطَوْلِهِ ^(٢)؛ مَانِح ^(٣) كُلِّ غَنِيمَةٍ وَقَاضٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ ^(٤) أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ ^(٥) كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ ^(٦) نِعَمِهِ ^(٧)، وَأَوْمِنُ ^(٨) بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا ^(٩)، وَأَسْتَهْدِيهِ ^(١٠) قَرِيبًا هَادِيًا ^(١١)، وَأَسْتَعِينُهُ ^(١٢) قَاهِرًا ^(١٣) قَادِرًا، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا ^(١٤) نَاصِرًا؛ وَأَشْهَدُ ^(١٥) أَنَّ مُحَمَّدًا ^(١٦) عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَرْسَلَهُ لِإِنْقَاضِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ ^(١٧) عُدْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نَذْرِهِ ^(١٨). أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ ^(١٩) الْأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ ^(٢٠) لَكُمْ الْأَجَالَ.

(١) في هامش ب: أي بقوته، ذكر ﷺ عظمة الله أولاً بأنه علا بحوله وقوته، واستغنى عن غيره بقدرته.

(٢) في هامش ب: مانح: أي معطي.

(٣) في هامش الف وب: الازل - بفتح الهمزة - : الضيق والحبس.

(٤) في هامش الف: العواطف، يجوز ان تكون من العطف بمعنى الميل، ولا شك ان نعم الله تعالى ماثلة على عباده، وان تكون من عطف عليه بمعنى اشفق عليه، وتكون العاطفة بمعنى المصدر كالعافية، وفي هامش ب: العواطف جمع عاطفة، وهي عائدة ورحمة مرة بعد أخرى.

(٥) السوابغ: التوأم والكوامل.

(٦) في هامش ب: سوابغ نعمه: الصفة مضافة إلى الموصوف.

(٧) في هامش ب: من الإيمان.

(٨) في هامش ب: طلب الهداية.

(٩) في هامش ب: أي في حال قربه وهدايته إلى عبده.

(١٠) في هامش ب: الاستعانة: طلب الإعانة. (١١) في هامش ب: أي في حال قهره وعزته.

(١٢) في ه. د: كافلاً - ن.

(١٣) في ه. د: وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً - م.

(١٤) في زيادة ﷺ. (١٥) في هامش ب: تعريف وابلغ عذره.

(١٦) لم ترد «وتقديم نذره» في أ، وفي هامش ب: مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي اعتذاراً من الله وانذاراً إلى خلقه.

(١٧) لم ترد «لكم» في ط.

(١٨) في الف: أي جعل الآجال لوقت معلوم مقدّر.

وَالْبَسَكُمُ الرِّيشَ^(١)، وَأَرْفَعَ^(٢) لَكُمْ الْمَعَاشَ^(٣)، وَأَخَاطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ^(٤)، وَأَرْصَدَ^(٥) لَكُمْ الْجَزَاءَ، وَأَثَرَكُمْ^(٦) بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرَّفْدَ^(٧) الرَّوْفِغِ^(٨)، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ^(٩)؛ فَأَخْصَاكُمْ عَدَدًا، وَوَضَفَ^(١٠) لَكُمْ مَدَدًا^(١١)، فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ^(١٢)، وَدَارِ عِبْرَةٍ^(١٣)، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.
فَإِنَّ الدُّنْيَا^(١٤) رَنْقٌ^(١٥) مَشْرُوبُهَا، رَدَغٌ^(١٦) مَشْرَعُهَا، يُونِقُ^(١٧) مَنَظَرُهَا، وَيُوبِقُ^(١٨) مَخْبَرُهَا.

(١) في هامش الأصل: أي لباس الزينة، وفي هامش الف: الرياش: اللباس الفاخر، وقيل: الخصب والغنى، وفي هامش ب: الريش والرياش: اللباس الفاخر.

(٢) في هامش الأصل: أي ألان.

(٣) في هامش الف: أي جعله رفيغاً واسعاً مخصباً، وفي هامش ب: عيش رافع: طيب واسع.

(٤) في هامش الف: الإحصاء، يجوز أن يكون المفعول به، تقول: حاط فلان كرمه، أي جعل عليه حائطاً، فكانه جعل الإحصاء والعد كالحائط المدار عليهم، لا يتعدونه ولا يخرجون عنه، وفي هامش ب: أي جعل الإحصاء يحوطكم وفسر بقوله: «ووظف لكم مدداً».

(٥) في هامش الف وب: أرصد: اعد.

(٦) في هامش الف: أثركم: من الإيثار، وأصله: أن تقدم غيرك على نفسك في منفعة أنت قادر على الاختصاص بها، وهو في هذا الموضع مجاز حسن، وفي هامش ب: اختاركم.

(٧) في هامش الأصل: جمع رافدة من الرغد، وهو المعونة، وفي هامش الف: الرغد: [جمع رافدة]: العطية والصلة، وفي هامش ب: العطاء.

(٨) في هامش الأصل: الروافع: جمع رافعة، والرفع: لين العيش.

(٩) في هامش ب: جمع بالغة، وفي هامش الف: الظاهرة، قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.

(١٠) في الأصل: ووصف، وفي هامش الأصل: أي قدر وقسم، وفي هامش الف: قدر.

(١١) في هامش الأصل، وفي نسخة: أمدأ.

(١٢) في هامش الف: خبرة بكسر الخاء، أي دار بلاء وامتحان.

(١٣) في هامش الف: أي اعتبار.

(١٤) في هامش ب: فإن الدنيا، الفاء يتعلّق بأوصيكم.

(١٥) في هامش الأصل: أي كدر، وفي هامش الف: رنق بكسر النون: أي كدر، والرنق - بفتح النون - مصدر «رنق» بالكسر، أي كدر.

(١٦) في هامش الأصل: أي وجّل، وفي هامش الف: ردغ: ذوطين ووحل، وفي هامش ب: مختلط والردغمة والرداغ: الطين الرقيق.

(١٧) في هامش الأصل: أي معجب، وفي هامش ب: يعجب.

(١٨) في هامش الأصل: أي يهلك.

غُرُورٌ^(١) حَائِلٌ^(٢)، وَضَوْءٌ آفِلٌ^(٣)، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ^(٤) مَائِلٌ، حَتَّى إِذَا أَنَسَ نَافِرُهَا^(٥)،
وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا^(٦)، قَمَصَتْ^(٧) بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَعَتْ^(٨) بِأَحْبِلِهَا، وَأَقْصَدَتْ^(٩) بِأَسْهُمِهَا،
وَأَعْلَقَتْ^(١٠) أَلْمَرَّةَ أَوْهَاقَ^(١١) الْمَنِيِّ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ^(١٢) الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةَ الْمَرْجِعِ،
وَمُعَايِنَةَ الْمَحَلِّ، وَتَوَابِ الْعَمَلِ.

وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ بِعَقَبِ السَّلَفِ؛ لَا تَقْلُعُ^(١٣) أَلْمَنِيَّةُ أَخْتِرَاماً^(١٤)، وَلَا يَزْعَوِي^(١٥) أَلْبَاقُونَ
أَجْتِرَاماً^(١٦)، يَحْتَدُونَ^(١٧) مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً^(١٨)، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ، وَصَيُورِ
أَلْفَنَاءِ^(١٩).

(١) في هامش الف: الغرور - بضم الغين - ما يغتر به من متاع الدنيا، ويفتحها: الشيطان.

(٢) في هامش الأصل: يحول ويذهب، وفي هامش الف: الحائل: الزائل.

(٣) في هامش ب: زائل.

(٤) في هامش الف: السناد: دعامة يسند بها البيت، وفي هامش ب: السناد: الناقة الشديدة
الخلق، وعبر عنه - ها هنا - بما يستند إليه.

(٥) النافر: ذات النفار.

(٦) في هامش الف: ناكرها: فاعل، من نكرت الشيء: إذا أنكرته.

(٧) في هامش الأصل: أي رفعتها معتمدة عليها، فعل الدابة النفور: وفي هامش الف: قمصت،
من قمص الفرس: إذا رفع يديه وطرحهما معاً، وفي هامش ب: قمصُ الفرس: أن يرفع يديه
ويطرحهما معاً.

(٨) في هامش الأصل وب: أي صادت، وفي هامش ب: أي صادت برسها التي هي كالأحبل.

(٩) في هامش الأصل: أي امرت في الرمية، وفي هامش ب: أي أصابت المقتل سهامها فقتلت.

(١٠) في هامش الأصل: أي جعلتها عالقة به. (١١) في هامش الأصل: جمع وهق: الحبل.

(١٢) في هامش ب: ضيق.

(١٣) في هامش ب: أي لا يرجع الموت عن القطع.

(١٤) في هامش ب: أي انقطاعاً.

(١٥) في هامش ب: أي لا يتوب عن ارتكاب عن الذنوب.

(١٦) الاجترام: اقتراف السيئات والجرائم.

(١٧) في هامش ب: أي يصيرون بهذا المثال المتقدم، واحتذى: اقتدى.

(١٨) في هامش الف: الرسل بفتح السين، هو القطيع من الإبل والغنم، يقال: جاءت أرسالاً، أي
قطيعاً قطيعاً، وفي هامش ب: جماعة جماعة.

(١٩) في هامش الأصل: صيور الأمر، آخره وما يؤول إليه، وهو فيعول (انتهى من الصحاح)

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتْ ^(١) الْأُمُورُ، وَتَقَضَّتْ ^(٢) الدُّهُورُ، وَأَزَفَ ^(٣) النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ ^(٤) مِنْ صَرَائِحِ ^(٥) الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ ^(٦) السَّبَاعِ، وَمَطَارِحِ ^(٧) الْمَهَالِكِ ^(٨)؛ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ ^(٩) إِلَى مَعَادِهِ، رَعِيلاً ^(١٠) صُمُوتاً ^(١١)، قِيَاماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي؛ عَلَيْهِمْ لُبُوسٌ ^(١٢) الْإِسْتِكَانَةِ ^(١٣)، وَضَرَعٌ ^(١٤) الْإِسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْجَيْلُ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ، وَهَوَتْ ^(١٥) الْأَفِيدَةُ كَاطِمَةً ^(١٦)، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيِّمَةً ^(١٧)، وَالْجَمُّ ^(١٨)

→ فتكون الإضافة من إضافة العام إلى الخاص، وفي هامش الف: آخر الأمر وما يصير إليه، وفي هامش ب: ما يصير الخلق إليه، والصيور: الآخرة وما يؤدي إليه.

(١) في هامش ب: انقطعت. (٢) تقضى: انقضى.

(٣) أزف: قرب.

(٤) في هـ. د: أخرجهم ملائكتهم - ن، وفي ب: أخرجتم، وفي هامش ب، وفي نسخة: أخرجهم.

(٥) في هامش الف: الضريح: النشق في وسط الأرض، واللحد: ما كان في جانبه.

(٦) في هامش ب: جمع وجار السبع. (٧) المطارح: جمع مطرح.

(٨) في هـ. د: الهلاك - ن.

(٩) في هامش الأصل: الإهطاع: استشراف الشيء فزعاً منه. وفي هامش ب: مسرعين، يقال: أهطع: إذا مدّ عنقه وصوب رأسه، والإهطاع: الإسراع في الذلة والمذلة.

(١٠) في هامش الأصل: أي جمعاً، وفي هامش الف: الرعيل: القطعة من الخيل، وفي هامش ب: رعيلاً: جماعة من الناس. (١١) في هامش ب: جمع صامت.

(١٢) في هامش الأصل: ما يلبس، والإستكانة: التواضع.

(١٣) في هامش ب: التواضع. (١٤) في هامش ب: الخضوع.

(١٥) في هامش الأصل: يحتمل أن يكون المعنى: ارتفعت فصارت في هواء الصدور، وهوى من مكان مرتفع، ويحتمل أن يكون المعنى: خلت من العقول كما قال تعالى: ﴿وَأَفِيدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾،

وفي هامش ب: هوت: سقطت. (١٦) في هامش ب: مجترعة الغيظ.

(١٧) في هامش الف: صوت خفي، وفي هامش ب: أي يتكلمون بكلام في أنفٍ بتحير ... والهيئمة: الصوت الخفي.

(١٨) في هامش ب، وفي نسخة: الفرق، وفي هامش الف: أي صارت لجاماً، وفي الحديث: «إن

العرق ليجري منهم حتى أن منهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ صدره، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يلجمه وهو أعظمهم مشقة» أعاذنا الله منه، وفي هامش ب: أي سال العرق من كل أحد حتى يفرق فيه إلى فيه، فالإلجام كناية عن وصول العرق إلى الأفواه، وغرقهم في عرقهم إلى موضع اللجام، وهو الفم.

الْعَرَقُ، وَعَظَمَ الشَّفَقُ^(١)، وَأُزْعِدَتْ^(٢) الْأَسْمَاعُ، لِزَبْرَةِ^(٣) الدَّاعِي إِلَى فَضْلِ الْخِطَابِ^(٤)،
وَمُقَايِضَةِ^(٥) الْجَزَاءِ، وَتَكَالِ الْعِقَابِ، وَتَوَالِ الثَّوَابِ.

عِبَادُ مَخْلُوقُونَ أَقْتِدَارًا، وَمَرْبُوبُونَ^(٦) أَقْتِسَارًا^(٧)، وَمَقْبُوضُونَ
أَخْتِصَارًا^(٨)، وَمُضْمَنُونَ^(٩) أَجْدَاثًا، وَكَائِثُونَ رُقَاتًا^(١٠)، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا،
وَمَدِينُونَ^(١١) جَزَاءً، وَمُمَيِّزُونَ حِسَابًا^(١٢)، قَدْ أَهْلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ^(١٣)، وَهَدُوا
سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهْلًا^(١٤) الْمُسْتَعْتَبِ^(١٥)، وَكُشِفَ^(١٦) عَنْهُمْ سُدُقُ^(١٧)

(١) في هامش الف: الشفق والشفقة، بمعنى الاشفاق، أي: الخوف والحذر، وفي هامش ب:
الإشفاق والخشية.

(٢) في هامش الف: أي عرته الرعدة، وفي هامش ب: أي يأخذ مواضع السمع الرعدة وما
يتصل بها من خفق الاسماع بالرعدة من دعوة الملك الجبار.

(٣) في هامش الأصل، وفي نسخة: لزجرة، وفي هامش الف: لزبرة الداعي: صوته، وفي
هامش ب: الزبرة: الصيحة التي هي الزجر والمنع.

(٤) في هامش الف: فصل الخطاب: هو بت الحكومة التي بين الله وبين عباده في الحكومة،
وفي هامش ب: جواب خطاب الله، لم فعلتم هذا؟ ولم تركتم هذا وفي هامش الف: الفصل:
القطع، والخطاب المخاطبة. وكأنهم دعوا ليقطعوا خطاب من يسألهم.

(٥) في هامش الأصل: في الصحاح: قايضت الرجل مقايضة، أي: عاوضته بمتاع وهما قيطان
كما يقال يبعان، انتهى فيكون قوله: «ونكال العقاب ونوال الثواب» تفصيل المقايضة، وفي
هامش الف: المقايضة: المعاوضة، أي انظروا ليرجعوا إلى الطاعة ويخلصوا التوبة؛ لأن
إخلاص التوبة هو المخرج من ربة المعصية، وفي هامش ب: المقايضة: معاوضة الشيء
بالشيء، وفي هامش آخر: مكافأة. (٦) في هامش ب: أي رباهم الله.

(٧) الاقتسار: الغلبة والقهر.

(٨) في هامش الف: حضور الملائكة عند الموت، وفي هامش ب: احتضر القوم: ماتوا.

(٩) في هامش ب: جعلوا في قبورهم. (١٠) في هامش ب: الرفات: البالية.

(١١) في هامش ب: مدينون: مجزيون. (١٢) في هامش ب: كتاباً.

(١٣) المخرج: المخلص. (١٤) في هامش ب: المهل: الوقت.

(١٥) في هامش الف: المستعتب: المسترضي.

(١٦) في الف وب ود: كشفت.

(١٧) في هامش الف: السدفة: قطعة من الليل المظلم، وقيل: من الضوء، فهي من الأضداد. وفي
هامش ب: كشفت السدفة: أي الظلمة.

الرَّيْبِ، وَخُلُوا لِمِضْمَارِ^(١) الْجِيَادِ^(٢)، وَرَوِيَّةٌ
 مُدَّةِ الْأَجْلِ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهْلِ^(٣)، فَيَالَهَا^(٤) أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَفِيهَا
 قُلُوباً زَاكِيَةً^(٥)، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً^(٦)، وَآرَاءَ عَازِمَةٍ^(٧)، وَالْبَابُ حَازِمَةٌ^(٨)، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مِنْ
 سَمِعٍ فَخْشَعٍ، وَأَقْتَرَفَ^(٩) فَاغْتَرَفَ، وَوَجَلَ^(١٠) فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيَّقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُيِّرَ
 فَاغْتَبَرَ، وَحَذَرَ (فَحَذَرَ، وَأَزْدَجَرَ)^(١١) فَارْدَجَرَ^(١٢)، وَأَجَابَ فَأَنَابَ^(١٣)، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَأَقْتَدَى
 فَاخْتَدَى^(١٤)، وَأَرَى فَرَأَى^(١٥)، فَأَسْرَعَ طَالِباً، وَنَجَا هَارِباً، فَأَنَادَ^(١٦) ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً،
 وَعَمَّرَ مَعَاداً، وَاسْتَظْهَرَ زَاداً^(١٧) لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجَّهَ سَبِيلَهُ، وَحَالَ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنَ فَاقَتِهِ،
 وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ لَهُ^(١٨)، وَأَحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ^(١٩) مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ^(٢٠)،

(١) في هـ. د: وروي بمضمار الجياد - ك، وفي هامش الف: المضمار: الموضع الذي يضمر فيه

الفرس والتضمير: ان يعلف الفرس حتى يسمن، وفي هامش ب: استعارة.

(٢) في هامش ب، وفي نسخة: الخيار، أي حلوا مضمار الخيار.

(٣) في هامش الأصل: التروي والتفكر، والارتداد: الطلب، وفي هامش ب: التفكير.

(٤) في هامش الأصل: الاناءة: التؤدة والانتظار، والمقتبس - ها هنا - الطالب للعلم، وفي

هامش ب: أي سكون مطالب العلم.

(٥) في هامش الف: الطالب، وفي هامش ب: الالتباد: الطلب، والمرتاد: الطالب.

(٦) في هامش ب: الدنيا.

(٧) في هامش ب: فيالها، فالها، ضمير الكلمات، «فيالها» يقال للتعجب.

(٨) في هامش ب: طاهرة.

(٩) في هامش ب: حافظة.

(١٠) في هامش ب: ذات عزم.

(١١) في هامش ب: الحزم: ضبط الرجل أمره.

(١٢) في هامش ب: اکتسب.

(١٣) في هامش ب: اکتسب.

(١٤) ما بين القوسين من الأصل ولم يرد في الف وب وط، وفي هـ. د: ساقط من ن م ف ل ش.

(١٥) في هامش ب: ازدجر: افتعل.

(١٦) في هامش ب: أي رجع.

(١٧) احتدئ: عمل بما عمله مقتداه.

(١٨) في هامش ب: استفاد، وهو من الأضداد.

(١٩) استظهر زاداً: حمل زاداً على ظهر راحلته.

(٢٠) في هامش ب: أي اجعلوا نفوسكم تستحق الجنة بأن تصدقوا بالبعث.

(٢١) في هامش ب: أي غاية.

(٢٢) أي التعرض لمعصيته.

وَأَسْتَحِثُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّجَزُّزِ^(١) لِصِدْقِ مِيعَادِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ^(٢).
 مِنْهَا: جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا لِتَعِيَ مَا عَنَّا^(٣)، وَأَبْصَارًا^(٤) لِتَجْلُو^(٥) عَنْ عَشَاهَا^(٦)، وَأَشْلَاءَ^(٧)
 جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلَائِمَةً لِأَخْنَائِهَا^(٨)، فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا، وَمُدِدِ عُمْرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ
 بِأَرْفَاقِهَا^(٩)، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ^(١٠) لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلَّلَاتٍ^(١١) نَعِيمٍ، وَمُوجِبَاتٍ مِنْهُ^(١٢)،
 وَحَوَاجِزٍ عَافِيَتِهِ^(١٣)، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَارًا سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَفَ لَكُمْ عِبْرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ
 قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعٍ خَلَاقِهِمْ^(١٤)، وَمُسْتَمْسَحٍ^(١٥) خَنَاقِهِمْ^(١٦)، أَرْهَفَتْهُمْ^(١٧) أَلْمَنِيَا دُونَ
 أَلْمَالِ، وَشَدَّ بِهِمْ^(١٨) عَنْهَا تَحَرُّمٌ^(١٩) أَلْجَالِ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ^(٢٠)، وَلَمْ يَغْتَبِرُوا
 فِي أَنْفِ^(٢١) الْأَوَانِ.

- (١) في هامش ب: بالإنجاز: أي الاستيفاء. (٢) في هامش ب: أي مصيرة.
 (٣) في هامش ب: لتحفظ تلك الاسماع ما يعينها، أي ما يهتّمها، ومنه قوله ﷺ: «من حُسن
 اسلام المرء تركه ما لا يعنيه». (٤) في هامش ب: أي جعل لكم أبصاراً.
 (٥) في هامش ب: أي ليكشف تلك الأبصار ما يؤذيها من الظلمة.
 (٦) في هامش ب: عماها.
 (٧) في هامش الف: أطرافاً، وفي هامش ب: أي وجعل لكم أشلاءً، وهي أعضاء اللحم في
 الجسم، واحدها: شلو. (٨) في هامش ب: موافقة لجوانبها.
 (٩) في هامش ب: ومنافعها، بأعوانها، وفي هـ. د: وروى بأرماقها - ك.
 (١٠) في هامش ب: رائدة: أي طالبة، من «راد يروء»: إذا جاء وذهب.
 (١١) في هامش ب: بالفتح معظمت، وبالكسر: غواشي.
 (١٢) في هامش ب: ممن النعم.
 (١٣) في هامش ب، وفي نسخة: وحواجز بليّته، وجوامع عافيته. وفي هـ. د: حواجز بليّته -
 حاشيه م، وروي: جوائز عافيته. (١٤) في هامش ب: أي نصيبهم من الحياة.
 (١٥) في هامش ب: أي متّسع.
 (١٦) الخناق بالفتح: حبل يخنق به، وبالضم: داء يمتنع معه التنفس.
 (١٧) في هامش الف وب: اي أعجلتهم.
 (١٨) في هامش ب: أي قطعهم انقطاع آجالهم عنها، أي غرّتهم الآمال، والشّد: قطع أغصان
 الشجر. (١٩) في هامش ب: الاستفصال والإقطاع.
 (٢٠) في هامش ب: لم يبسطوا فرشاً لمضعهم في القبر عند قدرتهم على ذلك إذ كانوا سالمين.
 (٢١) في هامش ب: أوائل.

فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ ^(١) إِلَّا حَوَانِي الْهَرَمِ ^(٢)، وَأَهْلُ غَضَارَةِ ^(٣) الصَّحَةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ، وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ ^(٤) الْفَنَاءِ، مَعَ قُزْبِ الزِّيَالِ ^(٥)، وَأَزُوفِ ^(٦) الْإِثْقَالِ، وَعَلَزِ ^(٧) الْفَلَقِ ^(٨)، وَالْمِ الْمَضْضِ، وَغُصَصِ ^(٩) الْجَرَضِ ^(١٠)، وَتَلَفَتِ إِلَّا شَتِغَانَةً بِنُصْرَةِ الْحَفْدَةِ ^(١١) وَالْأَقْرَبَاءِ، وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ.

فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ ^(١٢)، وَقَدْ غُوِذِرَ ^(١٣) فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا، وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا، قَدْ هَتَكَتِ ^(١٤) أَلْهُوَامُ ^(١٥) جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ التَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَقَّتِ ^(١٦) أَلْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ، وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً ^(١٧) بَعْدَ بَضَّتِهَا ^(١٨)، وَالْعِظَامُ نَخْرَةً ^(١٩) بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُزْتَهِنَةٌ بِثَقَلِ أَعْبَائِهَا ^(٢٠)، مُوقِنَةٌ بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلَا تُسْتَعْتَبُ ^(٢١) مِنْ سَيِّءِ زَلِيلِهَا، أَوْ لَسْتُمْ أَتْنَاءَ الْقَوْمِ

(١) في هامش ب: حلاوتها وطرقاتها ورواقها، يقال: رجل بض: أي رقيق الجلد.

(٢) في هـ. د: وروي حواني - ك، وفي هامش ب: حواني الهرم: معاطف تحني وتنعطف وتعوج في حال الشيب.

(٣) في هامش الف: يقال أنه في غضارة العيش، أي أنه في حضرة وخير أوبة، وفي هامش الف: وقت. (٤) في هامش ب: جمع: أوان.

(٥) في هامش ب: أي المفارقة. (٦) في هامش ب: أي قرب الانتقال.

(٧) في هامش ب: العلز: خفة وسكون. (٨) في هامش ب: الفلق: الاضطراب.

(٩) في هامش ب: الغصص - بالفتح - : جمع غص بالطعام، وبضم العين: جمع الغصة، وهي الشحناء.

(١٠) في هامش ب: الجرض - بالتحريك - : الریق يُعَصُّ به، يقال: جرض بريقه يجرض: أي غصّ بابتلاع ريقه. (١١) في هامش ب: الخدم والاعوان وولد الولد.

(١٢) في هامش ب: النواحب: النساء اللاتي يرفعن أصواتهن بالبكاء والنحيب.

(١٣) في هامش ب: أي ترك. (١٤) في هامش ب: مزقت.

(١٥) في هامش ب: الهوام: الدواب المخوفة، واحدها هامة.

(١٦) في هامش ب: عفت الريح المنزل: درسته، وعفي المنزل: درس.

(١٧) في هامش الف: متغيرة اللون، وفي هامش ب: متغيرة.

(١٨) في هامش ب: طراوتها. (١٩) في هامش ب: بالية.

(٢٠) في هامش ب: أبقاها. (٢١) في هامش ب: أي لا تطلب الرضا.

وَالْآبَاءَ وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرَبَاءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثَلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ^(١)، وَتَطَاوَنَ جَادَتَهُمْ،
فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا، كَأَنَّ الْمَغْنِيَّ
سِوَاهَا، وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِخْرَازِ دُنْيَاهَا، وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصُّرَاطِ وَمَزَالِقِ^(٢)
دَحْضِهِ^(٣)، وَأَهَاوِيلِ^(٤) زَلِيلِهِ، وَتَارَاتِ^(٥) أَهْوَالِهِ^(٦).

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ^(٧) تَقِيَّةَ ذِي لَبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ^(٨) الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَشْهَرَ
الْتِهَجْدُ^(٩) غِرَارَ تَوَمِيهِ، وَأَظْمَأَ^(١٠) الرَّجَاءَ هَوَاجِرَ^(١١) يَوْمِيهِ، وَظَلَفَ^(١٢) الرُّهْدُ شَهَوَاتِهِ،
وَأَوْجَفَ^(١٣) الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ^(١٤)، وَتَنَكَّبَ^(١٥) الْمَخَالِجَ^(١٦) عَنْ وَضَحِ
السَّبِيلِ^(١٧)، وَسَلَكَ أَقْصَدَ^(١٨) الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ، وَلَمْ تَقْتُلْهُ^(١٩) قَاتِلَاتُ^(٢٠)

(١) في هـ. د: وروي قدهم - ك، وتركبون قذتهم - ل. وفي مصححة والف: قذتهم، بالذال
مضمومة القاف، وفي هـ. أ: كذا صححه والذي رحمه الله، والصواب فيما نرى «قذتهم» بالذال
غير معجمة مكسورة القاف، وهي الطريقة، والله أعلم بالصواب. وفي هامش ب: قذتهم
أجود، والصواب: قذتهم: أي طريقتهم، هذا لقوله تعالى ﴿طَرَائِقَ قِدْدًا﴾.

(٢) في الف ود: على الصراط مزلق، وفي هامش ب: المزلق: مواضع الزلق، وإضافة المزلق.

(٣) الدحض: إنقلاب الرجل الذي يوجب السقوط.

(٤) في هامش ب: أي المخاوف. (٥) في هامش ب: أوقات.

(٦) في هامش ب: أي تتابع أهواله.

(٧) كذا في الأصل و د، ولم ترد «عباد الله» في ألف و ب و ط. وفي هـ. د: عباد الله ساقطة من ن
ف ل م ش. (٨) في هامش ب: أتعب.

(٩) في هامش ب: التهجّد من الأضداد، يكون بمعنى النوم والسهو، والمراد هنا: السهر.

(١٠) في هامش ب: أعطش. (١١) في هامش ب: الهاجرة: نصف النهار.

(١٢) في هامش ب: أي قطع.

(١٣) في ط: أرجف، وفي هامش الف: أي أسرع، وفي هامش ب: من الوجيف، وهو الإضطراب،

وفي هـ. د: أرجف - ب. (١٤) في ط: لا بانه، وفي هـ. د: لا بانه - ب.

(١٥) في هامش الأصل، وفي نسخة: فتتنكب، وفي هامش ب: انحرف عن الشكوك.

(١٦) في هامش ب: المَخَالِج: الأمور التي تكون مخلجة، أي تختلج به عن قصد السبيل.

(١٧) وضح السبيل: الجادة. (١٨) في هامش ب: أقومها.

(١٩) أي لم ترده وتصرفه، وفي الأصل: ولم تقتله قاتلات، وفي هامش الأصل، وفي نسخة:

بالفاء.

(٢٠) القاتلات: الأمور التي ترد وتصرف الإنسان عن الشيء.

الْعُرُورِ، وَلَمْ تَعْمَ^(١) عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ، ظَافِرًا بِفَرْخَةِ الْبُشْرَى، وَرَاحَةِ النَّعْمَى^(٢)، فِي
 أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَآمَنِ يَوْمِهِ، قَدْ عَبَّرَ مُعَبِّرَ الْعَاجِلَةِ^(٣) حَمِيدًا وَقَدَّمَ زَادَ الْأَجَلَةِ سَعِيدًا، وَبَادَرَ مِنْ
 وَجَلٍ. وَأَكْمَشَ^(٤) فِي مَهَلٍ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ^(٥)، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ،
 وَنَظَرَ^(٦) قُدُمًا^(٧) أَمَامَهُ، فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا، وَكَفَى بِاللَّهِ
 مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِبًا وَخَصِيمًا.

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ^(٨) بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعَذَّرَ بِمَا أُنْذَرُ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ، وَحَذَّرَكُمْ
 عَدُوًّا^(٩) نَفَذَ فِي الصُّدُورِ حَقِيئًا^(١٠)، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا^(١١)، فَأَصْلَ وَأُرْدَى، وَوَعَدَ
 فَمَسَى^(١٢)، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ^(١٣)، وَهَوَّنَ^(١٤) مُوَبِقَاتِ^(١٥) الْعِظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ^(١٦)
 قَرِينَتَهُ^(١٧)، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ وَاسْتَغْطَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ^(١٨).

ومنها في صفة خلق الإنسان:

أُمُّ^(١٩) هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَشَغَفَ^(٢٠) الْأَسْتَارَ؛ نُطْقَةً دِهَاقًا^(٢١)، وَعَلَقَةً

(١) في ألف: وتعم.

(٢) النعمى: سعة العيش.

(٣) أي انصرف عما يجب الهروب منه.

(٤) أي انصرف عما يجب الهروب منه.

(٥) في الأصل: قُدُمًا، وفي هامش ب، وفي نسخة: تقدماً، وفي الهامش: القدم: المتقدم.

(٦) كذا في الأصل، ولم ترد «عباد الله» في ألف وب و ط و د.

(٧) في هامش ب: يعني الشيطان.

(٨) في هامش ب: لقوله ﷺ: «الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم».

(٩) في هامش ب: أي مناجياً.

(١٠) منى: أي صور الأمانى كذباً.

(١١) في هامش ب: الجرائم: الذنوب.

(١٢) في هامش ب: أي سهل.

(١٣) في هامش ب: أي مهلكات.

(١٤) الاستدراج: التدرج بالنفس لارتكاب الجرائم.

(١٥) في هامش ب: أي النفس.

(١٦) استغلق الرهن: جعله بحيث لا يمكن تخليصه.

(١٧) في هامش ب: «أم» يجوز أن يكون بمعنى بل، ويجوز أن يكون بمعنى إستفهام معطوف

على كلام متقدم لم يذكر، أي بلى. (٢٠) في هامش ب: غلاف القلب.

(٢١) دهاقاً: أي متتابعاً، وقد تفسر بالممتلئة.

مِخَاقًا^(١)، وَجَنِينًا وَرَاضِعًا، وَوَلِيدًا وَبَافِعًا^(٢)؛ ثُمَّ مَتَحَهُ^(٣) قَلْبًا حَافِظًا، وَلِسَانًا لَافِظًا، وَبَصَرًا لَاحِظًا، لِيُنْفِخَ مِنْهُمْ مُعْتَبِرًا، وَيُقَصِّرَ^(٤) مُزْدَجِرًا؛ حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَأَسْتَوَى مِثَالُهُ؛ نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا^(٥)، وَخَبَطَ سَادِرًا^(٦)؛ مَا تَحَا^(٧) فِي غَوْبِ^(٨) هَوَاهُ، كَادِحًا^(٩) سَعْيًا^(١٠) لِدُنْيَاهُ؛ فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ^(١١) أَرْبِهِ^(١٢)؛ ثُمَّ^(١٣) لَا يَحْتَسِبُ^(١٤) رَزِيئَةً، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً؛ فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا^(١٥)، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ^(١٦) يَسِيرًا^(١٧)، لَمْ يُفِدْ عَوْضًا، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا.

دَهْمَتُهُ^(١٨) فَجَعَلَتْ الْمَنِيَّةَ فِي غُبْرِ^(١٩) جِمَاحِهِ^(٢٠)، وَسَنَنِ^(٢١) مِرَاجِحِهِ^(٢٢)، فَظَلَّ سَادِرًا^(٢٣)، وَبَاتَ سَاهِرًا، فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ؛ بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ^(٢٤)، وَوَلَدٍ^(٢٥) شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعًا، وَلَا دِمَّةٍ^(٢٦) لِلصَّدْرِ قَلَقًا؛ وَالْمَرْءُ فِي

(١) في هامش ب، وفي نسخة: مجاجًا، وفي هامش ب: محاقًا، أي محقوقًا.

(٢) في هامش ب: أيفع الغلام: ارتفع، من اليفاع، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٣) في هامش ب: أعطاه. (٤) في هامش ب: ليكف.

(٥) في هامش ب: متكبرًا.

(٦) في هامش الف: سادرًا: الذي لا يبالي بما صنع ولا يهتم لأُمُوره، وفي هامش ب: المتحير.

(٧) في هامش الأصل: الماتح: المستقي بالدلاء، وفي هامش ب: المستقي.

(٨) في هامش الأصل: الدلو العظيمة. (٩) في هامش الأصل: الكدح: العمل الشديد.

(١٠) في هامش الأصل: أي ساعيًا.

(١١) في هامش الأصل: جمع بدوه، وهو ما يبدو، وفي هامش ب: بداله الرأي: أي ظهر له.

(١٢) الإرب: الدهاء والمكر والخبث والغائلة والعفو والعقل والدين والفرج والحاجة.

(١٣) لم ترد «ثم» في ب ود. (١٤) أي لا يظنها ولا يفكر في وقوعها.

(١٥) في هامش ب: أي غافلًا.

(١٦) في هامش الأصل: هي الزلة والخطيئة، وفي هامش ب: أي سقطته.

(١٧) في ب: اسيرًا. (١٨) في هامش ب: أي أتنه غفلة.

(١٩) في هامش الأصل: الغبر: البقايا من كل شيء، وفي هامش ب: البقية.

(٢٠) في ب: جمامه، وفي هامش ب، وفي نسخة: جماحه.

(٢١) في هامش الأصل وب: هو الطريقة.

(٢٢) في هامش الف: أي نشاطه، وفي هامش ب: شدة البطر.

(٢٣) في هامش الأصل: السدر: المتحير، وفي هامش الف: المتحير.

(٢٤) في هامش ب: كل شيء انشق بنصفين فيقال لكل واحد منهما: شقيق.

(٢٥) في هامش الأصل، وفي نسخة: وولد. (٢٦) في هامش الأصل وب: أي ضاربة.

سَكْرَةٌ مُلَهَّتٌ^(١)، وَغَمْرَةٌ كَارِثَةٌ^(٢)، وَأَنَّةٌ مُوجِعَةٌ، وَجَذْبَةٌ مُكْرِبَةٌ^(٣)، وَسَوْقَةٌ مُثْعَبَةٌ.
ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا^(٤)، وَجُذِبَ مُنْقَادًا سَلِسًا^(٥)؛ ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَغْوَادِ،
رَجِيعٌ^(٦) وَصَبٌّ^(٧)، وَنَضَوْ سَقَمٌ، تَحْمِلُهُ حَفْدَةٌ^(٨) الْوِلْدَانِ، وَحَشْدَةٌ^(٩) الْإِخْوَانِ؛ إِلَى دَارِ
عُزْبِيَّتِهِ، وَمُنْقَطِعَ زُورَتِهِ^(١٠)؛ وَمُقَرَّدٍ وَخَشِيَّتِهِ؛ حَتَّى إِذَا أَنْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَجَجِّعُ، أُقْعِدَ
فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتِهِ^(١١) السُّوَالِ، وَعَثْرَةً^(١٢) الْإِمْتِحَانِ.
وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةٌ نَزَلُ^(١٣) الْحَمِيمِ^(١٤)، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ^(١٥)، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ^(١٦)، لَا
فَتْرَةَ^(١٧) مَرِيحَةٍ^(١٨)، وَلَا دَعَةَ^(١٩) مُزِيحَةٍ^(٢٠)، وَلَا قُوَّةَ حَاجِزَةٍ^(٢١)، وَلَا مَوْتَةَ نَاجِزَةٍ^(٢٢)، وَلَا
سِنَّةَ^(٢٣) مُسْلِيَةٍ^(٢٤)؛ بَيْنَ أَطْوَارِ^(٢٥) الْمَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ؛ إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ^(٢٦)!

- (١) في ط : وسكرة ملهته، وفي هـ . د : وسكرة ملهته - ح وحاشية ن، وفي هامش ب، وفي نسخة: ملهية - بالياء -، وروى: ملهته، من لهث الكلب، وهو أن يدلغ لسانه من العطش، والسكره الملهية: أي التي تُغفل وتلهي عن الموت، والموت يلهي عن كل شيء.
- (٢) في هامش ب : الكارثة: المحزنة، وفي هـ . د : ويروى وغمرة كاربة - ك .
- (٣) في هامش الف: مكربة: موثقة مضيقه عليه، من أكرب الدلو: إذا شدد بها بالكرب. وهو الحبل، واكربت السقا: إذا ملأته.
- (٤) في هامش ب: الإبلان: الحيرة واليأس.
- (٥) في هامش ب: سهلاً.
- (٦) في هامش الف: الرجيع من الدواب: مارء من سفر في سفر حتى كل، والوصب: المرض.
- (٧) في هامش ب: أي وضع على الجنازة وقد أخلقت الأرجاع والأوصاب والأوجاع، والثوب
- (٨) في هامش ب: الحفدة: ولد والولد والأعوان.
- (٩) في هامش ب: الحشدة: المجتمعون لمعاونته، وفي هامش ب، جمع حاشد: المستعد المتأهب، وفي هامش آخر: جماعة.
- (١٠) في هامش ب: زيارته.
- (١١) في هامش ب: لفظة.
- (١٢) في هامش ب: أي الحمم النازلة.
- (١٣) في ط: نزول.
- (١٤) في هامش ب: أي مقاساة حرها.
- (١٥) في هامش ب: الفصل بين اثنين.
- (١٦) في هامش ب: أي قاطعة.
- (١٧) في هامش ب: راحة.
- (١٨) في هامش ب: أي مبعدة.
- (١٩) في هامش ب: أي مائعة.
- (٢٠) في هامش ب: أي من الأسلاء (السلو).
- (٢١) في هامش ب: أي من الأسلاء (السلو).
- (٢٢) في هامش ب: أي من الأسلاء (السلو).
- (٢٣) في هامش ب: أي من الأسلاء (السلو).
- (٢٤) في هامش ب: أي من الأسلاء (السلو).
- (٢٥) في هامش ب: أي من الأسلاء (السلو).
- (٢٦) في ب: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ، الَّذِينَ^(١) عُمِّرُوا فَتَنِمُوا، وَعَلِّمُوا فَفَهَمُوا، وَأَنْظِرُوا^(٢) فَلَهُوا^(٣)، وَسَلَّمُوا
فَنَسُوا! أَهْلُوا طَوِيلًا، وَمُنِحُوا^(٤) جَمِيلًا، وَحُذِّرُوا أَلِيمًا، وَوَعِدُوا جَسِيمًا^(٥)، أَخَذَرُوا
الذُّنُوبَ الْمُورِطَةَ^(٦)، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ، يَا أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ،
هَلْ مِنْ مَنَاصٍ^(٧) أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ^(٨)، أَمْ لَا؟ فَأَنْتِ تُؤَفِّكُونَ، أَمْ
أَنْتِ تَصْرِفُونَ، أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُونَ^(٩)! وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ،
قَيْدُ قَدِّهِ^(١٠)؛ مَنْعِفِرًا^(١١) عَلَى خَدِّهِ.

الآن^(١٢) عِبَادَ اللَّهِ، وَالْخِتَاقُ^(١٣) مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ^(١٤) مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةٍ^(١٥) الْإِزْتِيَادِ^(١٦)، وَرَاحَةٍ
الْأَجْسَادِ^(١٧)، وَمَهْلٍ الْبَقِيَّةِ، وَأَنْفٍ الْمَشِيَّةِ^(١٨)، وَإِنْظَارِ^(١٩) الثَّوْبَةِ، وَأَنْفِسَاحِ^(٢٠)

(١) في ط ود: أين الذين.

(٢) في هامش ب: أمهلوا وأخرت أعمارهم في الدنيا.

(٣) في هامش ب: غفلوا من البطر.

(٤) في هامش ب: أعطوا، وفي هـ د: وأمهلوا جميلاً - م.

(٥) في هامش ب: النعمة الكبيرة.

(٦) الذنوب توصف بالمورطة لأنها تلقي في الورطة، وهي الهلاك، وفي ط وب: المورطة، وفي
هامش ب، وفي نسخة: المورطة.

(٧) في هامش الف: مفرّ. وفي هامش ب: المناص: الملجأ والمفر، يقال: ناص عن قرنه مناصاً: أي فرّ.

(٨) في هامش ب: مرجع، يقال: حور، أي رجع، أي: لا مرجع.

(٩) في هامش ب: من الغرور.

(١٠) في هامش الف: أي قدر. وفي هامش ب: أي مقدار قامته.

(١١) في ط: متعفراً. (١٢) في هامش ب: أي الآن اعملوا يا عباد الله.

(١٣) في هامش ب: أي الحبل الذي يخنق به.

(١٤) في هامش ب: «الروح يذكر ويؤنث».

(١٥) في هامش الأصل: أي مهلة، وفي هامش الف: حين، وفي هامش ب: ساعة.

(١٦) في هامش الف: أي الطلب، وفي الف وب وط ود: الارشاد، وفي هامش ب: فينة الارشاد،

يعني: وقت الارشاد، وضافتها إلى الارشاد: لأن العمر يوجد فيها الرشاد.

(١٧) في ط ود زيادة: «وباحة الإحتشاد» باحة الدار: ساحتها، والاحتشاد: الاجتماع، يريد:

إمكان التعاون على البر في الدنيا.

(١٨) في هامش ب: أول المشيئة، والمشيئة: الإرادة.

(١٩) في هامش ب: اتساع.

(٢٠) في هامش ب: امهال.

الْحُوبَةِ^(١)، قَبْلَ الضَّنكِ وَالْمَضِيِّ، وَالرُّوْعِ^(٢) وَالزُّهُوقِ^(٣)، وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ^(٤)،
وَأَخَذَةَ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

قال الرضي رحمه الله: ^(٥)

رَفِيَ الْخَبَرُ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا خُطِبَ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ أَفْشَعَتْ لَهَا الْجُلُودُ، وَبَكَتِ الْعُيُونُ،
وَرَجَفَتِ الْقُلُوبُ؛ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُسَمِّي هَذِهِ الْخُطْبَةَ الْغَرَاءَ^(٦).

اعلم أن الصراط يطلق باعتبارين:

أحدهما: يراد به الصراط الذي وضعه الله في الدنيا، وهو دين الحق ومنهج النبيين
والصالحين، وهو الذي عناه الله تعالى بقوله: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٧) وقوله: ﴿قُلْ
إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾^(٨) وقوله: ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٩) و﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾^(١٠)
ونحوهن من الآيات كثيرة، وهذا لا خلاف في ثبوته.

وقد يطلق على مجاز الناس إلى الجنة والنار. وقد اختلف في هذا، فقال الجمهور من
علماء العامة: إنه جسر موضوع على جهنم، يكلف الناس كلهم المرور عليه، فيجاوزه
الناجي ويهوي من عليه الهالك إلى النار. وروى الحشوية في صفته روايات من طريق
أبي هريرة وشبهه.

(١) في ب وط ود: الحوبة، وفي هامش الأصل: بالجيم وهو في الأصل المكان الواسع، وفي
هامش الف: ... الجوبة، من قولهم: نزلنا بجوبة من الأرض، وفي لغة بني أسد، أي: بمكان
واسع بمنزلة الجوبة، والجواب، وهما: الواسع من الأودية، وفي هامش ب: والجوبة - بالجيم
-: ما اتسع من الأرض، وها هنا بالحاء

(٢) في هامش ب: الخوف. (٣) في هامش ب: الهلاك.

(٤) في هامش ب: هو الموت.

(٥) من ط ، ولم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أب ص د.

(٦) لم ترد «ومن الناس إلى: الغراء.» (٧) الفاتحة ١: ٦.

(٨) الأنعام ٦: ٦١. (٩) ٤٢: ٥٢.

(١٠) ٤٢: ٥٣.

وأنكر ذلك جمهور ائمتنا^(١)، وقالوا: ما دلّت عليه تلك الروايات مخالف لصريح القرآن والأحاديث الصحيحة الموافقة له، الدالة على كيفية انفصال الناس من موقف الحساب إلى الجنة أو النار كآية الزمر^(٢) ونحوها، ولم يرد في القرآن ما يدلّ على ما قالوه صريحاً ولا بظاهره^(٣)، إلا ما تأولوه عليه من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ولا دلالة فيه على ما ذكروه؛ لأنّ «ورود» التي تكون بمعنى الحضور عنده وقريباً منه^(٤) قالوا: وما ورد من تلك الروايات محتملاً لتأويل تأولناه وما لم يحتمل التأويل قطعنا بكذبه ووضع، فيتأول ما ورد على نحو كلام أمير المؤمنين عليه السلام على هذا: أنّه من باب التمثيل لموقف القيامة من لدن النشر إلى الاستقرار في الجنة أو النار^(٥).

وقد وقع هذا التعبير عن هذا الموقف بالعقبة الكوود التي المخفّ فيها احسن حالاً من المثل، وهو المأمور بالتزوّد له، وسمّي أيضاً «شفيراً لجهنم»؛ لأنّه من لم ينجّه الله من شرّه وقع في النار لا مصرف له عنها، فالواقف فيه كالواقف على شفا إزليق سحيق في الخطر،

(١) أي أئمة الزيدية.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾ إلى آخر الآيتين في سورة الزمر.

(٣) الدال على وجود الصراط في الآخرة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام كثيرة، يمكن ملاحظها في تفسير قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ في كتب الشيعة الامامية من الاخبار الصحاح المعتبرة سنداً والتامة دلالة، فراجع.

(٤) في هـ ص : قال في الصحاح: ورد فلان وروداً: احضر، وأورده غيره واستورده: أي احضره ، انتهى .

(٥) في هـ ص: ويشهد بصحة هذا التأويل ما أخرجه في «تجريد جامع الأصول» ورسمه: الترمذي، انس، قال: قلت: اشفع لي يا رسول الله يوم القيامة، قال: أنا فاعل إن شاء الله، قلت: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبني على الصراط. قال: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبنى عند الميزان. قال: وإن لم ألقك؟ قال: اطلبني عند الحوض، قال: فإني لا اخطيء هذه الثلاث مواطن ، انتهى .

دلّ ذلك على ان الصراط أول مواقف القيامة، وهم يزعمونه آخرها، ومما يشهد بذلك ما رواه الترمذي عن ابن عباس: حدّثني عائشة قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قلت: فأين يكون الناس؟ قال: على شفير جهنم» (انتهى من تحرير جامع الأصول).

ومثل تزلزل الانسان عند السؤال وفحص الأعمال وبلاء السرائر بالسالك في مسلك دقيق كالشفرة وكحد السيف وشعر، وحسك يتعثّر بها ويدحض ويزل، وبحقيقته تدحض حجّته وتزل، وتارات الأهوال يتقلّب الناس فيه من حال إلى حال. وتحقيق التمثيل يحتاج إلى بسط، وفي هذا القدر كفاية للمستبصر، والله أعلم.

ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص:

عَجَبًا لَابْنِ النَّابِغَةِ^(١)! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً^(٢)، وَأَنِّي أَمْرُؤُ تَلْعَابَةٌ^(٣)،
أَعَافِسُ^(٤) وَأُمَارِسُ^(٥)! لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَنَطَقَ أَشَمًا.

أَمَّا - وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ - إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُّ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخُلُ، وَيَسْأَلُ
فَيُلْحِفُ^(٦)، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ^(٧)؛ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ رَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَا مَا لَمْ
تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَا خِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ^(٨) أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ^(٩) سَبْتَهُ^(١٠).

أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ.
إِنَّهُ^(١١) لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتَيْتَهُ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ
رَضِيخَةً^(١٢).

إِعلم أَنَّ أَوَّلَ مَنْ نَسَبَ الدُّعَابَةَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عمر بن الخطاب؛ كَانَ بِزَعْمِهِ
يَبْخُسُ حَظَّهُ فِي اسْتِحْقَاقِ الْخِلَافَةِ الَّتِي أَهَّلَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَهَا بِذَلِكَ، وَلَقَفَ أَعْدَاءَهُ ذَلِكَ مِنْهُ

(١) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ: هِيَ أُمُّهُ وَكَانَتْ بَغِيًّا فَنَسَبَهُ إِلَيْهَا إِهَانَةً؛ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْإِهَانَةَ، وَفِي هَامِشِ
ب: الْعَرَبُ تَنْسَبُ الْإِنْسَانَ إِلَى أُمِّهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ لِأَمْرَيْنِ: أَمَّا لِشَرَفِهَا كَمَا يَقَالُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ؛
إِذَا كَانَ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ وَقِصَّةٌ عَجِيبَةٌ، وَأَمَّا تَذَكُّرُ مَحَاسِنِهَا دُونَهَا إِذْ هُوَ فِيهِ ...

(٢) فِي هَامِشِ ب: لَهُوَ.

(٣) فِي هَامِشِ ب: تَلْعَابَةٌ: كَثِيرُ اللَّعِبِ وَإِنِّهَا لِلْمُبَالَغَةِ.

(٤) فِي هَامِشِ ب: الْمَعَافَسَةُ: الْمَعَالَجَةُ، وَأَيْضًا الْعَفْسُ: الْإِبْتِدَالُ.

(٥) فِي هَامِشِ ب: الْمَمَارَسَةُ: أَشَدُّ الْمَعَالَجَةِ. (٦) فِي الْفِ وَد: وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَيُسْأَلُ فَيَبْخُلُ.

(٧) فِي هَامِشِ الْف: الْوَصْلَةُ، وَفِي هَامِشِ ب: الْقَرَابَةُ، وَفِي هَامِشِ آخِر: اللَّهُ وَالْقَرَابَةُ.

(٨) فِي هَامِشِ ب: حِيلَتُهُ. (٩) فِي ط: الْقِرْمَ.

(١٠) فِي هَامِشِ الْف: اسْقَهُ. (١١) فِي ط: وَانْه.

(١٢) فِي هَامِشِ ب: رَضِيخَةٌ: أَيُّ عَطَاءٍ أَقْلِيلًا، وَالرَضِخُ - بِالْحَاءِ وَالْخَاءِ - كَسْرُ الْعَصَا وَالنَّوْيِ.

حتى قالوا ما حكاه امير المؤمنين، وحتى حكى أبو هريرة قصة زعم انها جرت له معه
حكاهما في شرح ميشم بن علي^(١).

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يرفع نفسه عن أن يكلم أبا هريرة، فضلاً عن أن يمازحه،
وحاشا أمير المؤمنين عليه السلام من البطالة، وكيف بذلك وهو القائل: «ما مزح امرئ مزحة إلا
مَجَّ من عقله مجّة»^(٢).

وانما كان عليه السلام سهل المحيّا، بسّاماً في وجه من يخاطبه، خلق المؤمن، كما قال:
«المؤمن بُشره في وجهه وحزنه في قلبه»^(٣) ولم يكن مكفهرّاً فظّاً غليظاً جافياً، فجعل
ذلك المتطلبون لعيبه عيباً، وشتّعوه بهتاً، وجعلوا الحسن قبيحاً.

وقوله عليه السلام في حق عمرو: «اما وانه يقول فيكذب ... إلى آخر كلامه»:

نسبة لعمرو إلى النفاق؛ لأنّ هذه الخلال هي التي علّم بها رسول الله ﷺ المنافقين في
الأحاديث الصحيحة، والله سبحانه أعلم.

(١) وادعى فيه أبو هريرة ان علياً عليه السلام أخذ منه لفظة وحذفه بنواعة، انظر شرح ميشم بن علي ٢:

(٢) راجع الحكمة ٤٥٠ من نهج البلاغة.

(٣) البحار ٦٩: ٤١١.

ومن خطبة له ﷺ:

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ الْأَرْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تُعْقَدُ^(١) الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ؛ وَلَا تَنَالُهُ التَّجَرُّؤَةُ وَالْتِبَعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

ومنها:

فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ^(٢)، وَأَعْتَبِرُوا بِالْآيِ^(٣) السَّوَاطِعِ، وَأَزْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ^(٤) الْبَوَالِغِ^(٥)، وَأَنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ^(٦) وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتُمْ^(٧) مَخَالِبَ^(٨) الْأُمْنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ^(٩) عِلَاقُ الْأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْطِعَاتُ^(١٠) الْأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْزُودِ.

(١) في د: تَعْقِدُ، وفي هامش ب: تُعْقَدُ. ما لم يسم فاعله، ويخط الرضي رحمه الله: لَا تُعْقَدُ.

(٢) في هامش ب: جمع نافع.

(٣) كذا في الأصل، وفي الف وب وط: الآلاء، وكتب في الهامش: الآي: جمع آية، ويجوز أن يريد بها أي القرآن، ويجوز أن يريد بها آيات الله في خلقه، وهي غرائب الحوادث في العالم، والسواطع المنيرة المشرقة والآلاء: النعم، ويجوز أن يريد: النعم الخارجية والنعم البدنية، ففي كل ذلك دليل ومعتبر.

وفي هامش ب: جمع آية من القرآن، ووصفها بالبوالغ؛ لعلوها، يقال: سطح الصبح سطوعاً إذا ارتفع.

(٤) في هامش ب: النذر: الانذار، ومنه ما قال الله تعالى في سورة القمر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾.

(٥) في هامش ب: جمع بالغ، أفرد أولاً، وجمع ثانياً، لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾.

(٦) في هامش ب: الذكر تقيض النسيان، وهو مصدر، أي لذلك الجمع.

(٧) في هامش ب: أي كان الامر والشأن: علقكم الموت.

(٨) في هامش ب: مخالب جمع مخلب. (٩) في هامش ب، وفي نسخة: عنكم.

(١٠) في هامش الأصل: ... من أفضع الأمر وهو مفضع، ويجوز قطع الأمر فهو فضيع وافظع

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ؛ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَىٰ مَحْشَرِهَا؛ وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

ومنها في صفة الجنة:

دَرَجَاتٌ ^(١) مُتَقَابِلَاتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَارِقَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْأَسُ ^(٢) سَاكِنُهَا.

قال الشيخ أبو جعفر الإسكافي في كتاب «المعيار والموازنة»: إن هذا الكلام من جملة الخطبة الزهراء ^(٤) وسيأتي منها إن شاء الله قطعة وافرة نافعة.

قوله عليها السلام: «وأشهد أن لا إله إلا الله ... إلى قوله: القلوب»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: في هذا الفصل على قَصَرِهِ ثمانية مسائل من مسائل التوحيد:

الأولى: أنه لا ثاني له سبحانه في الإلهية.

والثانية: أنه قديم لا أول له، لأنه إذا صدق أنه ليس شيء قبله، صدق كونه قديماً؛ إذ لو كان محدثاً كان محدثه قبله.

والثالثة: أنه أبدى لا انتهاء ولا انقضاء لذاته.

والرابعة: نفي الصفات عنه - أعني المعاني.

→ بالرجل على ما لم يسم فاعله نزل به ذلك ، انتهى ، وفي هامش ب: مفتح: أي عظيم، مشكلات الأمور.

(١) كذا في الأصل ومصححة الف، وفي ب: وكل، وفي ط: فكل، وفي د: وكل.

(٢) في هامش ب، وفي نسخة: دوحات، أشجار.

(٣) في هامش الأصل: مضارع بشس كعلم، ويجوز بئس بالكسر، وهو شاذ، والمعنى يصيبه البؤس وهو الشقاء، وفي هامش الف: بشس يبئس بؤساً: اشتدت حاجته، فهو بئس، وفي هامش ب: من البؤس، وفي هامش ب، وفي نسخة: ولا يبأس.

(٤) المعيار والموازنة: ٢٥٤.

والخامسة: نفي كونه مكثِّفاً^(١)؛ لأن كيف إنما يُسأل بها عن ذوي الهيئات والأشكال، وهو منزّه عنها.

والسادسة: أنه غير متبعّض؛ لأنه ليس بجسم ولا عرض.

والسابعة: أنه لا يُرى ولا يُدرك.

والثامنة: أن ماهيّته غير معلومة، وهو مذهب الحكماء وكثير من المتكلِّمين من أصحابنا وغيرهم.

وأدلة هذه المسائل مشروحة في كتبنا الكلامية.

وأعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية، ما عُرِفَتْ إِلَّا من كلام هذا الرجل، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً؛ ولا كانوا يبصرونه، ولو أبصروه^(٢) لذكروه، وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام، انتهى^(٣).

قلت: وهذا يؤيد ما قلناه من أن موضوع علم الكلام الرد على الجحّاد المعاندين، وأنه عليه السلام يشير إلى ما يحدث من ذلك وإلى دليل بطلانه فيكون ذلك فرض كفاية، والمعرفة الجمالية المعتبرة في الإيمان ضرورية، والله أعلم.

(١) في هـ. ص: ونحن نقول: أن من التكيف نسبة الأحوال إليه؛ لأن التكيف انضمام المعنى إلى الجسم، وفي حصل له بذلك هيئة يسأل عنها بكيف، وتلك الهيئة هي الحال، انتهى.

(٢) في ط: يتصورونه ولو تصوروه.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٤٠.

وَجَاءَتْ كُلُّ^(١) نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ؛ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَىٰ مَحْشَرِهَا؛ وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

ومنها في صفة الجنة:

دَرَجَاتُ^(٢) مُتَفَاضِلَاتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْأَسُ^(٣) سَاكِنُهَا.

قال الشيخ أبو جعفر الإسكافي في كتاب «المعيار والموازنة»: إنَّ هذا الكلام من جملة الخطبة الزهراء^(٤) وسيأتي منها إن شاء الله قطعة وافرة نافعة.

قوله ﷺ: «وأشهد أن لا إله إلا الله ... إلى قوله: القلوب»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: في هذا الفصل على قِصْرِ ثمانية مسائل من مسائل التوحيد:

الأولى: أنه لا ثاني له سبحانه في الإلهية.

والثانية: أنه قديم لا أول له، لأنه إذا صدق أنه ليس شيء قبله، صدق كونه قديماً؛ إذ لو كان محدثاً كان محدثه قبله.

والثالثة: أنه أبدي لا انتهاء ولا انقضاء لذاته.

والرابعة: نفي الصفات عنه - أعني المعاني.

→ بالرجل على ما لم يسم فاعله نزل به ذلك ، انتهى ، وفي هامش ب: مفتح: أي عظيم، مشكلات الأمور.

(١) كذا في الأصل ومصححة الف، وفي ب: وكل، وفي ط: فكل، وفي د: وكل.

(٢) في هامش ب، وفي نسخة: دوحات، أشجار.

(٣) في هامش الأصل: مضارع بئس كعلم، ويجوز بئس بالكسر، وهو شاذ، والمعنى يصيبه البؤس وهو الشقاء، وفي هامش الف: بئس يبئس بؤساً: اشتدت حاجته، فهو بائس، وفي هامش ب: من البؤس، وفي هامش ب، وفي نسخة: ولا ييبأس.

(٤) المعيار والموازنة: ٢٥٤.

والخامسة: نفي كونه مكيفاً^(١)؛ لأن كيف إنما يُسأل بها عن ذوي الهيئات والأشكال، وهو منزّه عنها.

والسادسة: أنه غير متبعض؛ لأنه ليس بجسم ولا عرض.

والسابعة: أنه لا يرى ولا يدرك.

والثامنة: أن ماهيته غير معلومة، وهو مذهب الحكماء وكثير من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم.

وأدلة هذه المسائل مشروحة في كتبنا الكلامية.

وأعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية، ما عُرِفَتْ إلا من كلام هذا الرجل، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً؛ ولا كانوا يبصرونه، ولو أبصروه^(٢) لذكروه، وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام، انتهى^(٣).

قلت: وهذا يؤيد ما قلناه من أن موضوع علم الكلام الرد على الجحّاد المعاندين، وأنه عليه السلام يشير إلى ما يحدث من ذلك وإلى دليل بطلانه فيكون ذلك فرض كفاية، والمعرفة الجمالية المعتبرة في الإيمان ضرورية، والله أعلم.

(١) في هـ. ص: ونحن نقول: أن من التكيف نسبة الأحوال إليه؛ لأنّ التكيف انضمام المعنى

إلى الجسم، وفي حصل له بذلك هيئة يسأل عنها بكيف، وتلك الهيئة هي الحال، انتهى.

(٢) في ط: يتصورونه ولو تصوروه. (٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٤٠.

ومن خطبة له ﷺ:

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ^(١) الضَّمَايِرَ، لَهُ الْإِخَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْعَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَهْلَةٍ^(٢)، قَبْلَ إِرْهَاقِ^(٣) أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ^(٤)؛ وَلْيَمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ^(٥) لِدَارِ إِقَامَتِهِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ^(٦) أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظْتُكُمْ^(٧) مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوَدَعْتُكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا^(٨)، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى^(٩)؛ وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمَى، قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ^(١٠)، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ تَبْيَانًا^(١١)، وَعَسَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهَ أَرْمَانًا، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ^(١٢) الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ،

(١) في هامش الأصل وب: بفتح الباء، أي ابتلاها وامتحانها، ومن رواه بكسر الباء أراد عَلِمَ الخبر - بضم الخاء - : العلم.

(٢) في هامش الأصل: يقال ارهقه، أي غشيه ليهلكه، وفي هامش ب: الإرهاق مصدر ارهقه عسراً، أي كلفه إياه، وأرهقه: أغشاه، وفي هامش آخر: تضيق.

(٣) في هامش الأصل وب: بفتح الفاء والعين: مجرى التنفس.

(٤) في هامش الأصل وب: بفتح العين وباسكانها: الترحل.

(٥) في هامش الأصل وب: منصوب على التحذير والإغراء.

(٦) في هامش ب: أي خفوا الله فيما كان وفيما يكون من إقامة ما استحفظكم الله، أي ما شاء لكم حفظه والمحافظة عليه من أحكام كتاب الله الشرعية، وفي مراعاة ما استودعكم من الواجبات العقلية في حقوق الله.

(٧) في هامش الأصل: بضم السين، أي: مهملين.

(٨) في هامش الأصل: يفسر بتفسيرين، أحدهما: قد بين لكم خيرها وشرها، والثاني: قد أعلنى مآثركم، أي رفع منازلكم أن أطعتم، وتكون سمي بمعنى أسمى. ذكره في الشرح.

(٩) في هامش الأصل: تبيناً - بكسر التاء - مصدر بين وهو شاذ، لم يأت على وزنه إلا تلقاء، انتهى من الشرح.

(١٢) لم ترد «دينه» في أ وب.

وَأَنَّهُ^(١) إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّةُ^(٢) مِنْ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِهٗ، وَتَوَاهِيهٗ وَأَوَامِرُهٗ، فَأَلْقَى^(٣) إِلَيْكُمْ الْمَعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ.

فَاسْتَذَرَكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَأَصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ^(٤)، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا أَلْفَعْلَةٌ، وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَلَا تُرَخَّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ؛ فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخْصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ، وَلَا تُدَاهِنُوا^(٥) فَيَهْجُمَ^(٦) بِكُمْ الْإِذْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ. عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّاهُمْ لِنَفْسِهِ أَغْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ^(٧)، وَالْمَغْبُوطُ^(٨) مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَخْذَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ^(٩).

وَأَعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَاءٌ لِلْإِيمَانِ^(١٠)، وَمَخْضَرَةٌ^(١١) لِلشَّيْطَانِ، جَانِبُوا الْكَذِبَ؛ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَفَا^(١٢) مُنْجَاةٌ وَكَرَامَةٌ،

(١) في هامش ب: أذن وأراكم وشرّفكم.

(٢) في هامش ب: محابه، أي الطاعة التي هي ذوات محابه، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. (٣) في ط: وألقى.

(٤) في هامش الأصل: يقال: صبر نفسه على كذا: حبسها، يتعدى فينصب، وفي هامش ب: احبسوا أنفسكم.

(٥) في هامش ب: المداهنة كالمصانعة، والإدهان مثله، وقال قوم: داهنت بمعنى وارىت، أداهنت بمعنى أغشيت، قال الله تعالى: ﴿وَدَّوَّا لَوْ تَذَهِنَ فَيُذْهِقُونَ﴾.

(٦) في هامش ب: هجم على الشيء: أناه بغتة.

(٧) في هامش ب: يقال غبن في البيع فهو مغبون، وغبنته - بالفتح -: خدعته، وغبن رأيه - بالكسر -: أي نقص، فهو غبين أي ضعيف.

(٨) في هامش الأصل: هو الذي يتمنى صلاح حاله، وفي هامش ب: المغبوط من الغبطة، وهي محمودة، والحسد مذموم. (٩) في هامش ب، وفي نسخة: بهواه.

(١٠) في هامش الف: أي داعية إلى نسيانه، وفي هامش ب: المنساة: أي المدعاة إلى نسيان توابع الإيمان وفروعه والقيام بأوامره ونواهي.

(١١) في هامش الأصل: إمّا بمعنى موسم حضوره، أو بمعنى داعية حضوره.

(١٢) في ط: شرف، وفي هامش الأصل: شفا الشيء: طرفه وحرفه، وفي هامش ب: شفا كل

وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ، وَلَا تَحَاسَدُوا؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ
الْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغَضُوا؛ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ^(١)، وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِيَ الْعَقْلَ وَيُسَيِّسُ الذِّكْرَ،
فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ؛ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

قوله ﷺ: «ونواهيه وأوامره»:

جمع ناهية وأمرة، وهي الآيات والدلائل الآمرة بالطاعة، والناهية عن المعصية.

قوله ﷺ: «ولا ترخصوا ... الخ»:

نهى عن الأخذ برخص المذاهب؛ وذلك لأنه لا يجوز للواحد من العامة أن يقلد كلاً من
أئمة الاسلام فيما خَفَّ وسهل من الأحكام الشرعية.

أو: لا تُساهلوا أنفسكم في ترك تشديد المعصية، ولا تسامحوها وترخصوا لها في
ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب فتتجهجم بكم على الكبائر؛ لأن من مرّن على أمر
تدرّج من صغيره إلى كبيره، تمّت من الشرح^(٢).

قوله ﷺ: «ولا تداهنوا»:

المداهنة: المصانعة، والاذهان مثله، ومعناها ان يظهر الرضا بطريقة مخالطة، ويبطن
اتكارها.

قوله ﷺ: «والمغبون ... إلى آخره»:

أي إن أحق الناس أن يسمى مغبوناً من غبن نفسه، يقال: غبنته في البيع غبنا
- بالتسكين - أي خدعته، ويقال: غبن الرجل رأيه غبنا - بالتحريك - إذا انقصه، فهو
غبين، أي ضعيف الرأي، وفيه غبانة، وقوله ﷺ: «والمغبون» يدلّ على أنه من غير باب

→ شيء: حرفه، وأشفى على الشيء، وأشرف عليه، بمعنى واحد، وفي هامش ب: الشرف:
المكان العالي، والمهواة: المسقط، وهوى: سقط، والهوة: الحفرة العميقة، والمهواة: ما بين
الجبليين، والهاوية نحوها.

(١) في هامش الأصل: أي المستأصلة التي تأتي على القوم كالحلق للشعر، وفي الحديث
«تحلق الدين»، وفي هامش الف: الحالقة: الداهية، وحلاق معدولة منها، وهي من الحلق،
وفي هامش ب: الحالقة: المهلكة. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٥ - ٣٥٧.

البيع والشراء .

وقوله ﷺ: «جانبوا الكذب...»:

قيل: يا رسول الله، أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل: أفيكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: أفيكون كاذباً؟ قال: لا.

وقوله: «ومهانة»:

كان يقال: خصلتان لا تجتمعان، الكذب والمروءة، وكان يقال: من شرف الصدق ان صاحبه يصدق على عدوه، ومن دناءة الكذب أن صاحبه يكذب وان كان صادقاً، انتهى من الشرح^(١).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٥-٣٥٧.

ومن خطبة له عليه السلام:

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ^(١) اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ^(٢) الْحُرْنَ، وَتَجَلَّبَبَ^(٣) الْخَوْفَ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ^(٤)، وَأَعَدَّ الْقِرَى^(٥) لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ^(٦)، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبُعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ، نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَأَرْتَوَى مِنْ عَذَابِ قُرَاتٍ^(٧) سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدَهُ، فَشَرِبَ نَهْلًا^(٨)، وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا^(٩)، قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى عَنِ الْهُمُومِ^(١٠) إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ بِهِ^(١١)، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ أَهْلِ^(١٢) الْقَمَى وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَعَالِيْقِ أَبْوَابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ^(١٣)، وَقَطَعَ غِمَارَهُ^(١٤)، اسْتَمْسَكَ مِنَ الْغَوَى

(١) في هامش ب: صفة «عبدًا» ومعناه: كسر شهواته.

(٢) في هامش الأصل: أي لازمه، فجعله كالشعار، وهو ما يلي الجسد من الثياب، وفي هامش ب: أي اتخذه شعاراً.

(٣) في هامش الأصل وب: أي جعله جلباباً، أي لباساً.

(٤) في هامش ب: أي أضاء سراج العلم واليقين في قلبه.

(٥) في هامش الأصل: أي الضبابة، والمراد به هنا: الطاعة.

(٦) أي الموت.

(٧) في هامش الأصل: يعني به علماً صحيحاً خالصاً من الشبهة.

(٨) في هامش الأصل: يجوز أن يريد شرباً مكرراً، ويجوز أن يريد كافياً، والشرب الثاني

يسمى نهلاً، وفي هامش ب: النهل: الشرب الأول، وقد نهل وأنهلته لأن الأبل تسقي من أول

الورد فتزد إلى القطر، ثم تسقي الثاني وهي العلل فتزود....

(٩) في هامش الأصل: أي واضحاً يؤمن فيه العثار، وفي هامش ب: جدد: جمع جادة.

(١٠) في هـ. د: عن الهموم - ح. (١١) في هامش ب، وفي نسخة: تفرّد به.

(١٢) لم ترد «هل» في ألف وب و ط و د.

(١٣) في هامش الأصل: أي علّمه الذي يقتدي به، والمنار: علّم الطريق.

(١٤) في هامش الأصل: جمع غمرة، هو ما يغمر، وفي هامش ب: أي شديدة، يقال: بحر غمر،

أي كثير الماء، وبحار غمار، وغمرات الموت، شدائده، والغمرة: الزحمة من الناس والماء،

والجمع غمار، ودخلت في غمار الناس - يَضم وبكسر - أي في زحمتهم وكثرتهم.

بِأَوْثِقِهَا^(١)، وَمِنْ الْجِبَالِ بِأَمْتِنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ^(٢) صَوْرِ الشَّمْسِ، قَدْ أَنْصَبَ^(٣) نَفْسَهُ^(٤) لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ، مِنْ إِصْدَارِ^(٥) كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَضْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ^(٦)، مُضْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَافُ عَشَوَاتٍ^(٧)، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ^(٨)، دَفَاعُ مُعْضَلَاتٍ^(٩)، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ^(١٠)، يَقُولُ قِيْفُهُمْ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا^(١١)، وَلَا مَظْنَّةَ إِلَّا قَصَدَهَا^(١٢)، قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقْلُهُ^(١٣)، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ. وَآخِرُ: قَدْ تُسَمَّى^(١٤) عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ^(١٥) مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ^(١٦) مِنْ

(١) في هامش الأصل: يعني عرف الحق وأهله، فدخل في جملتهم، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

(٢) في الف: في مثل، وفي هـ. أ، وفي نسخة: على مثل.

(٣) كذا في الأصل، وفي النسخ: قد نصب.

(٤) في هامش ب: نصب نفسه: أقامها، ونصب - بالكسر: أتعبها، وفي أرفع الأمور، كأنه إشارة إلى الفقه... فإن الفقيه ينصب نفسه لله في الأدلة والنصوص في كل ما يرد عليه، ولا يقيس في الأحكام.

(٥) في هامش الأصل: أي أجابه كل سؤال بجواب صحيح.

(٦) في هامش الأصل: أي إدخال كل مسألة تحت دليلها المتناول لها بالبيان.

(٧) في ب عشوات: وفي ط: عشوات. وفي هامش الأصل: جمع عشوة - بالحركات الثلاث في الفاء - أي شبهة، وفي هامش ب: العشوات: الأغطية وقرى، على «عشوة» أي غطاء، والغاشية: القيامة، والعشوات: جمع عشوة، وهي سواد الليل.

(٨) في هامش الأصل: حلقة مبهمة لا يدرى أين طرفها، وفي هامش ب: حلقات.

(٩) في هامش الأصل: اعضل الامر: صعب، وفي هامش ب: شدائد.

(١٠) في هامش الأصل: أي يهتدى به في مضال الدين كما يهتدى بدليل الفلاة، وهي المنارة.

(١١) في هامش ب: قصدها.

(١٢) في هامش الأصل: مظنة الشيء حيث يظن وجوده، وفي هامش ب: علامة المنزل: العلم.

(١٣) في هامش ب: ثَقْلُهُ. وفي هامش ب، وفي نسخة: ثَقْلُهُ.

(١٤) في هامش ب، وفي نسخة: قد يُسمى.

(١٥) في هامش الأصل: جهائل، جمع جهالة كأعاليق جمع علاقة، وفي هامش ب: جمع جهالة.

(١٦) في هامش الأصل: جمع لا واحد له من لفظه، والمعنى: أنواعاً من الضلال.

ضَلَالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أُشْرَاكَ^(١) مِنْ حَبَائِلِ^(٢) غُرُورٍ وَقَوْلٍ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ^(٣)، وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤَمِّنُ^(٤) مِنَ الْعِظَائِمِ، وَيَهْوُنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ، يَقُولُ: «أَقِفْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ» وَفِيهَا وَقَعَ، وَيَقُولُ: «أَعْتَزِلُ الْبِدْعَ» وَبَيْنَهَا أَضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ، وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيُضِلُّ عَنْهُ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ^(٥).

فَأَيْنَ^(٦) تَذْهَبُونَ؟ وَأَيُّ تُوْفِكُونَ^(٧)؟ وَالْأَعْلَامُ^(٨) فَائِئَةُ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ^(٩) مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ^(١٠) يَتَاهُ بِكُمْ^(١١)؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ^(١٢) وَبَيْنَكُمْ عِثْرُهُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَرَمَّةٌ^(١٣) الْحَقُّ^(١٤)، وَالسِّنَةُ الصَّدُقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ^(١٥)، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ^(١٦).

-
- (١) في هامش الأصل: جمع شرك، وهو ما يصاد به، وفي هامش ب: جمع شركة: وهي الحباله.
 (٢) في هامش الأصل: ويروى: حبالل، جمع حباله، وهي ما يصاد به.
 (٣) في هامش الأصل: أي اعتقد أولاً، ثم فسر الكتاب على وفق معتقده. وعطف الحق، أي تأول أدلة الحق على وفق هواه. (٤) في د زيادة: الناس.
 (٥) في هامش الأصل: أي هو لجهله لا ينتفع بقلبه وعقله، فأشبه الميت الذي لا يكسب خيراً ولا يصلح فاسداً. (٦) في ب: واين.
 (٧) في هامش الأصل: أي تقلبون وتصرفون، وفي هامش ب: تصرفون.
 (٨) في هامش ب: العلم: العلامة والجبل والراية، والجمع: أعلام.
 (٩) في هامش ب: أعلام. (١٠) في هامش ب: في نسخة: فأني يتاه.
 (١١) في هامش الأصل: أي يذهب بكم في التيه وهو التحير. وفي هامش ب: من يتيه في الأرض: أي يظل فيها متحيراً، والجمع تيه.
 (١٢) في هامش الأصل: أي تتحيرون وتترددون في الضلال.
 (١٣) في هامش الأصل: جمع زمام، كأن الحق ينقاد لهم حيث لم يفارقهم، وفي هامش الأصل «السنة الصدق» كأن الصدق ينطق بألسنتهم لما كان نطقهم صدقاً، وفي الكلام إشارة إلى قوله: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ...» الآية، وقوله تعالى: «وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ». (١٤) في ط و د زيادة: وأعلام الدين.
 (١٥) أي اجعلوا أهل بيت نبيكم من قلوبكم بمنزلة القرآن في التعظيم والاحترام.
 (١٦) في هامش الأصل: أي كونوا ذوي حرص وانكماش على أخذ العلم والدين عنهم كحرص

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا^(١) عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ: إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلَى مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْهَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَأَعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَا هُوَ.

أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ^(٢)؟ وَأَتْرَكَ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ^(٣)؟ وَرَكَزْتُ^(٤) فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى^(٥) حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؟ وَالْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَذْلِي؟ وَفَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفَعْلِي؟ وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي؟ فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَةَ الْبَصَرِ، وَلَا تَتَغَلَّغُلُ^(٦) إِلَيْهِ الْفِكْرُ. ومنها^(٧):

حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ^(٨) عَلَى بَيْتِي أُمِّيَّةً، تَمْنَحُهُمْ^(٩) دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِدَلِكِ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ^(١٠) مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بَرْهَةً^(١١)، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا^(١٢) جُمْلَةً.

→ الهيم الضمَاء على ورود الماء (انتهى من الشرح) قلت: فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فمرتبة العترة أنهم مسؤولون، ومرتبة غيرهم أنهم سائلون، فعكس الجاهلون القضية، فعظمت البلية، إنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) في هامش ب: أي خذوا النصيحة من النبي ﷺ الذي خُتم به النبوة، فإنه قال: «إنه يموت من مات منا... الخ».

(٢) في هامش الأصل وب: يعني القرآن.

(٣) في هامش الأصل وب: العترة.

(٤) في هامش ب: أي احكمت، وفي هـ د: قد ركزت - ح.

(٥) في هامش ب، وفي نسخة: وقومت لكم.

(٦) في ب: تتغلغل، وفي هامش الأصل: التغلغل: تخلل الأشياء. وفي هامش ب: تغلغل الماء في الشجر: إذا جرى فيها، وأوغل الرجل بصره: إذا شدد النظر.

(٧) في هامش ب: ثم حكى ما جرى على الأمة من بني أمية بأخذهم الأموال من المسلمين لأنفسهم حتى ظن الناس أن الدنيا... الخ. (٨) في هامش ب: أي محبوسة.

(٩) في هامش ب: أي تعطيهم تمنح قياسي وتمنح سماعي.

(١٠) في هامش الأصل: المجّة: قدر ما يمجّ من الفم، أي: يلفظ.

(١١) في هامش الأصل: أي قطعة من الزمن، وفي هامش ب: دهرًا.

(١٢) في هامش ب: يطرحونها.

قال ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة طويلة، وقد حذف الرضي رحمه الله تعالى منها كثيراً، ومن جملتها:

«أما والذي قلَقَ الحَبَّةَ، وبرَأَ النَّسْمَةَ، لا يرونَ الَّذِي ينتظرونَ حتى يهلكَ المَتمَنُّونَ، وَيَضْمَحِلَّ المَحَلُّونَ، وَيَتَثَبَّتَ^(١) المؤمنونَ، وقليلٌ ما يكونُ؛ واللهُ واللهُ لا تَرَوْنَ الَّذِي تنتظرونَ؛ حتى لا تَدْعُونَ اللهَ إِشارةً بِأَيْدِيكُمْ وإِيماضاً بِحَوَاجِبِكُمْ، وحتى لا تَمْلِكُونَ مِنَ الأَرْضِ إِلَّا مواضعَ أَقدامِكُمْ، وحتى يكونَ موضعُ سَلاحِكُمْ على ظُهورِكُمْ، فيومئذٍ ينصرني الله بملائِكَته^(٢)، وَمَنْ كَتَبَ عَلَى قَلْبِهِ الإِيمانَ.

وَالَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ لا تقومُ عِصَابَةٌ تَطْلُبُ لِي أو لِعَتْرَتِي^(٣) حَقًّا، أو تدفعُ عَنَّا^(٤) ضَيْمًا إِلَّا صَرَعَتْهُمُ البَلِيَّةُ؛ حتى تقومَ عِصَابَةٌ شَهِدَتْ مع مُحَمَّدٍ ﷺ بَدْرًا؛ لا يودَى قَتِيلُهُمْ، ولا يداوَى جَرِيحُهُمْ، ولا ينعشُ صَرِيعُهُمْ». قال المفسرون: هم الملائكة ومنها:

«لقد دعوْتُكُمْ إلى الحقِّ وتَوَلَّيْتُمْ، وضربْتُكُمْ بالدُّرَّةِ فَمَا استقمْتُمْ، وسَتَلَيْكُمُ بَعْدِي وُلاةٌ^(٥) يعذَّبُونَكُم بالسَّيَاطِ والحديدِ، وسيأتِيكُم غُلَامًا تَقِيفٌ: أَخْفَشُ وجُعْبُوبٌ؛ يقتلانَ ويظلمانَ، وقليلٌ ما يَمَكَّنَان».

* * *

الأخفش: الضعيف البصر خلقته، والمعني به: الحجاج.

والجعبوب: القصير الدميم، والمعني به: يوسف بن عمر.

قوله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ ... إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ»:

اعلم أن مقصد أمير المؤمنين ﷺ ومغزى كلامه هذا وما يشبه من مقاماته: تعريف الحق والمحقين وتعريف ضدهما؛ الباطل والمبطلين، وله في ذلك أسلوب يعرف منه غرضه وفحوى كلامه، وهو: أنه يذكر محققاً بصفاته مجملاً، ومبطلاً بصفاته مجملاً، ثم يذكر

(١) في الأصل: ويثبت.

(٢) في ط: لا ينصرني الله إلا بملائِكَته.

(٣) في ط: أو لغيري.

(٤) في الأصل: عني.

(٥) في الأصل: وسيلونكم ولاة.

أنَّ أهل البيت محقّون يجب اتباعهم، فيعلم أنَّ مخالفهم مبطلون يجب إجتناهم، فيكون ذلك بياناً للمحقّ المجمل والمبطل المجمل.

وذلك انه كان قد علم بإخبار رسول الله ﷺ وبما شاهد من مباديء الفتن اختلاف أهل الاسلام في الأحكام وانقسام العلماء إلى محقّ ومبطل، فأراد أن ينبّه على ذلك وعلى أسبابه، فيعرف المحقّ فيتبع والمبطل فيجتنب لأنّ الله ورسوله أقاماه مقام رسول الله في إيضاح ما اختلف فيه.

فمخرج كلامه في هذا الفصل: مخرج ماورد عنه من ذمّ المختلفين في الفتيا ومن يفتي وليس لذلك بأهل^(١)، وقوله ﷺ: «فيا عجباً ومالي لا اعجب ... إلى آخر كلامه»^(٢)، وقوله: «أين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا ... إلى آخر كلامه»^(٣)، وكلامه لكميل بن زياد^(٤)، وتقسيمه للرواة وبيان من يوثق بروايته منهم ومن لا يوثق به^(٥)، وغير ذلك من مقاماته ﷺ التي خلاصتها إيجاب إتبّاع أهل البيت واجتناب خلافهم، والله أعلم.

قوله ﷺ: «يؤمن من العظام»:

أي يؤمن الناس من عظام الذنوب ويعدّهم المغفرة مع الإصرار.

وقوله ﷺ: «ويهون كبير الجرائم»:

أي يعتقد لجهله ان بعض الكبائر صغائر، فهو يهونها ويقول: لا إثم فيها، كما ترى جمهور العامة يقولون: إنّ معاوية لا إثم عليه في حرب أمير المؤمنين وتشييه، ومن قتل من أمر بالقسط من أئمة أهل البيت فلا إثم عليه بما أمر؛ لأنهم يدعون إلى الفرقة والخروج على السلطان ومخالفة الجماعة.

قوله ﷺ: «يقول: أقف عند الشبهات ... إلى آخر كلامه»:

أي يقول لنفسه وللناس: أنا واقف عند أدنى شبهة؛ تحرّجاً وتورعاً؛ كما قال ﷺ: «دع

(١) نهج البلاغة، الخطبة : ١٨ .

(٢) نهج البلاغة، الكتاب : ٩ وفيه: فيا عجباً للدهر.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة : ١٤٤ . (٤) نهج البلاغة، الحكمة: ١٤٧ .

(٥) نهج البلاغة، الخطبة : ٣٢ .

ما يريُّك إلى ما لا يريُّك».

ثم قال: «وفي الشبهات وقع»:

أي بجهله؛ لأنَّ مَنْ لا يعلم الشبهة ما هي، كيف يقفُ عندها، ويتحرَّج من الورطة فيها، انتهى من الشرح^(١).

قلت: والظاهر أنَّه عليه السلام يشير بذلك إلى مقالة مخالفي أهل البيت؛ فإنَّهم يقولون: نحن لا نصرهم ولا ندخل معهم في أمرهم؛ لاحتمال كونه خطأ، كما روي عن أبي موسى أنه قال لأهل الكوفة: شيموا سيوفكم، وأنصلوا أسنة رماحكم، وقطِّعوا أوتار قسيكم.

وكما روي عن الحسن البصري أنَّه ذكر عنده حرب الجمل وصفين، فقال: تلك حروب طهر الله منها أيدينا، فلا نلطِّخ بها ألسنتنا.

وكما روي عن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، أنهما قالَا: لا يقبلان الداخل من الصحابة في الفتنة؛ لالتباس الحق.

«وفي الشبهة وقع» لأنَّ نصر أهل البيت فرض على كل مسلم فمن قعد عنهم شكاً فقد وقع في أعظم شبهة كما قال عليه السلام: «من سمع واعتنا أهل البيت ثم لم يجبها كبه الله على منخريه في النار». وقال: «ومن تخلف عنها هلك (وفي نسخة: غرق خ ل)^(٢)»، وقال: «أخذل من خذله»^(٣).

يوضح ذلك جوابه للحرث بن لوط، لما قال له: فإنِّي أعتزل مع سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال عليه السلام: «إنَّ سعداً وعبد الله لم ينصراً الحق ولم يخذلا الباطل»^(٤)، والله أعلم. وقوله عليه السلام: «وبينها اضطجع»:

أي مكَّن، إشارة إلى ما يقوله مخالفو أهل البيت، فإنَّهم يزعمون أنَّ قولهم: بأنَّ علياً أفضل من جميع الصحابة، وأنه منصوب على إمامته، وأنَّ الإمامة في أهل البيت خاصَّة بدع مضلَّة والمنكر لذلك هو المبتدع لانه خالف الكتاب والسنة واجماع العترة.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٧٤.

(٢) في حديث السفينة.

(٣) في حديث الغدير.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة: ٢٦٢.

قوله ﷺ: «والقلب قلب حيوان»:

فمراده بالحيوان ها هنا: الحيوان الأخرس كالجمار والثور؛ وليس يريد العموم، لأن الإنسان داخل في الحيوان، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١).

وقال الشاعر:

وَكَأَنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجَبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ^(٢)
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤاده فلم يبقَ إِلَّا صورة اللحم والدم^(٣)
قوله ﷺ: «وبينكم عترة نبيكم»:

قال في الشرح: وعترة رسول الله ﷺ: أهله الأذنون ونسله.

وليس بصحيح قول مَنْ قال: إنهم رهطه وإن بعدوا؛ وإنما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده: «نحن عترة رسول الله ﷺ ويؤتته التي فُقِئت عنه» على طريق المجاز؛ لأنهم بالنسبة إلى الأمصار عترة له، لا في الحقيقة؛ ألا ترى أن العدناني يفاخر القحطاني؛ فيقول له: أنا ابن عم رسول الله ﷺ؛ ليس يعني أنه ابن عمه على الحقيقة، بل هو بالإضافة إلى القحطاني كأنه ابن عمه، وإنما استعمل ذلك ونطق به مجازاً، فإن قَدَّرَ مقدراً أنه على طريق حذف المضافات؛ أي ابن ابن عم أب الأب؛ إلى عدد كثير في البنين والآباء، فكذلك أراد أبو بكر أنهم عترة أجداده، على طريق حذف المضاف. وقد بين رسول الله ﷺ عترة مَنْ هي، لما قال: «إني تارك فيكم الثقلين»، فقال: «عترتي أهل بيتي»، وبين في مقام آخر مَنْ أهل بيته حيث طرح عليهم كساءً وقال حين نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ...﴾^(٤): «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم»، انتهى^(٥).

وقوله ﷺ: «فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن»:

(١) الفرقان ٢٥ : ٤٤.

(٢) البيتان ينسبان إلى زهير، ملحق ديوانه: ١٩٢، (من مجموعة العقد الثمين).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٣٧٤. (٤) الأحزاب ٣٣ : ٣٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٣٧٥.

قال في الشرح: تحته سرٌ عظيم؛ وذلك أنه أمر المكلفين بأن يُجْثروا العِثْرَةَ في إجلالها وإعظامها والانتقياد لها، والطاعة لأوامرها مَجْثَرَى القرآن.

فإن قلت: فهذا القول منه يُشعرُ بأن العِثْرَةَ معصومة، فما قول أصحابكم في ذلك؟ قلت: نصّ أبو محمد بن مثنويه رحمه الله تعالى في كتاب "الكفاية" على أن علياً عليه السلام معصوم، وإن لم يكن واجب العصمة، ولا العصمة شرط في الإمامة؛ لكن أدلة النصوص قد دلّت على عصمته؛ والقطع على باطنه ومغيبه، وأن ذلك أمرٌ اختصّ هو به^(١) دون غيره من الصحابة، انتهى كلام ابن أبي الحديد^(٢).

قلت: عموم السؤال، أن العِثْرَةَ معصومة كلّها، والجواب الذي ذكره، أن علياً عليه السلام وحده معصوم، والجواب الصحيح: أن الذي أجمعت عليه العِثْرَةُ أن علياً عليه السلام معصوم عن الخطأ في الشرعيات منفرداً بخصوصية، وأن جماعة العِثْرَةَ معصومة عن الخطأ فيها^(٣)، فأما الأفراد فذلك خاصة لعلي عليه السلام وأن الأربعة أهل الكساء^(٤) معصوم كلّ واحد منهم عن ارتكاب الكبائر وهذا هو مذهب الزيدية من الشيعة^(٥) وهذا هو الذي يقتضيه كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

وإذ انجر الكلام بنا إلى ذكر إجماع العِثْرَةَ فلا بأس أن نورد هنا في شأنه ما يحسن إيراده لكثرة ما يشير إليه كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فنقول:

أما الاحتجاج على كونه حجة، فلا نعلم أحداً من الأئمة إلا وقد أشار إلى ذلك؛ فمنهم المجمل، ومنهم المفصل، ومنهم المقتصر، ومنهم المطوّل، ومنهم من وضع فيه موضوعاً بخصوصه كالامام أبي طالب والامام الحسين بن اسماعيل الجرجاني وغيرهما، فلا

(١) في هامش الأصل هنا ما يلي: قال الغزالي في احياء علوم الدين: لم يذهب ذو بصيرة ما إلى تخطئة عليّ قط. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٧٦.

(٣) أي في الشرعيات.

(٤) أي النبي وفاطمة عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام.

(٥) ومذهب الإمامية في هذا: أن جميع الأئمة الاثني عشر معصومون عن كلّ كبيرة وصغيرة، وأن التطهير الذي شملهم هو في جميع الأنحاء لعموم الرّجس. والتأكيدات العديد في آية التطهير.

حاجة بنا إلى الاستدلال عليه.

وإنما ينبغي التنبيه على نكتة، وهي: أنه إذا ثبت أنه حجة قطعية يجب اتباعها ويحرم خلافها - كما تضمنته أدلته وكما روى أبو طالب عليه السلام إجماعهم على ذلك - فما وجه ذكر إجماع الأمة معه؟ لا سيما أن الإمام شرف الدين عليه السلام قال: لا دليل على أن إجماع الأمة يحصل المطلوب ويسلم من الاعتراض إلا أن إجماع الأمة يتضمن إجماع العترة؛ إذ هم بعضها، فإذا أجمعت الأمة فقد تضمن إجماعهم إجماع العترة الذي هو حجة قاطعة، ونظم في ذلك قصيدة، فقال:

اجماعنا حجة الاجماع وهو لنا أقوى دليل على ما العلم نبيه

وقال الإمام شرف الدين عليه السلام في شرح خطبة الأئمة: فان أقوى أدلة حجية إجماع الأمة أدلة حجية إجماع أهل البيت عليهم السلام كما أوضحه والدنا الإمام المهدي في آخر «المنية» و «الأمل» وفي باب الاجماع من «شرح المعيار» مما لا مدفع له، انتهى.

فهذا رواية منه لهذا القول عن الإمام المهدي.

وقد أشار ابن أبي الحديد إلى أن المعتبر في الإجماع إنما هو حصة من العلماء هم المؤمنون حقاً حيث قال في بعض كلامه في شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام: وأصحابنا يزعمون أن الله تعالى لا يخلي الأمة عن جماعة من المؤمنين بالعدل والتوحيد، وأن الإجماع إنما يكون حجة باعتبار أقوال أولئك العلماء، لكنهم لما تعذرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع سائر العلماء وإنما الأصل قول أولئك، انتهى^(١).

فهذا مثل قول الإمام شرف الدين: لا فرق بينهما إلا أن ابن أبي الحديد جعل تلك الجماعة مبهمة، والإمام شرف الدين جعلها معيّنة، فالجواب أن هذا السؤال قد أجيب عنه بأجوبة:

منها: ما ذكره أبو طالب، فإنه أورد هذا السؤال، فقال: إن قيل: القول بأن إجماع أهل البيت عليهم السلام حجة ينافي القول بأن إجماع الأمة حجة وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة؛ لأن الاعتبار في باب الحجة إذا كان باجماعهم فمتى أجمعوا على قول وخالفهم سائر

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ في شرح الحكمة ١٤٧ من نهج البلاغة.

الأمة كانت الحجة متعلقة بقولهم، فلو اتفق غيرهم على قول لم يكن ذلك القول حجة، وهذا يبين صحة ما قلناه من تنافي هذين القولين.

ثم أجاب بأجوبة كثيرة حاصلها: أن الاعتبار إنما هو باجماع العترة، ولكنه يمكن وجدان صورة تبقى لاجتماع الأمة فيها معنى... وذكر صوراً لا تخلو من مقال. ونقل في حواشي الفصول عن «الأوامر المجملة»، تصنيف السيد المرتضى بن مفضل، مارسمه:

فان قيل: فكان عندكم لا معنى لاجتماع الامة وإنما الاعتبار بالعترة. قلنا: قد قال ذلك قوم من الزيدية، وكلام المنصور بالله هذا الذي حكيناه^(١) يدل عليه. ويمكن أن يقال: إنما جعلناهما حجتين؛ لأنّ على اجماع الأمة دليلاً غير الدليل على اجماع العترة، فربما تقدّم العلم به للمكلف فأمكنه أن يعمل به. ولأنّا إذا علمنا أنّ اجماع الأمة حجة كان حجة لنا على اجماع العترة، بأن نقول: إن الخبر الذي ذكرناه أولاً قد أجمعت عليه الأمة فيكون حجة لنا على صحة اجماع العترة، فتقع الفائدة بذلك.

فحصل من هذا أنّ إجماعهم هو الحقيقة، فإن انضاف إليهم باقي الأمة كان تأكيداً؛ لثبوت الدليل على أنّ إجماعهم حجة وإن لم ينصف إليهم باقي الأمة، بل خالف من خالف، قامت الحجة وحرّم الخلاف، انتهى..

وأقول أنا: يمكن أن يقال إن الأدلة المستدل بها على اجماع الأمة مجملة، فإنها إنما دلت على أنّ الحق لا يخرج عن جماعة من هذه الأمة مبهمة كما ذكره ابن أبي الحديد. أمّا إجمال قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فلاّنه ليس المراد بالمؤمنين -

(١) في هـ. ص : قال المنصور بالله: إذا اجتمعت العترة على حكم من الأحكام وخالفهم فيه جميع الأنام لم يسغ لهم خلافهم عند أهل البصائر، وردّ بهم الأدلة صاغرين، ومتى اجتمعت الأمة أسودها وأحمرها وخالفهم واحد من أهل البيت ساغ له خلافهم ولم يصح ادعاء الإجماع في تلك المسألة على قول الكافة، وهذا غاية الاختصاص بالشرف، (تمت من الأوامر المجملة).

(٢) النساء ٤: ١١٥.

عند من يحتج بها على حجية الاجماع - مجرد المصدقين، بل المؤمنين حقاً، وإنما هم حصّة من الأمة لظهور التكفير والتفسيق لأكثر الأمة.

وأما إجمال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١)، فلأنهم قالوا: المراد بالوسط: العدول، والمعلوم أن أكثر الأمة غير عدول، فعلم أن المراد حصّة من الأمة مبهمّة.

وأما إجمال الجماعة في نحو: «يد الله مع الجماعة»^(٢) «من فارق الجماعة»^(٣).

فلأن المراد بها جماعة الحق لا جماعة الأئمة^(٤)، دليله ما رواه أصحابنا كلهم عن عليّ عليه السلام انه سئل عن السنّة والبدعة والجماعة والفرقة، فقال: السنّة - والله -: سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، والبدعة ما خالفها، والجماعة - والله -: أهل الحق - وان قلّوا -، والفرقة - والله -: أهل الباطل - وان كثروا.

وقد روى نحوه جلال الدين السيوطي في جامع الكبير بلفظ: كان علي يخطب فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة؟ ومن أهل الفرقة؟ ومن أهل

(١) البقرة ٢: ١٤٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٧.

(٣) مجمع الزوائد ٥: ٢٢٤.

(٤) في هـ. ص ما يلي: يؤكد ما قلناه ما رواه المزني في تهذيب الكمال بسنده إلى عمرو بن ميمون الاودي قال: قدم علينا معاذ اليماني - رسول الله صلى الله عليه وآله - من السحر رافعاً صوته بالتكبير، أحبش الصوت، فألقيت عليه محبتي فما فارقتة حتى حثوت عليه من التراب بالشام ميتاً، ثم نظرت إلى أفقه الناس بعده فأتيت عبدالله بن مسعود فسمعتة يقول: عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة» ويرغب في الجماعة ثم سمعته - يوماً - يقول: سيلي عليكم ولالة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلّوا الصلاة، لأوقاتها فهي الفريضة، وصلّوا معهم فانها لكم نافلة.

قال: قلت: يا أصحاب محمد ما أدري ما يحدثونا. قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحثني عليها ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك هي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة. قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت أحسبك من أفقه أهل هذه القرية، ما تدري ما الجماعة؟ قلت: لا.

قال: ان جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك. وفي رواية: ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة، ان الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل، انتهى.

السنة؟ ومن أهل البدعة؟ فقال: ويحك أما إذا سألتني فافهم عني، ولا عليك ان لا تسأل عنها أحداً بعدي، فأما أهل الجماعة: فأنا ومن اتبعني وان قلّوا. وذلك الحق عن امر الله وامر رسوله، وأما أهل الفرقة: فالمخالفون لي ولمن اتبعني وان كثروا. وأما أهل السنة: فالمتمسكون بما سنه الله لهم ورسوله وان قلّوا، وأما أهل البدعة: فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ولرسوله، العاملون بآرائهم وأهوائهم وان كثروا ... إلى آخر كلامه، وهو طويل^(١)، وأما إجمال طائفة: في قوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(٢).

ومثلها عصابة، في قوله ﷺ: «لا يزال على هذا الأمر عصابة على الحق لا يضرهم خلاف من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(٣) فلأنها مطلق أريد به مقيد؛ للعلم أنه لم يرد بـ«طائفة» أي طائفة؛ لما بين طوائف المسلمين من الاختلاف البالغ حدّ التكفير والتضليل.

فعلم أنّ المراد به طائفة مخصوصة لها دعوة مستمرة واحدة تقاتل آخرها على ما قاتل عليه أولها كما هو مذكور في الأحاديث، نحو قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على ما نأواهم حتى يقاتل آخرهم الدجال»^(٤).

وقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»^(٥).

وقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: صل بنا فيقول: ألا إن بعضكم على بعض أمير؛ تكرمة لهذه الأمة»^(٦).

وغير ذلك مما يكثر^(٧).

(١) الجامع الكبير. (٢) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٢٧٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٣٧٩. (٤) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٤٣٧.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٠١. (٦) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ٣٤٥.

(٧) راجع أحاديث الخلفاء، وفي كتاب «أحاديث المهدي، المنتخب من مسند أحمد بن حنبل»

ويدل عليه قوله ﷺ: «... وستفرّق أمّتي على أصل دينها إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلّها هالكة إلا فرقة واحدة»^(١)، إذ أفهم أنّ أهل الحق فرقة واحدة متميّزة^(٢).

فإذا ثبت اجمال مدلول أدلة اجماع الأمة وحملته على المبين من أدلة اجماع أهل البيت ﷺ صارت الأدلة كلّها قائمة على إثبات إجماعهم ووجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم.

وإذا أردت تحقّق ما قلناه فانظر في ما جمعه السيد العلامة الحسين بن الامام القاسم بن محمّد ﷺ في كتابه «غاية السؤل» وشرحها، مع احضار ما ذكرنا في قلبك واخطاره ببالك، والله الموقّق وهو أعلم.

قوله ﷺ: «أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين ﷺ إلى قوله: ليس ببالٍ». أعلم ان الشارح ابن أبي الحديد استشكل هذا الموضع، وذكر في تفسيره وجهين زعم أنّه تلطّف في إظهارهما^(٣)، وليسا عندي بذاك.

والذي هو عندي: ان قصد أمير المؤمنين بهذا الكلام في هذا الفصل من أوّله بيان أهل الحق، وأنهم العترة، فقسّم أوّلاً من ينسب إليه العلم وذكر أنّ منهم من علمه حقّ، ومنهم من

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٣٢.

(٢) في هامش الأصل: في هذا الموضع ما يلي: قال السيوطي في كتابه «خصائص النبي ﷺ» ما لفظه: «وفي أثر ان آله ﷺ في أعلى ذروة في الجنة، وفي الحديث: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجيّ ومن تخلف عنها غرق»، وان من تمسك بهم وبالقرآن لم يضل، وأنهم أمان للأمة من الاختلاف، وأنهم سادة أهل الجنة، وان الله وعد أن لا يعذبهم، وان من ابغضهم ادخله الله النار، ولا يدخل قلب احد الايمان حتّى يحبّهم الله ولقرايتهم منه ﷺ، وان من قاتلهم كان كمن قاتل مع الدجال، وان من صنع على احد منهم يداً كافاً ﷺ يوم القيامة، وانه ما منهم أحد إلا وله شفاعته يوم القيامة، وان الرجل يقوم لأخيه من مجلسه إلا بني هاشم لا يقومون لأحد. انتهى.

(٣) والوجهان هما: أوّلاً: أن يكون النبي والعترة أحياء بأبدانهم، وأن الأرض لا تسلّط عليها ولا تأكل لهم لحماً ولا تشرب لهم دماً، وهذا لا يصحّ في القضية الثانية وهي حديث البلى، فأحوج إلى تقدير فاعل محذوف، وتقدير مضاف في القضية الثانية. والثاني: أن تكون الحياة وعدم البلى بالنسبة إلى الأجزاء الأصلية في أجسامهم، وعليك بمراجعة تفصيل كلامه في شرح نهج البلاغة ٦: ٣٧٧ و٣٣٨.

علمه باطل، ثم أوضح أن من علمه حق هم العترة، فيعرف أن مخالفهم علمه باطل.
ثم ذكر ما يمتاز به من علمه حق على غيره من الأحكام، فقال: إِنَّا لَمَّا كَانَ عَلَمُنَا حَقًّا
كُنَّا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْبَلَى فِي حُكْمِ الْأَحْيَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَالَمَ مِنَّا يَقَرُّرُ الْحَقَّ وَيَسُنُّ السَّنَنَ
الْحَسَنَةَ وَيَنْفِي عَنْهَا الشَّبَهَ، فَيَكُونُ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ الْعَامِلِينَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - كما ورد
في الحديث -^(١).

وورد فيه: «ان من مات انقطع عنه كل شيء إلا ثلاثة: صدقة جارية، أو ولد يدعو له، أو
علم ينتفع به»^(٢)، وهذا المعنى متفق عليه.

فأراد ﷺ أن يبين أن هذا المعنى مقطوع به في علماء العترة بالنص النبوي؛ لأنهم الذين
أقامهم النبي ﷺ لتقرير الحق وإيضاح الملتبس وأوجب اتباعهم، كما وردت به
الأحاديث المتواترة^(٣).

ومن لحقه ثواب أعماله إلى يوم القيامة فكأنه حي لم يموت؛ لأن المراد من إيجاد
الإنسان في الدنيا أن يعمل للآخرة، والله أعلم.
قوله ﷺ: «فإن أكثر الحق فيما تنكرون»:

يريد ﷺ إنكم ألقيتم أشياء اتبعت فيها أسلافاً فاحسن ظنكم بهم واعتقادكم فيهم،
وأنكرتم ما خالفها من أقوال العترة ووجوب اتباعهم واعتقاد كونهم أفضل من غيرهم
وأهل الأمر دون غيرهم، وأنه يجب على الأمة اتباعهم وأخذ العلم منهم فإن جميع من
خالف الشيعة يخالف في هذه الأمور ويعدها منكراً وبدعة.

ولعلمه ﷺ بما ينطوي عليه بواطنهم من ذلك قال: «لو قد استوت قدماي من هذه
المداحض لغيرت أشياء»^(٤) وقال لقضاته، لما سألوه عن القضاء: «اقضوا كما كنتم تقضون
حتى يكون للناس جماعة»، وغير ذلك.

كان ﷺ يقارهم على أشياء لا يرضاها حذراً من انتشار حبلهم، وعلى نحو هذا جاء

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٣٦١ و ٣٦٢، مجمع الزوائد ١: ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٧٢، كنز العمال ٥: ٤٣٦٥.

(٣) مثل حديث الثقلين، وحديث السفينة وغيرهما.

(٤) نهج البلاغة الحكمة: ٢٧٢.

ما حكاه في تصفية الديلمي لزين العابدين علي بن الحسين عليه السلام شعراً:

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو الجهل فيفتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن إلى الحسين ووصى قبله الحسن
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به لقليل لي: أنت ممّن يعبد الوثنا
ولا ستحلّ رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسناً^(١)

وقوله عليه السلام: «فلا تستعملوا الرأي ... إلى آخره»:

يقول عليه السلام لهم: لا تعتمدوا في ترتيب درجات الفضل وقدر القرب والزلفى عند الله على آرائكم، وتقدّروا ذلك على قدر أهوائكم؛ فإنّ درجات القرب من الله والزلفى عنده أمر لا يعلمه إلا الله ولا يطلع عليه إلا من أوقفه عليه.

قال لهم ذلك بعد أن نّبّههم على أن الشبهة التي يعولون عليها في تفضيل غيره عليه، هي حسن سياستهم؛ دليله استقامة الأمر لهم، فقال: هذه الشبهة باطلة؛ فإنّي أقوم بما تصلح عليه الرعيّة ممن تدّعون له ذلك «ألم أعمل فيكم ... إلى آخره»، فلم أقصّر فيما يجب، ولكن لوموا انفسكم إذ لم تستقيموا لي كما استقمتم لمن تقدّم عليّ، أو قدّروا أنّ الله يريد أن يبتليكم.

وقد أوضح أن هذا مراده عليه السلام في مواضع كثيرة يعرفها الخبير بمباني كلامه، والله أعلم.

(١) في هـ. ص: هذا الشعر انكر الامام المهدي أحمد بن يحيى عليه السلام ان يكون للقاسم بن ابراهيم - كما قيل -، او يكون لزين العابدين - كما قيل -، قال: لأنّا لم نجد أحداً من الأئمة عليهم السلام ... إلى آخر كلامه.

وفي هـ. ص أيضاً: وقال: احسبه لبعض الباطنية - أو كما قال -، ثم رأيت منسوباً إلى الحلاج في بعض كتب العلماء المطلعين الأثبات، وأحسبه في شرح العلامة ابن أبي الحديد، والله أعلم. وهو بطريقته أشبه وإذا تأملت قوله: «يا رب جوهر علم ... إلى آخره» وقوله: «ولا ستحلّ ... إلى آخره» عرفت أنّه مستفاد من ناري في ناراً اقتبس.

نعم ليس المراد إلّا تحقيق نسب الشعر، والأمر سهل، والتمثيل مفتوح ومتسع . هذا، مع انه قد ذكره لزين العابدين وللقاسم بن ابراهيم جماعة من العلماء واحسبه (قال في تصفية الديلمي: وانشد زين العابدين ...) واحسبه في تصفية الديلمي، والله أعلم بحقيقة الأمر، لكن يغلب على ظني ما ذكره الناسب له إلى الحلاج، ولا سيما إن كان عبد الحميد الشارح.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ ^(١) لَمْ يَقْصُمْ ^(٢) جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ ^(٣)، وَلَمْ يَجْبُرْ ^(٤) عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلِ وَبَلَاءٍ، وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَثَبٍ ^(٥) وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ ^(٦) مُعْتَبَرٍ، وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلِيبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ سَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاطِرٍ بَصِيرٍ. فَيَا عَجَبًا! وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرْقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا؛ لَا يَقْتَصُونَ ^(٧) أَثَرَ نَبِيِّ ^(٨)، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلٍ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعْقُونَ ^(٩) عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ

(١) في الف وب ود: الله سبحانه.

(٢) في هامش الأصل: لم يقصم: بالقاف والصاد المهملة: لم يكسر، يقول لا تغتروا بتمسكن الظالمين بعدي وتراخي مدة هلاكهم، ولا تستبطنوا نصر الحق وأهله، فهذه مشيئة الله في عبادته، لحلمه وأناته وحكمته، وفي ه ب: يقصم بالقاف: أي يكسر الشيء، وبالفاء: لم يقطع.

(٣) في هامش الأصل: الرخاء هو سعة العيش وخفضه.

(٤) في هامش الأصل: «لم يجبر عظم أحد» أي لم يجعل لهم العاقبة، وفي هامش ب: «لم يخبر عظم أحد» أي لم يصلح أحوال جماعة مستضعفين من المؤمنين.

(٥) في د: من عتب، وفي هامش الأصل: ويروى: عتب. ويروى: خصب، وفي ط: استقبلتم من عتب، وفي هامش الأصل، وفي نسخة ابن أبي الحديد: استقبلتم من عتب، قال: سمى إنزال الزمان بهم المشاق عتباً؛ لأنَّ فعله أشبه فعل العاتب.

(٦) في ه. ص: «واستدبرتم من خطب» قال: يعني ما تصرم عنهم من الحروب والوقائع، ويروى: «من خصب» قال: وما خلفتم وراءكم من الشباب والصحة وصفو العيش، وفي هامش ب: خطب: أمر عظيم، وفي ه. د: خصب - م.

(٧) في هامش الأصل وب: أي لا يتبعون.

(٨) في هامش الأصل: اثر نبي: أي لا يعتمدون على ما آمنتم بالتمسك به من الضلال نحو قوله: «اني تارك فيكم» «أهل بيتي كسفينة نوح» وغيرهما.

(٩) في هامش ب: عَفَّ يَعْفُ فهو عفيف، أي لا يمسكون عن الأمور التي تكون عيباً لهم.

مَا أَنْكَرُوا، مَفْرَعُهُمْ فِي الْمُفْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَغْوِيلُهُمْ^(١) فِي الْمُبْهَمَاتِ^(٢) عَلَى آرَائِهِمْ، كَانَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى^(٣) بِعَرَى ثِقَاتٍ^(٤)، وَأَشْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

قوله ﷺ: «وفي دون ما استقبلتم من خطب... إلى قوله: بصير»:

الذي يظهر لي من مغزى كلامه ﷺ: أنه ينبغي عليهم اختيارهم في تقديم غيره ورفض العترة وعدم اعتمادهم عليهم في الدين ومخالفة أمر رسول الله ووصيته فيهم فقال: «إنكم قد جربتم عاقبة سوء اختياركم في تقديم غير العترة ووقعتم في ما توعدكم الله به من جزاء مخالفة أمر رسول الله في قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾^(٥) الآية. وقوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٦) من الفتن وسوء معاملة الولاة إيتاكم، وفاتكم الدعة والأمن وصلاح ذات البين، ففي ذلك معتبر، فلا تشفعوه بالتمادي على خذلان العترة والإعراض عن دعوتهم.

ثم قال منبهاً لهم على أنهم سيتدأون حتى يتفرقوا فرقاً ضالّةً ويتشعبوا شعباً متبائنة، فقال: عجبت من خطأ فرق الإسلام، مع تمكنهم من التحرز عن الخطأ باتباع من يهديهم. وهذا منه ﷺ على جهة اقتصاص الملاحم.

قوله ﷺ: «لا يؤمنون بغيب»:

أي لا يصدّقون بما ورد مما لا تقبله عقولهم ولم يألوه ولا يقفون عند ما لا يطلعون على حقيقة معناه ويؤمنون به جملة، بل يحرفون موضعه بالتعسف بالتأويل وحمله على موافقة الباطيل.

(١) في هامش ب: اعتمادهم. (٢) في ط المهمات، وفي هـ. د: المهمات - ح.

(٣) في هـ ب: يرى من الرأي، أي: يظن.

(٤) في هامش ب، وفي نسخة: بثقات، وفي هـ. د: بعري موثقات - ن، بعري وبثقات - ك

وحاشية م. (٥) النور: ٦٣/٢٤.

(٦) الانفال: ٢٥/٨.

قوله ﷺ: «ولا يعقون»:

يروى: بكسر العين، أي لا يمسون عن عيب من خالفهم تحرّجاً وتورعاً، وهذا كما ترى مخالفي الشيعة يلهجون بدمهم، ويروى: بسكون العين.

قوله ﷺ: «المعروف عندهم ما عرفوا»:

أي لا يرون المعروف ما دلّ الدليل على كونه معروفاً وصواباً وحقاً، بل المعروف عندهم ما ذهبوا إلى أنه حق، سواء كان حقاً في نفس الأمر أو لم يكن. «والمنكر عندهم ما أنكروا»، كما شرحنا في المعروف.

أقول: ومثال ذلك ما يذهب إليه مخالفوا الشيعة من أن كلما انفردت الشيعة بروايته من الأحاديث: منكر، وكذلك ما انفردت باعتقاده ممّا هو مبني على تلك الأحاديث، وما خالف ذلك: معروف.

وهذا مشهور من طريقتهم، حتى ربما حملهم شدة التعصب في هذا على الطعن على من انصف من ثقاتهم وآثر الحق وروى شيئاً من تلك الأحاديث كعبد الرزاق والحاكم - صاحب المستدرک - وأضربهما، حتى عابوا الشافعي بشيء من ذلك وحملوا عيبه على شيخه إبراهيم بن يحيى المدني، قالوا: لحسن ظنه به.

قوله ﷺ: «مفرعهم في المعضلات إلى أنفسهم... إلى قوله: محكمات»:

لا بأس أن نورد في هذا الموضع من كلام أئمة أهل البيت ﷺ ما يتضح به مراد أمير المؤمنين ﷺ وما يعلم اقترانه إليه اتفاق معتقده ومعتقدهم.

قال في «الأساس» و «شرح» - في بحث أن بعض المجتهدين مخطئون - في بيان حكم المخطي.

والحق ما ذهب إليه جمهور أئمتنا ﷺ من أنه لا إثم على المخطيء الجاهل بعد التحرّي، بل من خالف مجتهد العترة عمداً - أي: وهو عالم بمخالفته لهم - أو أخذ علمه عن غيرهم من سائر المخالفين لهم عمداً أو سلك في أصول الدين وأصول الفقه غير طريقتهم عمداً، أيضاً؛ لتفرّع كثير من الخلافات عليه، أي على ذلك الأصل الذي قد

خالف فيه مجتهدى العترة، فإذا كان ذلك المخالف على ما ذكرناه فهو آثم واجتهاده حَضَرٌ - أي: محرم - عليه، لأنه يؤدي إلى مخالفة أهل البيت. وقد علم بالأدلة المتواترة في المعنى أن الحق لا يخرج عن جماعة أهل البيت - كما مرّ -.

قال زيد بن عليّ عليه السلام - في جوابه لمن سأله - ما لفظه: وكتبت تسألني عن أهل بيتي وعن اختلافهم؟ فاعلم يرحمك الله أن أهل بيتي فيهم المصيب وفيهم المخطيء، غير أنه لا يكون هداة الأمة إلا منهم، فلا يصرفك عنهم الجاهلون، ولا يزهدك فيهم الذين لا يعلمون، وإذا رأيت الرجل منصرفاً عن هدينا زاهداً في علمنا راغباً عن مودتنا فقد ضلّ - لا شك - عن الحق، وهو من المبطلين الضالين، وإذا ضل الناس عن الحق لم يكن الهداة إلا منا، انتهى.

وقال الناصر للحق الحسن بن عليّ عليه السلام - فيما حكاه عنه صاحب «المسفر» -: والله أدلة على الحق على المكلف إصابته التي الأمة فيها على سواء، فأما ما سوى هذه الأصول من الأحكام في الحوادث النازلة التي يسوغ فيها الاجتهاد؛ إذ لا نصّ عليها ولا إجماع من الأمة والأئمة، فالاجتهاد فيها إلى علماء آل الرسول دون غيرهم لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ * وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(١).

وقال محمد بن القاسم في شرح دعائم الإيمان: فأولئك هم الذين أمر الله بطاعتهم وهم العترة الطاهرون من أهل بيته عليه السلام، وأقامهم أئمة يهدون بأمره وأمر الخلق كلهم أن يسألوهم إذا جهلوا ويردوا إليهم علم ما اختلفوا فيه؛ لأنهم أهل الاستنباط والبحث والنظر الذين أمر الله بالرد إليهم، انتهى.

وإنما ضلّ مخالف العترة عليه السلام؛ لآية التطهير^(٢)، وخبري السفينة^(٣)، واني تارك فيكم

(١) النساء ٥٩، ٨٣.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب ٣٣: ٣٣.

وقد بينا في ما سبق اختصاصه بالخمس الطاهرة فراجع.

(٣) قوله عليه السلام: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق».

الثقلين ... الخبر^(١)، ولا تخالفوهم فتضلوا^(٢)، ونحو ذلك مما يكثر بعداده ولا يتسع له هذا
الموضع، انتهى نقلاً من الأساس وشرحه للسيد أحمد بن محمد السرفي رحمه الله تعالى.

(١) حديث الثقلين مشهور متواتر وتماهه: «... ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب
الله وعترتي أهل بيتي» (٢) وهذه هي فقرة من فقرات حديث الثقلين.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينٍ فَتْرَةٍ ^(١) مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ ^(٢) مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ ^(٣) مِنَ الْفِتَنِ؛
وَأَنْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَطُّ ^(٤) مِنَ الْحُرُوبِ، وَالذُّنُوبِ كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ؛ عَلَىٰ حِينٍ
أَصْفَرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا ^(٥)، وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَإِغْوَارٍ ^(٦) مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ ^(٧) أَعْلَامُ ^(٨)
الْهَدَىٰ، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَىٰ؛ فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ ^(٩) لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا ^(١٠)
الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجَيْفَةُ ^(١١)، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا ^(١٢) السَّيْفُ ^(١٣).

- (١) في هامش ب: الفترة: الزمان الذي يكون ين مضي رسول ومجيء آخر.
- (٢) في هامش الأصل: أي غفلة عن الشرائع، وفي هامش ب: هجعة أي نومة وغفلة.
- (٣) في ص: اعترام. وفي هـ. د: واغترام، وروي: واعتراض - ك. وفي هامش الأصل: بالراء المهملة، من العرام، وهو الشدة، وبالزاي المعجمة من العزم، كأنه جعل للفتن عزم ومضي.
- وفي هامش ب: «اعترام لزوم الغفلة»، والاعترام مأخوذ من قولهم: شيء عارم، أي شديد.
- (٤) في هامش ب: أي توقع. (٥) في هامش الأصل: شبهها بشجرة دنا يبسها.
- (٦) في الف: غور، وفي ط: اغوار، وفي هامش الف، وفي نسخة: اغوار، وفي هـ. د: عور من مائها - ف، اغورار من مائها - ح وحاشية ن، وفي هامش الأصل: اغور الماء: ذهب، ويروى: إغوار.
- (٧) في هامش ب: أي عفت.
- (٨) في ط منار الهدى، وفي هـ. د: منار الهدى - ض ح.
- (٩) في هامش ب، وفي نسخة: متهجمة، وفي هامش الأصل: أي كالحة متنكرة وفي هامش ب: أي عابسة.
- (١٠) في هامش الأصل: أي نتيجتها وفائدتها.
- (١١) في هامش الأصل: أي الخبيث الحرام.
- (١٢) في هامش الأصل: هذا من بديع الكلام وجيد الصناعة؛ لأنه لما كان الخوف يتقدم السيف، شبهه بالشعار الذي هو لاصق بالبدن، والسيف بالدثار الذي يليه ويتصل به، انتهى من الشرح.
- (١٣) في هامش الأصل: كل هذا البلاء لا طراح الشريعة والطاعة، فخوفهم ان يقعوا في مثله لا طراح الطاعة وقد اطرحوها فوقعوا.

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ، وَادْكُرُوا تِيكَ^(١) الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ^(٢)، وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ، وَلَعَصِي مَا^(٣) تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمْ^(٤) الْغُيُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ الْأَحْقَابُ^(٥) وَالْقُرُونُ^(٦)، وَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَضْلَالِهِمْ بِبَعِيدٍ،
وَاللَّهُ مَا أَسْمَعُهُمْ^(٧) الرَّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْمِ مُسْمِعُكُمْ^(٨)، وَمَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ، وَلَا شَقْتُ^(٩) لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جَعَلْتُ لَهُمُ الْأَفْنِدَةَ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ^(١٠)؛ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَاللَّهُ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا جَهْلُوهُ، وَلَا أَصْفَيْتُمْ بِهِ^(١١) وَحُرْمُوهُ^(١٢)، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ^(١٣) جَائِلًا^(١٤) خِطَامُهَا، رِخْوًا بِطَانُهَا؛ فَلَا يَغُرُّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

قوله ﷺ: «ادْكروا تيك التي...»:

الذي يظهر لي أن الإشارة إلى وجوب طاعته وفريضة اتباعه، ومراده التعريض بحال أسلافهم والتحذير من مثل حالهم، ثم إنه أقسم ﷺ أنه مبلغ إلى أهل عصره كلما بلغ الرسول ﷺ إلى أهل عصره لا يكتف من شئنا، وإن يعقل أهل العصرين لذلك المبلغ بعقل واحد فلا يخالجهم شك لما رأوا من عدم عمل من تقدمهم بمقتضى ما سمعوه: أن الرسول

(١) في هامش ب: حالة.

(٢) في هامش ب: أي تدبروا في الخصلة التي بسببها آباؤكم محبوسون.

(٣) في هامش ب: نفى.

(٤) في ب: ولا بكم، وفي هامش ب، وفي نسخة: بكم ولا بهم.

(٥) في هامش ب: أي المدة والسنون. (٦) في ب: والدهور.

(٧) في ب وط: اسمعكم.

(٨) في هامش ب: «يوم» مبني على الفتح؛ لأنه مضاف إلى المبني، وفي هامش ب: قال ﷺ:

كل ما أسمعكم الرسول فانا مسمعكم مثله بلا زيادة ولا نقصان.

(٩) في ب: وما شقت. (١٠) في ط: الأوان، وفي هـ. د: الأوان - ح.

(١١) في هامش ب: لا اعطيتم. (١٢) في هامش ب: من الحرمان.

(١٣) في هامش ب: أي وقعت المحنة العظيمة؛ لأنه الله إذا اضطرب زمام الناقة يصعب أمر راعيها.

(١٤) في هـ. د: حائلاً - ك وفي هامش ب: جائلاً، من الجولان.

القي إليهم خلافه مما يقتضي خلاف ما اقتضاه، أو أنهم لم يسمعوه ولم يعوه، أو أنهم لجودة أفهامهم عقلوا منه خلاف ما عقلوه.

ثم أقسم ﷺ قسماً آخر: أن كل ما يليق به إلى أهل عصره قد ألقاه رسول الله ﷺ إلى أسلافهم وقامت به الحجة على أهل العصرين قياماً واحداً، وكلّ هذا إشارة إلى ما تجمجم في نفسه من أمر الخلافة ووجوب اتباعه، وتنبيه لهم على أن كل فتنة وقعت أو ستقع فسببها الاعراض عن عهد رسول الله ﷺ فيه كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

وقوله ﷺ: «جائلاً خطامها رخواً بطانها»:

أي مهمة، لا مصرف لها ولا حابس، والبطان ما يجعل تحت بطن البعير من الحزام، فإذا رخي قلق الرحل واضطرب.

وقوله ﷺ: «فلا تغرنكم ... إلى آخره»:

أي لا تظنوا لاستيق الأمور لمعاوية ومن بعده من أئمة الضلال أن ذلك لأنهم محقّون، فيدخل الشك عليكم في عقائدكم، وإنما هو إملاء واستدراج وبلوى، وله غاية وانتهاء كالظل الذي هو أسرع شيء تقضياً، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ^(١)، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا
إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْوَاجٍ^(٢)، وَلَا حُجُبٍ ذَاتُ إِرْتَاجٍ^(٣)، وَلَا لَيْلٍ دَاجٍ^(٤)، وَلَا بَحْرٍ سَاجٍ^(٥)، وَلَا
جَبَلٍ ذُو فِجَاجٍ^(٦)، وَلَا فِجٍّ^(٧) ذُو آعْوَجَاجٍ، وَلَا أَرْضٍ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٍ ذُو آعْتِمَادٍ^(٨)،
وَذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ^(٩) وَوَارِثُهُ، وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ^(١٠) فِي
مَرْضَاتِهِ، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَخْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ
وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ^(١١)، وَخَاتَمَ أَعْيُنَهُمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَ
مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ^(١٢)، إِلَى أَنْ تَنْتَاهِيَ بِهِمُ الْغَايَاتُ^(١٣).

(١) في هامش الأصل: هي الفكرة، يقال: رويت في الأمر وارتأيت، أي افكرت.

(٢) في هامش ب: روي أن فوق السماء سبع سماوات، سبعة حجب دون العرش.

(٣) في هامش الأصل: أي اغلاق، ومن روى: رتاج، على فعال، فهو الباب المغلق، وفي هامش
ب: الأرتاج جمع رتج وهو الباب العظيم، ذات ارتاج مغلقة أبوابها.

(٤) في هامش الأصل: أي مظلّم. (٥) في هامش الأصل: أي ساكن في مكانه.

(٦) في هامش الأصل: جمع فج، وهو الطريق بين جبلين. وفي هامش ب: جمع فج، وهو كل ما
ارتفع من الأرض، ويقال: مسلك بعيد. (٧) في هامش ب: الفج - ها هنا - مسلك بعيد.

(٨) في هامش الأصل: أي مخلوق يسعى برجلين يعتمد عليهما، ويجوز أن يكون الاعتماد
هنا: البطش والتصرف. (٩) في هامش ب، وفي نسخة: مبتدع الحق.

(١٠) في ب، و هـ. د: دائبين - ش و م، وروي دائبين - ك، وفي هـ ص: دائبان: تثنية دائب، وهو
الجاد المجتهد، وصفهما بذلك: لأنّ تعاقب سيرهما دائماً يشبه فعل المجتهد الجاد في العمل
، انتهى من الشرح. وفي هـ ب: الدائبان: الليل والنهار، ودأب فلان في عمله، أي جد وتعب
ونصب، وروي: والشمس والقمر دائبان. مبتدأ وخبر، ودائبين نصب على الحال أو الظرف.

(١١) في هـ. د: وعدد أنفسهم - ح.

(١٢) في هامش الأصل وب: مستقرهم من الأرحام، ومستودعهم من الأصلاب.

(١٣) في هامش ب: الغايات إشارة إلى ما يكون في الآخرة من الثواب والعقاب.

هُوَ الَّذِي أَشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَأَتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرٌ مَنْ عَارَاهُ^(١)، وَمُدمِّرٌ^(٢) مَنْ شَاقَّاهُ^(٣)، وَمُذِلٌّ مَنْ نَاوَاهُ^(٤)، وَغَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ. عِبَادَ اللَّهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ^(٥) قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنْفُسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ، وَأَنْفَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعِنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ^(٦).

قوله ﷺ: «الذي لم يزل قائماً دائماً»:

قال في الشرح: القائم والقيوم بمعنى؛ وهو الثابت الذي لا زوال له، ويعبر عنه في الاصطلاح النظري بالواجب الوجود، وقد يفسر القائم على معنى قولهم: فلان قائم بأمر البلد، أي والٍ وممسك له أن يضطرب.

ثم قال: إنه موصوف بأنه قائم دائم من قبل أن يخلق العالم؛ وهذا يؤكد التفسير الأول؛ لأنه إذا لم يكن العالم مخلوقاً بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلا بالقوة لا بالفعل؛ كما يصدق عليه أنه سميع بصير في الأزل، أي إذا وجدت المسموعات والمبصرات سمعها وأبصرها، ولو سمي قبل خلق الكلام متكلماً على هذا التفسير لم أستبعده؛ وإن كان أصحابنا يابونته، انتهى^(٧).

قلت: وظاهر كلامه هذا يدل على أن إطلاقهم لسميع بصير على الباري باعتبار الأزل من باب المجاز، وظاهر كلامه في غير هذا الموضع وكلام غيره من البصرية أنه حقيقة؛ ولذلك فرقوا بين سميع وبصير وسامع ومبصر، ولو كان مجازاً لما اختلفت عندهم، وفي

(١) في هامش الأصل وب: أي غالبه، وفي العزة والغلبة.

(٢) في هامش الأصل: دمره ودمر عليه: أي أهلكه.

(٣) في هامش ب: أي خالفه.

(٤) في هامش الأصل: قاومة بالعداوة، وأصل اللفظة مهموزة وإنما لينها لأجل القرينة السجعية، وفي هامش ب: أي عاداه.

(٥) لم ترد «من» في ط.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٩٢ و٣٩٣.

(٧) في هـ. د: لا زاجر ولا واعظ - ح.

كل ذلك دليل على عدم تحققهم ما قالوه، والله أعلم.

قوله ﷺ: «زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا»:

أي: اعتبروا أنفسكم وأنتم مختارون قادرون على استدراك الفارط، قبل أن يكون هذا الاعتبار فعل غيركم وأنتم لا تقتدرون على استدراك الفارط، ومثله قوله: «وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا»، انتهى^(١).

قلت: وهذا دليل على أن الوزن والموازنة ليس بحقيقي وإنما هو من باب التمثيل، شبه اعتبار الأعمال بحيث لا يسقط شيء منها عن الاعتبار بالوزن الذي هو غاية ما يكون من العدل في المعاملة والمساواة في المأخوذ والمعطى، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «يعن على نفسه»:

بتغيير الصبغة بمعنى: من لم يمدّه الله بالأطاف، واللفظ يمدّ الله به من يختار سلوك طريق المتقين؛ لأن الله يوضح طريق الهدى وطريق الردى لكل مكلف، فمن اختار طريق الهدى وأحب سلوكه أمدّه الله بالأطاف الموصلة إلى غاية الهدى، ومن أعرض وأحب طريق الهوى وكله الله إلى نفسه، وأمدّه بما يميل إليه بهواه وشهواته.

وكلّما تعادى في سلوك طريق الهوى زاده بعداً من طريق الهدى حتى يقسو قلبه ويألف القبيح وينصبغ به، وهو معنى الطبع والرین^(٢)، وذلك من باب التمثيل، والله أعلم.

وبالبناء للفاعل، أي يزجرها ويذلّلها حتى تألف الخير وتنفر من الشر، حتى يكون

كالأمر الزاجر.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٩٣.

(٢) في قوله تعالى: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

فهرس المواضيع

مقدمة المحقق	٥
في طريق التحقيق	٦
الرموز المستعملة في هوامش الكتاب	٧

أولا: مسند نهج البلاغة

الإهداء	٩
تمهيد	١٠
منهجية الدراسة	١٥
ما هو نهج البلاغة	١٧
جدول الأعمال حول نهج البلاغة عبر القرون	١٨
عنوان نهج البلاغة	١٩
شجرة الأسرة	٢٠
صورة الشجرة	٢١
الشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ)	٢٢
من تواريخ حياته	٢٦
والده	٢٨
عمّه	٣٠

٧٢٤ ارشاد المؤمنين / ج ١
٣١ أمه
٣٤ خاله
٣٥ أخوه - الشريف المرتضى (ت/٤٣٦) -
٣٧ شقيقته
٣٩ ولده
٣٩ مشايخه
٤٢ مؤلفاته
٤٤ وفاته
٤٥ من مصادر الترجمة
٤٦ من هو جامع نهج البلاغة؟
٥٠ أدلة خمسة
٥١ إرجاعات الجامع
٥٣ في تراث أهل البيت (عليه السلام)
٥٥ شبهات وحلول
٥٨ الشبهة الأولى - خلو الكتب الأدبية
٥٨ الشبهة الثانية - ماورد فيه من الأفكار السامية
٦٠ الشبهة الثالثة - طول بعض الخطب
٦١ الشبهة الرابعة - التعريض ببعض الصحابة
٦٣ الشبهة الخامسة - ظهور الروح الصوفي الفلسفي
٦٦ الشبهة السادسة - الوصف الدقيق
٦٩ الشبهة السابعة - الإخبار بالغيب
٧١ الشبهة الثامنة - العلاقة بين الإنشاء والقلم

فهرس المواضيع ٧٢٥

الشبهة التاسعة - الأعداد والتقسيم المتوازية ٧٢

الشبهة العاشرة - طابع الصنعة ٧٤

الباب الأول : الاسناد إلى جامع نهج البلاغة «الشريف الرضي»

الطرق إلى جامع نهج البلاغة ٧٩

مع رواية نهج البلاغة ٨٢

١ - أحمد بن علي بن قدامة (ت/٤٨٦) ٨٢

الاسناد إلى أحمد بن علي بن قدامة ٨٣

٢ - جعفر الدوريسي (ت/٤٠١ ح)، والاسناد إليه ٨٤

الأول - أبو الحسن محمد بن ابي محمد الحسن بن إبراهيم ٨٥

الثاني - السيدان المجتبى والمرتضى إنا الداعي الحسيني الحلبي ٨٥

الثالث - ضياء الدين علم الهدى ٨٦

الرابع - أبو القاسم زيد بن محمد البيهقي ٨٦

الخامس - الشيخ جعفر الدوريسي الفقيه [= عبد الله جعفر بن محمد] ٨٦

٣ - سبط بشر الحافي (ت/٢٢٧)، والاسناد إليه ٨٧

٤ - محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠)، والاسناد إليه ٨٩

الأول - ابن معبد الحسيني ٨٩

الثاني - والد فضل الله الراوندي ٨٩

الثالث - علي بن فضل الله الحسيني ٨٩

الرابع - جمال الدين علي بن محمد ٨٩

٥ - محمد بن علي الحلواني (ت / ٥٢٠ ح) ٩٠

الأول - السيد أبو الصمصام ذو الفقار بن معبد الحسيني المروزي ٩٠

٧٢٦ ارشاد المؤمنين / ج ١

الثاني - يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي (ت/٦٧٧) ٩٠

٦- أبو منصور العكبري (٣٨٢-٤٧٢) ٩١

عن أبي نصر الغازي، عن القطب الراوندي ٩١

٧- أبو زيد الكلابي، والاسناد إليه ٩٢

٨- النقية بنت المرتضى ٩٦

نصوص الاجازات ٩٨

السند الأول - إجازة فريد خراسان، ابن فندق (ت/٥١٦) ٩٨

السند الثاني - إجازة الشعيري (ت/٥٤٦) ٩٨

السند الثالث - إجازة علي بن فضل الله بن علي الراوندي (ت/ ٥٨٩ ح) ١٠٠

إجازة أبي نصر الطبيب ١٠١

إجازة عبد الله بن حمزة الطوسي ١٠٤

إجازة علي بن الحسن بن سعيد الهذلي ١٠٥

إجازة محمد بن الحسن بن محمد العلوي ١٠٦

إجازة الشهيد الأول (٧٣٤-٧٨٦) ١٠٧

إجازة العلامة البياضي ١٠٨

إجازات المحقق الكركي (٨٦٨-٩٤٠) ١٠٨

إجازة الشهيد الثاني زين الدين (٩١١-٩٦٥) ١٠٩

إجازة الشيخ حسن بن الشهيد الثاني (٩٥٩-١٠١١) ١٠٩

إجازة العلامة المجلسي (ت/ ١١١١) ١١١

إجازة الشيخ الحر العاملي (١٠٣٣-١١٠٤) ١١٢

إجازة السيّد أبي محمد الحسن صدر الدين الموسوي (ت/١٣٥٤) ١١٢

مشجرة السيد أبي القاسم الطباطبائي التبريزي (ت/ ١٣٦٢) ١١٣

٧٢٧	فهرس المواضيع
١١٦	تبصرة
١٢١	مصادر المسند
١٢٨	الاهتمام بنهج البلاغة عبر القرون
١٢٩	عصر الشريف الرضي
١٢٩	نسخة الأصل
١٣١	وفي القرن السادس
١٣٧	وفي القرن السابع
١٤٤	وفي القرن الثامن
١٤٨	وفي القرن التاسع
١٥٠	وفي القرن العاشر
١٥٣	وفي القرن الحادي عشر
١٦٠	وفي القرن الثاني عشر
١٦٤	وفي القرن الثالث عشر
١٦٦	وفي القرن الرابع عشر
١٧١	وفي القرن الحاضر
١٧٤	وأشهر ترجمات وشروح نهج البلاغة في هذا القرن
١٧٧	ومن اللغات الاجنبية
١٧٩	المشاريع العلمية حول نهج البلاغة

الباب الثاني: شرح خطبة نهج البلاغة

١٨٦	المقطع الأول - في براعة الاستهلال
١٨٩	المقطع الثاني - في تأليف خصائص الأئمة <small>عليهم السلام</small>

٧٢٨ ارشاد المؤمنين / ج ١
١٩٣ المقطع الثالث - في سبب الجمع
١٩٧ المقطع الرابع - في منابع فكر الإمام <small>عليه السلام</small>
١٩٨ المقطع الخامس - في بلاغة الإمام <small>عليه السلام</small>
٢٠٠ المقطع السادس - في تبويب الكتاب
٢٠١ المقطع السابع - في الاستدراك
٢٠٤ المقطع الثامن - في أسلوب الانتقاء
٢٠٧ المقطع التاسع - في شخصية الإمام <small>عليه السلام</small>
٢٠٩ المقطع العاشر - في اختلاف الروايات
٢١١ المقطع الحادي عشر - في مصادر الكتاب
٢١٧ المقطع الثاني عشر - في تسمية الكتاب
٢١٨ نموذج من اختلاف النسخ
٢٢١ التعريف بنسخة فريدة

ثانيا : دراسة حول الكتاب والمؤلف

٢٢٤ إسمه ونسبه
٢٢٥ جحاف
٢٢٦ ترجمة المؤلف
٢٢٧ عصر المؤلف
٢٢٨ من عاصرهم المؤلف من الحكام
٢٢٩ ١ - المتوكل على الله
٢٣٠ ٢ - المهدي أحمد بن الحسن
٢٣١ ٣ - المؤيد محمد بن المتوكل

٧٢٩	فهرس المواضع
٢٣١	٤- المهدي صاحب المواهب
٢٣٢	دور المؤلف
٢٣٥	مشايخه
٢٣٥	١- السيد علي الجحاف
٢٣٥	٢- الشيخ أحمد المسوري
٢٣٦	٣- والده إبراهيم الجحاف
٢٣٦	٤- اخوه اسماعيل الجحاف
٢٣٧	تلامذته
٢٣٨	شعره ونثره
٢٤١	مؤلفاته
٢٤١	هذا الكتاب
٢٤٢	أسلوب التأليف
٢٤٣	مصادر الكتاب
٢٤٣	١- الايانة
٢٤٤	٢- الاتقان في علوم القرآن
٢٤٤	٣- اخبار صفين
٢٤٥	٤- الاوائل
٢٤٥	٥- التجريد
٢٤٥	٦- شرح الأساس
٢٤٥	٧- شرح الاصول
٢٤٦	٨- شرح المفتاح
٢٤٦	٩- شرح نهج البلاغة
٢٤٦	١٠- الصحائف الإلهية
٢٤٦	١١- الطبقات
٢٤٧	١٢- الفصول وشرحه

٧٣٠ ارشاد المؤمنين / ج ١
٢٤٧ ١٣- المصاييح
٢٤٧ ١٤- الهجرة
٢٤٨ هذه النسخة
٢٤٩ وفاة المؤلف
٢٤٩ وفي الختام
٢٥١ أهم مصادر التقديم
٢٥٧ نماذج مصورة من النسخة المخطوطة
٢٥٨ صورة الصفحة الأولى، ويظهر فيها ترجمة النقيب أبي جعفر الطبري
٢٥٩ صورة الصفحة الثانية من نسخة الاصل
٢٦٠ صورة الصفحة الاخيرة من نسخة الاصل

ارشاد المؤمنين الى شرح نهج البلاغة المبين

٢٦٣ ما ورد في الصفحة الاولى من المخطوطة
٢٦٥ خطبة جامع الكتاب «الشريف الرضي»

القسم الاول: باب المختار من خطب أمير المؤمنين وما يجري مجراها

٢٧٥ ١- من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم
٢٩٠ منها: في ذكر الحج
٢٩١ الشرح والبيان لما تضمنته هذه الخطبة من أصول الإيمان
٣٢٠ رجوع إلى شرح الخطبة
٣٥٥ ٢- من خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين
٣٦٤ ٣- من خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشَّقَشَقِيَّة
٣٨٧ ٤- من خطبة له عليه السلام هي من أفصح الكلام
٣٩٣ ٥- من كلام له عليه السلام لَمَّا قبض رسول الله ﷺ
٣٩٨ ٦- من كلام له عليه السلام لَمَّا أُشِيرَ إليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال

- ٧- من خطبة له عليه السلام يذم فيها اتباع الشيطان ٤٠٠
- ٨- من كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك ٤٠١
- ٩- من كلام له عليه السلام في صفته وصفة أعدائه ٤٠٢
- ١٠- من خطبة له عليه السلام في ذم أصحاب الجمل ٤٠٣
- ١١- من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل ٤٠٥
- ١٢- من كلام له عليه السلام لما ظفر بأصحاب الجمل ٤٠٨
- ١٣- من كلام له عليه السلام في ذم البصرة وأهلها ٤١٠
- ١٤- من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة ٤١٣
- ١٥- من كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان ٤١٤
- ١٦- من خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة ٤١٥
- ١٧- من كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل ٤٢٤
- ١٨- من كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ٤٣٠
- ١٩- من كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة ٤٣٦
- ٢٠- من خطبة له عليه السلام يحذر فيها من الغفلة وينبّه على الفرار إلى الله ٤٣٩
- ٢١- من خطبة له عليه السلام هي كلمة جامعة للحكمة والموعظة ٤٤٢
- ٢٢- من خطبة له عليه السلام يذم فيها عمل الناكثين ٤٤٤
- ٢٣- من خطبة له عليه السلام تشتمل على تهذيب الفقراء ٤٤٨
- ٢٤- من خطبة له عليه السلام يأمر فيها بتقوى الله ٤٥٤
- ٢٥- من خطبة له عليه السلام يذكر فيها الكوفة ٤٥٥
- ٢٦- من خطبة له عليه السلام يصف فيها العرب قبل البعثة ٤٦١
- ٢٧- من خطبة له عليه السلام يذكر فيها فضل الجهاد ٤٦٦
- ٢٨- من خطبة له عليه السلام فيها تنبيه للمؤمنين ٤٧٢
- ٢٩- من خطبة له عليه السلام يستنهض فيها أصحابه لما حدث في الأطراف ٤٧٦
- ٣٠- من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان ٤٨٠
- ٣١- من كلام له عليه السلام لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير، قبل وقوع الحرب يوم

- ٤٨٣ الجمل؛ ليستفيئه إلى طاعته
- ٣٢- ومن خطبة له عليه السلام يقسم فيها الناس إلى أربعة أصناف ٤٨٥
- ٣٣- ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة ٤٨٩
- ٣٤- ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام ٤٩٣
- ٣٥- ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم ٤٩٧
- ٣٦- ومن خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان ٥٠٢
- ٣٧- ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة ٥٠٦
- ٣٨- ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها علّة تسمية الشّبهة شبهة، ويبين حال الناس فيها ٥١٤
- ٣٩- ومن خطبة له عليه السلام خطبها عندما علم بغزو النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر ٥١٦
- ٤٠- ومن كلام له عليه السلام في الخوارج، لمّا سمع قولهم: «لا حكم إلّا لله» ٥٢٠
- ٤١- ومن خطبة له عليه السلام ينهى فيها عن الغدر ٥٢١
- ٤٢- ومن خطبة له عليه السلام يحذّر فيها من اتباع الهوى وطول الأمل ٥٢٢
- ٤٣- ومن كلام له عليه السلام عندما أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام ٥٢٥
- ٤٤- ومن كلام له عليه السلام لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية ٥٢٨
- ٤٥- ومن خطبة له عليه السلام يحمّد فيها الله ويدمّ الدنيا ٥٢٩
- ٤٦- ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام ٥٣٠
- ٤٧- ومن كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة ٥٣٣
- ٤٨- ومن خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام ٥٣٥
- ٤٩- ومن خطبة له عليه السلام يبيّن فيها جملة من الصفات الرّبويّة والعلم الإلهي ٥٣٨
- ٥٠- ومن خطبة له عليه السلام يبيّن فيها الفتن المضلّة ٥٥٥
- ٥١- ومن كلام له عليه السلام لمّا غلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات بصفّين ومنعواهم من الماء ٥٥٧
- ٥٢- ومن خطبة له عليه السلام تقدّم مختارها برواية، وذكرت ها هنا برواية أخرى؛ لتغاير الروايتين ٥٥٨

- ٥٣- ومن كلام له عليه السلام في ذكر البيعة ٥٦٥
- ٥٤- ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصقن ٥٦٦
- ٥٥- ومن كلام له عليه السلام يصف أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك يوم صقن حين أمر الناس بالصلح ٥٦٨
- ٥٦- ومن كلام له عليه السلام لأصحابه ٥٧٠
- ٥٧- ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج ٥٨٩
- ٥٨- ومن كلام له عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إن القوم قد عبروا جسر النهر وان ٥٩١
- ٥٩- ومن كلام له عليه السلام لما قُتل الخوارج ٥٩٣
- ٦٠- ومن كلام له عليه السلام في الخوارج ٥٩٤
- ٦١- ومن كلام له عليه السلام لما خُوف من الغيلة ٥٩٦
- ٦٢- ومن خطبة له عليه السلام في صفة الدنيا ٦٠٢
- ٦٣- ومن خطبة له عليه السلام في المبادرة إلى صالح الأعمال ٦٠٣
- ٦٤- ومن خطبة له عليه السلام فيها مباحث لطيفة من العلم الإلهي ٦٠٥
- ٦٥- ومن كلام له عليه السلام كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صقن ٦١٨
- ٦٦- ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ ٦٢٤
- ٦٧- ومن كلام له عليه السلام لما قلّد محمّد بن أبي بكر مصر فملك عليه وقُتل ٦٤١
- ٦٨- ومن كلام له عليه السلام في ذم أصحابه ٦٤٢
- ٦٩- ومن كلام له عليه السلام في سُحرة اليوم الذي ضُرب فيه ٦٤٤
- ٧٠- ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل العراق ٦٤٧
- ٧١- ومن خطبة له عليه السلام علّم فيها الناس الصلاة على النبي ﷺ ٦٥٢
- ٧٢- ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة، قالوا: أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام ٦٥٥
- ٧٣- ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان ٦٥٦

- ٧٣٤ ارشاد المؤمنين / ج ١
- ٧٤- ومن كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان ٦٥٧
- ٧٥- ومن خطبة له عليه السلام في التأكيد على العمل الصالح ٦٥٨
- ٧٦- ومن كلام له عليه السلام حين منعه سعيد بن العاص حقه ٦٥٩
- ٧٧- ومن كلمات له عليه السلام كان يدعو بها ٦٦١
- ٧٨- ومن كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج ٦٦٢
- ٧٩- ومن كلام له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء ٦٦٥
- ٨٠- ومن كلام له عليه السلام في التوصية بالزهد والشكر والورع عن المحارم ٦٦٩
- ٨١- ومن كلام له عليه السلام في صفة الدنيا ٦٧٠
- ٨٢- ومن خطبة له عليه السلام تسمى «الغراء»، وهي من الخطب العجيبة ٦٧١
- ٨٣- ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص ٦٨٧
- ٨٤- ومن خطبة له عليه السلام في توحيد الله تعالى والحكمة والموعظة ٦٨٩
- ٨٥- ومن خطبة له عليه السلام وفيها بيان صفات الله جلّ جلاله ٦٩٢
- ٨٦- ومن خطبة له عليه السلام في بيان صفات المتقين وصفات الفاسقين ٦٩٦
- ٨٧- ومن خطبة له عليه السلام في بيان الأسباب التي تهلك الناس ٧١٢
- ٨٨- ومن خطبة له عليه السلام في بيان زمان الفترة وبعثة الرسول ﷺ ٧١٧
- ٨٩- ومن خطبة له عليه السلام في صفات الخالق جلّ جلاله ٧٢٠
- فهرس المواضيع: ٧٢٣



